

10

مسالك الأبصار في ممالك الأمصار

لشهاب الدين أحمد بن فضل الله العمري [ت749هـ]

تراجم أهل الموسيقى

السفر العاشر

تحقيق

د. يحيى الجبوري

مسالك الأبصار

في ممالك الأمصار

لشهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري

(ت ٧٤٩ هـ)

السفر العاشر

تراجم أهل الموسيقا

تحقيق

الدكتور يحيى الجبوري

جامعة آل البيت – الأردن

٨ر٠٨١
ف ض م س
ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى، ٧٠٠ - ٧٤٩هـ
مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: السفر العاشر/ تأليف شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري؛ تحقيق يحيى الجبوري.- أبوظبي؛ المجمع الثقافي، ٢٠٠٤.
٧٠٦ص.
ببليوجرافية: ص ٦٧٥ - ٦٩٥.
١- الغناء عند العرب.
٢- الشعر الغنائي.
٣- الموسيقى العربية.
٤- الشعراء العرب.
أ- العنوان.

أبوظبي-الإمارات العربية المتحدة
ص.ب ٢٣٨٠-هاتف: ٦٢١٥٣٠٠
Email:nlibrary@ns1.cultural.org.ae
http:/www.cultural.org.ae

تم تحقيق هذا الكتاب بتكليف من المجمع الثقافي

إصدارات المجمع الثقافي

مسالك الأبصار
في ممالك الأمصار



صورة غلاف الجزء العاشر من مسالك الأبصار



بسم الله الرحمن الرحيم • ربنا أفرغ علينا صبراً وأعن

ومن بعد من الحكماء أهل علم الموسيقى إذ هو من الطبيعي وقد اجتمع منهم

على مشاهير أهل الغناء من ذكره أبو الفرج الأصفهاني في كتابه الجامع وفي كتاب

الإماء، وممن ذكره ابن باقيا الحوري البغدادي في كتاب المحدث ثم ذيلت ذلك بما نظرته

في الكتب والتقطته منها التقاط الفرائد من السخب وأخبار أهل الجانب الشرقي ما أمثال

في الجانب الغربي ومصر وأن لم يطاول إلا السماء وشققت في الجانبين إلى زماننا

سابقة لم آل فيها الجهد وأتيت به على ترتيب ما وقع الاختيار منه وحسب على حكمه

بالدليل عليه ومن تأمل ما أتيته علم مقدار جهدي المبذول في تحصيل ما حصلته

وكبر لديه ما جمعته وشهد لي بأني لم أقصر وبالفضل لمن أتبعه ورأيت بين القدماء والمحدثين

اختلافاً في ألقاب الأنغام التي صنعوا فيها الأصوات اختلافاً في الأسماء لا في

المسميات. وكنت وقفت على كتاب ابن باقيا في الأغاني وهو على طريقة القدماء ولم

أجد على طريقة المحدثين ما أرجع إليه ولا أفهم منه وسألت جمال الدين عمر بن خضر بن جعفر

عرف بابن زاده الديسي المشرقي عن هذا ليبينه لي وهو عالم هذا الشأن بالشام فحلج

ولم يبين غير أنه قال إنما غيرت التسميات إذ نشأ الموثقي صاحب الأدوار الأربعة

والأربعين ضرباً ثم سراج الدين الخراساني صاحب شيوه. وكلاهما من أهل ما وراء النهر

وكان ذلك بحضور الشيخ الفاضل شمس الدين محمد بن شكر الدينوري فجعل يدله على الطريق

وهو تارة وتارة فأخرنا انتهى معه إليه إن قال خرج لي هذه الأبيات ثم جعل ينشد

بيتاً بيتاً من الأبيات التي فيها أصوات الأول المسماة بمصطلحهم إلى أن ظهر له أسماء

القدماء والمحدثين في المعنى واختلافهم في اللفظ فنزل أسماء المحدثين على أسماء القدماء

ورتب في هذا المقال وفصل ما يعجز القراع ويدق عنها الأفهام ثم لخص فيه ما مضمونه

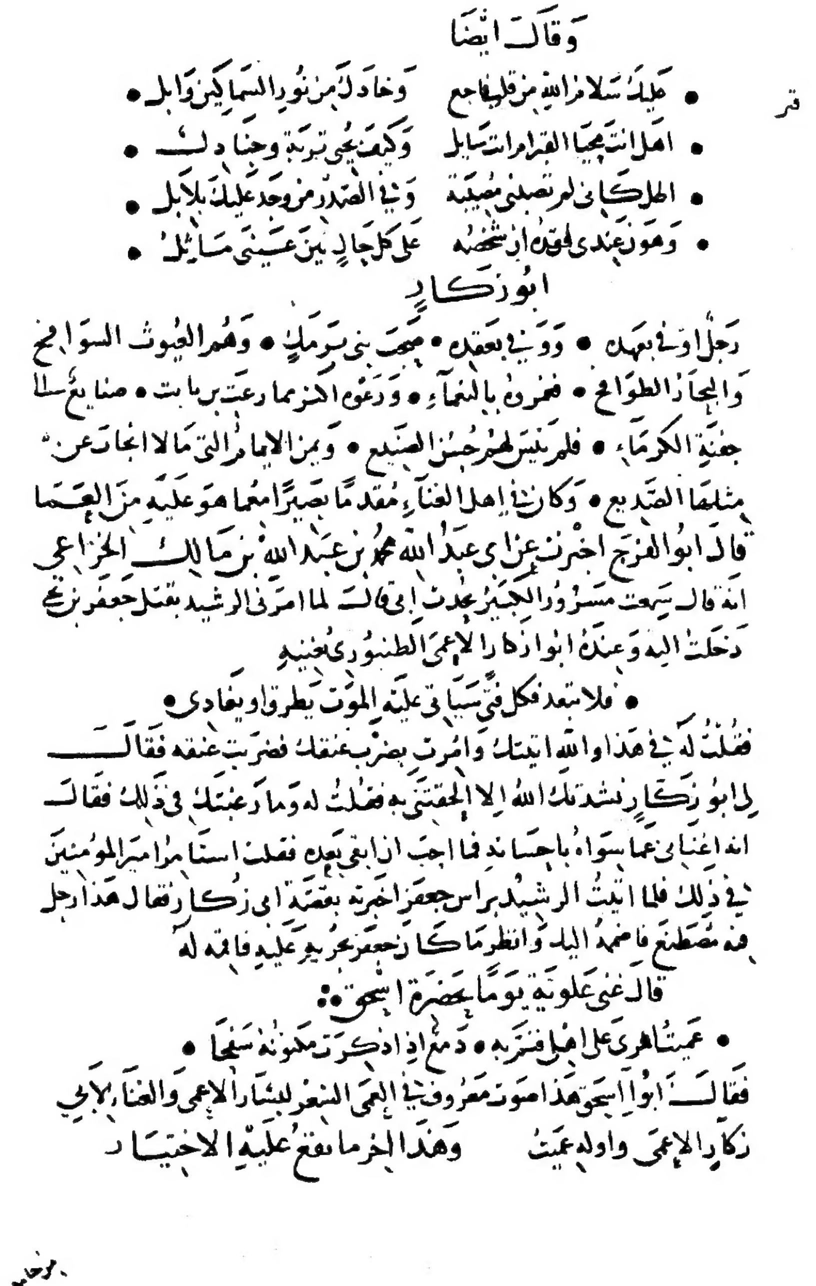
اعلم أن الأوائل رحمهم الله رتبوا ألحانهم على نوعين ضرب ولحن مسميات بأسماء

اصطلحوا عليها وجعلوا أنواع الضروب ستة ثقيل أول وثقيل ثان وخفيف الثقيل

صورة الصفحة الأولى من المخطوطة فيها بداية الكتاب وختمان وتمليك الكتاب


ورمل وخفيف الرمل والهزج وهذا كما يقال ان الضرب فيه تفرقات ثقال وخفاف
وخفاف الخفاف واما الاصابع فهي الالحان عندهم وهي ست كذلك المطلق والمعلق
والمحمول والمنسرح والمزموم والمجنب واذا ضربت ثلثه في ستة كانت ثمانية عشر رجوعا
الى ان الضرب مع اللحن يختلف مع الثقال والخفاف وخفاف الخفاف فتختلف الصوت
مع الضرب بالقوة والضرب فيسمى كل واحد باسم ولهذا يقولون مطلق السبابة والوسطى
والخنصر والشهادة او معقوصها كل ذلك اشارة منهم الى الالحان المختلفة فسموا كل لحن
باسم علم عليه يعرف به لئلا يتصل العلم عند التعليم كذلك فعل المتاخرون من الفرس حين سموا
هذه الاسماء الاعجمية المصطلح عليها في زمننا وهي الراست والعراق والزيرافكند والاصبهان
والزنكلا والبزرك والراهوي والحسيني والماية وابو سليك والنوى والعشاق واوازها
وهي النيروز والشهناز والسلمك والحجاز والكوشت على اختلاف في هذه التسمية فهذه
تلك الست تضاعفت بثلثة بحسب التركيب فبلغت ثمانية عشر فالمطلق هو الراست والمعلق
هو العراق والمحمول هو الزيرافكند والمنسرح هو اصفهان والمزموم زنكلا والمجنب بزرك
ثم تركبت الستة الباقية من الستة الاولى فالرهوي من المطلق والمعلق والحسيني من المحمول
والمنسرح والماية وابو سليك من المزموم والنوى والعشاق من المجنب ثم اخذ بالتركيب
النيروز من المطلق والمعلق لاختلاف الضرب ثم الشهناز من المحمول والمنسرح ثم السلمك
من المزموم والمجنب ثم الزركشي من المحمول والمنسرح والحجاز من المزموم والكواشت من المجنب
اما الماخوري والمجصور والمشكول فاخر تسميته مع متاخري العجم وكذلك غيرها وتركيبها
كتركيب الشاذ عند المتاخرين والله اعلم فاما ما نحن بصدده ممن نذكره في المفاضلة بين
الجانبين من اهل هذه الصناعة فنبتدا بالمختار من كتاب ابي الفرج الاصفهاني الجامع
ثم من كتاب الاماء ثم ما ذكره ابن باقيا ثم ندخل حتى يرفل هذا الكتاب في فاضل برده
فمنهم ابن محرز مجيد الغاية ومشتهر الغواية تردد بين الحرمين مكة والمدينة للقاء المحسنين
والالقاء من المغنين ثم لم يقنع حتى اتى بلاد فارس وجنى من تلك المغارس واصبح لا يدع طرفا به الا
انتجع ولا مختارا الا مجموعا فيه عربا على عجم فلم يسق في الغناء نادرة حتى حازها ولا شاذة اعجزت

صورة الصفحة الثانية من الكتاب وفيها المصطلحات الموسيقية القديمة



وقال ايضا

• عليك سلام الله من قلب فاجع ... وجاد لك من نوء السماكين وابل •

• املت انت بحيا الغمامات سائل ... وكيف يحيى تربة وحيا دلك •

• الم تك باكي لم تصبني مصيبة ... وفي الصدر من وجد عليك بلابل •

• وهون عندي لوعتي ان شخصه ... على كل حال بين عيني مائل •

ابو زكار

رجل او في بعهد • ووفي بعقد • محب بني برمك • وهم الغيوث السوافح والبحار الطوافح • فمروا بالنعماء • ودعوه الى نعم رعت ربما ثبت • صنايع سلا جنة الكرماء • فلم ينس لهم حسن الصنيع • ومن الايام التي ما لا انجا دعن مثلها الصديع • وكان في اهل الغناء مقدما بصيرا اعمى ما هو عليه من العما

قال ابو الفرج اخبرني ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي انه قال سمعت مسرورا الكبير يحدث ابي قال لما امرني الرشيد بقتل جعفر بن يحيى دخلت اليه وعنده ابو زكار الاعمى الطنبوري يغنيه

• فلا تبعد فكل فتى سياتي عليه الموت يطرق او يغادي •

فقلت له في هذا والله اتيتك وامرت بضرب عنقك فضربت عنقه فقال لي ابو زكار نشدتك الله الا الحقتني به فقلت له وما رغبتك في ذلك فقال انه اغناني عما سواه باحسانه فما احب ان ابقى بعده فقلت استامر امير المومنين في ذلك فلما اتيت الرشيد براس جعفر اخبرته بقصة ابي زكار فقال هذا رجل فيه مصطنع فاضممه اليك وانظر ما كان جعفر يجري عليه فاتممه له

قال غنى علويه يوما بحضرة اسحق

• عجبت لهري على امل فترته • دمع اذا ذكرت محبوبه سجما •

فقال ابو اسحق هذا صوت معروف في البحر الشعر لبشار الاعمى والغناء لابي زكار الاعمى واوله عجبت وهذا اخر ما وقع عليه الاختيار

موخاتم

صورة الصفحة ٢٥٢ وفي السطر الأخير بيان بنهاية الاختيار من كتاب أبي الفرج الأصفهاني


من جامع ابو الفرج الاصفهاني في اقتصر فيه على من ذكره من مشاهير المغاني وقد بقيت منه لا احد ما ادل عليه ولا ما اصله به الى زماننا هذا على ما جرينا عليه في جميع هذا الكتاب لقلة اعتناء المتاخرين ولاسيما بهذا الفن الذي فني ولم يبق من يعانيه او يسمعه لرغبة ملوك زماننا فيما سوى هذا او شواغل ابناء الزمان بالهموم الصادة عن السرور ثم طرحت لابن باقيا تباليف جار في تضاعيفه عرضا ذكر جماعة على ذيل زمان ابي الفرج ثم اقتطفت من كتب التواريخ والاخبار المعتدة عن اواخر الخلفاء من بني العباس وبقايا الخلفاء بالاندلس من بني امية واعقاب الملوك والجلة من كل افق ما جمعت معرفته والفت متفرقه ثم اتبعته بما التقطته من ذكر ما بقيه من اهل الاعتناء ممن تاخر بهم الاجل الى هذا العصر • وبذلت الجهد فيه حسب الطاقة وبحثت فيه حتى لم اجد • وابديت فيه حتى لم اعد • فاما نسبة الاصوات فقد اتيت بما قدرت عليه في ذلك دون ما صدني عنه العجز وكان يمنعني وجهه بقضى اوقات السرور باهله على اني لم احل مجلسا ولا اهملت حسنا وكثيرا ما ابحث عليه لما فيه مثلي ورماني واجمل ما اجده بان الدهر لجرحته وتكديره لصفوه مسرة في وبالله استعين

ومنهم دليل الطنبوري

كان بدمشق • واخذ صناعة الغناء عن مشايخها • وتفرد بضرب الطنبور • واتى العراق • ولم يجد له بها عظيم نفاق • فعاد الى دمشق واقام بها ونفق على امرائها • وحضر مجالس سروانها • ومن مشاهير اصواته

• ومكلل بالدر والمرجان • كالورد بين شقائق النعمان •

• اخذ المرآة وقد اراد زيارتي • فراى محاسن وجهه فجفاني •

والشعر لابي تمام قال ابن باقيا وهو من الثقيل الاول من المعلق وكذلك صوته الاخر في سطور الشريع

طرب

صورة الصفحة ٢٥٣ وفي أعلاها تعليق علي الحموي الحنفي

لا يقصر عن الاوايل • قال وهو ممن اخذت عنه • واستفدت منه • وكنا نجتمع ونتذاكر • ونتغدى ونتكرع صبيحة كل يوم يسمع كل واحد منا صاحبه • ولم ار مثله • وحدثني عنه عمر

وله اصوات منها

• جزروها اني مضيت فقالت • امضي لطارفا شكا ام تليدا •

• واشاروا بان يعود وساده • فابت ان تشتهي ان يعودا • وهي صح

• واتتني في خفية وهي تشكوا • الم الوجد والمزار البعيدا •

• ورأتني كذا فلم تمالك • ان امالت على عطفا وجيدا •

والشعر للطغراوي • وكذلك صوته في شعر الحاجري •

وهو هذا

• يحقك ذكرها العقيق لعلها تجد راجعا في عودها وسراها •

• اذا ما حدا الحادي تجد تمايلت كان سلافا في النشيد سقاها •

• كانكم يوم الرحيل رحلتم بنومي فعيني لا تلذ كراها •

• وكنت شحيحا من دموعي بقطرة فقد صرت سمحا بعد كم بدماها •

وكذلك صوته في شعر ابن حجاج بجا

وهو هذا

• نامي هنا ولعينيك الرقاد فما استعاروا الا السهد والارقا •

• وان اردت حياتي فاحفظي رمقي ان كان عندك شي يمسك الرمقا •

• يا شامتا اذ رأى قلبي رهينا اسى وشر ما فيه ان الرهن قد علقا •

• ان فرق الدهر شخصينا مراغمة فهل تبان لا والله ما افترقا •

ومنهم ابن كر ابو عبد الله

الشيخ شمس الدين محمد البغدادي الاصل المصري الدار والمولد هو في علم الموسيقى فرد لا يخلف • يحن الاوايل وما علق • واتى ببدايع الالحان وما تكلف •

لاعمى

له بود

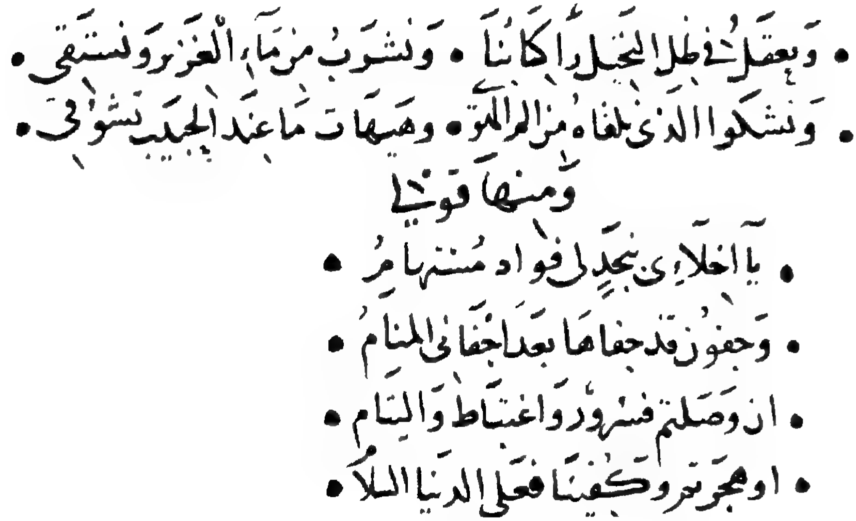
لا يغني على مثله الوجود في ردئته • ولا يغني شبيه النهار بكره واصائله بد ينه
يطرب قبل الانشاد • ويحرك حتى الجماد • ويخرس لديه اصوات المثاني والمثالث
وما يغنج ويصرّ المغاني والاغاني وما يترجرج • نقل مذاهب القدماء • كابن
المهدي واسحق • وجدد طوالع تلك الاهلة التي اكلها المحاق • لا يمرّ به
صوت مما ذكر ابو الفرج الاصبهاني الا وجوّده وجيده • ونعلك وزيده
وصنف كتابا يقال له احسن ما صنف جمع وشغل سمع • وقد خطا الفارابي في
هذا العلم • وانكر عليه اهل المعرفة ثم سلموا اليه انه انما قاله عن علم • وابن
كر هذا من بيت امراة تناقل سلفه في بغداد اذ ارتضاهم ملكها التتار
فلذمرا ابوه مصر فاجرى عليه راتب عاد الى ابنه هذا بعضه وهو الان في
زاويه قرب المشهد الحسيني بالقاهرة المعزية • اطها من وقفه واوقف
ابيه وله عز نفس • وشمم عفاف • ما اتخذ هذه الصناعة الطربية الا ريحانا
له لا استرزاقا به • وله في صحبة اعرف حقها له • كان يتردد الي ويتودد
ويتفقد ولا ينفقه • ولقد غنى فاضحك وغنى فابكى • وغنى فانام • ورايت بعيني
منه ما سمعته اذناي عن الفارابي • فصدق الخبر الخبر • وحقق العين الاثر
ورايت منه واحدا من سحار زمن وهبه ما لا هو في قدر البشر • وله اصوات
في اشعار له منها قوله

• ابدي حبيبا قد فتنت بحبه • لو كان يرثي للمحب اذا اشتكى •
• والله ما هبت نسيم دياره • الا اعتلقت بذيلها متمسكا •
• يا عين انت شكيتي في حبه • لما نظرت له وانت المشتكى •
• قالت عليك بادمعي ولحبها • لو كان دمعي للحزن افناه البكا •

ومنها قوله

• قفا بي على الوادي اودع مهجتي • واستودع الاحباب مني ما بقي •
• فيا ليت شعري هل نعود الى الحمى • ويجمعنا سفح الكثيب فنلتقي •

صورة الصفحة ٤٢١ وهي ما قبل الأخيرة


• ونعقل في ظل النخيل ركابنا • ونشرب من ماء الغدير ونستقي •
• ونشكوا الذي نلقاه من ألم الهوى • وهيهات ما عند الحبيب تشوقي •
ومنها قوله
• يا اخلاي بجدلي فؤاد مستهام •
• وجفون قد جفاها بعد اجفاني المنام •
• ان وصلتم فسرور واغتباط والتيام •
• او هجرتم وكفينا فعلى الدنيا السلام •

صورة الصفحة الأخيرة من الجزء العاشر وهي نهاية الجزء الخاص بالأغاني

وفيها أشعار المصنف ابن فضل الله العمري

المقدمة

هذا هو الجزء (السفر) العاشر من كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار للعالم الأديب البارع شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري المتوفى سنة ٧٤٩ هـ، ويشتمل هذا الجزء على الغناء والموسيقا، وتراجم المغنين والمغنيات، وما يتعلق بذلك من شعر وأخبار وأحاديث مجالس الطرب. والكتاب ثروة أدبية وفنية نفيسة، وصورة من صور الحضارة الإسلامية في أزهى مظاهرها، على مدى ستة قرون أو تزيد، وقد جمع فيه المُصَنِّفُ من الأشعار والأخبار وتراجم المغنين والمغنيات والشعراء والخلفاء والأمراء والوزراء وبقية الأعلام الكثير الغزير، فجاء بكل رائع ونفيس، وقد حفظ شعرا مختارا جيدا، كما حفظ كثيرا من الشعر الضائع أو المجهول الذي لم تحوه الكتب والدواوين التي وصلتنا، وحفظ كذلك تراجم المغنين والمغنيات الذين لم تصل تراجمهم وضاعت أخبارهم فيما ضاع من كتب التراث، ويعد هذا السفر مرآة واضحة صادقة للحياة العباسية في جانبها الفني المنصرف إلى الغناء والموسيقا ومجالس الأنس والطرب.

وصف مخطوطة الكتاب:

المخطوطة كما يظهر من صورة الغلاف فيها اسم الكتاب والجزء واسم المؤلف، ومكان المخطوطة (برسم خزانة السلطان المالك الملك المؤيد شيخ عصره، الجامع الذي أنشأه بباب زويلة عمرها الله ببقائه) وجاء بعدها بخط فارسي ذكر أن الكتاب وقف (الحمد لله وقف هذا الجزء وما قبله وما بعده الملك المؤيد أبو النصر نُسِخَ على طلبة العلم بالجامع المؤيدي وشرط ألا يخرج منه)، وهناك مطالعة لأحد العلماء على الجانب الأيسر بخط فارسي ولم يتضح اسم كاتبها.

يبدأ هذا الجزء بقول المؤلف بعد البسملة: (ربنا افرغ علينا صبرا وأعن، وممن يعد من الحكماء أهل علم الموسيقا إذْ هو من الطبيعي، وقد أتيت منهم على مشاهير أهل الغناء ممن ذكره أبو الفرج الأصفهاني في كتابه الجامع، وفي كتاب الإماء، وممن ذكره ابن ناقيا النحوي البغدادي في كتاب المحدث ثم ذيلت ذلك بما نظرته في الكتب والتقطته منها التقاط الفرائد من السحب).

وفي جانب الصفحة الأولى في بداية الكتاب ختم دائري فيه: (الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله) وفيه أيضا رسم طغراء، وتحت الختم وبخط فارسي جميل: (وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الأعظم الخاقان المعظم مالك البَرَّين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان بن السلطان، السلطان الغازي محمود خان، وقفا صحيحاً شرعياً مصححاً لمن طالع وتبصر واعتبر ويذكر لي أجزل الله تعالى لواءه المعظم أحمد شيخ زاده.. أوقاف الحرمين الشريفين غفر الله لهما).

وفي الصفحة ٢٥٣ من الأصل المخطوط تعليق لعلي الحمودي الحنفي بعد قول المصنف: (هذا آخر ما يقع عليه الاختيار من جامع أبي الفرج الأصفهاني، اقتصرت فيه على ما ذكره من مشاهير المغاني، وقد بقيت مدة لا أجد ما أذيل عليه، ولا ما أصله به إلى زماننا هذا على ما جرينا عليه في جميع هذا الكتاب). ويعلق الحنفي على هذا الكلام بخط فارسي كبير في أعلى الصفحة: (أقول إن المؤلف لم يحرر كلامه هنا ولم يستوف تراجم الأغاني، فإن كثيرا ممن ذكره هنا إلى آخر هذا الباب مذكور في الأغاني، يعلم ذلك من استوفى للأغاني نظرا، وقد طالعته ثلاث مرات، وأنت ترى جماعة من هذا الذيل قبل زمن أبي الفرج بمدد ولا يشذوا (كذا) عنه مع كثرة اطلاعه واستيعابه المجمع على سعة مادته وتقصيه وتغضيه، والمؤلف معذور طالت عليه الشقة وأراد التبجح عند من

ليس له كثير اطلاع لعلمه باضمحلال أهل هذا الفن والمحرر له وذهل عن قوله:

جـاء شـقـيق عـارضـا رمـحـه إنَّ بني عـمك فـيـهم رمـاح

ففي كل زمن بقية معتبرة، فكم ترك الأول للآخر؟ علي الحموي الحنفي،

وينتهي الجزء دون خاتمة أو ذكر اسم الناسخ، وكل جزء له ناسخه لاختلاف الخطوط، وآخر هذا الجزء أشعار للمؤلف ابن فضل الله العمري في ص ٤٢٢ قوله: ومنها قولي:

يـا أخـلائي بـنـجـد لي فـؤاد مـسـتـهـام
وجـفـون قـد جـفـاها بـعـدأجـفـاني المنام
إن وصلـتم فـسـرور واغـتـبـاط والتـئـام
أو هجـرتم وكـفـينا فـعلى الدنيـا السـلام

تقع مخطوطة هذا الجزء في ٢١١ ورقة في ٤٢٢ صفحة، في الصفحة ٢٣ سطرا، في السطر١٢ ـ ١٤ كلمة، كتبت بخط نسخ جيد، والمخطوطة محفوظة بمكتبة السليمانية ـ أيا صوفيا بإستانبول تحت رقم ٢٤٢٣، وقد صور كتاب مسالك الأبصار كله معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في إطار جامعة فرانكفورت، بألمانيا الاتحادية.

وعلى الرغم من جودة الخط وجماله ووضوحه، إلا أن الناسخ كان قليل الدراية باللغة العربية، فقد جاء فيها شكل قليل، وكثير من هذا الشكل غير صحيح، وكلماتها معجمة، ولكن هذا الإعجام غير مطرد ففيها كثير من الكلمات مهملة، والإعجام فيها لا يعتمد عليه فقد يكتب الياء ويريد التاء، ويكتب النون ويريد الباء، وهكذا، أما الأخطاء النحوية فكثيرة كثرة ملفتة للنظر، وقد نبهنا إلى بعضها وصححنا البقية دون تنبيه، وكثير من الأشعار فيها

نقص أو تحريف أو خلل في الوزن، وكذلك أسماء الأعلام فيها المحرف والمغير.

الكتاب ومنهج مؤلفه:

هذا الجزء خاص بأهل الموسيقا والغناء، وهو في حقيقته إيجاز لأكثر ما جاء في كتاب الأغاني من تراجم المغنين والمغنيات وذكر أصواتهم وأشعارهم، والأشعار التي تغنوا بها، ويذكر المؤلف منهجه في الكتاب ومصادره، فيقول: (وممن يعد من الحكماء أهل الموسيقا، إذ هو من الطبيعي، وقد أتيت منهم على مشاهير أهل الغناء ممن ذكره أبو الفرج الأصفهاني في كتابه الجامع، وفي كتاب الإماء، وممن ذكره ابن ناقيا النحوي البغدادي في كتاب المحدث[١]، ثم ذيلت ذلك بما نظرته من الكتب والتقطته منها التقاط الفرائد من السحب)، وكان اعتماد المؤلف على كتاب الأغاني وكذلك الإماء الشواعر واختياره منهما واعتماده عليهما في ثلثي الكتاب، والمغنون والمغنيات في هذا القسم هم من مشاهير أهل المشرق، أما الثلث الأخير الذي يبدأ من الصفحة ٢٥٣ من الأصل المخطوط فهو مما التقطه من الكتب ومن كتاب ابن ناقيا، وهو خاص بِمُغَنِّي الأندلس والمغرب ومصر من المتأخرين بعد القرن الخامس الهجري إلى أوائل الثامن الهجري [الرابع عشر الميلادي]، والمؤلف ينص على هذا في مقدمة الكتاب بقوله: (وواخيت أهل الجانب الشرقي بأمثاله في الجانب الغربي ومصر، وإن لم يطاول الماء السماء، وسقت في الجانبين إلى زماننا سياقة لم آل فيها الجهد)، ثم يبين أسماء الألحان عند القدماء، وما طرأ عليها من تغيير عند المتأخرين، ويذكر أسماء هذه الألحان والأنغام عند المتأخرين، ويشكو المؤلف من جهل المتأخرين وعدم عنايتهم بالغناء وسبب ذلك ويذكر مصادره في هذا القسم فيقول في ص

(١) لم يصل كتاب ابن ناقيا هذا، واسمه في المصادر (أغاني المحدثين).

٢٥٣ من الأصل بعد أن ذكر اختياره من كتاب الأصفهاني : (وقد بقيت مدة لا أجد ما أذيل عليه ولا ما أصله به إلى زماننا هذا على ما جرينا عليه في جميع هذا الكتاب، لقلة اعتناء المتأخرين ولاسيما بهذا الفن الذي فني ولم يبق من يعاينه أو يسمعه، لرغبة ملوك زماننا فيما سوى هذا، وشواغل أبناء الزمان بالهموم الصادرة عن السرور، ثم ظفرت لابن ناقيا بتأليف جاء في تضاعيفه عرضا ذكر جماعة على ذيل زمان أبي الفرج، ثم اقتطفت من كتب التواريخ والأخبار المقيدة عن أواخر الخلفاء من بني العباس، وبقايا الخلفاء بالأندلس من بني أمية، وأعقاب الملوك والجلة من كل أفق ما جمعت مفرقه وألفت ممزقه، ثم اتبعته بما التقفته من ذماء بقية من أهل الاعتناء ممن تأخر بهم الأجل إلى هذا العصر وبذلت الجهد فيه حسب الطاقة ونقبت فيه حتى لم أجد، وأبديت فيه حتى لم أعد).

وكتاب ابن ناقيا في الأغاني الذي نوّه به المؤلف ونقل منه واعتمد في هذا القسم عليه، فإنه لم يصلنا وكل ما لدينا منه ما حفظه المؤلف ابن فضل الله العمري من اقتباسات منه، وكان المؤلف في القسم الأول ينقل ويختار ويختصر متابعا نهج أبي الفرج، أما في القسم الأخير الخاص بالأندلس والمغرب ومصر، فإنه يحاول أن يتوسع في النقل والاستشهاد بالشعر، لقلة المعلومات والكتب عن المغنين والمغنيات، لذلك نراه حين يذكر اللحن والشعر الذي غني به من قصيدة، يذكر الأبيات، ثم يتبعها بذكر القصيدة أو الأبيات اللاحقة لأبيات الغناء، ويذكر أيضا مختارات من شعره هو مما يناسب معاني الأبيات المستشهد بها.

لقد اختار المؤلف في مجمل كتابه تراجم لعدد كبير من المغنين والمغنيات بلغ عددهم (١٨٩) مئة وتسعة وثمانين مغنيا ومغنية عدد المغنين منهم (١٣٠) مئة وثلاثون مغنيا وعدد المغنيات (٥٩) تسع وخمسون مغنية وفيهن الشواعر

وغير الشواعر، وكلهم مذكور في فهرس الموضوعات.

لقد حفظ هذا الكتاب ثروة كبيرة من شعر الشعراء، سواء الذي غني به أو لم يغن، وهذه الأشعار تغطي عصور الأدب من الجاهلي القديم وحتى عصر المؤلف مرورا بالعصر الأموي والعصور العباسية والأندلسية، وهناك أشعار كثيرة لم تحوها الدواوين لشعراء معروفين أو مجهولين، وخاصة في القسم الأخير الخاص بالشعراء المتأخرين، كما حفظ الكتاب روايات أخرى لأشعار الشعراء المشهورين وغير المشهورين، أما الأشعار التي لم تحوها الدواوين والكتب – وهي أشعار مستدركة على هذه الدواوين والكتب – فقد أشرت إليها ونبهت عليها بقولي: (لم أجدها في ديوان فلان)، ولم أستعمل لفظ القائلين: (أخل بها ديوانه)، أو فات محقق الديوان هذا الشعر، لأن في هذا اتهاماً للمحققين بالنقص في أعمالهم، وقد دأب على هذا بعض المحققين المبتدئين الذين يركبهم الغرور، لأن في تلك العبارات مَسَبَّةً وانتقاصا وعدوانية على محققي الدواوين وجامعي الشعر، ولا أحب العدوان والمعتدين، وجل من لا يغفل ويسهو.

وقد حوى القسم الأخير كذلك أسماء مغنين ومغنيات لم تعرف لهم تراجم، وأشعاراً لشعراء من العصور المتأخرة التي لم تصلنا كتبهم ودواوينهم، فهو بذلك قد حفظ شعرا مجهولا وَعَرَّفَ بأعلام غير معروفين لأهل المشرق خاصة، كما حفظ الكتاب المصطلحات الموسيقية المتأخرة التي لم يذكرها كتاب الأغاني ولم تكن معروفة في عصره وقد شاعت مسمياتها بعد عصر أبي الفرج الأصفهاني، وَنَعُدُّ كذلك من الفوائد التي حواها هذا الكتاب تلك النقول والاقتباسات التي نقلها عن كتب لم تصل، وليس لها ذكر في الكتب المتأخرة، وفيها أخبار المغنين والمغنيات ومصطلحاتهم الموسيقية واللحنية.

إن المؤلف كان واسع الثقافة غزير المعرفة، مُحِبّاً للشعر، وهو نفسه شاعر

سجل بعض أشعاره في الكتاب، ولذلك فهو يكثر من التمَثُّلِ بالأشعار وحتى تضمينها في أسلوبه، ومنهجه في التعريف بالمغنين أن يبدأ بالترجمة لهم بأسلوبه هو، وأسلوبه يغلب عليه السجع، وهو أسلوب عصره، وفيه إطالة وإغراب وميل للكلمات الفصيحة والغريبة في الإشادة بالمغني أو المغنية، وهذا الأسلوب المسجوع قد يخرج به عن الموضوع والمعنى المراد ويضيع كثيرا من المعاني الدقيقة التي ينتظرها القارئ، ولكنه بعد ذلك حين ينتهي من الترجمة يتابع أبا الفرج في أسلوبه في عرض الأفكار والأشعار، ويعود إلى الأسلوب المرسل الذي لا سجع فيه، والمؤلف حين يقتبس من كتاب الأغاني أو غيره، يقتبس روايات منتقاة ويجردها من سند الرواة، ويختصر بعض الروايات، ويصوغ بعضها بأسلوبه.

وبعد: فالكتاب في جملته ثروة نفيسة، جمع فيه المصنف أخبار الغناء والمغنين، وأخبار الخلفاء والأمراء والوزراء المتعلقة بمجالس الغناء والطرب، وذكر لهم أشعارا كثيرة جيدة فيها كثير من النوادر، وكشف من خلال ذلك عن حياة العصور السابقة في جانبها الفني اللاهي، وفيه وصف وتصوير دقيق لمجالس الخلفاء وأحوال المطربين وأخبارهم ورواية لأحاديثهم وكشف لدقائق حياتهم، والكتاب صورة صادقة للحياة العباسية خاصة، والعصور التي تلتها عامة، وما فيها من مظاهر حضارية وثقافية وأدبية.

منهج التحقيق:

على الرغم من سعة الكتاب وضخامته، وما فيه من تراجم كثيرة وأشعار غزيرة، وأعلام بعضهم مغمور أو مجهول، لم نجد لهم ترجمة في المصادر، وعلى الرغم من الصعوبات التي تعترض كتابا كهذا يتعلق بالغناء والموسيقا، وما فيه

من مصطلحات مختلفة المدلول حسب العصور، على الرغم من كل ذلك، فقد وجدت في هذا الكتاب متعة في قراءته وتحقيقه وجلاء غامضه، لما فيه من جيد الأخبار وجميل الأشعار وجودة المختار من تراجم الأعلام، وقد سرت في التحقيق على الوجه الذي يخدم النص تصويبا وتقويما، وهدفي أن أحرر نصا هو أقرب إلى ما أراده مؤلفه، وقد سرت في التحقيق على الوجه الآتي:

١- صححت النص وقومت ما فيه من أخطاء لغوية ونحوية وإملائية ووهم وتحريف وتصحيف، وقد جاء كثير من الألفاظ والعبارات محرفة أو خالية من الإعجام، أو أن إعجامها غير صحيح أو كان فيها لحن أو خطأ أو تحريف أو نقص، فاستدركت كل ذلك وأشرت لبعض التصويبات، وقد صححت الأخطاء ولم أشر إليها لكثرتها حرصا على عدم إثقال الهوامش بالتصويبات المتشابهة وهي كثيرة، ويبدو أن الناسخ كان قليل الدراية بالعربية، وقد تُعْزَى الأخطاء الكثيرة إلى السهو والعجلة، وقد وضعت كل إضافة واستكمال أو تصويب بين عضادتين[ ]

٢- ضبطت الشعر بالشكل وكذلك الكلمات التي بحاجة إلى الضبط دفعا للبس والوهم في القراءة، وقد جاءت بعض الكلمات في الشعر مضبوطة في الأصل، ولكن ضبطها عند التحقيق غير صحيح وخاصة في الشعر، وقد يكون ضبطه مدعى إلى اللحن.

٣- الكلمات في الأصل أكثرها معجمة وبعضها مهمل، ولكن الإعجام في كثير من الكلمات غير صحيح، فقد يكتب التاء ويريد الياء، وقد يكتب الباء ويريد النون، فأعجمت المهمل وصوبت المحرف والمصحف.

٤- في بعض الأشعار نقص أو خلل في الوزن، فأتممت النقص وصححت

الوزن، وأشرت إلى الأبيات التي لم أهتد إلى وجه الصواب فيها.

٥- خرَّجتُ الشعر بالرجوع إلى الدواوين والمصادر وَبيَّنْتُ اختلاف الروايات وأشرت للروايات المهمة، وكان التخريج قد أعان في الوصول إلى صواب القراءة في الشعر المخطوء، وهناك أشعار لم أجد لها ديوانا أو مصدراً وخاصة ما يتعلق بالمتأخرين.

٦- بينت بحور الشعر لكل قصيدة أو قطعة أو بيت.

٧- شرحت الكلمات الغامضة والعبارات التي تحتاج إلى شرح وإيضاح.

٨- ترجمت للأعلام الذين لهم صلة بالمضمون، واستثنيت من الترجمة المشهورين من الخلفاء والشعراء وغيرهم، وقد جاء كثير من أسماء الأعلام محرفة، فصححتها بالرجوع إلى كتب التراجم.

٩- بينت معاني المصطلحات الموسيقية والألحان بالقدر الذي توصلت إليه من خلال كتب الغناء والموسيقا، وقد ذكرت موجزا بالمصطلحات الغنائية القديمة والمتأخرة كملحق لئلا يتكرر شرح المصطلحات وتكرارها كثيرا.

١٠- ترجمت للمواضع والبلدان الواردة في النص أو الشعر، وعرفت بالجماعات أو الشعوب حين تدعو الضرورة لذلك.

١١- هناك نقص في بعض نصوص الكتاب نتيجة للاختصار والتلخيص، فأكملت النقص بالرجوع إلى الكتب المنقول عنها وأهمها كتاب الأغاني، وقد ترد عبارات هي خلاف المعنى المراد، فصححت ذلك وأرجعت العبارة إلى أصلها ووجهتها الصحيحة بالرجوع إلى المصادر.

وبعد: فلم آل جهدا ولم أدخر وسعا في سبيل خدمة هذا السفر الجليل، وقد

انصرفت إليه بكلي وأعطيته عزيز وقتي وبقية عمري، مقرنا ليلي بنهاري، راجيا أن أكون قد أدركت بعض ما سعيت إليه من خدمة تراث الأمة الجليل، فإذا بلغت الغاية أو بعضها فلله الحمد على ما أعان ووفق، وإن قصرت وضللت فسبحان من له الكمال وحده، وأنا أحد بني آدم الذين لم يُعْصَمُوا من النقص والجهل والتقصير.

والحمد لله أولا وآخرا.

يحيى وهيب الجبوري

بسم الله الرحمن الرحيم

ربَّنا أفرغ علينا صبراً وأعِنْ

ومِمّن يُعد من الحكماء أهل الموسيقا، إذ هو من الطبيعي، وقد أتيت منهم على مشاهير أهل الغناء ممن ذكره أبو الفرج الأصفهاني[١] في كتابة الجامع[٢]، وفي كتاب الإماء، وممن ذكره ابن ناقيا[٣] النحوي البغدادي في كتاب المحدث[٤]، ثم ذيلت ذلك بما نظرته في الكتب، والتقطته منها التقاط الفرائد من السحب، وواخيت[٥] أهل الجانب الشرقي بأمثال[ـهم] في الجانب الغربي ومصر، وإن لم يطاول الماء السماء وسقت في الجانبين إلى زماننا سياقة لم آلُ[٦] فيها الجهد، وأتيتُ به على ترتيب ما وقع الاختيار منه، وجئتُ على حكمه بالدليل عليه. ومن تأمل ما أتيته علم مقدار جهدي المبذول في تحصيل ما حصلته،

---

(١) أبو الفرج الأصبهاني (الأصفهاني) علي بن الحسين بن محمد الأموي المتوفى سنة ٣٥٦ هـ، وكتابه الأغاني من أشهر كتب الأدب والتراجم التي اهتمت بالغناء والألحان، وكتابه (الإماء) هو كتاب الإماء الشواعر وقد طبع.

(٢) يريد كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، الذي اعتمد عليه المؤلف ولخص أخبار المغنين والمغنيات.

(٣) في الأصل (ابن باقيا) بالباء، وهو ابن (ناقيا) بالنون، عبدالله بن محمد بن الحسين البغدادي الظاهري، أبو القاسم، أديب لغوي شاعر كاتب توفي ببغداد سنة ٤٨٥ هـ له من الكتب شرح الفصيح لثعلب، ومختصر الأغاني، وأغاني المحدثين، والجُمان في تشبيهات القرآن (ابن خلكان ١ / ٣٣٤، ٣٣٥ السيوطي - بغية الوعاة ص ٢٩٢ - ٢٩٣ القفطي - أنباه الرواه٢ / ١٣٣) معجم الأدباء ٤ / ١٥٦١ ط إحسان عباس.

(٤) هو كتاب الإماء الشواعر لأبي الفرج الأصفهاني وسترد الإشارة إليه كثيرا.

لعله كتابه: (أغاني المحدثين) ينظر فيه ياقوت، معجم الأدباء ٤ / ١٥٦١ط إحسان عباس وستورد ترجمة ابن ناقيا.

(٥) واخيت: بمعنى آخيت، أي اتخذته أخاً، وجعلتهما بالأخوين.

(٦) لم آل: لم أقصر ولم أضعف.

وكبر لديه ما جمعته،وشهد[١] لي بأني لم أقصر، وبالفضل لمن اتبعته، ورأيت بين القدماء والمحدثين اختلافاً في ألقاب الأنغام التي صنعوا فيها الأصوات، اختلافاً في الأسماء لا في المسميات. وكنت وقفت على كتاب ابن ناقيا في الأغاني، وهو على طريقة القدماء، ولم أجد على طريقة المحدثين ما أرجع إليه ولا أتَفَهّم[٢] منه، وسألت جمال الدين عمر بن حضر بن جعفر، (عرف بابن زاده الديسني المشرقي) عن هذا لِيُبَيِّنَهُ لي وهو عالم[٣] هذا الشأن بالشام، فلجلج[٤] ولم يُبَيِّنْ، غير أنه قال: إنما غيرت التسميات إذْ نشأ التوثي صاحب الأرمال الأربعة والأربعين ضربا، ثم سراج الدين الخراساني صاحب شيوه، وكلاهما من أهل ما وراء النهر، وكان ذلك بحضور الشيخ الفاضل شمس الدين محمد بن شكر الديري، فجعل يديه على الطريق وهو تارة وتارة، فآخر ما انتهى معه إليه أن قال: جُسَّ[٥] لي هذه الأبيات، ثم جعل ينشده بيتا بيتا من الأبيات التي فيها أصوات الأول المسماة بمصطلحهم، إلى أن ظهر له اتفاق القدماء و المحدثين في المعنى واختلافهم في اللفظ، فَنَزَّلَ أسماءَ[٦] المحدثين على أسماء القدماء، ورتَّبَ في هذا المقال، وفعل ما يُعجز القرائح، ويَرُقُّ عنها الأفهام[٧]، ثم لخص فيه ما مضمونه:

اعلم أن الأوائل رحمهم الله، رتبوا ألحانهم على نوعين:

ضربٍ ولحنٍ، مُسَمَّيات بأسماءٍ اصطلحوا عليها، وجعلوا أنواع الضروب

---

(١) في الأصل (وشهد) ولابد من حذف الواو [المراجع].

(٢) في الأصل: ولا الفهم[المراجع].

(٣) في الأصل: علم، لم أقف على ترجمته.

(٤) لجلج: تردد في كلامه ولم يبن، فهو لجلاج.

(٥) جُسَّ الأبيات: أي افحصها وتأمل فيها.

(٦) في الأصل (فنزل أسماء) ضبط أسماء بالكسر والوجه النصب.

(٧) لعل صحّة العبارة« وتدق عنه الأفهام» [المراجع]

ستة: ثقيل أول(١)، وثقيل ثانٍ(٢)، وخفيف الثقيل[٣](٣)، ورمل وخفيف الرمل(٤) وا[لـ] هزج(٥)، وهذا كما يقال إن الضرب فيه نقرات(٦) ثقالٌ وخِفافٌ، وخفافُ الخِفافِ.

وأما الأصابع فهي الألحان عندهم، وهي ست كذلك: المطلق(٧) والمعلق

---

(١) ثقيل أول: في الموسيقا، اسم دور الإيقاعات العربية، المشهورة قديما وهو من جنس ثقيل المتساوي الثلاثي، والأصل فيه نقرتان متساويتان ثقيلتان، ثم واحدة ثقيلة فاصلة الدور (الموسوعة العربية الميسرة).

(٢) ثقيل ثان: في الموسيقا العربية اسم دور من الإيقاعات المشهورة قديما عند العرب، وهو من جنس ثقيل المتفاضل الثلاثي الذي يقدم فيه الأصغر من زمانيه على الأعظم، والأصل فيه نقرتان متواليتان، الاولى أخف زمناً من الثانية، ثم ثالثة ثقيلة فاصلة الدور. (م.ع.م = الموسوعة العربية الميسرة).

(٣) خفيف الثقيل الثاني: كانوا يسمونه قديماً (الماخوري) (م.ع.م)، وخفيف الثقيل الأول: دور من أدوار الأصول في الإيقاعات العربية المشهورة قديما، وهو من جنس خفيف المتساوي الثلاثي (٤ من ٤)، ويرتب نقرتين خفيفتين ثم واحدة ثقيلة، وزمان دوره على هذا الوجه نصف زمان الثقيل الأول. (م.ع.م)

(٤) خفيف الرمل: دور من أدوار الأصول في الإيقاعات العربية قديما، وهو من جنس خفيف المتفاضل الثنائي، ويعد أصغر أدوار الأصول جميعا، ويرتب نقرة خفيفة ثم فاصلها، وزمان دوره (٢ من ٤) وقد يطول زمان فاصلة الدور بنقرة ساكنة تامة فيصل زمان دوره إلى ميزان (٥ من ٤) (م.ع.م)

(٥) الهزج: في الموسيقا العربية، الإيقاع الموصل ذو الزمان الواحد المتساوي بين كل نقرتين متواليتين، ويستمر هذا الضرب حتى نهاية اللحن الغنائي، وأصناف إيقاع الهزج أربعة، بعدد أصناف الأزمنة التي تنقسم إليها أعظم الأزمنة المتوالية بين نقرتين في الدور، وهي: سريع الهزج، وخفيف الهزج، وخفيف ثقيل الهزج، وثقيل الهزج (م.ع.م)

(٦) في الأصل المخطوط: (نفرقات ثقال) وهو تحريف (نقرات).

(٧) المطلق: اصطلاح في تجنيسات الأغاني عند العرب على مذهب إسحاق الموصلي فقد ذكر في كتابه أن للغناء مجريين في كل طبقة، أحدهما منسوب إلى الوسطى والآخر منسوب إلى البنصر، فأيهما جعلت المجرى كانت الطبقة منسوبة إليه، وذهب إلى أن نغمة السبابة مشتركة مع أيهما. (م.ع.م)

والمحمول(١) والمنسرح والمزموم(٢) والمجنب(٣)، وإذا ضربت ثلاثة في ستةٍ كانت ثمانية عشر رجوعا مع الضرب بالقوة، والضرب فيسمى كل واحد باسم، ولهذا يقولون: مطلق السبابة والوسطى والخنصر والشهادة أو مقبوضها، كل ذلك إشارة منهم إلى الألحان المختلفة، فسموا كل لحن باسم علم عليه، يعرف به لئلا يصل العلم عند التعليم، كذلك فعل المتأخرون من الفرس حين سَمُّوا هذه الأسماء الأعجمية المصطلح عليها في زماننا وهي: الراست(٤) والعراق(٥) والزيلكفند(٦)

---

(١) المحمول: اصطلاح في الموسيقا عند العرب المتوسطين، لتعريف نغم الجنس الذي يستقر على دستان الوسطى في العود، والأرجح أنهم يعنون الوسطى الفارسية أو مجنب الوسطى، فيشبه ما هو محمول بالوسطى بين السبابة والبنصر، وأما التعريف المشهور الذي يقابله عند القدماء على مذهب إسحاق الموصلي، فهو مطلق في مجرى البنصر (م.ع.م)

(٢) المزموم: تجنيس في مصطلحات الأغاني، كان العرب المتوسطون يستعملونه لنغم الجنس الذي يستقر على نغمة سبابة الوتر في العود، مسبوقة بنغمة مجنب الوسطى، أو يستقر على نغمة مطلق الوتر مسبوقة بنغمة مجنبة.

(٣) المجنب: أنواع، مجنب السبابة، ومجنب الوتر، ومجنب الوسطى، وهو تعريف عربي قديم وهو اسم دستان من دساتين العود، تستخرج منه النغمة التي هي أقرب ثقلا إلى نغمة دستان السبابة. (م.ع.م)

(٤) الراست: كلمة فارسية بمعنى مستقيم، تطلق اصطلاحا على هيئة لحنية لجماعة النغم الأساسية في الموسيقا العربية التي تعرف بالجماعة المستقيمة واصطلاحا راست، ويسمى بهذا الاسم أيضا نغمة اساس الجمع المسماة (يكاه)، وكذلك الجنس الأساسي ذو الأربع، وهو من أصناف الجنس القوي المتصل المسمى اصطلاحا (جنس الراست) (م.ع.م)

(٥) عراق: اصطلاح في الموسيقا العربية، تسمى به نغمة في المنطقة الثقيلة، تسمع في العود من مجنب سبابة الوتر الثاني المسمى وتر العشيران، ويختلف تحديد هذه النغمة باختلاف تسوية نغمة مطلق وتر العشيران، ونغمة صياحها بالقوة في المنطقة الوسطى، تسمى (أوج)، ويسمى أيضا باسم (عراق) هيئة اللحن الذي يستقر على هذه النغمة، المسمى باسم (العراق) والجنس المميز للحن هذه الجماعة هو القوي المتصل الأشد غير المنتظم. (م.ع.م)

(٦) الزيلكفند: هو المحمول السابق ويرد بلفظ (الزيلفكند) أو (زير فكند).

والأصبهان والزنكلا والبزرك[١] والراهوي[٢] والحسيني[٣] والما آه وأبو سلمك[٤] والنوى[٥] والعشاق[٦]، وأوانها وهي:

---

(١) بزرك: كلمة فارسية معناها (الكبير)، وهي في الموسيقا العربية اسم نغمة في المنطقة الحادة، تسمع من العود بالإصبع البنصر على الوتر الخامس وهي صياح النغمة المسماة في الطبقة الوسطى (سيكاه)، وبزرك أيضاً تطلق على هيئة لحنية لجماعة أنغام، مؤلفة تأليفا معيناً فيما يسميه أهل الصناعة مقام (بزرك)، وهو اسم آخر لطريقة مقام (الماهور). (م.ع.م)

(٢) راهوي: يستعمل اصطلاحا في الموسيقا العربية على هيئة لحنية تؤخذ من جماعة نغم، تستقر على درجة (الراست) فيما يسمونه (مقام راهوي) أو (رهاوي)، واستعمال المحدثين لهذا النغم يشبه (مقام الراست) وأما المتوسطون فكانوا يطلقون اسم (راهوي) على ترتيب جماعة أخرى غير التي يستعملها المحدثون. (م.ع.م)

(٣) الحسيني: اصطلاح في الموسيقا العربية، يطلق على النغمة التي تسمع من سبابة الوتر الرابع في العود، وهو (وتر النواة)، وسجاح هذه النغمة، أي نظيرتها بالقوة الأثقل هي نغمة (عشيران) وتسمع من مطلق الوتر الثاني المسمى وتر (العشيران) وتسمى باسم (حسيني) أيضاً، هيئة لحنية لجماعة نغم تعرف (بمقام الحسيني)، وتميز عند الإجراء باستعمال نغم الجنس القوي المرتكز على نغم الحسيني، ثم تستقر على نغمة (دوكاه) التي هي مطلق الوتر الثالث في العود، ونغمة حسيني إذا لم تكن صياح مطلق وتر العشيران فتحولت قليلا إلى جهة الثقل، فإنها تسمى باسم آخر، فهي تارة باسم (شورى) وتارة باسم (حصار)، وهذه تسمع من العود قريبا من الأنف على وتر النواة (م.ع.م).

(٤) أبو سلمك، والسلمك: كذا رسمت في الأصل ولعلها (بوسلك): وهي تسمية اصطلاحية في الموسيقا لنغمة في الطبقة الوسطى تسمع من آلة العود فيما بين سبابة الوتر الثالث المسمى (دوكاه) وبين نغمة وسطاه، ويسمى أيضاً باسم (بوسلك) هيئة لحنية تسمى (مقام بوسلك) تسمى في المنطقة الوسطى، مؤسسة على نغمة (دوكاه)، ويستعمل فيها من الأجناس اللحنية الجنس ذو الأربعة المسمى (جنس بوسلك) وهو القوي الأرخى غير المتتالي الذي يرتب فيه أصغر الأبعاد الثلاثة وسطا، وقد تسمى هذه الهيئة اللحنية بمقام عشاق. (م.ع.م)

(٥) النوا (النوى): اصطلاح يطلق على الوتر الرابع في العود، ويسمى أيضاً (نواة)، وكذلك تسمى نغمة مطلقة، وهي الخامسة التامة في ترتيب النغمات الأساسيّة في المنطقة المتوسطة صعودا من الأولى المسماة (يكاه) أو (راست). وتسمى باسم (نوا) أيضاً هيئة لحنية لجماعة نغم تستقر على النغمة المسماة (دوكاه) فيما يعرف باسم (مقام نوا) وهو من المقامات المركبة من حجاز النوا عند الاستهلال إلى المنطقة الحادة، وجنس الراست محولا على الدوكاه، ثم التسليم بجنس البيات. (م.ع.م)

(٦) عشاق: اسم آخر لهيئة اللحن المسمى في الموسيقا العربية مقام (بوسلك) الذي يستقر في المنطقة= =

النـيروز[١] والشهناز[٢] والسلمك والحجاز[٣]، والكوشت على اختلاف في هذه التسمية فهذه تلك الست تضاعفت بثلاثة، بحسب التركيب، فبلغت ثمانية عشر، فالمطلق هو الراست، والمعلق هو العراق، والمحمول هو الزيلفكند، والمنسرح هو اصفهان، والمزموم زنكلا.

وتركبت الستة الباقية من الستة الأولى، فالرهوي من المطلق والمعلّق، والحسيني من المحمول، والمنسرح والماآه وأبو سلمك من المزموم، والنوى والعشاق من المجنب، ثم أخذ بالتركيب. النيروز من المطلق والمعلق لاختلاف الضرب، ثم الشهناز من المحمول والمنسرح، ثم السلمك من المزموم والمجنب ثم الزركشي من المحمول والمنسرح، والحجاز من المزمور[٤]، والكواشت من المجنب.

الوسطى على نغمة (دوكاه)، وهي نغمة مطلق الوتر الثالث في العود، وقد يسمى هذا باسم مقام(عشاق مصري) تميزاً له عن المقام المشهور باسم (عشاق تركي) الذي يشبه مقام البيات. (م.ع.م)

(١) النيروز: أو النوروز، اليوم الجديد، وهو أول يوم من السنة الشمسية الإيرانيّة ويوافق اليوم الحادي والعشرين من شهر مارس من السنة الميلادية، وعيد النيروز أو النوروز أكبر الأعياد القومية للفرس (المعجم الوسيط ـ م. و (نوروز)، والمعرب ـ الجواليقي ص ٣٤٠).

(٢) الشهناز: كذا في الأصل، والمراد (شهرناز) وهو اسم فارسي، معناه (مدينة الدلع)، ويطلق اصطلاحا في الموسيقا العربية على هيئة لحنية مركبة، تبدأ من المنطقة الحادة بجنس الراست في الكردن، ثم بجنس الراست على النواه، على أن تجعل النغمة المسماة حسيني ظهيراً لجنس الراست على النواه، ثم يختم بجنس البيات مؤسساً على الحسيني، وهو الجنس القوي غير المتتالي (م.ع.م)

(٣) حجاز: اصطلاح في الموسيقا العربية، يطلق على النغمة الرابعة الزائدة قليلا بمقدار بعد إرخاء مما يلي النغمة الرابعة الأساسية المسمى جهاركاه، وتؤخذ من العود بالإصبع البنصر على الوتر الثالث، ويسمى باسم حجاز أو حجازي هيئة نغم في المنطقة الوسطى تؤسس على النغمة الأساسية (دوكاه) وهي نغمة مطلق الوتر الثالث في العود.(م.ع.م)

(٤) المزمور: كذا في الأصل ولعله (المزموم) وقد سبق التعريف به.

أما الماخوري[١] والمحصور[٢] والمشكول، فتأخر تسميته مع متأخري أوائلهم. وكذلك غِيَرُها وتركيبها كتركيب الشاذ عند المتأخرين، والله أعلم. فأما ما نحن بصدده ممن نذكره في المفاضلة بين الجانبين من أهل هذه الصناعة فسنبدأ بالمختار من كتاب أبي الفرج الاصفهاني الجامع، ثم من كتاب الإماء[٣]، ثم ما ذكره ابن ناقيا[٤] ثم ندخل حتى يرفل هذا الكتاب في فاصل برده، فمنهم:

١ - ابن مُحْرِز[٥]

محرز لغاية، ومُبَترز في غواية، تردد بين الحرمين، مكة والمدينة للقاء المحسنين

---

(١) الماخوري: ضرب في الإيقاعات الموسيقية العربية التي اشتهرت قديما، كان أهل الصناعة وقتئذ يعدونه هو بعينه (إيقاع خفيف الثقيل الثاني) واسم الماخوري مشتق عن تمخير الإيقاع، ليكون وسطاً بين الحثيث من الإيقاعات والخفيف. (م.ع.م)

(٢) محصور أو محصور بالبنصر: اصطلاح موسيقي عند العرب المتوسطين، يطلق على هيئة ترتيب نغم الجنس الذي يستقر على نغمة بنصر الوتر ببعد بقية، وأما المشهور في تجنيس الأغاني في هذا الجنس، فهو مذهب إسحاق الموصلي. (م.ع.م)

(٣) هو كتاب الإماء الشواعر، ذكره ياقوت في معجم الأدباء ٤ /١٧٠٨ والسيوطي في المستظرف ١٣، ١٥ وانظر تاريخ التراث العربي ـ سزكين ٢ / ١٦٣، حققه جليل العطية ط دار النضال بيروت ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ ونسب الكتاب وهما لابن الجوزي بعنوان(ري الظما في من قال الشعر من الإما).

(٤) في الأصل ابن باقيا. وانظر الحاشية ٣ الصفحة ٢٣.

(٥) ابن محرز: مسلم بن محرز، أبو الخطاب، مولى بني عبدالدار، أحد المقدمين في صناعة الغناء والألحان، فارسي الأصل، كان أبوه بمكة من خدام الكعبة ونشأ هو بمكة، وكان يقيم فيها مدة وفي المدينة مدة، يتعلم في المدينة الضرب من عزة الميلاء، وشخص إلى ايران فتعلم الحان الفرس، وصار إلى الشام فتعلم غناء الروم وألحانهم، ومزج غناء الفرس والروم وأَخَذَ منهما في أغانيه التي صنعها في أشعار العرب، فأتى بما لم يسمع بمثله، وكان يقال له :(صناج العرب) اشتهر في صدر الدولة=

والإلقاء من المغنِّين، ثم لم يقنع حتى أتى بلاد فارس، وجنى من تلك المغارس، وأصبح لا يدعُ طرفا به إلا انسجم، ولا مختارا إلا مجموعا فيه عرباً على عجم(١)، فلم يبق في الغناء نادَّة(٢) حتى جازها ولا شاذة أعجزت [ص٤] من قبله من أهل الطرب حتى شانها(٣) كأنّه لهذا خُلق، وبه استحق التقدم، وإنْ سبق إلا أنَّ داءه أزواه حتى كان بلقاء العيون وما رُمِق(٤).

قال أبو الفرج، قال إسحاق، كان يسكن المدينة مرة، ومكة مرةً، فإذا أتى المدينة أقام بها ثلاثة أشهر، يتعلم الضرب من عزة الميلاد(٥) ثم يرجع مكة، فيقيم بها ثلاثة أشهر، ثم صار بعد ذلك إلى فارس، فتعلم ألحان الفرس فأخذ غناءهم، ثم صار إلى الشام فتعلم ألحان الروم، فأخذ غناءهم، فأسقط من ذلك

=العباسية، وأُصيبَ بالجذام فلم يعاشر الخلفاء ولا خالط الناس، توفي نحو سنة ١٤٠ هـ. (الأغاني ١ /٣٧٨ ط دار الكتب).

(١) كذا في الأصل؛ ولعله: عَربٌ على عجم [المراجع].

(٢) نادة: شاردة، يقال: ندت الفكرة عن ذهني أي غابت عن ذاكرتي.

(٣) في المخطوط «شازها»؛ والمثبت قراءة التحقيق، وكأن الكلمة«حازها»؛ «والشاذة» في العبارة هي الغريبة الصَّعبة [المراجع].

(٤) يشير إلى ما أَصاب ابن محرز من داء الجذام فصار يتجنب الناس ولا يراه أَحَدٌ.

(٥) عزة الميلاء: أقدم من غَنَّى غناء موقعا في الحجاز، كانت تضرب بالعيدان والمعازف وإقامَتُها بالمدينة، وهي مولاة للأنصار، وكانت وافرة السمن، جميلة الوجه، لقبت بالميلاء لتمايلها في مشيتها، سمعها معبد المغني وحسان بن ثابت الشاعر، وزارها النعمان بن بشير الانصاري في بيتها وسمع غناءها، كان يزورها الشعراء أمثال عمر بن أبي ربيعة وابن أبي عتيق فتغنيهم، أَخَذَ عنها ابن سريح في حداثته، وهي مولاة للأنصار، وصفها طويس يقوله: هي سيدة مَنْ غَنَّى من النساء، مع جمال بارع وخلق كريم، وإسلامٌ لا يشوبه دنس، تأمر بالخير وهي من أهْلِه، وتنهى عن السوء وهي مجانبة له. وأخبارُها كثيرة توفيت قي نحوه١١ هـ. (الأغاني ١ /٣٧٨، ٣ /١٣، ٦ /٢٠٢، ١١ /١٧، اعلام النساء ٢ /١٠١٣، الدرُّ المنثور ٣٤١ الأعلام ٤ /٢٣٠).

مالا يُسْتَحْسَنُ من نغم الفريقين، وأخذ محاسنهما، ومزج بعضهما[١] ببعض، والّف منهما الأغاني التي صنعها من أشعار العرب، فأتى بما لم يُسْمَعْ بمثله، وكان يقال له: صناج العرب.

قال إسحاق: وكان ابن محرز قليل المخالطة للناس، فأخمل ذلك ذكره، فما يُذْكَرُ الآن غِنَاؤُهُ، وأخذت كل غِنَائه[٢] جارية لصديق له من أهل مكة كانت تألفهُ، فأخذ الناس عنها، ومات بالجذام، قال إسحاق: خرج ابن محرز يريد العراق فلقيه حنين[٣] فقال: كم مَنَّتْكَ نفسُكَ من العراق،قال ألف دينار، قال: فهذه خمس مئة دينار، فخذها وانصرف، واحلف أن لا تعود. قال إسحاق: ولم يعاشر الخلفاء ولم يخالط الناس لأجل الداء الذي كان به، ولما شاع ما فعله حنين لامَهُ أصحابه، فقال: لو دخل العراق لما كان لي معه خبز آكله، ولاطُّرِحْتُ وسقطت إلى آخر الدهر.

(١) في الأصل: بعضها [المراجع].

(٢) في الأصل: عناية [المراجع].

(٣) حنين: هو حنين بن بلوع الحيري المغني، شاعر غزل موسيقي، من كبار المغنيين ولد في الحيرة وكان في صغره يحمل الفاكهة ويطوف بالرياحين على بيوت الفتيات ومياسير أهل الكوفة وأصحاب القيان والمطربين في الحيرة وغيرها، ولع بالغناء والضرب على العود فأخذ عن علمائه وانفرد بصناعته في العراق لا يزاحمه فيها أحد، وكان المغنون في عصره أربعة: ثلاثة في الحجاز: ابن سريج والغريض ومعبد، وهو وحده في العراق، فلما ذاعت شهرته كتبوا إليه أن يشخص إليهم، فقصدهم واستقبلوه وقصدوا به منزل سكينة بنت الحسين والناس من حولهم، فأذنت سكينة للناس إذنا عاما، فامتلأ المنزل وسطحه، ولما جلس يغني أبياتا من صناعته ازدحم الوقوف على السطح فسقط الرواق من تحته، فسلموا جميعا إلا حنينا فانه مات تحت الهدم، فقالت سكينة: لقد كدر علينا حنين سرورنا، انتظرناه مدة طويلة، وكأنما كنا نسوقه إلى منيته، كانت وفاته سنة ١١٠ هـ. (الأغاني ٢/ ٣٤١ ط الدار)

ومنهم:

٢- ابن عَائِشَة[١]

طوى زمان الغناء بموت قرنائه، وأنسى إحسان المحسنين بغنائه، وأسس مالم يشيد على بنائه، حتى كان مجمع أولئك العشاق وطراز حواشي تلك الأيام الرقاق، وألف من صغره مغازلة النساء، فجاء على غنائه تلك الرقة، وبان في أصواته االشّجية البكاءُ لتلك الفرقة، واتصل بالخلفاء اتصال أمثاله، واتصف بما فات مراد الظرفاء من آماله.

قال أبو الفرج، قال الوليد بن يزيد[٢] لابن عائشة: يا محمد ألِبَغِيَّةٍ أنت؟ قال: لا، ولكن كانت أمي يا أمير المؤمنين ماشطة، وكنت غلاما، وكانت إذا دخلت إلى موضع قالوا: ارفعوا هذا لابن عائشة، فغلبت على نسبي.

قال إسحاق: أخذ الغناء عن معبد ومالكٍ، ولم يموتا حتى ساواهما، وكان حسن الصوت يَفْتِنُ كل من سمعه، وابتداؤه الغناء كان يُضْرَبُ به المثل، فيقال: كأنه ابتداء ابن عائشة في الحسن. قال يحيى المكي: ثلاثة من المغنين كانوا أحسن الناس حُلُوقاً: ابن عائشة [ص ٥] وابن بيرق[٣] وابن أبي اللباب، قال:

---

(١) ابن عائشة: أبو جعفر محمد بن عائشة، أحد الموسيقيين المتقدمين في صناعة الغناء ووضع الألحان في العصر الأموي، وهو من أهل المدينة، ينسب إلى أمه، وكانت مولاة لأحد بني كندة، ويضرب المثل في ابتدائه بالغناء، توفي نحو سنة ١٠٠ هـ. (الأغاني ٢ / ٦٠ والوافي بالوفيات ٣ / ١٨١ الأعلام ٦ / ١٧٩)

(٢) الوليد بن يزيد بن عبدالملك بن مروان أحد الخلفاء الأمويين كان ميالاً إلى الطرب بضرب العود ويوقع بالطبل على مذهب أهل الحجاز، توفي سنة ١٢٦ هـ.

(٣) كذا في الأصل (بيرق) ولعله (البيزق) وهو البيزق الأنصاري القارئ وكان يعرف حبابة ويدخل عليها بالحجاز، فلما صارت إلى يزيد بن عبدالملك وارتفع أمرها عنده خرج إليها يتعرض لمعروفها، فأنشد يزيد وأكرمه. (الأغاني ١٥ / ٣٧ ط دار الكتب العلمية)

رأى[١] ابن أبي عتيق يوماً حلق ابن عائشة مخدّشاً، قال: من فعل بك هذا؟ فقال: فلان، فمضى ونزع ثيابه، وجلس للرجل على بابه، فلما خرج، أخذ بتلابيبه[٢]، وجعل يضربه ضربا شديداً، والرجل يقول: مالك تضربني؟ أي شيء صنعت؟ وهو لا يجيبه حتى فرغ منه، ثم خلاهُ، وأقبل على من حضر فقال: أراد أن يكسر مزامير داود، شدَّ على ابن عائشة فخنقه وخدش حلقه.

قال صالح بن حيّان[٣]، وذكر يوماً المغنِّينَ بالمدينة، فقال: لم يكن بها أحدٌ بعد طُويس[٤] أعلم من ابن عائشة، ولا أظرف[٥] مجلساً ولا أكثر طيباً، وكان يصلح أن يكون نديم خليفة وسمير ملك.

قال إسحاق: كان ابن عائشة تائهاً سيئ الخلق، فإن قال له إنسان تغنَّ، قال: ألمثلي يقال هذا؟فإن قال له قائل وقد ابتدأ وهو يغني: أحسنت، قال: ألمثلي يقال أحسنت؟ وسكتَ، وكان قليلا ما يُنْتَفَعُ به، فسال العقيق مرة[٦]، فدخل

---

(١) في الأصل (لرأى) (والرواية في الأغاني ٢/١٩٧)

(٢) أخذ بتلابيبه: أي جمع عليه ثوبه الذي هو لابسه عند صدره، وقبض عليه يجره، وكذلك يقال إذا جعلت في عنقه حبلا أو ثوبا وأمسكته به.

(٣) كذا في الأصل (صالح بن حيان) وفي الأغاني: (صالح بن حسان)

(٤) طويس: هو عيسى بن عبدالله، مولى بني مخزوم، أول من غَنَّى بالمدينة غناء يدخل في الإيقاع، كان ظريفا عالماً بتاريخ المدينة وأنساب أهلها، يجيد النقر على الدف، وهو من أشهر المغنِّينَ العارفين بصناعة الغناء في صدر الإسلام، توفي سنة ٩٢ هـ. (الأغاني ٣/٢٧، ٤/٢١٩ وفيات الأعيان /٤٠٠، النويري ٤/ ٢٦٣ الأعلام ٥/١٠٥)

(٥) في الأصل: (أطرف) بالطاء المهملة وفي الأغاني (أظرف) بالظاء المعجمة وفي الأصل كثير من الكلمات مهملة غير معجمة.

(٦) العقيق: هذا هو عقيق المدينة وفيه عيون ونخل، وقيل: هما عقيقان، العقيق الأكبر وهو مما يلي الحرة ما بين أرض عروة بن الزبير إلى قصر المراجل والعقيق الأصغر، ما سفل عن قصر المراجل إلى منتهى العَرصة، والعرصة مكان بالعقيق من نواحي المدينة (ياقوت: العقيق).

الماء عرصة سعيد بن العاص[١] حتى ملأها، فخرج الناس إليها، وخرج ابن عائشة فيمن خرج، فجلس على قرن الثنيَّة، فبينا هم كذلك إذ طلع الحسن[٢] بن علي عليهما السلام، على بغلة وخلفه غلامان أسودان كأنهما الشياطين، فقال: امضيا رويدا حتى تقفا بأصل القرن الذي عليه ابن عائشة، فخرجا حتى فعلا ذلك، ثم ناداه الحسن: كيف أصبحت يا ابن عائشة؟ فقال: بخير فداك أبي وأمي، قال: انظر من تحتك، فنظر فإذا العبدان[٣]، فقال له: أتعرفهما؟ قال نعم، قال: هما حرَّان لئن لم تُغَنِّ مئة صوت لأمرتهما بطرحك، وهما حُرّان لئن لم يفعلا لأُنكِلَنَّ بهما[٤] ولآمرنَّ بقطع أيديهما، فاندفع ابن عائشة يغني، وكان أول ما ابتدأ به صوتٌ، وهو:[٥] [مجزوء الوافر]

ألا لِـــــلَّـــــهِ درُّك مِـــــنْ   فَـــتَـى قَـــوْمٍ إذَاْ رَهِبُـــوا[٦]

ثم لم يسكت حتى غَنَّى مئة صوت، فقال: إن الناس لم يسمعوا من ابن عائشة أكثر مما سمعوه ذلك اليوم، وكان آخر ما غَنَّى به: [البسيط][٧]

---

(١) سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية القرشي، صحابي من الأمراء الفاتحين وهو فاتح طبرستان، وأحد الذين كتبوا المصحف لعثمان، كان قويا فيه تجبر،اعتزل فتنة الجمل وصفين، ومازالت آثارُ قصره في المدينة شاخصة إلى اليوم، توفي سنة ٥٩ هـ. (الإصابة، الترجمة ٣٢٦١ طبقات ابن سعد ٥/ ١٩ تهذيب ابن عساكر ٦/ ١٣١ ـ ١٤٥ تاريخ الإسلام ٢/ ٢٦٦).

ـ وانظر عرصة سعيد بن العاص في معجم البلدان(بيروت) ٤: ١٠١ - ١٠٢ [المراجع].

(٢) في الأغاني: الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وهو كبير الطالبيين في عهده توفي سنة ٩٠ هـ.

(٣) في الأصل: (فإذا العبدين) وهو خطأ نحوي، ولعلها: (بالعبدين)

(٤) في الأغاني: (لأقطعن أيديهما).

(٥) البيت لأبي العيال الهذلي من قطعة في الأغاني ٢/ ١٩٩ ـ ٢٠٠ .

(٦) في الأصل: (إذا هربوا) وهو تحريف و وهم لا يستقيم مع معنى الأبيات التي ذكرها صاحب الأغاني بعد ذلك.

(٧) البيت في قصيدة لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه ص ٣٠٧ ط عبدالحميد مطبعة السعادة، مصر ١٩٦٠ والأغاني ٢/ ٢٠٠

قُلْ للمنازِلِ بالظُّهرانِ قَدْ حَانَا أَنْ تَنْطُقِي فَتُبينِي اليومَ تبْيَانا[١]

قال جرير: ما رئي يومٌ أحسن منه[٢]،وما بلغني أن أحدا تَشاغل عن غنائه بشيء، ولا انصرف أحدٌ لقضاء حاجة ولا لغير ذلك حتى فرغ، ولقد تبادر الناس من المدينة [ص ٦] وما حولها حيث بلغهم ا لخبر لاستماع غنائه، فما يقال إنه رُئي جمع في ذلك الموضع مثل ذلك اليوم[٣]، ولقد رفع الناس أصواتهم: أحسنت والله، أحسنت والله، ثم انصرفوا حوله يزفونه إلى المدينة.

قال علي بن الجهم[٤]: حدثني رجل أن ابن عائشة كان واقفا بالموسم متحيراً، فمر رجلٌ من بعض أصحابه، فقال له: ما يقيمك هاهنا؟ قال: إني أعرف رجلا لو تكلم لحبس الناس، فقال له الرجل، ومن ذاك؟

قال: أنا، ثم اندفع يغني:[٥] [الوافر]

جَرَتْ سُنُحاً فَقُلتُ لها أَجِيزي نوى مشمولةً فَمَتَى الْلقَاءُ

قال: فحبس الناس، واضطربت المحامل، ومدت الإبل أعناقها، وكادت الفتنة أن تقع، فأُتيَ به هشامٌ[٦]، فقال: يا عدو الله أردت أن تفتن الناس، فأمسك

---

(١) الظهران: واد قرب مكة وعنده قرية يقال لها مرّ، تضاف إلى هذا الوادي فيقال: مرّ الظهران (ياقوت ٤ / ٦٣).

(٢) في الأصل: (ما رُئِيَ يوماً أحسن) والوجه رفع (يوم) لأنه نائب فاعل.

(٣) كذا في الأصل، وكأن المراد: « فكان يقال إنه مارئي جَمْعٌ في ذلك الموضع مثل ذلك اليوم » [المراجع].

(٤) علي بن الجهم بن بدر من بني سامة بن لؤي بن غالب، شاعر رقيق الشعر أديب من أهل بغداد، كان معاصرا لأبي تمام، وخُصَّ بالمتوكل العباسي، ثم غضب عليه المتوكل فنفاه إلى خراسان، توفي سنة ٢٤٩ هـ.

(٥) البيت لزهير بن أبي سلمى في ديوانه ص ٥٩ من قصيدة أولها:

عفامن آل فاطمة الجواء فَيُمْنٌ فالقوادمُ فالحِساءْ

سُنُحا: السانح ما والاك ميامنة، والبارح: ما والاك مشائمة، أجيزي: انفذي، مشمولة: سريعة الانكشاف.

(٦) هشام: هو هشام بن عبدالملك من خلفاء الأمويين، بويع بالخلافة سنة ١٠٥ هـ وخرج عليه زيد بن علي بن الحسين فقاتله ففلّ جمعه وقتل زيد، توفي هشام ستة ١٢٥ هـ.

عنه، وكان تياهاً(١)، فقال له هشام: ارفق بتيهك يا ابنَ عائشة، فقال: حَقٌّ لمن كانت هذه مقدرة(٢) أَنَّ القلوب أَنْ يَتِيْهَ، فضحك منه وخلّى سبيله.

قال عمر(٣) بن شبة، قال شيخ من تنوخ: كنت صاحب ستر الوليد بن يزيد، فرأيت عنده ابن عائشة، وقد غَنَّاه:(٤) [الكامل]

إني رأيتُ صبيحةَ النَّفْرِ ... حُوراً نَفَيْنَ عزائمَ الصَّبْرِ(٥)
مثلَ الكواكبِ في مطالعِها ... بعدَ العشاءِ أَطَفْنَ بالبَدْرِ
وَخَرَجْتُ أبغي الأجرَ مُحْتَسِباً ... فَرَجَعْتُ مَوْفُوراً من الوِزْرِ

قال فطرب حتى كفَرَ وألحدَ، فقال: يا غلام أسْقِنَا(٦) بالسماء الرابعة، وكان الغناء يعمل فيه عملا يضلُّ عنه رشده من بعده، ثم قال أحسنت والله يا أمير المؤمنين(٧)، أَعِدْ بِحَقِّ فلان، حتى بلغ من الملوك نفسه، فقال: أَعِدْ بحياتي، فأعاد، فقام إليه فلم يبقَ عضو من أعضائه إلا قبّله، وأهوى إلى هَنِه فضم [ابن عائشة] فخذيه، فقال: والله العظيم لا تريم حتى أقبله، فأبداه له فقبله، ثم نزع ثيابه فألقاها على ابن عائشة، وبقي مُجَرّداً إلى أن أتَوْهُ بغيرها، ووهبَ له ألْفَ دينار وحمله على بغلة، فقال: اركبها بأبي أنت وانصرف، فقد تركتني على مثل المِقْلَى من حرارة غنائك، فركبها على بساطه وانصرف.

---

(١) التياه: المتكبر المعجب بنفسه

(٢) كذا في الأصل، ولعلها: (مقدرته على القلوب).

(٣) في الأصل: (عمرو بن شية) وصوابه (عمر) واسمه زيد بن عبيدة بن ريطة النميري البصري، شاعر راوية مؤرخ حافظ للحديث من أهل البصرة توفي بسامراء سنة ٢٦٢ هـ (معجم الأدباء ٤٨١٦ تهذيب التهذيب ٧/ ٤٦٠)

(٤) الأبيات لرجل من قريش، الأغاني ٢/ ٢١٩ .

(٥) النَّفْرُ: اليوم الثالث من أيام النحر، وهو اليوم الذي ينفر فيه الناس من منى إلى مكة.

(٦) في الأصل: (اسقينا) بثبوت الياء وهو من وهم الناسخ. والفعل أمر مبني على حذف حرف العلّة.

(٧) في الأغاني: (أحسنت والله يا أميري).

قال: وخرج ابن عائشة يوماً من عند الوليد بن يزيد وقد غَنَّاه:[١][الوافر]

أَبَعْدَكَ مَعْقِلاً أرجو وَحِصْناً قَد اعْيَتْني المَعاقِلُ والحصُون [ص ٧]

قال: فأطرق وأمر له بثلاثين ألف درهم، وبمثل كارة القصار[٢] ثياباً[٣].

فَبَيْنَا ابن عائشة يسير إذ نظر إليه رجلٌ من أهل وادي القرى[٤]، كان يشتهي الغناء وَشُرْبَ النبيذ فدنا منه غلامه وقال: من هذا الراكب؟ قال: ابن عائشة المغني، فدنا منه، فقال: جعلت فداك، انت ابن عائشة أم[٥] أمير المؤمنين؟ قال لا، أنا مولى لقريش، وعائشة أمي، وحسبك هذا، ولا عليك أن تكثر. قال: وما هذا [الذي] أراه بين يديك؟[٦] قال: المال والكسوة[٧]، قال: غنيت أمير المؤمنين صوتاً فأطربه، فكفر وترك الصلاة، وأمر لي بهذا المال والكسوة، فقال: جعلت فداك، فهل تَمُنُّ عليَّ أن تسمعني ما أَسْمَعْتَهُ إياه، فقال له: ويلك أمثلي يكلم بهذا في الطريق؟ قال: فما أصنع؟ قال: الْحَقْني بالباب، وحرك ابن عائشة بغله شقراء كانت تحته لينقطع عنه، فغدا معه حتى وافيا[٨] الباب كفرسي رهان، فدخل ابن عائشة فمكث طويلا طمعا في أن يضجر فينصرف، فلم يفعل، حتى قال لغلامه: أدخله، فلما أدخله قال له: من أين صبك

---

(١) البيت غير منسوب وهو في الأغاني ٢ / ٢١٩.

(٢) القصار: الذي يقصر الثياب، يزيل ألوانها، أو الصباغ، وكارة القصار، يحكّم الثياب حيث يكور ثيابه في ثوب واحد ويحملها فيكون بعضه على بعض (اللسان: كور)

(٣) في الأصل: (ثياب) والوجه (ثيابا) بالنصب.

(٤) وادي القرى: واد بين المدينة والشام من أعمال المدينة.

(٥) كذا في الأصل، وفي الأغاني (ابن عائشة أم المؤمنين) وهو الصواب.

(٦) في الأغاني: (بين يديك من المال والكسوة).

(٧) في السّياق نقص، ومؤداه: « قال: ومَنْ حباك وكساك؟» [المراجع].

(٨) في الأصل: (حتى أوفيا الباب) وهو تحريف (وافيا).

الله عليّ؟ قال: أنا رجل من أهل وادي القرى أشتهي هذا الغناء، قال له: هل لك فيما هو أنفع لك منه؟ قال: وما ذلك؟ قال: مئة[١] دينار وعشرة أثواب تنصرف بها إلى أهلك، قال له: جعلت فداك إن لي لبنيةً ما في أذنها ـ علم الله ـ حلقة من الوَرِق[٢] فضلا عن الذهب، وإن لي زوجة ما عليها ـ شهد الله ـ قميص، ولو أعطيتني جميع ما أمر لك به أمير المؤمنين على هذه الخلعة[٣] والفقر الذي عَرَّفْتُكَهُما وأضعفت لي ذلك، لكان الصوت أحبَّ إليّ، وكان ابن عائشة تائها لا يغني إلا لخليفة، أو لذي قَدْرٍ جليل من إخوانه، فعجب منه وغناه الصوت، فطرب طرباً شديداً وجعل يحرك رأسه حتى ظن أن عُنُقه ستنقصف، ثم خرج من عنده ولم يزوّده[٤] شيئا، وبلغ الخبر الوليد بن يزيد، فسأل ابن عائشة عنه فجعل يغيب عن الحديث، فعزم عليه الوليد فعرفه، فأمر بطلب الرجل فأحضره ووصله بصلة سَنِيَّةٍ وجعله من جملة ندمائه وَوَكَّلهُ بالسَّقي، فلم يزل معه حتى مات.

قال يونس الكاتب[٥]: كنا يوما متنزهين بالعقيق أنا وجماعة من قريش، فبينا نحن [على] حالنا، إذ أقبل ابن عائشة ومعه غلام من بني ليث وهو مُتَوَكِّئ على يده [ص٨] فلما رأى اجتماعنا وسمعني أغني، جاءنا فَسَلَّمَ وجلس إلينا وتحدث معنا، وكانت الجماعة تعرف سوء خلقه وغضبه إذا سئل أن يغني، فأقبل بعضهم على بعض يتحدثون بأحاديث (كُثَيِّر) و(جميل) وغيرهما،

---

(١) في الأغاني: (مائتا دينار).

(٢) الوَرِق: الفضّة [المراجع].

(٣) في الأغاني (الخِلَّة) وهي أنسب للمعنى والسياق، والخِلَّة: الحاجة والفقر.

(٤) في الأصل: يزده [المراجع].

(٥) يونس الكاتب: يونس بن سليمان بن كرد بن شهريار، من ولد هرمز، كاتب شاعر بارع في صناعة الغناء، مَنْشَؤُهُ ومنزله بالمدينة، أخذ الغناء عن معبد وطبقته، وهو أول من دَوَّنَ الغناء في العرب، صنف كتابا في الأغاني ونسبتها إلى من غَنَّى بها، توفي سنة ١٣٥ هـ. (الأغاني ٤/ ١١٣ ـ ١١٨ ط ساسي ،النويري ٤/ ٣٠٩ الوسائل إلى مسامرة الأوائل ١٣٧، الأعلام ٨/ ٢٦١).

يستخرجون بذلك أن يطرب فيغني، فلم يجدوا عنده ما أرادوا، فقلت لهم أنا: حدثني بعض الأعراب حديثا يأكل الأحاديث، فإن شئتم حدثتكم إياه، قالوا: هات، قلت: حدثني هذا الرجل أنه مَرَّ بناحية الرَّبَذة(١)، فإذا صبيان يتغاطسون في غدير، فإذا شاب جميل منهوك الجسم، وعليه آثار العلة، والنحول في جسمه بينٌ، وهو جالس ينظر إليهم فسلمت فرد السلام وقال: من أين وضح الراكب؟(٢) فقلت: من الحمى(٣)، قال: ومتى عهدك به؟ قلت: رائحاً، قال: وأين كان مبيتك؟ قلت: ببني فلان، قال: أوَّه، وألقى نفسه على ظهره وتنفس الصعداء تنفسا(٤) قلت قد خرق حجاب قلبه، ثم أنشأ يقول:(٥) [الطويل]

سَقَى بلداً أَمْسَتْ سُليمى تَحُلُّهُ ... من المُزن ما يروي به ويُسيمُ(٦)
وإنْ لم أكن من قاطنيه فإنه ... يحلُّ به شخصٌ عليَّ كريم
ألا حبذا من [ليس] يَعْدلُ قُربَهُ ... لديّ وإن شطّ المزارُ نعيمُ(٧)
ومن لا مني فيه حميم وصاحب ... فردٌ بغيظٍ صاحبٌ وحميمُ

ثم سكت كالمغشي(٨) عليه، فصحت بالصبيان، فأتوا بماء فصببته على وجهه، فأفاق وأنشأ يقول: (٩) [الوافر]

---

(١) الربذة: من قرى المدينة على ثلاثة أيام، قريبة من ذات عِرْق على طريق الحجاز، إذا رحلت من(فَيْد) تريد مكة، وبهذا الموضع قبر أبي ذر الغفاري رضي الله عنه (ياقوت: الربذة).

(٢) من أين وضح الراكب: يريد من أين بدا وطلع.

(٣) الحمى: حمى الربذة.

(٤) في الأصل: «نفساً».

(٥) الشعر في الأغاني ٢/ ٢٢٥ .

(٦) يسيم: أي يرعى الابل، سامت الإبل إذا رعت، وأسامها صاحبها إذا رعاها.

(٧) في الأصل (ألا حبذا من يعدل قربه).

(٨) في الأصل: «بالمغشي».

(٩) الشعر في الأغاني ٢/ ٢٢٦.

إذا الصبُّ الغـريبُ رأى خُـشـوعي وأنفـاسي تَزَيَّنَ بالخُـشُـوعِ [١]
ولي عينٌ أضَـرَّ بهـا التَّـفَـاتي إلى الأجـراع مطلقـةُ الدمـوعِ
إلى الخلوات يأنسُ فيكَ قلبي كَـمَـا أَنِسَ الغـريبُ إلى الجـمـيعِ

فقلت له: أَنْزِلُ فأساعدك، وأكثر عَوْدي علي بذي الحمى، في حاجة إن كانت لك، أو رسالة؟ قال: جُزِيْتَ الخيرُ وَصَحِبَتْكَ السَّلامةُ امْضِ لِطَلِبَتِكَ، فلو علمتك أنك تغني عني شيئاً لكنت موضعاً للرغبة وحقيقاً بإسعاف المسألة، ولكنك أدركتني في صُبابةٍ من الحياة يسيرة، فانصرفْتُ وأنا لا أراه يمسي[٢] ليلته إلا ميتاً، فقال القوم: ما أعجب هذا الحديث [ص ٩] فاندفع ابن عائشة فَغَنَّى في الشعرين جميعا فطرب وشرب بقية يومه، ولم يزل يغنينا إلى أن انصرفنا.

قال: وتوفي ابن عائشة في أيام الوليد بن يزيد، وقيل في أيام هشام. قال المدائني [فحدثني][٣] بعض أهل المدينة قال: أقبل ابن عائشة من عند الوليد بن يزيد، وقد أجازه وأحسن اليه، فجاء بما لم يأت أحد بمثله من عنده، فلما قرب من المدينة نزل بذي خُشُب[٤] على أربعة[٥] فراسخ من المدينة، وكان واليها

(١) في الأصل: «بالخضوع». [المراجع]

(٢) في الأصل (يمشي ليلته) والصواب ما في الأغاني (يمسي).

(٣) زيادة يستقيم بها المعنى.

(٤) خشب: واد على مسيرة ليلة في المدينة، له ذكر كثير في الحديث والمغازي قال كثير:

وذا خشب من آخر الليل قلبت وتبغي به ليلى على غير موعد

وقال قوم: خشب جبل، والخشب من أودية العالية باليمامة، وهو جمع أخشب، وهو الخشن الغليظ من الجبال، وقال شاعر:

أبت عيني بذي خُشْبٍ تنامُ وَأَبْكَتْها المنازلُ والخيامُ

(ياقوت: خشب)

(٥) في الأصل: (أربع فراسخ)، الصواب: أربعة

إبراهيم بن هشام المخزومي ولاه هشام وهو خاله، وكان في قصره هناك، فقيل له: أصلح الله الأمير، هذا ابن عائشة قد أقبل من عند الوليد، فلو سألته أن يقيم عندنا اليوم فيطربنا وينصرف من غد، فدعاه فسأله المقام عنده، فأجابه إلى ذلك، فلما أخذوا في شرابهم، أخرج المخزومي جواريه، فنظر إلى ابن عائشة وهو يغمز جارية منهن، فقال لخادمه: إذا خرج ابن عائشة يريد حاجة فارم به، وكانوا يشربون فوق سطح يشرف على بستان، فلما قام ليبول، رمى به الخادم من فوق السطح فمات، فقبره هناك، قال: وقام قوم، بل قدم المدينة فمات بها. قال: فلما مات، قال [أشعب][1]: قد قلت لكم، ولكن لا يغني حذر من قدر، زوجوا ابن عائشة من ربيحة الساسانية[2] يخرج من بينهما مزامير داود، فلم تفعلوا، وجعل يبكي والناس يضحكون منه.

٣- حنين الحيري[3]

مطرب لا يرتفع لديه رأس مطرق، ولا ينتفع منه أمل متشوق، من سَرَاةِ أهل الغناء، وَسُرَاة[4] الطرب للغناء، يكاد سامعه يخرج من إهابه ويحرق بالتهابه ما حرَّكَ عُوْدَه إلا بَغم[5]، ولا بنتِ شَفة إلا في نغم، لو سمعه جبل لتحرك، أو دخل

(١) في الأصل: (قال ابن عائشة) ولا يستقيم المعنى، والتصويب من الأغاني.

(٢) أشعب: هو أشعب بن جبير، المعروف بالطامع، ويقال له ابن حميدة، ظريف من أهل المدينة، كان مولى لعبدالله بن الزبير، تأدب وروى الحديث، وكان يجيد الغناء، يضرب المثل بطمعه، وأخباره كثيرة متفرقة في كتب الأدب توفي بالمدينة سنة ١٥٤ هـ. (تهذيب ابن عساكر ٣/ ٧٥ فوات الوفيات ١/ ٢٢ ثمار القلوب ١١٨ تاريخ بغداد ٧/ ٣٧ الأعلام ١/ ٣٣٢)

- في الأغاني: (ربيحة الشماسية).

(٣) حنين الحيري: مرت ترجمته مع ابن محرز.

(٤) سَرَاة الاولى: الأشراف والأعيان، وسُرَاة الثانية: الذين يسيرون ليلا.

(٥) بغمت الظبيةُ، والبُغام: صوتها. ويُسْتعار لغيرها [المراجع].

في أذن سوقةٍ لظن أنه قد تملك، وهو القائل:[١] [المنسرح]

أنا حُنينٌ ومنزلي النَّجَفُ ... وما نديمي إلا الفتى القَصِفُ
أقرعُ بالكأسِ بطنَ باطيةٍ ... مترعةٍ تارةً وأَغْتَرِفُ
من قهوةٍ باكَرَ التِّجارُ بها ... باب يهود قرارُها الخزفُ
فالعيشُ غضٌ ومنزلي خَصِبٌ ... لم تعْدُ لي شِقْوَةٌ ولا عُنُفُ

قال إسحاق: قيل لحنين، أنت تغني من نحو خميسن سنة، ماتركت لكريم مالا ولا عقاراً إلا أتيت عليه، فقال: بأبي أنتم، إنما هي أنفاسي أقسمها بين الناس،أفتلوموني أن أغلي بها الثمن؟ وكان حنين قد رحل إلى عمر[٢] الوادي وحكم الوادي[٣] وأخذ منهما، وغنىٰ لنفسه في أشعار الناس[ص١٠] فأحكم الصنعة، ولم يكن بالعراق غيره، فاستولى عليه من عصره، وقدم ابن محرز حينئذ إلى الكوفة، فبلغ حنينا خبره، فخاف أن يعرفه الناس فيستحلونه ويسقط هو، فلقيه فقال: كم مَنَّتْكَ نفسك من العراق، قال: ألف دينار، قال: فهذه خمس مئة دينار فخذها وانصرف.

قال: وكان بعض ولاة الكوفة في أيام بني أمية يذم الحيرة، فقال له رجل من

(١) الأبيات في الأغاني ٢ / ٣٣٤ وفي بعض ألفاظها خلاف عما هاهنا.

(٢) عمر الوادي: عمر بن داود بن زاذان، أخذ الغناء عنه حكم، وهو من وادي القرى قدم الحرم فأخذ من غناء أهله فحذق وَصنع فأجاد وأتقن، اتصل بالوليد بن يزيد فتقدم عنده، وكان يسميه جامع لَذَّاتي ومحيي طربي، قتل الوليد وهو يغنيه. (الأغاني ٧ / ٩٨ ـ ١٠٣).

(٣) حكم الوادي: حكم بن ميمون أو ابن يحيى بن ميمون، مغن من الطبقة الأولى في عصره، أصله من الموالي، أعتق الوليد بن عبد الملك أباه، ونشأ حكم ينقل الزيت على الجمال بالأجرة من الشام إلى المدينة، وأولع بصناعة الغناء فكان ينقر بالدف ويغني مرتجلا، فاتصل ببني العباس في خلافة المنصور وانقطع إليهم وطالت حياته. أدرك الوليد بن عبدالملك وغناه وأدرك هارون الرشيد وغناه، توفي نحو سنة ١٨٠ هـ. (الأغاني ٦ / ٦٢).

أهلها: أتعيب بلدة يضرب بها المثل في الجاهلية والإسلام، قال: وبماذا تمدح؟ قلت: بصحة هوائها، وطيب مائها، ونزهة ظاهرها، تصلح للخف والظلف[١]، سهل وجبل، بادية وبستان، بر وبحر، محل الملوك ومرادهم ومسكنهم ومأواهم وَقَدِمْتَهَا ـ أصلحك الله ـ مُخِفًّا فأصبحت مُثْقَلا، ووردتها مُقِلاً فَأَصارتْكَ مُكْثِراً، قال: وكيف نعرف ما وصفتها به من الفضل؟ قال: تصير إليها، ثم ادع بما شئت من لذات العيش، فوالله لا أجوز بك الحيرة فيه، قال: فاصنع لي صنيعا، وَاخْرُجْ من قولك، قال: أفعل، فصنع لهم طعاما فأطعمهم من خبزها وسمكها، وما صِيْدَ من وحشها من ظباء[٢]، ونعام وأرنب وحبارى[٣]، وسقاهم ماءها في قلالها، وَخَمْرَها في آنيتها، وأجلسهم على رَقْمَتِها[٤]، ولم يستخدم لهم عبداً ولا حراً إلا من مولداتها ووصائف كأنهم اللؤلؤ، لغتهم لغة أهلها، ثم غناهم حنين وأصحابه فى شعر عدي بن زيد شاعرهم، وأعشى همدان، لم يتجاوزهما، وحياهم برياحينها، ونقلهم[٥]بفواكهها، ثم قال:[هل] رأيتني استعنت على شيء مما[٦] رأيت، وأكلت وشربت، وشممت وسمعت، بغير ما في الحيرة؟ قال: لا، ولقد أحسنت في صِفَةِ بلدك، وأحسنت نصرته، والخروج مما ضمنته، فبارك الله لكم في بلدكم.

---

(١) أي للإبل والغنم.

(٢) في الأصل: (ضباء).

(٣) الحبارى: طائر طويل العنق رمادي اللون، في منقاره بعض طول، وهو يقع على الذكر والأنثى واحده وجمعه سواء، وإن شئت قلت في الجمع حباريات.

(٤) الرَّقْم: خَزٌّ مُوَشَّى، وهو ضرب مخطط من الوشي، وقيل من الخز. (اللسان: رقم)

(٥) نقلهم: أطعمهم النقل، وهو ما يتنقل به على الشراب من فستق وتفاح وغيرهما.

(٦) في الأصل: فيما .

قال عبيد بن حنين الحيري: كان المغنون[١] في عصر جدي أربعة نفر، ثلاثة بالحجاز، وهو وحده بالعراق، فالذين بالحجاز[٢] ابن سريج والغريض ومعبد، وكان بلغهم أن حُنيناً قد غَنّى في هذا الشعر: [٣][الكامل].

هَلا بكيتَ على الزَّمَانِ الذاهبِ ... وكَففْتَ عَنْ ذَمِّ المشيْبِ الآيبِ
هَلا وُربَّ مُسوَّفينَ سَقَيْتُهُمْ ... مِنْ خَمْرِ بَابلَ لذَّةً للشَّاربِ
بكروا عليَّ بِسُحْرَةٍ فَصَبَحْتُهُمْ ... بإناءِ ذي كرمٍ كَقَعْبِ[٤] الحالبِ
بزجاجةٍ ملءِ اليدينِ كَأنّها ... قنديلُ فِصْحٍ في كنيسةِ رَاهبِ

قال: فاجتمعوا فتذاكروا [أمر] [٥] جَدِّي، وقالوا: ما في الدنيا أهل صناعة شَرٌّ منّا، لنا أخ بالعراق ونحن بالحجاز لا نزوره ولا نستزيره، اكتبوا إليه، فكتبوا إليه، ووجهوا إليه نفقة، وقالوا: نحن ثلاثة وأنت واحد، فأنت أولى بزيارتنا، فشخص إليهم، فلما كان على مرحلة من المدينة، بلغهم خبره، فخرجوا يتلقونه، فلم ير يوم كان أكثر حشداً ولا جمعا [من] [٦] يومئذ، ودخلوا المدينة، فلما صاروا ببعض الطريق، قال لهم معبد صيروا [إليَّ]، قال ابن سريج: إن كان لك في اليسر والمروءة مالمولاتي سكينة بنت الحسين عطفنا إليك، فقال: مالي من ذلك شيء، فعطفوا على منزل سكينة، فأذنت لهم إذناً عاماً، فَغَصَّتِ الدَّارُ بهم، فصعدوا في السطح، وأمرت لهم بالأطعمة، فأكلوا، ثم سألوا جَدِّي أن يغنيهم صوته:

(هلا بكيت على الشباب الذاهب)[١] فغناهم بعد أن قال لهم: ابدأوا أنتم

(١) في الأصل: (كان المغنين) وهو لحن.

(٢) في الأصل: (بالحجاج). وهو تحريف من سهو الناسخ.

(٣) الأبيات في الأغاني ٢/ ٢٤٨ ـ ٢٤٩ وفي روايتها خلاف.

(٤) في الأصل (كعقب) والصواب: كقعب، والقعب: القدح الضخم يروي الرجل.

(٥) إضافة يقتضيها المعنى.

(٦) إضافة يقتضيها لمعنى.

[فقالوا]: ما كنا لنتقدمك حتى نسمع هذا الصوت، فغناهم إياه، وكان من أحسن الناس صوتاً، فازدحم الناس على السطح وكثروا يسمعونه، فسقط الرُّوَاقُ(٢) على من تحته، فسلموا جميعاً وأخرجوا أصحابه سوى حنين، فإنه مات وحده تحت الهدم، فقالت سكينة: لقد كَدَّرَ حُنَيْنُ سرورنا، وانتظرناه مدة طويلة، كأننا كُنَّا نَسُوقُهُ إلى مَنِيَّتِهِ.

[ومنهم]

٤- الغَرِيْضُ(٣)

لا يناضل على غرض ولا يفاضل في عرض كان أشجى من النوائح، وأهزَّ للكريم من المدائح(٤)، لو أصغت إليه الحمائم لخلعت عليه أطواقها أو الحوائم لما بكت بعبرة أشواقها، لا يدع عَبْرَةً لم تُسْكَب، ولا حشاشة لم تُسْلَبْ، ولا زمان صبا لم يُذكر(٥)، ولا ذيول صبابةٍ لم تُسْحَبْ. أخذ الغناء في أول أمره عن ابن سريج، لأنه كان يخدمه، فلما رأى ابن سريج طبعه وظرفه وحلاوة منطقه، خشي أن يأخذ غناءه فيغلبه بصوته وحسن وجهه، فحسده وَاعْتَلَّ عليه، وجعل

---

(١) مر الصوت مع الأبيات، وتمام البيت:

وكففت عن ذم المشيب الآيب

- وفي الأصل: بعد أن قالوا.

(٢) في الأصل: (الراووق)، والرواق: بيت كالفسطاط يحمل على عمود واحد طويل، ورواق البيت: مقدمه.

(٣) الغريض: عبدالملك، مولى العبلات، من مولدي البربر، من أشهر المغنين في صدر الإسلام، ومن أحذقهم في صناعة الغناء، سكن مكة وغنى سكينة بنت الحسين، وكان يضرب بالعود وينقر بالدف ويوقع بالقضيب، لقب بالغريض لجماله ونضارة وجهه، توفي سنة ٩٥ هـ.

(الأغاني ٢/٣٥٩ ط الدار ورغبة الامل ٥/٢٣٣).

(٤) في الأصل: المديح[المراجع].

(٥) كذا الأصل ولعله « لم يُنْدَب ».[المراجع]

يَتَجَنَّى عليه فيطرده؛ فشكا (١) ذلك إلى مولياته وَأَعْلَمَهُنَّ غرض ابن سريج في تنحيته إياه عنه، وأنه حسده على تقدُّمِه [ص ١١] فَقُلْنَ له: هل لك أن تسمع نوحنا على قتلانا، فتأخذه وَتُغَنّي عليه؟ قال: نعم، فَأَسْمَعْنَهُ المراثي فاحتذاه،(٢) فخرج غناؤه عليها، وكان ينوح مع ذلك، ويدخل المآتم، وتُضْرَبُ دُونَه الحُجُب، ثم ينوح فيفتن كُلَّ من سمعه. ولما كثر غناؤه اشتهاه الناس وعدلوا إليه لما كان فيه من الشجا (٣)، وكان ابن سريج لا يغني صوتاً إلا عارضه (٤)، فَغَنَّى فيه لحناً آخر، فلما رأى ابن سريج موضع الغريض، اشتد عليه وحسده، فغنى الأرمال والأهزاج، فاشتهاها الناس، وقال [له] الغريض: يا أبا يحيى، قصرت الغناء وحذفته، قال: نعم يا مُخَنَّث، جعلت تنوح على أبيك (٥) وأمك.

قال إسحاق: سمعت جماعة من البصراء بالغناء قد أجمعوا على [أن] الغريض أشجى غناءً، وابنَ سريج أحكمُ صنعةً.

قال بعض أهل العلم بالغناء: لو حكمت بين أبي يحيى(٦)وأبي يزيد لما فرقت بينهما، وإنما تفضيلي أبا يحيى بالسبق، فأما غير ذلك فلا، لأن أبا يزيد(٧)عنه أخذ ومن بحره اغترف، وكذلك قالت سُكَيْنَةُ لما غَنَّى الغريض وابن سريج:(٨)[السريع]

(١) في الأصل: (فشكى).

(٢) كذا في الأصل ولعلها: «فاحتذاها» [المراجع].

(٣) الشجا: الرقة والألم.

(٤) عارضة: باراه وناقضه.

(٥) في الأصل: (على أبوك وأمك).

(٦) أبو يحيى: كنية ابن سريج، وأبو يزيد كنية الغريض.

(٧) في الأصل: (ابن زيد)

(٨) الشطر من قصيدة للعرجي في ديوانه ص ١٨٩ وتمامه:

إنَّكِ إنْ لا تَفْعَلِي تَحْرَجي

عـــوجي علينا رَبَّةَ الهـــودجِ

والله ما أُفرِّقُ بينكما، وما أنتما عندي إلا كمثل اللؤلؤ والياقوت في أعناق الجواري الحسان، لا يُدْرَى أي ذلك أحسن.

قال يونس الكاتب: (١): أمر بعض أمراء مكة بإخراج المغنين من الحرم، فلما كانت الليلة التي عزم على النفي فيها، اجتمعوا في غَدِها إلى أبي قُبَيْس(٢)، وكان مَعْبَدُ قد زادهم، فبدأ فَغَنّى: (٣) [الطويل]

أتِربَيَّ من عُليا مَعَدٍّ هديتما ... أجِدّاً البُكَا إنَّ التَّفَرُّقَ بَاكِرُ

فَمَا مكْثُنَا دامَ الجميلُ عَلَيكُما ... بِثَهْلانَ إلا أنْ تُزَمَّ الأباعِرُ

قال: فتأوه أهل مكة وأنُّوا وتمحَّصُوا (٤)، واندفع الغريض يغني ويقول: (٥)

أيها الرائحُ المُجِدُّ ابتكارا (٦) [المديد]

واندفع ابن سريج يغني ويقول: (٧) [الخفيف]

جَدِّدِي الْوَصْلَ يا قُرَيْبُ وجُودي ... لُمِحِبٍّ خَيالُهُ قَدْ ألَمّا

فاندفع الصراخ في الدور بالويل والحَرَبِ(٨)، واجتمع الناس إلى الأمير

---

(١) يونس بن سليمان الكاتب توفي سنة ١٣٥ سبقت ترجمته.

(٢) أبو قبيس: جبل مشرف على مسجد مكة (ياقوت: أبو قبيس).

(٣) البيتان في الأغاني ٢/٣٥٧.

(٤) تمحصوا: هنا اضطربوا، وأصل المحص: الابتلاء والاختبار.

(٥) الشطر لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه ص ٤٩٣ والأغاني ٢/٣٥٦ وتمامه:

قد قضى من تهامة الأوطار.

(٦) في الأصل: (ابتكار).

(٧) البيت من قطعة لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه ص ٥٠١ ط عبدالحميد، والبيت فيه:

جَدِّدي الوصلَ يا سُكَيْنُ وجُودِي ... لُمِحبٍّ فِراقُهُ قَدْ أحَمَّا

(٨) الحَرَبَ: أن يسلب الرجل ماله، وحَرَبَهُ إذا أخذه ماله فهو محروب.

يستعفونه(١) [ص ١٣] من نفيهم فأعفاهم.

قال أبو الفرج، أخبرني عبدالرحمن بن محمد السعدي قال: حضرت شطباء المغنية جارية علي بن جعفر ذات يوم وهي تغني (٢): [الخفيف]

لَيسَ بينَ الرّحِيْلِ وَالْبَيْنِ إلا   أن تُردُّوا جِمَالَهُم فَتُزَمَّا

فطرب علي بن جعفر وصاح: سبحان الله لايكون قربه ولا يشدون ألا يعقلون بشعره (٣)، لا تسلمون على جار، هذه والله العجلة.

قال إسحاق: بلغني أن سكينة حَجَّتْ، فدخل إليها ابن سريج والغريض، فقال لها ابن سريج: يا سيدتي إني كنت صنعتُ صوتاً وَحَسَّنْتُه وَتَنَوَّقْتُ (٤) فيه، وَخَبّأْتُهُ لك في درجٍ مملوءٍ مسكاً، فَنَازَعَنِيْه هذا الفاسقُ ـ يعني الغريض ـ وأردنا أن نتحاكم إليك فيه، فَأَيُّنا قَدَّمْتِه [فيه] تَقَدَّم، قالت: هاته، فغناها :(٥) [السريع]

عُوجِي عَلَيْنَا رَبَّةَ الهَودجِ   إنَّكِ إنْ لَمْ تَفْعَلِي تَحْرَجِي

فقالت: هاته أنت يا غريض فغناها إياه(٦)، فقالت لابن سريج: أَعِدْهُ، فأعاده، فقالت: أعِدْهُ يا غريضُ، فأعاده، فقالت: ما أشبهكما إلا بِالجَدْيَيْنِ الحار والبارد، لا أدري أيهما أطيب.

قال إسحاق: وَلِيَ قضاءَ مكّةَ الأوقصُ المخزوميُّ، فما رأى الناس مثله في عفافه

(١) في الأصل: يستغفرونه [المراجع].

(٢) في الأصل: (وهو يغني). والبيت لعمر بن أبي ربيعة من قطعة في ديوانه ص ٥٠١.

(٣) يبدو أن في العبارة نقصاً وحذفاً، وفي الأغاني: ألا يوكون قربة، ألا يشدون محملا، ألا يعلقون سفرة) أي هم عجلون لم يتريثوا لقضاء هذه الحوائج قوله: يوكون قربة: يشدونها بالوِكاء، وهو رباطها.

(٤) تنوقت فيه: تجودت، وتنوق في الأمر، أي تأنق فيه.

(٥) البيت للعرجي في ديوانه ص ١٨٩.

(٦) في الأصل: إياها [المراجع].

ونبله، فإنه لنائم في جناح، إذ مَرَّ به سكران يغني:

عُـــوجِي علينا رَبَّةَ الهَـــوْدَجِ

فلم يُجده، فقال له: يا هذا شَرِبْتَ حَرَاماً، وَأيْقَظْتَ نياماً، وغنَّيْتَ خطأً، خُذْهُ عَنِّي، فأصلَحَهُ له وانصرف.

قال: خرج ابن أبي عتيق على نجيبٍ له من المدينة، قد أَوْقَرَهُ من طُرَفِها المآرب[1] وغير ذلك، فلقي فتى من بني مخزوم مقبلاً من بعض ضياعه، فقال: يابن أخي أتصحبني؟ قال: نعم، قال المخزومي فمضينا حتى إذا قَرُبْنَامِنْ مكة جُزْنَاها، فصرنا إلى قصر، فاستأذن ابن أبي عتيق، فَأذِنَ له، فدخلنا فإذا رجل جالس كأنه عجوز ويداه مختضبة لا شك في ذلك، فإذا هو الغريض قد كَبِرَ، فقال له ابن أبي عتيق: تَشَوَّقْنَا إليك، وأهدى له ما كان معه، ثم قال: نُحِبُّ أن نسمع:

عُـــوجِي علينا رَبَّةَ الهَـــوْدَجِ

فقال: ادعوا فلانة، جاريةً له، فجاءت فغنت، فقال لها: مَا صَنَعْتِ شيئاً، ثم حَلَّ خِضَابَهُ [ص ١٤] وَغَنّى:

عُـــوجِي علينا رَبَّةَ الهَـــوْدَجِ

فَمَا سمعتُ أحسنَ منه، فأقمنا عنده أياماً كثيراً، وَخَبَّازُهُ قائم، وطعامه كثير، ثم قال ابن أبي عتيق: إني أُريدُ الشخوصَ، فلم يبق بمكة تُحْفَةُ عَدَنِيٍّ ولا يماني ولاعودٌ إلا أَوْقَرَ به راحلَتَهُ، فلما رحلنا وبرزنا، صاح به الغريض: هَيْ هَيْ، فرجعت إليه، فقال: ألم تَرْوُوا عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: (يُحْشَرُ من بقيعنا هذا سبعون ألفاً على صورة القمر ليلة البدر)؟ فقال له ابن أبي عتيق:

---

(١) في الأغاني: (المشارب).

بلى، فقال: هذه (١) سِنٌّ انتُزِعَتْ فَأُحِبُّ أن تَدْفُنَهَا لي بالبقيع، فخرجنا والله ولم نَدْخُلِ المدينةَ حتى دفناها بالبقيع.

قال: خرج الغريض مع قوم فغناهم هذا الصوت: (٢) [الطويل]

جَــرَى ناصحٌ بالوُدِّ بَيْني وبَيْنَهــا ... فَقَــرَّبَني يومَ الحِصَاب إلى قَتْلِي

فاشتد سرور القوم، وكان (٣) معهم غلام فأعجبه، فطلب اليهم أن يُكَلِّموا الغلام في الخلوة معه، ففعلوا، وانطلق مع الغلام حتى توارى بصخرةٍ، فلما قضى حاجته أقبل الغلام إلى القوم، وأقبل الغريض يتناول حجراً حجراً ويقرع به الصخرة، ففعل ذلك مراراً، فقالوا: ما هذا يا أبا زيد(٤)؟

فقال: كأني بها وقد جاءت يوم القيامة رافعة ذيلها تشهد علينا بما كان منّا إلى جانبها، فأردت أن أُجَرِّحَ شهادتها على ذلك اليوم، والشعر الذي غناه لعمر ابن أبي ربيعة:

جَــرَى ناصحٌ بالوُدِّ بَيْني وبَيْنَهــا ... فَقَــرَّبَني يومَ الحِصَاب إلى قَتْلِي
فقالَتْ وَأَرْخَتْ جَانِبَ السِّتْرِ إنَّما ... معي فَتَحَدَّثْ غَيْرَ ذي رِقْبَةٍ أَهْلِي
فَقُلْتُ لَهَا (٥) ما بي لَهُم مِنْ تَرَقُّبٍ ... وَلَكِنَّ سِرِّي ليسَ يَحْمِلُهُ مِثْلِي

قال الزبير (٦): رأيتُ علماءَنا جميعا لا يشكون في أن أحسن ما يروون في

(١) في الأصل: (هذا سن) والسن مؤنثة.

(٢) البيت مطلع قصيدة لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه ص ٣٣٤. ويوم الحصاب: أراد به يوم رمي الجمار في منى، والجمار ترمى بالحصباء وهي صغار الحصى.

(٣) في الأصل: (معه).

(٤) كذا في الأصل (أبو زيد) وقد تكررت، وفي ترجمته أن كنيته أبو (يزيد).

(٥) في الأصل: (فقلت لهم) ورواية الديوان والأغاني (لها) وكذلك يقتضي المعنى.

(٦) هو الزبير بن بكار بن عبدالله القرشي، من أحفاد الزبير بن العوام، عالم بالأنساب وأخبار العرب، راوية توفي سنة ٢٥٦ هـ.

حفظ السِّرّ قول ابن أبي ربيعة:

وَلَكِنَّ سِرِّي ليسَ يَحمِلُهُ مِثْلي

قال المدائني: بلغني أن الفرزدق سمع عمر بن أبي ربيعة ينشد هذه القصيدة، فلما بلغ إلى قوله:

فقُمْنَ وقد أفْهَمْنَ ذا اللُّبِّ أنَّمَا ... فَعَلْنَ الذي يَفْعَلْنَ مِنْ ذاكَ مِنْ أجلي

فصاح الفرزدق وقال: [هذا] (١) والله الشعر [الذي] (١) أرادته الشعراء فأخطأته وبكت الديار [ص ١٥].

قال مصعب الزبيري: اجتمع نسوة فذكرن عمر بن أبي ربيعة وشعره وظرفه وحسن مجلسه وحديثه، فقالت سكينة: أنا لَكُنَّ بِهِ، فبعثت رسولاً إليه، ووعد [ته] الصَّوْرين (٢) لليلةٍ سَمَّتْهَا له، فوافاها على راحلته ومعه الغريض، فَحَدَّثَهُنَّ حتى رأى الفجر وحان انصرافهن، فقال لها: والله إني لمشتاق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، والصلاة في مسجده، ولكن والله لا أخلط زيارتكن بشيء، ثم انصرف إلى مكة، فقال: (٣) [البسيط]

أَلْمِمْ بِزَيْنَبَ إنَّ البينَ قَدْ [أَفِدا] ... قلَّ الثَّواءُ لَئِنْ كانَ الرَّحِيْلُ غَدَا
قد حَلَفَتْ ليلَةَ الصَّورين جَاهِدَةً ... وما على الحُرِ إلا الصَّبْرُ مُجْتَهِدا
لأُخْتِها ولأُخرى من مناصِفِها ... لقد وجدتُ به فوقَ الذي وَجَدَا
لَعَمْرُها ما أراني إنْ نَوىً نَزَحَتْ ... وهكذا الحبُّ إلا مَيِّتاً كَمَدَا

(١) تكملة يقتضيها السياق وبدونها يختل المعنى.

(٢) الصَّوران: موضع بالمدينة بالبقيع، قال ياقوت: وقد ذكره عمر في شعره:

قد حلفت ليلة الصورين جاهدةً ... وما على المرء إلا الصبر مجتهدا

(ياقوت: الصَّوران)

(٣) الأبيات من قطعة لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه ص ٣٩١.

قال: يا غريض، إني أريد أن (١) أخبرك بشيء يتعجل لك نفعه، ويبقى ذكره، فهل لك فيه؟ قلت: من ذاك ما أنت أهله، قال: إني قد قلت في الليلة التي كنا فيها شعراً، فامض به إلى النسوة فأنشدهن ذلك، وأخبرهن أني قد وجهت بك عامداً، قال: نعم، فحمل الغريض الشعر ورجع إلى المدينة فقصد لسكينة، وقال لها: جُعِلْتُ فِدَاكِ يا سيدتي ومولاتي، إن أبا الخطاب ـ أبقاه الله ـ وَجَّهني إليك قاصداً، قالت: أو ليس في خير وسرور وبركةٍ؟ قال: نعم، قالت: وفِيْمَ وَجَّهَكَ أبو الخطاب حفظه الله؟ قال: جُعِلْتُ فِدَاكِ، إن ابن أبي ربيعة حمَّلني شعراً، وأمرني أن أنشدك إياه، فقالت: هاته، فأنشدها:

أَلْمِمْ بِزَيْنَبَ إنَّ البينَ قَدْ أَفِدا ... قلَّ الثَّواءُ لَئِنْ كانَ الرَّحِيْلُ غَدَا

الشعر كله، فقالت: يا ويحه ما كان عليه ألا يرحل في غدٍ، فوجهت إلى النسوة، فجمعتهن وأنشدتهن الشعر، وقالت للغريض: هل عملت فيه شيئاً؟ قال: قد غنّيتهُ(٢) ابن أبي ربيعة، قالت: فهاته، فغناه الغريض، فقالت سكينة: أحسنت والله، وأحسن ابن أبي ربيعة ولولا أنك سبقت وغنيته ابن أبي ربيعة لأحْسَنَّا جائزتك، يا بُنَانَةُ، أَعْطِهِ لكل [بيت] ألف درهم، فأخرجت بأبياته أربعة آلاف درهم، فدفعتها إليَّ، وقالت سكينة: لو [ص ١٦] زادنا عمر لزدناك.

قال محمد بن سلام: حجت (٣) عائشة بنت طلحة بن عبيد الله، فجاءتها الثُّريّا وأخواتها ونساء أهل مكة القرشيات وغيرهن، وكان الغريض ممن جاء، ودخل النسوة عليها، فأمرت لَهُنَّ بكسوة وألطاف (٤) كانت قد أعدتها لمن

(١) في الأصل: (أريد أن) خرجة من الحاشية.

(٢) في الأصل: غنيت [المراجع].

(٣) في الأصل: (حجة عائشة).

(٤) الألطاف: هي تحف وهدايا تعطى إكراما وَبِرًّا.

جاءها[١]، فجعلت كل واحدة تخرج ومعها جاريتها تحمل ما أمرت لها به عائشة، والغريض بالباب، حتى خرج مولياته مع جواريهن الخلع، فقال الغريض: أين نصيبي من عائشة؟ فقلن له: أغفلناك وذهبت عن قلوبنا، فقال: ما أنا ببارح من بابها أو آخذ بحظي منها، فإنها كريمة، واندفع يغني بشعر جميل:[٢] [الطويل]

تَذَكَّرتُ ليلى والفؤادُ عميدُ ... وشطَّت نَوَاها والمزارُ بَعِيدُ

فقالت: ويلكم، هذا مولى العبلات بالباب قد ذكر بنفسه، هاتوه، فدخل، فلما رأته ضحكت، ثم قالت: لم أعلم بمكانك، ثم دعت له بأشياء أمرت له بها، ثم قالت له: إن غَنَّيْتَنِي[٣] صوتاً في نفسي، فلك حُكْمُكَ، فَغَنَّاها في شعر كثير:[٤] [الطويل]

ومـا زِلْتُ في ليلى لَدُنْ طرَّ شاربي ... إلى اليوم أُخْفِي حُبَّها وأداجنُ
وأَحْمِلُ في ليلى لقلبي ضَغِينَةً ... وتُحْمَلُ في ليلى عليَّ الضَّغَائِنُ[٥]

فقالت: ما عدوت والله ما في نفسي، ووصلته وأجزلت، قال إسحاق: فقلت لأبي عبدالله: فهل علمت [حديث][٦] هذين البيتين؟ ولِمَ سَألْتْ الغريض ذلك؟ قال: نعم، حدثني أبي قال، قال الشعبي: دخلت المسجد فإذا بمصعب بن الزبير على سرير جالس، والناس حوله، فسلمت، ثم ذهبت لأنصرف، فقال لي: ادْنُ، فدنوت حتى وضعت يدي على مرافقه[٧]، ثم قال لي: إذا قمت فاتبعني،

(١) في الأصل: «جاءتها». وظاهر أنّها أعدت هدايا لكلّ مَنْ جاءها مِن صاحباتها [المراجع].

(٢) البيت لجميل بن معمر في ديوانه ص ٦٣ ط عالم الكتب بيروت ١٩٩٦.

(٣) البيتان لكثير عزة من قصيدة في ديوانه ص ٣٥٨ط دار الجيل بيروت ١٩٩٥.

(٤) في الأصل: «إن رأيت غنيتني» [المراجع].

(٥) في الديوان والأغاني: (في ليلى لقوم ضغينة)، ولعل ما في الأصل من وهم الناسخ.

(٦) تكملة النقص في النص من الأغاني.

(٧) أي وضع يده على الوسائد التي يتكئ عليها مصعب.

فجلس قليلا ثم نهض فتوجه نحو دار موسى بن طلحة، فتبعته، فلما طعن في الدار، التفت إليَّ فقال: ادخل فاذا حَجَلة(١)، وإنها لأول حَجَلة رأيتها لأمير، فقمت ودخلت الحَجَلة، فسمعت حركة، فكرهت الجلوس، ولم يأمرني بالانصراف، فاذا جاريته قد خرجت، فقالت: يا شعبي، إن الأمير يأمرك أن تجلس، فجلست على وسادة، وَرُفِعَ سُجْف(٢) الحجلة، فإذا أنا بمصعب بن الزبير، ورفع السجف الآخر، فإذا أنا بعائشة بنت طلحة، فلم أرَ زوجاً قط كان أحسن منهما: مصعب وعائشة، فقال مصعب: يا شعبي، هل تعرف هذه؟

قلت: نعم [ص ١٧] أصلح الله الأمير، قال: ومن هي؟ قلت: سيدة نساء المسلمين عائشة بنت طلحة، قال: ولكن هذه ليلى [التي] يقول فيها الشاعر:

ومازلتُ في ليلى لُدنُ طَرَّ شاربي

ثم قال: قم إذا شئت، فقمت، فلما كان العشيُّ رحتُ، فإذا هو جالس في المسجد على سرير، فسلمت عليه، فلما رآني قال: ادن مني، فدنوت حتى وضعت يدي على مرافقه، فأصغى إلي وقال: رأيت مثل ذلك الإنسان قط؟ قلت: لا والله، قال: أفتدري لِمَ أدخلناك؟ قلت: لا، قال: لِتُحَدِّثْ بما رأيت، ثم التفت إلى عبدالله بن فروة، فقال: اعْطِه عشرة آلاف درهم وثلاثين ثوباً، وانصرف، وما انصرف أحد بمثل ما انصرفت بعشرة آلاف درهم، وبمثل كارة القصار ثياباً (٣)، وبنظرة من عائشة بنت طلحة. قال: وكانت عائشة بنت طلحة عند عبدالرحمن بن أبي بكر، وكان أبا عذرتها، (٤) ثم هلك، وتزوجها مصعب

---

(١) الحجلة: مثل القبة، وحجلة العروس: بيت يزين بالثياب والأسرة والستور، وفي أزرار كبار (اللسان: حجل).

(٢) السجف: الستر.

(٣) في الأصل: (ثياب) والوجه النصب.

(٤) العذرة: البكارة، أي كان أول من تزوجها.

ابن الزبير فقتل، ثم تزوجها عمر بن عبيد الله بن معمر، فبنى بها بالحيرة، ثم انصرف عن سبع مرات تلك الليلة، فلقيته مولاة له حين أصبح، فقالت: يا أبا حفص، كَمُلْتَ في كُلِّ شيء حتى في هذا، فلما مات ناحت عليه قائمة، ولم تنح على أحد منهم [قائمة]، وكانت العرب إذا ناحت المرأة قائمة على زوجها، علم أنها لا تريد أن تتزوج بعده، فقيل لها: يا عائشة ما صنعت هذا بأحد من أزواجك، قالت: إنه كان أقرب مني قرابة، وأردت أن لا أتزوج بعده.

قال: وقدم (١) يزيد بن عبدالملك مكة، فبعث إلى الغريض سراً، فأتاه فغناه بهذا اللحن في شعر كثير: (٢) [الطويل]

وإنِّي لأرعى قَوْمَها من جَلالِها ... وإن أظهروا غشاً نَصَحْتُهمُ جَهْدي
ولَو حَارَبُوا قَومي لَكُنْتُ لقومِهَا ... صديقاً ولمْ أَحْمِلْ على قومِهَا حِقْدِي

فأشير إلى الغريض أن اسكُتْ، وفطن يزيد، فقال: دعوا أبا يزيد يغنيني بما يريد، فأعاد عليه الصوت مراراً، ثم قال: زدني مما عندك، فغناه في شعر عمرو بن شأس الأسدي: (٣) [الطويل]

فَوَا نَدَمِيْ على الشَّبَاب وَوَا نَدَمْ ... نَدمْتُ وبانَ اليومَ منِّي بغيرِ ذَمْ
أَرَادَتْ عِرَاراً بالهوانِ وَمَنْ يُرِدْ ... عِراراً لَعَمْري بالْهَوَانِ فَقَدْ ظَلَمْ [١٨]

قال: فطرب يزيد وأمر له بجائزة سَنِيَّةٍ.

---

(١) في الأصل: (وقد يزيد).

(٢) البيتان لكثير عزة في ديوانه ص ١٣٥ .

(٣) البيتان من قطعة لعمرو بن شأس الأسدي في ديوان شعره ص ٨٠ ـ ٨١. تحقيق يحيى الجبوري ط دار القلم ـ الكويت ١٩٨٣.

قال إسحاق: فحدثت أبا عبدالله هذا الحديث، وكنا قد أخذنا في أحاديث الخلفاء، ومن كان يسمع الغناء، فقال أبو عبد الله: كان قدوم يزيد مكة وبعثَهُ إلى الغريض سِرّاً قبل أن يُسْتَخْلَفَ، قلت له: فَلِمَ أُشِيْرَ إلى الغريض: اسْكُتْ حيثُ غَنَّاه:

وإني لأرعَى قَومَها مِنْ جَلالِهَا

وما السبب في ذلك؟ قال: أنا أحدثك، حدثني أبي قال: كان عبدالملك بن مروان أشدَّ الناس حباً لعاتكة بنت يزيد بن معاوية امرأته، وهي أم يزيد بن عبدالملك، فغضبت مرة على عبدالملك، وكان بينهما باب فأغلقته فشق غضبها على عبدالملك، وشكا إلى خاصته، فقال له عمرو بن بلال الأسدي: مالي عندك إن رضيت؟ قال: حكمك، فأتى [عمر] بابها، فجعل يتباكى، وأرسل إليها بالسلام، فخرجت إليه خاصّتها[١] وجواريها، فقلن: مالك؟ قال: فزعت إلى عاتكة في أمر رجوتها له، فقد علمت مكاني من [٢] أمير المؤمنين معاوية ومن أبيها بعده، قلن: ومالك؟ قال: ابناي لم يكن لي غيرهما، فقتل أحدُهُمَا صَاحِبَهُ، وقال أمير المؤمنين: أنا قاتل الآخر به، فقلت: يا أمير المؤمنين، أنا الولي وقد عفوت، قال: لا أعوِّدُ الناس هذه العادة، وقد رجوت أن يحيي الله ابني هذا على يدها، فدخلن عليها فذكرن لها ذلك، فقالت: فكيف أصنع مع غضبي عليه وما أظهرت له؟ قلن: إذاً والله يُقْتَلُ، فَلَمْ يَزَلْنَ[٣] بها حتى دعت ثيابها فَأَحْضَرْنَها، ثم خرجت نحو الباب، وأقبل جريج الحصيني [٤] فقال: يا أمير

(١) في الأصل: خاصيّتها [المراجع].

(٢) في الأصل: (في أمير المؤمنين) والصواب (من) وكثيرا ما يجعل المؤلف في مكان من، ولعل ذلك من تأثير عصره المتأخر.

(٣) في الأصل: «فلم نزل» والسيّاق يقتضي ما أُثبت [المراجع].

(٤) في الأغاني (حديج الخصي).

المؤمنين، هذه عاتكة قد أقبلت، قال: ويلك ما تقول، قد والله طَلَعَتْ فَأَقْبَلَتْ فَسَلَّمَتْ، فلم يَرَدَّ عليها السلام، فقالت: والله لولا عمرو ما جئت، تَعَدَّى أحدُ ولديه على الآخر، وأردت قتل الآخر، وهو الولي، وقد عفا، قال: إني أكره أن أَعِّودَ الناس هذه العادة، قالت: أنشدك الله يا أمير المؤمنين، قد عرفت مكانه من أمير المؤمنين معاوية، ومن أمير المؤمنين يزيد، وهو ببابي، فلم تزل به حتى أخذت برجله فقبلتها، فقال: هولك، فلم يبرحا حتى اصطلحا، ثم راح عمرو ابن بلال على عبدالملك، فقال: يا أمير المؤمنين، كيف رأيت؟ قال: : رأينا أثرك، فهات حاجتك، قال: مزرعة بعبيدها (١) وما فيها وألف دينار، وفرائض لولدي وعيالي، قال: ذلك لك، ثم اندفع عبدالملك [١٩] فتمثل بقول كثير: (٢) [الطويل]

وإني لأرعَى قَومَها مِنْ جَلالِهَا

ثم علمت (٣) عاتكة ما أراد، فلما غَنَّى يزيد بهذا الشعر، كَرِهَ مواليهِ، إذ كان عبدالملك تمثَّل به في أَمِّهِ. قال أبو عبدالله (٤)، واما خبره لما غنى بشعر عمرو بن شأس، فإن ابن الأشعث (٥) لما قُتِلَ، بعث الحجاج إلى عبدالملك برأسه مع عرار بن عمرو بن شأس، فلما ورد به، وأوصل كتاب الحجاج إليه، جعل عبدالملك يقرأه، وكلما شك في شيء سأل عراراً عنه فأخبره، فعجب عبدالملك

---

(١) في الأغاني: (مزرعة بعدتها).

(٢) الشعر لكثير عزة في ديوانه ص ١٣٥ وهو من بيتَيْن هما:

وإنـي لأرعـى قومها من جلالها وإن أظهروا غِشًّا نصحت لهم جَهْدِي
ولو حاربوا قومي لكنت لقومها صديقاً ولم أحمل على قومها حقدي

(٣) في الأصل: (ثم فعلت) والتصويب من الأغاني ٢/ ٣٧٧.

(٤) في الأصل: (قال عبدالملك) وهماً.

(٥) عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي أمير من القادة الشجعان وهو صاحب الوقائع مع الحجاج، ثار في العراق مع أشراف الكوفة ثم قتل سنة ٨٥ هـ. (الطبري ٨/ ٣٩، ابن الأثير ٤/ ١٩٢).

من بيانه وفصاحته مع سواده، فقال عبدالملك متمثلاً:[١] [الطويل]

وإن عَــرَاراً إنَ يكُنُ غــيــرَ واضحٍ فــإنِّي أُحِبُّ الجَـوْنَ ذا المَنْكَبِ العَـمَمْ

فضحك عرار من قوله ضحكاً غاظ عبد الملك، فقال له: ممّ ضحكت ويلك؟ قال: ألا تعرف عراراً يا أمير المؤمنين الذي قيل فيه هذا الشعر؟

قال: لا، قال: فأنا والله هو، فضحك عبدالملك وقال: حقٌّ وافق حكمة [٢]، وأحسن جائزته وَسَرَّحَهُ. قال أبو عبدالله: وإنما أراد الغريض [أن] يُغَنِّي يزيدَ بتمثيلات عبدالملك وسائر أموره.

قال يونس الكاتب: حدثني معبد قال خرجت إلى مكة في طلب لقاء الغريض وقد بلغني حسن غنائه في لحنه: [٣] [الطويل]

ومــا أنسَ مِ الاشــيــاءِ لا أنسَ شــادنا بِمَكَّةَ مكحــولاً أسـيــلاً مَـدامِـعُـهْ

وقد كان بلغني أنه أول لحن صنعه، وأنَّ الجِنَّ نهته أن يغنيه، لأنه فتن طائفة منهم من مكة لأجل ذلك وحسنه، فلما قدمت مكة سألت عنه فدللت على منزله، فأتيته فقرعت الباب، فما كلمني أحد، فسألت بعض الجيران، فقلت: هل في الدار أحد؟ قالوا: نعم، الغريض، فقلت: إني قد أكثرت دقَّ الباب فما أجابني أحد، قالوا: إن الغريض هناك، فرجعت فدققت الباب فلم يجبني، فقلت: إن نفعني غنائي يوماً من الدهر نفعني اليوم، فاندفعت فغنيت لحني في شعر جميل:[٤] [الطويل]

---

(١) البيت لعمرو بن شأس في ديوان شعره ص ٥٧.

واضح: أبيض اللون، الجون: الأسود المشرب حمرة. العمم: الطويل التام الخلق الممتلئ.

(٢) في الأغاني: (خط وافق كلمة).

- وفي الأصل: حقاً.

(٣) البيت في الأغاني ٢ / ٣٨٠.

(٤) الشعر لجميل بن معمر من قصيدة في ديوانه ص ٦٠.

عَلِقْتُ الهوى [منها] وليداً فلم يزل إلى اليوم يَنْمِي حُبُّها ويزيدُ

فوالله ما سمعت حركة الباب، فقلت: بطل سحري وضاع تعبي، وجئت أطلب ما هو [ص ٢٠] عسير عليَّ، واحتقرت نفسي، وقلت: لم يتوهمني (١) لضعف غنائي عنده، فما شعرت إلا بصائح يصيح بي: يا معبد، ابْلِغْني أَفْهَمْ، وَبَلِّغْ عَنِّي شعرَ جميل الذي تُغَنِّي [فيه] يا شقي البخت، وغنى:(٢) [الطويل]

ولا أنسَ م ِالأشياءِ لا أنسَ قولَها وقد قربت نضوي أمِصْرَ تريدُ
ولا قولها لولا العيون التي ترى أتيتك فاعذرني فَدَتْكَ جدودُ
خَلِيْلَيَّ ما أُخفي من الوجد باطنٌ ودمعي بما قلت الغداةَ شهيدُ
يقولون جاهد يا جميل بغزوةٍ وأيَّ جهاد غَيْرَهُنَّ أريدُ
لكل حديث بينهن بشاشة وكل قتيل بينهن شهيدُ

قال: فلقد سمعت شيئا لم أسمع قط أحسن منه، وقصر إلى نفسي، وعلمت فضلَهُ عليَّ، وقلت: إنه لحريٌّ بالاستتار من الناس ترفيها (٣) لنفسه، وتعظيماً لقدره، وإن مثله لا يستحق الابتذال، ولا أن يتداوله الرجال، فأردت الانصراف إلى المدينة راجعاً، فلما كنت غير بعيد، إذا بصائح يصيح: يا معبد، انتظر أكلمك، فرجعت فقال لي: إن الغريض يدعوك، فأسرعت فرحاً، فدنوت من الباب، فقال: أتحب الدخول، فقلت: وهل إلى ذلك من سبيل؟ فقرعت الباب، فقال لي: ادخل، فدخلت فإذا الشمس طالعة في بيت، فسلمت، فَرَدَّ عليَّ السلامَ، ثم قال: اجلس فجلست، فإذا أنبل الناس وأحسنهم وجهاً وخَلْقاً

(١) لم يتوهمني: أي لم يعرفني.
(٢) ديوان جميل بثينة ص ٥٨ ـ ٦٠ والأغاني ٢ / ٣٧٩ ـ ٣٨٠.
(٣) في الأغاني: (تنزيها لنفسه).

وخُلُقاً، فقال: يا معبد كيف تطرَّيتَ (١) إلى مكة؟ فقلت: جُعِلْتُ فداك:وكيف عرفتني ؟قال :بصوتك ،فقلت :وكيف ولم تسمعه قط؟فقال :لما غنيت عرفتك،وقلت :إن كان معبد في الدنيا فهذا ،فقلت جُعلت فداك كيف أحسنت (٢) بقولك:

ولا أنسَ مِ الأشياءِ لا أنسَ قولَها وقد قربت نضوي أمِصْرَ تريدُ

فقال: علمت أنك تريد تسمع صوتي: (٣) [الطويل]

وما أنسَ مِ الأشياءِ لاأنسَ شادناً بمكة مكحولا أسيلاً مدامِعُهْ

فلم يكن إلى ذلك سبيل، لأنه صوتٌ قد نهيت أن أغنيه، فغنيتك هذا الصوت، جواباً لما سألت، فقلت: والله ما عدوت ما أردت، فهل لك حاجة؟ فقال: يا أبا عبَّاد، لولا ملالة الحديث وثقل إطالة الجلوس، لاستكثرت منك، فاعذر، فخرجت من عنده [ص ٢١] وإنه لأجل الناس عندي، ورجعت فما رأيت إنساناً هو(٤) أعظم منه في عيني، وذكرت جميلاً وبثينة، فقلت: لئن أصبت إنساناً يحدثني بقصة جميل وقوله هذا الشعر، فسألت عن ذلك، فإذا الحديث مشهور، وقيل: إن أردت أن تخبر بما شاهدته فَأْتِ بني حنظلة فإن فيهم شيخا منهم يقال له فلان فيخبرك الخبر، فأتيت الشيخ فسألته فقال: نعم بَيْنَا أنا في إبل في الربيع إذا أنا برجل منطوٍ على راحلته كأنه جان، فسلم عليَّ ثم قال لي: ممن أنت يا عبدالله [فقلت]: أحد بني حنظلة، قال: فنسبني حتى بلغت فخذي الذي أنا منه، ثم سألني عن بني عذرة، فقلت هل ترى ذلك السفح(٥)

---

(١) أي كيف أقبلت.

(٢) في الأغاني: (كيف أجبتني).

(٣) مرت الإشارة إلى البيت.

(٤) في الأصل « وهو» [المراجع].

(٥) في الأصل: (الشيخ).

فإنهم نزلوا من ورائه، قال: يا أخا بني حنظلة، هل لك في معروف تصنعه إلي؟ فوالله لو أعطيتني ما أصبحت تسوق إليه من الإبل ما كنت أشكر مني لك عليه، فقلت ومن أنت اولاً؟ فقال: لا تسألني من أنا ولا أخبرك [غير] أني رجل بيني وبين هؤلاء القوم ما يكون بين بني العم، فإن رأيت أن تأتيهم فإنك تجد القوم في مجلسهم فتنشدهم بَكْرَةً أدماء (١) تَجرُّ خُفَّيْهَا عبلاء واسمة (٢)، فإن ذكروا لك شيئا فذاك، وإلا استأذنتهم في البيوت وقلت: إن الصبي والمرأة يريان مالا يرى الرجال، فتنشدهم ولا تدع أحداً تصيبه عينك، ولا بيتاً من بيوتهم، إلا وأنشدتها فيه، فأتيت القوم، فإذا بهم على جزور يقسمونها، فسلمت وانتسبت، وذكرت لهم ضالتي فلم يذكروا لي شيئاً، فاستأذنتهم في البيوت، وقلت: إن الصبي والمرأة يريان ما لم ير الرجل، فأذنوا إليَّ، فأتيت أقصى بيت، ثم استقريتها بيتاً بيتاً، فلا يذكرون لي شيئا حتى انتصف النهار وآذاني حَرُّ الشمس وعطشت، وفرغت من البيوت، وذهبت لأنصرف فحانت مني التفاتة فرأيت ثلاثة أبيات، فقلت: ما عند هؤلاء، إلا ما عند غيرهم، ثم قلت لنفسي سَوْءةً ونوىً زعم أن حاجته تعدل مالي، ثم أتيته فأقول: عجزت عن ثلاثة أبيات، فانصرفت عائداً إلى أعظمها بيتاً، فإذا هو قد أرخى مقدمه ومؤخره، فسلمت فرد السلام، وذكرت لهم ضالتي، فقالت [جارية منهم](٣) يا عبدالله، قد أصبت ضالتك، وما أظنك إلا وقد اشتد عليك الحر واشتهيت الشراب، فقلت: أجل فدخلت [الجارية] فأتتني بِصحْفَةٍ فيها تمر من [ص ٢٢] تمر هَجَر(٤) وقدحٍ فيه لبن، والصفحة مضرية والقدح مفضض، لم أَرَ إناءً قَطُّ أحسن

(١) أي ناقة فتية بيضاء.

(٢) في الأغاني: (غفلاً من السمة).

(٣) ما بين المعقوفتيْن من الأغاني.

(٤) هجر: مدينة وهي قاعدة البحرين، وقيل ناحية البحرين كلها هجر، وهناك هجر نجران وهجر جازان وهجر حصنة من مخلاف مازن، وقرية قرب المدينة (ياقوت: هجر).

منه، فقالت: دونك، فأكلت وشربت من اللبن حتى رويت، ثم قلت: يا أمة الله، ما أنست اليوم أكرمَ منك، ولا أحقَّ بالفضل، فهل ذكرت من ضالتي ذكراً؟ فقالت: أجل، ترى هذه الشجرة فوق الشرف (١)، قلت: نعم، قالت: فإن الشمس غربت أمس وهي تطيف حولها، ثم حال الليل بيني وبينها، فقمت وجزيتها الخير، وقلت: والله لقد تغدَّيتُ وتروَّيتُ، فخرجت حتى أتيت الشجرة، فأطفت بها، فوالله ما رأيت من أثر، فانصرفت إلى صاحبي، فإذا هو مُتَّشِحٌ في الإبل بكسائه، ورافعٌ عقيرَتَهُ (٢) يغني، فقلت: السلام عليك، قال: وعليكم السلام، قال: ما وراءك؟ قلت: ما ورائي من شيء، قال: لا عليك، فأخبرني بما فعلت، قال: فقصصت عليه القصة، حتى انتهيت إلى ذكر المرأة وأخبرته بالذي صنعت، قال: قد أصبت ضالتك، فعجبت من قوله ولم أجد شيئا، ثم سألني عن صفة القدح والصفحة، فوصفتها له، فتنفَّسَ الصعداء، ثم قال: أصبت طَلِبَتَكَ، ثم ذكرت له الشجرة وأنها رأتها تطيف بها، فقال: حسبك، فمكثت حتى إذا أوت إبلي إلى مباركها، دعوته إلى العشاء، فلم يَدْنُ، وجلس عني بمزجر الكلب، فلما ظنَّ أنِّي قد نمت رمقته، فقام إلى عَيْبَةٍ (٣) له، فاستخرج منها بُرْدَيْنِ، فَأْتَزَرَ بأحدهما، وارتدى بالآخر، ثم انطلق عامداً نحو الشجرة، واستبطنت الوادي، فجعلت أحضر، حتى إذا خفت أن يراني انبطحت فلم أزل كذلك حتى سبقته إلى شجرات قريبة من تلك الشجرة حيث أسمع كلامهما، فاستترت بهما، وأقبل حتى إذا كان غير بعيد، قالت: اجلس، فوالله لكأنه لصق بالأرض، فسلم عليها وسألها عن حالها أكرم سؤال ما سمعته قط،

---

(١) الشرف: المكان العالي.

(٢) عقيرة الرجل: صوته اذا غنى أو قرأ أو بكى، وقيل: أصله أن رجلا عقرت رجله فوضع العقيرة على الصحيحة وبكى عليها بأعلى صوته فقيل: رفع عقيرته، ثم كثر ذلك حتى صير الصوت بالغناء عقيرة، (اللسان: عقر).

(٣) العيبة: وعاء من أدم يكون فيه المتاع.

وأبعده عن كل ريبة، وسألته عن مثل مسألته، ثم أمرت الجارية فقربت إليه طعاما، فلما أكل، قالت: أنشدني ما قلت فأنشدها: (١) [الطويل]

عَلِقْتُ الهوى مِنْهَا وليداً فلم يَزَلْ إلى اليوم ينمي حبُّها ويزيدُ

ولم يزالا يتحدثان، ما يقولان فُحْشاً ولا هُجْراً، حتى التفتت التفاتة فرأت الصبح قد طلع، فودع كل منهما صاحبه أحسن وداع سمعته، ثم انصرفا فمضيت إلى إبلي فاضطجعت، وكل واحد منهما يمشي خطوة ويتلفت إلى صاحبه، فجاء بعد ما أصبحنا، فرفع برديه ثم [ص ٢٣] قال: يا أخا بني حنظلة(٢)، حتى متى تنام، فقمت وتوضأت وصليت، وأعانني عليها وهو أظهر الناس سروراً، ثم دعوته إلى الغداء، فتغدينا ثم قام إلى عيبته ففتحها، فإذا فيها السلاح وبردان مماكسته الملوك، فأعطاني أحدهما، وقال: والله لو كان معي شيء ما ذَخَرْتُهُ عنك، وحدثني حديثه وانتسب إليَّ، فإذا [هو] جميل بن معمر، والمرأة بثينة، وقال لي: إني قد قلت أبياتا في منصرفي من عندها، فهل لك في أن أُنْشِدَهَا لك؟

قال نعم: (٣)

ولا أنسَ مِ الأشياءِ لا أنسَ قولَها وقد قربت نضوي أمِصْرَ تريدُ؟

الأبيات، ثم ودعني وانصرفت، فمكث حتى أَخَذَتْ إبلي مراتِعَهَا، ثم عمدت إلى دهن كان معي فدهنت به رأسي، ثم ارتديت بالبردة وأتيت المرأة، فقلت: السلام عليكم، إني جئت أمس طالبا، وجئت اليوم زائرا، فتأذنون؟ فقالت: نعم، فجعلت جارية تقول: يا بثينة، عليه بُرْدُ جميل، فجعلت أثني

(١) البيت لجميل بن معمر من قصيدة في ديوانه ص ٦٠

(٢) في الأغاني: (يا أخا بني تميم) وبنو حنظلة من تميم.

(٣) مر البيت في أبيات لجميل بثينة في ديوانه ص ٥٨ .

على ضيفي وأشكره، فقلت: إنه ذكرك فأحسن الذكر، فهل أنت بارزة [لي] حتى أَنْظُرَ إليك، قالت نعم، فلبست ثيابها ثم برزت، ودعت لي بطرف، وقالت: يا أخا (١) بني تميم، والله ما ثوباك هذا بِمُشْتَبِهَيْنِ، ودعت بعيبتها وأخرجت لي ملحفة مروية (٢) مشبعة من العصفر، ثم قالت: أقسمتُ عليك لتقومَنَّ إلى كسر البيت لَتَخْلَعَنَّ مدرعتك (٣) ثم لَتَأْتَزِرَنَّ بهذه الملحفة، فهي أشبه ببردك، فقمت ففعلت وأخذت مدرعتي بيدي فوضعتها إلى جانبي، وأنشدتها الأبيات فدمعت عيناها، وتحدثنا طويلا من النهار، ثم انصرفت إلى إبلي بملحفة بثينة وبردة جميل، ونظرة من بثينة. قال [معبد] فجزيت الشيخ خيراً وانصرفت من عنده، وأنا أحسن الناس حالا بنظرة من الغريض واستماع غنائه، وعلم بحديث جميل وبثينة، فيما غنيَّتُ أنا به، وفيما غَنَّى به الغريض، على حق ذلك وصدقه، فما رأيت قط ولا سمعت بزوجين أحسن من جميل وبثينة، ومن الغريض ومِنِّي.

قال: قدم الوليد بن عبدالملك مكة فأراد أن يأتي الطائف، فقال: هل من رجل عالم يخبرني عنها؟ فقالوا: عمر بن أبي ربيعة، قال: لا حاجة لي به، ثم دعا فسأل فذكروه إياه، فقال: هاتوه، فأتوا به، فركب [ص ٢٤] معه، ثم جعل يحدثه، ثم حول عمر رداءه ليصلحه على نفسه، فإذا على ظهره أثر، فقال الوليد: ما هذا الأثر؟ فقال: كنت عند جارية لي، إذ جاءتني جارية برسالة جارية أخرى، فجعلت تسارُّني، فَعَضَّتْ التي كنت عندها منكبي، فما وجدت ألم عضتها من لذة ما كانت تلك تنفث في أذني حتى بلغت ما ترى، فضحك الوليد، فلما رجع عمر، قيل له: ما الذي كنت تُضْحِكُ به أمير المؤمنين؟ قال:

(١) في الأصل: (يا أخي).

(٢) الملحفة: اللباس الذي فوق اللباس من دثار البرد ونحوه، ومروية: نسبة إلى مرو بلدة بفارس.

(٣) المدرعة: ضرب من الثياب ولا تكون إلا من الصوف خاصة (اللسان: درع).

مازلنا في حديث الزِّنا حتى رجع، وكان حمل الغريض معه، فقال له: يا أمير المؤمنين، إن عندي أجمل الناس وجها وأحسنهم حديثا، فهل لك أن تسمعه؟ فقال: هاته، فدعا به، فقال له: أَسْمِعْ أميرَ المؤمنين أحسنَ شيء قلته، فاندفع يغني بشعر جميل: (١) [الكامل]

إني لأحفظُ سِرَّكم وَيَسُرُّكم ... لو تعلمين بصالح أنْ تُذْكَري
ويكون يومٌ لا أرى لك مُرْسَلاً ... أو نلتقي فيه عليّ كأشهُرِ
ياليتني ألقى المنيَّةَ بَغْتَةً ... إن كان يومُ لقائكم لم يُقْدَرِ
ما كنتُ والوعُد الذي تَعِدِيْنَهُ ... إلا كبرق سحابة لم تُمْطِرَ
تُقْضَى الديونُ وليس يُنْجِزُ عاجِلاً ... هذا الغريم لنا وليس بِمُعْسِرِ (٢)

قال: فاشتد سرور الوليد بذلك وقال: يا عمر، هذه رُقْيَتُكَ، ووصله وكساه [وقضى] حوائجه.

قال: وكانت وفاة الغريض في أيام سليمان بن عبد الملك، أو عمر بن عبدالعزيز ولم يتجاوزها، وكان موته باليمن، لأن الوليد كان ولى نافع بن علقمة مكة، فهرب منه الغريض، فأقام باليمن واستوطنها مدة، ثم مات بها.

قال عمر بن شبَّة(٣): زَعَمَ المكيُّون أنَّ الغريض أتى بلاداً من بلاد الجِنِّ، فغنَّى ليلاً: (٤) [مجزوء الوافر]

---

(١) الأبيات، من قصيدة لجميل بثينة في ديوانه ص ١٠١ ـ ١٠٢ ورواية الأول:
إني لأحفظُ غَيْبَكم وَيَسُرُّني ... إذْ تذكرينَ بصالحٍ أنْ تُذْكَري
(٢) في الأصل: (هذا الغريب) وهو تحريف.
(٣) في الأصل: (عمرو بن شية) والملاحظ أن كل اسم فيه (عمر) يجعله المصنف أو الناسخ (عمرو).
(٤) البيت للحكم بن عبدل: وفي الأغاني ٢ / ٣٩٣: (تجمع السُّبُل) بالباء.
ـ ورواية الأغاني: هم ركبٌ لقوا ركباً... [المراجع].

هُمُ ركبٌ لقيَ رَكْبَا كَمَا قَدْ يَجْمعُ السَّيْلُ

فصاح به صائح اكففْ يا أبا مروان فقد سَفَّهْتَ حلماءنا، وأَصْبَيْتَ سفهاءنا، ق ل: فأصبح ميتاً.

قال إسحاق، قال أبو قبيل: رأيت الغريض في عرس أو ختان لبعض مواليه، فقيل له: تَغَنَّ، فقال: هو ابن زانية إن فعل، فقال له بعض مواليه: فأنت هو والله كذلك، قال: أفكذلك أنا؟

قال: نعم، قال: أنتم أعلم، ثم أخذ الدُّفَّ فرمى به ثم مشى مشية(١) [ص ٢٥] ، لم أَرَ أحسنَ منها، ثم غَنَّى: (٢) [الطويل]

تَشَرَّبَ لَوْنَ الرَّازقيِّ بياضُهُ أو الزعفران خالطَ المِسْكَ رَادِعُهْ

فجعل يغنيه مقبلا ومدبراً حتى التوت عنقه، فخرَّ صريعا، وما رفعناه إلا ميتا، فظنناه فالجاً عاجله.

قال إسحاق: وحدثني ابن الكلبي عن أبي مسكين قال: إنما نَهَتْهُ الجِنُّ أن يغني هذا الصوت: (٣) [الطويل]

وما أنس م الأشياء لا أنس شادناً بمكة مكحولاً أسيلاً مدامعه

(١) في الأصل: ثم مشى مشية مواليه لم أرَ.. إلخ وكلمة «موالية» من إدراج الناسخ. وليست في نص الأغاني [المراجع].

(٢) الرازقي: ثياب الكتان البيض، وضرب من عنب الطائف أبيض اللون والبيت في الأغاني ٢ / ٣٩٣ (اللسان: رزق)

(٣) البيت في الأغاني ٢ / ٣٨٠.

٥- طُوَيْس (١)

كان مشئوم الطلعة، مذموم السمعة، ما بُشّر به، ولا بُشِّرَ بحظٍّ جليل، ورُزءٍ ليس بقليل، ومُصَابٍ أباتَ الناسَ بليل طويل، جُرِّب فَصَحّ أنَّهُ مشئوم، وأن والداً ولده ملوم، وأنه ممن لو وَضَعَ الملحُ في الطعام لَفَسَدَ منْهُ، ولو أبصره إبليس لحيَّاه، وقال: فَدَيْتُ من لا يفلح، لو مَرَّ بسوق النفاق لكسد، أو جاز الخمرَ الرحيقَ لفسد،أو دخل بين أخوين متحابَّيْنِ لَدَاْخَلَ كلٌّ منهما لأخيه الحسد، أو نظر نظرة في الطب لما قنع حتى يفرق بين الروح والجسد، فعجبا أن عد من أهل الإيمان، ووا أسفاً إذ لم يبق في حرِّ أُمِّه إلى آخر الزمان.

قال ابن الكلبي: أول من غَنَّى بالعربيّ بالمدينة طويس، وهو أول من ألقى الخنث(٢) بها، وكان طويلا أحول، وكان لا يضرب بالعود، وإنما ينقر بالدف، وكان ظريفا عالما بالمدينة وأنساب أهلها، وكان يُتَّقى لسانه، قال: وسئل عن مولده فذكر أنه ولد يوم قُبِضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفُطِمَ يوم مات أبو بكر، وَخُتِنَ يوم قُتِلَ عمر، وتزوج يوم قُتِلَ عثمان، وَوُلِدَ له يوم قُتِلَ علي رضي الله عنهم.

قال: وكانت أمه تمشي بين نساء الأنصار بالنميمة، قال: وأول غنائه وهزج

---

(١) طويس: أبو المنعم عيسى بن عبدالله مولى بني مخزوم، أول من غنى بالمدينة غناءً يدخل في الإيقاع، كان ظريفا عالماً بتاريخ المدينة وأنساب أهلها، يجيد النقر على الدف، ولد بالمدينة وأقام إلى أيام مروان بن الحكم، فانتقل إلى السويداء (على ليلتين من شمالي المدينة) فلم يزل فيها إلى أنْ توفي سنة ٩٢ هـ وكان طويس مشؤوما، وفيه المثل: (أشأم من طويس) لما يقال من أنه ولد يوم توفي النبي صلى الله عليه وسلم، وفطم يوم مات أبو بكر، وختن يوم قتل عمر، وتزوج يوم قتل عثمان، وولد له يوم قتل علي، فتشاءموا به.

(الأغاني ٣/ ٢٨ ـ ٤٥ وفيات الأعيان ١/ ٤٠٠ النويري ٤/ ٢٦٣ الأعلام ٥/ ١٠٥)

(٢) خنث: الرجل خنثا، فعل فعل المخنث فلان، واسترخى وتثنى وتكسر، فهو خنث، وخنث كلامه: أتى به شبيها بكلام النساء لينا ورخامة (اللسان: خنث).

هزجه:(١) [مجزوء الرمل]

كـيفَ يـأتي من بعـيـدٍ وهو يُخْـفِـيْـه القـريبُ
لاحَ بـالشـام عِـشـاءً وهو مِـشْكَاكٌ هَبُـوبُ (٢)
قَـدْ بَـرَاني الحبُّ حَـتَّى كِـدْتُ مِـن وَجْـدٍ أَذُوبُ

وهذا البيت يسمى: الذائب.

قال يونس: وكان أول من تَغَنَّى بالمدينة [ص ٢٦] غناءً يدخل في إيقاع طويس، قال ابن الكلبي: كان بالمدينة مُخَنَّثٌ يقال له النُّغَاشيُّ، فقيل لمروان [بن الحكم] إنه لا يقرأ من القرآن شيئا، فبعث إليه وهو بالمدينة يومئذ، فاستقرأه أُمَّ الكتاب، فقال: والله ما أقرأ البنات فكيف أُمَّهُنَّ؟ فقال: أتهزل لأُمِّ القرآن لا أُمَّ لك، فأمر به فقتل، وقال: من جاءني بمخنث فله عشرة دنانير، فأُخْبِرَ طويسُ فهرب من وقته حتى نزل السويداء على ميلين من المدينة، فلم يزل بها عمره، وعاش إلى ولاية الوليد بن عبدالملك.

قال المدائني: كان عبدالله بن جعفر معه رفقة له في عشية من عشيات الربيع، فراحت عليهم السماء بمطر جود، فسال كل شيء، فقال لهم عبدالله [هل لكم] في العقيق وهو منزه أهل المدينة في أيام الربيع والمطر، فركبوا دوابهم، ثم انتهوا اليه، فوقفوا على شاطئه وهو يرمي بالزبد مثل الفرات، فإنهم لينظرون إذ هاجت السماء، فقال عبدالله لأصحابه: ليس معنا جُنَّةٌ (٣) نَسْتَجِنُّ بها، وهذه سماء خليقة أن تَبُلَّ ثيابنا، فهل لكم في منزل طويس، فإنه قريب منا، فنستكن

(١) الشعر في الأغاني ٣/ ٢٩.

(٢) رواية الأغاني:

نـازحٌ بـالـشَّـام عَـنَّـا وهـو مِـكْـسَـالٌ هَـيُـوبُ

(٣) الجنة: السترة، وغطاء لرأس المرأة، ووجهها ماعدا العينين.

فيه فيحدثنا ويضحكنا، وطويس في النَّظَّارة يسمع كلام عبدالله بن جعفر، فقال له عبدالرحمن بن حسان: جُعِلْتُ فداك، وما تريد من طويس عليه غضبُ اللَّه مُخَنَّث شائن لمن عرفه، فقال له عبدالله بن جعفر: لا تقل ذلك، فإنه خفيف مليح لنا فيه أنس، فلما استوفى طويسُ كلامَهُم تَعَجَّلَ إلى منزله، فقال لامرأته: ويلك، قد جاء سيدنا عبدالله بن جعفر فما عندك؟ قالت: نذبح هذه العناق(١)، وكانت عندها عُنيِّقَةٌ قد ربتها باللبن، واختبز [خبزاً] رقاقا، فبادر ذبحها وعجنت هي، ثم خرج فتلقاه مقبلا إليه، فقال له طويس، بأبي أنت وأمي، هذا المطر(٢)، فهل لك في المنزل لتسكن فيه إلى أن تكف السماء؟ قال: إياك أريد، قال: فامض يا سيدي على بركة الله، وجاء يمشي حتى جلسوا [فتحدثوا] حتى أدرك الطعام، فقال: بأبي أنت وأمي، تكرمني إذْ دخلتَ منزلي أن تتعشى عندي، قال: هات ما عندك، فجاء بعناق سمينة ورقاق، فأكل كل القوم حتى تَمَلَّؤوا، وأعجبه طيب طعامه، فلما غسلوا أيديهم قال: بأبي أنت وأمي، أَتَمَشَّى لك وَأُغَنِّيكَ، قال: بلى يا طويسُ، فأخذ ملحفة فأتزر بها، وأرخى لها ذنبين، ثم أخذ المُرَبَّعُ(٣) فَتَمَشَّى وَغَنَّى: (٤) [المديد]

[ص ٢٧]

يا خليلي نابني سَهَدِي ... لم تَنَمْ عيني ولم تَكَدِ(٥)

كيف تلحوني على رَجُلٍ ... ابنه تَلْتَذُّهُ كبدي(٦)

---

(١) في الأصل: (المعفاف) والعناق: الأنثى من أولاد المعز والغنم من حين الولادة إلى تمام الحول.

(٢) في الأصل: هذه المطر. [المراجع].

(٣) المربع: آلة من آلات الطرب، ولعله الدف، وكان طويس يجيد النقر بالدف.

(٤) الأبيات لفارعة أخت حسان بن ثابت أو خولة بنت ثابت، او ابن زهير المخنث كما في الأغاني ٣/ ٣٤ و ٣٥.

(٥) في الأصل سُهْدِي. وسُهْد وسَهَد مصدران. والصواب هنا (سَهَد) بفتحتين لمناسبة الوزن والقافية [المراجع].

(٦) في الأغاني: (أَنِسٍ تَلْتَذُّهُ كبدي). قال المراجع ولاتصح رواية الأصل لأنها مصحّفة.

قال: فطرب القوم، وقال: أحسنت والله يا طويس، ثم قال: يا سيدي أتدري لمن هذا الشعر؟ قال: لا أدري لمن هو، إلا أني سمعت شعراً حسنا، قال: هو لفارعة بنت ثابت [أخت حسان بن ثابت] وهي تتعشق عبدالرحمن بن الحارث بن هشام، فنكس القوم رؤوسهم، وضرب عبدالرحمن رأسه [على صدره] فلو شُقَّتْ له الأرض لَدَخَلَ فيها.

قال المدائني حُدِّثْتُ أن طويساً تبع جارية فردعته، فلم ينقطع عنها، فلما جاوزت مجلس قوم وقفت وقالت: يا هؤلاء، لي صديق ولي زوج ولي مولى، فسلوا هذا ما يريد مني؟ قال: أَضَيِّقُ ما وَسَّعُوه.

قال المدائني: وكان طويس مولعا بالشعر الذي قالته الأوس والخزرج في حروبهم، فَقَلَّ مجلسٌ اجتمع [فيه] هذان الحيان فغنى طويس إلا وقع فيه شر.

قال المدائني: قدم ابن سُريج المدينة، فجلس يوما في جماعة وهم يقولون: أنت والله أحسن الناس غناء، إذ مر بهم طويس فسمع قولهم، فاستلَّ دُفَّهَ ونقره وَغَنَّى: (١) [مجزوء الكامل]

إن المُخَنَّثَةَ التي ... مَرَّتْ بنا قَبْلَ الصَّبَاحِ
في حُلَّةٍ مَوشِيَّةٍ ... يمنيةٍ غَرْثَى الوِشَاحِ (٢)
زَيْنٌ لمشْهَدِ فِطْرِهم ... وتزينهم يوم الأضاحي

فقال ابن سريج: هذا والله أحسن الناس غناء لا أنا.

(١) الشعر لابن زهير المخنث في الأغاني ٣/ ٣٧. في الأغاني: (إن المجنَّبة)، والمجنَّبة: الكثيرة من الخير والشر.

(٢) في الأغاني: «مكّية غرثى الوشاح» [المراجع].

٦-يَزِيْد حَوْرَاء [١]

كان مطرباً لو مزج بغنائه الماء لأسكر، أو قُرع به المساء لما تنكر[٢]، أو قُرن به القدماء وأنصف لم يكن معه أحد يذكر، ولهذا حُسِدَ حتى تُحُيِّلَ[٣] عليه وتوصِّلَ إلى ما لديه، فأخذ ما كان به يمتاز، وترك ما عنده شيء أحد يعتاز وعلى هذا كان مُقَدَّماً، وكان سامعه كأنما يفتح منه إناء مُفَدَّماً[٤]. قال أبو الفرج: قدم على المهدي في خلافته فغناه، وكان حسن الصوت، مليح الشمائل، فذكر ابن خُرداذبة [أنه بلغه أن] إبراهيم الموصلي حسده على شمائله وإشاراته في الغناء، واشترى عِدَّةَ جوارٍ وشاركه [ص ٢٨] فيهن، وقال له: علمهن الغناء فما رزق الله من ربح فهو بيننا، وَأْمُرْهُنَّ [أن] يجعلن وكْدَهُنَّ [٥] أخذ إشاراته، ففعلن ذلك، وكان إبراهيم يأخذ عنهن [٦] هو وابنه ويأمرهن بتعليم كل من يعرفنه ذلك حتى شهرها في الناس، فأبطل عليه ما كان منفرداً به في ذلك.

قال إسحاق، قال يزيد حوراء: كنت أجلس بالمدينة على أبواب قريش وكانت تَمُرُّ بي جارية تختلف إلى الزرقاء تتعلم منها الغناء، فقلت لها يوما افهمي قولي وَرُدِّي جوابي، وكوني عند ظني، فقالت: هات ما عندك، فقلت: بالله ما اسمك؟ قالت: مُمَنَّعَة، فأطرقتُ طِيرَةً [٧] من اسمها مع طمعي فيها، ثم

(١) يزيد حوراء: مغنٍ من الموالي من طبقة إبراهيم الموصلي، ولد ونشأ بالمدينة، ورحل إلى العراق فاتصل بالمهدي العباسي، وعاش زمنا من أيام الرشيد، وكان الرشيد يسر منه، ومرض فبعث إليه الرشيد خادمه مسروراً يعوده، وكان صديقا لأبي العتاهية، وله غناء ببعض شعره مات ببغداد سنة ١٨٥ هـ. (الأغاني ٢٤٨٣/ - ٢٥٣).

(٢) في الأصل :« لما تنكر به » و« به » مقحمة من الناسخ وسهو [المراجع].

(٣) في الأصل: « يحيل عليه » والوجه ما أثبت [المراجع].

(٤) في الأصل معدما وصوبته. والفِدام مايوضع على الإناء سِداداً له [المراجع].

(٥) الوكد: القصد والهمُّ والمراد.

(٦) أي إشارات يزيد حوراء.

(٧) طيرة: أي متطيِّراً والتطيّر: التشاؤم.

قلت: [بل] باذلة أو مبذولة إن شاء الله، فاسمعي مني، فقالت وهي تبتسم: إن كان عندك شيء فقل، فقلت: [الطويل][1]

لِيَهْنَكِ مِنّي أنّني لستُ مُفْشِياً هواكِ إلى غيري ولو مُتُّ مِنْ حُبّي
ولا مانحاً خلقاً سواكِ مودّةً ولا قائلا ما عِشْتُ من حُبِّكُمْ حَسْبِي

قال: فنظرت إليَّ طويلاً، ثم قالت: أُنْشِدُكَ اللّهَ أَعَنْ فَرْطِ مُحَبَّةٍ أو اهتياج غلمةٍ؟ فقلت لا والله إلا عن فرط محبة، فقالت: [الطويل]

فوالله رَبِّ النَّاس لا خُنْتُكَ الهَوَى ولا زِلْتَ مَخْصُوصَ المحبَّةِ مِنْ قَلْبي
فَثِقْ بي فإني قد وَثِقْتُ ولا تَكُنْ على غيرِ ما أظهرتَ لي يا أخا الحبِّ[2]

قال: فوالله لكأنما أَضْرَمْتِ في قلبي ناراً، فكانت تلقاني في الطريق الذي كانت تسلكه فتحدثني وأتفرج[3] بها، ثم اشتراها بعض أولاد الخلفاء، وكانت تكاتبني وتلاطفني دهراً.

قال عبدالله بن العباس الربيعي: كان يزيد حوراء نظيفاً ظريفاً حسن [الوجه] شكلا، لم يقدم علينا من الحجاز أظرف ولا أشكل منه، وكان يتعصب لإبراهيم الموصلي على ابن جامع، وكان إبراهيم يرفع منه ويشيع ذكره بالجميل وَيُنَبِّهُ على تَقَدُّمِه وإحسانه، وكان يبعث ابنه إسحاق يأخذ عنه، وكان يزيد صديقاً لأبي مالك التميمي الأعرج، ولا يكاد يفارقه، فمرض يزيد مرضا شديداً، فَاغْتَمَّ عليه الرشيد وبعث مسروراً مرات يسأل عنه، ثم مات، فقال أبو مالك:[4] [الخفيف]

---

(١) الشعر ليزيد حوراء في الأغاني ٣/٢٥٢ وفيه: ولو مت من كربي

(٢) في الأصل: (يا أخ الحب).

(٣) أتَفَرَّجُ بها: أَتَسَلَّى بها، أي يُفَرِّجُ بها همومه.

(٤) الأغاني ٣/ ٢٥٠.

لَمْ يُمَتَّعْ مِنَ الشَّبابِ يزيدُ صَارَ في التُّربِ وَهُوَ غَضٌّ جديدُ
فَكَأنْ لم يَكُن يزيدُ ولم يَشْـ ـجُ نَديماً يَهُزُّهُ التَّغْرِيْدُ

٧- عَبْدُالرَّحمن الدَّقَّاف (١)

كان مُغَنِّيا مُغْنِيَاً، ومقربا للسُّرور مُدْنِياً، كان يحيي أطايب الطرب ويدني غرائبَ الرَّغبِ، لظرفه إلى القلوب خلوصٌ، وبطربه مثل رقص القلوص ما طرب وأبقى من أرب إلا أن الجِدَّ لم يُقِلْ من عِثَارِه، ولم يُقِدْ ظباء الجلميين لأخذ ثاره.

قال أبو الفرج: كان منقطعاً إلى علي بن المهدي المعروف بريطة، قال عبدالصمد بن المعذل: غَنَّتْ جارية يوماً بحضرة الرشيد: (٢) [المنسرح]

قُلْ لِعَلي يا فَتَى الْعَرَبِ وَخَيْرَ نامٍ وَخَيْرَ مُنْتَسِبِ
أعلاكَ جَدَّاك يا عليُّ إذا قَصَّرَ جَدٌّ عن ذروةِ النَّسَبِ

فأمر بضرب عنقها، فقالت: يا سيدي وما ذنبي؟ هذا الصوت عُلِّمْتُه والله وما أدْرِي من قاله، ولا فيمن قِيْلَ، فَعَلِمَ صِدْقَهَا، فقال لها: عمَّن أَخَذْته؟ قالت: عن عبدالرحمن الدَّقَّاف، فأمر بإحضاره وقال: يا عاضَّ بظرَ أُمِّه، تُغَنِّي في شعر تفاخِرُ [فيه] بيني وبين أخي؟ جَرِّدُوه، فَجَرَّدُوه عن ثيابه، ودعا له بالسياط

(١) في الأصل: (عبدالرحمن الدف) في الأغاني: عبدالرحيم الدفاف، وهو عبدالرحمن بن الفضل الكوفي يكنى أبا القاسم وقيل هو عبدالرحيم بن سعد، وقيل عبدالرحيم بن الهيثم بن سعد، مولى الأشعث بن قيس، وقيل هو مولى خزاعة، كان أيام هارون الرشيد، وكان منقطعا إلى علي بن المهدي المعروف بابن ريطة بنت أبي العباس. الأغاني ٣/ ٢٦٤ - ٢٦٧.

(٢) الأغاني ٣/ ٢٦٥. والبيتان في الأغاني برواية (وخير أنام وخير مكتسب).

فضرب بين يديه مئة سوط [١].

قال عبدالرَّحمن: دخلت يوما على [عليِّ بن] ريطة، وستَارتُهُ منصوبة، فَغَنَّتْ جاريته: [٢] [الطويل]

أُناسٌ أمِنَّاهم فنمُّوا حديثَنَا ... فلما كَتَمْنَا السِّرَّ عَنْهمُ تَقَولَّوا

فقلتُ له: أرأيت إن غنَّيتُك هذا الصوتَ وفي[٣] تمامه زيادة بيت آخر [٤] أيُّ شيء لي عليك؟ قال: خِلْعَتِي [٥] هذه، فغنَّيتُه:

فلم يحفظوا الوُدَّ الذي كان بيننا ... ولا حين هَمُّوا بالقطيعة أجْمَلُوا

قال: فنزع خلعته فجعلها عليَّ، وأقمتُ عنده بقَّيةَ يومي على عربدة كانت فيها.

٨- ابن مِسْجَح [٦]

سابق أغرُّ وسارق ما غرّ، أول من تفطن لغناء فارس، وكان له في بلاد العرب الفارس إلى بر من العجم[٧]، وألقى سمعه إلى أصواتها، وابتزَّ أرواح طربها من

(١) في الأغاني: (خمس مئة سوط).

(٢) البيت مع ثان للعباس بن الأحنف في ديوانه ص ٢٣٠ ط دار الكتاب العربي بيروت ١٩٩٧ .

(٣) في الأصل: «وفيه تمامه». والتصويب من الأغاني [المراجع].

(٤) في الأصل: (بيت أخرى).

(٥) في الأصل: (جعلتي) وهو تحريف.

(٦) ابن مسجح: سعيد بن مسجح أبو عثمان مولى بني جُمَح، ملحن من كبار المغنين، كان أسود من أهل مكة، رحل إلى الشام فأخذ ألحان الروم، وانتقل إلى فارس فنقل غناءها إلى غناء العرب، وعاد إلى الحجاز، فأهمل مالم يستسغه من النبرات والنغم في غناء الفرس والروم، وجعل لنفسه مذهبا في التلحين تبعه فيه الناس من بعد، وكان من تلاميذه ابن سريج والغريض، توفي ابن مسجح في نحو سنة ٨٥ هـ. (الأغاني ٣/ ٢٧٦ ط دار الكتب).

(٧) وتُقرأ احتمالاً: «بلاد العرب الفارس أتى زمر العَجم..» [المراجع] .

لهواتها، ونقل ما تَصَوَّرَ في خاطره من تلك الصور الأعجمية والتماثيل التي لا تُرى للعيون العميَّة، إلى أن أبرزها عُرباً أبكاراً، وأسكنها أسماعاً وأفكاراً، وأدارها شمولاً لا يسمع عليها إنكاراً، ثم منه أدهقت آنيتها(١)، وسمعت قاصيتها [ص ٣٠] ودانيتها.

قال أبو الفرج، قال هاشم بن المُرِّيَّة: إن أول من غنى هذا الغناء العربي بمكة ابن مسجح، وذلك أنه مَرَّ بالفرس وهم يَنُصُّون(٢) المسجد الحرام، فسمع غناءهم بالفارسية، فنقله في شعر عربي، وهو الذي عَلَّم الغريض وابن سريج. قال: وهو أول من غنى الغناء الثقيل، وعاش ابن مسجح حتى لقيه معبد وأخذ عنه في أيام الوليد بن يزيد بن عبدالملك. قال دحمان [الأشقر]: كنت عاملاً لعبدالملك بن مروان بمكة، فقيل إن رجلاً يقال له ابن مسجح قد أفتن فتيان قريش فأنفقوا عليه أموالهم، فكتب إليه: أن اقبض مَالَه وسَيِّرْهُ، ففعل، وتوجه ابن مسجح إلى الشام، فصحبه رجل له جوارٍ مغنيات في طريقه، فقال له: أين تريد؟(٣)، فأخبرهُ خبره، وقال: أريد الشام، قال له: فكن معي، فصحبه حتى بلغا دمشق، فدخلا مسجدها، فسألا عن أخص الناس بالامير قالوا: هؤلاء النفر من قريش من بني عمه، فوقف ابن مسجح عليهم، وسلم ثم قال: يا فتيان، هل فيكم من يضيف رجلا غريبا من أهل الحجاز؟ فنظر بعضهم إلى بعض وكان عليهم موعد أن يذهبوا إلى قَيْنَة يقال لها بَرْقُ الأفق فتثاقلوا به إلا فتى منهم تذمَّم(٤)، فقال: أنَا أُضِيفُك، وقال لأصحابه: انطلقوا أنتم وأنا أذهب مع ضيفي، قالوا: بل تجيء

---

(١) في الأصل: « أنينها » [المراجع].

(٢) ينصون: أي يرفعون وينصبون ويبنون، وفي الأغاني: (يبنون)

(٣) في الأصل: (يقال له يزيد) وهو تصحيف والمعنى يستقيم بما أثبتناه وهي رواية الأغاني.

(٤) تذمم: خاف الذم وخشي اللوم.

معنا أنت وضيفك فذهبوا جميعا إلى بيت المغنية، فلما أتوا بالغداء قال لهم سعيد:[١] إني رجل أسود ولعل فيكم من يقذرني، فأنا أجلس فآكل ناحية، فاستحيوا منه، وبعثوا له بما أكل، فلما صاروا إلى الشراب قال لهم مثل ذلك، ففعلوا، وأخرجوا جاريتين فجلستا على سرير قد وضع لهما، فغنتا إلى العشاء، ثم دخلتا، وخرجت جارية حسنة الوجه والهيئة وهما معها فجلست على السرير، وجلستا أسفل منها على يمين السرير وشماله، قال ابن مسجح: فتمثلت بهذا البيت:[٢] [الطويل]

فَقُلْتُ أصُبْحٌ أم مصابيحُ بِيْعَةٍ   بَدَتْ لك خَلْفَ السَّجْفِ أم أنتَ حالمُ

فغضبت الجارية وقامت وقالت: أيضرب مثل هذا الاسود فيّ الأمثال؟ فنظروا إليّ نظراً منكراً، ولم يزالوا بها [يسكنونها] حتى غَنَّت، فقلت: أحسنت والله، فغضب مولاها فقال: مثل هذا الأسود يقدم على جاريتي! فقال الرجل الذي أنا عنده: قم فانصرف [ص ٣١] إلى منزلي فقد ثَقُلْتَ على القوم، فذهبت لأقوم، فتذمم القوم وقالوا: بل أَقِمْ وأَحْسِنْ أَدبك، فأقمتُ، وغنَّتْ، فقلت: أخْطَأتِ وَأسأْتِ، ثم اندفعتُ فغنيتُ الصوت، فقالت الجارية: هو والله أبو عثمان سعيد ابن مسجح، فقلت: إي والله أنا هو، ووالله لا أقيم عندكم، فوثب القرشيون، فقال هذا: تكون عندي، [وقال هذا تكون عندي]، فقلت: لا والله لا أقيم إلا عند سيدكم ـ يعني الرجل الذي أنزله عنده ـ وسألوه عمّا أقدمه، فأخبرهم الخبر، فقال له صاحبه: أنا أسمر الليلة عند أمير المؤمنين، فهل تحسن أن تحدو[٣]؟

فقلت لا والله، ولكني أصنع حداء، قال له: إن منزلي بحذاء أمير المؤمنين فإن وقعت منه على طيب نفسه أرسلت إليك، ومضى إلى عبدالملك، فلما رآه طَيّبَ

---

(١) سعيد: اسم ابن مسجح.

(٢) البيت في الأغاني ٣/ ٢٨٠.

(٣) الحداء: الغناء للإبل.

النفس أرسل إلى ابن مسجح، فأخرج رأسه من وراء شُرَفِ القصر، ثم حدا، فقال [عبد] الملك للقرشي: من هذا، قال: رجل حجازي قدم عليَّ، قال: أحضره، فأحضره فقال له: احْدُ، فحدا، فقال له: هل تغني غناء الركبان؟ قال: نعم، قال: غنِّه فغنى فاهتز عبدالملك طرباً، ثم قال: أقسم إن لك في القوم اسماً كبيراً، فمن أنت؟

قال: أنا المظلوم، المقبوض ماله، المُسَيَّرُ عن وطنه سعيد بن مسجح، قبضَ مالي عاملُ الحجاز ونفاني، فتبسم عبدالملك ثم قال: قد وضح عذر فتيان قريش أن ينفقوا عليك أموالهم، وَأَمَّنَهُ وَوَصَلَهُ، وكتب إلى عامله برَدِّ ماله وأن [لا] يعرض له.

قال: ومن غنائه القديم الذي صنعه:(١) [الكامل]

أسلامُ إنّكِ قد ملكت فأسجحي ... قد يَمْلكُ الحرُّ الكريمُ فيُسْجحُ
مُنّي على عان أطلت عَنَاءَهُ ... في الغُلِّ عندك والعُناةُ تُسَرَّحُ (٢)
إني لأنصحكم وأعلم أنه ... سيان عندك من يغش وينصح
وإذا شكوتُ إلى سَلامةَ حُبَّها ... قالتْ أَجِدٌّ منْكَ ذا أم تَمْزَحُ؟

٩- عَطَرَّد (٣)

وكانَ عَطَرَّدُ عطارديّاً لبقاً ذكياً ارضياً سماوياً، كأنّه(٤) خلق للسرور وخُبِّئَ لبلابل الصدور، وكان رحيب الباع، كثير الأتباع، لو لاطف الصخر لذاب، ولو

(١) الأبيات للأحوص في ديوانه ص ١٠٨ ـ ١٠٩ تحقيق عادل سليمان.

(٢) في الأصل: (من يغش وينصح) وهو تكرار لآخر البيت بعده سهواً.

(٣) عطرد: أبو هارون مولى الأنصار، ثم مولى بني عمرو بن عوف، وقيل: إنه مولى مزينة، مدني كان ينزل قباء، كان جميل الوجه، حسن الغناء طيب الصوت، جيد الصنعة، حسن الرأي والمروءة فقيها قارئا للقرآن، وكان يغني مرتجلا، وأدرك دولة بني العباس وبقي إلى أيام الرشيد. (الأغاني ٣/٣٠٠ ـ ٣٠٦).

(٤) في الأصل: كان. [المراجع].

حضر يوم الفراق لطاب، لو غَنَّى للجواد الممتدِّ في طَلْقِهِ لصفن (١)، او للميت ـ استغفر الله ـ لقام ينفض الكفن(٢)، لا يلذ إلا به الغزل، ولا يعد أحد من طبقته إلا إذا نَزل.

قال **أبو** الفرج، قال [ص ٣٢] إسحاق: كان جميل الوجه حسن الغناء، جيد الصنعة، طيب الصوت، حسن الرأي، فقيهاً قارئاً للقرآن، وكان يغني مرتجلاً، وأدرك دولة بني العباس، وبقي إلى ايام الرشيد، وكان مُعَدَّلَ الشهادة بالمدينة.

قال إسحاق: ولي مسلمة بن عبَّاد القضاء بالبصرة، فقصد ابنه عباد بن مسلمة عطرداً وهو بها مقيم، قد قصد آل سليمان بن علي وأقام معهم، فأتى بابه ليلا فدقَّ عليه، ومعه جماعة من أصحابه أصحاب القلانس، فخرج عَطَرَّد إليه، فلما رآه ومن معه ارتاع، فقال لا تُرَعْ (٣): [الكامل]

إنِّي قـــصـــدتُ إليك مِنْ أهلي ... في حـاجـةٍ يأتي بهـا مـثلي (٤)

قال :وما هي أصلحك الله؟فقال:

لا طالبـاً شـيـئـاً إليك سـوى ... «حيٍّ الحـمـولَ بجـانب العـزلِ» (٥)

قال عطردَّ: [انزلوا] على بركة الله، ولم يزل يغنيهم هذا وغيره حتى أصبحوا.

---

(١) طلق الفرس: شوطه في سرعته، وصفن: أي قام الفرس على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابعة. أي لو كان الجواد مغيراً لوقف ساكنا.

(٢) في الأصل: ينفض الكفّ. [المراجع].

(٣) لا تُرَعْ: أي لا تخف، من الروع وهو الفزع.

(٤) البيت كما في سياق الأغاني لعباد بن سلمة. الأغاني ٣/ ٣٠٠.

(٥) عجز البيت لامرئ القيس بن عابس، وقيل لامرئ القيس بن حجر وهو من قصيدة في ديوان امرئ القيس ص ٢٣٦ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط دار المعارف ـ مصر ١٩٨٤ وانظر الأغاني ٣/ ١٠٣، ٣٠٥.

قال: ولي زيد الهاشمي المدينة، فأمر بأصحاب الملاهي فحبسوا، وَحُبِسَ عطرَّدُ فيهم، وحضر لعرضبهم، وشفع في عطرَّد رجال من المدينة وأخبروه أنه من أهل الدين والمروءة، فَخَلّى سبيله، وخرج فإذا هو بالمغنّين قد أحضروا ليعرضوا، فرجع إليه عطرَّدُ فقال: أصلح الله الأمير، أعلى الغناء حبست هؤلاء؟قال نعم، قال: فلا تظلمهم فوالله ما أحسنوا شيئا منه قط، فضحك وأطلقهم جميعا.

١٠- الأبْجَرُ (١)

وكان ذا طرب يفرط في لجاجته، ويلهي العجول عن حاجته، ينهب حَبّات(٢) القلوب نهباً، ويأخذ حباء الملوك غصباً، لو تَغَنَّى سَاعَةَ عَرَفَةَ لألهى الحجيج، أو ثَبَّى يوم منى لأكثر الضجيج، لو قدمت الخمس الظوامي وهو يترنم إلى الماء، لطوت جوانحها على الغلل الظماء(٣)، وكان لا يرى إلا في هيئةٍ تَسُرُّ المُبْصِر، وَتُسَوِّلُ للغويّ(٤) أنه لا يقصر.

قال أبو الفرج، قال إسحاق: لم يكن أحد أظرف منه، ولا أحسن هيئة منه، كانت حلته بمائة دينار، وكان يقف بين المأزمين (٥) ويرفع صوته، فيقف الناس له ويركب بعضهم بعضا.

---

(١) الأبجر: هو عبيد الله بن القاسم بن ضبية، وقيل اسمه: محمد بن القاسم بن ضبية ويكنى أبا طالب، مولى لكنانة ثم لبني بكر، وقيل مولى لبني ليث، وكان يلقب بالحسحاس، كان ظريفا حسن الهيئة مترفاً، كان بمكة ثم خرج إلى مصر فمات بها. (الأغاني ٣/ ٣٤٠ ـ ٣٤٥).

(٢) في الأصل: «جنات» .[المراجع].

(٣) في الأصل: «الظلماء» وهو من تصحيف الناسخ. والغُلل جمع الغلة: شدّة العطش. [المراجع].

(٤) في الأصل اللغوي. والغوي: ذو الغواية، المُسْتَهتر في مايعمل [المراجع].

(٥) المأزمان: موضع بمكة بين المشعر الحرام وعرفة، وهو شعب بين جبلين يفضي آخره إلى بطن عُرْنَةَ، والمأزم: الطريق الضيق بين الجبال (ياقوت: المأزمان)

قال إسحاق: جلس الأبجر في ليلة اليوم السابع من أيام الحج على قرب من التنعيم (١)، فإذا عسكر جَرَّار قد أقبل في آخر الليل، وفيه دواب تُجْنَبُ وفيها [ص٣٣] فرس أدهم [سرج] حليته ذهب، فاندفع يُغَنِّي: (٢) [الطويل]

عَـرفتُ ديارَ الحيِّ خـاليـةً قَـفْـرا كـأنَّ بهـا لما توهَمْـتُـهَـا سَطْرَا

فلما سمعه من في القباب والمحامل أمسكوا، وصاح صائح: ويحك أعد الصوت، فقال: لا والله، إلا بالفرس الأدهم، بسرجه ولجامه وأربعمائة دينار، وإذا الوليد بن يزيد صاحب العسكر، فنودي أين منزلك؟ ومن أين أنت؟ قال: أنا الأبجر، ومنزلي على رأس زقاق الخرازين، فغدا إليه رسول الوليد بذلك الفرس وأربعمائة دينار وتخت من ثياب وشي وغير ذلك، ثم أتى به الوليد فأقام عنده وقام مع أصحابه عشية التروية (٣)، وهو أحسنهم هيئة وخرج معه إلى الشام.

قال عمر بن حفص بن كلاب: كان الأبجر مولانا، وكان إذا قدم المدينة نزل علينا، فقال لنا يوماً: أسمعوني غناء ابن عائشتكم هذا، فأرسلنا إليه فجمعنا بينهما في بيت ابن هفان (٤)، فغنَّى ابن عائشة، فقال الأبجر: كل مملوكٍ لي حر إن غنَّيْتُ معك إلا بنصف صوتي (٥)، ثم أدخل إصبَعَهُ في شِدْقِـهِ، ثم غَنَّى، فسمع صَوْتَهُ مَنْ في السوقِ فَحُشِرَ النَّاسُ علينا، فلم يفترقا حتى تشاتما، قال: وكان ابن عائشة حديداً(٦) جاهلاً.

---

(١) التنعيم: موضع بمكة في الحل، وهو بين مكة وسرف على فرسخين من مكة وسمي بذلك لأن جبلا عن يمينه يقال له نعيم، وآخر عن شماله يقال له ناعم، والوادي نعمان (ياقوت: التنعيم).

(٢) الأغاني ٣/ ٣٤٢.

(٣) عشية التروية: عشية اليوم الثامن من ذي الحجة.

(٤) في الأغاني: (ابن هبّار).

(٥) في الأصل: (بنصف صوته).

(٦) الحديد: السريع الغضب، ليس حليماً.

قال إبراهيم بن المهدي: حدثني ابن أشعب عن أبيه قال: دعا الوليد بن يزيد ذات يوم المغنين، وكنت نازلاً معهم، فقلت للرسول: خذني معهم، قال: لم أُؤْمَرْ بذلك، وإنما أُمِرْتُ بإحضار المغنِّينَ، وأنت بَطَّالٌ [١] لا تدخل فيهم، فقلت له: والله أنا أحسن غناءً منهم، ثم اندفعت فغنيت، فقال: لقد سمعت حسناً، ولكني أخاف، فقلت: لا خوف عليك ولك مع هذا شرط، قال: وما هو؟ قلت: كل ما أصبته فلك شطره، فقال للجماعة: اشهدوا عليه، فشهدوا، ومضينا فدخلنا على الوليد وهو خاثر [٢] النفس، فغناه المغنون في كل فن من ثقيل وخفيف، فلم يتحرك ولا نشط، فقام الأبجر إلى الخلاء، وكان خبيثا داهياً، فسأل الخادم عن خبره وبأي شيء هو خاثر النفس، فقال: بينه وبين امرأته كلام، لأنه عشق اختها فغضبت عليه، وهو إلى أختها أميل، وقد عزم على طلاقها ،وحلف لها لا يذكرها بمراسلة ولا بمخاطبة، وخرج على هذا الحال من عندها، وعاد الأبجر إلينا [ص٣٤] فما استقر به مجلسه حتى اندفع يغني: [٣] [الطويل]

فَبِينِي فإني لا أُبَالي وأَيْقِني تصاعَدَ باقي حُبِّكُمْ أم تصَوَّبَا
ألم تعلمي أني عَزَوفٌ عَنِ الهَوَى إذا صاحبي من غير شيءٍ تَغَضَّبَا

فطرب الوليد وارتاح، وقال: أصبت والله يا عبيد [الله] ما في نفسي، وأمر له بعشرة آلاف درهم، وشرب حتى سكر، ولم يحظ أحد بشيء سوى الأبجر، فلما أيقنت بانقضاء المجلس، وثبت وقلت: ياأمير المؤمنين إن أمرت من يضربني مئة الساعة، فضحك ثم قال:قبحك الله، وما السبب في ذلك؟ فأخبرته بقصتي مع الرسول، فأريد أن أُضرب مئة ويضرب بعدي مئة، فقال: لقد ألطفت، بل

(١) البطال: من اتبع طريق اللهو والجهالة.

(٢) خاثر النفس: أي يحس بفتور وتكسر، وخثرت نفسه: اختلطت وغثت.

(٣) البيتان لعبدالرحمن بن الحكم كما في الأغاني ٣/ ٣٤٥.

أعطوه مئة دينار، وأعطوا الرسول خمسين ديناراً من مالنا، عوض الخمسين التي[١] أراد أن يأخذها ابن اشعب، فقبضها وقمنا، فما حظي أحد بشيء غيري وغير الرسول[٢].

قال إسحاق: حُدِّثْتُ أن الأبجر أخذ صوتاً من الغريض ليلا، ثم دخل الطواف، فلقي عطاء بن أبي رباح يطوف، فقال له: يا أَبَا محمد اسمع صوتاً أخذته في هذه الليلة من الغريض، فقال له: ويحك، في هذا الموضع، فقال: كفرت برب هذه البنيّة لئن لم تسمعه مني سِرّاً إن لم أجهر به، فقال: هاته، فغناه:[٣] [السريع]

عُوجي علينا رَبَّةَ الهودجِ إنكِ إن لم تَفْعَلِي تَحْرَجي
في الحجِّ إن حَجَّتْ وماذا مِنىً وأهلُهُ إن هي لم تَحْجُجِ

فقال له عطاء: الخير كله في منى وأهله، حَجَّت أو لم تحجُّ فاذهب الآن.

قال: وخَتَنَ عطاء بنيه أو بني أخيه، فكان الأبجر يختلف إليهم ثلاثة أيام يغني [لهم].

١١- فَرِيْدَة [٤]

وكانت فريدة جمال، ووحيدة كمال، وبديعة حسن وإحسان، وفصيحة عودٍ ولسان، ربيبة خدر، وشبيهة بدر، ومتقنة لطرب، ومحسنة لا يقاس بها من

---

(١) في الأصل: (الخمسين الذي)

(٢) في الأصل: (وغير الأبجر) وهذا لا يصح لأن المتحدث هو الأبجر نفسه.

(٣) الشعر للعرجي في ديوانه ١٨٩ جمع الجبيلي ط صادر بيروت ١٩٩٨.

(٤) فريدة: قال أبو الفرج: هما اثنتان محسنتان لهما صنعة تسميان بفريدة فأما إحداهما وهي الكبرى، فكانت مولدة نشأت بالحجاز، ثم وقعت إلى آل الربيع فُعلِّمت الغناء في دورهم، ثم =

إذا أحسن كان قد ضرب، توقع الضرب فلا تِبينُ أناملُها اللمس، وتضرب بالدُّفِّ فلا يُظَنُّ إلا أن البدر في يد الشمس، ولع بها الواثق أشد الولوع، وكان يضنُّ بها على مَنْ بعده، ويُجرِي(١) الدموع.

قال أبو الفرج، قال علي بن يحيى المنجم: حدثني محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر قال: كانت لي في خدمة الواثق في كل جمعة نوبة،إذا حضرت، ركبت إلى الدار، فإن نشط للشرب [ص ٣٥] أقمت عنده، وإن لم ينشط انصرفت، وكان رسمنا ألا يحضر أحد منا إلا في يوم نوبته، فإني لفي منزلي في غير يوم نوبتي، إذا رسل الواثق قد هجموا عليَّ وقالوا لي: احضر، قلت: لخير؟ قالوا: خيراً إن شاء الله، فقلت: إن هذا يوم لم يحضرني فيه أمير المؤمنين قط، ولعلكم غلطتم، قالوا: الله المستعان، لا تُطِلْ وبادِرْ، فقد أمرنا أميرُ المؤمنين أن لا ندعك تستقر على الأرض، فداخلني فزع عظيم، وخفت أن يكون ساعٍ سعى عليَّ، أو بلية قد حدثت في رأي الخليفة فيَّ، فتقدمت لما أردت حتى وافيت الدار [فذهبت] لأدخل (٢) من حيث كنت أدخل، فمنعت، وأخذ بيدي الخادم، فعدلوا بي إلى ممرات لا أعرفها، فزاد ذلك من جزعي، ثم لم يزل [الخدم] يسلموني من خدم إلى خدم حتى أفضيت إلى دار مفروشة الصحن (٣)، ملبسة الحيطان بالوشي المنسوج بالذهب، ثم أفضيت إلى رواق أرضه وحيطانه ملبسة

=صارت إلى البرامكة، فلما قتل جعفر بن يحيى ونكبوا هربت وطلبها الرشيد فلم يجدها، ثم صارت إلى الأمين، فلما قتل خرجت فتزوجها الهيثم بن مسلم فولدت له ابنه عبدالله، ثم مات عنها فتزوجها السندري بن الحريش فماتت عنده وأما فريدة الأخرى فكانت حظية عند الواثق وأثيرة عنده، وكان عمرو بن بانة هو الذي أهداها إلى الواثق وكانت من الموصوفات المحسنات كانت حسنة الوجه حسنة الغناء حادة الفطنة والفهم، ولما مات الواثق تزوجها المتوكل. (الأغاني ٤/ ١١٩ ـ ١٢٥).

(١) في الأصل: «وتجري». والمراد: ويجري الواثق بما منَع الدّموع [المراجع].

(٢) في الأصل: (فدخل لأدخل) وهي مضطربة.

(٣) الصحن: الساحة وسط الدار.

كذلك، ثم نظرت فإذا الواثق في صدره على سرير مرصع بالجوهر، وعليه ثياب منسوجة بالذهب، وإلى جانبه فريدة جاريته عليها مثل ثيابه وفي حجرها عود، فلما رآني قال: جودت [١] والله يا محمد إلينا [٢]، فقبلت الأرض، وقلت: خيراً يا أمير المؤمنين، قال: خيراً، أما ترانا: طلبت والله ثالثا يؤنسنا، فلم أر أحق بذلك منك، بحياتي بادر وكُلْ شيئا وَعَجِّلْ إلينا، فقلت: قد والله يا سيدي أكلت وشربت آنفا، قال: فاجلس، فجلست، وقال: هاتوا لمحمد رطلا في قدح [فأحضرت]، فاندفعت فريدة تغني: [٣] [الطويل]

أهابُكَ إجــــلالاً ومـــا بكَ قُـــدْرَةٌ ... عليَّ ولكن مِلْءُ عينٍ حَـبِـيْـبُـهَـا
ومـــا هَـجَـــرَتْكَ النَّفْسُ أنَّكَ عندها ... قليلٌ ولكنْ قَلَّ مِنْكَ نَصِـيْـبُـهـا

فجاءت والله بالسحر، ثم إن الواثق جعل يحادثها في خلال ذلك وتغني الصوت بعد الصوت، وأغني أنا أيضا في خلال غنائها، فَمَّر لنا يوم حسن، ما مَرَّ لأحد مثله، فإنا لكذلك إذ رفع رجله فضرب بها صدر فريدة ضربة فدحرجها من السرير إلى الأرض، وتفتت عودها ومرت تصيح، وَبَقِيْتُ كالمنزوع الروح، لم أشك في أن عينه وقعت عليَّ، وقد نظرت إلى الأرض، وأطرقت أتوقع ضرب العنق، فأنا كذلك إذ قال: يا محمد، فوثبت قائما، فقال: ويحك، أرأيت ما اتفق علينا؟ قلت: يا سيدي، الساعة تخرج روحي، فقل لي، مَنْ أصابنا بالعين [ص٣٦] لعنه الله، وما كان السبب؟ قال: لا والله، ولكني فكرت أن جعفراً كان يقعد هذا المقعد، وتقعد معه كما هي قاعدة معي، فلم أطق الصبر، وخامرني ما

---

(١) جودت: أسرعت.

(٢) في الأصل (إلينا) مكررة مرتين.

(٣) البيتان من ثلاثة لنصيب بن رباح في ديوانه المجموع ص ٦٨ تحقيق داود سلوم ط بغداد ١٩٦٨ وفي حماسة أبي تمام ٢/ ١١٢ ط عسيلان ،الرياض ١٩٨١.

(٤) في الأصل: «إنّك»؛ والصَّواب «أنّك» بفتح الهمزة. وهي كذاك في الحماسة [المراجع].

أخرجني إلى ما رأيت، فَسُرِّيْ عني، وقلتُ: بل يُقْتَلُ جعفرُ ويحيا أمير المؤمنين أبداً وَقَبَّلْتُ الأرض وقلت: الله الله يا أمير المؤمنين ارحمها فأمر بردِّها، فقال لبعض الخدم الوقوف من يجيء بها، فلم يكن بأسرع من أن أقْبَلَتْ وفي يدها عودها، وعليها غير الثياب التي كانت عليها، فلما رآها جذبها إليه وعانقها، فبكت وجعل يبكي، واندفعت أنا في البكاء، وقالت: ما ذنبي يا مولاي، وبأي شيء استوجبت هذا، فأعاد عليها ما قاله لي وهو يبكي، فقالت: سألتك الله يا أمير المؤمنين إلا ضَرَبْتَ عُنُقي السَّاعةَ وأرحتني من الفكر في هذا، وأرحت نفسك من الهم، وجعلت تبكي ويبكي، ثم مسحا أعينهما، ورجعت إلى الغناء، وأومأ إلى خدم فمضوا وأحضروا أكياساً فيها عين وَوَرِقٌ (١)، ورزماً فيها ثياب كثيرة، وجاء خادم بدرج ففتحه فأخرج منه عقداً ما رأيت مثله قط فألبسها إيَّاهُ، وأُحْضِرَتْ بَدْرَةٌ (٢) فيها عشرة آلاف درهم فَوُضِعَتْ بين يديَّ، وخمسة تخوت (٣) ثياب، وعدنا إلى أمرنا، وإلى أحسن ما كنا فيه، فلم نزل كذلك إلى الليل، ثم تفرقنا.

وضرب الدهر من ضربه، وتقلد المتوكل الخلافة، فوالله إني لفي منزلي في غير يوم نوبتي، إذ هجم عليَّ رُسُلُ الخليفة، فما أمهلوني حتى ركبت وصرت إلى الدار، فَأُدْخِلْتُ والله الحجرة بعينها، وإذا المتوكل في الموضع الذي كان فيه الواثق بعينه، وعلى ذلك السرير، وإلى جانبه فريدة، فلما رآني قال: ويحك ما ترى ما نحن فيه من هذه! أنا من غدوةٍ أطلبها أن تغني فتأبى ذلك، فقلت: سبحان الله، تخالفين سيدك وسيد البشر، بحياته غني، فَضَرَبَتْ والله العظيم واندفعت

---

(١) العين: ما ضرب نقداً من الدنانير، والوَرِقُ: الفضة، مضروبة كانت أو غير مضروبة.

(٢) البدرة: كيس فيه مقدار من المال يتعامل به، ويقدم في العطايا، ويختلف باختلاف العهود.

(٣) التخوت: جمع تخت، وعاء تصان فيه الثياب.

تُغَنِّي: [1] [الوافر]

مــقـيـمٌ في ضـريح لا يُرَجَّى إيـابٌ مـنـهُ إلا فـي المعـادِ
فـلا تبـعُـدْ فكلُّ فـتىً سـيـأتي عليـه الموتُ يَطْرُقُ أو يغـادي

ثم رمت بالعود إلى الأرض، ورمت نفسها عن السرير، وقامت تعدو وهي تصرخ: وا سيِّداه، فقال [لي]: ويحك ما هذا؟ فقلت: ما أدري، قال: ويحك ما ترى؟ فقلت: أرى والله يا سيدي [ص ٣٧] أن أنصرف أنا وتحضر هذه ومعها عودها، وتحضر غيرها من الجواري، فإن الأمر يؤول إلى ما يحب أمير المؤمنين، قال: فَانْصَرِفْ في حفظ الله، فَانْصَرَفْتُ، ولم أدْرِ ما كانت القصة بعد ذلك.

١٢ - الدَّلالُ [2]

ألأمُ لئيمٍ، وأخبث زنيمٍ، وأقبحُ مؤنث مذكرٍ، وساع بين اثنين في منكر، سواء لديه شهوات الرجال والنساء، وبياض الصباح وظلمة المساء، قد انغمس في القبيح، وارتكز في الغش ذي النصيح[3]، كان يسلك المنهجين، ويهتك الفرجين، ويهلك في الزوجين مع الوقوع، فذهب مفتونا، وخلد في النار ملعونا.

قال أبو الفرج: لم يكن في المخنثين أحسن وجها، ولا أنظف ثوبا ولا أظرف

---

(١) البيتان لكثير عزة في ديوانه ص ١٣٨ - ٣٩ من قصيدة وفي الأغاني ٤/ ١٢٤ ورواية البيت الأول فيهما:

مقيم بالمجازة من قنونى وأهلك بالأجيفر والثِّمادِ

(٢) الدلال: اسمه ناقد وكنيته أبو زيد وهو مدني مولى بني فهم، قيل: لم يكن في المخنثين أحسن وجهاً ولا أنظف ثوبا ولا أظرف من الدلال، وهو أحد من خصاه ابن حزم، فلما فعل ذلك به قال: الآن تم الخنث والدلال مولى عائشة بنت سعيد بن العاص. (الأغاني ٤/ ٢٦٦ وما بعدها).

(٣) كذا العبارة كمارسمها الناسخ [المراجع].

من الدلال، وهو أحد من خصاه ابن حزم، فلما فعل ذلك به قال: الآنَ تَمّ الخنث. قال: وإذا تكلَّمَ أضحك الثكلى، وكان مُبْتَلَى بمخاطبة النساء(١)، فكان كل من أراد خطبة من امرأة جليلة سأله عنها وعن غيرها، ولايزال يصف له واحدة واحدة حتى ينتهي إلى ما يعجبه منهن.

قال مصعب الزبيري: أنا أعلم خلق الله بالسبب الذي من أجله خُصِيَ الدَّلال، وذلك أنَّه [كان] القادم يقدم المدينة فيسأل عن امرأة يتزوجها، فَيُدَلُّ على الدلال، فإذا جاء فقال صف لي من تعرف من النساء للتزويج، فلا يزال يصف واحدة واحدة حتى يوافق قوله، فيقول: كيف لي بذلك، فيقول: امهرها كذا وكذا، فإذا رضي بذلك، أتاها الدلال فقال لها: إني قد أصبت لك زوجا وهو هيئته ويساره، ولا عهد له بالنساء، وإنما قَدمَ [بلدنا] آنفا، ولايزال بذلك يُشَوِّقُها ويُحَرِّكُها حتى تطيعه، فيأتي الرجل فيعلمه أنَّهُ قد أحْكَمَ ما أراد، فإذا سُوِّيَ الأمرُ تزوجته الامرأة وقال لها: قد آن لهذا الرجل أن يدخل بك، والليلة موعده، وأنْتِ مغتلمة(٢) شبقة جامَّةٌ، فساعة يجامعك [يراك] قد دُفِعْتِ عليه مثل سيل العرم، فَيَقْذَرُكِ ولا يُعَاوِدُكِ، وتكونين(٣) من أشأم الناس على نفسك وعلى غيرك، فتقول: ما أصنع؟ فيقول لها: أنت أعلم بدواء فرجك ودائه، وما يسكن عليه، فتقول له، ما أعرف شيئا أشفى من الجماع، فيقول لها: إنْ لم تخافي من الفضيحة فابعثي إلى بعض الزنوج حتى يقضي بعض وطَرِكَ، ويكفُّ عاديَة فرجِكِ، فتقول له: ويلك، ولا كل هذا، فلا تزال المحاورة بينهما حتى

(١) في الأصل: «لمخاطبة الناس» وصوبتها كما ترى. وفي الأغاني« كان الدلال مبتلى بالنساء والكون معهن . . » فكأنَّه المؤلف أوضح المراد بإضافة« بمخاطبة » [المراجع].

(٢) المغتلمة والشبقة: الشديدة الشهوة، والجامة: التي لم تباشر، من جم الفرس وغيره جماماً: ترك الضراب فتجمع ماؤه.

(٣) في الأصل: «وتكونون» والخطاب للمفردة المؤنثة [المراجع].

يقول: فكما جاء عليَّ فأنا أقوم أخففك وإني إلى التخفيف أحوج، فتقول المرأة: هذا الأمر مستور [ص ٣٨]. فيجامعها، حتى إذا قضى لذته منها، قال لها: أما أنت فقد استرحت وأمنت العَيْب، وبقيت أنا. ثم يجيء إلى الزوج فيقول له(١): قد وعدتها أن تدخل إليك الليلة، وأنت رجل غريب عزب، ونساء أهل المدينة يريدون المطاولة، وكأني بك لما تقربها تفرغ وتقوم، فتبغضك وتمقتك، ولو أعطيتها الدنيا، ولا تنظر في وجهك بعدها، ولايزال في مثل هذا القول حتى يعلم أنه قد هاجت شهوته، فيقول: تطلب زنجية تجامعها مرتين أو ثلاثة حتى يسكن عليك، فإذا دخلت الليلة بأهلك لم تجد أمرك إلا جميلاً، فيقول له: أعوذ بالله من هذا الحال، زنا وزنجية؟ لا والله ما أفعل، فإذا أكثر محاورته فيقول له: قم فافعل بي أنا حتى تسكن عليك غلمتك وشبقك، فيفرح، ويفعل ذلك مرة أو مرتين، فيقول له: قد استوى أمرك وطابت نفسك، فتدخل على زوجتك فتجامعها مجامعة تملأها سروراً ولذة، فيقرب المرأة قبل زوجها، والرجل قبل امرأته، فكان ذلك دأبه، فبلغ ذلك سليمان بن عبدالملك، وكان غيوراً، فأمر بأن يخصى هو وسائر المخنثين، وقال: إن هؤلاء يدخلون على نساء قريش ويفسدونهن، فورد الكتاب على ابن حزم [فخصاهم]. وقد قيل إن الذي هيج سليمان بن عبدالملك على ما فعله بمن كان بالمدينة من المخنثين أنه كان مستلقيا على فراشه في الليل، وجارية إلى جانبه، وعليها غلالة ورداء معصفران، وعليها وشاحان من ذهب، وفي عنقها فضلات من حب لؤلؤ وزبرجد وياقوت، وكان سليمان بها مشغوفا، وفي عسكره رجل يقال له سُمَيْرُ الأيلي يُغَنِّي، فلم يفكر سليمان في غنائه شغلا بها، وإقبالا عليها وهي لاهية عنه لا تجيبه مصغية إلى الرجل، حتى طال ذلك على سليمان، فحول وجهه مُغْضَبَاً، وعاد إلى ما كان من

(١) في الأصل: (فيقول لها) وهو سهو

همه بها، فسمع سُمَيْراً يغني بأحسن صوت وأطيب نغمة: [1] [البسيط]

محجوبة سَمِعَتْ صوتي فأرَّقَها ... من آخر الليل لما طَلَّها السَّحَرُ
تُدْني على جيدها رُدْنَيْ مُعَصْفَرَة ... والحلي فيها على لبَّاتها خَصِرُ
في ليلة النِّصفِ ما يَدْرِي مُضَاجِعُها ... أوَجْهُهَا عنده أبهى أم القَمَرُ
لو خُلِّيَتْ لَمشَتْ نحوي على قدمٍ ... تكادُ مِنْ رِقَّةٍ لِلمشي تَنْفَطِرُ

قال: فلم يشكَّ سليمان أن الذي بها مما سمعت، وأنها تهوى سُمَيْراً، فوجه من وقته بمن أحضره ودعا [ص ٣٩] لها بالسيف والنطع، وقال لها: والله لتَصْدُقِنِّي، أو لأضربن عنقك، قالت: سلني عما تريد، قال: أخبريني عما بينك وبني هذا الرجل، قالت: والله ما أعرفه ولا رأيته قط، وأنا جارية منشئي الحجاز، ومن هنالك حُمِلْتُ إليك، والله ما أعرف بهذه البلاد أحداً سواك، فَرَقَّ لها، وأحضر الرجل فسأله عن مثل ذلك وتلطف في المسألة، فلم يجد بينه وبينها شائبة، ولم تطب نفسه بتخليته سوياً فخصاه، وكتب إلى جميع عمّاله بذلك.

قال: لما أَخصى المخنثين مَرَّ بابن أبي عتيق فقال: أخصيتم الدَّلال، والله لقد كان يجيد: [2] [مجزوء الوافر]

لمن رَبْعٌ بذاتِ الجيـ ... ـش أمسى دارساً خَلَقَا [3]

ثم رجع فقال: إنما أعني خفيفه، لست أعني ثقيله.

قال حمزة النوفلي: صَلّى الدَّلال المخنث إلى جانبي فضرط ضرطة هائلة سمعها من في المسجد فرفعنا رؤوسنا وهو ساجد يقول في سجوده رافعا صوته:

(١) الشعر في الأغاني ٤ / ٢٧٢ مع خلاف في الرواية.
(٢) البيت من قطعة لجعفر بن الزبير بن العوام في معجم البلدان ٢ / ٢٠٠ الجيش. والأغاني ٤ / ٢٧٣.
(٣) ذات الجيش: جعلها بعضهم من العقيق بالمدينة وهو أحد منازل الرسول إلى بدر (ياقوت: الجيش).

سبح لك أعلاي وأسفلي، فلم يبق أحد في المسجد إلا فُتِنَ وقطع صلاته بالضحك.

قال المدائني: اختصم شيعيٌّ ومُرْجِئيٌّ [١]، فجعل[٢]بينهما أول من يقطع[٣] حكما، فقطع الدلال فقال: يا أبا زيد،أيهما خير الشيعيُّ أم المَرْجِئيُّ؟

قال: لا أدري، إلا أن أعلاي شيعي وأسفلي مرجئ.

قال: قدم مخنث من مكة، فجاء الدلال فقال له: يا أبا زيد، دلّني [٤] على بعض مخنثي المدينة أكايده وأمازحه وأحادثه، قال: قد وجدته لك، وكان خُثَيْم بن غزال صاحب شرطة زياد بن عبيد الله جاره، وقد خرج في ذلك الوقت ليصلي في المسجد، فقال: الحقه في المسجد، فإنه يقوم فيه ليصلي ليرائي الناس، فإنك ستظفر بما تريد منه، فدخل المسجد وجلس إلى جانب ابن غزال، فقال: عجلي صلاتك لا صلى الله عليك، قال خثيم: سبحان الله، فقال المخنث: سَبحْت في جامعة [٥] فَرَّاجة، انصرفي حتى أتحدث معك، فانصرف خثيم من صلاته، وعاد بالشرط، فقال: خذوه، فأخذوه [فضربوه] مئة سوط وحبسوه.

قال إسحاق: صلى الدَّلال يوماً خلف الإمام بمكة فقال: «ومالي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون» [٦]، قال الدَّلال: لا أدري والله، فضحك أكثر الناس، وقطعوا الصلاة.

(١) الشيعة: من شيعة الإمام علي بن أبي طالب، والمرجئُ: من المرجئة وهم فرقة إسلامية لا يحكمون على أحد من المسلمين بشيء، بل يرجئون الحكم إلى يوم القيامة ومن أقوالهم: «إنه لا يضر مع الإيمان معصية، ولا ينفع مع الكفر طاعة».

(٢) في الأصل: «فجعل» والمثبت – وهو الصواب – في الأغاني [المراجع].

(٣) كذا بالأصل (يقطع) وقد تكررت، أي يقطع الطريق، وفي الأغاني (يطلع).

(٤) في الأصل: (إني)

(٥) جامعة: لعله يريد بها الغل يجمع اليدين إلى العنق.

(٦) سورة يس آية ٢٢.

قال: سأل رجل الدَّلال أن يزوجه امرأة فزوجه، فلما أعطاه صداقها وجاء بها إليه ودخل بها، فلما قام يواقعها ضرطت قبل أن يطأها، فكسل عنها ومقتها، وأمر بها فأخرجت، وبعث إلى [ص ٤٠] الدَّلال فعرفه ما جرى عليه، فقال له الدلال: فديتك هذا من عزة[١] نفسها.

فقال: دعني منك، فإني قد أبغضتها، فَارْدُدْ إليّ دراهمي، فردَّ بعضها فقال: لِمَ رددت بعضها، وقد خرجت كما دخلت؟ قال: للروعة التي أدخلتها على اسْتِهَا، فضحك وقال: أنت أقضى الناس وأفقههم.

قال: خرج الدَّلال يوماً إلى نزهة مع فتية، وكان معهم غلام جميل الوجه، وجلس يشرب، وسألوه أن يغنيهم فغناهم:[٢] [الطويل]

زبيــرِيَّةٌ بالعَــرْجِ منهَــا مَنَازِلٌ ... وبالخَـيْفِ من أدنى منازلهم رسمُ[٣]
أسـائِلُ عَنْهَـا كُلَّ ركبٍ لقِـيتُـهُ ... ومـالي بهـا من بعـد مكَّتِـهـا علمُ
أيا صـاحبَ الجـامـاتِ من بطن أَرْثُدٍ ... إلى النخلِ مِنْ ودَّان ما فعلت نُعْمُ[٤]
فـإن تَكُ حـربٌ بين قـومي وقـومِـهَـا ... فـإني لهـا في كل نَائرةٍ سِلْمْ[٥]

قال: فطرب القوم وصاحوا، فنذر بهم السلطان وتعادت[٦] الشُّرَطُ، فأحسوا

---

(١) في الأصل: « من غيرة »، والمثبت من الأغاني [المراجع].

(٢) الشعر في الأغاني ٤/ ٢٧٩.

(٣) العرج: قرية جامعة في واد من نواحي الطائف إليها ينسب العرجي الشاعر (ياقوت: العرج)
الخيف: ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء، ومنه سمي مسجد الخيف من منى، وهناك عدة مواضع نسبت إلى الخيف (ياقوت: الخيف).

(٤) أرثد: اسم واد بين مكة والمدينة في وادي الأبواء. ودان: قرية جامعة من نواحي الفرع (ياقوت: ارثد، ودان).

(٥) النائرة: العداوة والبغضاء.

(٦) تعادت: جاءت مسرعة.

بالطلب، فهربوا وَبَقِيَ الغلام والدَّلال ما يطيقان براحاً من فرط السكر، فأخذا وأُتِيَ بهما أمير المدينة، فقال للدَّلال: يا فاسق، قال: من فمك إلى السماء، فقال: يا عدو الله، وما وَسِعَكَ بيتُكَ حتى خرجت بهذا الغلام إلى الصحراء تفسق به؟ قال: لو علمت أنك تغار علينا وتشتهي أن نفسق به سراً ما خرجت به من بيتي. قال: جردوه واضربوه حدًّا، قال: وأي شيء ينفعك هذا، وأنا والله أضرب في كل يوم حدوداً، قال: ومن يتولى ذلك؟ قال: أُيورُ المسلمين، قال: ابطحوه واجلسوا على ظهره، قال: أحسب الأمير قد اشتهى أن يراني كيف أُناك، قال: أقيموه لعنه الله وأشهروه في المدينة مع الغلام، فَأُخْرِجَا يُدَارُ بهما في السِّكَك، فقيل له: ما هذا يا دلال، قال: اشتهى الامير أن يجمع بين الرأسين، فجمع بيني وبين هذا، ونادى علينا، ولو قيل له الآن إنَّك قَوّادٌ غضب، فبلغ خبره الوالي، فقال: خَلُّوا سبيلهما لعنة الله عليهما.

قال: كان سليمان بن عبدالملك يبلغه نوادر الدَّلال وطيبه وحديثه، فوجه مولى له وقال: جِئْني به سراً، فَنَفَذَ المولى إليه وأعْلَمَهُ ما أُمِرَ به، فخرج معه إلى الشام، فدخل على سليمان ليلاً، فقال: ويلك ما خبرك؟ قال: جُبِبْتُ من القبل مرة يا أمير المؤمنين، فهل تريد أن تجبني الكرة من الدُّبُرِ؟ فضحك [ص٤١].

وقال: اغرب أخزاك [الله]، ثم قال له: غَنِّ، فغنَّاهُ في شعر العرجي: (١) [الطويل]

أفي رسم دارٍ دَمْعُكَ المتحَدِّرُ ... سَفَاهاً وما استنطاقُ ما ليس يُخْبِرُ
تَغَيَّرَ ذاك الرَّبْعُ مِنْ بَعْدِ جِدَّةٍ ... وكلُّ جديدٍ مَرَّةً يتغَيَّرُ

(١) الشعر للعرجي في ديوانه ص ٢٢٣، والأغاني ٤/ ٢٨٢.

فقال له سليمان: حق لك يا دلال أن يقال لك أحسنت وأجملت، فوالله ما أدري أيٌّ أمريك أعجب، سرعة جوابك أم حسن غنائك وجودة فهمك، بل جميعا عجب، وأمر له بِصِلَةٍ سَنِيَّةٍ، وأقام عنده شهراً يشرب على غنائه، ثم سرحه إلى الحجاز.

قال: كان الدَّلال لا يشرب النبيذ، فخرج مع قوم إلى مُتَنَزَّهٍ لهم، ومعهم نبيذ، فشربوا وسقوه عسلاً مجدوحاً (١)، فكان كلما تغافل صبوا عليه نبيذاً، فلا ينكر حتى كثر ذلك وسكر وطرب، فقال: اسقوني من شرابكم، فسقوه حتى ثمل ونام عرياناً، فغطاه القوم بثيابهم وحملوه إلى منزله ليلاً فَنَوَّمُوهُ وانصرفوا عنه، فأصبح وقد تلوثت ثيابه، فأنكر نفسه، فحلف أن لا يُغَنِّي أبداً ولا يعاشر من يشرب نبيذاً، فوفى بذلك إلى أن مات، وكان يجالس المشيخة والأشراف فيفيض معهم في اخبار الناس وأيامهم حتى قضى نحبه.

١٣- أبو سَعِيد مَوْلى فَائِد (٢)

رجل حق وباطل، ودينه مُحَلَّى وعاطل، لم يحبط بمروءته الغناء، ولاأثَّرَ في مروءته الغناء، وكان على اشتهاره بالغناء ومداومته وإقامة شوقه ومقاومته من

(١) مجدوح: أي ممزوج

(٢) أبو سعيد: واسمه إبراهيم مولى فائد، وفائد مولى عمرو بن عثمان بن عفان، ويعرف في الشعراء بابن أبي سنة مولى بني أمية، وفي المغنين بأبي سعيد مولى فائد، وكان شاعراً مجيداً ومغنياً وناسكاً بعد ذلك، فاضلاً مقبول الشهادة بالمدينة معدّلاً، وَعمَّر إلى خلافة الرشيد، ولقيه إبراهيم بن المهدي، وإسحاق الموصلي وذووهما، وله قصائد جياد في مراثي بني أمية. (الأغاني (٤ / ٣٣٤ وما بعدها).

رجال أهل المدينة، عرضاً مصوناً وجناباً حصيناً، لا ينظر بعين نقيصة، ولا يرى إلا والمسامع على أصواته حريصة، فكان لا يرى مسؤولاً، ولا يبرح يداوي بريئاً ومتبولاً.

قال أبو الفرج الاصبهاني: ذُكِرَ أن أبا سعيد مولى فائد حضر مجلس محمد بن عمران التميمي قاضي المدينة لأبي جعفر المنصور، وكان مقدماً لأبي سعيد، فقال له: يا أبا سعيد، أنت القائل: (١) [الطويل]

لقد طُفْتُ سَبْعَاً قلتُ لما قَضَيْتُها ... ألا لَيْتَ هذا لا عليَّ ولا لِيَا
يسائِلُني صَحْبِي فما أَعْقِلُ الذي ... يقولون منْ ذِكْرٍ لليلى اعتَرَانِيَا

قال: لَعَمْرُ أبيك إنّي لقائله، وإني لأدمجه إدماجاً من لؤلؤ، فرد محمد بن عمران شهادته في ذلك المجلس، وقام أبو سعيد من مجلسه مُغْضَبَاً وحلف أن لا يشهد عنده [ص ٤٢] أبداً، فأنكر أهل المدينة رَدّ شهادته، وقالوا لابن عمران: عَرَّضْتَ حقوقنا للبَوَار وأموالنا للتَّلف، لأنا كنا نستشهد هذا الرجل لعلمنا ما كنت عليه، والقضاة من قبلك من الثقة به وتقديمه وتعديله، فندم ابن عمران على رَدِّ شهادته وَوَجَّهَ إليه فسأله حضور مجلسه والشهادة عنده ليمضي شهادته، فامتنع وذكر أنه لا يقدر على حضور مجلسه لِيَمِيْنٍ لَزِمَتْهُ، إن حَضَرَ حَنَثْ (٢)، قال: فكان ابن عمران إذا ادعى أحد عنده شهادة أبي سعيد، صار إلى منزله وإلى مكانه من المسجد حتى يسمع ويسأله عما يشهد به فيخبره، وكان محمد بن عمران كثير اللحم كبير العجز صغير القدمين دقيق الساقين، يشتد عليه المشي، وكان كثيراً ما يقول: لقد أتعبني هذا الصوت «لقد طُفْتُ سَبْعَاً» وأتعبني (٣)

(١) الشعر لأبي سعيد مولى فائد في الأغاني ٤/ ٣٢٥، ٣٢٧ وينسب إلى المجنون.

(٢) حنث في يمينه: لم يبر بها وأثم.

(٣) كذا بالأصل تكررت (أتعبني) مرتين.

وَأَضَـرَّ بِيْ إضـراراً طويلا، وأنا رجل ثـقـال بـترددي [١] إلى أبي سـعـيـد لأسـمـع شهادته.

وتمام الأبيات:

إذا جِئْتُ بابَ الشِّعْبِ شِعْبِ ابنِ عامرٍ ... فَأُقرئُ غزالَ الشِّعْبِ منّي سلاميَا [٢]
وقل لغَـزَالِ الشِّـعْبِ هل أنتَ تاركٌ ... لشِعْبكَ أَمْ هل يُصْبِحُ القلبُ ثاويَا [٣]
لَقَـدْ زادني الحُـجَّـاجُ شـوقـاً إليكم ... وإنْ كنـت قُـبلَ اليـوم للحَجِّ قـاليَـا
وَمَـا نَظَرَتْ عـيني إلى وجـهِ قـادمٍ ... من الحَجِّ إلا بَلَّ دمـعي رِدَائِيَـا

قال إسحاق: حججت مع الرشيد، فلما قربت من مكة استأذنته في التقدم، فأذنَ لي، فدخلت مكة، فسألت عن أبي سعيد مولى فائد، فقيل لي هو بالمسجد الحرام، فأتيت المسجد فَدُلِلْتُ عليه، فإذا هو قائم يصلي، فجلست قريبا منه، فلما فرغ قال: يا فتى ألك حاجة؟ قلت: نعم، تغنيني «لقد طفت سبعاً»، فقال لي أو أغنيك أحسن منه؟ قلت: أنت وذاك، فاندفع يغني شعره: [٤] [الخفيف]

إنَّ هـذا الطـويـلَ مِنْ آلِ حَـفْصٍ ... نَشَـرَ المجـدَ بعـدَ مـا كـانَ مَـاتَا
وبـنـاهُ عـلـى أسـاسٍ وثـيـقٍ ... وعِـمَـادٍ قـد أُثْبَـتَـا إِثْبَـاتَا [٥]
مـثـلَ مَـا قَـدْ بَنَى له أوَّلُوهُ ... وكـذا يُشْـبِـهُ النبـاتَ النبـاتَا [٦]

فأحسن فيه، فقلت يا أبا سعيد: «فغنني لقد طفت سبعاً»، قال: أو أغنيك

---

(١) في الأصل: (ترددني لا إلى أبي سعيد) والعبارة مضطربة.

(٢) في الأصل: (سلامها) وصححها في الحاشية، والشعر في الأغاني ٤/٣٢٧ ـ ٣٢٨.

(٣) في الأغاني: (هل أنت نازل بشعبك).

(٤) الشعر لأبي سعيد نفسه كما في النص (يغني شعره)، الأغاني ٤/٣٢٨.

(٥) في الأغاني: «قد أنبتت إنباتاً» [المراجع].

(٦) في الأغاني: (يشبه البناة البناتا) وهو تحريف. انتهى. قلت ونبه في الحاشية على رواية المؤلف [المراجع].

ما هو أحسن منه؟ [ص ٤٣]، فقلت: أنت وذاك فَغَنَّى [١] فاندفع وقال:[٢] [الكامل]

قَدِمَ الطويلُ فَأَشْرَقَتْ واستبشَرتْ	أرضُ الحجازِ وبانَ في الأشجارِ [٣]
إنَّ الطويلَ منَ آلِ حفصٍ فاعْلَمُوا	سادَ الحضورَ وسادَ في الأسفارِ

فأحسن فيه، فقلت: أحسنت يا أبا سعيد، فَغَنِّني «قد طُفْتُ سَبعاً»، فقال: أو أغنيك ما هو أحسن منه: [٤] [قال: فغنّني؛ فغناه][٥][الخفيف]

أيُّها السائلُ الذي يَخْبُطَ الأر	ضَ دع النَّاسَ أجمعينَ وَرَاكَا
وأتِ هذا الطويلَ مِنْ آل حفصٍ	إن تَخَوَّفْتَ غَفْلةً او هَلاكَا [٥]

فأحسن فيه، فقلت: غنني «قد طُفْتُ سَبْعاً» فقد أحسنت فيماغَنَّيت، ولكني أحب أن تُغَنِّيني ما سألتك فيه، فقال: لا سبيل إلى ذلك، لأني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في منامي وفي يده شيء لا أدري ما هو، وقد رفعه ليضربني به وهو يقول: يا أبا سعيد، لقد طُفْتُ سبعاً، ما صنعت بأمتي [في] هذا الصوت؟ فقلت: بأبي أنت وأمي اغفرلي، فو الذي بعثك بالحق نبياً لاغَنَّيْتُ هذا الصوت أبداً، فَرَدَّ يده عني وقال: عفا الله عنك إذاً، ثم انتبهت. وما كنت لأعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا في منامي، فأرجع فيه في يقظتي.

---

(١) في الأصل بياض بقدر ثلاث كلمات، ولعل الناسخ وقف عند (فغنى) ثم سها فكتب: (فاندفع فقال).

(٢) الشعر لأبي سعيد مولى فائد في الأغاني ٤/ ٣٢٨.

(٣) في الأصل: (أرض الحجاج) وهو تحريف، ولو أراد (الحج) لقال (الحجيج).

(٤) الشعر لأبي سعيد مولى فائد أو الدارمي، الأغاني ٤/ ٣٢٨ ـ ٣٢٩.

(٥) مابين معقوفين من الأغاني [المراجع].

(٦) في الأغاني: (إن تخوفت عيلة) والعيلة: الفقر والحاجة.

قال إِسحق: فبكيت (١) وقلت: لاتَعُدْ يا أبا سعيد في غنائه، فقال: إِذا أردت أن تسمعه فاسمعه من مُنَّة جارية البرامكة، فودعته وانصرفت.

قال إبراهيم بن المهدي: كنت بمكة في المسجد الحرام، فإذا شيخ قد طلع، وقد قلب إحدى نعليه على الأخرى، فسألت عنه فقلت: من هذا، فقيل هو أبو سعيد مولى فائد، فقلت لبعض الغلمان: احصبوه، فحصبوه، فأقبل عليَّ وقال: ما يظن أحدكم إذا دخل المسجد إلا أنه له، فقلت للغلام؛ ما يقول لك أبْلِغْني، فقال له أبو سعيد: ومن مولاك حفظك الله؟ فقال: مولاي إبراهيم بن المهدي، فقام فجلس بين يَدَيَّ، فقال: لا والله بأبي أنت وأمي ما عرفتك، فقلت: لا عليك، أخبرني [عن] هذا الصوت:(٢) [المتقارب]

أفـاضَ المدامعَ قَـبْلِي الكرى   وقـتلى بكَثْـوة لم تُرمسِ (٣)

فقال: هو لي ورب هذا البيت، لا تبرح حتى تسمعه، ثم قلب إحدى نعليه وأخذ [ص ٤٤] بعقب الأخرى وجعل يقرع بَحَرْفَيْهَا على الأخرى وَيُغَنِّيه حتى أتى عليه، فأخذتُهُ منه، وهذا البيت من قصيدة يرثي بها (٤) أبو سعيد بني أمية الذين قتلهم عبدالله وداود ابنا عليٍّ بن عبدالله بن عباس: (٥) [المتقارب]

أولئكَ قـومي أنَاخَتْ بهم   نَوَائِبُ مِنْ زَمَنٍ مُـتْـعِسِ

(١) في رواية في الأغاني أن المحاور والذي بكى كان المهدي الخليفة العباسي.

(٢) الشعر لأبي سعيد كما في السياق وسينسب للعبلي عبدالله بن عمر كما في الأغاني ٤/٣٣٣. ورواية البيت في الأغاني: (قتلى كُدَىً).

(٣) كثوة: موضع ذكره ياقوت ولم يحدده، وإنما ذكر الخلاف في قراءة هذا البيت (ياقوت: كثوة).

(٤) في الأصل العبارة مضطربة وفيها لحن وهي قوله: (يرثي بها أبا سعيد بني أمية الذين قتلهم عبدالله).

(٥) الشعر للعبلي عبدالله بن عمر كما في الأغاني ٤/٣٣٣.

إذا ركـبُـوا زيَّنُوا الموكـبين وإنْ جَلَـسُـوا زينـةُ المجْـلِس
هُم أضْـرَعُـوني لريبِ الزَّمَـانِ وهـم ألصَـقُـوا الرَّغمَ بالمعطسِ (١)

قال: لما وُضِع رأسُ مروان(٢) بين يدي أبي عباس، خَرَّ لله ساجداً، وقال: الحمد لله الذي أظفرني بك، وأظهرني عليك ولم يبق ثاري قبلك وقبل رهطك أعداء الدين، ثم تمثل قول ذي الإصبع العدواني: (٣) [البسيط]

لَو يَشْـرَبُونَ دَمِي لَمْ يُرْوِ شَـارِبَهُمْ ولا دِمَـاؤُهمُ للغَـيْظِ تُرْوِيني

قال: نظر عبدالله بن علي في القتال إلى فتى عليه أبهة الشرف وهو يقاتل مستقبلا، فناداه: يا فتى، لك الأمان ولو كنت مروان بن محمد الأكبر، قال: إلا أَكُنْهُ(٤) فلست بدونه، قال: فلك الأمان مَنْ كُنْتَ، فأطرق ثم قال:(٥) [المتقارب]

أَذُلّ الحـيـاة وكُـرْهُ المَمَـات وكُـلا أراهُ طعـامًـا وَبِيْـلا (٦)
فـإن لـم يَكُنْ غـيـر إحـداهمـا فَـسَـيْـراً إلى الموتِ سَـيْـراً جَـمِـيْـلا

ثم قاتل حتى قتل، فإذا هو[ابن](٧) مسلمة بن عبدالملك.

قال الزبير: سَبَبُ قَتْلِ السَّفاح بني أمية بحضرته،أن السَّفاح مُدِحَ بقصيدة، فأقبل على بعضهم فقال: أين هذا مما مدحتم به، فقال: هيهات لا يقول والله

(١) في الأصل: (هم أرضعوني لريب الزمان وهم ألزقوا الفم بالمعطس) والمعنى فيه مضطرب.
(٢) هو مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية.
(٣) البيت من قصيدة لذي الإصبع العدواني في المفضليات ص ١٦١ والأغاني ٤ / ٣٣٧.
(٤) في الأصل: (إن أكنه) وهو خلاف المعنى المراد.
(٥) الشعر في الأغاني ٤ / ٣٣٨.
(٦) في الأصل: (أحل الحياء وكره المماث) وهو تحريف.
(٧) نقل في حاشية الأغاني عن النجوم الزاهرة« فإذا هو محمد بن عبدالملك، وقيل ابن لمسلمة بن عبدالملك بن مروان». قلت وهذا الأخير هو الأشبه والأمثل. أما مسلمة فقد توفي سنة ١٢٠هـ.وعبارة أصل المخطوط والمطبوع: فإذا هو مسلمة بن عبدالملك.[المراجع].

أحد فيكم مثل ما قال ابن قيس الرقيات فينا:[١] [المنسرح]

مَـا نَقِـمُـوا مِنْ بَنِي أمـيَّـةَ إلا ... أنهم يحلمـون إنْ غَـضِـبُـوا
وأنَّهم مَـعْـدِنُ الملوكِ ولا ... تَصْلُحُ إلا عليـهـمُ العَـرَبُ

فقال: يا ماصَّ كذا وكذا، إن الخلافة لَفِي شَكٍّ[٢] بعد! خذوهم، فَأُخِذُوا وَقُتِلُوا، ثم أمر ببساط فَبُسِطَ عليهم، ودعا بالغداء، فجلس فوقه يأكل وهم يضطربون تحته، فلما فرغ [من الأكل] قال: ما أعلم أني أكلت أكلة قط كانت أطيب ولا أهنأ من هذه في نفسي [ص ٤٥] فلما رفع الطعام قال: جُرُّوا بأرجلهم فالقوهم في الطريق ليلعنوهم [٣] أمواتا كما لعنوهم أحياء. قال: فرأيت الكلاب تجر بأرجلهم وعليهم سراويلات الوشي، حتى أنتنوا، وحفرت لهم بئر فَأُلقوا فيها، وقال ابن هرمة في ذلك: [٤] [البسيط]

فـلا عَـفَـا اللَّهُ عَنْ مـروانَ مَظْلَمَـةً ... ولا أُمَـيَّـةَ بِئْسَ المجلسُ النَّادي
كـانوا كَـعَـادٍ فـأمـسى اللَّهُ أهلَكَهُمْ ... بِمِـثْلِ مـا أَهْلَكَ الماضِينَ من عَـادِ

١٤-فُلَيْح بن أبي العَوْرَاء [٥]

رجل طالما نَدَّمَ نديماً، وعادت صَبَاهُ عقيماً، تَمُرُّ به الرياح مرورها

---

(١) الشعر لعبيد الله بن قيس الرقيات في ديوانه ص ٤ من قصيدة تحقيق محمد يوسف نجم ط صادر، بيروت. د. ت.

(٢) في الأغاني: (إن الخلافة لفي نفسك بعد)

(٣) في الأغاني: (يلعنهم الناس أمواتا).

(٤) الشعر لابن هرمة في ديوانه ص ١٠٢ ـ ١٠٣ والأغاني ٤ / ٣٤١ ـ ٣٤٢ .

(٥) في الأصل: (قليح بن العوراء) وقد تكررت، والتصويب من الأغاني والمؤلف ينقل عن الأغاني=

بالخَيْف[(١)]، ويقوم به السرور فيميل بالحَيْف، فكان يثقل على محاضره، وينغص على جليسه وناظره، لكنه كان من الجِلَّة السوابق، وأهل التقدم المأخوذة عنهم الطّرائق، ما غَنَّى إلا أطرب، ولا قال إلا أعرب.

قال أبو الفرج الأصفهاني، قال محبوب بن الهفتي: دعاني محمد بن سليمان فقال: قَدِمَ فليح بن أبي العوراء من الحجاز وقد نزل عند مسجد ابن رغبان[(٢)]، فَسِرْ إليهِ وأَعْلِمْهُ إنْ جاءني قبل أن يدخل إلى الرشيد خلعت عليه خلعة من ثيابي، ووهبت له خمسة آلاف درهم، فمضيت فأخبرته بذلك، فأجابني إليه إجابة مسرور به، نشيط له، وخرج معي فعدل إلى حمام كان بقربه، فدعا القَيِّمَ فأعطاه درهمين، وسأله أنْ يجيئه بشيء يأكله ونبيذ يشربه، فجاءه بشراب ورأس عجل ودوشابي[(٣)] غليظ مسحوري[(٤)] رديء، فقلت: لا تفعل وجهدت به أن لا يأكل ولا يشرب إلا عند محمد بن سليمان فلم يلتفت إليَّ، وأكل من ذلك الرأس وشرب من ذلك النبيذ حتى طابت نفسه، [وغنى] وغنى القَيِّمُ معه مَلِيّاً، ثم خاطب القَيِّمَ بما أغضبه، وتلاحيا[(٥)] وتواثبا، فأخذ القَيِّمُ شيئا [فضربه به على] رأسه فشجه حتى جرى دمه، فلما رأى الدم سائلا على وجهه، اضطرب وجزع، ثم قام فغسل وجهه، وعاجله بصوفة محروقة وزيت

= فليح: مولى بني مخزوم من أهْلِ مكة، لم يعرف اسم أبيه، وهو أحَدُ مغني الدولة العباسية، له محل كبير من صناعته، وموضع جليل، وهو أحد الثلاثة الذين اختاروا المئة صوت للرشيد، وكان من الموصوفين بحسن الغناء، كان يحاكي الأوائل فيصيب (الأغاني ٤ / ٣٥٣ ـ ٣٥٩).

(١) في الأصل: بالجيف... بالحتف [المراجع].

(٢) مسجد ابن رغبان: كان ببغداد مشهوراً باجتماع أهل العلم والفضل فيه (ياقوت:: رغبان).

(٣) في الأصل: (وشابي) وهو (دو شابي) نسبة إلى الدوشاب وهو نبيذ التمر (معرّب).

(٤) مسحوري: فاسد.

(٥) تلاحيا: من الملاحاة، المخاصمة والمنازعة.

وعصابة، وَتَعَمَّمَ وقام معي، فلما دخلنا دار محمد بن سليمان، ورأى الفرش والآلة وحضر الطعام ورأى سروره وطيبه، وحضر النبيذ وآلته، ومُدَّتْ الستائر، وغَنَّى الجواري، أقبل عليَّ وقال: يا مجنون، سألتك بالله، أيما أحق بالعربدة واولى، منزل القيم أو مجلس الأمير؟ فقلت: وكأنه لابد من [ص ٤٦] عربدة، قال: لا والله مالي منها بُدٌّ، فَأَخرجْتُها من رأسي هناك، فقلت: أما على هذه الشريطة فالذي فعلت أجود، فسألني محمد بن سليمان عما كان منه، فأخبرته، فضحك ضحكا كثيراً وقال: هذا الحديث والله أظرف وأطيب من كل غناء، وخلع عليه وأعطاه خمسة آلاف درهم.

قال فليح بن أبي العوراء: كان في المدينة فتى يعشق ابنة عم [له]، فوعدته أن تزوره، وشكا إليّ أنها تأتيه ولا شيء عنده، فأعطيته كسر دينار للنفقة، فلما زارته قالت له: من يلهينا؟ قال: صديق لي ووصفني لها، ودعاني فأتيته، وكان اول ما غنيت: (١) [الوافر]

من الخَـفـرات لم تَفْـضَحْ أخَـاهَا ... وَلَـمْ تَـرْفَـعْ لـوالـدِهَـا شَـنَـارا (٢)

فقامت إلى ثوبها لتلبسه وتنصرف، فعلق بها، وجهد أن تقيم، فلم تقم، وانصرفت، وأقبل علي يلومني في أن غنيت ذلك الصوت، فقلت: لا والله ما هو شيء اعتمد فيه مساءتك، ولكنه شيء اتفق، قال: فلم نبرح إذ عاد رسولها بعدها ومعه صرة [فيها ألف دينار] دفعها إلى الفتى وقال له: تقول لك ابنة عمك، هذا مهري ادفعه إلى أبي واخطبني، ففعل ذلك وتزوجها. والبيت

---

(١) البيت للسّليك بن السلكة في مجموع شعره ص ٥٥ ط بغداد ١٩٨٤ الأغاني ٢٠ / ٣٨٨ وكما سينص عليها المؤلف لاحقا.

(٢) في الأصل (لوالها شناراً) وهو نقص في الكلمة من سهو الناسخ.

الخفرات: الشديدات الخجل. الشنار: العار.

للسليك بن السلكة، وبعده:

كَــأنَّ مَــجَــامعَ الأَرداف مِنْهَــا نَقــاً دَرَجَتْ عليــه الرِّيحُ هارَا [١]

يَعَــافُ وصَــالَ ذاتِ البَــذْلِ قلبي ويتــبعُ الممَــنَّعَــةَ النَّوَارا [٢]

ومنهم:

١٥- الهُذَلي [٣]

كان من القدماء المشاهير من أهل الغناء في المجاهير، لم يذكر معه أحد زاد في حسن الصنعة إلا انتقص، ولا أمال إليه أحد نجوى سمعه إلا ارقص، لو سمعه صاحبه أبو ذؤيب [٤] لأنساه ثكل بنيه وسلاه، إذ كان غناؤه في التسلي يغنيه، ولما عرف أنه بين الشعراء يتفجع، ولما رُئِيَ إلا مسروراً لا يقول: «أمن المنون وريبها تتوجع» [٥].

---

(١) النقا: الكثيب من الرمل، هارٍ: متهدم.

(٢) في الأصل: (ذات البدر) وهو تحريف. وذات البذل: كناية عن المرأة الرخيصة المستهترة خلاف الممنعة. النوار: المرأة المحصنة البعيدة عن الشبهات.

(٣) الهذلي: سعيد بن مسعود، أبو عبدالرحمن أو أبو مسعود من كبار المغنين من أهل مكة، كان نقاشا يصنع البرام (القدور) من حجارة أبي قبيس بمكة، فإذا أقبل المساء رفع صوته بالغناء فيتسارع إليه فتيان قريش وغيرهم فيساعدونه في تقطيع الحجارة ويحدرونها من الجبل وينزل معهم فيغنيهم، وسمعه الحارث بن خالد المخزومي أمير مكة فطرح عليه مقطعات من الخزّ، وتزوج بابنة (ابن سريج) أشهر المغنين في عصره فأخذ عنها غناء أبيها، توفي نحو سنة ١١٠ هـ. (الأغاني ٥/٦٥ ـ ٦٨ ط الدار ٥/٧٠ ـ ٧٩ ط بيروت).

(٤) هو أبو ذؤيب الهذلي الشاعر خويلد بن خالد الهذلي شاعر مخضرم فحل سكن المدينة واشترك في الفتوح وعاش إلى أيام عثمان أشهر شعره عينية في رثاء خمسة من أبنائه ماتوا بالطاعون في عام واحد، توفي سنة ٢٧ هـ. (الأغاني ٦/٥٦ معاهد التنصيص ٢/١٦٥ الخزانة ١/٢٠٣).

(٥) هذا صدر بيت قصيدة أبي ذؤيب العينية التي يرثي بها أبناءه، وتمامه [أمن المنون وريبها تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع] (القصيدة في المفضليات من ٤٢١ ـ ٤٢٢ وهي طويلة في ٦٥ بيتاً)

قال أبو الفرج: وكان فتيان قريش يغدون إليه وقد عمل عمله بالليل، ومعهم الطعام والشراب والدراهم، فيقولون: قد جئنا، فيقول: الوظيفة الأخرى، أنزِلُوا أحجاري، فيلقون ثيابهم ويأتزرون بِأُزُرِهِم وينقلون الحجارة وينزلونها، ثم ينزل على شنخوب (١) [ص ٤٧] من شناخيب الجبل، ويجلسون تحته في السهل، يشربون وهو يغنيهم حتى المساء وكانوا كذلك مدة.

قال إسحاق: زوج ابن سريج لما حضرته الوفاة الهذلي بابنته، فأخذ عنها أكثرَ غنائه وادَّعاه، فغلب عليه، وولدت ابناً، فَلَمَّا يَفَعَ جاز يوماً بأشعب (٢) وهو جالس في فتية من قريش، فوثب فحمله على كتفه، وجعل يرقصه، ويقول: هذا ابن مزامير داود، فقيل له: ويلك ما تقول، ومن هذا الصبي؟ قال: أو ما تعرفونه، هذا ابن الهذلي من ابنة ابن سريج، ولد على عود، واستهل على غناء (٣)، وحنك (٤) بملوى (٥)، وشدت سرته بوتر، وختن بمضراب.

١٦-مَالِكُ بنُ [أبي] السَّمْح (٦)

مطرب لو لم يضمه معبد إليه لكان نظيره أو يزيد عليه، طرح عليه أصواته

---

(١) الشنخوب: رأس الجبل وأعلاه، وشناخيب الجبال: رؤوسها، ورجل شنخب: طويل (اللسان: شنخب)

(٢) هو أشعب بن جبير المعروف بالطامع توفي سنة ١٥٤ هـ.

(٣) أي رفع صوته بالبكاء عند الولادة.

(٤) حنك: من التحنيك وهو أن تمضغ التمر ثم تدلكه بحنك الصبي.

(٥) الملوي: من أجزاء العود، آلة الطرب.

(٦) مالك بن أبي السمح الطائي أحد المغنين المقدمين في العصر الأموي وشطر من العصر العباسي، أخذ صناعة الغناء عن معبد، وانقطع إلى عبدالله بن جعفر بن أبي طالب ثم إلى بني سليمان بن علي،=

فحفظها، وشجا حُسَّادَهُ وأحفظها، وأخذ جوائز الأمراء، وحصل جزيل الثراء، وكان يُرْمىَ بِحُمْقٍ ربما أدَّاهُ إلى صواب الرأي، وهواه، وسبب حياته ومدَّ مداه، وأحياه ليميت به عداه.

قال أبو الفرج الأصفهاني رحمه الله تعالى، قال الورد (١): كان مالك بن أبي السمح من طيء، فأصابتهم حطمة(٢) في بلادهم بالجبلين (٣)، فقدمت به أمه وأخوه، وأخوات أيتام لا شيء لهم، وكان يسأل الناس عن باب حمزة بن عبدالله ابن الزبير، وكان معبد منقطعا إلى حمزة، يكون عنده ويغنيه، فسمع مالك بن أبي السمح غناءه فأعجبه واشتهاه، وكان لا يفارق باب حمزة، يسمع غناء معبد إلى الليل، ولا يطوف بالمدينة، ولا يطلب من أحد شيئا (٤) ولايريم (٥) [موضعه] فينصرف إلى أمه ولم يكسب شيئا فتضربه وهو مع ذلك يترنم بألحان معبد ويؤديها دوراً دوراً، نغماً بغير لفظ، ولا روى شيئا من الشعر، وجعل كلما غدا وراح رآه ملازما لبابه، فقال لغلامه: أدخل هذا الغلام الأعرابي إليَّ، فأدخله إليه، فقال له حمزة: من أنت يا غلام؟ قال: أنا غلام من طيء أصابتنا حطمة بالجبلين فَحَطَّتنَا إليكم، ومعي أم لي وإخوة، وإني لزمت بابك، فسمعت من دارك صوتاً أعجبني فلزمت بابك من أجله، فقال: هل أنت تعرف منه شيئا؟ قال: أعرف لحنه كله ولا أعرف الشعر [ص ٤٨]، قال: إنْ كنت صادقا إنك لفهم،

=وكان من دعاة بني هاشم، أخباره في الأغاني توفي نحو سنة ١٤٠ هـ. (الأغاني ٥ / ١١١ - ١٢٩ والنويري ٤ / ٣٠٥)

(١) في الأغاني: (الورداني).

(٢) في الأصل: (حمطة) وهي تحريف، والحطمة من السنين الشديدة الجدب.

(٣) الجبلان: يريد بهما جبلي أجأ وسلمى وهما منازل طيء وأسد.

(٤) في الأصل: (شيء).

(٥) يريم: يبرح ويغادر.

ودعا بمعبد فأمره أن يغني صوتاً، فغناه، ثم قال لمالك: هل تستطيع أن تقوله؟ قال: نعم، قال: هاته، فاندفع فغناه وأدى نغمته بغير شعر يؤدي مدَّاته وليَّاته وعطفاته ونبراته وتعليقاته، ولا يخرم حرفاً، فقال لمعبد: خذ هذا الغلام وخرجه فليكونن له شأن، قال معبد: ولم أفعل ذلك؟ قال: لتكون محاسنه منسوبة إليك، وإلا عَدَلَ إلى غيرك وكانت محاسنه منسوبة إليه، فقال: صدق الأمير، وأنا أفعل ما أمرني به، ثم قال حمزة لمالك: كيف وجدت ملازمتك لبابنا؟ قال: والله ثم والله، ما شبعت على بابك شبعة قط، ولا انقلبت إلى أهلي منه بخير، فأمر له ولإخوته وأمه بمنزل، وأجرى لهم رزقا وكسوة، وأمر لهم بخادم يخدمهم وعبد يسقيهم الماء، وأجلس مالكا معه في مجلسه، وأمرمعبداً أن يطارحه، فلم يلبث أن مهر وحذق، وكان ذلك بعقب مقتل هدبة بن خشرم(١)، فخرج مالك يوماً فسمع امرأة تنوح على زيادة الذي قتله هدبة بشعر أخي زيادة:(٢) [الطويل]

أَبَعْـدَ الذي بالنَّعْفِ نَعْفِ كُـوَيْكِبٍ رهينـةَ رَمْسٍ ذي تراب وَجَنْدلِ(٣)
أُذَكَّر بالبُقْيَا على ما أصَابَني وبقْيَايَ أنِّي جاهدٌ غيرُ مُؤْتَلي
فَلا يَدْعُنْي قومي كريماً لحرَّةٍ لَئِنِ لم أُعَجِّلْ ضَرْبَةً أو أُعَجِّلِ(٤)

فَغَنَّى في هذا الشعر لحُنين(٥)، أحدهما نحا فيه نحو المرأة في زوجها ورققه وأصلحه وزاد [فيه]، والآخر نحا فيه نحو معبد في غنائه، ثم دخل على حمزة

(١) هدبة بن خشرم العذري: شاعر فصيح راوية من أهل بادية الحجاز، قتل زيادة بن زيد فحبس هدبة زمنا طويلاً حتى بلغ ابن زيادة فاقتص منه وقتل، وأكثر شعره قاله وهو محبوس، حقق يحيى الجبوري شعره ونشره بدمشق سنة ١٩٧٦ وبالكويت سنة ١٩٨٦ .

(٢) الشعر لعبدالرحمن بن زيد أخي زيادة في الشعر والشعراء ٢/٦٩٣ والأغاني ٥/١١٥.

(٣) النعف: ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مجرى السيل.

(٤) في الأغاني: «فلا يدعني قومي لزيد بن مالك». [المراجع].

(٥) حنين بن بلوع من كبار المغنين وشاعر غزل توفي سنة ١١٠ هـ، مرت ترجمته.

فقال: أيها الأمير إني صنعت غناء [في شعر] سمعته من بعض أهل المدينة ينشده فأعجبني، فإن أذن الأمير غنيته فيه، فقال: هات، فغناه اللحن الذي نحا فيه نحو معبد، فطرب حمزة، وقال: أحسنت يا غلام، هذا الغناء غناء معبد وطريقته، فقال: لا تعجل أيها الأمير واسمع مني شيئا آخر ليس من غناء معبد ولا من طريقته، فقال: هات، فغناه باللحن الذي يشير فيه بنوح المرأة، فطرب حمزة حتى ألقى[عليه](١) حُلَّةً كانت عليه، قيمتها مئة دينار، ودخل معبد فرأى حُلَّةَ حمزة عليه فأنكرها وعلم حمزة بذلك، فأخبر معبداً بالسبب، فأمر مالكاً فغناه [ص ٤٩] الصوت(٢)، فقال: قد كرهت أخذها فيعتمد غنائي ويدعيه لنفسه، فقال له حمزة: لا تعجل واسمع غناءً صنعه (٣)، ليس من شأنك ولا من طريقتك، وأمره أن يغني اللحن الآخر، فغناه، فأطرق معبد، فقال حمزة: والله لو تفرد بهذا لضاهاك، ثم يتزايد على الأيام، وكلما كبر هو زاد، وكلما شخت أنت نقصت ولأنْ(٤) يكون منسوبا إليك، اجمل، فقال معبد وهو منكسر: صدق الأمير فأمر حمزة له بخلعة من ثيابه وجائزة، حتى طابت نفسه، وسكن، فقام مالك على رجله فقبل رأس معبد، وقال له: يا أبا عباد [أساءك] ما سمعت من غنائي، بالله العظيم لا أغني لنفسي شيئا أبداً ما دمت حياً، فإن غلبتني نفسي فغنيت شعراً استَحْسَنْتَهُ لأنْسُبَنَّهُ إليك، فَطِبْ نفساً وارضَ عنِّي، فقال له معبد: أَوَ تَفْعَلُ هذا وتفي به؟ قال: إي والله وأزيد، وكان مالك بعد ذلك إذا غَنّى صوتاً فسئل عنه، قال: هذا لمعبد، ما غنيت لنفسي شيئا قط، وإنما

---

(١) في الأصل: (صنعه) خرجة من الحاشية وعليه إشارة (صح).

(٢) في الأغاني: «فغناه الصوتين فغضب معبد لما سمع الصوت الأول وقال: قد كرهت أن آخذ هذا الغلام فيتعلم غنائي فيدعيه لنفسه[المراجع].

(٣) «عليه» الأولى زيادة من الأغاني(٥:٩٥). [المراجع].

(٤) في الأصل:«فلايكون» والتصويب من الأغاني[المراجع].

آخذ غناء معبد فأنقله إلى الأشعار وأُحَسِّنُهُ وأزيد فيه وأنقص منه.

قال ابن عائشة: حضرت الوليد بن يزيد يوم قتل، وكان مالك بن أبي السمح معنا، وكان أحمق الخلق، فلما قتل الوليد قال: اهرب بنا، فقلت: وما يريدون منا؟ فقال: وما يؤمنك أن يأخذوا رأسينا فيجعلوا رأسه بينهما ليخفوا أمرهم بذلك، قال ابن عائشة: فما رأيت منه عقلاً قط قبل ذاك اليوم.

وفي مالك بن أبي السمح يقول الحسين بن عبدالله بن العباس:[1] [المنسرح]

أبيضُ كالبْدرِ أو كَمَا يَلْمَعُ الـ ـبارقُ في حَالكٍ مِنَ الظُّلَمِ
مَنْ ليسَ يُعْصِيْكَ إنْ رَشَدْتَ ولا يهتك حقَّ الإسلامِ والحرمِ[2]

فيقال إن مالكا قال له: والله ولا إن غويت أيضا أغضبك

١٧- دَحْمَانُ الأشْقَر [3]

نفق على الخلائف، ونفذ من برِّهم باللطائف حتى سمت به نفسه إلى رتب الصعود، وطلب مالم ينله إلا ولاة العهود، وكان له على المهدي نفاق، وبكرمه المجدي أرزاق[4]، وكان أطرب من سمع، وأطيب من عليه جمع، كان إذا غَنَّى

(١) الأغاني ٥/١٢٢.

(٢) في الأصل:

مَنْ ليسَ يُعْصِيْكَ إنْ رَشَدْتَ ولا يعصيك حقَّ الإسلامِ والحرمِ

وفيه كما رسمه الناسخ إخلال وسهو[المراجع].

(٣) دحمان الأشقر: عبدالرحمن بن عمرو الملقب بدحمان الأشقر، من موالي ليث بن عبد مناة، عالم بالغناء، أخذ الغناء عن معبد ونبغ في العصر العباسي فاتصل بالمهدي وفاز بعطاياه، كان صالحاً كثير الصلاة مقبول الشهادة، وكان يعلم الجواري وغيرهن الغناء وكان يقول: ما رأيت باطلاً أشبه بالحق من الغناء، توفي نحو سنة ١٦٥ هـ. (الأغاني ٦/٢٨ ـ ٣٩)

(٤) في الأصل: (أراق) ولم أجد لها معنى.

كأنما يَسْتَلُّ الأكباد [ص٠٥] ويستلب في كل لحن قطعة من الفؤاد.

قال أبو الفرج: كان يقول: ما رأيت باطلا أشبه بحق من الغناء. ويقال: إن دحمان شهد عند عبدالعزيز بن حنظلة[١] وهو يلي القضاء، لرجل من أهل المدينة على رجل من أهل العراق شهادة فأجازها وعدله[٢]، فقال العراقي: إنه دحمان، قال: أعرفه ولو لم أعرفه لسألت عنه، فقال: إنه يغني، ويعلم الجواري الغناء، قال: غفر الله لنا ولك، وأيُّنا لا يَتَغنَّى، اخرج إلى الرجلِ من حقه.

قال عمر[٣] بن شَبَّةَ: بلغني أن المهدي أعطى دحمان في ليلة خمسين ألف دينار، وذلك أنه غناه من شعر الأحوص:[٤] [مجزوء الوافر]

قطوفُ المَشْي إذ تَمْشي ... تَرَى في مَشْيِهَا خَرَقَا[٥]

فطرب واستخفه السرور حتى قال لدحمان: سلني ما شئت، قال: ضيعتان بالمدينة يقال لهما: ريان وغالب[٦]، فأقطعه إياهما، فلما خرج التوقيع إلى أبي عبدالله وعمر بن بزيع، راجعا المهدي فيه وقالا: إن هاتين الضيعتين لم يملكهما

---

(١) في الأغاني: (عبدالعزيز بن المطلب بن حنطب).

– قلت : هو عبد العزيز بن المطلب بن عبدالله بن حَنْطَب المخزومي؛ ولاه أبو جعفر المنصور القضاء سنة١٤١هـ– انظر أخبار القضاة لوكيع٢ :٢٠٢؛ وتاريخ الطبري٧ :٥٢٩[المراجع].

(٢) عدّله: جعله من العدول أي الثقات.

(٣) في الأصل: (عمرو بن شبة) وتكرر الاسم في مواضع كثيرة، وهو عمر، وليس (عمرو) وعمرو بن شبة: واسمه زيد بن عبيدة النميري البصري، شاعر رواية مؤرخ له تصانيف كثيرة توفي بسامراء سنة ٢٦٢ هـ. (معجم الأدباء ٦ /٤٨ تهذيب التهذيب ٧ / ٤٦٠).

(٤) البيت في قطعة في ديوان الأحوص ص ٢٠٥.

(٥) قطوف المشي: بطيئة متقاربة الخطو، الخرق: الدهشة والتحير.

(٦) في الأصل: (أركا وغالب) ولعلها تحريف عن ريان، ولم أجد (أركا) في معجم البلدان، وريان مواضع كثيرة منها أطم من آطام المدينة (ياقوت: ريان).

قط إلاخليفة، وقد استقطعهما ولاة العهود في أيام بني أمية فلم يعطوها، فقال: والله لا أرجع عنهما إلا بعد أن يرضى، فَصُولِحَ على خمسين ألف دينار.

قال إسحاق: مَرَّ دحمان الأشقر المغني وعليه رداء جيد، فقال له بعض من حضر: بكم اشتريت هذا يا أبا عمرو؟ فقال: [المنسرح]

[ما] ضَرَّ جيرانَنَا إذ انتَجَعُوا[١]

١٨- سِيَاط [٢]

كان سروراً للسامع، وشجاً لابن جامع، لايزال يغيظه ويزهق باقي ذَمائه[٣] مَنْ ليسَ، ويفيظه[٤] ولم تكثر عدد أصواته التي صنفها، وأبياته في الأنغام التي ألفها، إلا أنه يكثر فيها الصناعة، ويظهر فيها البراعة، ويطرب بها مالا يطرب اليراعة [٥]، وكانت أخباره قلائل، وآثاره عليه دلائل.

قال أبو الفرج، قال إسحاق: ولقب هذا اللقب لأنه كان كثيراً ما يغني: [٦]

(١) الشطر في قطعة للأحوص في ديوانه ص ١٧٨ وصوت في الأغاني ٤ / ٣١ وتمام البيت:

ماضر جيراننا اذ انتجعوا   لو أنهم قبل بينهم ربعوا

(٢) سياط: هو عبدالله بن وهب، مولى خزاعة، أحد المتقدمين في صناعة الغناء والعزف من أهل مكة، وهو أستاذ إبراهيم الموصلي وابن جامع، وكان سياط زوج أم ابن جامع، توفي سنة ١٦٩ هـ أخباره في الأغاني (الأغاني ٦ / ١٦١ - ١٦٩).

(٣) في الأصل: «شَجْياً لابن جامع، ويرهق باقي دمائه». و الشجا: مصدر شَجِيَ، والذَّماء بقية الروح في الجسد. [المراجع].

(٤) يفيظه: يميته، فاظ: مات وهلك

(٥) اليراعة واحدة اليراع للقصب والحشرة، والقصبة التي يزمر فيها الراعي، واليراعة: الجبان والأحمق، ولعله أراد هذا المعنى الأخير.

(٦) البيت للمتنخل الهذلي من قصيدة في جمهرة أشعار العرب ٢ / ٦١٣ تحقيق محمد علي الهاشمي ط جامعة محمد بن سعود، الرياض ١٩٨١.

والأغاني ٦ / ١٦٢.

[الوافر]

كَـأَنَّ مَـزَاحِفَ الحَـيَّـاتِ فِـيْـهَـا قُـبَـيْـلَ الصُّـبْحِ آثارُ السِّـيَـاطِ

قال المهدي يوماً وهو يشرب لسلامة الأبرش: جئني بسياط وعقال (١) وحبال، فارتاع كل من حضر، وظن جميعهم أنه يريد الإيقاع بهم، فجاء بسياط المغني [ص ٥١] وعقال المدايني الذي كان يوقع عليه، وحبال الزامر، فجعل الندماء يشتمونهم، والمهدي يضحك.

قال: دخل ابن جامع على سياط وقد نزل به الموت، فقال له: ألك حاجة؟ قال: نعم، قال: لا تزد(٢) في غنائي شيئا ليس منه، دعه رأساً برأس، فإنما هو ثمانية عشر صوتاً.

١٩- ابنُ جَامِع (٣)

مطرب جليل، ومطر ما عنده قليل، لم يقصر عن إسحاق فيما جمع، ولا تأخر فيما لم يعلق به طمع، وكان لا يرى إلا أن يكون ظِيْرَهَ، وأن يُعَدّ نظيره(٤)، وله في كل حديث إذا شاء نصيب، وكلام مصيب، إلا أن الغناء كان عليه العلم الذي به عرف،والسبب الذي لولاه لما كان عكف.

---

(١) في الأغاني: (عقاب).

(٢) في الأصل« أن لاتزد» والتّصويب من الأغاني ٦ :١٤٧[المراجع].

(٣) ابن جامع: إسماعيل بن جامع السهمي القرشي، ويعرف أيضاً بابن أبي وداعة من أكابر المغنين الملحنين، كان من أحفظ الناس للقرآن، متعبداً، كثير الصلاة، يعتم بعمامة سوداء على قلنسوة طويلة ويلبس لباس الفقهاء في زي أهل الحجاز، ولد بمكة وضاق به العيش فانتقل بعياله إلى المدينة واحترف الغناء فذاعت شهرته فرحل إلى بغداد، واتصل بالخليفة هارون الرشيد فحظي عنده، وكان من أقران إبراهيم الموصلي، إلا أن هذا يزيد عليه الضرب بالعود، توفي ابن جامع سنة ١٩٢ هـ. (الأغاني ٦ /٣٠٤ ـ ٣٥٦ البداية والنهاية ١٠ /٢٠٧).

(٤) في الأصل:« طيرة وإن بعد نظيره»؛ ولعلّها كما ثبت. والظئر تُقال للمرضعة لغير ولدها ولزوجها [المراجع]. واستعمالها هنا مجازي.

قال أبو الفرج: كان حسن السمت [١]، كثير الصلاة، قد أخذ السجود في جبهته[٢]، وكان يعتم بعمامة سوداء، على قلنسوة، ويلبس لباس الفقهاء، ويركب حماراً مَرِّيسِيّاً[٣] في زي أهل الحجاز، فبينما هو واقف على باب يحيى بن خالد يلتمس الاذن عليه، إذ أقبل أبو يوسف القاضي بأصحابه أهل القلانس[٤]، فوقف ابن جامع إلى جانبه فالتفت اليه أبو يوسف، فرأى سمته وحلاوة هيئته، فقال له: امتع الله بك، توسمت فيك الحجازية، قال: أصبت، قال: فمن أي قريش؟ قال: من بني سهم، قال: فأي الحرمين منزلك؟ قال: مكة، قال: فمن لقيت من فقهائهم؟ قال: [سل] عَمَّنْ شئت، ففاتحه في الحديث فوجد عنده ما أَحبَّ، فَأُعجِبَ به، ونظر الناس إليهما فقالوا: هذا القاضي قد أقبل على المغني، وأبو يوسف لا يدري أنه ابن جامع، فقال أصحابه: لو أخبرناه عنه، ثم قالوا: لعله لا يعود إلى مرافقته بعد اليوم، فلم نَعُمُّهُ، فلما كان في الإذن الثاني ليحيى، غدا عليه الناس، وغدا عليه أبو يوسف، فنظر ابن جامع، فلما رآه ذهب فوقف إلى جانبه، فحادثه كما فعل [في المرة الاولى] فلما انصرف قال له بعض أصحابه: أيها القاضي، أتعرف هذا الذي ترافقه وتحادثه؟ قال: نعم، رجل من قريش من أهل مكة من الفقهاء، قالوا: هذا ابن جامع المغني، قال: إنَّا لله، قالوا: إن الناس قد شهدوا مرافقته[٥] فأنكروا ذلك من فعلك. فلما كان الإذن الثالث، جاء أبو يوسف ونظر إليه فَتَنَكَّبَهُ، وعرف ابن جامع أنَّهُ قد [ص ٥٢]

---

(١) حسن السمت: أي حسن القصد والمذهب في دينه ودنياه، والسمت: اتباع الحق والهدى وحسن الجوار وقلة الأذية (اللسان: سمت).

(٢) في الأغاني: «قد أخذ السجود وجبهته» [المراجع].

(٣) مريسي: نسبة إلى مريسة، قرية بمصر وولاية من ناحية الصعيد، إليها تنسب الحمر المريسية وهي من أجود الحمير وأمشاها. (معجم البلدان: مريسة).

(٤) القلانس: جمع قلنسوة، لباس للرأس مختلف الأنواع والأشكال.

(٥) في الأغاني: « قد شهروك بمواقفته وأنكروا ذلك من فعلك» [المراجع].

أُنْذِرَ، فجاء حتى وقف وسلم عليه، فرد أبو يوسف بغير ذلك الوجه الذي كان يلقاه [به]، ثم انحرف عنه، فدنا منه ابن جامع، وعرف الناس القصة، وكان ابن جامع جهيراً، فرفع صوته ثم قال: يا أبا يوسف، مَالَكَ تُعْرِضُ عنِّي؟ أي شيء أنْكَرْتُ؟ قالوا لك إني ابن جامع المغني فكرهت مرافقتي[1]، اسألك عن مسألة فاصنع[2] ما شئت، وأقْبَلَ الناس نحوهما مستمعين، فقال: يا أبا يوسف، لو أن أعرابياً جلفاً وقف بين يديك، فأنشدك بجفاءٍ وغلظٍ من لسانه، فقال وحكى الأعرابي:[3] [البسيط].

يَا دَارَ مَـيَّـةَ بالعلياءِ فَـالسَّنَدِ أقْوَتِ وطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الأَبَدِ

أكنت ترى بذلك بأساً؟ قال: لا، وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في سماع الشعر، وقد روي عنه الحديث. قال ابن جامع: فإن قلت [أنا] هكذا، ثم اندفع يغني فيه حتى أتى عليه، ثم قال: يا أبا يوسف، رأيتني زدت فيه أم نقصت؟ قال: عافاك الله، اعفنا من هذا، قال: يا أبا يوسف، أنت صاحب فُتْيا، هل زدته أم حَسَّنْتُهُ بألفاظي فحسن في السمع، ووصل إلى القلب. ثم تَنَحَّى عنه ابن جامع.

قال: دعا الرشيد يوماً جعفر بن يحيى، وابن جامع عنده، فلم يزل يُغَنِّيهِم يومهما، ثم انصرفا، فلما كان من الغد، دخل إبراهيم الموصلي على جعفر بن يحيى، فسأله عن يومه فقال له: إنَّهُ لم يزل ابن جامع يُغَنِّينَا إلا أنه كان يخرج عن الإيقاع ـ وهو في قوله هذا يريد أن يطيب نفس إبراهيم ـ قال، فقال إبراهيم: أنت تريد أن تطيب نفسي بما لا تطيب، ألا بالله ما ضرط ابن جامع منذ ثلاثين سنة إلا بإيقاع، فكيف يخرج عن الإيقاع في الغناء؟

(١) في الأغاني: «مواقفتي لك» [المراجع].

(٢) في الأغاني: «ثم اصنع ماشئت» [المراجع].

(٣) البيت مطلع قصيدة للنابغة الذبياني في ديوانه من ٧٦ تحقيق ابن عاشور، ط الشركة التونسية ١٩٧٦.

كان ابن جامع بَرًّا بوالدته، وكانت مقيمةً بمكة، فدعاه إبراهيم بن المهدي فأظهر له كتاباً إلى أمير المؤمنين في نعي والدته، فجزع لذلك جزعا شديدا، وجعل يعزيه جميع من حضر، وجاؤوا بالطعام فلم يتركوه حتى أكل وشرب، وسألوه الغناء فامتنع، فقال له إبراهيم: إنك ستبذل هذا لأمير المؤمنين، فابذله لإخوانك، فاندفع يُغَنِّي: (1) [البسيط]

كَمْ بالدُّرُوبِ وأرض الشام مِنْ قَدَمٍ ... وَمِنْ مَصارع قوم مَا هُمُ قُبِرُوا

بِقُنْدَهَارَ ومن تُقْدَرْ مَنِيَّتُهُ ... بِقُنْدَهارَ يُرَجَّمْ دُونَهُ الخَبَرُ (2)

[ص ٥٣] وجعل إبراهيم يسترده حتى صلح له، ثم قال: لا والله، ما كان مما أخبرناك شيء (3)، فإنما مَزَحْنا معك، فطابت نفسه، ثم قال له إبراهيم: رُدَّ عليه الصوت، فَغَنَّاه، فلم يكن من الغناء الأول في شيء، فقال إبراهيم: خذه الآن عليَّ، فأدَّاهُ إبراهيم على السماع [الأول]، فقال له ابن جامع: أحب أن تطرحه أنت عليَّ كذلك.

قال ابن جامع: ضمني الدهر (4) ضماً شديداً بمكة، فانتقلت عنها بعيالي إلى المدينة، فأصبحت يوماً ولا أملك إلا ثلاثة دراهم، فهي في كمي، إذا أنا بجارية حميراء، على رقبتها جرة تريد الرَّكِيّ(5) تستقي، وهي ترنم بصوت شجي:(6) [الطويل].

شَكَوْنَا إليى أحْبَابِنَا طولَ لَيْلنَا ... فقالُوا لَنَا ما أقصرَ الليلَ عِنْدَنا

(1) الشعر ليزيد بن مفرغ الحميري في الأغاني ٦ / ٣٢٠ ومعجم البلدان (قندهار) مع خلاف في الرواية.

(2) قندهار: مدينة في بلاد السند أو الهند مشهورة في الفتوح (ياقوت: قندهار). [في أفغانستان]

(3) في الأصل: (شيئا) وهو لحن.

(4) ضمني الدهر: اشتدَّ عليَّ بالفقر والضيق والحاجة.

(5) الركية: البئر تحفر، والجمع ركيّ وركايا (اللسان: ركا).

(6) في ديوان أبي نواس ص ٤٧٤ ـ ٤٧٥ ط الغزالي قصيدة فيها أبيات مشابهة لهذه الأبيات مع خلاف كبير.

وذاكَ بأنَّ النَّومَ يَغْشَى عيونَهُم سِرَاعاً ولا يَغْشَى لنا النَّومُ أعْيُنَا[١]
إذا مَا دَنَا اللَّيلُ المُضِرُّ بذي الْهَوَى جَزِعْنَا وَهُم يَسْتَبْشِرُون إذا دَنَا
فَلَوْ [أنَّهُم] كَانُوا يُلاقُونَ مِثْلَ مَا نُلاقِي لكانُوا في المضَاجعِ مِثْلَنَا

قال: فأخذ الغناء بقلبي، ولم يَدُرْ لي منه حرف، فقلت: يا جارية ما أدري أوجهك أحسن أم غناؤك؟ فلو شئت أعدت، قالت: حباً وكرامة، ثم اندفعت فَغَنَّتْهُ، فوالله ما دار لي منه حرف، فقلت: أحسنت فلو تفضلت فأعدته مرة أخرى، فَقَطَّبَتْ وكَلَحَتْ[٢] وقالت: ما أعجب أحدكم! لا يزال يجيء إلى الجارية عليها الضريبة فيشغلها، فضربت يدي إلى ثلاثة الدراهم فدفعتها إليها، وقلت لها: أقيمي بها وجهك اليوم إلى أن نلتقي، فأخذتها كالكارهة وقالت: أنت الآن تريد أن تأخذ مني صوتاً، أحسبك ستأخذ عليه ألف دينار وألف دينار، قال: : واندفعت تغني، فأعملت فكري في غنائها حتى بان لي الصوت وانْصَرَفْتُ مسروراً إلى منزلي أُرَدِّدُهُ حتى خَفَّ على لساني، ثم إني لما خرجت أريد بغداد، دخلتها فنزل بي المكاري على باب المحوَّل[٣]، ولا أدري أين أتوجه، ولا من أقصُدُ، فمازلت أمشي مع الناس حتى أتَيتُ الجسر، فعبرت ثم انتهيت إلى الشارع بالميدان، فرأيت مسجداً بالقرب من دار الفضل بن الربيع مرتفعاً، فقلت: مسجد قوم سراة، فدخلته وحضرت صلاة المغرب فَصَلَّيْتُ، وأقمت مكاني حتى صليت [ص ٥٣] العشاء الآخرة على جوع وتعب، وانصرف أهل المسجد، وبقي رجل يصلي خلفه جماعة من الخدم وخول[٤]

(١) في الأغاني:« وذاك لأن النوم... وما يغشى...» [المراجع].

(٢) كلحت: عبست

(٣) المحول: محلة كبيرة بجنب الكرخ كانت متصلة بالكرخ أولا، وهي بليدة حسنة طيبة نزهة كثيرة البساتين والفواكه والأسواق والمياه، بينها وبين بغداد فرسخ (ياقوت: المحول).

(٣) في الأصل (وفحول) وهو تحريف، والخول: العبيد والإماء وغيرهم من الحاشية.

ينتظرون فراغه، فَصَلَّى مَلّياً، ثم التفت فقال لي: أحسبك غريبا، فقلت: أجل، فقال: متى كنت في هذه المدينة، فقلت: آنفاً، وليس لي بها منزل ولا معرفة، وليست صناعتي من الصنائع المذكورة لأهل الخير، قال: وما صناعتك؟ قلت: الغناء، فوثب مبادراً، فدخل ووكل بي بعض من معه، فسألت المَوكَّل بي فقال: هذا سلام الأبرش[١]، قال: فانتهى إلى قصر من قصور الخليفة وجاوز بي من مقصورة إلى مقصورة، حتى أدخلني إلى مقصورة في آخر الدهليز، ودعا بطعام، فَأُتِيْتُ بمائدة عليها طعام من طعام الملوك، فأكلت حتى امتلأت، فإني كذلك إذ سمعت ركضا من الدهليز وقائلا يقول: أين الرجل؟ قال: ها هو ذا، قال: ادعوا له بغسول وخلعة وطيب، ففعل بذلك بي، وحملت على دابة إلى دار الخليفة، فعرفتها بالتكبير والحرس والنيران، فجاوزت مقاصير[٢] عدة، حتى صرت إلى دار قوراء[٣] فيها أسرة في وسطها قد أضيف بعضها إلى بعض، قال: فأمرني الرجل بالصعود، فصعدت، وإذا رجل جالس عن يمينه ثلاث جوار في حجورهن العيدان، وفي حجر الرجل عود، فَرَحَّبَ الرجلُ بي، وإذا مجالس خالية، كان فيها قوم قد قاموا عنها، فلم ألبث أن خرج خادم من وراء الستر، فقال للرجل: تَغَنَّ، فانبعث يُغَنّي بصوت فيه لي وهو:[٤] [البسيط]

لم تَمْشِ ميلاً ولم تَرْكَبْ على قَتَبٍ ... ولم تَرَ الشَّمْسَ إلا دونهَا الْكِلَلُ
تمشي الهُوَيْنَى كأنَّ الشمسَ تُوحِشُها ... مَشْيَ اليعافِيْرَ في جيآته الوَهَلُ[٥]

---

(١) سلام الأبرش: خدم المنصور وتولى المظالم للمهدي، وعاصر الهادي والرشيد (الطبري حوادث سنة ٢٣٤).

(٢) في الأصل (مقاصيرا) وهو لحن. والمقاصير: جمع مقصورة وهي حجرة خاصة مفصولة عن الغرف المجاورة فوق الطابق الأرضي.

(٣) الدار القوراء: الواسعة الجوف.

(٤) الشعر للأعشى في الأغاني ٦/ ٣٣٥ وفي ديوان الأعشى ص ٢٥٣ (نشرة أدولف هلز هوسن ط بيانه ١٩٢٧ وصور في بيروت سنة ١٩٩٣) مع خلاف في الرواية.

(٥) اليعافير: الظباء. الوهل: الخوف والفزع.

فَغَنّى بغير إصابة وأوتار مختلفة ودساتين [١] مختلفة، ثم عاد الخادم إلى الجارية التي تليه فقال: تَغَنّي، فغنت بصوت لي كانت فيه أحسنَ حالاً من الرجل، وهو:[٢] [البسيط]

يا دارُ أضْحَتْ خَلاءً لا أنيسَ بِهَا ... إلا الظِّبَاءُ وإلا الناشِطُ الفَرِدُ[٣]
أيْنَ الذينَ إذا مَا زُرْتُهم جَذِلُوا ... وَطَارَ عن قلبي التَّشْوَاق والكَمَدُ

ثم عاد الخادم إلى الجارية الثانية فاندفعت تغني بصوت لحكم الوادي وهو:[٤] [الطويل]

فواللّه ما أدْري أيَغْلِبُني الهَوَى ... إذا جَدَّ جِدُّ البَيْنِ أمْ أنا غَالِبُهْ
فإنْ أسْتَطِعْ أغْلِبْ وإن يَغْلبِ الهَوَىَ ... فَمِثلُ الذي لاقَيْتُ يُغْلَبُ صَاحِبُهْ

[ص ٥٥] ثم عاد الخادم إلى الجارية الثالثة فَغَنَّت بصوت لِحُنَيْنٍ وهو قوله:[٥] [الطويل]

مَرَرْنَا على قيسيَّةٍ عامِرِيّةٍ ... لها بَشَرٌ صافي الأديم هِجان[٦]
فَقَالتْ وألْقَتْ جَانبَ السِّتْر دُونَهَا ... مِنَ أيَّةِ أرضٍ أم مَنِ الرجُلان
فَقُلْتُ لها أما تميمٌ فَأُسْرَتي ... هُدِيْتِ وأمّا صَاحِبي فَيَمَان
رَفِيقَانِ ضَمَّ السَّفْرُ بَيْنِي وبَيْنَهُ ... وقد يلتقي الشَتَّى فَيَأْتَلِفَان

---

(١) الدساتين: واحدها دستان، وهي الرباطات التي توضع الأصابع عليها، وأسامي دساتين العود تنسب إلى الأصابع التي توضع عليها. (عن مفاتيح العلوم ـ الخوارزمي).

(٢) البيت في الأغاني ٦ / ٣٢٩.

(٣) الناشط الفرد: ثور الوحش المنفرد

(٤) الشعر لابن ميادة في الأغاني ٦ / ٣٣٦.

(٥) الشعر في الأغاني ٦ / ٣٢٩.

(٦) الهجان: البيضاء الخالصة اللون.

قال: ثم خرج الخادم فقال: تَغَنَّ عافاك الله، فَغَنَّيْتُ بصوت الرجل على غير غنائه، فإذا الخادم قد خرج فقال لي ويحك لمن هذا الغناء؟ فقلت: لي، فانصرف عَنِّي ثم عاد فقال: كذبت، هذا الغناء لابن جامع، وَدَارَ الدَّوْرُ، فلما انتهى إِلَيَّ غنيته بصوت الجارية الثانية، فخرج الخادم فقال: ويحك لمن هذا الغناء؟ فقلت: لي، فرجع وخرج فقال: كذبت، هذا لابن جامع، وَدَارَ الدَّوْرُ فَلَمّا انتهى إِلَيَّ الغناء تغنيت بصوت لي [لا] يعرف إلا بي، وهو: (١) [الكامل]

عُـــوجِي عليَّ وَسَلِّمِي جَـــبْـــرُ ... فِـــيْمَ الصُّـــدُودُ وأنتمُ سَـــفْـــرُ

مَـــا نَـلْتَـــــقِي إلا ثـلاثَ مِنَـى ... حَـــتَّى يُفَـــرقَ بَيْنَنَا النَّفْـــرُ (٢)

قال: فزلزلت والله الدار عليهم، وخرج الخادم فقال: ويحك، لمن هذا الغناء؟ فقلت: لي، فرجع ثم خرج فقال: كذبت، هذا الغناء لابن جامع، فقلت: أنا إسماعيل بن جامع، قال: فما أشعر إلا وأمير المؤمنين وجعفر بن يحيى قد أقبلا من وراء الستر الذي كان يخرج منه الخادم، فقال له الفضل بن الربيع: هذا أمير المؤمنين قد أقبل إليك، فلما صعد السرير وثبتُ قائماً، فقال لي: ابن جامع؟

فقلت: ابن جامع جعلت فداك يا أمير المؤمنين، فقال لي: ويحك متى كنت في هذه المدينة؟ فقلت: آنفا دخلتها في الوقت الذي علم بي أمير المؤمنين.

قال: اجلس ويحك يا بن جامع، ومضى هو وجعفر بن يحيى فجلسا في بعض تلك المجالس، وقال لي: أبشر يا بن جامع وابْسُطْ أَمَلكَ، فدعوتُ له، ثم قال: غَنِّني يا ابن جامع غَنِّني، فخطر ببالي صوت الجارية، فاندفعت أُغَنِّيْـهِ، فنظر

(١) الشعر للعرجي في الأغاني ٦ / ٢٤٠ وديوانه ص ٢٣٢.

(٢) في الأغاني: (بيننا الدهر)، والنفر: وقت اندفاع الحجيج من منى إلى مكة وهو اليوم الثاني من أيام التشريق.

الرشيد إلى جعفر وقال: سمعت كذا قط؟ قال جعفر: لا والله ما خرق مسامعي قط مثله، فرفع الرشيد رأسه إلى خادم له بالقرب منه، فدعا [ص ٥٦] بكيس فيه ألف دينار فرمى به إليَّ، فصيرته تحت فخذي ودعوت لأمير المؤمنين، فقال جعفر: يا بن جامع، رُدَّ على أميرِ المؤمنين الصوت، فرددته وتزيدت في غنائي، فقال له جعفر: يا سيدي، ما تراه كيف يتزيَّدُ في الغناء؟ هذا خلاف ما سمعنا أولاً، وإن كان الأمر في اللحن واحداً، ثم دعا بكيسٍ آخر فيه ألف دينار، فجاءني به، فصيرته تحت فخذي، وقال: تَغَنَّ [١] يا إسماعيل ما حضرك، فجعلت أقصد الصوت بعد الصوت مما كان يبلغني أنه يشتري عليه الجواري، فأغنيه فلم أزل أفعل ذلك إلى أن عسعس [٢] الليل، فقال: أتعبناك يا إسماعيل هذه الليلة بغنائك، فَأَعِدْ على أمير المؤمنين الصوت، يعني صوت الجارية، فَغَنَّيْتُ به، فدعا بكيس ثالث فيه الف دينار، قال: فذكرت ما كان من قول الجارية فتبسمت، فقال: يا بن الفاعلة مِمَّ تَتَبَسَّم؟ فجثوت على ركبتي وقلت: يا أميرَ المؤمنين، الصدق منجاة فقال بانتهار: قل، فقصصت عليه خبر الجارية، فقال: صدقت قد يكون هذا، وقام فنزل عن السرير، وبقيت لا أدري أين أقْصدُ، فابتدرني فَرَّاشان، فصارا بي إلى دار قد أمر لي بها أمير المؤمنين، ففرشت وجعل فيها جميع ما يكون في مثلها من آلة جُلَسَاءِ الملوك وندمائهم، فدخلت بغداد فقيراً وأصبحت من جِلّة أهلها ومياسيرهم.

قال: كان ابن جامع يُعِدُّ [صيحة الصوت] [٣] قبل أن يصنع عمود اللحن.

قال ابن جامع: لولا أن القمار وَحُبَّ الكلاب قد شغلاني ما تركت أحداً من المُغَنِّينَ يأكل خبزاً.

---

(١) في الأصل: (تغنى) وهو لحن فالفعل مبنيّ على حذف حرف العلّة.

(٢) عسعس الليل: إذا اقبل، ويقال كذلك إذا ادبر والمقصود ابتداء الظلام أو إدباره (اللسان: عسعس)

(٣) إضافة من الأغاني يستقيم بها المعنى

قال: أهدى رجل إلى ابن جامع كلباً، فقال: ما اسمه؟ قال: لا أدري، فأخرج دفتراً فيه أسماء الكلاب فجعل يدعوه باسم اسم حتى أجابه.

٢٠- جَمِيْلَة [١]

مغنية المدينة ومغنية أهلها عن كل زينة، وكان بيتها منتدى الظرفاء ومنتأى الشرفاء، وفتنةً لأهل القريتين، ومظنةً لسكان الحَرَّتَيْن[٢]، لا يفتأ فتيان الحي تبغي ائتلافها وتولي الوُدَّ وُرَّادَها وأُلافها، ونوت نيةً صالحةً في ترك الغناءِ فما تُرِكَتْ، وكثر عليها فلو لم تكفّ[٣] لأصبحت المدينة وكم فيها مهجة سفكت [ص ٥٧].

قال أبو الفرج، قال إسحاق: بلغني أن جميلة قعدت يوماً على فرشٍ لها وقالت لآذنتها: لا تحجبي اليوم عَنَّا أحَداً، واقعدي على الباب، وكلٌّ مَنْ مَرَّ فاعرضي عليه مجلسي، ففعلت ذلك حتى غَصَّتِ الدار بالناس، فقالت جميلة: اصعدوا إلى العلالي، فصعدت جماعة حتى امتلأت[٤] السطوح، وتعالى النهار، واشتد الحر، فاستسقى الناس الماء، فَدُعِيَ لهم بالسويق [٥]، فشرب من أراد، وقام على رؤوسهم الجواري بالمناديل والمراوح الكبار، ثم قالت: إني رأيت في

---

(١) جميلة: مولاة بني سليم موسيقية ملحنة كانت أعلم المغنين والمغنيات في العرب بصناعة الغناء، تزوجت بمولى لبني الحارث بن الخزرج، وضعت ألحانا تهافت الناس على سماعها، وأحسنت الضرب على العود، أخذ عنها معبد وابن عائشة وحبابة وسلامة وعقيلة العقيقية والشماسيتان خليدة وربيحة توفيت نحو ١٢٥ هـ. (الأغاني ٨/١٩٥ ـ ٢٤٣ النويري ٥/٤٠)

قلت: ويلاحظ أن المصنف أوجز إيجازاً كبيراً في أخبار جميلة وهي كثيرة واكتفى بخبر واحد.

(٢) في الأصل: «الحرثين». [المراجع].

(٣) في الأصل: «يكف». [المراجع].

(٤) في الأصل: « حتى امتلأ ».[المراجع].

(٥) السويق: طعام يتخذ من مدقوق الحنطة بالشعير، سمي بذلك لانسياقه في الحلق (اللسان: سوق)

منامي شيئا فأفزعني [١]، وقد خفت أن يكون قد قرب أجلي، وليس ينفعني إلا صالح عملي، وقد رأيت أن أترك الغناء كراهة أن يلحقني منه شيء عند ربي، فقال قوم منهم: نفعك الله وثبت عزمك، وقال آخرون: لا حرج عليك، وقال الشيخ منهم: قد تكلمت الجماعة، وكل حزب بما لديهم فرحون، فاسمعوا قولي وأنصتوا، ثم حمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال: يا معشر أهل الحجاز، إنكم متى تخاذلتم فشلتم، ووثب عليكم عدوكم وظفر بكم، فلا تفلحوا بعدها أبداً، قد انقلبتم على أعقابكم لأهل العراق وغيرهم، ممن لم يزل ينكر عليكم ما هو وراثة فيكم، لا ينكره عالمكم، ولا يدفعه عابدكم، وأكثر ما يكون الجلوس عنه لا للتحريم له، لكن الزهد في الدنيا[٢]، لأن الغناء من أكبر اللذات وَأَسَرُّ للنفوس من سائر الشهوات، يحيي القلب ويزيد في العقل ويسر النفوس، ويفسح في الرأي، وتسر به العين، وتفتح به الحصون، وتذلل به الجبابرة، حتى يمتهنوا أنفسهم عند استماعه، ويبرئ المرض، ومن مات عقله وقلت شهوته، يزيد أهل الثروة غنى، وأهل الفقر قناعة ورضاً، ومن تمسك به كان عالماً، ومن فارقه كان جاهلا، وكيف يستحسن تركه ولا يستعان على النشاط في عبادة ربنا إلا به. فما رد أحد عليه حرفاً، ولا أنكر ذلك عليه، وعاد كل بالخطأ على نفسه، وأقر له بالفضل، ثم قال لجميلة: أوَعَيْتِ ما قلت، ووقع في نفسك ما ذكرت؟ قالت: أجل، وأنا أستغفر الله، قال: فاختمي مجلسنا وفرقي جمعنا بصوت واحد، فغنت هذا البيت:[٣] [الطويل]

أَفِيْ رَسْمِ دارٍ دَمْعُكَ الْمُتَرَقْرِقُ سَفَاهاً وما اسْتِنْطَاقُ مَا لَيْسَ يَنْطِقُ

---

(١) في الأصل (فاخر عجني) وهو تحريف.

(٢) سقط من أصل الأغاني نحو ثلاثة أسطر.[المراجع].

(٣) الشعر لعمر بن أبي ربيعة من قطعة في ديوانه ص ٤٥٤ والأغاني ٨/ ٢٣٣.

[ص ٥٨] فقال الشيخ: حسن والله،أمثل هذا يترك؟ فيم يتشاهد الرجال؟ لا والله ولا كرامة للشيطان، ثم قام [وقام] الناس معه، وقال: الحمد لله الذي [لم] يفرق جماعتنا على إنكار حسن، ولا جحود فضيلة، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته يا جميلة.

ومن مشهور غناء جميلة صنعتها في بيتين لامرئ القيس وهما: (١)

[الطويل]

وَلَمَّا رَأَتْ أنَّ الهجِيْرَ يَضُرُّهَا ... وأنَّ البيَاضَ في فرائصِهَا دَامِي (٢)
تَيَمَّمَتِ العَينَ التي عِنْدَ ضَارِجٍ ... يَفيء عَلَيْها الظِّلُّ عَرْمَضُهَا طامي (٣)

٢١ - مَعْبَد (٤)

رأس الجماعة، وأساس الطرب، الذي لا يَمَلُّ أحد سماعه، وهو الذي ينشي السامع، وينسي حديث سواه خروق المسامع ويأتي بالبدائع، التي تضرب دونها أعناق الرجال المطامع، ويتفرد بالصنائع التي لم تقع على مثلها عين وما طهرتها بالمدامع، سمعت منه الأصوات وقرعت به اللهوات، وجاء بكل المراد، فلم يدع

(١) البيتان لامرئ القيس في ديوانه ص ٤٧٦ القسم المنسوب إليه، وفي رواية البيت الأول خلاف.

(٢) الفرائص: جمع فريصة، وهي لحمة بين الكتف والصدر، ترتعد عند الفزع.

(٣) ضارج: موضع في بلاد بني عبس (ياقوت: ضارج) العرمض: الطحلب الذي على الماء. الطامي: المرتفع.

(٤) معبد: أبو عباد معبد بن وهب المدني نابغة الغناء العربي في العصر الأموي، كان مولى لبني مخزوم، ونشأ في المدينة يرعى الغنم لمواليه، وربما اشتغل بالتجارة، ولما ظهر نبوغه في الغناء أقبل عليه كبراء المدينة، ثم رحل إلى الشام فاتصل بأمرائها وارتفع شأنه وكان أديباً فصيحاً، وعاش طويلا إلى أن انقطع صوته، ومات في عسكر الوليد بن يزيد سنة ١٢٦ هـ. الأغاني ١/ ٤٣ ـ ٦٩ الذهبي ـ تاريخ الإسلام ٥/ ٦٥ رغبة الآمل ٦، ٤/ ١٧ ـ ٤٢.

غَرَضاً [١] للغريض، ولا شهوة لشهوات أكرم به من معبد لم يُرَ مِثْلُهُ من يمشي بنظره في الجامع كتاب أبي الفرج وطلب الزيادة وصعد الدرج، بل ولو زاد في شدَّة الأسر وحلَّقَ، حتى حام على النسر.

وما قصبات السبق إلا لمعبد[٢]

قال أبو الفرج الاصفهاني، قال إسحاق: كان معبد يقول:

لقد صنعت ألحاناً لا يقدر أن يغنيها شبعان، ولا يقدر سَقَّاءٌ يحمل القربة على التَرنُّمِ بها حتى يقعد مستوفزاً[٣]، ولا القاعد حتى يقوم.

قال إسحاق: قيل لمعبد كيف تصنع إذا أرَدْتُ أنْ تصوغ الغناء؟ قال: أرتحلُ قعودي [٤]، وأُوقِّع بالقضيب على رحلي، وأترنَّمُ عليه بالشعر حتى يتبين لي الصوت، فقال له: ما أبين هذا في غنائك!

قال ابن الكلبي: قدم ابن سريج والغريض المدينة يتعرضان لمعروف أهلها، فلما شارفاها تقدَّما ثقلهما ليرتادا منزلاً حتى إذا كانا بالمغسلة، وهي جَبَّانةٌ على طرف المدينة يُغْسَلُ فيها الثياب، إذا هما بغلام ملتحف بإزار، وطرفه على رأسه، وبيده حِبَالةٌ يَتَصَيَّدُ بها الطير، وهو يغني هذا الصوت:[٥] [البسيط]

---

(١) في الأصل: عوضاً. [المراجع].

(٢) هذا شطر بيت من الأغاني ١: ٥٠ [المراجع]، وتمام البيت:

أجــاد طويس والســريجي بعــده   ومــاقــصــبــات الســبق إلا لمعــبــدِ

(٣) في الأصل: «مستوقراً» [المراجع].

(٤) القعود: البعير الذي يقتعده الراعي في كل حاجة.

(٥) الشعر لأبي قطيفة كما في الأغاني ١ / ١٤.

القصر: هو قصر سعيد بن العاص بالعرصة. النخل: المقصود هنا نخل لسعيد بين قصره وبين الجماء، والجماء: أرض كانت له.

أبواب جيرون: بدمشق قال ابن الفقيه: ومن بنائهم جيرون عند باب دمشق من بناء سليمان بن داود=

القْـصُـر فـالنَّخْلُ فـالجَـمَّـاءُ بينَهُـمَـا أشْـهَى إلى القلْب مِن أبوابِ جـيـرونِ

[ص ٥٩] فإذا الغلام معبد، فلما سمعاه مالا إليه فاستعاداه منه، فسمعا شيئاً لم يسمعا مثله قط، فأقبل أحدهما على الآخر فقال: هل سمعت مثل هذا قط؟ قال: لا والله، قال: فما رأيك؟ قال ابن سريج: هذا غناء غلام يتصيد الطير، فكيف بمن في الحومة؟ ـ يعني المدينة ـ أما أنا فثكلته والدته إن لم يرجع، فَكَرّا راجِعَيْن.

قال إسحاق: أُخْبِرْتُ عن معبد أنه قال[١]: بَعَثَ إليَّ بعضُ أمراء مكة بالشخوص إليه، فشخصت، قال: فتقدمت غلامي في بعض الطريق واشتد عليّ الحر والعطش فانتهيت إلى خباءٍ فيه غلام أسود، وإذا حِبابٌ[٢] ماء قد بردت، فملت إليه، وقلت: يا هذا، اسقني من هذا الماء شربة، قال: لا، قلت: تأذن لي في أن أكِنَّ[٣] ساعة؟ فأنخت ناقتي ولجأت إلى ظلها واستترت به، وقلت: لو أحْدَثْتُ[٤] لهذا الأمير شيئاً أقدم [به] عليه، ولعلي أيضا إن حَرَّكْتُ لساني أن يَبْتَلَّ حلقي بريقي فيخف عني بعض ما أجده من العطش، فترنمت بصوتي:[٥] [البسيط]

القْـصُـر فـالنَّخْلُ فـالجَـمَّـاءُ بينَهُـمَـا أشْـهَى إلى القلْب مِن أبوابِ جـيـرونِ

فلما سمعه الأسود، ما أشعر إلا وهو قد حملني حتى أدخلني خباءه، وقال: بأبي أنت وأمي، هل لك في سويق السُّلْتِ[٦] بهذا الماء البارد؟ قلت: قد

=عليه السلام، وهي سقيفة مستطيلة على عمد وسقائف وحولها مدينة تطيف بها، والمعروف اليوم أن باباً من أبواب الجامع بدمشق، وهو بابه الشرقي يقال له باب جيرون (ياقوت: جيرون)

(١) في الأصل: (أنه كان) ولا يستقيم المعنى.

(٢) الحباب: جمع حب وهي الجرة.

(٣) أكن: أستتر، والكن ما يستتر به حر الشمس أو البرد.

(٤) في الأصل: « أخذت » والصواب من الأغاني [المراجع].

(٥) ذكرنا قبل أن الشعر لأبي قطيفة.

(٦) السويق: ما يتخذ من الحنطة والشعير. والسلت: نوع من الشعير.

منعتني أقلَّ من ذلك شربةَ ماءٍ تجزئني (١) . قال: فسقاني حتى رويت وأقمت عنده إلى وقت الرواح، فلما رأيت الرحلة قال: بأبي أنت وأمي، الحر شديد ولا آمن عليك مثل هذا الذي أصابك، فتأذن لي في أن أحمل قربة من ماء على عاتقي وأسعى بها معك، فكلما عطشت سقيتك صحناً(٢) وغَنَّيتني صوتاً. قال: قلت ذلك [لك]، قال: فأخذ قربةً فملأها ماءً بارداً من ذلك الماء، وحملها على عاتقه، وركبت أنا راحلتي، فأقبل يسقيني شربةً وأُغَنِّيه صوتاً حتى بلغت المنزل الذي أردت ولحقت بغلامي وثقلي (٣).

قال إسحاق: حَدَّثَني سياط عن يونس الكاتب قال: كان معبد قد عَلَّمَ جارية من جواري الحجاز الغناء تسمى (ظبية الوادي) وَعُنِيَ بتخريجها، فاشتراها رجل من أهل العراق، فأخرجها إلى البصرة، وباعها هناك، فاشتراها رجل من أهل الأهواز فأعجب بها، وذهبت به كل مذهب، وغلبت عليه، ثم ماتت بعد أن أقامت عنده زماناً، فأخذ جواريه أكثر غنائها [عنها] وكان لمحبته [إيَّاها] وأسفه عليها، لايزال يسأل عن معبد وأين [ص ٦٠] مستقره، ويظهر التعصب له والميل إليه، والتقديم لغنائه على سائر أغاني أهل عصره، إلى أن عُرِفَ ذلك منه، وبلغ معبداً خبره، فخرج إليه، فلما قدم البصرة، صادف الرجل قد خرج منها في ذلك اليوم إلى الأهواز، فلم يجد إلا سفينة الرجل، وليس يعرف أحدهما صاحبه، فأمر الرجل الملاح فأجلسه معه في مؤخرة السفينة، ففعل ذلك وانحدر، فلما صاروا في نهر الأُبلَّةِ (٤) تغدوا وشربوا، وأمرجواريه فَغَنَّيْنَ ومعبد ساكت، وهو [في]

---

(١) تجزئني: تكفيني، واجتزأت بالشيء اكتفيت به.

(٢) الصحن: القدح.

(٣) في الأصل: «نقلي» بالنّون ولامعنى لها . والصواب: ثقلي أي أمتعته[المراجع].

(٤) الأبلة: بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة،-

ثياب السفر، وعليه فَرْوٌ وخُفَّانُ غليظان، إلى أن غَنَّتْ إحدى جواريه صوت معبد في شعر النابغة: [1] [البسيط]

بانَتْ سعادُ وأمْسَى حَبْلُهَا انصَرَما   واحتَلَّتِ الغورَ فالأجزاعَ مِنْ إضَمَا [2]

ولم تُجِدْ أداءَهُ، فصاح معبد: يا جارية، هذا ليس بمستقيم، فقال مولاها وقد غضب: وأنت ما يدريك الغناء ما هو؟ ألا تُمْسِكُ وتلزمُ شأنَكَ، فأمسك ثم غَنَّتْ صوتاً من غناء غيره وهو ساكت لا يتكلم، حتى غنت صوتاً اخر لمعبد في شعر عبدالرحمن بن أبي بكر: [3] [المديد]

يابنَةَ الجوديّ قَلْبي كَئيبُ   مُسْتَهَامٌ عِنْدَهَا ما يَثُيْبُ

فَأَخَلَّتْ ببعضه، فقال معبد: يا جارية، قد أخْلَلْتِ بهذا الصوت إخلالاً بيناً، فغضب الرجل وقال: ويلك ما أنت والغناء؟ ألا تَكُفُّ عن الفضول؟ فأمسك، فَغَنَّتْ إحداهن في شعر كُثَيِّر، وقالت: [4] [الطويل]

خْليلَّي عُوْجَا فابكيا ساعةً مَعِي   على الَّربْعِ نَقْضِ حاجةً ونُوَدِّعُ

فلم تصنع شيئاً، فقال معبد: يا هذه ماتقومين [5] على أداء صوت واحد، فغضب الرجل وقال: أقسم بالله لئن عاودت لأخرجنّك من السفينة، فلما سكن

= وهي أقدم من البصرة، لأن البصرة مصرت في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكانت الأبلة حينئذ مدينة فيها مسالح من قبل كسرى (ياقوت: الأبلة).

(١) البيت للنابغة من قصيدة في ديوانه ص ٢١٥.

(٢) حبلها: عهدها وذمتها. الأجزاع: جمع جزع وهو منعطف الوادي.

إضم: واد بجبال تهامة، وهو الوادي الذي فيه المدينة (ياقوت: إضَم).

(٣) في الأغاني: ١/٥٨ (يابنة الأزدي قلبي كئيب مستهام عندها ما ينيب).

وفي الأصل: (عندنا عندها) (عندنا) من سهو الناسخ.

(٤) البيت لكثير عزة من قصيدة في ديوانه ص ١٧٩، والأغاني ١/٥٨.

(٥) في الأغاني: «أما تقومين» يريد: تستطيعين [المراجع].

الجواري، اندفع معبد يغني الصوت الأول، فصاح الجواري: أحسنت والله يا رجل، فأعده، فقال: لا والله ولا كرامة، ثم غَنَّى الثاني فقلن لِسَيِّدهنَّ: هذا والله أحسن الناس غناء، فاسأله أن يعيد علينا ولو مرة واحدة، لعلنا نأخذ منه، فوالله إن فاتنا لم نجد مثله أبداً، فقال الرجل: قد أسلفناه مكروهاً، فاصبرن حتى نداويه، ثم غَنَّى الثالثة، فزلزلت عليهم الأرض، فوثب الرجل فقبل رأسه وقال: يا سيدي أخطأنا عليك، ولم نعرف موضعك، وسأله أن يختلط معه، وسأل: من أين أخذ جواريه الغناء، فأعلمه، فقال معبد: وإنك [ص ٦١] لأنت هو، فتعرفني؟ قال: لا والله، قال: أنا معبد، وإليك قدمت من الحجاز، والله لا قصرت في جواريك، فَأَكَبَّ[١] على يديه ورجليه، ثم خلع الرجل عليه عدة خلع، وأعطاه من وقته ثلاث مئة دينار وطيباً وهدايا، وانحدر معه إلى الأهواز، فأقام عنده حتى رَضِيَ حِذْقَ جواريه، وما أخذنه عنه، ثم وَدَّعَهُ وانصرف إلى الحجاز.

قال، قال الوليد بن يزيد يوماً: لقد اشتقت إلى معبد، فَوَجَّهَ إليه البريد إلى المدينة، فَأُتِي بمعبد وأَمَرَ به فجلس، والبركة بينهما مملوءة بالخمر والماء وَسِتْرٌ مُرْخَى، فقال: غَنّني يا معبد، فقال: [٢] [البسيط]

لَهفي على فِتْيَةٍ دانَ الزَّمانُ بهم[٣] ... فَمَا أصابَهمُ إلا بما شَاؤوا
مازالَ يَعْدُو عليهم رَيْبُ دَهْرِهمُ ... حتَّى تَفَانُوا وريبُ الدَّهرِ عَدَّاءُ
أبْكِي فِراقَهُمُ عَيني فَأرَّقَهَا ... إنَّ التَّفَرُّقَ للأحْبَابِ بكَّاءُ

فَغَنَّاه إياها، فرفع الوليدُ السِّتْرَ، ونزع مُلاءةً مُطَيَّبَةً كانت عليه، وقذف بنفسه

(١) في الأغاني: «فأكبّ الرّجلُ والجواري». [المراجع].

(٢) الأبيات في الأغاني ١ / ٦١.

(٣) في الأغاني: «... ذل الزمان لهم» قلت: ويصحّ من جهة المعنى: دان الزمان لهم. [المراجع].

في البركة، فنهل فيها نَهْلَةً، ثم أُتِيَ بأثواب غيرها، وتلقوه بالمجامر والطيب، ثم قال: يا معبد، غَنِّني، فقال:(١) [مجزوء الكامل]

ولو انَّ دونَ لقائها جَبَلاً بمزلقةٍ هضَابُهْ
لأتيتها إنَّ المُحِبَّ إذا نأى طالَ اكتئابُهْ
ولو أنَّ دونَ لقائهَا ضرغامةً كالزُّجِّ نابُهْ
لأتيتَها بالسيفِ لا أخافُ ولا أهابُهْ

فَغَنَّاهُ إياها، فرمى نفسه بالبركة، فنهل منها نهلة كان فيها النقصان، ثم أُتِيَ بأثواب غيرها، وتلقوه بالمجامر والطيب، ثم قال: غَنِّنِي يا معبد، فقلت:(٢)[الكامل]

يا رَبْعُ مَالَكَ لا تجيبُ مُتَيَّما ... قد عاجَ نَحْوَكَ زائراً ومُسَلِّما
جَادَتْكَ كُلُّ سَحَابةٍ هَطَّالةٍ ... حَتَّى تُرَى عَنْ زَهْرةٍ مُتَبَسِّمَا

قال فدعا له بخمسة عشر ألف دينار، فَصَبَّها بين يديه، ثم قال: انصرف إلى أهلك واكتم ما رأيت.

قال، قال يزيد بن عبدالملك يوماً لمعبد: يا عباد، أريد أن أخبرك عن نفسي وعنك، فإن قلت فيه خلاف ما تعلم فلا تُحاشِ أن تَرُدَّ عليَّ، فقد [ص٦٢] أذنت لك، فقال: يا أمير المؤمنين، لقد وضعك ربك بموضع لا يعصيك إلا ضال ولا يرد عليك إلا مخطئ، فقال: إنَّ الذي أجده في غنائك لا أجده في غناء ابن سريج، أجد في غنائك متانة وفي غنائه انخِنَاثاً (٣) وليناً، فقال: والذي أكرم

(١) هذه القطعة ساقطة من الأغاني.

(٢) البيتان في الأغاني ١ / ٦١.

(٣) الانخناث: اللين والتثني والتكسر، والرجل خنث والأنثى خنثة والاسم الخنث، ويقال للذكر: يا خُنث، وللأنثى: يا خناث (اللسان: خنث).

أمير المؤمنين بخلافته وأرضاه لعباده، وجعله أميناً على أمة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، ما عدا صفتي وصفة ابن سريج، وكذا يقول ابن سريج وأقول، ولكن إن رأى أمير المؤمنين أن يعلمني هل وضعني ذلك عنده فليفعل. قال: لا والله، ولكني أُوْثِرُ الطَّرَبَ على كُلِّ شيء، قال: يا سيدي كلما كان ابن سريج يذهب إلى الخفيف من الغناء، أذهب أنا إلى الكامل التام، فأغرب أنا، ويشرق هو، فمتى نلتقي؟ قال: أفتقدر أن تحكي رقيق ابنَ سُرَيْج؟ قال: نعم، فصنع لحناً في الخفيف: [1] [الهزج]

ألا لـلّـهِ أمٌّ وَلَدَتْ أختُ بني سَهْمِ
هِشَامٌ وأبو عَبْدِ مُنَافٍ مِدْرَهُ الخَصْمِ
وذو الرُّمحينِ أشباك [2] على القوَّةِ والحَزْمِ
فهذانِ يَذُودانِ وذا عن كَثَبٍ يَرْمِي

وغَنَّاه، فردَّ عليه أولاً، فأعاد ثم قال: أعد، فأعاد فاستخفَّهُ، ثم قال لجواريه: افعَلْنَ كما أفعلُ، وجعل يدور في الدار ويقول: [3] [مجزوء الرجز]

يا دارُ دَوِّريني يا قومُ أمسكوني [4]
آلَيْتِ مُنْذُ حين حقّاً لتَصْرِميني
إنْ لم تواصِلُوني [5] باللّه فارْحَميني
لم تذكري يميني

---

(١) الشعر لعبدالله بن الزبعرى في مجموع شعره ص ٤٨ تحقيق يحيى الجبوري ط مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨١.

(٢) في الأصل: «أشبال» والتّصويب من الأغاني نقلاً عن أمالي القالي. يقال أشباك لفلان: حسبك وكفاك [المراجع].

(٣) الرجز ليزيد بن عبدالملك في الأغاني ١/٨٧.

(٤) في الأغاني: (يا قرقر امسكيني).

(٥) كذا في الأصل؛والأمثل مافي الأغاني« ولاتُواصليني ».[المراجع].

قال: فلم يزل يدور كما يدور الصبيان وَيُدرْنَ[١] معه، حتى خَرَّ مَغْشِيّاً عليه ما يعقل ولا يَعْقِلْنَ، فابتدره الخدم فأقاموا من كان على ظهره من الجواري، وحملوه حتى ادخلوه.

قال إسحاق، أُخْبِرْتُ عن حكم الوادي قال: كنت أنا وجماعة من المغنين نختلف إلى معبد، نأخذ عنه ونتعلم، فَغَنَّانا يوماً ما صنعه وأعجب به هو:[٢] [البسيط]

القصرُ فالنَّخْلُ فالجمَّاءُ بينَهُمَا أشْهَى إلى القلبِ مِنْ أبوابِ جيرونِ

فاسْتَحْسَنَّاهُ، وكنتُ أوَّلَ من أخذه عنه ذلك اليوم فاستحسنه مني، وأعجبته نفسه، فلما انصرفت عملت فيه لحناً آخر، وبكرت إلى معبد مع أصحابي وأنا معجب بلحني، فلما تغنينا أصواتاً قلت له: إنِّي قد عملت بعدك لحناً في الشعر الذي غنيت فيه، واندفعت فغنيته [ص ٦٣] لحني فوجم معبد ساعة يتعجب منه، ثم قال: قد كنت أمس أرْجَى مِنِّي اليوم لك، وأنت اليوم أبعد من الفلاح، قال حكم الوادي: فَأُنْسِيْتُ علم الله صوتي منذ تلك الساعة، فما ذكرته إلى وقتي هذا.

٢٢- ابن سُرَيْج [٣]

مطرب كان في أصحابه من أهل الانتهاء، نظير موافقه ابن سريج في الفقهاء[٤]، لم يكن إلا من يذعن بتقدمه، ويهابه فلا يكلمه إلا[عند][٥]

---

(١) في الأصل ويدورون والصواب من الأغاني .[المراجع].

(٢) الأغاني ١/١٣.

(٣) ابن سريج: عبيد الله بن سريج مولى بني نوفل بن عبد مناف، من أشهر المغنين وأصحاب هذه الصناعة في صدر الإسلام، كان يغني مرتجلاً فيأتي باللحن المبتكر، وهو من أهل مكة وأول من ضرب بها على العود بالغناء العربي توفي سنة ٩٨ هـ. (الأغاني ١/٢٤٣ ــ ٣١١).

(٤) ابن سُريج الآخر هو شيخ الإسلام فقيه العراقين أبو العبّاس أحمد بن عمر بن سُريج البغدادي المتوفي ٣٠٣ هـ- سير أعلام النبلاء ١٤: ٢٠١ – ٢٠٤،[المراجع].

(٥) زيادة يتمّ بمثلها الكلام [المراجع].

تبسمه ويفتح وماسمعه، ويلتقط ويتشطط بأمانيه ويشترط، ويصلح خلله الكثير منه باليسير، ويتخذ منه ما يلقيه في أصواته كالإكسير، وكان لأهل مكة البطحاء به ضنانة، وبسببه يُهْتَكُ نَسَبُهُ صيانة، تتقيَّلُ بضلاله،و تُقِيْلُ في ظلاله، وعلى هذا مضى عُبَّاد الحجاز، كانوا لا يرون بالغناء باساً، ولا يرون أوقات[1] أنسهم بغيره[2] مقياسا.

قال أبو الفرج، قال إسحاق: أصل الغناء أربعة نفرٍ: مَكِّيان ومدنيَّان، فالمكيَّان: ابن سريج وابن محرز، والمدنيَّان: معبد ومالك[3].

قال إبراهيم: أدركت يونس الكاتب فحدثني عن الأربعة: ابن سريج وابن محرز ومعبد والغريض، فقلتُ له: مَنْ أحسنُ الناس غناءً؟ قال: أبو يحيى، قلت: عبيد ابن سريج؟ قال: نعم، قلت: وكيف ذلك؟ قال: إن شئت فَسّرْتُ وان شئتَ أجمَلْتُ، قلت: أجمل، قال: كأنه خلق من كل قلب فهو يُغَنِّي لكل إنسان ما يشتهي.

قال إسحاق: وسألت هشام بن مُرِّيَّةَ، وكان عُمَّرَ، وكان حاذقا بالغناء، فقلت له: مَنْ أحذقُ الناس بالغناء؟ فقال لي: تحب الإطالة أو الاختصار؟ فقلت: أُحبُّ اختصاراً يأتي على سؤالي[4]، فقال: ما خلق بعد النبي داود عليه السلام أحسن صوتاً من ابن سريج، ولا صاغ المغنى أحذق[5] منه، ويدل على ذلك أن معبداً كان إذا أعجبه غناؤه قال: أنا اليوم سُرَيجي.

---

(١) في الأصل: (اوقات) خرجة من الحاشية ومعها علامة (صح).

(٢) في الأصل: لغيره. وفي اللغة: أنِسَ به وأنِسَ إليه [المراجع].

(٣) مالك: هو مالك الطائي من كبار محترفي الغناء والموسيقا، اخذ الغناء عن معبد وجميلة وذاع صيته بين الأشراف، كان في العصر الأموي وأدرك العصر العباسي وتوفي سنة ١٤٣ هـ.

(٤) في الأصل: (على متوالي) وهو تحريف.

(٥) في الأغاني: «ولاصاغ الله عز وجلّ أحداً أحذْق منه بالغناء» [المراجع].

قال: وكان ابن أبي عتيق يسوق في كل عامٍ بَدَنَةَ (١) ينحرها عنه، ويقول: هذا بأقل حقه علينا.

قال أبو نافع الأسود، وكان آخر من بقي من غلمان ابن سريج:

إذا أعجزك القرشي أن تطرب فَغَنِّهِ غناء ابن سريج في شعر ابن أبي ربيعة، فإنك تُرْقِصُهُ.

قال جحظة، حدثني عليٌّ بن يحيى، قال: أرسلني محمد بن الحسن بن مصعب إلى إسحاق أسأله عن لحنه ولحن ابن سريج [ص ٦٤] في:(٢) [الطويل]

تَشَكَّى الكُمَيْتُ الجريَ لـمَّا جَهَدْتُهُ

أيُّهما أحْسَنُ؟ فصرت إليه فسألته عن ذلك، قال لي: يا أبا الحسن، والله قد أخذت بخطام(٣) راحلته فزعزعتها(٤) وأنختها، وقمت بها فما بلغته(٥)، فرجعت إلى محمد بن الحسن فأخبرته، فقال: والله إنه ليعلم أن لحنه أحسن من لحن ابن سريج، ولقد تحامل لابن سريج على نفسه ففضل القدماء.

قال إبراهيم بن المهدي، حَدَّثني إبراهيم الموصلي، قال: حَدَّثني الزبير بن دحمان عن أبيه أن معبداً تَغَنَّى في شعر عبدالرحمن بن حسان:(٦) [الرمل]

ربَّ قَلْبي بِهُمُومٍ وَفِكَرْ مِنْ حَبِيْبٍ هَاجَ حُزْنِي والسَّهَرْ

(١) البدنة: ناقة أو بقرة تنحر بمكة قرباناً، وكانوا يسمنونها لذلك.

(٢) الشعر لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه ص ٤٦٢ وتمامه:

تشكى الكميت الجري لما جهدته وبيّن لو يسطيع أن يتكلما

(٣) الخطام: الزمام اوما وضع في خطم الجمل ليقاد به.

(٤) زعزعتها: أي حركتها وسقتها سوقاً شديداً.

(٥) في الأصل: (فما بلغني) وهو خلاف المعنى المراد.

(٦) الشعر لعبدالرحمن بن حسان في الأغاني ١/ ٢٦٧ وفيه: (آب قلبي).

يومَ أبْصَرْتُ غُراباً واقِعاً شَرَّ ما طارَ على شَرٍّ شَجَرْ[(١)]

فعارضه مالك فَغَنَّى في أبيات من هذا الشعر:[(٢)] [الرمل]

وَجَرَتْ لِيَ ظَبْيَةٌ يَتْبَعُهَا لَيِّنُ الأظلافِ من حُوٍّ البقر[(٣)]

كُلَّما كَفْكَفْتُ مِنْهَا عَبْرَةً فَاضَتِ العينُ بِمُنْهَلٍّ دُرَرْ

قال: فتلاحيا[(٤)] جميعاً فيما صنعاه من هذين الصوتين، قال كل واحد منهما لصاحبه: أنا أجود صنعة منك، قال: فتنافرا[(٥)] إلى ابن سريج إلى مكة، فلما قدماها، سألا عنه فَأُخْبِرَا أنه خرج يَتَطَرَّفُ[(٦)] بالحناء في بعض بساتينها، فاقتصا[(٧)] أثره حتى وقفا عليه وفي يده الحناء، فقالا له: إنا خرجنا إليك من المدينة لتحكم بيننا في صوتين صنعناهما، فقال لهما: لِيُغَنِّ كلٌّ واحدٍ منكما صوته[(٨)]، فابتدأ معبد فَغَنَّى لحنه، فقال له: أحسنت والله على سوء اختيارك للشعر، ويحك ما حملك على ما صنعت هذه الصنعة الحسنة في حزن وسهر وهموم وفكر!؟ أربعة ألوان من الحزن في بيت واحد، وفي البيت الثاني شران في مصراع واحد، وهو:[(٩)]

شَرُّ ما طارَ على شَرِّ الشَّجَرْ

---

(١) في الأغاني: «شرّ الشجر» وسيأتي بهذه الصيغة [المراجع].

(٢) البيتان من الأبيات السابقة لعبدالرحمن بن حسان.

(٣) في الأغاني: « من حور البقر»، وهذا أمثل. [المراجع].

(٤) تلاحيا: تخاصما وتنازعا.

(٥) تنافرا: احتكما إلى ثالث ليفصل بينهما.

(٦) يتطرف بالحناء: يخضب أطراف أصابعه بها.

(٧) اقتصا أثره: اقتفيا أثره ليعرفا موضعه.

(٨) في الأصل: (صوتين) والسياق يدل على صوت واحد لكل منهما.

(٩) عجز بيت من الأبيات السابقة لعبدالرحمن بن حسان وتمامه: الأغاني ١/٢٦٥.

يوم أبصرت غراباً واقعاً شر ما طار على شر الشجر

ثم قال لمالك: هات صوتك، فغناه مالك، فقال: أحسنت والله ما شئت، فقال له مالك: وإنما هو ابن شهر(١)، فكيف تراه يا أبا يحيى إذا حال عليه الحول؟ قال دحمان: فحدثني [ص ٦٥] معبد أن ابن سريج غضب عند ذلك غضبا شديداً، ثم رمى بالحناء من يده وأصابعه، ثم قال: يا مالك، لي تقول هذا هو ابن شهر(١)؟

اسمع ابن ساعته، ثم قال: يا أبا عباد، أنشدني القصيدة التي تغنيتما فيها(٢)، فأنشدته القصيدة حتى انتهيت إلى قوله: (٣) [الرمل]

تُنْكِرُ الإِثْمَدَ ما تَعْرِفُهُ غَيْرَ أنْ تسمَعَ مِنْهُ بِخَبَرْ

فصاح بأعلى صوته: هذا خليلي، وهذاصاحبي، ثم تَغَنَّى فيه، فانصرفا مغلوبين مفضوحين، من غير أن يقيما بمكة ساعة واحدة.

قال: لما ضادّ ابن سريج الغريض وتلاحيا، جعل ابن سريج لا يُغَنِّي صوتاً إلا عارضه الغريض يُغَنِّي فيه لحناً غيره، وكانت في بعض أطراف مكة دار يأتيانها (٤) كل جمعة، ويجتمع إليهما ناس كثير، فَيُوضَعُ لكل واحد منهما كرسيٌّ يجلس عليه، ثم يتقاضيان الغناء ويترادّانه، فلما رأى ابن سريج موقع الغريض وغنائه من الناس لقربه من النوح وشبهه به، مال إلى الأرمال والأهزاج(٥)، فاستخفها الناس، وقال له الغريض: يا أبا يحيى، قصرت الغناء وحذفته وأفسدته، قال: نعم يا مخنث، جعلت(٦) تنوح على أبيك وأمك ألِيَ أن تقول هذا، والله لأُغَنِّيَنَّ

---

(١) في الأغاني: «ابن شهره» [المراجع].

(٢) في الأصل: «منها» والمثبت من الأغاني[المراجع].

(٣) البيت من ضمن الأبيات السابقة لعبدالرحمن بن حسان.

(٤) في الأصل: (يأتيها) والصواب (يأتيانها) أي ابن سريج والغريض.

(٥) في الأصل: (الأهجاز) وهو تحريف.

(٦) في الأصل: (جعل) ولا يوافق المعنى.

غناء ما غَنَّى أحد أثقل منه ولا أجود، ثم غَنَّى:[١] [الطويل]

تشكّى الكميت الجري لما جهدته

قال إسحاق: حدثني شيخ من موالي المنصور قال: قدم علينا المدينة فتيان بني أمية يريدون مكة، فسمعوا معبداً ومالكا فأعجبوا بهما، ثم قدموا مكة فسألوا عن ابن سريج فوجد مريضاً، فأتوا صديقاً له فسألوه أن يسمعهم غناءه، فخرج معهم حتى دخلوا عليه فقالوا: نحن فتيان من قريش أتيناك مسلمين عليك وأحببنا أن نسمع غناءك [٢] فقال: أنا مريض كما ترون، قالوا: إن الذي نكتفي به منك يسير ـ وكان ابن سريج أديباً طاهر الخلق عارفاً بأقدار الناس ـ فقال: يا جارية، هاتي جلبابي وعودي، فأتته جارية بخامة فشدها على وجهه، وكان يفعل ذلك إذا تغنى لقبح وجهه، ثم أخذ العود فغناهم حتى اكتفوا، ثم ألقى العود وقال: معذرةً، قالوا: قد قبل الله عذرك وأحسن إليك، ومسح على ما بك من الضُّرِّ، ثم انصرفوا يتعجبون مما سمعوا، فمروا بالمدينة منصرفين [ص ٦٦] فسمعوا من معبد ومالك فجعلوا لا يطربون، فقال [٣] أهل المدينة: نقسم بالله لقد سمعتم ابن سريج بعدنا، قالوا: أجل لقد سمعناه، فسمعنا مالم نسمع مثله قط ولقد نَقَصَ إلينا ما بعده[٤].

قال إسحاق، حدثني إسحاق بن يحيى بن طلحة قال: قدم جرير المدينة ونحن يومئذ شُبَّانٌ نطلب الشعر، فاحتشدنا له ومعنا الشعراء، فبينا نحن عنده إذ قام

---

(١) مَرَّ الشطر لعمر بن أبي ربيعة من أبيات في ديوانه ص ٤٦٢ .

(٢) في الأصل: (غناؤه) وهو وهم.

(٣) في الأصل: (فقالوا هل المدينة).

(٤) في الأغاني (١ : ٢٦٩): « ولقد نَغّص علينا مابعده » وهو أشبه وأمثل [المراجع].

لحاجته، فأقمنا لم نبرح، وجاءنا الأحوص الشاعر من قُبَا (١)على حمار، فقال: أين هذا؟ قلنا: قام لحاجته، فما حاجتك إليه؟ قال: إني أريد أن أعلمه أن الفرزدق أشرف منه وأشعر، قلنا: ويحك لا تعرض له، فانصرف وخرج جرير، فلم يكن بأسرع من أن أقبل الأحوص فوقف عليه فقال: السلام عليك، فقال: وعليك السلام، فقال: يابن الخطفى، الفرزدق أشرف منك وأشعر، قال جرير: من هذا؟ قلنا: الأحوص بن محمد، قال: نعم هذا الخبيث ابن الطيب، أنت القائل:(٢) [الطويل]

يقرُّ بِعَيْنِي ما يقرُّ بِعَيْنِهَا وأحسنُ شيءٍ ما بهِ العينُ قَرَّتِ(٣)

قال: نعم، قال: إنه يقر عينها أن يدخل فيها مثل ذراع البكر، فيقر ذلك بعينك؟ قال: وكان الأحوص يرمى بالأُبْنَة(٤)، فانصرف فبعث إليهم بتمر وفاكهة، وأقبلنا على جرير نسأله، وألح عليه أشعب فقال له: والله إني لأراك أقبحهم وجهاً، وأظُنُّك الأمَهُم حسباً، وقد أبرمتني منذ اليوم، فقال: إني والله أنفعهم لك، قال: ويحك وكيف ذلك؟

قال: إني أُمَلِّح شعرك وأُجِيْدُ مقاطعه ومبادئه، قال: قل ويحك، فاندفع فنادى بلحن ابن سريج:(٥) [الكامل]

ياأُختَ ناجيةَ السّلامُ عليكُمُ قَبْلَ الرَّحيلِ وقَبْلَ لومِ العُذَّلِ

---

(١) قبا: قرية على ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكة بها أثر بنيان كثير، وهناك مسجد التقوى عامر، قدامه رصيف وفضاء حسن وآبار ومياه عذبة، وبها مسجد الضرار. (ياقوت: قبا)

(٢) البيت للأحوص في ديوانه ص (٧) جمع وتحقيق عادل سليمان ط القاهرة ١٩٩٠.

(٣) في الأصل: (يقر عيني ما يقر عينها) وبه نقص يخل بالوزن.

(٤) الأُبْنَةَ: العيب، والمأبون: المتهم برجولته، ويسمى الحلاق أيضاً.

(٥) البيتان لجرير من قصيدة في ديوانه ص ٤٩٠ ط دار الكتاب العربي بيروت ١٩٩٤.

لو كنتُ أعلمُ أنَّ آخرَ عهدِكم يومَ الرّحيلِ فَعلْتُ مالمْ أفْعَلِ

فطرب جرير وجعل يزحف نحوه حتى مست ركبته ركبته، وقال: لعمري لقد صدقت إنك لأنْفَعَهُم لي، ولقد حسنته وأجدته، وأحسنت والله، ووصله وكساه، فلما رأينا إعجاب جرير بذلك الصوت، قلنا له: كيف لو سمعت واضع هذا، قال: وإن له [ص ٦٧] لواضعاً غير هذا؟ قلنا: نعم، قال: وأين هو؟ قلنا: بمكة، قال: فلست بعازم حجاً حتى أبلغه (١)، فمضى ومضى معه جماعة ممن يرغب في طلب الشعر في صحابته، وكنت فيهم، فقدمنا مكة فأتيناه جميعاً، فإذا هو في فتية من قريش كأنهم المها مع ظَرْفٍ كثير، فرحبوا به وأدنوا مجلسه، وسألوه عن الحاجة، فأخبرناهم الخبر، فرحبوا بجرير وأدنوه وسروا بمكانه،وعظم ابن سريج موضع جرير، وقال: سل ما تريد، جعلت فداك، [قال أريد] أن تغنيني لحناً سمعته بالمدينة أزعجني إليك(٢)، قال: وما هو؟ قال:

يَا أُخْتَ ناجيةَ السَّلامُ عليكمُ

فَغَنَّاه ابن سريج، وبيده قضيب يوقع به وينكت، فوالله ما سمعت شيئاً أحسن من ذلك، فقال جرير: لله دركم يا أهل مكة، ما أعطيتم: والله لو أن نازعاً نزع إليكم ليقيم بين أظهركم يسمع هذا صباحا ومساءً، كان أعظم الناس حظاً ونصيباً، وكيف ومع هذا بيت الله الحرام، ووجوهكم الحسان، ورقة ألسنتكم، وحسن شارتكم(٣)، وكثرة فوائدكم.

قال إسحاق: كان ابن سريج جالساً فمر به عطاء وابن جريج، فحلف عليهما

---

(١) في الأغاني: (فلست بمفارق حجازكم حتى أبلغه).

(٢) أزعجني اليك: دفعني للإسراع إليك.

(٣) الشارة: الزي والهيئة.

بالطلاق أن يغنيهما، على أنهما إن نهياه عن الغناء بعد أن يسمعا منه تركه أبداً، فوقفا له وغناهما: [١][المديد]

إخـــوَتـي لا تبـــعـــدوا أبداً ... وَبَـلـىَ والـلَّـه قَـــدْ بَعِـــدُوا

فَغُشِيَ على ابن جريج، وقام عطاء فوقف.

قال إسحاق: كان ابن سريج عند بستان ابن عامر، فَغَنَّى بلحنه في هذا الشعر: [٢] [مجزوء الوافر]

لِمَنْ نـارٌ بـأعلـى الخَـــبْـ ... ـتِ دونَ البـئـر مـا تَخْـبُـو
أَرِقْتُ لِذِكْـرِ مَـوْقِـعِـهَـا ... فَـحَنَّ لِذِكْـرِهَا القَلْبُ

فجعل الحجاج يركب بعضهم بعضا، حتى جاء إنسان من آخر القصرات فقال: يا هذا، قد قطعت على الحجاج وحبستهم، والوقت قد ضاق، فاتق الله وقم عنهم، فقام وسار الحجاج.

قال إسحاق، قال ابن مِقمَّة: دخلت على ابن سريج في مرضه الذي مات فيه، فقلت: كيف أصبحت يا أبا يحيى؟ [ص ٦٨] قال: أصبحت والله كما قال الشاعر[٣] [الوافر]

كَـأنِّي مِنْ تَـذَكُّـرِ مـا أُلاقي ... إذا مَـا أَظْلَمَ الليلُ البـهـيمُ
سَـقِـيْمٌ مَلَّ منه أقـربوهُ[٤] ... وأَسْلَمَـهُ المداوي والحَـمِـيْمُ

ثم مات.

(١) البيت في الأغاني ١/٣٠٥ في أخبار ابن سريج.

(٢) البيتان في الأغاني ١/٣٠٥. وفيه (بأعلى الخيف) والخبت: من الأرض ما انخفض واتسع، والمنخفض فيه رمل، والوادي العميق المحدود فيه نبات.

(٣) البيتان في الأغاني ١/٣٠٧.

(٤) في الأصل: (مل منه أقاربوه).

قال إسحاق، قال ابن مِقَمَّةَ: لما احتضر ابن سريج نظر إلى ابنته تبكي، فبكى وقال: إن من أكبر همي أنت، واخشى ان تضيعي بعدي، قالت: لا تخف، فما غَنَيَّتَ شيئا إلا وأنا أُغَنِّيهِ، فقال: هاتي، فاندفعت تُغَنِّي أصواتاً وهو مصغ إليها، فقال: قد أصبت ما في نفسي، وهونت علي أمرك، ثم دعا سعيد بن مسعود الهذلي [١]فزوجه إياها، فأخذ عنها أكثر غناء أبيها وانتحله، فهو الآن ينسب إليه.

قال إسحاق: وأخبرني هشام بن المرية، أن قادماً قدم المدينة فسارّ معبداً بشيء، فقال معبد: أصبحت أحسن الناس غناءً، فقلنا: أولم تكن كذلك؟ قال: لا، ثم قال: أتدرون ما خبرني به هذا؟ قالوا: لا، قال: أعلمني أن عبيد بن سريج مات، ولم أكن [أحسن] الناس غناءً وهو حي.

قال إسحاق: قال كثير بن كثير السهمي يرثيه:[٢] [البسيط]

مـا الَّلهْـوُ عْندَ عُـبَـيْـدٍ حينَ يَخْـبـرُهُ ... مَنْ كـانَ يلهـو بـه منهُ بِمُطَّلَبِ [٣]

لِلَّه قـبـرُ عُـبَـيْـدٍ مـا تَضَـمَّنَهُ ... مِنْ لَذَّةِ العيشِ والإحسانِ والطَّرَبِ [٤]

لولا الغـريضُ فـفـيـهِ من شـمـائله ... مُـشَـابِهٌ لم أَكُنْ فـيـهِ بذي أَرَبِ

قال مصعب الزبيري: حدثني شيخ من المكيين قال: كان ابن سريج قد أصابه الريح الجنبَّية[٥]، فآلى يميناً أن لا يغني، ونسك ولزم المسجد حتى عُوفِيَ، ثم

---

(١) سعيد بن مسعود الهذلي من كبار المغنين من أهل مكة توفي سنة ١٠٠ هـ. مرت ترجمته وأخباره.

(٢) الشعر في الأغاني ١/٣٠٧ــ٣٠٨.

(٣) في الأغاني :« بَعْدَ عُبيد ». [المراجع].

(٤) في الأصل: (قرب عبيد) وهو تحريف.

(٥) في الأغاني (١٧ :٢): الريح الخبيثة [المراجع].

خرج وبه بقية من العلة، فأتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم، وموضع مُصَلاهُ، فلما قدم المدينة نزل على بعض إخوانه من أهل النُّسْك والقراءة، وكان أهل الغناء يأتونه فيسلمون عليه فلا يأذن لهم في الجلوس بالمحادثة له(١)، فأقام بالمدينة حولاً: حتى لم يحس في علته بشيء، وأراد الشخوص فبلغ سكينة بنت الحسين(٢)، فاغتمت اغتماماً شديداً وضاق صدرها [ص ٦٩] وكان أشعب يخدمها، وكانت تأنس به وتضاحكه، فقالت: ويلك، إن ابن سريج شاخص، وقد دخل المدينة منذ حول، ولم أسمع من غنائه لا قليلا ولا كثيراً وتَعَذَّرَ ذلك عليَّ فكيف الحيلة في الاستماع منه ولو صوتاً واحداً؟ فقال لها أشعب: جعلني الله فداك، أنّى لك بهذا والرجل زاهد ولا حيلة لك فيه؟ فارفعي طمعك والحسي بوزك(٣)[تنفعك](٤) حلاوة فمك، فأمرت بعض جواريها فَوَطِئَتْ بَطْنَهُ حتى كادت تَخْرُجُ أمعاؤه، وخنقته حتى [كادت] تزهق روحه، ثم أمرت فَسُحِبَ على وجهه حتى أُخْرِجَ من الدار إخراجاً عنيفاً، فخرج واغتمَّ غماً شديداً، ونَدم على ممازحتها في وقت لم ينبغِ له ذلك فيه، فأتى منزل ابن سريج ليلاً فطرقه، فقيل له: من هذا؟ قال: أشعب، ففتحوا له، فرأى على وجهه ولحيته التراب، والدم سائل من أنفه وجبهته على لحيته، وثيابه ممزقة، وبطنه وصدره قد عصرهما ا لدوس والخنق.

---

(١) في الأغاني: في الجلوس والمحادثة.[المراجع].

(٢) سكينة: سكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب، نبيلة شاعرة كريمة من جميلات النساء في عصرها كانت تجالس الأجلة من قريش وتجمع إليها الشعراء وتسمع كلامهم ،فتفاضل بينهم،وتناقشهم ،وتجيزهم.تزوجها مصعب بن الزبير فقتل، فتزوجها عبدالله بن عثمان بن عبدالله فمات عنها، وتزوجها زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان فأمره سليمان بن عبدالملك بطلاقها تشاؤماً من موت أزواجها ففعل، أخبارها كثيرة وكانت إقامتها ووفاتها بالمدينة سنة ١١٧ هـ. (وفيات الأعيان ١ / ٢١١ طبقات ابن سعد ٨ /٣٤٨ المحبر ص ٤٣٨).

(٣) البوز: الفم وما حواليه، والحسي بوزك: كناية عن اليأس.

(٤) من الأغاني [المراجع].

ومات الدم فيها، فنظر ابن سريج إلى منظر فظيع[1] هاله وراعه، فقال: ماهذا ويحك، فقص عليه قصته، فقال ابن سريج: إنا لله وإنا إليه راجعون، ماذا نزل بك، والحمد لله الذي سلم نفسك، لا تعودن إلى هذا أبداً، قال أشعب: فديتك، هي مولاتي، ولابد لي منها، ولكن هل لك حيلة في أنْ تصير إليها وتُغَنِّيَهَا، ويكون ذلك سبباً إلى أن ترضى عني؟ قال ابن سريج: لا يكون ذلك أبداً بعد أنْ تركته، قال أشعب: فديتك، قد قطعت أملي ورفعت رزقي، وتركتني حيران في المدينة لا يقبلني أحد، وهي ساخطة عليَّ، فالله الله، وأنا أنشدك الله إلا[2] تحملت هذا الأمر وإن كان إثماً، فقال ابن سريج: والله لا يكون هذا أبداً، فلما رأى أشعب أنَّ ابن سريج قد تمَّ على الامتناع، قال في نفسه، لا حيلة لي وهذا خارج، وإن خرج هلكت، فصرخ صرخةً آذَنَ أهل المدينة لها، ونَبَّهَ الجيران من رقادهم،وأقام الناس من فرشهم، ثم سكت، فلم يدر الناس ما القضية عند خفوت الصوت بعد أن قد راعهم، فقال ابن سريج: ويلك، ما هذا؟ قال: والله لئن لم تَصِرْ معي إليها، لأصْرَخَنَّ صرخةً ثانية لا يبقى بالمدينة أحد إلا صار بالباب، ثم لأفتَحنَّهُ ولأُرِيَنَّهمُ ما بي، ثم أُعلِمَنَّهم أنك أردت أن تفعل كذا وكذا بفلان، يعني غلاماً كان لابن سريج شهر به [ص ٧٠] ومنعتُكَ وخَلَّصْتُ الغلام من يدك حتَّى فتحَ الباب وَمَضَى، فَفَعلْتَ بي هذا غيظاً وتأسفاً، وإنك إنما أظهرت النسك والقراءة لتظفر بحاجتك منه، وأهل مكة والمدينة يعلمون بحاله، فقال ابن سريج: اغرب أخزاك الله، فقال أشعب: والله الذي لا اله إلا هو، وإلا فما أملك صدقه، وامرأته طالق ثلاثاً، إن أنت لم تنهض معي في هذه الليلة لأفْعَلَنَّ، فلما رأى ابن سريج الجِدَّ منه، قال لصاحبه: ويحك، أما ترى ما وقعنا فيه؟ وكان صاحبه الذي نزل عليه ناسكاً، فقال: ما أدري ما أقول فيما وقع بنا

(١) في الأصل: (فضيع).

(٢) في الأصل:« إن تحمّلت». والصواب من الأغاني .[المراجع].

من هذا الخبيث، وتذمَّم ابن سريج من الرجل صاحب المنزل، وقال لأشعب: اخرج من منزل الرجل، فقال: رجلي مع رجلك، فخرجنا، فلما صار ببعض الطريق، قال ابن سريج لأشعب: امض عني، قال: والله لئن لم تفعل ما قلت لأصِيْحَنَّ الساعة حتى يجتمع الناس، ولأقولَنَّ إنك أخذت مني سواراً من ذهب لسكينة، على ان تجيئها فتغنيها سراً، وإنك كابرتني عليه وجحدتني وفعلت بي هذا الفعل، فوقع ابن سريج فيما لاحيلة [له] فيه، فقال: امض لابارك الله فيك، فمضى معه، فلما صار إلى باب سكينة، قرع الباب، فقيل: من هذا؟ فقال: أشعبُ قد جاء بابن سريج، فَفُتِحَ الباب ودخلا إلى حجرة من دار سكينة، فجلسا ساعة، ثم أُذِنَ لهما فدخلا إلى سكينة، فقالت: يا عبيد، ما هذا الجفاء؟ فقال: قد علمت بأبي أنت وأمي ما كان مني، قالت: أجَلْ، فتحدّثا ساعةً وقصّ عليها ما صنع [به] أشعب، فضحكت وقالت: لقد أذهب ما كان مني عليه، وأمرت لأشعب بعشرة[(١)] دنانير وكسوة، ثم قال لها ابن سريج: أتَأْذنيْنَ بأبي أنت وأمي؟ قالت: وأين تريد؟ قال: المنزل، قالت: بَرِئْتُ من جَدِّي إن برحت من داري ثلاثة أيام، وبرئتُ من جَدِّي إن [أنت] لم تُغَنِّ إن خرجت من داري شهراً، وبرئت من جدي إن أقمت في داري شهراً لم أضربك كل يوم عشراً، وبرئتُ من جَدِّي إن حنثت في يميني إن شفعت فيك أحداً، قال عبيد: واسُخْنَةَ عيناه! واذهابَ دُنْيَاهُ! وافضيحَتَاه! ثم اندفع يُغَنِّي:[(٢)] [الخفيف]

أســـتعينُ الذي بِكَفَّـيْـهِ نَفْـعِي ورجـــائي على التـي قَـــتَلَـتْني

قالت سكينة: هل عندك من صبرٍ؟ ثم أخرَجَتْ دُمْلَجاً[(٣)] من ذهب كان في

---

(١) في الأغاني ١٧ / ٤٨ (بعشرين ديناراً).

(٢) البيت لعمر بن أبي ربيعة من قطعة في ديوانه ص ٥٠٣.

(٣) الدملج: السوار.

عضدها وزنه أربعون مثقالاً، فرمت به إليه، فقالت: أقسمت عليك لما أدخلته في يدك، ففعل، ثم قالت لأشعب: [ص ٧١] اذهب إلى عزَّة المُيلاء[١] فاقْرِئَها مني السلام، واعلمها أن عبيداً عندنا، فلتأتنا متفضلة بالزيارة، فأتاها أشعب فأسرعت المجيء، فتحدثوا باقي ليلتهم، ثم أمَرَتْ عبيداً وأشعب فناما في حجرة مع مواليها، فلما أصبحت هُيِّئَ لهم غداؤهم، وأُذِنَ لابن سريج فدخل فقعد بالقرب منها مع أشعب في مواليها، وقعدت هي مع عَزَّة وخواصِّ جواريها، فلما فرغوا من الغداء قالت يا عزَّةُ، أنْ رأيت ان تُغَنِّينَا، قالت: إي وعيشك، فَغَنَّتْ لحنها في شعر عنترة العبسي: [٢][الكامل]

حُـيِّـيْتَ من طَلَلٍ تقـادم عَـهْـدُهُ ... أقـوى وأقـفـرَ بعـدَ أُمِّ الهـيـثمِ
إن كُنْتَ أزْمَـعْتِ الفـراقَ فـإنما ... زُمَّـتْ رِكَـابُكُمْ بِلَيْلٍ مُظْلِمِ

فقال ابن سريج: أحْسَنْتِ واللّه يا عزَّةُ، وأخْرَجَتْ سكينةُ الدُّمْلَجُ الآخرُ من يدها فرمت به إلى عَزَّة وقالت: صَيِّري هذا في يدك، ففعلت ثم قالت لعبيد: هات غننا،[٣] فقال: حسبك ما سمعت البارحة، فقالت: لابد أن تُغَنينا في كل يوم لحناً، فلما رأى ابن سريج أنه لا يقدر على الامتناع، غَنَّى:[٤] [البسيط]

قـالتْ مَنَ انْتَ على ذِكْرٍ فـقُلْتُ لَهَـا ... أنا الذي سَـاقَـهُ لِلْحَـيْنِ مـقْـدَارُ[٥]

(١) عزة الميلاء: مولاة للأنصار كانت جميلة وافرة السمن، لقبت بالميلاء لتمايلها في مشيتها، وهي أَقْدمُ من غنى غناء موقعاً بالحجاز، كانت تضرب بالعيدان والمعازف،أخذ عنها ابن سريج وسمعها معبد وقصدها الشعراء، توفيت سنة ١١٥ هـ (الأغاني ١/ ٣٧٨ ط الدار، أعلام النساء ٢/ ١٠١٣ الدر المنثور ص ٣٤١).

(٢) الشعر لعنترة العبسي من معلقته في ديوانه ص ١١٨ ط دار الكتب العلمية ببيروت ١٩٩٥.

(٣) في الأصل: (فغناها) وهو خلاف السياق.

(٤) البيتان لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه ص ٤٩٥ وفيه البيت الثاني قبل الأول.

(٥) الحين: الموت، والمقدار: هنا القدر.

قَـدْ حَـانَ منكِ ـ فـلا تَبْعُـدُ بكِ الدّارُ ـ بَيْـنٌ وفي البَـيْنِ للمَـتْـبُـولِ إِضْــرارُ(١)

ثـم قالت لِعَزَّةَ في اليوم الثاني: غَنِّي، فَغَنَّت لحنها في شعر الحارث بن خالد المخزومي :(٢) [الطويل]

وَقَـرَّتْ بهـا عـيني وقـد كنتُ قَـبْلَهـا كـثـيـراً بكائي مُـشْـفـقـاً من صُـدُودِهَا
وبِشْـرَةُ خَـوْدٍ مـثلُ تِمـثـالِ بَيْـعَـةٍ تَظَلُّ النَّصَـارى حَـوْلَهُ يومَ عِـيْـدِهَا(٣)

فقال ابن سريج: والله ما سمعت مثل هذا حسناً قط و[لا] طيباً، ثم قالت لابن سريج: هات، فغنَّى بشعر عمر بن أبي ربيعة: (٤)[مجزوء الوافر]

أرِقْـــتُ فَـــلَـــم أَنَــمْ طَـــربـــا وَبِتُّ مُـــسَــــهَّـــداً نَـصِـــبَـــا
لِـــطَـــيْـــفِ أحَــبِّ خَـــلْـــقِ الـــ ـــله إنْسَـــانـاً وإنْ غَـــضِـــبَـــا
فـلـم أرْدُدْ مـــــقَـــــالَـتَـــــهـــــا ولـم أكُ عَـــاتِـبـــاً عَـــتَـــبَـــا

فقـالـت سكينة: قد علمت مـا أردت بهـذا، قـالـت: وقد شـفـعناك، وإنما كـانت يميني على ثلاثة [ص ٧٢] أيام، فاذهب في حفظ الله وكلاءته، ثـم قالت لِعَزَّةَ: إذا شِئْتِ، وأمَرَتْ لها بِحُلَّةٍ حَسَنَةٍ، ولابن سريج بمثلها، وانصرفت عَزَّةُ: وأقام ابن سريج حتى انقضت ليلته، وانصرف ذاهباً إلى مكة.

قال أبو يوسف بن إبراهيم: حَضَرْتُ أبا إسحاق ابراهيم بن المهدي وعنده إسحاق الموصلي، فقـال إسحـاق: غَنَّى ابـن سريـج ثمـانيـة وستين صـوتاً، فـقـال له ابن

---

(١) المتبول: الذي أسقمه الحب وذهب بعقله.

(٢) البيتان من ثلاثة للحارث المخزومي في مجموع شعره ص ٧٥.

(٣) في الأصل: (حولها يوم عيدها) والصواب حوله أي التمثال.

(٤) الأبيات من قطعة لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه ص ٤٨٥.

المهدي: ما تجاوز قط ثلاثة وستين صوتاً، ثم جعلا يتناشدان الصحيح حتى بلغا ثلاثةً وستين صوتاً، وهما متفقان في ذلك، ثم أنشد إسحاق بعد ذلك خمسة أصوات، فقال له ابن المهدي: صدقت، هذا من غنائه، ولكن لحن هذا الصوت نقله من لحنه في الشعر الفلاني، ولحنه الثاني من لحنه الفلاني، حتى عَدَّ له خمسة الأصوات، فقال له إسحاق: صدقت، ثم قال له إبراهيم: [إن] ابن سريج كان رجلاً عاقلاً أديباً، وكان يعاشر الناس بما يشتهون، فلا يغنيهم صوتاً يمدح به أعداءهم، ولا صوتاً عليهم فيه عار أو غضاضة، ولكنه يعدل (١) بتلك الألحان إلى أشعار في أوزانها، والصوتان واحد لا ينبغي أن يُعتدَّ بهما في صوتين عند التحصيل، ثم اتفقا على ان قدما من غنائه ثمانية أصوات. فالأول: (٢) [الرمل]

فــإذا مــا عَــثَــرَتْ في مِــرْطِهَــا ... نَهَــضَتْ باسـمي وقــالتْ يا عــمــرُ

والثاني: (٣) [مجزوء الخفيف]

حَــيِّــيَــا أُمَّ يَــعْــمَــرَا ... قَــبْــلَ شَــحْــطٍ مِنَ النَّوى

والثالث: (٤) [الكامل]

فَــتَــرَكْــتُــهُ جَــزَرَ السِّــبَــاعِ يُنْشْنَهُ ... مَــا بَيْــنَ قُلَّة رأســهِ والمِعْــصَمِ

والرابع: (٥) [الطويل]

فلم أرَ كــالتَّــجْــمِــيْــر منظرَ ناظرٍ ... ولا كَــلَيــالِي الحَجِّ أفْتَنَّ ذا هــوى

---

(١) في الأصل: (يغنيك بتلك).

(٢) لم أجد البيت في ديوان عمر بن أبي ربيعة. والبيت في الأغاني ١ / ٢٦٢ و ٢٦٣.

(٣) البيت لعمر بن أبي ربيعة في قطعة في ديوانه ص ٤٨٤ والأغاني ١ / ٣٦١.

(٤) البيت لعنترة العبسي في معلقته في ديوانه ص ١٢٤.

(٥) البيت لعمر بن أبي ربيعة من قطعة في ديوانه ص ٤٥٩.

والخامس:[1] [السريع]

عُـــوجي عليـنا رَبَّةَ الـهـــودجِ إنكِ إن لم تَـفْـــعَلِي تَحْـــرجِي

والسادس: [ص ٧٣][2] [مجزوء الوافر]

ألا هَـلْ هَـاجَـكَ الأظْـعَـــــــا نُ إذ جَــــــاوَزْنَ مُـطَّـلَـحَـــــا

والسابع:[3] [الرمل]

تُنْكِرُ الإِثْمِـــدَ لا تَسْــمَـــعُـــهُ غَـــيـــرَ أن تَسْـــمَعَ مِنْهُ بِخَـــبَـــرْ

والثامن: [4][الطويل]

ومن حُـبِّ ذاتِ الخَـالِ أعْـمَلْتُ ناقـتي أُكَلِّفُـهَـا سَـيْـرَ الكَلالِ مع الظَّلعِ

٢٣- أبو كَامِل[5]

مِنْ أجَلِّ مَنْ ذَكَرَهُ أبو الفرج، وَحَدَّثَ عن بحره ولا حرج، طلع بدره في الدولة الأموية مشرقاً، ولمع بارق سُحبه الروَّيةِ مبرقاً، وخرج بالحِبَاءِ، وأدلجَ والحَظُّ يسوق إبله بغير الحُداءِ، وذخر من فواضل تلك الأيام ما كان يجد فيه ريحها، ويجيد به مديحها، ويأسف إذْ لا يجد من مُمِيْحٍ، ولا يلقى من نازح ولا سنيح،

(١) البيت للعرجي مطلع قصيدة في ديوانه ص ١٨٩.

(٢) البيت لعمر بن أبي ربيعة من قطعة في ديوانه ص ٤٦٢.

مطلح: اسم موضع لم يعينه ياقوت في معجمه.

(٣) البيت لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت في الأغاني ١/ ١٦٥ والرواية فيه: تنكر الإثمد لا تعرفه، والإثمد: الكحل.

(٤) البيت لعمر بن أبي ربيعة من قطعة في ديوانه ص ١٨٢ وأوله فيه: ومن أجل ذات الخال، والظلع: شبه العرج.

(٥) أبو كامل: واسمه الُغزَيِّل، وهو مولى الوليد بن يزيد، كان مغنيا محسناً وطيباً مضحكاً، توفي في أيام بني أمية أخباره في الأغاني (الأغاني ٧/ ١٠٤ ـ ١٠٨)

ولايرى من يشتري الحمد بالثمن البخس ولا الربيح.

قيل إنه غَنَّى الوليد ذات يوم:[١] [الخفيف]

جَنِّبَاني أذاةَ كُلِّ لَئِيْمِ ... إنّهُ مَا عَلَمْتُ شَرُّ نديمِ

فطرب الوليد حتى خلع عليه ثيابه كُلّها حتى قَلَنْسِيَةَ[٢] وشي كانت عليه، وكان أبو كامل[٣] يصونها ولا يلبسها إلا من عيد إلى عيد، ثم يمسحها بكمه ويرفعها ويبكي ويقول: إنما أرفَعُها لأني أجِدُ فيها ريح سيدي الوليد، وللوليدبن يزيد أشعار كثيرة، فمنها ما يُغَنَّى به:[٤] [مجزوء المتقارب]

سَقَيتُ أبا كامل ... من الأصْفَرِ البَابلي

وسَقَيْتُهَا مَعْبَداً ... وكُلَّ فتى فاضِلِ[٥]

لِيَ المحْضُ من ودِّهم ... ويَغْمُرُهُمْ نَائِلي

ومَا لامَني فِيْكُمُ ... سوى حاسدٍ جاهلِ

قال: وكان المعتضد إذا غُنِّيَ هذا الصوتَ يقول للجلساء: أما ترون شمائل الملوك في هذا الشعر ما أبينها، يعني قوله:

لِيَ المحْضُ من ودِّهم ... ويَغْمُرُهُمْ نَائِلي

---

(١) البيت للوليد بن يزيد من قطعة في مجموع شعره ص ١١٤ جمع حسين عطوان ط عمان ١٩٧٩ والأغاني ٧/١٠٥.

(٢) القلنسية: القلنسوة، غطاء للرأس مختلف الأنواع والأشكال.

(٣) في الأصل (أبو سالم) وهماً.

(٤) الأبيات للوليد بن يزيد في مجموع شعره ص ١٠٠ والأغاني ٧/١٠٥.

(٥) في الأصل: نابل (؟) غير واضحة الإعجام [المراجع].

٢٤ - إسمٰعِيلُ بن الهُرْبِذ [١]

مُلْتَقطُ فوائد، ومُحَصِّل فرائد، تتعب ألف رائد، يبدر إلى محاسن المقال، وينظر [ص٤٧] إليه لا إلى من قال، يأخذ الغناء مِنَ الأَمَةِ الوكْعَاء[٢]، وينوي الغنا عن الأمَةِ الخلعاء، وكان من أفراد أهل الطرب، وَوُرّاد ما منع منه من موارد الطلب، وذكر ابن عساكر من أخباره ما ليس هذا موضعه، ولا الذي يُحَبُّ مرقلُهُ ولا موضعه.

قيل إنه قدم مكة على الرشيد وعنده ابن جامع وإبراهيم وابنه إسحاق وفليح وغيرهم، والرشيد يومئذ خاثر[٣]، به خمار[٤] شديد، فَغَنَّى ابن جامع ثم فليح وإبراهيم، فما حَرَّكَه أحَدٌ منهم ولا أطربه، فاندفع [ابن] الهربذ يغني، فعجبوا من إقدامه في تلك الحال على الرشيد، فَغَنَّى:[٥] [مجزوء الكامل]

يـا راكـبَ الـعـيـس الـتـي ... وخـدَتْ إلى البـيـتِ الحـرامِ [٦]
قُـلْ لـلإمـامِ أخـي الإمـا ... مِ ابـن الإمـام أبـي الإمـام
زيـنِ الـبـريـة إذ بـدا ... فـيْـكُـم كـمِـصْـبَـاح الظَّلامِ
جَـعَـلَ الإلـهُ الـهـرْبِـذ ... يَّ فِـداكَ مِـنْ بـين الأنـامِ

---

(١) إسماعيل بن الهربذ : مغن من أهل مكة، كان مولى لآل الزبير بن العوام أدرك آخر أيام بني أمية وغنى للوليد بن يزيد وعمر إلى آخر أيام الرشيد، أخباره في الأغاني (الأغاني ٧ / ١١٨ - ١٢٠).

(٢) الأمَةُ الوكعاء: الجارية الحمقاء.

(٣) الخاثر: من يجد الشيء القليل من الوجع والفترة، وخثرت نفسه: غثت وخبثت، واختلطت. (اللسان: خثر).

(٤) الخمار: الصداع الذي يشعر به شارب الخمر بعد فترة من شربه.

(٥) الشعر في الأغاني ٧ / ١١٨.

(٦) وخدت الإبلُ: سرعت ووسعت الخطوة.

قال: فكاد الرشيد يرقص، واستخفَّهُ الطرب حتى ضربَ بيديه[1]، ورجليه،وأمر له بعشرة آلاف درهم، فقال له: يا أمير المؤمنين، لهذا الصوت خبر، فإن أَذِنَ لي أمير المؤمنين حدثته، قال: حَدِّثْ، قال: كنت مملوكاً لرجلٍ من آل الزبير، فدفع إليَّ درهمين أبتاع له بهما لحماً، فخرجت فلقيت جارية على رأسها جرة مملوءة من ماء العقيق، وهي تُغَنِّي بهذا اللحن في شعر غير هذا الشعر في وزنه ورويه، فسألتها ان تعلمنيه، فقالت: لا وَحقِّ القبر [2]، إلا بدرهمين، فدفعت إليها الدرهمين فعلمتنيه، فَرَجِعْتُ إلى مولاي بغير لحم، فضربني ضرباً مبرحاً شغلت بنفسي معه، فأُنْسِيْتُ الصوت، ثم دفع إليَّ درهمين آخرين لأبتاع بهما لحماً، فلقيت الجارية، فسألتها أن تعيد الصوت، فقالت: لا والله، إلا بدرهمين، فدفعتها إليها، فأعادته مراراً حتى أخذته، فلما رجعت إلى مولاي أيضاً بلا لحم معي، قال: ما القصة في هذين الدرهمين؟ فصدقته عن القصة، وأعَدْتُ عليه الصوت، فَقَبَّلَ بين عيني وأعتقني، فرحلتُ إليكَ بهذا الصوت، وقد جعلت لك اللحن في هذا الشعر، فضحك، ثم قال: دع الأول وتناسه، وأقم على هذا [ص ٧٥] الشعر بهذا اللحن، وأما مولاك فإني أدفع إليه بكل درهم ألف دينار، ثم أمر بذلك فَحُمِلَ إليه من وقته.

ومما غَنَّى به إسماعيلُ الهربذيُّ الوليدَ بن يزيد بن عبدالملك: [3][الهزج]

سُلَيْمَى تلكَ في العِيْرِ قِفي أُخْبِرْكِ أو سِيْري
إذا ما أنت لم ترثي لِصَبٍّ القلبِ مَغْمُورِ
فلمَّا أذَّنَ الصُّبْحُ بأصواتِ العَصَافِيْرِ
خَرَجْنَا نتبعُ الشَّمسَ عُيوناً كالقواريرِ

---

(١) في الأصل: «بيده»، والمثبت من الأغاني[المراجع].

(٢) القبر: تريد قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٣) الشعر ليزيد بن ضبة في الأغاني ٧/ ١٠٧.

يزيد بن ضبة مولى لثقيف واسم أبيه مقسم وضبة أمه.

وَفِــــــيْنَـا شَـــــادِنٌ أحْـــــوَ رُ مِنْ حُـــورِ اليــــعـــافِـــيْـــرِ

٢٥ - أبو دُلَف العجْلي(١)

القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل بن عمير العجلي، أحد قواد المأمون ثم المعتصم من بعده، ضرب الهام بسيوفه حتى زواها، والجيوش بصفوفه حتى سوَّاها، وعاطى الأعداء كؤُوسَ الدماء، وعاقر الأمور البعيدة للإدناء، فاسْتَقَلَّ ملكاً مهابا(٢)، وفلكاً كم أطلع شهابا، وَسَحَّ سحابُهُ وهطل، وَصَحَّ أنَّ اسم مَنْ يقدمه بطل، فأصبحت به تضرب المثل(٣)، وتُركَبُ السُّبُل، فدعته ألسنة الآمال، وبايعته نفائس الآجال وملئت ساحته بالركائب، وملأت سماحته بالرغائب، وكان يطعن الطعنة النجلاء، ويرشق السهم بنظر النظرة الكحلاء، ويقتاد الحصان يزل اللِّبْد عن صهواته، ويشتكي ساقط الرمح بُعْدَ مَهْواته، سكن الجبال، وسكب على الكفار الوبال، وسكت(٤) وكلت عنه النبال، ورعت الخلفاء منه نصيحاً، ودعت منه فصيحاً، واستَنْبطت(٥) لأدوائها منه مسيحاً، وأعدت لأعدائها منه مشيحاً، وكان بسقام الخلافة طَبِناً(٦) خبيراً، وبالانتقام لها مبيداً مبيراً، وهو مع هذه الصرامة التي تتأكَّلُ منها النار، والشهامة التي يتفتح بها

(١) أبو دلف: القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل من بني عجل بن لجيم، أمير الكرج وسيد قومه، وأحد الأمراء الأجواد الشجعان الشعراء، من العلماء بصناعة الغناء، يقول الشعر ويلحنه توفي ببغداد سنة ٢٢٦ هـ.
(الأغاني ٨/٢٥٦ـ ٢٧٧ وفيات الأعيان ١/٤٢٣، تاريخ بغداد ١٢/٤١٦ السمط ص ٣٣١).

(٢) في الأصل: (مهانا) والإعجام في المخطوطة مضطرب.

(٣) كذا في الأصل والوجه: (فأصبح به يضرب المثل).

(٤) في الأصل:« وسلت». والمثبت هو الوجه [المراجع].

(٥) في الأصل: «واستبطت» والمثبت هو الوجه [المراجع].

(٦) في الأصل: «ظناً». والطَّبِن: الفطن.[المراجع].

شجر الغناء بالجلنار، أرق من النسيم شمائل، وأرق من الغيد بوصف البانة المتمايل، يوفي كل مقام حقه، وكل مقال صدقه، ويضحى به البوس، ويضحك الزمان العبوس، حضر مع مواليه للمنادمة، وقد بذل [ص ٧٦] لهم لبلوغ المنى دمه، وكان يُغَنِّي له بالأصوات، ويُعنى في كل شعر له مُواتٍ. وكان قوي القريحة، فما لا يدرك مهلة، ولا يظن البحار إلا نهله.

قال أبو الفرج: وكان أحمد بن أبي دواد (١)، ينكر أمر الغناء إنكاراً شديداً، فأعلمه المعتصم أن صديقه أبا دلف يغني، فقال: ما أراه مع عقله يفعل ذلك، فستر المعتصم أحمد بن أبي دواد [في موضع وأحضر أبا دلفٍ، وأمره أن يغني، ففعل ذلك وأطال، ثم خرج أحمد بن أبي دواد] (٢)عليه من موضعه، والكراهة ظاهرة في وجهه، فلما رآه قال أحمد: سوءة لهذا من فِعْل، أبعد الستين وهذا المحل تضع نفسك بما أرى؟ فخجل أبو دلف وتَشَوَّر(٣) وقال: إنهم أكرهوني على الغناء، [فقال: هبهم أكرهوك على الغناء](٤) أفأكرهوك على الإحسان فيه؟

قال أحمد بن عبيد الله: كُنَّا عند المبرِّدِ يوماً، وعنده فتى من ولد أبي البَخْتَري وهو ابن أبي وهب بن عمار القاضي له جمال ظاهر، وفتى من ولد أبي دلف العجلي شبيه به في الجمال، فقال المبرِّدُ لابن أبي البَخْتَري: أعرف لجدك قصة من

---

(١) أحمد بن أبي دواد: أحد القضاة المشهورين من المعتزلة، ورأس فتنة القول بخلق القرآن، كان فصيحا عارفا بالأخبار والأنساب، وكان قاضي القضاة في زمن المعتصم والواثق، أصيب بالفالج في زمن المتوكل وتوفي ببغداد سنة ٢٣٣ هـ.

(ابن خلكان ١/ ٢٢ تاريخ بغداد ٤/ ١٤١ ـ ١٥٦ لسان الميزان ١/ ١٧١ ثمار القلوب ص ١٦٣).

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل، والتتمة من الأغاني ٨/ ٢٥٩.

(٣) تشور: خجل، وشور فلانا وبه: أخجله.

(٤) مابين المعقوفتين ساقط من الأصل وبه يتم المعنى.

الكرم حسنة لم يسبق إليها، قال: وما هي؟ قال: دُعِيَ رجل من أهل الأدب إلى بعض المواضع، فَسُقِيَ نبيذاً غير الذي يشربونه، فقال فيهم: [المتقارب]

نبَـيْـذانِ في مـجلسٍ واحـدٍ لإيثـارِ مُـثْـرٍ على مُـقْـتـرِ
فلو كـان فِـعْلُكَ ذا في الطَّعَـامِ لَزِمْتَ قـيـاسَك في المُسْكِرِ[1]
ولـو كُنْـتَ تطلبُ شَـأْوَ الكِرَامِ فـعلتَ كَـفِـعْلِ أبي البَـخْـتِـري
تَتَـبَّعَ إخْـوانَهُ في البـلادِ فَـأغْنَى المُقِلَّ عن المُكْثِـرِ

فبلغت الأبيات أبا البَخْتري، فبعث إليه ثلاث مئة دينار، قال ابن عمار: فقلت له: قد فعل جَدٌّ هذا الفتى في هذا المعنى أحسن من هذا، قال: وما فعل؟

قال: بلغه أن رجلا افتقر بعد ثروةٍ، فقالت له امرأته: افترض في الجند، فقال: [2][البسيط]

إليكَ عنّي فَـقَـد كَلَفْـتِني شَطَطاً حـملَ السِّلاحِ وقـيلَ الدارعينَ قِفِ
تمشي المنايا إلى قـومٍ فـأكـرهُهَـا فكيفَ أمْـشي إليـهـا عـاريَ الكَتِفِ
حَـسِـبْتِ أن نفـادَ المالِ غَـيَّـرَني وأنَّ روحِـيَ فـي جَـنْـبِـي أبـي دُلَـفِ

فبلغت الأبيات أبا دلف، فأحضره وقال: كم أملت أن تعيش؟ [قال:] عشرون سنة، قال: [ص ٧٧] فأمر بإعطائه ألفَ دينار، قال: فرأيت وجه ابن أبي دلف يتهلل، وانكسر ابن أبي البختري انكساراً شديداً.

في شعر أبي دلف[3] وله فيه صنعة قوله:[4] [الوافر]

---

(١) في الأصل: (المسكر) خرجة من الحاشية.
(٢) الأبيات في الأغاني ٨/٢٦٤.
(٣) في الأغاني «فمن جَيِّد شعره وله فيه صَنْعَة..» وهو المقصود.[المراجع].
(٤) الشعر لأبي دلف في الأغاني ٨/٢٥٦.

بِنَفْسي يا جِنانُ وأنت مِنّي مكانُ الرُوح في جَسَدِ الجبانِ[١]
ولوأنّي أقولُ مكانَ نَفْسي خَشيْتُ عليك بادِرةَ الزَّمانِ
لإقدامي إذا ما الخيلُ خامَتْ[٢] وهَابَ كُماتُهَا حَرَّ الطِّعَانِ

حَدَّثَ المُبرِّدُ قال: دَخَلَ عليُّ بنُ جَبَلَةَ الشاعرُ على أبي دلف فأنشده قصيدته التي يقول فيها:[٣] [المديد]

إنَّما الدُّنيَا أبو دُلَفٍ بينَ باديْه ومُحْتَضَرِهْ
فَإذا ولَّى أبو دُلَفٍ وَلَّتِ الدُّنْيَا على أثَرِهْ
يا دواءَ الأرض إن فَسَدَتْ ومُجيرَ اليُسْرِ منْ عُسُرِهْ[٤]
لستُ أدري ما أقولُ لهُ غيرَ أن الأرضَ في خَفَرِهْ
كلُّ مَنْ في الأرض مِنْ عَرَبٍ بَيْنَ باديْهِ إلى حَضَرِهْ
مُسْتَعِيْرٌ مِنْكَ مَكْرُمَةً يَكْتَسِيْهَا يَوْمَ مُفْتَخَرِه

فاستحسنها القوم وقالوا: أيها الأمير ما هذه من قبله، وما هي إلا من نجر[٥] رقيق الطبع، فقال له أبو دلف: ألا تسمع ما يقولون؟ قال: بلى أصلح الله الأمير، قال: والذي يصدقك، قال: أنْ أُعْطى صدوراً فأردفها بأعجاز، فضحك أبو دلف

---

(١) في الأغاني: «من جسد الجبان» وهو الوجه. [المراجع].

(٢) من خام عن القتال: جَبُن وتراجع. [المراجع].

(٣) الشعر لعلي بن جبلة المعروف بالعكوك من قصيدة في مجموع شعره ص ٦٨. والأغاني ٨/٢٦٢ - ٢٦٣، والعكوك: هو علي بن جبلة بن مسلم الأبناوي، من أبناء الشيعة الخراسانية، كان أعمى أسود أبرص، من أحسن الناس إنشاداً، أكثر في مدح أبي دلف العجلي قتل سنة ٢١٣ هـ.
(ابن خلكان ١/٣٤٨ تاريخ بغداد ١١/٣٥٩ نكت الهميان ص ٣٠٩).

(٤) في الأصل: (ومجير العسر من يسره) وهو خلاف الروايات المشهورة.

(٥) في الأصل: (إلامن بحر كانت) ولم أهتد إلى صواب معناها.

وقال: أنصفت وبالغت، ثم تناول أبو دلف القلم والبياض وكتب:(١) [الرجز]

ريعت لمنشــور على مــفــرقــه ذمَّ لهـا عـهـد الصِّبَـا حين انتَسَبْ
أهدامُ شـيبٍ جُـددٍ في رأسِـه مكروهَةُ الجِدَّة أنضادُ العُقُبْ

ثم تناوله ذلك وقال: ابْنِ لي عليه أبياتاً، وقد أجَّلتُكَ فيه حولاً، فقال: أيها الأمير، تأمر فيفرغ لي بيت حتى يكون أجلى للشك، فأمر أبو دلف أن يُخْلَى له بيت، ثم ركب أبو دلف إلى المأمون وخرج معه متصيداً، فرجع آخر النهار، فلما نزل، لم ينزع سواده قال: ليت شعري ما خبرُ عليٌّ بن جبلة الشاعر؟ قال: أيها الأمير، إنه زعم أنه فرغ من عمل القصيدة، فقال: [ص ٧٨] ويحكم أخرجوه إليَّ، فأُخْرِجَ.

فقال أبو دلف: هِيْهِ يا عَلِيٌّ، ما عَمِلْتَ؟ قال: قد فَرَغْتُ، قال: هات ويحك، بَيِّضْ وجهي عند من زعم أنك لست بشاعر، فأنشأ يقول:(٢) [الرجز]

أشْـرَقْنَ في أسـودَ أزْرَيْـنَ بِهِ كـان دُجَـاه لِهَـوى البِـيْضِ سَبَبْ(٣)
فَـاعْتَـقَنَ أيامَ الغـواني والصِّبَـا عن مَـيِّتٍ مَطْلَبُـهُ حُبُّ الأدب(٤)
لم يَرْتَدِعْ مُرْعَـوِياً حين ارْعَـوَى لَكِنْ يَدٌ لم تَتَّسِعْ لمُطَّلَبْ
لم أرَ كـالشَّـيبِ وقـاراً يُجْتَـوَى أو كـالشبـاب الغض ظلا يستلب(٥)
كـان الشـبـاب لمة ازهى بهـا وصـاحـبـاً غـمـراً عـزيز المصطحب
إذ أنا أجـري دَدَناً في غَـيِّـه لا أُعْتِبُ الدَّهرَ إذا الدهرُ عَتَبْ(٦)

---

(١) البيتان من قصيدة لعلي بن جبلة في مجموع شعره ص ٣٢.

(٢) الرجز في الأغاني ٢٠ / ٢٢ ــ ٢٥ لعلي بن جبلة (العكوك) ومجموع شعره ص ٣٢ - ٣٦.

(٣) أزرى به: شانه. البيض: النساء.

(٤) في الأصل (حي الأدب) وهو تحريف. أعتقن: منعن النساء من مواصلته.

(٥) يُجتوى: يكره ويبغض. الغض: الفينان.

(٦) الددن: اللهو واللعب. لا أعتب الدهر: لا أبالي به.

أبْعِـــدُ شَـــأوَ اللّهــــوِ عن أخْـــذِنَا وأقْـصُـدُ الخَـوْدَ وراءَ المُحـتَـجَبْ (١)
وأذعُـــــــرُ الرَّبْـربَ عـن أبـطـالـه بأَعْـــوَجِيٍّ دُلَفيٍّ المُنْتَـــسَبْ (٢)
مُـــطَّـــرِداً يَـــرتجُّ فـــي أقـــطـــارِه كـالماءِ جـالتْ فـيـه ريحٌ فـاضْطَرَبْ
تَحْـسَـبُـهُ أقـعـدُ في اسـتـقـبـاله حـتـى إذا اسـتـدبرتَـهُ قُلْتُ أكَبْ (٣)
فــهـــو على إرهافـــه وضَـــمْـــرِه يَقْـصُـرُ عَنْهُ المحْـزَمَـانِ واللَّبَبْ (٤)
تـقـولُ فـيــه جَنَبٌ إذا اسْـتَـوَى وهو كَـمَـتْنِ القِـدْحِ ما فـيـه جَنَبْ (٥)
إذا تمـنَّـيَّـنـا بـه صَـــــدَّقَــــهُ وإنْ تَـمَـنَّى فَـوْتَـهُ العِـيـرُ كَـذَبْ (٦)
لم يَبْلُغِ الجَـــهْـــدَ به راكِــبُـــهُ ويـبلغُ الرمحَ بـه حـــيثُ طَلَبْ
ثـم اقــتـــضى ذاك كــأنْ لم يُعْنه وكلُّ بُقْـيَـا فـإلى يوم العَطَبْ (٧)
فَـحَـمِّلِ الدَّهَرَ ابن عـيـسى قـاسِـمَـاً يَـنْهَـضْ بِـه أبلـجَ فـــرَّاجَ الكُرَبْ
كَــرْوَنَقِ السَّـيفِ انبـلاجَـاً بالنَّدَى أو كَـــغِـــرارَيْه على أهلِ الرِّيَبْ (٨)
لا وَسِـنَـتْ عَـــيْــنٌ رأت رُؤيَتَـــهُ فـــأيقَظَتْـــهُ نوبةٌ مِنَ النُّوَبْ (٩)
لولا نـدى القــــاسم كُنَّا هَـمَـــلاً لم يُعْـتَـقَـدْ مَـجْـدٌ ولم يُرْعَ حَـسَبْ

(١) الشأو: السبق، الخود: الجاريةالناعمة الحسنة.
- في الأغاني« أبعد شأو الدهر في إجرائه» وفي الديوان:« شأو الّلهو في إجرائه» [المراجع].
(٢) أذعر: أهيج. الربرب: القطيع من البقر.
الأعوجي: نسبة إلى أعوج فرس من جياد خيل ا لعرب. دلفي: نسبة إلى أبي دلف العجلي
(٣) أقعد: من الإقعاد في رجل الفرس، وهو أنْ تفرش فلا تنتصب.
أكب: انطلق يعدو
(٤) اللبب: ما يشد على صدر الناقة أو الفرس.
(٥) الجنب: شبه الظلع. القدح: السهم.
(٦) في الأغاني والديوان: «إذا تظنَّيْنا به صدّقنا: وإن تَظَنّى...».[المراجع].
(٧) العطب: الهلاك. قلت في الأغاني والديوان:« ثم انقضى».[المراجع].
(٨) رونق السيف: لمعانه وإشراقه. غرار السيف: حده.
(٩) وسنت: نعست، الوسن: النعاس. في الأغاني والديوان:« ماوسنت».[المراجع].

ولـم يَـقُـمْ بـيــــــوم بـأس ونَـدَى ... ولا تلاقى حَسَبٌ إلى حَسَبْ [ص ٧٩]
تـكادُ تُبْـدي الأرضُ مـا تُضْـمِـرُهُ ... إذا تَنـادى خـيـلُـهُ هَلا وَهَـبْ(١)
وتَسْـتَـهِـلُّ أمـلاً وخِـيْـفَـةً ... إذا استَـهَلَّ وجـهُـهُ وإن قَطَبْ
وهو وإن كـان ابن فَـرْعي وائلٍ ... فـبـمَـسَـاعِـيْـه تَرَقَّى في الحَسَبْ
يا واحـدَ الُدنيَـا ويا بابَ النَّدى ... ويا مُـجِـيْبَ الُرعْب في يوم رَهَبْ
لولاك مـا كـان سـدىً ولا نـدىً ... ولا قُـرَيْشُ عُـرِفَتْ ولا عَـرَبْ(٢)
خـذها امـتـحـاناً منْ مليءٍ بالثَّنَا ... لكِنَّهُ غـيـرُ مليءٍ بالنَّشَبْ(٣)
وقَـرَّ بالأرضِ أو اسـتَـنْـفـرِ بِهَـا ... أنتَ عليـهـا الرأسُ والنَّاسُ ذَنَبْ

فتهلل وجه أبي دلفٍ سروراً به، وقال له: أحسنت لله أنت، ومثلك فليمدح الملوك، ثم أمر له بمئة ألف درهم، وخلعهٍ سنية وفرس من مراكبه الخاصة، واعتذر إليه من التقصير.

وقدم أبو الشمقمق(٤) على أبي دلف، فلما دخل عليه سلم، فرد عليه السلام، ثم قال: ليس يمنعني منك أبا الشمقمق ملوك هذه الدنيا، قال: وما ألزمتهم؟ قال: تزعم أن كَفَّكَ عن الهجاء يقوم مقام المدح، وليس والله تأخذ مني صلة أو تمدحني، قال: قد مدحتك أيها الأمير، قال: هات، فأنشأ يقول: (٥)[السريع]

---

(١) هلا وهب: مما تزجر به الخيل.
(٢) السدى: المعروف.
(٣) النشب: المال.
(٤) أبو الشمقمق: مروان بن محمد الملقب بأبي الشمقمق، شاعر هجاء من أهل البصرة خراساني الأصل من موالي بني أمية له أخبار مع شعراء عصره، كان عظيم الأنف أهرت الشدقين منكر المنظر توفي سنة ٢٠٠ هـ. تاريخ بغداد ١٣/١٤٦ رغبة الآمل ٦/١١٠ ـ ١١٢ الأغاني ٣/١٩٤)
(٥) لم أجد البيت والذي بعده لأبي الشمقمق، وهما لعلي بن جبلة في الأغاني ٢٠/٣٨ قالهما في أبي دلف العجلي، وشعر علي بن جبلة ص ٣٧.

مِنْ مَلَكِ الموتِ إلى قاسمٍ رِسَالةٌ في بَطْنِ قِرطَاسِ

فقال أبو دلف ويلك، ما في بطن القرطاس؟ قال:

يا فارسَ الهيجاء يومَ الوغى مُرني بِمَنْ شِئْتَ مِنَ النَّاسِ

فقال أبو دلف: أحْسَنْتَ والله، فأسألك الآن بالله، هل هجوتني؟ فقال: أيها الأمير، سألتني بعظيم، نعم قد هجوتك، قال: فأنشدني، قال: على أن تؤمنني، قال: أنت في أمان (الله) تعالى، فأنشده يقول:[1] [مجزوء الرمل]

قَدْ بلونَاكَ بالحرو ب فلم تَأتْ طائلا

وسَألنَاكَ نَائِلا فوجدناكَ سَائِلا

فقال أبو دلف: هجوتني قبل أن أستوجب الهجاء، فقال: أصْلحَ الله الأمير، صيرته عدة، وهو ثوب نسجته ووضعته في تخت، فإن احتجت إليه نشرته وإلا كان مَطْوِّياً [ص ٨٠] فضحك أبو دلف وأمر له بعشرة آلاف درهم، وقال: دعه يكون مطويا.

وقال القاسم بن عيسى المعروف بأبي دلف: [الطويل]

وقالوا بلاد الشام أرض تقدست فما بالنا في أرضنا لا نقدس

فلا شوقنا فان ولا الهم منقضٍ ولا هدأة تغشى العيون فتنعس

وقال أيضاً: [الخفيف]

عاقني عن وداعك الأشغال وأمور جرت عليّ ثقال

في بلاد يذل فيها عزيز النـ ـفس حتى تهينه الأنذال

حيث لا مدفع بسيف من الضيـ ـم ولا للجياد فيها مجال

(١) لم أجد البيتين في شعر أبي الشمقمق ضمن (شعراء عباسيون) ولا في شعر علي بن جبلة.

ومما ذكر أبو الفرج [١]: أن الأفشين[٢] كان عرض لأبي دلفٍ واعتل له باطنه، ذوى بدائه، ومُلئ بالعمل على إرادته، ولم يزل يغري به المعتصم ويرمي جانبه السليم منه بما يصم، حتى أَسَرَّ إليه قتل أبي دلفٍ، وأمر فيه بأمر يفضي به إلى التلف، فأخذه إليه وعَفَى على آثاره، وعمّى بُصَراء أخباره، فأتى الخبر ابن أبي دواد، وقد خيم الليل وطنب، وأسكت من أنب، ولم يبق باب إلا وقد أوثق بالرتاج، ولا أحد إلا وجفنه قد طعم النوم أو احتاج، فخاف إن أخَّر إلى بكرة غده أن تفوت فيه الحيلة، وأن يودعه سر تلك الليلة الثقيلة، فدعا بجماعة من عدول الشهود، ونهض بهم إلى باب الأفشين حتى طرقه واستفتح غلقه، ثم دخل عليه هجماً، وانْقضَّ شيطانه المريد في تلك الليلة رجماً، وقال له: هؤلاء شهود أمير المؤمنين، وأنا قاضيه ورسوله إليك في أمر هو من وراء تقاضيه، وهو يأمرك بالإمهال في أمر[٣] أبي دلف، وأنك لا تعجل عليه، ولا تمد يدك ببطشٍ إليه، وها هو لديك حي يرزق وسالم الأعضاء، قادر على المضاء، وها أنا قد أبلغتك رسالة أمير المؤمنين، وهؤلاء يشهدون وفي بكرة غد لشهادتهم عند أمير المؤمنين يؤدون، وكان قد أحضر أبا دلف ليقتله في تلك الساعة والسيف مصلت قد أظمأه له وأجاعه ثم كَرَّ ابن أبي دواد راجعاً، وترك الأفشين فاجعاً، وكان ابن أبي دواد قد فعل هذه الأعجوبة، وأتى لإبقاء نفس ذلك [٤]المسلم [ص ٨١] بهذه الأكذوبة، والمعتصم لم يخاطبه فيه ببنت شفة، ولا أراه من جَنَى نخلته له تمرة

(١) الملاحظ أن كل كلام فيه سجع هو من عبارة المصنف العمري وليس من كلام أبي الفرج الأصفهاني.

(٢) الأفشين: قائد جيوش المعتصم في غزوات بلاد الروم، رمي بالكفر والزندقة وسجن ومات في السجن سنة ٢٢٨.

(٣) في الأصل: (أمر أبا دلف) وهو لحن

(٤) في الأصل: (تلك المسلم).

ولا حشفة، فلم يكن له هَمٌّ إلا أن أنتظر آخر الليل، حتى طار غرابه، وجرد عن سيف النهار قرابه، وشرع الفجر ينفجر، والأفق بملاءة الصباح يعتجر، وبكر إلى دار الخلافة، والمعتصم قد انفتل عن المحراب، ولمح ابن أبي دواد فما استراب، فتقدم إليه، وقصَّ عليه القصة، والمعتصم يسمع، وحدثه بما كادت له مقلته تدمع، وقال له: يا أمير المؤمنين، إني لم أجئك بتهمة في عمري سواها، ولا أتيت بمثلها ونفس وما سواها، ولو لمْ تكن إنقاذَ وليٍّ من أوليائك وينجي بقاءه من حلوق أعدائك، لما فعلتها، ولا اجترأتُ على أمير المؤمنين وقلتها، فضحك أمير المؤمنين ضحك معجب بجميل صنعه، فعجل إلى عدم منعه، وقال له: قد أجزت ما قلت أيها القاضي وما فعلت، ثم بَثَّ رُسُلَهُ إلى الإفشين يأمره بإحضار أبي دلف، فما نشب أن أحضره، وسنَّى إطلاقَهُ، ثم لم يبرح ابن أبي دواد حتى أعاده إلى منزلته(١)، وعاد الإفشين وأماته بعلته.

قال ابن خلكان: (٢)كان أبو دلف كريماً سرياً جواداً ممدحاً شجاعاً مقداماً، ذا وقائع مشهورة، وصنائع مأثورة، أخذ عنه الأدباء الفضلاء، وله صنعة في الغناء، وصنَّف عدة كتب في (البزاة والصيد) و(السلاح) و(النزه) و(سياسة الملوك) وغير ذلك، ومدحه أبو تمام الطائي بأحسن المدائح، وفيه يقول بكر بن النطاح:(٣) [الكامل]

يا طالباً للكيمياء وعلمه ... مدح ابن عيسى الكيمياء الأعظم

(١) في الأصل: «منزله». [المراجع].

(٢) وفيات الأعيان ٤ / ٧٤ تحقيق إحسان عباس ط دار الثقافة بيروت.

(٣) الشعر لبكر بن النطاح في وفيات الأعيان ٤ / ٧٤.

بكر بن النطاح الحنفي: شاعر غزل من فرسان بني حنيفة من أهل اليمامة، انتقل إلى بغداد في زمن الرشيد واتصل بأبي دلف العجلي فمدحه فجعل له رزقاً سلطانيا عاش به إلى أن توفي سنة ١٩٢ هـ. (فوات الوفيات ١ / ٧٩ تاريخ بغداد ٧ / ٩٠).

لـو لَـم يَـكُـن فـي الأرض إلا درهــم ومــــدحـــــتــــه لأتاك ذاك الـدرهـم

ويحكى أنه أعطاه على هذين البيتين سبعين[١] ألف درهم، فأغفله قليلاً، ثم دخل عليه وقد [اشترى] بتلك الدراهم قرية في نهر الأبُلَّة، فأنشده:[٢] [الطويل]

بِكَ ابْتَّـــعْتُ في نهـــرِ الأبُلة قـــرية عليـهـا قُـصَـيْـرٌ بالرُّخـام مَـشـيْـدُ
إلى جَنْبِهــا أُختٌ لها يعـرضـونَهـا وعندكَ مــالٌ للهــبــاتِ عَــتِــيـدُ

فقال له: وكم ثمن هذه الأخت؟ فقال: عشرة آلاف درهم، فدفعها له، ثم قال [ص ٨٢] تعلم أن نهر الأُبُلَّة عظيم وفيه قرى كثيرة، وكل أخت إلى جانبها أخرى، وإن فتحت هذا الباب اتسع الخرق، فاقنع بهذه ونصطلح عليها، فدعا له وانصرف.

وقد ألمَّ أبو بكر محمد بن هاشم [٣] أحد الخالديين بمعنى قول بكر بن النطاح[٤] المذكور في البيتين الأولين، فقال:[٥] [الكامل]

وتَيَـــقَّنَ الشـــعـــراءُ أنَّ رجـــاءَهم في مــأمنٍ بكَ من وقـــوعِ اليـــاسِ
مـا صَحَّ علمُ الكيـمـيـاءِ لغيـرهم فـيـمن عـرفنا من جـمـيعِ النَّاسِ

(١) في وفيات الأعيان: (عشرة آلاف درهم).

(٢) البيتان لبكر بن النطاح في وفيات الأعيان ٤ / ٧٤ وتاريخ بغداد ١٢ /٤١٧ ط السعادة مصر ١٩٣١.

(٣) في الأصل (محمد بن هشام) وصوابه (هاشم).

(٤) في الأصل: (قول أبو بكر النطاح).

(٥) الأبيات لأبي بكر محمد بن هاشم الخالدي في ديوان الخالديين ص ٦٤ تحقيق سامي الدهان، ط مجمع دمشق ١٩٩٢ ووفيات الأعيان ٤ / ٧٤.

تُعْطِيهمُ الأموال في بدرٍ إذا حملوا الكلامَ إليكَ في قِرطاسِ

وكان أبو دلف قد لحق أكراداً قطعوا الطريق في عمله، فطعن فارساً فأُنفِذت الطعنة إلى فارس آخر وراءه رديفه، فنفذ فيه السنان، فقتلهما، فقال في ذلك ابن النطاح:[1] [الكامل]

قالوا وينظُم فارسَيْنِ بطَعْنَةٍ يوم الهِياج ولا نراهُ كليلا
لا تعجبوا فلو أنَّ طولَ قناتِهِ ميلٌ إذاً نظم الفوارسَ ميلا[2]

وكان أبو عبدالله أحمد بن أبي فنن صالح مولى بني هاشم، أسود مشوه الخلق قصيراً، فقالت له امرأته: يا هذا، إن الأدب أراهُ قد سقط نجمه، وطاش سهمه، فاعمد إلى سيفك ورمحك وقوسك، وادخل مع الناس في غزواتهم، عسى الله أن ينفعك من الغنيمة بشيء، فأنشد يقول:[3] [البسيط]

مالي ومالَكِ [قد] كَلفتني شَطَطاً حمْلَ السلاحِ وقول الّدارعين قِفِ
أمِنْ رجالِ المنايا خِلْتِني رَجُلاً أمسى وأصبحَ مشتاقاً إلى التَّلَفِ
تمشي المنايا إلى غيري فأكرَهُها فكيف أمشي إليها بارزَ الكَتفِ
ظَنَنْتِ أنَّ نزالَ القِرْنِ من خُلُقي أو أنَّ قلبي في جَنْبَي أبي دُلَفَ[4]

فبلغ خبره أبا دلف فوجّه إليه ألف دينار. وكان أبو دلف لكثرة عطائه قد ركبته الديون، واشتهر ذلك عنه، فدخل عليه بعضهم، وأنشده:[5]

أيا رَبَّ المنائحِ والعطايا ويا طَلْقَ المُحَيَّا واليدَينِ

(١) البيتان لبكر بن النطاح في وفيات الأعيان ٤ / ٧٥ وتاريخ بغداد ١٢ / ٤١٧.

(٢) في الأصل: (طول قناته ميلا).

(٣) الأبيات لأحمد بن أبي فنن في وفيات الأعيان ٤ / ٧٥ و ٦ / ٣٩.

(٤) في الأصل: (من جنبي أبا دلف) وهو لحن.

(٥) البيتان في وفيات الأعيان ٤ / ٧٥.

[ص ٨٣] لقد خُبِّرْتُ أنَّ عليك دَيْناً فَزِدْ في رَقْمِ دَيْنِكَ واقْضِ ديني

فوصله وقضى دينه.

ودخل عليه بعض الشعراء وأنشده:(١) [البسيط]

اللَّهُ أجْرَى من الأرزاقِ أكثرها على يديكَ تَعَلَّمْ يا أبا دُلَفِ
ما خَطَّ (لا) كاتباهُ في صحيفتهِ كما تخططُ (لا) في سائرِ الصُّحُفِ
بارى الرياحَ فأعطى وهي جاريةٌ حتَّى إذا وَقَفَتْ أعطى ولم يقِفِ

وكان أبوه قد شرع في عمارة مدينة الكَرَجِ(٢) وأتمها هو، وكان بها أهله وعشيرته وأولاده، وكان قد مدحه بها بعض الشعراء فلم يحصل له منه ما في نفسه، فانفصل عنه وهو يقول:(٣)[الطويل]

دعيني أجوب الأرض في فلواتها فما الكرج الدنيا ولا الناس قاسم

وهذا مثل قول بعضهم:(٤) [البسيط]

فإنْ رجَعْتُم إلى الإحسانِ فهوَ لكم عبدٌ كما كان مطواعٌ ومِذْعانُ
وإنْ أبيتُمْ فأرضُ اللهِ واسعةٌ لا النَّاسُ أنتمْ ولا الدنيا خُرَاسانُ

---

(١) الشعر في وفيات الأعيان ٤ / ٧٦.

(٢) الكرج: مدينة بين همذان وأصبهان في نصف الطريق، وإلى همذان أقرب، وأول من مصّرها أبو دلف العجلي وجعلها وطنه، وكانت الكرج مدينة متفرقة ليس لها اجتماع المدن، وأبنيتها أبنية الملوك قصور واسعة متفرقة، وهي ذات زرع ومواشٍ، وهي مدينة طويلة نحو من فرسخ، ولها سوقان على باب الجامع، وسوق آخر بينهما صحراء. (ياقوت: الكرج).

(٣) البيت لمنصور بن باذان أو بكر بن النطاح كما في وفيات الأعيان ٤ / ٧٦. وهو لمنصور بن باذان في المنتخل ـ الميكالي ١ / ٣٧٨. برواية:

فسر في بلاد الله والتمس الغنى فما الكرج الدنيا وما الناس قاسم.

(٤) البيتان في وفيات الأعيان ٤ / ٧٦ غير منسوبين.

ولما قدم أبو دلف من الكرج صنع الأمير علي بن عيسى بن ماهان مائدةً، ودعاه إليها وكان قد احتفل بها غاية الاحتفال، فجاء بعض الشعراء ليدخل دار علي بن عيسى، فمنعه البواب، فَتَعرَّضَ الشاعر لأبي دلف، وقد قصد دار علي بن عيسى، وبيده جُزازة، فناوله إياها، فإذا فيها:(١) [مجزوء الخفيف]

قُلْ لَهُ إنّ لَقِيتَهُ ... مُتَأنٍ بلا وَهَجْ
جِئْتَ في ألفِ فارسٍ ... لغداءٍ من الكَرَجْ
ما على النَّاسِ بعدها ... في الدناءاتِ من حَرَجْ

فرجع أبو دلف، وحلف أنه لا يدخل الدار ولا يأكل منها شيئاً. وقيل إن الشاعر هو عباد بن الحريش.

وقيل إن أبا دلف لما مرض مرض موته، حجب الناس عن الدخول إليه لثقل مرضه، فاتفق أنه أفاق في بعض الأيام فقال لحاجبه [ص ٨٤] مَنْ بالباب مِنَ المحاويج؟ فقال: عشرة من الأشراف قد وصلوا من خراسان، ولهم بالباب عدة أيام لم يجدوا طريقاً، فقعد على فراشه واستدعاهم، فلما دخلوا رَحّبَ بهم وسألهم عن أحوالهم وبلادهم وسبب قدومهم، فقالوا: ضاقت بنا الأحوال وسمعنا بكرمك فقصدناك، فأمر خازنه بإحضار بعض الصناديق وأخْرَجَ منه عشرين كيساً في كل كيس ألف دينار، ودفع إلى كل واحد منهم كيسين، ثم أعطى كل واحد منهم مؤونة طريقه، وقال لهم: لا تمسوا الأكياس حتى تصلوا بها سالمة إلى بلادكم، واصرفوا هذا في مصالح الطريق، ثم قال: ليكتب كل واحد منهم خطه أنَّهُ فلان بن فلان حتى ينتهي إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ويذكر جدته فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنها، ثم يكتب: يا

---

(١) الأبيات لعباد بن الحريش كما في الأصل وفي وفيات الأعيان ٤/ ٧٧.

رسول الله، إني وجدت إضاقةً وسوء حال في بلدي، فقصدت أبا دلف العجلي، فأعطاني ألفي دينار، كرامةً لك، وطلباً لمرضاتك، ورجاء لشفاعتك، فكتب كل واحد منهم ذلك، وتَسَلَّمَ الأوراقَ، وأوصى من يتولى تجهيزه إذا مات أن يضع تلك الأوراق في كفنه، حتى يلقى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويعرضها عليه.

وحَكِيَ عنه أنه قال: من لم يكن مغالياً في التشيع فهو ولد زناء، فقال ولده دلف له: يا أبتي لست على مذهبك، فقال له أبوه: لما وطَئْتُ أمُكَّ وعلِقَتْ بِكَ ما كنت قد استبرأتها، فهذا من ذلك، والله أعلم.

ومع هذا فقد حكى جماعة من أرباب التاريخ، أن دلف بن أبي دلف قال: رأيت في المنام آتياً أتاني، فقال: أَجِبِ الأميرَ، فقمت معه فأدخلني داراً وحشة وعرةً سوداء الحيطان مغلقة [1]السقوف والأبواب، وأصعدني على درج منها، ثم أدخلني غرفة منها، في حيطانها أثر النيران، وإذا في أرضها أثر الرماد، وإذا بأبي وهو عريان واضع رأسه بين ركبتيه، فقال كالمستفهم: دلف؟ فقلت: دلف، فأنشأ يقول:[2] [الخفيف]

أبلِغَنْ أهْلَنَا ولا تُخْفِ عنهم ... ما لَقِينا في البَرْزَخِ الخنّاق
قَدْ سُئِلْنا عن كلِّ ما [قد] فعلنا ... فارحموا وحشتي وما قد أُلاقي

ثم قال: أفهمت؟ قلت: نعم، فأنشد:[3] [ص ٨٥] [الوافر]

فلو كُنَّا إذا مُتْنَا تُرِكْنَا ... لكانَ الموتُ راحةَ كُلِّ حيٍّ
ولكِنَّا إذا مُتْنَا بُعِثْنَا ... ونُسْأَلُ بعدَهُ عن كلِّ شيٍّ

(١) كذا في الأصل (مغلقة) ولعلها: (مقلعة) أي مكشوفة.

(٢) وفيات الأعيان ٤/ ٧٨.

(٣) البيتان في وفيات الأعيان ٤/ ٧٨.

ثم قال: أفهمت؟ قلت: نعم، وأنتبهت.

توفي ببغداد سنة ست وعشرين ومئتين.

٢٦-البُرْدَان[١]

فقيه نَزَّل الغناء منزلة حسن الإنشاد، وبنى منزله على بيوته وشاد، حكم في القضاء، وحتم فيه بالإمضاء، ولم ينكر أنه يعرف الغناء، ويقطف منه اجتناء، لم يَرَ بأساً بتصحيح الأصوات، وتنقيح أناشيد الأبيات، تكميلاً لما حصل ذكره من فنون، وحَصَّنَ صدره من مكنون، حتى تجلت به أولى الليالي الغوابر، وأقالت الأيام الغوابر، وكان كأنما الْتَطم به بحران، وانقاد الفضل كله بالجران، وأعاد دجى الليل وقد طلع بدره الطالع وهو بدران.

قال إسحاق: قَدَّمَ إليه رَجُلٌ خصماً لهَ يدَّعِي عليه حَقاً، فوجب الحكم[٢] عليه، فأمر به إلى الحبس، فقال [له الرجل]: أنت بغير هذا أعلم منك بهذا، فقال: ردوه، فردوه، فقال: لعلك تعني الغناء، أي والله، إني لعارف به، ومهما جهلت فإني موجب الحق عليك عالم، اذهبوا به إلى الحبس ليخرج إلى غريمه من حقه.

قال سياط[٣]: رأيت البُرْدانَ بالمدينة يَتَولَّى سوقها، وقد أسَنَّ، فقلتُ: يا عم، إني قد رويت لك صوتاً صنعته، فأردت أن تصححه لي، فقال لعله: [الوافر]

كَمْ أتَى دونَ عَهـدِ أُمِّ جميل[٤]

---

(١) في الأصل (البدران) وهو تحريف، والبردان: لقب غلب عليه، وهو من أهل المدينة، أخذ الغناء عن معبد وقبله عن جميلة وعزة الميلاء، وكان معدلاً مقبول الشهادة، وكان متولى السوق بالمدينة (الأغاني ٨/٢٨٧ ـ ٢٨٩).

(٢) في الأصل (الحاكم).

(٣) هو سياط المغني وقد مرَّ الحديث عنه.

(٤) الشطر في الأغاني ٨/٢٨٨.

قلت: نعم، فقال: قم بنا، ومال إلى دار في السوق، ثم قال: غَنَّه، فقلت: بل تُتِمُّ يا عمُّ إحسانك وتغنيني أنت به، فإن سمعته كما أقوله غَنَيته وإن [كان] فيه مستصلح[١] استعدته، فضحك وقال: أنت لست تريد تصحيح غناء، إنما تريد أن تقول إنك سمعتني وأنا شيخ وقد انقطعت [ص ٨٦] وأنت شاب، فقلت للجماعة: إن رأيتم أن تسألوه أن يُشَفّعني[٢] فيما طلبت منه فسألوه فاندفع فَغَنَّاه وأعاده ثلاث مرات، فما رأيت أحسن من غنائه، على[٣] كبر سنه ونقصان صوته، ثم قال: غَنِّه، فغنيته فطرب الشيخ حتى بكى وقال: اذهب يا بني، فأنت أحسن الناس غناء، وإن عشت ليكونن لك شأن.

٢٧ - سَائِب خَاثِر[٤]

مطرب حَرَّكَ بغنائه معاويةَ الحكيم، وحَرّض على[٥] الإنفاق عبدالله بن جعفر الكريم، وأحدث للعرب مالم تكن تعهد ونفث، فلم يكن يخلو[٦] من

(١) في الأصل: (مصطلح).

(٢) في الأصل: «يشفعه». والتصويب من الأغاني [المراجع].

(٣) في الأصل: «حتى» والتصويب من الأغاني. [المراجع].

(٤) سائب خاثر: هو سائب بن يسار الليثي بالولاء، أبو جعفر فارسي الأصل، كان أبوه مولى بني ليث وأعتقوه، ونشأ سائب في المدينة، فاحترف التجارة وأثرى، كان من كبار المغنين والملحنين حسن الصوت، حلو المعشر وأول من عمل العود بالمدينة وغنى به، وأول صوت غُنِّيَ به في الإسلام من الغناء العربي المتقن، هو الأبيات التي أولها:

(لمن الديار رسومها قفر) من صنعة سائب خاثر، أما سبب تسميته (سائب خاثر) فإنه غنى صوتاً ثقيلا، فقال من سمعه: هذا غناء خاثر أي غير محذوق، فلصق به لقباً، قتل في معركة الحرة بالمدينة سنة ٦٣ هـ.

(الأغاني ٨/٣٣٣ ـ ٣٣٩ النويري ٤/٢٦١ تهذيب ابن عساكر ٦/٢٦٢).

(٥) في الأصل: «وحرص». [المراجع].

(٦) في الأصل: «يخل». [المراجع].

نفثاته بيت ولا معهد، اقترح في الغناء وفتح فيه للبناء، تَقيَّل عن الفُرسِ غرائب الضروب، وغزائر الفكر التي تُرنِّحُ كُلَّ طروب، وحظي لدى أشراف المدينة لغناء كان يَحُلّ حُباهم(١) ويحل مثله رباهم، إلا أنه جرى جري الجواد، وتَركَ الكل للجواد، كان قدم إلى المدينة رجل فارسي يعرف ببسيط يغني بها، فأعجب عبدالله بن جعفر، فقال له سائب خاثر: أنا أصنع لك مثل غناء هذا الفارسي بالعربي، ثم غدا على عبدالله بن جعفر، وقد صنع:(٢) [الكامل]

لِمَنِ الدِّيارُ رسومُها قَفْرُ

وهذا أوّلُ صوت غُنِّيَ به في الإسلام من الغناء المُتقن في الصنعة.

قال: ثم اشترى عبدالله بن جعفر بسيطاً بعد ذلك، فأخذ عن سائب خاثر الغناء العربي، وأخذ عن سائب أيضا ابن سريج وجميلة ومعبد وَعَزَّة الميلاء وغيرهم.

قال: وفد عبدالله بن جعفر على معاوية، ومعه سائب خاثر، فوقّع له في حوائجه(٣)، ثم عرض عليه حاجةً لسائب خاثر، فقال معاوية: من هذا؟

فقال: رجل من أهل المدينة ليثي، ويروي الشعر، قال: أو كُلٌّ من روى الشعر ازداد فضله؟ قال: إنه يُحَسِّنُهُ، قال: وإن حَسَّنَهُ، قال: أفأُدْخِلُهُ إليكَ يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم، فلما دخل قام على الباب فرفع صوته، ثم غَنَّى:(٤) [الكامل]

---

(١) في الأصل «كل نحل حباهم» ولعلّه كما أثبتّ.[المراجع].

(٢) الشعر ينسب إلى أبي بكر بن المسور الزهري وإلى الحارث بن خالد المخزومي وإلى بعض القرشيين، وتمام البيت: (الأغاني ٨/ ٣٣٥).

لمن الديار رسومها قفر لعبت بها الأرواح والقطر

(٣) في الأصل: (في جواريه) وهو تحريف.

(٤) البيت من ثلاثة للحارث المخزومي في مجموع شعره ص ١٥٩ ـ ١٦٠ تحقيق يحيى الجبوري ط دار القلم ـ الكويت ١٩٨٣. والأغاني ٨/ ٣٣٥.

لِمَنِ الدِّيارُ رسـومُـهَـا قَـفْـرُ		لَعِـبَتْ بهـا الأرواحُ والقـطرُ

فالتفت معاوية إلى عبدالله وقال: أشهد لقد حَسَّنهُ، وقضى حوائجه.

قال: [ص ٨٧] أشرف معاوية ليلاً على منزل يزيد ابنه، فسمع صوتاً أعجبه، واسْتَخَفَّه السماع، فاستمع قائماً حتى مَلَّ، ثم دعا بكرسي فجلس عليه، واستمع بقية ليلته، فلما أصبح غدا عليه يزيد فقال له: يا بُنَي، من كان جليسك البارحة؟ قال: أي جليس يا أمير المؤمنين؟ وتجاهل عليه، فقال: عرفني، فإنه لم يَخْفَ عليَّ شيءٌ من أمرك، قال: سائب خاثر، قال: فاخثر[١] له يا بني من برك، فما [رأيت] بمجالسته بأساً.

قال ابن الكلبي: وفد معاوية المدينة في بعض ما كان يفد، فأمر حاجبه بالإذن للناس، فخرج الحاجب، ثم رجع فقال: ما بالباب من أحد، قال: وأين الناس؟ قال: عند عبدالله بن جعفر، فدعا معاوية ببغلته فركبها، ثم توجه إليهم، فلما جلس قام سائب خاثر، ومشى بين السماطين[٢] وتَغَنَّى:[٣] [الطويل]

لنا الجَفَنَاتُ الغُرُّ يلمَعْنَ بالضُّحَى		وأسيافُنا يَقْطُرْنَ من نجدة دما

فطرب معاوية وأصغى إليه حتى سكت، وهو مستحسن لذلك، ثم قام وانصرف.

قال: وقتل سائب خاثر يوم الحَرَّةَ، فلما عُرِضَتْ أسْمَاءُ من قُتِلَ على يزيد بن معاوية، مرّ به اسمه، فقال: إنا لله، وبلغ القتل إلى سائب خاثر إلى طبقته، ما

---

(١) اخْثِرْ له: أكثر له، من خثر اللبن ونحوه: ثخن وغلظ وكثر.

(٢) السماطان: الصفان من الناس.

(٣) البيت لحسان بن ثابت من قصيدة في ديوانه ١ / ٣٥ تحقيق وليد عرفات ط صادر بيروت ١٩٧٤.

أظن أنه بقي بالمدينة من أحد، ثم قال: قَبَّحَكُمَ الله يا أهل الشام، تجدهم صادفوه في حديقة أو حائط مستتراً فقتلوه.

وحدّث مُوَيلكٌ عن أبيه[١] قال: قال لي سائب خاثر يوم الحَرَّة:

هل أُسْمِعُكَ شيئاً صنعته؟ فغنَّاني:[٢] [الطويل]

لمن طَلَلَ بين الكُرَاع إلى القَصْرِ ... يُغَيِّرُ عنا لونه سَبَلَ القَطْرِ[٣]

قال: فسمعتُ عجباً معجباً من ذكر أهله وولده، فقلت: فما يمنعك من الرجوع إليهم؟ فقال: أما بعد شيء سمعته، ورأيته من يزيد بن معاوية فلا، ثم تقدم فقاتل حتى قتل.

وتمام الصوت:[٤]

سِوىَ خامداتٍ مَا يُرِمْنَ وهَامِدٍ ... وأشعثَ تَرْمِيهِ الوليدةُ بالفِهْرِ

٢٨ -عَبْدالله بن جُدْعَان[٥] [ص ٨٨]

سيدُ تيَمْ في الجاهلية، ومشيد المفاخر الجليَّة، شَرَّفَهُ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بدخول داره، وطرفه مطارف فخاره، وكان قد أتى كسرى ملك آل

(١) في الأصل: (عن ابنه) وهو تصحيف.

(٢) الأغاني ٨/٣٣٨.

(٣) في الأصل: (سبل القصر) وهو تحريف.

(٤) في الأغاني:

إلى خالدات ما تريم وهامد ... وأشعث ترسيه الوليدة بالفهر

(٥) عبدالله بن جدعان: التيمي القرشي، أحد الأجواد المشهورين في الجاهلية، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم قبل الإسلام، وكانت له جفنة يأكل منها الطعام القائم والراكب، فوقع فيها صبي فغرق، كان من حكام العرب في الجاهلية أخباره كثيرة توفي في الجاهلية قبيل البعثة.
(الأغاني ٨/ ٣٤٠ ـ ٣٤٦ خزانة الأدب ٣/ ٥٣٧ الحجر ص ١٣٧).

ساسان، وسمع عنه غناء الحسان، وشدا جانباً مما سمع، واحتذى منه مالو علم جمع، وإنما كان هو وسادات العرب يتغنى غناء الركبان، ويتأتى به خلا[ل] الفضلاء ورؤوس الكثبان، وقد ذكر أبو الفرج في أنباء صوت ذكر، وصوب من بارقه الجنوبي مبتكر.

قالت عائشة رضي الله عنها: قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ابن جدعان في الجاهلية كان يصل الرحم، ويطعم المساكين، فهل تلك نافعة له؟ قال: (لا، لأنه لم يقل اللهم اغفر لي خطيئتي يوم الدين).

قال: قدم أمية بن أبي الصلت[١] على عبدالله بن جدعان، فقال عبدالله: أمرٌ ما أتى بك؟ فقال أمية: كلاب وغرماء[٢] قد نبحتني ونهشتني، فقال له عبدالله: قدمت عليَّ وأنا عليل من حقوق لزمتني، فأنظرني قليلاً يحم[٣] ما في يدي، وقد ضمنت قضاء دينك، ولا أسألك مبلغه، فأقام اميّة ايّاماً ثم قال:[٤] [الوافر]

أأذكُرُ حاجتي أم قد كفاني ... حياؤكَ إن شيمتك الحياءُ
وعلمُكَ بالأمورِ وأنتَ قَرْمٌ ... لكَ الحَسَبُ المهذَّبُ والسَّنَاءُ

(١) أمية بن أبي الصلت: شاعر جاهلي حكيم من اهل الطائف، قدم دمشق قبل الإسلام وكان مطلعاً على الكتب القديمة، يلبس المسوح تعبداً، وهو ممن حرموا على أنفسهم الخمر ونبذوا عبادة الأوثان في الجاهلية، قدم على الرسول اول البعثة وسمع منه آيات من القرآن وانصرف عنه، وأقام في الطائف إلى أن مات، شعره كثير ولا يحتج علماء الشعر به لورود ألفاظ فيه لا تعرفها العرب كانت وفاته سنة ٥ هـ.
(الأغاني ٤ / ١٢٠ خزانة الادب ١ / ١١٩ تهذيب ابن عساكر ٣ / ١١٥).

(٢) الغرماء: الدائنون.

(٣) في الأصل: (يحم) غير معجمة، لعلها يَحَمُّ أي يدرك، والكلمة ساقطة من الأغاني.
– قلت: اقرأ« يجمّ مافي يدي» أي يكثر ويجتمع (يجم بالجيم).[المراجع].

(٤) الشعر لأمية بن أبي الصلت في الأغاني ٨ / ٣٤١. وديوان أمية بن أبي الصلت ص١٥٢–١٥٣.

كـــريمٌ لا يغــيّــرُه صــبــاحٌ عن الخُلُقِ السَّنِيِّ ولا مــســاءُ
تُبـــاري الريح مكرمـــةً وجـــوداً إذا مـــا الكلبُ احْـــجَـرَهُ الشــتــاءُ
إذا أثـنـى عـليـكَ المرءُ يـومــاً كَـفَــاهُ من تَعَــرُّضِـه الثَّنَاءُ

فلما أنشده أمية هذا الشعر كانت عنده قينتان، فقال لأمية: خذ إحداهما، فأخذ إحداهما وانصرف، فمر بمجلسٍ من مجالس قريش، فلاموه على أخذها، وقالوا: لقد لقيته عائلاً، ولو رددتها، فإن الشيخ محتاج إلى خدمتها، كان ذلك أقرب لك عنده، فوقع الكلام في أمية موقعاً، وندم فرجع لردها إليه، فلما أتاه بها قال ابن جدعان: لعلك إنما رددتها لأن قريشاً لاموك على أخذها، ووصف لأمية ما قال القوم له، فقال له أمية، والله ما أخطأت يا أبا زهير، فقال عبدالله: فما الذي قلت في ذلك؟ فقال [ص ٨٩] أمية: [١] [الطويل]

وليسَ بِشينٍ لا مــرئٍ بذلُ وجــهِــهِ اليكَ كــمــا بعضُ الســؤالِ يشينُ

فقال عبدالله لأمية: خذها، يعني الأخرى، فأخذهما جميعاً وانصرف.

قال الحسن المروزي: سألت سفيان بن عيينة فقلت: يا [أبا] محمد، ما تفسير قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (كان دعاء أكثر الأنبياء قبلي بعرفة لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير) وإنما هو ذكر وليس فيها من الرجاء شيء[٢]، فقال لي أعرفت حديث مالك بن الحويرث، يقول الله جل ذكره: «إذا شَغَلَ عبدي ثناؤه عليَّ عن مسألتي أعطيتُهُ أفضلَ ما أُعْطِي السائلين»، قال: قلت: نعم، أنت حدثتنيه عن منصور عن مالك ابن الحويرث، قال: فهذا تفسير ذلك، ثم قال: أعَلْمتَ ما قال أمية بن أبي الصَّلْتِ

(١) البيت لأمية بن أبي الصَّلْتِ في ديوانه ص ٣٠٩ تحقيق بهجة عبدالغفور ط وزارة الثقافة بغداد ١٩٩١ والأغاني ٨/ ٣٤٢ .

(٢) في الأغاني :« وليس فيه من الدّعاء شيء». [المراجع].

حين خرج إلى ابن جدعان يطلب نائله؟ قلت: لا أدري، قال: قال فيه: (١)[الوافر]

أأذكُر حاجتي أم قد كفاني ... حياؤكَ إنَّ شيمَتُكَ الحَياءُ
إذا أثنى عليكَ المرءُ يوماً ... كَفَاهُ من تعرُّضِهِ الثَنَاءُ

ثم قال سفيان: فهذا مخلوق بسبب الجود قيل له: يكفينا من مسألتك أن نثني عليك ونسكت حتى تأتي حاجتنا، فكيف بالحق عز وجل؟

وكان ابن جدعان مِمَّنْ حَرَّمَ على نفسه الخمر في الجاهلية، وذلك أن أمية شرب معه، فلما أصبح رأى بعين أمية أثراً، فقال: ما هذا، فعرفه أنه فعله به، فأعطاه عشرة آلاف درهم دية عينه، وقال: الخمر عليَّ حرام.

٢٩ -مُتَيَّم الهِشَامِيَّة (٢)

وكانت مقيم سرورٍ، ومديم غرورٍ، ولو مرت بأم خِشْف سانح، سلبت منها ما في الجوانح، كانت لبني هاشم سُرَّةُ البطحاء، ومَسَرَّةُ أهل الرَّوْحَاءِ، نشأت في تلك البيوت تمتع بحلولها، وتحدُّ لحاظها في غلولها، إذا غَنَّتِ تجدد صبوةَ الهرم، وتشب صفحة الماء فيضطرم لا تخلو أيادي سراةٍ لها من ذكرٍ لاينصرف سُراه، ولا

---

(١) الأغاني ٨/ ٣٤١.

(٢) في الأصل: (مقيم الهاشمية) وهو تحريف في كلا الاسمين. وسيذكرها باسم مقيم في كل موضع، والصواب (متيم). وفي المستطرف ص ٦٣: متيم الهاشمية.

كانت متيم الهاشمية صفراء مولدة من مولدات البصرة وبها نشأت وتأدبت وغنت، وأخذت الغناء عن إسحاق وعن أبيه قبله وعن طبقتهما من المغنين، وكانت من تخريج بذل وتعليمها، اشتراها علي ابن هشام فازدادت أخذاً ممن كان يغشاه من أكابر المغنين، وكانت من أحسن الناس وجها وغناء وأدبا، وحظيت عند علي بن هشام، وتقدمت على جواريه، وهي أم ولده كلهم.

(الأغاني ٧/ ٣١٢ وما بعدها).

يتفرقُ مجمعٌ إلا ولها فضل عليه يجمع ودامت(١).

قال أبو الفرج: كَلَّمَ عليٌّ بن هشام (٢)[ص ٩٠] مُتَيَّماً (٣)بشيء فأجابتهُ جواباً لم يرضه فدفع [يده] في صدرها فغضبت ونهضت، وتثاقلت عن الخروج إليه، فكتب إليها:(٤) [الطويل]

فليت يدي باتتْ غداةَ مددْتُها إليكِ فلم ترجعْ بكفٍّ وساعدِ
فإنْ يرجعِ الرحمنُ ما كان بيننا فلستُ إلى يوم التنادي بعائدِ

قال: فتمادى غضبُها وترضاها فلم ترضَ، فكتب إليها: الإدلال يدعو إلى الإملال(٥)، ورب هجر دعا إلى صبر، وإنما سمي القلب قلباً لتَقَلُّبِه ولقد صدق العباس بن الأحنف حيث يقول:(٦) [الخفيف]

ما أُراني الا سأهجرُ من ليـ ـسَ يراني أقوى على الهجْران
مَّلني واثقاً بِحُسْنِ وفائي ما أضَرَّ الوفاءَ بالإنسَّان(٧)

قال: مرت متيم في نسوة وهي متخفية بقصر على بن هشام بعد أن قتل، فلما رأت بابه مغلقاً لا أنيس به، وقد علاه التراب، وقد طرحت في أفنيته المزابل،

(١) كذا في الأصل. وليس لكلمة «دامت؟» صلة [المراجع].

(٢) علي بن هشام: من أمراء المأمون وقواده، تولى حرب بابك الخرمي، ثم غضب عليه لأنه كان استعمله على أذربيجان وغيرها، فبلغه ظلمه وأخذه الأموال وقتله الرجال، فأمر بقتله.

(الطبري وابن الأثير حوادث سنة ٢١٧ هـ).

(٣) كذا في الأصل. وهي ممنوعة من الصّرف. ووردت في الأغاني على الصواب «متيّم». [المراجع].

(٤) البيت في الأغاني ٧/٣١٦ لعلي بن هشام

(٥) في الأصل: (الآمال).

(٦) البيتان للعباس بن الأحنف في ديوانه ص ٢٦٢ والأغاني ٧/٣١٨.

(٧) تتمة الخبر في الأغاني «قال فخرجت إليه من وقتها ورضيت». [المراجع].

وقفت عليه وتمثلت:(١) [السريع]

يــامــنــزلاً لــم تــبــل أطــلالــه حـــاشـــا لأطلالكَ أن تَـبْلَـى
لَـمْ أبْـكِ أطـلالَـكَ لـكـنَّـنـي بـكَيْـتُ عـيـشي فـيكَ إذْ ولَّى
قـد كـان لي فـيكَ هوىً مَـرَّةً غَـيَّـبَـهُ التُّـرْبُ ومـا مُـلا
فَـصِـرْتُ أبكي بعـدَهُ جـاهِداً عند ادِّكـاري حـيـثُـمـا حـلا
والعَـيْشُ أولَى مـا بكاهُ الفَـتى لأبُدَّ لـلـمـحْـزونِ أنْ يَسْلَى

قال: ثم بكت حتى سقطت من قامتها، وجعل النسوة يقلن لها: نَفْسَكِ فإنك تُؤْخَذْينَ الآن، فبعد لأيٍ احتملت بين امرأتين، حتى جاوزت الموضع.

٣٠ - سَلاَّمة القَسّ(٢)

وكانت شمس كواكب وأُنْسَ لاعب، لو قابلت البدر لاستتر، أو هابَّت النسيم لفتر، قد طالت منى، وطابت جَنَى، وعرفت بالقس لأن بها لا يقاس، ولأن كل قلب لها دير أو كناس، أوقفت الغوادي، وبدت كالقمر البادي، إلى غناء تخالس الجليس ويحتبس الظعائن [ص ٩١] وقد شُدَّت العيسُ، يغنى عن مُنّةِ الأوتار، ورَنّة الإعلان عند بلوغ الأوطار(٣).

(١) الأبيات لمتيم الهشامية في الأغاني ٧/ ٣٢٠ ـ ٣٢١ وفي الإماء الشواعر ص ١٢٠ تحقيق جليل العطية ط دار النضال، بيروت ١٩٨٤.

(٢) سلامة القس: مغنية شاعرة من مولدات المدينة، أخذت الغناء عن معبد وطبقته، فمهرت في الغناء وحذقت الضرب على الأوتار، شغف بها عبدالرحمن بن أبي عمار الجشمي من قراء مكة الملقب بالقس لكثرة عبادته فنسبت إليه وغلب عليها لقبه، اشتراها يزيد بن عبدالملك فانتقلت إلى دمشق وبقيت عنده إلى أن توفي، توفيت سلامة نحو سنة ١٣٠ هـ.
(الأغاني ٨/ ٣٤٧ ـ ٣٦٥ الدر المنثور ص ٢٥٠ أعلام النساء ٢/ ٢٦٢).

(٣) في الأصل: «تخانس الجليس... يحتبس الطعان... زنة الإعلان...» ووجهت القراءة كما هو مثبت [المراجع].

قال أبو الفرج: إنما سُمِّيَتْ سلامة القس، لأن رجلاً يعرف بعبد الرحمن بن عمار الجشمي من قُرَّاء أهل مكة، كان يلقب القس لعبادته وأنه مَرَّ بمنزل أستاذ سلامة، فسمع غناءها فهويها(١) وهَوِيتهُ، وشغف بها واشتهر، حتى غلب عليها لقبه، وفيها يقول:(٢)[الوافر]

أهابُكَ أنْ أقولَ بذلت نفسي ... ولو أنّي أُطيع القَلْبَ قالا(٣)

حَيَاءً منكِ حتَّى سُلَّ جسمي ... وشَقَّ عليَّ كتماني وطالا

قال إسحاق: كانت حبابة وسلامة من قيان أهل المدينة، وكانتا حاذقتين ضاربتين ظريفتين، وكانت سلامة أحسنهما وجهاً، وكانت سلامة تقول الشعر، وكانت حبابة تتعاطاه فلا تحسنه.

قال أيوب بن عباية: كانت سلامة أحسنهما غناءً، وهي المقدمة فلما صارتا إلى يزيد بن عبدالملك، ورأت حبَّابة إيثار يزيد لها، ومحبته إياها، استخفت بسلامة(٤)، فقالت لها: يا أُخَيَّةُ، نسيت فضيلتي عليك، ويلك، أين تأديب الغناء؟ وأين خلق التعليم؟ أنَسِيْتِ قول جميلة وهي تطارحنا وتقول: خذي اتقان ما أطارحك من أختك سلامة ولن تزالي بخير ما بقيت لك، وكان أمركما مؤتلفاً، قالت: صدقت يا أخت والله لا عُدْتُ إلى شيء تكرهينه، فما عادت إلى مكروه، وماتت حبَّابة، وعاشت سلامة بعدها زماناً طويلا.

قال: لما قدم عثمان بن حيان المري المدينة والياً عليها، قال له قوم من وجوه الناس: إنك وليت المدينة على كثرة من الفساد، فإن كنت تريد أن تصلح،

---

(١) في الأصل: فهواها. وعبارة الأغاني«فَشُغِفَ بها وشُغفت به» [المراجع].

(٢) البيتان لعبد الرحمن بن عمار الجشمي في الأغاني ٨/٣٤٨.

(٣) في الأصل: (أهلاً بك أن أقول) وهو تحريف (أهابك).

(٤) في الأصل:«لسلامة» والصواب من الأغاني.[المراجع].

فطهرها من الغناء والزنا، فصاح في ذلك وأَجَّلَ أهلها[١] ثلاثاً يخرجون فيها من المدينة، وكان ابن أبي عتيق غائبا، فلما كان آخرَ ليلة من الأجل قدم، قال: لا أدخل على منزلي حتى أدخل على سلامة القس، فدخل عليها فقال: ما دخلت منزلي حتى جئتكم أسلم عليكم، قالوا: ما أغفلك عن أمرنا؟ وأخبروه الخبر، فقال: [ص ٩٢] اصبروا الليلة، فقالوا: نخاف ألا يمكنك شيء، قال: إن خفتم شيئاً فاخرجوا في السَّحر، ثم خرج فاستأذن على عثمان بن حيان، فأذنَ له وذكر غيبته وأنه جاء لقضاء حقه، ثم جزاه خيراً على ما فعل من إخراج أهل الغناء والزنا، وقال: [أرجو أن][٢] لا تكون عملت عملاً هو خير لك من ذلك، قال عثمان: قد فعلت وأشار به عليٌّ أصحابك، قال: قد أصبت، ولكن ما تقول - أكرمك الله - في امرأة كانت هذه صناعتها، وكانت تكره على ذلك، ثم تركته وأقبلت على الصوم والصلاة والخير، وإني رسولها إليك، تقول: أتوجه اليك وأعوذ[٣] بك أن يخرجني من جوار رسول الله ﷺ ومسجده، قال: فإني أدعها لك ولكلامك، قال ابن أبي عتيق: لا يدعك الناس، ولكن تأتيك وتسمع كلامها وتنظر إليها، فإن رأيت أن مثلها ينبغي أن يترك تركتها، قال: نعم، فجاء بها وقال: احملي معك سُبْحَةً وتخشعي، ففعلت، فلما دخلت عليه حدثته، فإذا هي أعلم الناس بالأخبار والأحاديث، فأعجب بها، وحدثته عن آبائه وأمورهم ففكه[٤] لذلك، فقال لها ابن أبي عتيق: اقرئي على الأمير، فقرأت له، فقال: احدي[٥] للأمير، ففعلت، فكبر عجبه بها، فقال: كيف لو سمعتها في صناعتها، فلم يزل يزين لها شيئا بعد شيء حتى أمرها بالغناء، فقال لها ابن أبي

(١) في الأصل: (أجل أهله) أي أهل المدينة.
(٢) الزيادة، وهي ضرورية من الأغاني. [المراجع].
(٣) في الأصل: (واعوا بك) وهو تحريف.
(٤) في الأصل: «ففكر» والتصويب من الأغاني. [المراجع].
(٥) احدي: من الحداء وهو الغناء للإبل.

عتيق عند ذلك غني:[1] [الطويل]

سَدَدْنَ خَصَاصَ الخَيْمِ لَمَّا دخَلْنَهُ … بكلِّ لَبَانٍ واضحٍ وجَبِينِ[2]

فَغَنَّتهُ، فقام عثمان من مجلسه فقعد بين يديها، ثم قال: لا والله ما مثل هذا من يخرج، فقال له ابن أبي عتيق: لا يدعك الناس، يقولون: أقرَّ سلامة واخرج غيرها، قال: فدعوهم جميعاً، فتركوا وأصبح الناس يتحدثون بذلك، يقولون: كَلَّم ابن أبي عتيق في سَلامة فتُرِكُوا جميعاً.

قال ابن أبي أويس: كان يزيد بن عبدالملك [يقول]: ما يَقرُّ بعيني ما أُتْيتُ من أمرالخلافة، حتى أشتري[3] سلامة وحبَّابة، فأرسل فاشْتُرِيَتَا، فلما اجتمعتا عنده قال أنا والله كما قال الشاعر[4]: [الطويل]

فَألقَتْ عَصَاها فاسْتَقَرَّ بها النَّوى … كَمَا قَرَّ عيناً بالإياب المُسَافِرُ

[ص ٩٣] فلما توفي يزيد رثته سلامة وهي تنوح على قبره[5]: [مجزوء الرمل]

لا تَلُمنا إنْ خَشِعْنا … أو هَمَمْنا بخُشوعِ
إذْ فقدنا سيِّداً كا … نَ لنا غيرَ مُضيعِ
قد لعَمْري بتُّ ليلي … كأخي الداءِ الوجيعِ
كُلَّما أبصرتُ رَبْعاً … خالياً فاضتْ دموعي[6]

---

(١) البيت في الأغاني ٨/٣٥٦.

(٢) الخصاص: الفرجة في الباب وغيره. اللبان: الصدر.

(٣) في الأصل: «اشتروا» والسياق يدلّ على المثبت. [المراجع].

(٤) البيت لمرداس بن أبي عامر في كتاب المنتخل ـ الميكالي ١/٩٥ تحقيق يحيى الجبوري ط دار الغرب الإسلامي، بيروت ٢٠٠٠.

(٥) الشعر للأحوص في ديوانه ص ١٩٨ ـ ١٩٩.

(٦) في الأصل: (كما أبصرت) وهو تحريف.

٣١-عُبَيْدُ اللّه بن عَبْداللّهِ بن طَاهِر(١)

تَوَشَّحَ بالأدب، وترشَّحَ للطلب، واقتنى الجواري وأخذهُنَّ بالإحسان، وألقى عليهن الأصوات، وأبقى لهن حياةً في الأموات، ولم يكن يذكر بالغناء إلا جواريه، ولا يظهر، ولو فعل لم يكن أحد يباريه، وإنما كان كلفاً بالشعر والإحسان [في] قريضه، ومحاسن تصريحه وتعريضه، وهو فرع من تلك الغضراء، وبقية من تلك الدولة الغراء.

قال أبو الفرج، قال جحظة: كان المعتضد [يُغَنَّى] بصوت لشاجي، فأرسل إلى عبيد الله يُقسِمُ بأن يأمرها بزيارته، ففعل، قال جحظة: فحدثني من حضر من المغنيات ذلك المجلس يخدمون المعتضد، قلن: دخلت علينا، وما مِنَّا إلا من يرفل في الحُلِيِّ والحُلَلِ، وهي في أثواب ليست كأثوابنا، فاحتقرناها، فلما غَنَّتْ احتقرنا أنفسنا، ولم يزل كذلك حالنا إلى أن صارت في أعيننا كالجبل، وصرنا كَلا شيءٍ، قال: ولما انصَرَفَتْ أمر لها المعتضد بمال وكسوة، ودخلت على مولاها، فجعل يسألها عن خبرها وما استطرفت مما رأت، وما استغربت مما سمعت، فقالت: ما استحسنت هناك ولا استغربته من غناء ولا غيره، إلا عوداً محفوراً من عود، فإني استظرفته، قال جحظة: فما قولك فيمن دخل إلى دار الخلافة فلم تمتد عينه إلى شيء استحسنه إلا عوداً.

قال بعضهم: كنت عند عبيد الله بن عبدالله بن طاهر، وعنده أخوه محمد

---

(١) عبيد الله بن عبدالله بن طاهر بن الحسين الخزاعي، أبو أحمد، أمير من الأدباء الشعراء انتهت إليه رياسة أسرته، وُلِيَ شرطة بغداد، كان مهيبا رفيع المنزلة عند المعتضد العباسي، له براعة في الهندسة والموسيقا وله تصانيف، توفي ببغداد سنة ٣٠٠ هـ.

(وفيات الأعيان ١/ ٢٧٣ الأغاني ٩/ ٥١ ـ ٦٠ تاريخ بغداد ١٠/ ٣٤٠)

في الأصل: (عبدالله بن عبدالله)

يأمره بإحضاري وتقليدي القضاء، وقد بلغت هذه[١] السن وأتولى القضاء بعدها، وبعدما قد رويت: مَنْ وَلِيَ القضاء فقد ذُبِحَ بغير سكين [ص ٩٤] فقال محمد: فتلحق أمير المؤمنين (بِسُرَّ من رأى) وتسأله إعفاءك، قال: أفعل، فأمر له بمال ينفقه وبظهر يحمله ويحمل ثقله، ثم قال: إنْ رأيت يا أبا عبدالله أن تفيدنا منك شيئاً قبل أن نفترق، قال: نعم، انصرفت من عمرةَ المحرَّم، فبينما أنا بالعرج إذ أنا بجماعة مجتمعة، فأقبلت إليهم، فإذا أنا برجل كان يتقنَّصُ الظِّباء، وقد وقع ظبي في حبائله، فذبحه فانتفض في يده فضرب بقرنه صدره فمات، وأقبلت فتاة كأنها المهاة، فلما رأت زوجها ميتاً شهقت وقالت:[٢] [البسيط]

يا حصُ جمَّعَ أحشائي وقَلْقَلَها ... رَدَاكَ يا حصنُ لولا غِرَّةٌ جَلَلُ
أضحت فتاةُ بني نَهْدٍ علانيةً ... وبَعْلُها فوقَ أيدي القوم مُحْتَمَلُ

قال: ثم شهقت فماتت، فما رأيت أعجب من الثلاثة؛ الظبي مذبوح، والرجل ميت جريح، والفتاة ميتة حرّى، قال: فأمرله عبيد الله بمالٍ آخر، ثم أقبل على أخيه محمد فقال له: أما إن الذي أخذنا من الفائدة في خَبَر حُسْن وفي قولها:

أضحتْ فتاةُ بني نَهْدٍ علانيةً

- تريد ظاهرة - أكثر مما أعطيناه من الصلة.

ومن شعر عبيد الله بن طاهر:[٣] [الطويل]

فأنْفِقْ إذا أيْسَرتَ غيرَ مُقَصِّرٍ ... وأنفقْ إذا خيَّلْتَ أنك مُعْسِرُ
فلا الجودُ يُغْني المال والجَدُّ مُقْبِلُ ... ولا البُخْلُ يُبْقي المالَ والجَدُّ مُدْبِرُ

---

(١) في الأصل: (هذا السن) والسن مؤنثة.

(٢) الشعر في الأغاني ٩ / ٥٤ وفيه: (يا حسن جمع أحشائي) و: (وذاك يا حسن).

(٣) البيتان في الأغاني ٩ / ٥٣ لعبيد الله بن عبدالله بن طاهر مع خلاف في الرواية.

٣٢-مُحَمَّد بنُ الحارِث بن بُسْخُنَّر [١]

رئيس طرب يشجي صوته الورقاء إذا ناحت، وذات اللفاء(؟) إذا باحت، طالما صَبَّ الدموع دماً، وصَدَّ الثاكل أن يتذكَّرَ عدماً، لو باكى السيل لاستوقفه إذ جرى، أو شاكى المسهد لأشغله عن الكرى، راق الخلفاء كأس عناية، واتخذوه لذماء[٢]الروح أجل غذائه، فكانوا لا يرون سروراً بغيره يتمُّ، ولا حبوراً بسواه يَلمُّ.

قال أبو الفرج: كان قديماً يُغنّي بالمعزفة[٣] [ص ٩٥] وكانت تحمل معه إلى دار الخلافة، فمر غلامه بها يوماً، فقال قوم كانوا جلوساً على الطريق: مع هذا الغلام مصيدة الفأر، قال بعضهم: لا، هذه معزفة محمد بن الحارث، فحلف يومئذ بالطلاق والعتاق لا يغنّي بمعْزفة أبداً، أنفةً[من] أن تشبه التي يغني بها بمصيدة الفار، فصار يغني مرتجلاً، وكان أحسن الناس أخذاً للغناء وأحسنهم أداةً.

قال أبو عبدالله الهاشمي، سمعت إسحاق المصعبي يقول للواثق، قال لي إسحاق بن إبراهيم الموصلي: ما قدر أحد أن يأخذ شيئا مستوياً إلا محمد بن الحارث، فقال له الواثق: حدثني إسحاق عن إسحاق الموصلي بكذا وكذا، قال: قد قال لي إسحاق مراراً، قال له الواثق: فأي شيء أحدث من صنعته أحسن عندك؟ فقال: هو يزعم أنه لم يأخذ منه أحد قط هذا الصوت كما أخذته، وهو هذا:[٤][الطويل]

---

(١) محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر، أبو جعفر من موالي المنصور، ولد بالحيرة وكان يغني مرتجلا، يغني على المعزفة وكانت تحمل معه إلى دار الخليفة وكان لأبيه الحارث جوار محسنات وكان إسحاق يرضاهن ويأمرهن أن يطرحن على جواريه، أدرك الواثق وغَنَّى له، أخباره في الأغاني (الأغاني ١٢ / ٦١ - ٦٨).

(٢) في الأصل: لدماء (بالدال المهملة) .والذماء: بقية الروح في الذبوح وغيره .[المراجع].

(٣) المعزفة: ضرب من الطنابير يتخذه أهل اليمن وغيرهم، يجعل العود معزفاً، والعزف: اللعب بالمعازف وهي الدفوف وغيرها مما يضرب (اللسان: عزف)

(٤) الشعر لإسحاق الموصلي كما في الأغاني ١٢ / ٦٣.

إذا المرءُ قاسى الدهرَ وأبيَضَّ رأسُهُ   وثُلِّمَ تَثْليمَ الإناءِ جوانبُهْ
فليس له في العيش خيرٌ وإن بكى   على العيشِ أو رَجَّى الذي هو كاذبُهْ

فأمره الواثق أن يغنيه إياه، فأحسن واستعاده الواثق منه، فاستحسنه، وأمر برده مراراً حتى أخذه الواثق، وأخذه جواريه والمغنون.

وذكر يحيى المنجم أن إسحاق غَنَّى بحضرة الواثق:[1] [الطويل]

ذكرتُكِ إذْ مرت بنا أُمُّ شادنٍ   أمامَ المطايا تشرئبُّ وتَسْنَحُ[2]
من المؤلفاتِ الرَّملَ أدماءُ حُرَّةٌ   شُعاعُ الضُحَى من مَتْنِها يَتوضَّحُ[3]

فأمره الواثق أن يعيده على الجواري، وأحلفه بحياته أن ينصح فيه، فقال: لا يستطعن[4] الجواري أن يأخذنه مني، ولكن يحضر محمد بن الحارث فيأخذه مني، وتأخذه الجواري منه، فأحضره وألقاه عليه، فأخذه منه، وألقاه على الجواري.

قال أحمد بن الحسن بن هشام: جاءني محمد بن الحارث بن بسخنَّر يوما، فقال لي: قم حتى أُطفِّل بك على صديق لي حرٍ، وله جارية احسن خلق الله تعالى وجهاً وغناءً، فقلت: أنت طُفيليٌّ وتطفل بي؟ هذا والله [ص ٩٦] أخس حال، وقمت معه فقصد بي دار رجلٍ من فتيان (سُرَّ من رأى) كان لي صديقاً، ويكنى أبا صالحٍ، وقد غُيِّرت كنيته على سبيل اللقب[5]، فَلُقِّبَ أبا الصالحات، وكان

---

(١) الشعر لذي الرمة في ديوانه ٢/١١٩٧ تحقيق عبدالقدوس أبو صالح ط ٣ بيروت ١٩٩٣.

(٢) أم شادن: الظبية، والشادن ولدها، تشرئب: ترفع رأسها لتنظر، تسنح: تعرض لك، أو تمر عن شمالك.

(٣) المؤلفات: اللواتي اتخذن الرمل إلفاً، أدماء: بيضاء، يتوضح: يبرق.

(٤) كذا في الأصل، وفيها لغة أكلوني البراغيث. وفي الأغاني «لايستطيع الجواري».[المراجع].

(٥) في الأصل: (القلب).

ظريفاً حسن المروءة، ويضرب بالعود على مذهب الفرس ضرباً حسناً، ولم يكن منزله يخلو من طعام وشراب، لكثرة من يقصده من إخوانه، فلما طرق بابه، قلت: فرجت عني [هذا](١) صديقي، فدخلنا، وقدم لنا طعاماً نظيفاً فأكلنا، وأحضر النبيذ وأحضر جاريته، فغنت غناءً حسناً، ثم غنت صوتاً كانت أخذته من محمد بن الحارث، من صنعته، والشعر لابن أبي عيينة:(٢) [الكامل]

ضَيَّعْتِ عَهْدَ فتى لعَهْدِكِ حافظٌ | في حفظِهِ عَجَبٌ وفي تضييعِكِ
إنْ تقتليهِ وتذهبي بفؤادِهِ | فبُحْسنِ وجْهِكَ لا بحسن صنيعك

فطرب محمد بن الحارث، ونقطها بدنانير مُسَيَّفة(٣) كانت في خريطته، ووجه بغلامه فجاءها ببرنية(٤) فيها غالية فغلفها(٥) منها، ووهبها الباقي، وكان معنا أخ لمحمد بن الحارث يكنَّى أبا هارون ظريف طيب، فطرب ونعر ونخر(٦)، وقال لأخيه: والله إني أريد أن أقول لك شيئاً في السر، وأسألك أنْ تخبرني هل فيه حرج، قال: قُلْهُ علانية، قال: لا يصلح، قال: والله ما بيني وبينك شيء أبالي أن أقُولَهُ جهراً، فقله، قال: أشتهي أن تسأل أبا الصالحات أنْ ينيكني، فعسى صوتي أن ينصلح ويطيب غنائي، فضحك أبو الصالحات، وخجلت الجارية وغطت وجهها.

---

(١) الزيادة من الأغاني .[المراجع].

(٢) البيتان في الأغاني ١٢/ ٦٧.

(٣) الدنانير المسيفة: هي الدنانير ذات الجوانب النقية الخالية من النقش، الخريطة: وعاء من جلد أو غيره يشد على ما فيه.

(٤) البرنية: إناء واسع الفم من خزف وزجاج ثخين.

(٥) الغالية: الطيب، غلفها: طيبها.

(٦) نعر: صاح وصوت بخيشومه، نخر: مد الصوت في خياشيمه.

قال أبو العباس: حدثني محمد بن الحارث بن بُسْخَنِّر عن ابنه، قال لي الرشيد: أنا عليَّ أن أتغدَّى عندك في غد، قال: فضاق عليّ من الأرض العريض، فجئت إلى عبدالملك بن صالح وقلت له: قد وقعت في بلية، قال: وما هي؟

قلت: زعم الرشيد انه يتغدَّى عندي غداً، فقال: اذهب ففرِّغ جهودك للقلايا والمعلكة ولا يخفك بسوى ذلك، قال: ففعلت، فلما جاءني قال: دعني من تخليطك وهلم إليَّ بقلايا(١) ومعلكة، قال: فجئت بها، فقال: ضع يدك على رأسي، واحلف لتصدقني، قال: فوضعت يدي على رأسه وحلفت [ص ٩٧]، قال: من أشار عليك بهذا؟ قلت: عبدالملك بن صالح، قال: أما والله لو كان طولب بالعشرة آلاف التي عليه، لما تفرغ لفضول الرأي.

قال محمد بن الحارث: كنت مع المأمون وهو يريد بلاد الروم، ومعه عدة من المغنين، فجلس يوماً والمعتصم والعباس، فبعث المأمون بأصل شاهسفوص (٢)وقد لُفَّ على رأسه حريرٌ، فجاءني الغلام وقال: أعد الصوت، فأخذته وشممته، ووثبت فغنيته قائماً، ووضعت الأصل بين يديّ وقلت للمغنين: حكم لي أمير المؤمنين عليكم بالحذق(٣) بالغناء، قالوا: وكيف: [قال] قد دفع إليَّ لواء الغناء من بينكم، قالوا: ليس كما ذكرت، ولكن حَيَّاك إذ أطربته، والرسول قائم، فانصرف بالخبر، فما لبث أن رجع فقال: كما قلت.

(٦) القلايا: جمع القلية، ما يقلى من الطعام ونحوه، ومرقة تتخذ من اللحوم والأكباد: والمعلكة: ضرب من الطعام لم نقف عليه.

(٢) شاهسفوص: كذا جاءت في الأصل ولم أجدها في المعاجم الفارسية ولعلها باقة من صنف من الورد كما يدل عليه السياق ويذكر بعدها (شممته).

(٣) في الأصل: (بالحدد).

قال: صنع محمد بن الحارث لحناً في:[١] [مجزوء الكامل]

أصـبـحـتُ عَـبْـداً مُـسْـتَـرَقًّـا أبْكي الأُلى سَكَنُوا دِمَـشْـقَـا
أعطَيـتُـهُـمُ قلبي فَـمَـنْ يَبْـقَـى بـلا قلـبٍ فَـأبْقَـى

وطرحه على المسدود الطنبوري، فوقع له موقعاً حسناً، واستحسنه محمد بن الحارث منه، فقال له: أتُحِبُّ أن أهبه لك؟ قال: نعم، قال: قد فعلت، وكان يغنيه ويدعيه، إنما هو لمحمد بن الحارث.

قال: دعا إسحاق بن إبراهيم المصعبي المأمون، فصار إليه معه المعتصم وعبدالله ابن طاهر وسائر جلسائه ومغنيه، فلما جلس المأمون على شرابه، كان ممن حضر المجلس من المغنين محمد بن الحارث، وقد شاع في المأمون الطرب، فغناه:[٢][المنسرح]

لو كَـانَ حَـولِي بَنو أُمَـيَّـة لم تَنْطِقْ رِجَـالٌ أراهُمُ نَطَقُـوا

قال: فغضب المأمون، ودارت عينه في رأسه، وكان لا يكاد يغضب، فإذا غضب بلغ غاية الغضب، ثم التفت إليه فقال: تُغنِّيني في وقت سروري[٣]، وساعة طربي في شعر تمدح فيه أعدائي، وأنت مولاي، وربيب نعمتي؟ ادعوا أحمد [ص ٩٨] بن هشام، وكان على حرسه، وكان المأمون لا يمضي إلى موضعٍ، إلا ومعه صاحب شرطته وحرسه، وكان احمد قاعداً في حراقةٍ[٤] على باب إسحاق في دجلة، فجاء أحمد حتى مثل بين يديه، وكان عبدالله بن طاهر قد قام ليجدد وضوءاً، فقال أحمد: خذه إليك فاضرب عنقه وأنتسفه من الأرض، ومَرَّ به مبادِراً

(١) البيتان لمحمد بن الحارث في الأغاني ٢٣/ ٨٧.
(٢) الشعر لعبيد الله بن قيس الرُّقَيّات في الأغاني ١١/ ٣٥٩ وفي ديوانه ص ٧٢.
(٣) في الأصل: (سكري) وفي الحاشية [سروري]
(٤) الحرَّاقة: ضرب من السفن فيها مرامي نيران يرمى بها العدو في البحر، وسفينة خفيفة المرّ.

لينفذ أمره فيه، ولم يتهيأ لإسحاق كلام المأمون فيه، وعدل إلى عبدالله بن طاهر فأخبره الخبر وقال: إن تهيأ هذا في منزلي يوم فخري وسروري كانت سبَّة عليَّ وعلى أهلي، فهدأ أحمد، فسأله أن يتوقف ويبادر إلى أمير المؤمنين يسأله العفو عنه، فقال عبدالله بن طاهر لأحمد في التوقف عنه، وجاء حتى أقام بين يدي المأمون وهو على غضب، فأمره بالجلوس، فأبى، فقال: لم؟ قال: يا أمير المؤمنين، نعمك عليَّ جلية، ومننك لديَّ نفيسة، وفي نفسي وأهلي عظيمة، وهذا يوم شَرَّفْتَ فيه ابن عمي إسحاق بزيارته، ورفعت بذلك من قدره، وأعليتَ من ذكره، وقد كان من هذا الجاهل ما كان، فإن [1]في سعة خلق أمير المؤمنين، وكرم عفوه، أن يعود عليه بفضله، والطول بصفحه، ولا يخرجه إلا إلى ما خرج من الأمر بقتله، كان هذا شيئاً إن تهيأ في منزل خادمه كان سُبَّةً عليه وعلينا إلى آخر الدهر، هذا إلى حرمة محمد وخدمته، وإن الذي تَمّ عليه كان بسوء الاتفاق لا العمد، فإن رأى أمير المؤمنين أن يعود بحلمه ويراجع ما عوَّد الله خدمه من العفو والإقالة، قال: قد فعلت، وأمر برده إلى مجلسه، فجاء فوقف بين يديه فقال: إياك ومعاودة مثل ما كان منك، وأخذ في لهو ولعب وسرور.

٣٣-عَبْدُاللّه بن طَاهِر [2]

ملك علا علو النجوم، وجاد جُودَ[3] الغيوم، وأجاد في كل ضرب من

---

(١) في الأصل: (فلم) وهو في سهو الناسخ.

(٢) عبدالله بن طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي بالولاء، أبو العباس، أمير خراسان ومن أشهر الولاة في العصر العباسي، ولي إمرة الشام ثم مصر ثم الدينور ثم خراسان، كان كريما مع علم ومعرفة وتجربة، وللشعراء فيه مراثٍ كثيرةٌ، كان المأمون كثير الاعتماد عليه وقيل تبناه المأمون ورباه، توفي بنيسابور سنة ٢٣٠ هـ (ابن خلكان ١ / ٢٦٠ تاريخ بغداد ٩ / ٤٨٣).

(٣) في الأصل: «جواد». [المراجع].

الإحسان، وكانت أيامه أيام الورد في نيسان، مُحِلا النجاد بأدبٍ حل منه النجاد، ووقارٍ رأى الطود إليه الافتقار، وهو من أبناء الشيعة العباسية في رأس فرقها، ومجمع طرفها، صعدت فيها جدوده الذروة، وسعدت لتمسكها بالعروة، وكان عبدالله يتكلم الغناء وهو معبده وغريضه، ويده فيه لاتقصر به ولا نهوضه [ص ٩٩] إنما كان يخاف به الإزراء، وتُعدُّ أصواته المنسوبة إليه الأرزاء.

قال أبو الفرج: أعطي عبدالله بن طاهر مَالَ مصر لسنة، خراجها وضياعها، فوهبه كله وفرقه على الناس، ورجع صفراً من ذلك، فغاظ المأمون فعله، فدخل إليه يوماً بعد مقدمه فأنشده (١): [البسيط]

نفسي فِداؤكَ والأعناقُ خاضعةٌ للنائباتِ أبيّاً غيرَ مُهْتَضَمِ
إليكَ أقبلتُ من أرضٍ أقمتُ بها حولين بعدكَ في شوقٍ وفي ألم
أقفو مساعيكَ اللاتي خُصِصْتَ بها حَذْو الشِّراك على مِثْلٍ من الأدم
فكان فَضْليَ منها أنّني تَبَعٌ لما سَنَنْتَ من الإحسانِ والكرمِ

فضحك المأمون وقال: والله ما نفست عليك مكرمة نلتها(٢)، ولا أحدوثة حسن عنك ذكرها، ولكن هذا شيء إذا عودته نفسك افتقرت ولم تقدر على لَمِّ شعثك ولا إصلاح حالك، وزال ما كان في نفسه.

وقال غيره: لما افتتح عبدالله بن طاهر مصر، سوغه المأمون خراجها، فصعد المنبر، فلم يزل حتى أجاز بها ثلاثة آلاف ألف دينار ونحوها، فأتاه مَعَلَّى الطائي وقال: اعلموه ما صنع، وكان واجداً عليه، فوقف بين يديه تحت المنبر وقال: أصلح الله الأمير، أنا مُعَلَّى الطائي، وقد بلغ مِنِّي ما كان منك من جفاء وغلظة،

---

(١) الشعر لعبدالله بن طاهر في الأغاني ١٢ / ١٢١.

(٢) في الأصل: «نافلتها» والتصويب من الأغاني. [المراجع].

فلا يغلظن علي قلبك، ولا يستخفنك الذي بلغك، أنا الذي أقول[١]:

[البسيط]

يا أعظمَ الناسِ عفواً عندَ مقدرةٍ وأعظم النَّاسِ عند الجود للمالِ

لو أصبحَ النيلُ يجري ماؤهُ ذهباً لما أشَرْتَ إلى خزنٍ بمثقالِ

وهي عدة أبيات، فضحك عبدالله بن طاهر وقال: يا أبا السمراء، أقرضني عشرة آلاف دينار، فما أمسيت أملكها، فأقرضه فدفعها إلى مُعَلّى الطائي.

قال محمد بن الفضل الخراساني أحد قواد عبدالله بن طاهر، لما قال عبدالله بن طاهر قصيدته التي يفخر فيها بمآثر أبيه وأهله، ويفخر بفضلهم وقتلهم المخلوع، عارضه محمد بن زياد الأموي الحصني من ولد مسلمة بن عبدالملك، فأفرط في السب وتجاوز قبح الرد، وتوسط بين القوم وبين بني هاشم [ص ١٠٠] فأربى في التوسط، وكان فيما قال فيه:[٢] [المديد]

يا بنَ بيت النارِ يوقِدُها ما لحاذيْهِ سراويلُ[٣]

مَنْ حُسَيْنٌ من أبوكَ ومَنْ مُصْعَبٌ غالتْكُم غُولُ

نَسَبٌ في الفَخْرِ مُؤْتَشَبٌ وأُبُوَّاتٌ أراذيلُ

وهي قصيدة طويلة، فلما ولي عبدالله بن طاهر، وَرُدَّ إليه أمر الشام علم الحصني أنه لا يفلت منه إن هرب، ولا ينجو من يده، فثبت في موضعه، وأحرز حرمه، وترك أمواله ودوابه، وكل ما يملك في موضعه، وفتح باب حصنه وجلس عليه يتوقع من عبدالله بن طاهر أن يوقع به، فلما شارفنا بلده وكنا على أنْ

(١) الشعر لمعلى الطائي في الأغاني ٢/١٢٢.

(٢) الأبيات لمحمد بن زياد الحصني في الأغاني ١٢/١٢٤.

(٣) الحاذان من الدابة: ما وقع عليه الذنب من أدبار الفخذين.

نصبحه، دعاني عبدالله في الليل فقال: أنت [١]عندي الليلة، ولتكن فرسك عندك لا تُرَدُّ، فلما كان في السحر أمر غلمانه وأصحابه أنْ لا يرحلوا حتى تطلع الشمس، وركب في السحر وأنا وخمسة من خواص غلمانه[معه]، وسار حتى صَبّح[٢] الحصني، فرأى بابه مفتوحاً، ورآه جالساً مسترسلاً، فقصده وسلم عليه، ونزل عنده، وقال: ما أحَلَّكَ هاهنا وحملك على ان فتحت بابك ولم تتحصن من هذا الجيش المقبل، ولم تَتَنَحَّ عن عبدالله بن طاهر، مع مافي نفسه عليك، وما بلغه عنك؟ فقال: إن الذي قلت لم يذهب عليَّ، وإنما تأملت أمري وعلمت أني قدأخطأت خطيئة حملني عليها نزق الشباب وغرة الحداثة، وإني إن هربت لم آمنه، فباعدت البنات والحرم، واستسلمت بنفسي وكل ما أملك، فإني [من] أهل بيت قد أسرعَ القتل فينا، ولي فيمن مضى أُسوةٌ، فإن الرجل إذا قتلني وأخذ مالي وشفى غيظه، لم يجاوز ذلك إلى الحرم، ولا له فيهن أرب، ولا يوجب جرمي إليه أكثر مما بذلته، قال: فوالله، ما اتقاه عبدالله إلا بدموعه تجري على لحيته، ثم قال: أتعرفني؟ قال: لا والله، قال: أناعبدالله بن طاهر، وقد أمَّن الله خوفك وحقن دمك، وصان حريمك، وحرس نعمتك، وعفا عن ذنبك، وما تعجلت إليك وحدي إلا لتأمن [٣]وأن لا يخالط عفوي عنك روعة، فبكى الحصني وقام فقبل رأسه، وضَمَّهُ إليه عبدالله وأدناه، ثم قال: أما الآن فلابد من عتاب، يا أخي جعلت فداك، قلت شعراً في قومي أفخر بهم [ص ١٠١] لم أطعن فيه على حسبك، ولا ادعيت فضلاً عليك، وفخرت بقتل رجل، هو وإن كان من قومك، فهم القوم الذين ثأرك عندهم، وكان يَسَعُكَ السكوت. وإن لم

(١) كذا بالأصل ولعلها (بت عندي الليلة).

(٢) في الأصل: أصبح. والتصويب من الأغاني. ومعنى صَبَّحه: جاءه صباحاً، يقال في مجيء السّلم والحرب. [المراجع].

(٣) في الأصل: (إلا لتأمن حوم وإن لا) ولم أهتد لكلمة (حوم) هنا من معنى.

تقترف لم تسرف، فقال: أيها الأمير، فإن عفوت، فاجعله العفو الذي لا يخالطه تثريب، ولا يكدر صفوه تأنيب، قال قد فعلت، فقم بنا ندخل منزلك حتى نوجب عليك حقاً بالضيافة، فقام مسروراً، فدخلنا منزله، ودعا بالطعام الذي كان أعده[1] لنفسه، فأكلنا وجلسنا نشرب في مستشرف له، واقبلَ الجيش، وأمرني عبدالله أن أتلقاهم فأُرَحِّلَهم، ولا يترك أحد منهم في البلدة، ثم دعا بدواة، فكتب له يسوغه خراجه سبع سنين، وقال: إن نشطت لنا فالحق بنا، وإلا فأقم مكانك، فقال: أنا أتجهز وألحق الأمير، ففعل ولحق بمصر، ولم يزل مع عبدالله ابن طاهر لا يفارقه حتى دخل العراق، فودعه وأقام ببلده.

قال ابن خرداذبة: كان موسى بن خاقان مع عبدالله بن طاهر، وكان نديمه، وجليسه، وكان له مؤثراً مقدماً، فأصاب معه معروفا كثيراً، وأجازه جوائز سنية، ثم إنه وجد عليه في بعض الأمر فجفاه، فرجع موسى إلى بغداد، فكتب إليه:[2]

إنْ كانَ عبدُاللهِ خلانا لا مُبْدياً عُرْفاً وإحسانا
فَحسْبُنَا اللّهُ رضِينَا بهِ ثم بعبدِاللهِ مولانا

يعني بعبدالله الثاني المأمون، وغَنَّتْ فيه جاريته لحناً من الثقيل الأول، وسمعه المأمون منها، فاستحسنها، ووصله وإيَّاها، فبلغ ذلك عبدالله بن طاهر، فغاظه، وقال: أجَلْ، صنعنا المعروف إلى غير أهله فضاع.

---

(١) في الأصل: (أعدها).

(٢) البيتان في الأغاني ١٢/١٢٣.

٣٤-مَعْبَد اليَقْطِيْنِي (١)

مطرب كم أُخِذَ عنه صوت، ومجيد كم استدرك به لمعبد الأول فَوْت، وإن قيل «وما قصبات السبق إلا لمعبد»، وعنى الأول أنه أعرب قيل ذلك له وللثاني منه ما أطرب، ثم ختل لبيباً وقتل كئيباً وفعل بالغناء ما يفعل بالناي، كان أطيب من العود أنفاسا، وأقرب إيناساً، يختلب الألباب، ويستلب العقول للأحباب، ويجتلب [ص ١٠٢] الهوى لذكر زينب اجتلاب الرباب.

قال أبو الفرج، قال عبدالله بن أبي سعيد، حدثني معبد غلام ابن يقطين قال: كنت منقطعاً إلى البرامكة، آخذ منهم وألازمهم ولا أفارقهم، فبينا أنا ذات يوم في منزلي إذا بابي يدق، فخرج غلامي ثم رجع فقال: على الباب فتى ظاهر المروءة يستأذن عليك، فأذنت له، فدخل علي شاب ما رأيت أحسن وجهاً، ولا أنظف ثوباً، ولا أجمل زياً منه، عليه آثار السقم ظاهرة، فقال: إني اخاف(٢) لقاءك مذ مدَّةٍ، فلا أجد إليه سبيلاً، إنَّ لي حاجةً، قلت: ما هي؟ فأخرج ثلاث مئة دينار فوضعها بين يدي، ثم قال: أسألك أن تقبلها وتصنع في بيتين قلتهما لحنا تغنيني به، قلت: هاتها، فأنشدني: (٣)[البسيط]

واللهِ يا طَرفيَ الجاني على بَدَني لَتُطْفِئَنَّ بدمعي لَوْعَةَ الحَزَنِ

---

(١) معبد اليقطيني: غلام مولد، من مَوَلَّدي المدينة، اشتراه بعض ولد علي بن يقطين، نشأ بالمدينة، وأخذ الغناء عن جماعة من أهلها ومن جماعة من مغني العراق مثل إسحاق الموصلي وإسماعيل ابن جامع، ولم يكن فيما ذكر بطيب المسموع ولا خدم أحداً من الخلفاء إلا الرشيد، وكان أكثر انقطاعه إلى البرامكة، توفي في زمن الرشيد.
(الأغاني ١٤/١١٥-١١٩).

(٢) في الأغاني: «أرجو» وهو الوجه. [المراجع].

(٣) البيتان في الأغاني ١٤/١١٦.

أو لأبوحَنَّ حتى يحجبُوا سَكَني[١] فـلا أراهُ ولو أُدْرِجْتُ في كَفَني

قال: فصنعت فيهما لحناً ثم غنيته إياه،[٢] فأُغْمِيَ عليه، حتى ظننته قد مات، ثم أفاق فقال: أعِدْ فَدَيْتُكَ، فناشدته الله في نفسه، وقلت: أخشى أن تموت، فقال: هيهات، أنا أشقى من ذلك، ومازال يخضع ويتضرع[٣] حتى أعدته، فصعق صعقة أشد من الأولى، حتى ظننت أن نفسه قد فاضت[٤]، فلما أفاق رددت عليه الدنانير ووضعتها بين يديه، وقلت له: يا هذا خذ دنانيرك وانصرف عني، فقد قضيت حاجتك وبلغت طرفاً مما أردته، ولست أحب أن أشرك في دمك، فقال: يا هذا، لا حاجة لي في الدنانير، وهذه مثلها لك، وأخرج مثلها ثلاث مئة دينار أخرى فوضعهما بين يدي وقال: أعد الصَّوْتَ عليَّ مرة أخرى وخلاك ذم، فشرهت نفسي إلى الدنانير، فقلت:

لا والله ولا بعشرة أمثالها، إلا على ثلاث شرائط، قال: وما هن؟ قلت: أولهن أن تقيم عندي، وتَتَحَرَّم بطعامي، والثانية أن تشرب أقداحاً من النبيذ تشد قلبك ويسكن مما بك، والثالثة أن تحدثني بقضيتك، قال: أفعل ما تريد، فأخذت الدنانير ودعوت بالطعام فأصاب منه إصابة مُعْذِر[٥]، ثم دعوت بالنبيذ فشرب أقداحاً، وغَنَيَّته بشعر غيره في نحو من معناه، فجعل يبكي أحر بكاء

(١) سكني: أراد محبوبته التي يسكن إليها، والسكن: كل ما سكنت إليه واستأنست به.

(٢) في الأصل: (إياهما) ولا وجه له.

(٣) في الأصل: (يترضع).

(٤) فاضت نفسه: مات.

(٥) معذر: أي يصيب قليلاً، وهو من أعذر للقوم، إذا عمل لهم طعام الختان وهو طعام لا يصيب منه المرء إلا القليل.

- والـمُعْذِرُ: هو ذو العُذْرْ(سبب، أو مرض أو غيره)؛[المراجع].

وينشج[1] [ص ١٠٣] أشد نشيج، فلما رأيت النبيذ قد شد قلبه، كررت عليه صوته مراراً ثم قلت: حدثني حديثك، قال: أنا رجل من أهل المدينة، وخرجت متنزها في ظاهرها، وقد سال العقيق في فتيةٍ من أترابي، فبصرنا بفتيات قد خرجن لمثل ما خرجنا له، فجلسن حجزة[2] منا، وبصرت بفتاة كأنها قضيب قد طله الندى، فأطلنا وأطلن حتى تفرق الناس، وانصرفت وقد أثبتت في قلبي جرحاً بطيئا اندماله، فعدت إلى منزلي وأنا وقيذ[3]، وخرجت من الغد إلى العقيق وليس به أحَدٌ، فلم أر لها أثَراً، فجعلت أتبعها في طرق المدينة وأسواقها، فلم أحسُّ لها بعين ولا أثر، وسقمت حتى أيس مني أهلي، وخَلَتْ بيَ ظِئرٌ لي[4] واستعلمتني وضَمِنَتْ لي كتمانها والسعي فيما أحبه، فأخبرتها بقضيتي، فقالت: لا بأس عليك، هذه أيام الربيع، وهي سنة خصب وأنواء، وليس يبعد عنك المطر، فأخرج أنا وأنت إلى العقيق، فإن النسوة سيجئن، فإذا فعلن فرأيتها عرفتها حتى أتبعها فأعرف موضعها فأتبعها وأصل بينك وبينها، وأسعى لك في تزويجها، فكأن نفسي اطمأنت إلى ذلك، ووثقتْ به، وسكنتْ إليه، فقويت نفسي وتراجعت، وجاء مطر بعقب ذلك، فسال العقيق، وخرج الناس وخرجت مع إخواني، فجلسنا مجلسنا الأول بعينه كما كنا والنسوة أقبلن، فأومأت إلى ظئري فجلست حجزة منا ومنهن وأقبلت إلى إخواني فقلت: لقد أحْسنَ القائل: [5] [الطويل]

رَمَتْني بسهم أقصَدَ القلبَ وانثْنت وقد غادَرَتْ جُرْحَاً به وندوبا

فأقبلت على صويحباتها وقالت: أحسن والله القائل حيث يقول: [الطويل]

(١) ينشج الباكي: تردد البكاء في صدره من غير انتحاب.

(٢) حجزة: ناحية.

(٣) الوقيذ: الذي يغشى عليه لا يُدرى أميت هو أم حي، والشديد المرض المشرف على الموت.

(٤) الظئر: المرضعة والمربية.

(٥) البيت والذي يعده في الأغاني ١٤/ ١١٨.

بنا مثلُ ما تشكو فصبراً لعَلَّنا نرى فَرَجاً يَشْفي السُّقامَ قريبا

فأمسكت عن الجواب خوفاً أن يظهر ما يفضحني وإياها، وعرفت ما أرادت، ثم تفرق الناس وانصرفنا، فتبعتها ظئري حتى عرفت منزلها، وصارت إلي فأخذت بيدي ومضينا إليها، فلم تزل تتلطف حتى وصلت إليها فتلاقينا على حال مجالسة، فشاع حديثنا، فحجبها أهلها، فسألت أبي أن يخطبها، فمضى أبي ومشيخة أهلي إلى أبيها، فخطبوها، فقال: لو كان فعل هذا قبل أن يفضحها لأسعفته بما التمس، فأما الآن وقد عَرَّها [١] فما [ص ١٠٣] كنت لأحقق ظن الناس بتزويجها إيَّاه، فانصرفت على يأس منها ومن نفسي. قال معبد: فسألته أن ينزل فحبرني [٢]، وصارت بيننا عشرة، ثم جلس جعفر بن يحيى للشرب، فأتيته وكان أول صوت غنيته في شعر الفتى، فطرب عليه طرباً شديداً، فقال: ويحك، ما سمعت هذا منك قط، فقلت: إن لهذا الصوت حديثاً، قال: فما هو؟

فحدثته، فأمر بإحضاره، فَأُحْضِرَ الفتى بين يديه، فاستعاده الحديث، فأعاده عليه، فقال: هي في ذمتي حتى أزوجك أيَّاها، فطابت نفسه، فأقام معنا حتى أصبح وغدا جعفر إلى الرشيد، فحدثه الحديث العجيب، فأعجب منه، وأمر بإحضارنا جميعاً، فأحضرنا وأمر أن أغنيه الصوت، فغنيته فشرب وطرب، وأمر من وقته بكتاب إلى عامل المدينة بإشخاص الرجل وابنته وجميع أهله إلى حضرته، فلم يمض إلا مسافة الطريق، فأُحْضِرُوا، وأمر الرشيد بإيصاله إليه، فأوصل وخطب الجارية للفتى، وأقسم لا يخالف أمره، فأجابه أبوها، وحمل إليه الرشيد ألف دينار لنفقة الطريق، وألف دينار لجهازها وأمر للفتى بألفي دينار، ولي بألف دينار، وأمر لنا جعفر بألفي دينار لي وله، وكان الفتى بعد ذلك من ندماء جعفر بن يحيى.

---

(١) عرها: من المعرة، الأذى والمساءة والمكروه.

(٢) حبرني: سرني، من الحبور وهو الفرح والسرور.

٣٥- محمد الزَّف[١]

سابق لايكر معه في جولة، ولا يقر معه لصولة، ولا يذكر مع بوارقه برقة ثَهْمَد ولاخَولَة[٢] . ما أبو كامل عنده إلا ناقص، ولا الكميت المذكور في صوت ابن سريج عنه إلا ناكص، ولاابن محرز معه ممن تحرَّز ولاابن ميمون الموصلي إلا ممن تَغَنى[٣] وما نسج مثل نسجه ولا طرَّز.

قال أبو الفرج الأصفهاني: كان أسرع خلق الله أخذاً للغناء من جميع خلقه وأصحه أداءً له، وكان يتعصب على ابن جامع، ويميل إلى إبراهيم وابنه، فكانا يرفعان منه ويقدمانه، ويجلبان له الصلات من الخلفاء، وكان في ابن جامع بخل شديد لا يقتدر معه أن يسعفه ببر، وقد كان ابن جامع إذا غنى صوتاً أصغى إليه حتى يحكيه ويلقيه على جماعة المغنين، فغنى ابن جامع يوماً بحضرة الرشيد:[٤] [الخفيف]

أرسلت تُقْرِئ السلامَ الرَّبابُ [ص ١٠٥] ... في كتابٍ وقد أتانا الكتابُ
فيه لوزرتنا لزرناك ليلاً ... بمنى حيثُ تَسْتَقِلُّ الرِّكابُ

قال إسحاق: ونظرت إلى الزَّفِّ فغمزته، وقمت إلى الخلاء، فإذا هو قد جاءني، فقلت: أي شيء قد عملت؟ قال: قد فرغت لك منه، فقلت: هاته، فرده علي

(١) محمد بن الزف: محمد بن عمرو، مولى بني تميم، كوفي الأصل والمولد والمنشأ والزف لقب غلب عليه ومعنى الزف: السريع، كان مغنياً ضارباً طيب المسموع صالح الصنعة مليح النادرة سريع الأخذ للغناء صحيح الأداء وكان ذكياً سريع الحفظ، يتعصب على ابن جامع ويميل إلى إبراهيم الموصلي وابنه إسحاق فكانا يرفعان منه ويقدمانه إلى الخلفاء، وكانت فيه عربدة إذا سكر، فعربد بحضرة الرشيد مرة فأمر بإخراجه وجفاه ومنعه من الوصول إليه توفي نحو سنة ١٩٣ هـ. (الأغاني ١٤ / ١٨٥ ـ ١٩٠).

(٢) في الأصل: «برقة تصمد ولاخلوله». والصواب ماأثبت. والمؤلف يشير إلى مطلع معلقة طرفة: «لخولة أطلال ببرقة ثهمد». [المراجع].

(٣) في الأصل ندور لابن محرز... ولابن ميمون.. يغني» [المراجع].

(٤) البيتان من قطعة في الأغاني ١٤ / ١٨٧.

ثلاث مرات حتى عرفت مقاطعه وفهمته وصح لي، فأخذته وعدت إلى مجلسي وأنا مسرور [١]، وغمزت عقيداً ومخارقاً فقاما وتبعهما، فألقاه عليهما، وابن جامع لا يعرف الخبر، فلما عاد إلى المجلس، أومأت إليهما أسألهماعنه، فعرفاني أنهما أخذاه، فلما بلغ الدور إلي كان الصوت أول ما غنيته، فحدد الرشيد نظره إليَّ، ومات ابن جامع وأسقط في يده [٢]، فقال لي الرشيد: من أين لك هذا؟

قلت: أنا أرويه قديماً، وقد أخذه عني مخارق وعقيد، فقال: غنياه، فغنياه، فوثب ابن جامع، فجلس بين يديه، وحلف بالطلاق ثلاثاً أنه صنعه في ليلته الماضية، ما سبقه إليه أحد من الناس، فنظر إليَّ الرشيد فغمزته بعيني أنه صدق، وَجَدَّ الرشيد في العبث به بقية يومه، ثم سألني بعد ذلك في الخبر فصدقته، فجعل يضحك ويقول: لكل شيء آفة، وآفة ابن جامع الزف. ومن مشهور صنعته في طريقة الرمل: [٣] [البسيط]

بانَ الحبيبُ فلاحَ الشيبُ في راسي ... وبِتُّ منفَرِداً وحدي بوِسْواسِ
ماذا لَقِيتُ فدَتْكَ النفسُ بعدَكُمُ ... من التَّبَرُّم بالدنيا وبالناسِ
لو كان شيءٌ يسلِّي النَّفس عن شَجَنٍ ... سَلَّتْ فؤادي عنكم لذَّةُ الكاسِ
ما دارتِ الكأسُ إلا كانَ ذِكْرِكُمُ ... مجازَ كأسي وأنسي بين جُلاسي

---

(١) في الأصل: (وأنا مسروراً) وهو لحن من سوء فهم الناسخ.

(٢) أسقط في يده: ندم وتحير

(٣) الشعر عدا البيت الرابع في الأغاني ١٤/ ١٩٠.

٣٦-عَثْعَث (١)

برز في تصاريف العقلاء، وتبرأ من تكاليف الثقلاء، واطَّرَحْت الخلفاء معه الاحتشام، وجعل بوارق السرور متى لاح تُشام، وكان قمر تلك المجالس وقمري تلكَ الرحاب الأوانس، لا تُرقَلُ ركائب المدام إلا على حدائه، ولا تطل حدود الكؤوس إلا بإدنائه، تترنح به المعاطف، ترنح الاغصان بالنسيم، وتهتز القلوب اهتزاز المفارق للمعهد القديم.

قال أبو الفرج، قال ابن حمدون [ص ١٠٦] قال لي عثعث: دخلت يوماً على المتوكل، وهو مصطبح وابن المارقي يغنيه شعره: (٢)[الطويل]

أقَاتِلَتي بالجِيدِ والخَدِّ والقد ... وباللونِ في وجهٍ أرقّ مِنَ الوردِ

وهو على البركة جالس، وقد طرب فاستعاد الصوت مراراً، وأقبل عليه، فجلست ساعة، ثم قمت لأبول فصنعت هزجاً في شعر البحتري يصف البركة: (٣) [البسيط]

إذا النجومُ تراءتْ في جوانبها ... ليلاً حَسِبْتَ سماءً رُكِّبَتْ فيها
وإن عَلَتْها الصَّبا أبدت لها حُبُكاً ... مثلَ الجواشنِ مصقولاً حواشيها
قد زانها زينة من بعد زينتها ... إن اسمه حين يدعى من أساميها

فلما سكت ابن المارقي مستوفياً، اندفعت أغني هذا الصوت، فأقبل علي

---

(١) عثعث: كان أسود مملوكاً لمحمد بن يحيى بن معاذ، ظهر منه طبع وحسن أخذ وأداء، فعلمه الغناء وخرجه وأدبه، فبرع في صناعته، ويكنى أبا دليجة، توفي تقديراً في زمن المتوكل العباسي (الأغاني ١٤/٢٠٩ـ٢١٤).

(٢) البيت لابن المارقي في الأغاني ١٤/٢١١.

(٣) الأبيات للبحتري من قصيدته في وصف بركة المتوكل في ديوانه ١/٢٩ ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٩٨٧ والأغاني ١٤/٢١١.

وقال: أحسنت، وحياتي أعد، فأعدت فشرب ولم يزل يستعيده ويشرب حتى اتكأ ثم قال للفتح بن خاقان: بحياتي ادفع إليه السَّاعة ألف دينار وخِلْعَةً تامة، واحمله على شهري [١] فاره بسرجه ولجامه، فانصرفت بذلك أجمع.

قال ابن جامع: كنا مجتمعين في منزل أبي عيسى ابن المتوكل، وقد عزمنا على الصبوح، ومعنا جعفر بن المأمون، وسليمان بن وهب، وإبراهيم بن المدبر، وحضرت عريب وشارية وجواريها، ونحن في أتم سرور، وكان أهل الظرف والمتعانون في ذلك الوقت ضربين، عريبيَّة وشرويَّة [٢] فمال كل حزب إلى من يتعصب له منهما في الاستحسان والظرف والأفراح، وعريب وشارية ساكتتان لا تنطقان، وكل واحدة من جواريهما تغني صنعة ستها [٣] لا تجاوزها، حتى غنت عرفان: [٤] [المديد]

بأبي مَنْ زَارَني في مَنَامي فَدَنَا مِنِّي وفيْهِ نِفَارُ

فأحسنت ما شاءت، وشربنا جميعاً، فلما أمسكت، قالت عريب لشارية: يا أُختي، لمن هذا اللحن؟ قالت: لي كنت صنعته في حياة سيدي، تعني إبراهيم المهدي فاستحسنه وعرضه على إسحاق وغيره فاستحسنوه، وامسكتْ عريبُ، ثم قالت لأبي عيسى: أحب [ص ١٠٧] يابُنيَّ فديتك أن تبعث الساعة إلى عثعث الأسود من يجيء به، فوجه إليه فحضر، وجلس، فلما اطمأن وشرب وغنى، قالت له عريب: يا أبا دليجة، أتذكر صوتاً غناه زبير [بن] دحمان عندي وأنت حاضر، فسألته أن يطرحه عليك؟ فقال: وهل الغواني لها عذرها[٥]، نعم والله، إني لذاكره، حتى كأننا أمس افترقنا عنه، قالت: غنِّه، فاندفع يغني

(١) الشهري: البرذون وهو ما يخالف الخيل العراب. الفاره: الخفيف النشيط.

(٢) عريبية: نسبة إلى عريب المأمونية، وشروية: نسبة إلى شارية المغنية.

(٣) ستها: أي سيدتها.

(٤) البيت في الأغاني ١٤ / ٢١٠.

(٥) كذا في الأصل.وفي الأغاني :«وهل تنسى العذْراء أباعُذْرِها» وهوالوجه الصواب .[المراجع].

الصوت الذي ادَّعتهُ شارية حتى استوفاه، وتضاحكت الأخرى عريب، ثم قالت لجواريها: خذوا في الحق ودعوا الباطل، وغنوا الغناء القديم، فغنت بدعة وسائر جواريها، وخجلت شارية وأطرقت وظهر الانكسار فيها، ولم تنتفع هي يومئذ ولا أحد من جواريها، ولا متعصبيها بأنفسهم.

٣٧- بَصْبَص جَارية ابن نَفِيْس (١)

جارية سمراء تهزأ بالأسمر، وترسل في طرفها الأسود الموت الأحمر، انغمست في ماء الدلال، وطبعت على صورة الهلال، بحمرة دبت في وجناتها، وأمكنت بواكير الورد من جناتها، وذبلت نرجس العيون وأقاح المقل من جناتها، وروّقت في رضابها الرحيق، وأشعلت فيما تحت نقابها الحريق، وجلتها كالبدر يعلوه تحت الشفوف غيم رقيق، كَلِفَ بها المهدي على عفاف مضاجعه، وكف مطامعه وصارت إلى ملك حيث الملوك إلى أبوابه وافدة، والأقدار له على عدوه مرافدة، واختصها بأنسه، واستخلصها لنفسه، وأولدها عُلَيَّةَ بنت المهدي، ولهذا نزعت إلى أمها، واغترفت الغناء من يمِّها، وكانت قد أدَّبها ابن نفيس فمهرت، وحجبها مدة مقصورة على التعليم حتى ظهرت.

قال أبو الفرج: كان يحيى بن نفيس مولاها صاحب قيان يغشاه الأشراف، ويسمعون غناء جواريه، وكان فيمن [يغشاه] عبدالله بن مصعب بن ثابت بن

---

(١) بصبص: جارية مولدة من مولدات المدينة، حلوة الوجه حسنة الغناء أخذت عن الطبقات الأولى من المغنين، وكان يحيى بن نفيس مولاها، وقيل: نفيس بن محمد، وكان ابن نفيس صاحب قيان يغشاه الأشراف ويسمعون غناء جواريه، وكانت بصبص هذه أنفسهن وأشدهن تقدما قيل أن المهدي اشتراها ـ وهو ولي عهد ـ سراً من أبيه بسبعة عشر ألف دينار فولدت له علية بنت المهدي. أخبارها في الأغاني. (الأغاني ١٥/ ٢٦ ـ ٣٥)

عبدالله بن الزبير، فحج أبو جعفر في بعض السنين، ومر بالمدينة، فقال عبدالله ابن مصعب، تذكر: (١) [السريع]

أراحلٌ أنت أبا جعفرٍ ... من قبل أن تَسْمَعَ من بَصْبَصَا
لو أنَّها تدعو إلى بَيْعَةٍ ... بايعَتُها ثم شَقَقْتُ العَصَا [ص ١٠٨]

فبلغت أبا جعفر، فدعا به فقال: أما أنكم يا آل الزبير قديماً قادتكم النساء، وشققتم العصا، حتى صرت أنت آخر الحمقى تبايع النساء المغنيات، فدونكم يا آل الزبير هذا المرتع الوخيم، قال: ثم بلغ المنصور بعد ذلك أن عبدالله بن مصعب قد اصطلح (٢) مع بصبص وهي تغنيه: (٣) [السريع]

إذا تمزَّزْتُ صُراحيَّةً ... كمثلِ ريحِ المِسْكِ أو أطيبُ (٤)
ثم تَغَنَّى لي بأهْزَاجِه ... زيدٌ أخو الأنصارِ أو أشعبُ
حَسِبْتُ أني مالكٌ جالسٌ ... حَفَّتْ به الأملاكُ أو موكبُ
وما أبالي وإلهِ الوَرَى ... أشَرَّق العالمُ أم غَرَّبوا

قال أبو جعفر: لكن العالم لا يبالون كيف أصبحت، ولا كيف أمسيت، ثم قال أبو جعفر: لكن الذي يعجبني الليلة أن يحدوني الحادي بشعر طريف العنبري فهو ألذ في سمعي من غناء بصبص، ثم دعا الحادي (٥)، وكان إذا حدا أصغت الإبل إلى صوته وانقادت انقياداً عجيباً، فسأله المنصور: ما بلغ من حسن حدائه؟

---

(١) البيتان من قطعة في الأغاني ١٥ /٢٧.

(٢) لعل الأصح (اصطبح) كما في الأغاني، واصطبح: شرب الصبوح وهي خمرة الصباح، والغبوق: شرب المساء.

(٣) الشعر: لعبدالله بن مصعب في الأغاني ١٥ /٢٨ ـ ٢٩.

(٤) تمزز الشراب: تمصصه. الصراحية: الخمر الخالصة.

(٥) في الأصل: (ربما الجارية) وهو وهم لا يناسب السياق.

[قال]: تعطشُ الإبل خمسا وتدْنى من الماء، وأحدو أنا، فَتَتَبْعُ كُلُّها صوتي ولا تقرب الماء، فحفظ الشعر، وهو (١): [الكامل]

إنّي وإنْ كان ابنُ عَمِّي كاشِحاً ... لمزاحمٌ من دونه وورائه
ومُمِدُّهُ نَصْري وإنْ كان امرأً ... متزَحْزحاً في أرضه وسمائه (٢)
وأكونُ مأوى سِرِّهِ وأصونُهُ ... حتَّى يحقَّ عليَّ يومُ أدائه
وإذا أتى من غيبةٍ بطريفةٍ ... لم أطَّلع ماذا وراءَ خِبَائه
وإذا تحَيَّفَتِ الحوادثُ مَالَهُ ... قُرِنَتْ صَحِيحتُنَا إلى جربائه
وإذا تَرَيَّشَ في غناه وَفْرُتُهُ ... وإذا تصَعْلَكَ كنتُ من قُرَنائه
وإذا غَدا يوماً ليركبَ مركباً ... صعباً قعدتُ له على سِيسائه (٣)

قال: فلما كان الليل حدا به الحادي بهذه الأبيات، فقال: هذا والله أحثُّ [ص ١٠٩] على المروءة، وأشبه لأهل الأدب من غناء بصبص، قال: فحدا به ليله أجمع، فلما أصبح قال: يا ربيع، أعطِه درهماً، قال: يا أمير المؤمنين، حدوت لهشام بن عبدالملك فأمر لي بعشرين ألفاً، وتأمر لي أنت بدرهم! قال: إنا لله، ذكرت مالم نحب أن تذكره، وصفت رجلاً ظالما أخذ مال الله من غير حله، وأنفقه في غير حقه، يا ربيع، اشدد يديك به حتى يرد المال، فبكى الحادي وقال: يا أمير المؤمنين، قد مضت به السنون، وقضيت به الديون، ولا والذي أكرمك بالخلافة ما بقي منه شيء، فلم يزل به أهله وخاصته يسألونه في أمره حتى كف عنه، وشرط عليه أن يحدو به ذاهبا وراجعاً، ولا يأخذ منه شيئاً.

---

(١) الشعر لطريف العنبري في الأغاني ١٥/ ٢٩ ـ ٣٠.
ـ قلت: في الأغاني « فحفّظه هذا الشعر ». [المراجع].
(٢) متزحزح في أرضه: بعيد ناءٍ.
(٣) السيسياء: منتظم فقار الظهر.

قال: هَوِيَ محمد بن عيسى الجعفري بصبصاً جارية ابن نفيس، فهام بها، وطال عليه ذلك، فقال لصديق له: لقد شغلتني هذه عن ضيعتي وكل أمري، وقد وجدت مَسَّ السُّلوِّ عنها، فاذهب بنا حتى أكاشفها بذلك وأستريح، فأتيتها، فلما غنت لهما، قال محمد بن عيسى: أتغنين: (١) [الوافر]

وكنتُ أحِبُّكم فسلوتُ عنكم ... عليكم في دياركمُ السَّلامُ

قالت لا، ولكني أغني: [الوافر]

تَحَمَّلَ أهلُها عنَّا فَبَانوا ... على آثارِ من ذهب العفاءُ

قال: فاستحسنها، ثم زاد بها كلفاً، فأطرق ساعة، ثم قال لها: أتغنيني:(٢) [الطويل]

وأخضَعُ بالعُتْبَى إذا كنتُ مذنباً ... وإن أذنبت كنتُ الذي أتنصَّلُ

قالت نعم، وأغني: [الطويل]

فإن تُقْبِلُوا بالودِّ نُقْبَلْ بمثله ... وننزلكُمْ مِنَّا بأقربِ مَنْزِلِ

قال: فتقاطعا في بيتين، وتواصلا في بيتين.

وفي بصبص هذه يقول ابن أبي الزوائد: (٣) [السريع]

بصبص أنتِ الشمسُ مزدانة ... فإن تبذَّلت فأنتِ الهلالْ

سبحانكَ اللهمَّ ما هكذا ... فيما مَضَى كان يكونُ الجمالْ

[ص ١١٠] إذا دَعَتْ بالعودِ في مشهدٍ ... وعَاوَدتْ يُمْنى يديها الشمالْ

غَنَّت غِنَاءً يستفِدْهُ الفتى ... حِذْقَاً وزان الحذقَ منها الدلالْ

(١) البيتان في الأغاني ١٥/٣٣.

(٢) البيتان في الأغاني ١٥/٣٣.

(٣) الأغاني ١٥/٣٢.

٣٨- الزَّرْقَاءُ جَارِيةُ ابنِ رَامِيْن (١)

أنست ذكر زرقاء اليمامة، وغنت فأغنت عن الورقاء والحمامة، لم يبق معها لليمامية ولو أنها أفضل عين ولا أثر، ولا للزّرقاء[٢] أم بني أمية خبر يقع عليه الطرف إذا عثر، أبدعت في تكميل الغناء وتحصيل ما لا ينصرف عنه للاستغناء، ثم أصبحت والحجب تضرب عنها دونها، والستر يسبل عنها مصونها، والنجوم لا ترمقها، والشموس تشهد منها مشرقها[٣].

قال أبو الفرج، قال إسحاق، كان روح بن حاتم المهلبي كثير الغشيان لمنزل ابن رامين، وكان يختلف إلى الزرقاء، وكان محمد بن جميل يهواها وتهواه، فقال لها روح بن حاتم: قد ثقل علينا (٤)، قالت: فما أصنع، قد غمر مولاي ببره، قال: احتالي له، فبات عندهم روح ليلةً، فأخذت سراويله وهو نائم فغسلته، فلما أصبح سأل عنه، فقالت: غسلناه، ففطن أنه أحدث فيه فاحتيج إلى غسله، فاستحيا من ذلك وانقطع عنها، وخلا وجهها لابن جميل.

قال: واشترى جعفر بن سليمان الزرقاء بثمانين ألف درهم، فلما مضت لها مدة عنده، قال لها يوماً: هل ظفر أحد منك ممن كان يهواك بخلوة أو قبلة، فخشيت أن يبلغه شيء كانت فعلته بحضرة جماعة، أو يكون قد بلغه، فقالت: لا والله، إلا يزيد بن عون العبادي قبلني قبلة وقذف في فمي لؤلؤة بعتها بثلاثين ألف درهم،

---

(١) اسمها سلامة الزرقاء كانت جارية ابن رامين، كان يتعشقها ويقول الشعر ويتغنى فيه، محمد بن الأشعث القرشي الزهري، وكان يتعشقها أيضا إسماعيل بن عمار، وشعرهما وأخبارهما مع الزرقاء في الأغاني (الأغاني ١٥/ ٥٤ - ٦٩).

(٢) في الأصل: «الزرقاء». [المراجع].

(٣) كذا في الأصل ولعله« والنجوم ترْمُقها، والشموس يشهد منها مَشْرِقُها». [المراجع].

(٤) في الأصل: (ثقل عليها) والسياق يقتضي (علينا)

فلم يزل جعفر يطلبه ويحتال له حتى وقع في يده، فضربه بالسياط حتى مات.

قال إسحاق: شربت الزرقاء دواء فأهدى لها ابن المقفع ألف دُرَّاجة على جمل قُرَاسيٍّ. (١)

قال محمد بن سلام: اجتمع عند ابن رامين معن بن زائدة وروح بن حاتم وابن المقفع، فلما غنت بعث معن إليها بَدْرةً، (٢) فصبها بين يديها، وبعث روح إليها أخرى فصبها بين يديها، ولم يكن عند ابن المقفع دراهم، فجاء بصك ضيعته وقال: هذه عهدة ضيعتي خذيها، فأما الدراهم [ص ١١١] فما عندي منها شيء.

قال إسماعيل بن عمار: كنت أختلف إلى منزل ابن رامين فأسمع جاريته الزرقاء وسعدة، وكانت سعدة أظرف من الزرقاء، فأعجبت بها، وعلمت ذلك مني، وكانت كاتبة، فكتبت إليها أشكو ما ألقى بها، فوعدتني فكتبت إليها رقعة مع بعض خدمهم فيها: (٣) [البسيط]

يا ربٌّ إنَّ ابنَ رامينٍ له بَقَرٌ ... عينٌ وليس لنا غيرُ البراذينِ
لو شِئْتَ أعطيتَهُ مالاً على قَدَرٍ ... يرضَى به منَك غيرَ الخُرَّدِ العينِ (٤)
فإنْ تجودي بذاك الشيء أحْيَ بهِ ... وإنْ بَخِلْتِ به عنِّي فزنِّيني (٥)

قال: فجاءني الخادم فقال: مازالت تقرأ رقعتك وتضحك، وكتبت إلي: حاشاك

---

(١) الدراجة: وأحدة الدراج وهو ضرب من الطير طيب اللحم.
القراسي: الضخم الشديد من الإبل.
(٢) البدرة: كيس فيه الف أو عشرة آلاف درهم، أوسبعة آلاف دينار.
(٣) الشعر لإسماعيل بن عمار في الأغاني ١٥ / ٦١.
(٤) العين: السوداوات العيون مع السعة، الخرد: جمع خريدة، وهي البكر التي لم تمس أو الخفرة الطويلة السكوت المستترة الخافضة الصوت.
(٥) زنيني: من زنه، أي اتهمه وضيق عليه.

من أن أُزَنيِّكَ، ولكني أصير إليك وأغنيك وألهيك، وأرضيك، وصارت إلي فأرضتني بعد ذلك.

قال ابن عمار: (١) [الخفيف]

لابن رامين خرد كمها الوحـ ـش حسان وليس لي غير بغل
رب فضلته علي ولو شئـ ـت لفضلتني عليه بفضل

وقال محمد بن الأشعث بن نجوة الكاتب الكوفي: (٢) [البسيط]

أمسى لسلامة الزرقاء في كبدي صدع مقيم طوال الدهر والأبد
لا يستطيع صناع القوم يشعبه وكيف يشعب صدع الحب في الكبد

٣٩-حَبَّابَةُ جَارِيَةُ يَزِيد بن عَبْدِالمَلِك (٣)

أمةٌ غلبت على الحرائر، وفتنت بإطرابها، وحسنت بين أترابها، وسفرت فَرَابَ البُدورَ سفُورُها، وملأ الصدور سرورها، ووصلت إلى حجب يزيد، وكان حب(٤) شغفه لها يزيد، فكان لو خُيِّر بَينها وبين الخلافة لاختارها، أو سمّيت(٥) هي

(١) الشعر لابن عمار في الأغاني ١٥/ ٦٠.

(٢) الشعر لمحمد بن الأشعث في الأغاني ١١/ ٣٦٨.

(٣) حبابة: مغنية من أحسن الناس وجهاً وأكملهم عقلاً وأفضلهم أدباً، قرأت القرآن وروت الشعر وتعلمت العربية، وهي مولدة كانت لرجل من أهل المدينة يعرف بابن رمانة خرجها وأدبها، أخذت الغناء عن ابن سريج وابن محرز وطبقتهما، اشتراها يزيد بن عبدالملك بأربعة آلاف دينار، فغلبت على عقله وشغل بها ثم ماتت فحزن عليها ومات بعدها بأربعين يوماً، كانت وفاتها سنة ١٠٥ هـ. (أعلام النساء ١/ ١٩٥ الأغاني ١٥/ ١١٩ ـ ١٤٢).

(٤) في الأصل هكذا .[المراجع].

(٥) في الأصل: سمّي .[المراجع].

والشهد لترك الشهد واشتارها[١]، وكانت هي سبب الطعن عليه حتى أنفذته الرماح ونبذته لقى في مهبات الرياح، صارت إليه هي وسلامة القس، ونعم بهما طوال مدته مثل ليلة العرس، إنَّ هوى حبابة سكن حبه وقلبه، وأشعله حتى ذهب بلبه، ثم وهبها سلامة ورضي بها، ولم يسخطه ملامة.

[ص ١١٢] قال أبو الفرج: أول ما ارتفعت منزلة حبابة عند يزيد أنه أقبل يوماً إلى البيت الذي هي فيه، فقام من وراء الستر، فسمعها تترنم وتغني:[٢] [الخفيف]

كان لي يا يزيدُ حُبُّكِ حينا ... كادَ يقضي عليَّ لما التَقَيْنَا

والشعر كان يا سفين [٣]، فرفع الستر، فوجدها مضطجعة مقبلة على الجدار، فعلم أنها لم تعلم به، فألقى بنفسه عليها وخزلت [٤] منه.

قال ابن شبه: لما ألح يزيد على الشرب وسماع الغناء، أقبل مسلمة عليه يلومه ويقول له: إنك وليت بعقب عمر بن عبدالعزيز وعدله، وقد تشاغلت بهذه الأمة عن النظر في أمور المسلمين، والوفود ببابك وأصحاب الولايات والظلامات يصيحون، وأنت غافل عنهم، قال: صدقت والله، وأعتبه وهمَّ بترك الشراب أيَّاماً، ولم يدخل على حبابة مدة، فدست حبابة إلى الأحوص أن يقول بيتاً في ذلك، وقالت: إن رددته عن رأيه فلك ألْفُ دينار، فدخل الأحوص على يزيد، فاستأذنه، فأذن له فقال: [٥] [الطويل]

---

(١) في الأصل: «واستشارها». [المراجع].

(٢) الشعر لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه ص ٥٠٢ والرواية فيه: كان لي سقير حبك حيناً وهو في الأغاني ١٥/ ١٢٤.

(٣) في الأصل: (لأبي سفين).

(٤) خزلت: ارتدت وضعفت.

(٥) الشعر للأحوص في ديوانه ص ١١٧ ـ ١٢٦ من قصيدة وفي الرواية خلاف عما هنا، والأبيات في الأغاني ١٥/ ١٢٥ ـ ١٢٦.

ألا لا تلُمْـهُ اليـوم أن يتـبلَّدا فـقـد غُلِبَ المحـزونُ أنْ يتـجلَّدا
بكيتُ الَّصبا جَهدي فمن شاء لامني ومن شـاءَ آسى في البكاءِ فـأسْـعَـدا
وإنِّي وإنْ فُنّدتُ[١] في طلب الصبـا لأعلـمُ أنِّي لستُ في الحُبِّ أوحـدا
إذا أنتَ لم تعـشقْ ولم تَدْرِ ما الهوى فكنْ حجراً من يابسِ الصَّخْرِ جَلْمَدا
فـمـا العـشق إلا مـا تلذُّ وتشـتهي وإن لامَ فـيـه ذو الشَّنَارِ وفنَّدا

وحفظت حبابة الأبيات، وعملت فيها لحناً، وكان يزيد قد أقام جمعة لا يدخل إليها، فلما كان يوم الجمعة، قالت لبعض جواريها: إذا خرج أمير المؤمنين إلى الصلاة فأعلميني، فلما أراد الخروج أعلمتها، فتلقته بالعود في يدها، فغنت البيت الأول، فغطى وجهه وقال: مَهْ، لا تفعلي، ثم غَنَّتِ الأبيات، فلما بلغت إلى:

وما العيش إلا ماتلذ وتشتهي [٢]

عَدَلَ إليها وقال: صَدَقْتِ، قَبَّحَ اللهُ مَنْ لامني فيك، يا غلام مُرْ مسلمة [ص ١١٣] فليصل بالناس، وأقام معها وعاد إلى حاله.

وذكر ابن عياش [٣] أن سلامة وحبابة اختلفتا في صوت معبد: [٤] [الوافر]

ألا حيِّ الديارَ بَسُـعْـدَ إنِّي أُحبُّ لحُبِّ فـاطمـةَ الديارا [٥]
إذا مـا حلَّ أهْلُكِ ياسُليـمى بدارةِ صُلْصُلٍ شَحَطوا المزارا [٦]

(١) في الأصل: «قدّرت» والمثبت من الأغاني. وانظر البيت الأخير. [المراجع].

(٢) في الأصل: (فما العشق) وفي الحاشية العيش.

(٣) في الأصل: (ابن عباس) وهو تصحيف.

(٤) الشعر لجرير في قصيدة في ديوانه ص ٣٠٦ وفي الأغاني ٨/١٥.

(٥) سعد: جبل، وماء وقرية ونخل غربي اليمامة (ياقوت: سعد)

(٦) دارة صلصل: موضع لعمرو بن كلاب وهو بأعلى نجد، وصلصل: بنواحي المدينة على سبعة أميال منها، وقال أبو زياد: ومن مياه بني عجلان صلصل قرب اليمامة (ياقوت: صلصل).

فبعث يزيد إلى معبد فأتى، فسأل: لِمَ بعث إليه؟ فأخبر، فقال: لأيتهما المنزلة عند أمير المؤمنين؟ قالوا: لحبابة، فلما عرضتا عليه الصوت، حكم لحبابة، فقالت سلامَةُ: والله يا بن الزانية إنك لتعلم وتتحقق أن الحق والصواب ما قلت، ولكنك سألت: أيتهما آثر عند أمير المؤمنين، فقيل لك حبابة، فاتبعت هواه ورضاه، فضحك يزيد وطرب، وقالت سلامَةُ: أتأذن لي يا أمير المؤمنين في صلة معبد، فإن له علي حقاً، قال: قد أذنت، فوصلته بما لم تصله به حبابة.

وقال الزبير بن بكار: حدثتني طيبة، أن حبابة أنشدت يوماً يزيد بن عبدالملك:(١) [الوافر]

لَعَمْرُكَ إنني لأحِبُّ سَلْعاً ... لرؤيتِهَا وَمَنْ بِجَنُوبِ سَلْعِ (٢)

ثم تنفست شديداً فقال لها: مالك؟ أنت في ذمة أبي لئن شئت لأقلعنه إليك حجراً حجراً، فقالت: وما أصنع به، ليس إياه أردت، إنما أردت ساكنه.

قال الزبير: وحدثتني ظبية، أنَّ يزيد قال لحبابة وسلامة، أيَّتكُما غنتني ما في نفسي، فلها حكمها، فغنت سلامة [فلم تصب ما في نفسه، وغنت حبابة فأصابت ما في نفسه، فقال احتكمي، فقالت: سلامة، تهبها لي] (*) ومالها، قال: اطلبي غير هذا، فأبت، فقال لها: قد وهبتها لك، فلقيت سلامة من ذلك أمراً عظيماً، فقالت لها حبابة: اطمئني فإنك لا ترين إلا خيراً، فجاءها يزيد يوماً فسألها أن تبيعه إياها بحكمها، قالت: أشهد أنها حرة، فاخطبها حتى أزوجك مولاتي.

قال المدائني: كانت حبابة إذا غنت وطرب يزيد قال: أطير؟

---

(١) البيت لقيس بن ذريح في معجم البلدان (سلع) ودون نسبة في الأغاني ١٥/ ١٣٥.

(٢) سلع: موضع بقرب المدينة.

(*) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل، والتكملة من الأغاني ١٥/ ١٣٥ ـ ١٣٦.

فتقول: إلى من تدع أمور المسلمين؟ فيقول: إليك.

قال الزبير وحدثتني ظبية أن حبابة غنت يوماً فطرب يزيد ثم قال لها: هل رأيت أطْرَبَ [ص ١١٤] مني؟ قالت: نعم، مولاي الذي باعني (١)، فغاظه ذلك، فكتب في حَمْلِه مقيداً، فلما قدم أمر بإدخاله إليه، فأُدْخِلَ يَرْسفُ في قيده، وأمرها بالغناء، فغنت: (٢) [المتقارب]

تَشِطُّ غداً دارُ جِيْرَانِنَا ... ولَلدَّارُ بعدُ غَدٍ أبعدُ

فوثب فألقى نفسه على الشمعة، فأحرقت لحيته، وجعل يصيح: الحريق يا أولاد الزنا! فضحك يزيد وقال: لعمري إن هذا لأطرب مني، وأمر بحل قيوده ووصله بألف دينار، ووصلته حبابة بمثلها، وزودته إلى المدينة.

قال: نزل يزيد بيت ديرانية بالشام، ومعه حبابة فقال: زعموا أنه لا يصفو لأحد عيشه إلى الليل إلا(٣)يكدّره شيء، وسأجرب ذلك، ثم قال لمن معه، إذا كان غداً فلا تخبروني بشيء، ولا تأتوني بكتاب، وخلا بحبابة، فأتيا بما يأكلان، فأكلت رمانة فشرقت بحبة فماتت، فأقام لا يدفنها ثلاثاً حتى نتنت، وامتنع من الأكل والشرب وخطاب الناس، وجعل يشمها ويترشفها، فعاتبه أقرباؤه وقالوا: قد صارت جيفةً بين يديك، ولم يزالوا به حتى أذن لهم في دفنها، وأمر فأُخْرِجَتْ في نطع(٤)، وخرج لا يتكلم حتى جلس على قبرها، قال: أصبحت والله كما قال كثير:(٥) [الطويل]

فإنْ تَسْلُ عَنْكِ النَّفْسُ أو تدع الصِّبا ... فباليأسِ يسلو عَنْكِ لا بالتَّجَلُّد

---

(١) في الأصل: (الذي عني) وسقطت (با) من باعني.

(٢) الأغاني: ١٥/ ١٣٩.

(٣) في الأصل: «لايكدّره». والتصويب من الأغاني. [المراجع].

(٤) النطع: بساط من أديم.

(٥) البيتان لكثير عزة في ديوانه ص ١٣٣، والرواية فيه: وكل خليل راءني، أي رآني. والأغاني: ١٥/ ١٤٠.

وكلٌّ خليلٍ زارني فــهـــو قـــائلٌ ... من أجلِكِ هذا هامَــةُ اليــوم أو غــدِ

قال: فما أقام إلا خمسة عشر يوماً حتى مات، ودفن إلى جانبها.

وروى المدائني: أنه اشتاق إليها بعد ثلاثة أيام من دفنها، فأمر بنبشها فنبشت، فكشف عن وجهها وقد تغير تغيراً قبيحاً فقيل له: اتق الله ألا ترى كيف صارت، فقال: ما رأيتها قط أحسن من هذا اليوم، أخرجوها فجاء مسلمة ووجوه قومه وأهله، فلم يزالوا به حتى أزالوه عن ذلك، ودفنوها.

٤٠- بُدَيْح مَوْلى عَبْدِاللّه بنِ جَعْفَر [١] [ص ١١٥]

صاحب فكاهة تحْلو مذاقها، ومحاسن تعرو بها البدور محاقها، وكان لا يعاصيه احتيال ولا يلاويه اختيال، لو رقى الجندل لاستخرج ماءه، أو لاطف الدجى لجلّى ظلماءه، وأعرق في شرف الولاء، وأجزل له طرف الآلاء، ولم تنقص له عطيه، ولا قصّرت به رتبة عليّه.

قال أبو الفرج: روى الحديث عن عبدالله بن جعفر، وقيل إنَّ عبدالله بن جعفر دخل على عبدالملك بن مروان، وهو يتأوَّه من عرق النَّسَا، فقال: يا أمير المؤمنين، مالك؟ قال: قد هاج بي عرق النَّسَا في ليلتي هذه فبلغ مني، فقال: إن بديحا مولاي يرقي منه، فوجه إليه عبدالملك بن مروان، فلما مضى الرسول، قال عبدالله في نفسه: كذبة قبيحة عند خليفة، وأُسْقِطَ في يده، فما كان بأسرع من أن طلع بديح، فقال له: كيف رقيتك من عرق النَّسَا؟ قال: أرقى الخلق يا أمير المؤمنين،

---

(١) بديح مولى عبدالله بن جعفر، وكان يقال له بديح المليح، وله صنعة يسيرة وإنما كان يغني أغاني غيره مثل سائب خاثر ونشيط وطويس وهذه الطبقة، وقد روى بديح الحديث عن عبدالله بن جعفر. ترجمته في الأغاني (الأغاني ١٥/ ١٦٩ ـ ١٧٣).

قال: فَسُرِّيَ عن عبدالله بن جعفر، لأن بديحاً كان صاحب فصاحة وفكاهة يعرف بها، فمد رجله فتفل عليها ورقاها مراراً، فقال عبدالملك: الله أكبر، وجدت والله خفّاً، يا غلام، ادع فلانة حتى تكتب الرقية، فإنا لانأمن هيجانها بالليل، فلا نَذْعَرُ بديحاً، فلما جاءت الجارية، قال بديح: يا أمير المؤمنين، امرأته طالق إنْ كتبتها حتى تعجل حبائي، فأمر له بأربعة آلاف درهم، فلما صارت بين يديه قال: امرأته طالق إن كتبتها أو يصير المال في منزله، فأمر فحمل، فلما أحرزه قال: يا أمير المؤمنين امرأتي طالق إن كنت قرأت عليك وعلى رجلك إلا أبيات نصيب: (١) [الطويل]

ألا إنَّ ليلى العامريةَ أصبحت ... على النأي عني ذنب غيري تنقمُ
وماذاك عن ذنب أكون اجترمته ... إليها لتَجْزيني بها حيث أعلم
ولكنَّ إنساناً إذا مَلَّ صاحباً ... وحاول صرماً لم يزل يتجرَّمُ

قال: ويلك ما تقول، قال: امرأته طالق إنْ كان قال إلا بما قال، قال: [ص ١١٦] فاكتمها،قال: وكيف ذاك وقد سارت بها البرد إلى أخيك بمصر، فطفق عبدالملك ضاحكاً.

٤١-هَاشِم بنُ سُلَيْمَان (٢)

محصل ثروة، ومحصن ذروة، بفطانة تقطع على ما في النفوس، وتدرك منه مالا يدرك بالمحسوس، بحدسٍ كأنما كان به يتكهن، ويقوى لديه ولا يتوهن، وله في صناعة الغناء يد لاتطيش، وسهم له في القلوب بسويدائها تريش (٣)، يجني السامع تمراً، ويخيل للسامع أنه ازداد عمراً.

(١) الأبيات في شعر نصيب ص ١٢٣ والأول في الأغاني ١٥/ ١٧٠.

(٢) هاشم بن سليمان مولى بني أمية، ويكنى أبا العباس، كان موسى الهادي يسميه أبا الغريض، وهو حسن الصنعة عزيزها. أخباره في الأغاني (الأغاني ١٥/ ٢٤٢ ـ ٢٥٦).

(٣) في الأصل: (تسويداً واتها تريش) ولا معنى لها.

قال أبو الفرج، قال هاشم بن سليمان: أصبح موسى الهادي يوماً وعنده جماعة منا، فقال: غنِّنا: (١) [الكامل]

أبهـارُ قَـدْ هَيَّـجَتِ لي أوْجَـاعـا وتَركَـتْنِي عَـبْـداً لَكُم مِطْواعَـا

فإن أصبت حاجتي فلك حاجة مقضية، فغنَّيتُهُ فقال: أصبت وأحسنت، سَلْ تُعْطَ حاجتك، فقال: يا أميرالمؤمنين، تأمر بأن يملأ هذا المكان دراهم، وكان بين يديه كانون عظيم، فأمر به فَملِئَ، فلما حصلها قال: يا قصير الهمة، والله لو سألت أن أملأها دنانير لفعلت، فقلت: أقلني ياأمير المؤمنين، قال: لا سبيل إلى ذلك، ولم يسعدك الجد به، وتمام الصوت الذي اقترحه موسى الهادي على هاشم بن سليمان: (٢) [الكامل]

بحـديثك الحسن الذي لو حلفت وحش الفـلاة به لجـئن سـراعـا
وإذا مـررت على البـهـار منضـداً في السـوق هيج [لي] إليك نزاعـا
والله لو علم البـهـار بأنَّهـا أضـحت سـميـتـه لطال ذراعـا

٤٢- عَمْرو بَانَة (٣)

مفيد طرب، ومجيد إذا ضرب، طالما غَنَّى فخرق كُلَّ حجاب، واستنفق العبرة بغير حساب، كم له في الطرب دقة داخلة، ويد غير باخلة، بكل إشارة وافية،

---

(١) الأغاني ١٥/٢٤٤.

(٢) الأبيات في الأغاني ١٥/٢٤٤

(٣) عمرو بانة: عمرو بن محمد بن سليمان بن راشد، مولى ثقيف، وبانة أمه نسب إليها، من الشعراء العلماء بالغناء، اختص بالمتوكل العباسي. نشأته ببغداد ووفاته بسامراء سنة ٢٧٨ هـ. (الأغاني ١٥/٢٦٠ ـ ٢٧٥ وفيات الأعيان ١/٣٩١).

وعبارة للعود الأعجم بما يتخير من معاني العرب كافية، كم حضر في مجلس فقال السرور ما غبت، وانجحَ فقال الاستحقاق[١] ما خبت، [ص ١١٧] وكان مهما حضر دار الخلافة، استقله معروفها، ودبت إليه قطوفها، فكان أنَّى أمر الدهر ائتمر، ومهما غرس الطرب في سمع اجتنى الثمر.

قال أبو الفرج: كان تائها معجباً، وكان ينادم الخلفاء على ما فيه من الوضح، وفيه يقول الشاعر:[٢] [المتقارب]

أقول لعمرو وقد مرَّ بي فَسَلَّمَ تسليمَةً جافِيَهْ
لئن فَضَّلُوكَ بِحُسْنِ الغِناءِ لقد فضَّلَ اللّه بالعافِيَةْ

قال أبو معاوية الباهلي: سمعت عمرو بن بانة يقول لإسحاق في كلام جرى بينهما: ليس كمثلي[٣] يقاس بمثلك، لأنك تعلمت الغناء تكسباً، وتعلمته تطرباً، وكنت أضرب لئلا أتعلمه، وأنت تضرب لأن تتعلمه.

قال: اجتمع عمرو بن بانة والحسين بن الضحاك[٤] في منزل ابن شعوف، وكان له خادم يقال له مفحم، وكان عمرو يتهم به، فلما أخذ منهم الشراب، سأل عمرو بن بانه الحسين بن الضحاك أن يقول شعراً يغني فيه، فقال:[٥] [المنسرح]

وا بأبي مُفْحَمٌ بغِرَّتِه قلتُ له إذ خلوتُ مُكْتَتِما

(١) في الأصل: «لاستحقاق». [المراجع].

(٢) الشعر في الأغاني ١٥ / ٢٦٠.

(٣) في الأغاني: «ليس مثلي». [المراجع].

(٤) الحسين بن الضحاك المعروف بالخليع، شاعر ماجن مطبوع من الطبقة الأولى من الشعراء المجيدين توفي ببغداد سنة ٢٥٠ هـ.
تاريخ بغداد ٨ / ٥٤ ـ ٥٥ وفيات الأعيان ٢ / ١٦٢.

(٥) الشعر للحسين بن الضحاك في الأغاني ٧ / ١٩٢ و ١٥ / ٢٦١.
ومجموع شعر الحسين بن الضحاك ص ١٠٧ تحقيق عبدالستار فراج ط بيروت ١٩٦٠.

تُحِبُّ باللّه من يخُصُّكَ بالـ ـحُبِّ فما قال لا ولا نعما

فغنى فيه عمرو بن بانة، ولم يزل هذا الشعر غناءهم، وفيه طربهم، فأتاهم في عشيتهم إسحاق بن إبراهيم الموصلي، فسألوا ابن شعوف (١) أن لا يأذن له، فحجبه، وانصرف إسحاق إلى منزله، فلما تفرقوا، مر به الحسين بن الضحاك، فأخبره بجميع ما دار في مجلسهم، فكتب في ذلك إسحاق إلى ابن شعوف:(٢)
[المنسرح]

يابنَ شعوفٍ أما علمت بما ... قد صارَ في النَّاسِ كلِّهم عَلَما
أتاكَ عمروٌ فباتَ ليلتَهُ ... في كلِّ ما يشتهي كما زَعَما
حتى إذا ما الظلامُ خالطَهُ ... سَرَى دبيباً يُجَامِعُ الخَدما
ثُمَّتَ لم يرضَ أنْ يفوزَ بذا ... سِرًّاً ولكن أبدى الذي كتما
حتَّى تغنى لفرط صبوته ... صوتاً شفى من فؤاده سقمًا [ص ١١٨]
وا بأبي مُفْحَمٌ بغُرَّته ... قلتُ له إذْ خَلَوْتُ مُكْتَتِما
تحب بالله [من] يخصك بالـ ... ـحب فما قال لا ولا نعما

قال: فهجر ابن شعوف ابن بانة وقطع عشرته.

قال: جمع عبدالله بن طاهر بين المغنين، وأراد أن يمتحنهم، وأخرج بدرة دراهم سبقا (٣) لمن تقدم منهم وأحسن، فحضر مخارق وعلوية وعمرو بن بانة ومحمد ابن الحارث، فغنى علوية، فلم يصنع شيئاً، وتبعه محمد بن الحارث، فكانت

---

(١) في الأصل: (ابن عسوف) وقد مر أنه ابن شعوف.

(٢) الشعر لإسحاق الموصلي في الأغاني ٧/١٩٢، ١٥/٢٦٢.

(٣) البدرة كيس فيه نقود عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار.
السبق: ما يجعل رهناً على المسابقة.

هذه سبيله، وامتدت الأعين إلى مخارق، فبدأ مخارق فغنى: [١] [مجزوء الكامل]

إنِّي امـــــرؤٌ مِنْ جُـــــرْهُـم   عَـــمِّي وخَـــالي مِنْ جُـــذَامِ

فما نهنه عمرو بن بانة من انقطاع نفسه حتى غنّى[٢] [السريع]

يـا رَبْعَ سَـــلامـــةَ بـالْمُنْحَنَـى   بِخَـــيْفِ سلْعٍ جَـــادَك الوابلُ [٣]

وكان إبراهيم بن المهدي حاضراً، فبكى طرباً، وقال: أحسنت والله واستحققت [٤] السبق، فإن أعطيته وإلا فخذه من مالي، يا حبيبي عني أخذت هذا الصوت، وقد والله زدت عليَّ فيه وأحسنت غاية الإحسان، ولايزال صوتي عليك أبداً، فقال عبدالله بن طاهر: من حكمت له بالسبق فقد حصل له، وأومأ بالبدرة فَحُمِلَتْ إلى عمرو. قال: فلقي إسحاق [عمرو] بن راشد الخناق فقال له: بلغني خبر المجلس الذي جمع فيه عبدالله بن طاهر المغنين ليمتحنهم، ولو شاء كفيته، قال: أما مخارق فأحسن الناس غناء إذا اتفق له أن يحسن، وقلما يتفق له ذلك، وأما محمد بن الحارث فأحسنهم شمائل وأملحهم إشارةً بأطرافه ووجهه في الغناء، وليس عنده غير ذلك، وأما عمرو بن بانة، فإنه أعلم القوم وأوفاهم، وأما علويه فمن أدخله مع هؤلاء؟

---

(١) الأغاني ١٥/٢٦٦ وفيه: إنِّي امرؤ من خيرهم

(٢) الأغاني ١٥/٢٦٦.

(٣) الخيف: الوادي أو ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء.

سلع: جبل بسوق المدينة، وقيل: حصن بوادي موسى، وجبل في ديار هذيل.

(معجم البلدان: سلع).

(٤) في الأصل: (واستحقيت).

٤٣-وَجْهُ القَرْعَة [١]

وجهٌ كلهُ أسارير، وصباح كُله تباشير، ورسيل قيان يقال له رفقاً سيرك بالقوارير، جارٍ على قديم، وسارٍ على طريق قويم، وسبق وما تخلف، وجَدَّ وما تكلفً، وقال كُلَّ قول يشق المسامع ويلجها، ويقع على الخواطر ويبلجها. [ص ١١٩]

قال أبو الفرج الأصفهاني، قال محمد بن حية[٢]: دخلنا على إسحاق الموصلي نعوده في علة كان وجدها، فصادف عنده مخارقاً وعلويه وأحمد بن[يحيي المكّي ومحمد بن][٣] حمزة وجه القرعة، فعرض عليهم إسحاق أن يقيموا عنده ليفرح بهم ويخرج إليهم ستارة يغنون من ورائها، ووضع النبيذ، فغنَّى مخارق صوتاً من الغناء القديم، فخالفه محمد بن حمزة في صناعته [وطال] مراؤهما[٤] في ذلك، وإسحاق ساكت، ثم تحاكما إليه ،فحكم لمحمد، فراجعه مخارق فقال له إسحاق: حسبك، فوالله ما فيكم أدرى بما يخرج من رأسه منه، فقال: ثم غَنَّى أحمد بن يحيى المكي :[٥] [البسيط]

قُلْ للحَمَامَةِ لا تَعْجَلْ بإسراجِ

فقال محمد: هذا اللحن لمعبد، ولا يعرف له هزج غيره، فقال أحمد: أما على ما شرط أبو محمد آنفاً من أنه ليس في الجماعة أدرى بما يخرج من رأسه منك،

---

(١) وجه القرعة: لقب محمد بن حمزة بن نصير الوصيف مولى المنصور، يُكنى أبا جعفر، وهو أحد المغنين الحذاق الضراب الرواة، أخذ عن إبراهيم الموصلي وطبقته، وكان حسن الأداء طيب الصوت، كان شرس الخلق أبي النفس، اذا سئل الغناء أباه، فإذا أمسك عنه كان هو المبتدئ. أخباره في الأغاني (الأغاني ١٥/ ٣٤٤-٣٤٩).

(٢) في الأغاني: محمد بن جبر.[المراجع].

(٣) زيادة لازمة.انظر الأغاني(١٥- ٢٨٨) .[المراجع].

(٤) المراء: المنازعة والاختلاف.

(٥) الأغاني ١٥ /٣٤٧ وفيه: (قل للجمانة).

فلا معارض لك، فقال له إسحاق: يا أبا جعفر، ما غنيتك والله فيما قلت، ولكن قد قال إنه لا يعرف لمعبد هزج (١) غيره، فاكذبه أنت بهزج آخر له مما لا يشك فيه، فقال أحمد: لا اعرف، تمام الصوت: [البسيط]

قُلْ للحَـمَـامَـةِ لا تَعْـجَلْ بإسـراجِ ... ليس الجـوادُ بذاكَ السـابح النَّاجي

لما دَعَـا دعـوةً أخـرى فـأسْـمَـعَني ... أخذتُ قَولي واسْتَعْجَلْتُ إدلاجي (٢)

٤٤-شَارِيَة (٣)

جارية بيضاء مذكورة، هيفاء ممكورة، باهت بالغناء، وتاهت تيه الحسناء، وأربت على كل مجيد، وأبرّت على كل ذات سالفة وجيد، يقال إنها ريحانة من رياحين مخزوم، وممن حار بحبها اللزوم، فكانت درة تقلدها ملك فخر بأجداده، وجمع النقيضين ببياضها وسواده (٤)، وكانت تفوق كل جارية ،وتفوت الكواكب وهي سارية.

قال أبو الفرج، قال عيسى بن هارون المنصوري: إنَّ مولاة شارية (٥) قدمتها ببغداد لتبيعها، فعرضتها على إسحاق بن إبراهيم [ص ١٢٠] الموصلي، فأعطى بها ثلاث مئة دينار ثم استعادها بذلك ولم يَردَّها، فَجِيءَ بها إلى إبراهيم بن المهدي، فعرضت عليه، فساوم بها، فقالت مولاتها: قد بذلتها لإسحاق بثلاثة

(١) في الأصل: (هجز) وهو تحريف.

(٢) في الأصل:« الناج.. .إدلاج ».[المراجع].

(٣) شارية: مولدة من مولدات البصرة، يقال إن أباها كان رجلاً من سامة بن لؤي المعروفين ببني ناجية، وإنه جحدها، وكانت أمها أمة ،فدخلت في الرق،وقيل إنها سرقت وبيعت فاشترتها امرأة من بني هاشم فأدبتها وعلمتها الغناء، ثم اشتراها إبراهيم بن المهدي فأخذت غناءها كله أو أكثره عنه، أخبارها في الأغاني (الأغاني ١٦ / ٥ ـ ١٩).

(٤) يشير إلى بياض الجارية وسواد إبراهيم بن المهدي الخليفة العباسي الذي ثار على المأمون وحكم سنتين.

(٥) في الأصل: (سارقة) والمصنف يخطئ كثيراً في الأسماء فيحرف فيها ويصحف أو لعله الناسخ.

مئة دينار، والأمير أعزه الله أحق بها، فقال: زِنوا لها ماقالت، ثم دعا بقيِّمتِه فقال لها: خذي هذه الجارية ولا تُرينيها سنة، وقولي للجواري يطرحن عليها، فلما كان بعد سنة، أخْرِجَتْ إليه وسمعها، فأرسل إلى إسحاق وأراه إياَّها، وأسمعه غناءها، قال: هذه جارية تباع فبكم تأخذها لنفسك؟ فقال إسحاق: آخذها بثلاثة آلاف دينار(١) وهي رخيصة، فقال إبراهيم، أتعرفها قال: لا، قال: هذه الجارية التي عرضتها عليك الهاشمية بثلاث مئة دينار فَلَمْ تقبلها، فبقي إسحاق متعجباً من حالها وما انقلبت إليه.

قال ابن المعتز، ذكر أبو يوسف بن إبراهيم المصري صاحب إبراهيم بن المهدي، أن إبراهيم وجه إلى عبدالوهاب بن عليٍّ في حاجة كانت له، قال: فلقيته وانصرفت من عنده، فلم أخرج من دهليزه حتى استقبلتني امرأة، فلما بصرت[بي](٢) سترت وجهها عني، فأخبرني بعض الشاكرية أن الامرأة أم شارية جارية إبراهيم، فبادرت إلى إبراهيم، وقلت: أدرك أم شارية في دار عبدالوهاب، وهي من تعلم، فقال لي في جواب ذلك: أشهدتك ان جاريتي شارية صدقة مني على ميمونة بنت إبراهيم بن المهدي، ثم أشهد ابنه على مثل ذلك، وأمرني بالركوب إلى دار ابن أبي دُوَاد(٣) وإحضار من قدرت عليه من الشهود، فأحضرتهم وكانوا أكثر من عشرين شاهداً، وأمر بإخراج شارية، فأُخرجت، فقال: اسفري، فجزعت من ذلك، فأعلمها أنما أمرها بذلك لخير يريده لها، ففعلت، فقال: تسمي، فقالت: أنا شارية أمَتُكَ، فقال لهم: تأملوا وجهها، ففعلوا، فقال: أشهدكم أنها حرة لوجه الله تعالى، وأني قد تزوجتها وأصدقتها

(١) في الأصل: (بثلاث مئة دينار) وهوخلاف السياق والتصويب من الأغاني.

(٢) زيادة من الأغاني لازمة.[المراجع].

(٣) قاضي القضاة في زمن المعتصم والواثق، مرت ترجمته.

عشرة آلاف درهم، ياشارية مولاة إبراهيم بن المهدي أرضيت؟ قالت نعم، رضيت، والحمد لله على ما أنعم عليَّ، وأمرها بالدخول [ص ١٢١]، وأطعم الشهود وطيبهم وانصرفوا، فما أحسبهم بلغوا دار ابن أبي دواد، حتى دخل علينا عبدالوهاب بن علي فأقرأه السلام من المعتصم، ثم قال له: يقول لك أمير المؤمنين المفترض عليَّ طاعتك، وصيانتك من كل ما يعودك، إذ كنت عمي وصنو أبي، وقد رفعت إليَّ امرأة في قريش قصة ذكرت فيها أنها من بني زهرة صليبةً [١]، وأنها أم شارية أمتك، وكيف تكون امرأة من قريش أمةً، فإن كانت هذه المرأة صادقة في أن شارية ابنتها، وأنها من بني زهرة، فمن المحال أن تكون شارية أمةً، والأصلح بك والأشبه اخراج شارية من دارك، وتصيرها عند من تثق به من أهلك، حتى نكشف ما قالته المرأة، وكان في ذلك الحظ الأوفر لك في دينك وحقك، وإن لم يصح لك، أعيدت الجارية إلى منزلك،و قد زال عن نفسك القول الذي لا يليق بك ولا يحسن. فقال له إبراهيم: فديتك، هَبْ شارية بنت زهرة بن كلاب، أتنكُر على ابن العباس بن عبدالمطلب أن يكون بعلاً لها؟ قال: لا، فقال إبراهيم فأبلغ أمير المؤمنين أطال الله بقاءه، أن شارية حرة، وقد تزوجتها بشهادة جماعة من العدول، وقد كان الشهود بعد منصرفهم من عند إبراهيم، صاروا إلى ابن أبي دواد، فشم رائحة الطيب منهم، فأنكره، فسألهم عنه فأعلموه أنهم حضروا عتق شارية جارية إبراهيم بن المهدي وتزوجه إياها، فركب إلى المعتصم فحدثه الحديث، فقال: ضَلَّ سَعْيُ عبدالوهاب، فلما رآه يمشي في صحن الدار سد المعتصم أنف نفسه، فقال: يا عبدالوهاب إني أشُمُّ رائحة صوف مُحْرَق، وأحسب عمي لم يقنعه ردك[إلا وَ][٢] على أذنك صوفة حتى أحرقها، فشممت رائحتها منك، فقال: الأمر على ما ظن أمير المؤمنين

---

(١) صليبة: خالصة النسب عريقة كريمة المنصب.

(٢) زيادة لازمة؛وهي من الأغاني. [المراجع].

وأسمج، ولما انصرف عبدالوهاب من عند إبراهيم، ابتاع إبراهيم من ميمونة شارية بعشرة آلاف درهم وستر ذلك عنها، وكان عتقه إياها وهي في ملك غيره، ثم ابتاعها من ميمونة فحل له فرجها، فكان يطؤها على أنها أمةٌ، وهي تتوهم على أنه يطؤها على أنها زوجته حرة، فلما توفي طلبت مشاركة أم محمد [ص ١٢٢] بنت خالد زوجته في المهر، فأظهرت خبرها، وسألت ميمونة وهبة الله عن الخبر، فأخبرتا به، فأمر المعتصم بابتياعها، فابتيعت من ميمونة [بخمسة آلاف و] خمس مئة دينار، فحولت إلى داره، فكانت في ملكه إلى أن توفي.

قال ابن المعتز: وحدث حمدون بن إسماعيل أنه دخل على إبراهيم يوماً فقال له: أتحب أن أسمعك شيئاً لم تسمع قط مثله، فقلت: نعم، فقال: هاتوا شارية، فخرجت فأمرها أن تغني لحن إسحاق (١) [البسيط]

هَلْ بالدِّيارِ التي أحْبَبْتُهَا أحَدٌ

قال حمدون: فَغُنِّي شيء لم أسمع قط مثله، فقلت: لا والله يا سيدي ما سمعت هكذا قط، قلت: أتحب أن تسمعه أحسن من هذا؟ قلت: لا يكون، قال: بلى والله، تقر بذلك، فقلت: على اسم الله، فغناه هو، فرأيت فضلاً عجيباً، فقلت: ما ظننت أن هذا يفضل ذلك هو الفضل، قال: أفتحب أن تسمعه أحسن من هذا وذاك؟ قلت: هذا الذي لا يكون أبداً، فقال: بلى والله، فقلت: هات، قال: بحياتي يا شارية قوليه وأحيلي (٢) حَلْقَكِ [فيه]، قال: فَغَنَّت، فسمعت والله فضلاً بيِّناً، فأكثرت التعجب، فقال لي: والله يا أبا جعفر ما أهون هذا على السمع! تدري كم رددت عليها موضعاً في هذا الصوت؟

(١) الأغاني ١٦/ ١١.

(٢) أحيلي حلقك: أي حولي حلقك في أثناء الغناء من حال إلى حال ارتفاعا وانخفاضا.

– قلت: في الأغاني: «وأجيلي» بالجيم أي: أديري. [المراجع].

قلت: لا، قال: قل وأكثر، قلت: مئة مرة؟ قال: أضعف ما بدا لك، قلت: ثلاث مئة مرة؟ قال: أكثر والله من ألف مرة، حتى قالته كذا.

كانت ريِّق تقول: إن شارية إذا اضطربت في صوت فغاية ما يكون عنده من عقوبتها أن يقيمها تغنيه على رجلها، فإن لم تبلغ الذي أراد، ضربت ريِّق بين يديها(١).

قال محمد بن سهل بن عبدالكريم: ثم أعطى المعتصم بشارية سبعين ألف دينار.

قال عبدالله بن طاهر: أمرني المعتز ذات يوم بالقيام عنده، فأقمت وأمر فَمُدَّت الستارة، وغنت شارية [ص ١٢٣] ولم أكن سمعتها قبل، فاستحسنت ما سمعت، فقال لي المعتز: يا عبدالله، كيف تسمع منها عندك؟ فقلت: حظ العجب من هذا الغناء أكثر من حظ الطرب فاستحسن ذلك، فأخبرها فاستحسنته.

٤٥- خُلَيْدة المكيَّة (٢)

خَلَّدت لها ذكراً، وخلَّت حديثها يستحسن وإن كان نكراً، خلقت من طينة العنبر الورد وطابت أنفاساً وإن اسود كأنما نفضت عليها صبغتها الحدق ممّا حدقت ناظرة إليها، إلا أنها كانت ذات ملح ما اشتملت عليها احناء ظلام، ولا مجاجة أقلام، فلهذا عشقت وما ضاعت الأعمار التي أنفقت.

قال أبو الفرج، قال الفضل بن الربيع: ما رأيت ابن جامع يطرب كما يطرب لغناء خليدة المكية.

قال عمر بن شبة: بلغني أن محمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان، أرسل إلى خليدة المكية مولاه أبا عمرو يخطبها عليه، فاستأذنها عليه فأذنت له،

---

(١) ضربت: أي أخذت ريق العود من شارية وضربت به لتضبط اللحن.

(٢) خليدة المكية: مولاة لابن شماس، كانت هي وعقيلة وربيحة يعرفن بالشماسيات وقد أخذت الغناء عن ابن سريج ومعبد ومالك. أخبارها في الأغاني. (الأغاني ١٦/ ٢٠١ ـ ٢٠٤).

وعليها ثياب رقاق لا تسترها، فوثبت وقالت: إنما ظننتك بعض سفهائنا، ولكني ألبس لك لباس مثلك ثم أخرج اليك ففعلت، ثم قالت: قل، قلت: أرسلني إليك مولاي، وهو من تعلمين ابن رسول الله وابن علي وعثمان، وهو ابن عم أمير المؤمنين، يخطبك، قالت: قد نسبته فأبلغت، فاسمع نسبي، أنا ـ بأبي أنت ـ إن أبي بِيْعَ على غير عقد الإسلام ولا عهده، فعاش عبداً ومات وفي رجليه قيد، وفي عنقه سلسلة على الإباق (١) والسرقة، وولدتني أمّي منه على غير رشدة، وماتت وهي آبقة، وأنا من تعلم، فإن أراد صاحبك نكاحاً مباحاً، أو زناً صراحاً، فَلْيَهَمَّ(٢) إلينا فنحن له، فقلت: إنه لا يدخل في الحرام، فقالت: ولا ينبغي أن يستحي من الحلال، فأما نكاح السر فلا والله ما فعلته، ولا كنت عاراً على القيان أبداً، فأتيت محمداً فقال: ويلك، أتزوجها معلناً وعندي بنت طلحة بن عبيد الله(٣)، لا، ولكن ارجع إليها فقل لها تختلف إليَّ أردد بصري فيها [ص ١٢٤] لعلي أن أسلو، فرجعت إليها فأبلغتها الرسالة فضحكت وقالت: أما هذا فنعم.

٤٦- عَمْرو المَيْدَاني (٤)

مطرب مجالس، ومطري مجالس، وزند سرور قادح، وعهد حبور سلم من فادح(٥)، اقتصر على الضرب بالطنبور، فيبست العيدان، ويئست أن تحوز صنعة

---

(١) الإباق: هرب العبيد وذهابهم من غير خوف ولا كدّ عمل.

(٢) في الأصل: «فليهم» وفي الأغاني «فهلم» وفي كتب اللغة والنحو كلام طويل على «هلم». [المراجع].

(٣) طلحة بن عبيد الله بن عثمان التميمي القرشي، صحابي من الأجواد وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد الثمانية السابقين إلى الإسلام، قتل يوم الجمل بجانب عائشة سنة ٣٦ هـ.

(٤) عمرو أو عمرالميداني: رجل من أهْلِ بغداد، كان ينزل الميدان ـ محلة ببغداد ـ فعرف به، وكان لا يفارق محمداً وعلياً ابني أمية وأبا حشيشة، ينادمهم ويغني أشعارهم، وكان منزله قريباً منهم، وهو أحد المحسنين المتقدمين في الصنعة والأداء. (الأغاني ٢٣/ ١٤٩ ـ ١٥١).

(٥) في الأصل: «من فادح» بالفاء وأولى أن تكون «قادح» أي :من عائب. [المراجع].

الميدان، ووضع لها في الأصوات ما يناسب، وقنع منها بما تيسر من المكاسب، ثم ما ضَمَّ مصروراً، ولا مضى مسروراً.

قال أبو الفرج، قال علي بن أمية: دخلت على عمرو الميداني، وكان له بَقَّالٌ على باب داره ينادمه ويقترض منه إذا أعسر، فوجدته عنده، فقال: يا أبا عمرو، معي أربعة دراهم اشتروا بها ما أحببتم، وعندي نبيذ، وأنا أغنيكم، والبقال يحضركم من الأبقال اليابسة مما في حانوته، فوجهنا بالبقال، فاشترى لنا لحماً وخبزاً وفاكهة، وجاءنا من دكانه بحوائج سكباج [١] ونقل، فبينا نحن نتوقع فراغ القدر، إذا بفرانق [٢] يدق الباب، وقال: أجب إسحاق بن إبراهيم، فحلف علينا ألا نبرح، ومضى هو وأكلنا وشربنا، وانصرفتُ عشاءً، وبَكَرَ إليَّ رسولُهُ فصرت إليه، فقلت له أعطني خبرك، قال: أُدْخِلْتُ فَوُضِعْتُ بين يدي مائدة، كأنها جزعة [٣] يمانية، قد فرشت في عراصها أنواع الأطعمة، فأكلت وسقيت رطلين، فَدُفَع إلي الطنبور، فدخلت إلى إسحاق فوجدته جالساً وخلفه ستارة وعنده مخارق وعلوية، فقال: أنت عمرو الميداني؟ فقلت: نعم، قال: أكلت؟ قلت: نعم، [قال] هاهنا أو في منزلك؟ قلت: بل هاهنا، قال: أحسنت، تَغَنَّ بصوتك: [٤] [مجزوء الخفيف]

يا شَبِيْه الهلالِ كُلِّلَ في الأفقِ أنجُمَا

فغنيته، فضرب الستارة، وقال: قولوه[٥] أنتم[فقالوه]، فقال لمخارق وعلوية: كيف تسمعان؟ قالا: هذا والله ذاك، وذاك هذا[فردَّدْنَهُ]، وشرب عليه مراراً، ثم قال لي: أنا اليوم على خلوة ولك إليَّ عودات، فانصرف اليوم بسلامة، فخرجت

(١) السكباج: ضرب من الطعام فيه لحم وخل.

(٢) الفرانق: الرسول.

(٣) الجزعة: واحدة الجزع وهو ضرب من العقيق يعرف بخطوط متوازية مستديرة مختلفة الألوان.

(٤) الأغاني ٢٣ / ١٥٠.

(٥) في الأصل: «قولوا أنتم.. .قال» والصواب من الأغاني. وما بين معقوفين من الخبر هو من الأغاني [المراجع].

ودفع إليَّ الغلام خمسة [ص ١٢٥] آلاف درهم، هذه والله لا استأثرت عليكم منها بدرهم، فلم نزل عنده نقصف بها حتى نفدت كلها.

٤٧- أشْعَب الطَّامِع (١)

رجل من أهل المدينة، كان يعد الوهم حقيقة، ويظن وادي العقيق عقيقة، ولورأى البرق المقتدح لحسبه طابخاً، أو الفجر الطالع في الليل لظنه لإهاب شاةٍ ملحاء سالخاً، ما خيَّمَ الضباب إلا قال هذه دخان رفَعَتْ لنا القرَى، وما بانت له الآكام إلا قال سأستضيف بعض هذه القرى، لو قدر من طمعه لتعلق بحبال الشمس، واسترد اليوم ما فات في أمس، لو حضر امرؤ القيس للزمه وتبتل، ووقف يندب عقائره التي تقتل، ولخاطف العذارى منها على لحم وشحم كهُدَّابِ الدِّمَقْس المفتل، لا يسلك في غير الخدع المطمعة الجدد، ولا يعرف من قدماء العرب إلا طابخة بن أدد، لو سئل عن فواتر الأجفان لقال لا أعرف إلا فوائر الجفان، يعجله النهم عن التسمية والحمد، ولا يحمله الشره على ملاحظة أطراف الأكيل على عمد، لو نظر إلى خيال النجوم في الغدير، لقال دعوني بلقط هذه الدنانير، أو فاته تحصيل ذَرّ الهباء(٢) لعض على الأباهم، وكان على هذه الخصال التي تسود الصحف، وتخزي ما تحت اللحف، من أقيال الغناء وأهل أقوال الطرب المعروفة لابن اللخناء، إلى نوادر له في الطمع، ونكت له كالنظافة في الطبع، وعلى هذا أصبحت الناس، وأصبح واحداً والخلق في أجناس.

---

(١) أشعب الطامع: أشعب بن جبير، ظريف من أهل المدينة كان مولى لعبد الله بن الزبير، تأدب وروى الحديث، وكان يجيد الغناء، يضرب المثل به في الطمع، عاش عمراً طويلاً وقدم بغداد في أيام المنصور العباسي، وتوفي بالمدينة سنة ١٥٤ هـ. أخباره كثيرة.

(الأغاني ١٩ / ١٤٤ ـ ١٩٥ تاريخ بغداد ٧ / ٣٧ تهذيب ابن عساكر ٣ / ٧٥).

(٢) في الأصل: « درّ الهناء » . [المراجع] .

قال أبو الفرج رحمه الله: كان يحكى عن أُمِّه أنها كانت تغري بين أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتمشي بينهم بالنميمة، وأنها زنت فَحُلِقَتْ وطِيْفَ[1] بها أسواق المدينة، وكانت تنادي على نفسها: من رآني فلا يزني، فقالت لها امرأة: يا فاعلة، نهانا الله عز وجل عنه فعصيناه، نطيعك أنت؟ وأنت مجلودة راكبة جمل؟

وقد روى الحديث عن جماعة من الصحابة، من[2] الحديث الذي رواه عن عبدالله بن جعفر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [ص ١٢٦] «لو دعيت إلى كراع لأجبت»[3].

قال المدائني: دفعت ابنة عثمان أشعب في البزازين، فقالت له بعد حول السنة أتوجهت بشيء؟ قال: نعم: توجهت وتعلمت نصف العلم، قالت: وما هو؟ [قال]: تَعَلّمْتُ النَّشْرَ وبَقِيَ الطَّيُّ.

قال المدائني، قال أشعب: تعلقت بأستار الكعبة وقلت: اللهم أذْهِبْ عنِّي الحرص والطلب إلى الناس، ومررت بالقرشيين وغيرهم فلم يعطني أحد شيئاً، فجئت إلى أمي فقالت: مالك قد جئت خائباً؟ فأخبرتها، فقالت: لا والله، لا تدخل حتى ترجع فتستقيل ربك، فرجعت فقلت: يا رب أقلني، فلم أمر بمجلس من قريش وغيرهم إلا أعطوني، ووُهِبَ لي غُلامٌ، فجئت أمي [بحمار] موقراً[4] من كل شيء، فقالت: ما هذا الغلام؟ فجئت لأخبرها فخفت أن تموت فرحاً، فقلت: وهبوا لي، قالت: أي شيء؟ قلت: غين، قالت: أيش غين، قلت:

---

(١) في الأصل: طوف. [المراجع].

(٢) كذا في الأصل. ولعله: «منه». [المراجع].

(٣) الحديث أخرجه البخاري (٤٨٨٣)، أحمد ٢ / ٤٢٤، ٤٨١، ٥١٢، البيهقي ٦ / ١٦٩، ٢٧٣٧.

(٤) موقر: محمل أحمالاً ثقيلة.

لام، قالت أي شيء لام؟ قلت: ألف، قالت: أي شيء ألف؟ قلت: ميم، قالت :وأي شيء ميم قلتُ: غلام، فَغُشِيَ عليها، ولو لم أقطع الحروف لماتت الفاسقة فرحا.

قال أشعب: سمعت الناس يموجون في أمر عثمان، ثم أدركت المهدي، وقال تغدى أشعب مع زياد الحارثي فجاء بصحفة فيها مضيرة (١)، فقال أشعب للخباز: ضع ذلك على يدي، فقال زياد: من يصلي بأهل السجن، فقالوا: ليس لهم إمام، فقال: أدخلوا أشعب يصلي بهم، فقال أشعب: أو خير من ذلك؟ قال: وما هو؟ قال: أحلف ألا آكل مضيرة أبداً.

قال: صَلّى أشعب يوماً إلى جانب مروان بن أبان بن عثمان، وكان مروان عظيم الخلقة والعجيزة، فما لبث أن أفلتت منه ريح عند نهوضه لها صوت، فانصرف أشعب من الصلاة، يوهم الناس أنه هو الذي خرجت منه الريح، فلما انصرف مروان إلى منزله، جاء أشعب فقال له: الديَّة، قال: دِيةُ ماذا؟ قال: الضرطة التي تحملتها [عنك]، ولم يدعه حتى أخذ منه.

قال أبو بكر الزيني، حدثني من رأى أشعب، علق رأس كلبه وهو يضربه ويقول: تنبح للهدية، وتبصبص (٢) للضيف. [ص ١٢٧]

قال: غذا أشعب جدياً بلبن أُمه (٣) وغيرها، حتى بلغ غاية، وقال لزوجته: ابنة وردان، أحب أن ترضعيه بلبنك، ففعلت، ثم جاء به إلى إسماعيل بن جعفر الصادق فقال: بالله إنه [لابني] قد رضع بلبن زوجتي، حبوتك به ولم أجد من يستأهله سواك، قال: فنظر إسماعيل إلى الجدي فأعجبه، فأمر بذبحه وأُسْمِطَ،

(١) المضيرة: ضرب من الطعام يطبخ اللحم باللبن حتى ينضج اللحم ويخثر اللبن.

(٢) بصبص الكلب: حرك ذنبه طمعاً وملقاً.

(٣) في الأغاني: (يلبن زوجته).

فأقبل أشعب وقال: ما عندي والله شيء ونحن من تعرف وذلك غير فائت لك، فلما أيس منه قام من عنده، فدخل على أبيه جعفر بن محمد، ثم اندفع يشهق حتى التفت أضلاعه، ثم قال: أخلني، قال: ما معنا أحد، قال: وثب ابنك إسماعيل على ابني فقتله وأنا أنظر إليه، قال: فارتاع جعفر وقال: ويحك، وفيم؟ وتريد ماذا؟ قال: أما ما أريد فوالله مالي في إسماعيل حاجة، ولا يسمع هذا سامع أبداً بعدك، فجزاه خيراً وأدخله منزله، وأخرج له مئتي دينار، وقال له: خذ هذه، ولك عندي ما تحب، قال: وخرج جعفر إلى اسماعيل لا ينظر مايطأ عليه، فإذا به مسترسل [في مجلسه] فلما رأى وجه أبيه نكره وقام إليه، فقال: يا إسماعيل وفعلتها بأشعب وقتلت ولده، فاستضحك وقال: جاءني بجدي من صفته وخبره كذا، فأخبره أبوه بما كان منه وصار إليه، قال: وكان جعفر يقول لأشعب: رعتني راعك الله، فيقول: روعتي في الجدي أكثر من روعتك في المائتي دينار.

قال: وقف أشعب على امرأة وهي تعمل طبق خوص، فقال: كبرّيه، قالت: ولم؟ أتريد أن تشتريه؟ قال: لا، ولكن عسى أن يشتريه إنسان فيهدي إلي فيه شيئاً.

قال المدائني قالت صديقة أشعب لأشعب: هب لي خاتمك أذكرك به، فقال: اذكريني بأني منعتك إيَّاه، فهو أحب إليَّ.

قال أشعب مرة للصبيان: هذا عمرو بن عثمان يقسم مالاً، فامضوا إليه، فلما أبطاؤا عليه أتبعهم يحسب أن الأمر قد صار حقاً كما قال.

قال المدائني، قال رجل: رأيت أشعب بالمدينة يقلب مالاً كثيراً، فقلت له: ويحك، ما هذا [الحرص]؟ ولعلك أن تكون أيسر من الذي يعطيك، قال: إني قد مهرت في المسألة وأخاف أن أدعها فتنفلت مني.

قال المدائني: قيل لأشعب: ما بلغ [ص ١٢٨] من طمعك؟ قال: ما رأيت اثنين يتشاوران قط إلا ظننت أنهما قد أمرا لي بشيء.

قال المدائني: قال أشعب لأمه: رأيتك في النوم مطلية بعسل، وأنا مطلي بعذرة [١]، فقالت يا فاسق، هذا عملك الخبيث كساك هو الله عز وجل، قال: إن في الرؤيا شيئاً آخر، قالت: وما هو؟ قال: رأيت أني ألطعك وأنت تلطعيني، قالت: لعنك الله يا فاسق.

قال المدائني: كان أشعب يتحدث إلى امرأة بالمدينة حتى عرف بذلك، فقالت لها جاراتها: لو سألته شيئاً فإنه موسر، فلما جاء قالت: إن جاراتي ليقلن لي: ما يصلك بشيء، فخرج نافراً من منزلها، فلم يقربها شهرين، ثم إنه جاء ذات يوم فجلس على الباب، فأخرجت له قدحاً مملوءاً ماءً، فقالت: اشرب هذا من الفزع، فقال: اشربيه أنت من الطمع.

قال المدائني، قال رجل لأشعب: لو تحدثت عندي العشية؟ فقال: أكره أن يجيء ثقيل،فقلت :ليس غيري وغيرك ،قال :فإذا صليت الظهر فأنا عندك، فَصلَّى وجاء، فلما وضعت الجارية الطعام، إذا بصديق لي يَدُقُّ الباب، فقال: ألا تراها، قد جاءنا ثقيل؟ قلت: عندي له عشر خصال، قلت: أولها أنه لا يأكل ولا يشرب، قال: رضيت والتسع خصال له، أدخله.

قال المدائني: دخل أشعب يوماً على الحسين بن علي رضي الله عنه وعنده اعرابي قبيح الوجه، فَسَبَّحَ أشعب حين رآه، ثم قال للحسين: بأبي أنت وأمي، أتأذن لي

---

(١) العذرة: الغائط الذي هو السلح

أن أسْلَحَ عليه؟ فقل له الأعرابي: إن شئت، ومع الأعرابي قوس وكنانة، فَفَوَّق نحوه سهماً وقال: والله لئن فعلت لتكون آخر سلحة سلحتها، فقال أشعب للحسين: فديتك قد أخذني القولنج (١).

قال المدائني: توضأ أشعب فغسل رجله اليسرى وترك اليمنى، فقيل له: لِمَ تركت غسل اليمنى؟ قال: لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أمتي غر محجلون (٢) من آثار الوضوء، فأنا أحب أن أكون مطلق اليمنى.

قال: سمع أشعب حُبَّى المدينية وهي تقول: اللهم لا تمتني أو تغفر لي ذنوبي، فقال لها: يا فاسقة، أنت لم تسأليه المغفرة، انما سألته عمر الأبد.

قال: ساوم أشعب بقوس عربية،، فقال صاحبها: لاأنقصها من مئة دينار، فقال أشعب: أعتق ما أملك، لو أنها إذا رُمِيَ بها طائر في جو السماء [ص ١٢٩] ووقع مشوياً بين رغيفين ما أخذتها بدينار واحد.

قال: قيل لأشعب: رأيت أحداً أطمع منك؟ قال: نعم، كلب تبعني أربعة أيام على مضغ العلك.

قال: لَقِيَ أشعبَ صديقٌ لأبيه، فقال له: ويحك يا أشعب، كان أبوك ألحى وأنت أثط (٣)، فإلى من خرجت، قال: إلى أمي.

قال: ولما وَلَّى الرشيدُ إبراهيمَ بن المهدي دمشق بعث إلى عبيد بن أشعب، وكان قدم عليه من الحجاز وأراد أن يطرفه به فقدم عليه، قال إبراهيم: فكان يحدثني

(١) القولنج: مرض معوي مؤلم يصعب معه خروج البراز والريح.

(٢) في الأصل: (غراً محجلين).

(٣) الاثطّ: الخفيف شعر اللحية أو الحاجبين.

من حديث أبيه بالطريف، وعادلته (١) يوماً وأنا خارج من دمشق في قبة على بغل لألهو بحديثه، فأصابنا في الطريق برد شديد، فدعوت بدواجٍ سَمُّور (٢) لألبسه، فَأُتِيتُ به، فلما لبسته أقبلت على ابن أشعب فقلت: حدثني بشيء مما بلغ طمع أبيك، فقال: مالك ولأبي، ها أنا حين دعوت بالديباج، فما شككت والله أنّ ما جئت به لي، فضحكتُ ثم دعوت له بغيره، ثم قلت له: ألأبِيْكَ غَيْرُك من الأولاد؟ قال: كثير، قلت: عشرة؟ قال: أكثر، قلت: خمسون؟ قال: أكثر، قلت: فمئة؟ قال: دع المئتين وخذ الألوف، قلت: ويلك، أي شيء تقول؟ أشعب أبوك ليس بينك وبينه أب، كيف يكون له الوف؟ فضحك ثم قال: في هذا خبر ظريف، فقلت له حدثني به، قال: كان أبي منقطعاً إلى سكينة بنت الحسين، وكانت متزوجة بزيد بن عمرو بن عثمان بن عفان، وكانت محبة له، وكان لا يستقر معها، تقول له: أريد الحج فيخرج معها فإذا مضوا إلى مكة قالت: أريد الرجوع إلى المدينة، فإذا عاد إلى المدينة قالت: أريد العمرة، فهو معها في سفر لا ينقضي، قال عبيد بن أشعب: فحدثني أبي كانت قد حلفته يميناً لا كفارة لها، أن لا يتزوج عليها ولا يتسرَّى ولا يُلِمَّ بنسائه ولا جواريه إلا بإذنها، وحج الخليفة في سنة من السنين، فقال لها: قد حج أمير المؤمنين ولابد لي من لقائه، قال: فحلف لها أنَّهُ لا يدخل الطائف، ولا يلم بجواريه بعد أن قالت له: لا آذن لك إلا على هذا، ثم قالت: احلف بالطلاق، فقال: لا أفعل ذلك، ولكن ابعثي معي ثقتك، فدعتني وأعطتني ثلاثين ديناراً، وقالت: اخرج معه وحلفتني بالطلاق من ابنة وردان زوجتي أن لا أطلق له الخروج إلى الطائف بوجه ولا سبب، فحلفت لها بما أثلج صدرها، وأذنت له، فخرج وخرجت معه، فلما حاذينا الطائف، قال لي: يا أشعب، أنت تعرفني وتعرف [ص ١٣٠]

---

(١) عاد له: ركب معه.

(٢) الدواج: اللحاف الذي يلبس. السمور: حيوان بري يتخذ من جلده فراء ثمينة.

صنيعتي عندك، وهذه ثلاث مئة دينار فخذها وأذن لي أن أَلِمَّ بجواريَّ، فلما سمعتها ذهب عقلي، وقلت: يا سيدي، إنها سكينة، فا لله الله فيّ، قال: أو تعلم سكينة الغيب؟ فلم يزل بي حتى أذِنْتَ له، فمضى وبات عند جواريه، فلما أصبحنا رأيت أبيات قوم من العرب قريبة منا، فَلَبِسْتُ حلَّةَ وشيٍ كانت لزيد قيمتها ألف دينار، وركبت فرسه وجئت إلى النساء، فَسَلّمْتُ فرددن علي السلام وأجللنني وسألنني عن نسبي، فانتسبت بنسب زيد، فحادثنني وأنِسْنَ بي، فجاءني شيخ فسَلَّم علي وعظمني وسألني فَأُخبر بنسبي فنظر إلي وقال: ما هذه خِلْقَةَ قرشيٍّ ولا هو إلا عبد، ثم بادر إلى بيته، وعلمت أنه يريد شراً، فركبت الفرس ثم مضيت، ولحقني فرماني بسهم ما أخطأ قربوس السرج، وما شككت في أنه يلحقني بآخر فيقتلني، فسلحت يعلم الله في ثيابي ولوثتها ونفذ إلى الحُلَّة فَصَيَّرَها شُهرةَ، وأتيت رَحْل زيد، فجلست أغسل الحُلَّة وأنشفها، وأقبل زيد فرأى مالحق بالحلة والسرج، فقال لي: ما القصة ويلك؟ فقلت: يا سيدي، الصدق أنجى وأسلم، وحدثته الحديث، فاغتاظ، ثم قال لي: ألم يكفك أن تلبس حلتي وتصنع ما صنعت، وتركب فرسي وتجلس إلى النساء حتى انتسبت بنسبي وفضحتني وجعلتني عند العرب ولاجاً (١)، أنا نفيٌّ من أبي، منسوب إلى أبيك إن لم أسُؤْكَ وأبالغ فيك، أو قال: في ذلك، ثم لقي الخليفة، وعاد ودخلنا إلى سكينة، فسألته عن خبره كله، فحدثها فقالت له: هل مضيت إلى جواريك؟ فقال: لا أدري، سلي ثقتك، فدعت بي فسألتني، فبدأت فحلفت بكل يمين محرجة أنه ما مَرَّ بالطائف، ولافارقني، ولادخلها، فقال: اليمين التي حلفها لازمة لي إن لم أكن دخلت الطائف وبت عند جواري وغسلتهن (٢) جميعاً، وأخذ مني ثلاث مئة دينار،

(١) الولاج: الكثير الدخول

(٢) غسلتهن: أي جعلتهن يغتسلن من أثر الجماع.

وفعل كذا وكذا، وأراها الحلة والسرج، فقالت لأشعب: فعلتها، أنا نفية من أبي إن لم أنفقها إلا فيما يسوؤك ثم أمرت بكبس [١] منزلي واحضارها الدنانير، فأحْضِرتْ، واشْتُري بها خشب وبيض وسِرْجِينٌ [٢]، فعملت من الخشب بيتاً وحبستني فيه، وحلفت ألا أخرج منه حتى أحضن البيض كله، فمكثت أربعين يوماً إلى أن نقب كله وخرج منه فراريج كثير، فربتهن وتناسلن وكن في المدينة يسمَّين أولاد أشعب، وهن إلى اليوم بالمدينة يسمين بذلك، وتزيد على الألوف، كلهن أقاربي وأهلي، قال [ص ٣١] إبراهيم: فضحكت والله منه ضحكاً ما أذكر أني ضحكت قدره قط، ووصلته، ولم يزل عندي زماناً حتى خرج إلى المدينة.

قال: كان أبان بن عثمان من أهزل الناس وأولعهم، وبلغ من عبثه أنه كان يجيء إلى منزل الرجل له لقب يغضب منه، فيقول: أنا فلان بن فلان، ثم يهتف به بلقبه فيشتمه أقبح شتم، وأبان يضحك، قال: فبينا أشعب ذات يوم عند داره، إذ أقبل أعرابي معه جمل، والأعرابي أشقر أزرق غضوب يتلظَّى كأنه أفعى، ويتبين الشر في وجهه،فقال أبان: هذا والله من البادية، ادعوه، فدعا به، فقيل له: إن الأمير أبان بن عثمان يدعوك، فأتاه، فسلم عليه، فسأله عن نسبه، فانتسب له، فقال: حيَّاكَ الله يا خال، اجلس، فقال: إني في طلب مثل جملك هذا منذ مدة، فلم أجده كما أشتهي بهذه الهامة، وبهذا اللون والصدر والورك والأخفاف، والحمد لله الذي أظفرني به عند من أحبه، أتبيعه؟ قال: نعم أيها الأمير، قال: فإني قد بذلت مئة دينار، وكان الجمل يساوي عشرة، فطمع الأعرابي وَسُرَّ وانتفخ وبان الطمع في وجهه، فأقبل أبان على أشعب وقال: ويلك يا أشعب، إن خالي من

---

(١) كبس المنزل: الهجوم عليها والإحاطة بها مباغتة.

(٢) السرجين: زبل الحيوان.

أهلك وأقاربك ـ يعني في الطمع ـ فأوسع له ما عندك، قال: نعم بأبي أنت وأخي وزيادة، فقال له: يا خال، إنما زادك في الثمن على بصيرة، إن الجمل يساوي ستين ديناراً، ولكني زدتك وبذلت لك مئة [لقلة النقد عندنا] فزاد طمع الأعرابي وقال: قد قبلت ذلك أيها الأمير، فأسر إلى أشعب وأخرج شيئاً مغطى وقال: أظهر ما جئت به، قال: فأخرج جرد عمامة خز تساوي أربعة دراهم، فقال: قومها يا أشعب، فقال: عمامة الأمير، تعرف به، ويشهد فيها الأعياد والجمع، ويلقى فيها الخلفاء، خمسون ديناراً، فقال: ضعها بين يديه، وقال لكاتبه: أثبت قيمتها، فكتب ذلك، ووضعت العمامة بين يدي الأعرابي، فكاد يدخل بعضه في بعض غيظاً، ولم يقدر على الكلام، ثم قال هات قلنسيتي، فأخرج قلنسية طويلة خلقة قد علاها الوسخ والدهن وتخرقت تساوي نصف درهم، فقال: قلنسية الأمير، تعلو هامته ويصلي فيها الصلوات ويجلس للحكم، ثلاثون ديناراً، فقال: أثبت، فأثبت، ووضعت [ص ١٣٢] بين يدي الأعرابي فتربَّد وجهه، وجحظت عيناه وهم بالوثوب، وتماسك قليلاً وهو متقلقل ثم قال أبان لأشعب: هات ما عندك، فأخرج خفين خلقين قد نقبا وتقشرا، فقال: قوم، فقال: خفا الأمير يطأ بهما الروضة، ويعلو منبر النبي صلى الله عليه وسلم أربعون ديناراً، فقال: ضعها بين يديه، فوضعها، ثم قال لبعض الأعوان (١): اذهب فخذ الجمل، وقال لآخر: امضِ مع الأعرابي فاقبض ما عنده من بقية الثمن المباع وهو عشرون ديناراً، فوثب الأعرابي وأخذ القماش فضرب به وجه القوم، ثم قال لأبان: أتدري أصلحك الله من أي شيء أموت؟ قال: لا، قال: حيث لم أدرك أباك عثمان فأشترك والله في دمه، إذ ولد مثلك، ثم نهض مثل المجنون فأخذ بزمام بعيره، وضحك أبان حتى سقط، وكان الأعرابي إذا لقي أشعب يقول: يا بن

(١) في الأصل: (الأعراب).

الخبيثة هلم إلي حتى أكافئك على تقويمك المتاع، فيهرب منه أشعب.

قال: لاعب أشعب رجلاً بالنرد فأشرف على أن يقمره (١)، إلا أن يضرب دُوْيَكْ (٢)، ووقع الفصان في يد الرجل فأصابه زمع (٣)، وخرج فضرب يكين وضرط مع الضربة، فقال أشعب: عليه من امرأته الطلاق إن لم أحسب له الضرطة نقطة حتى يصير اليكان دُوْ يَكْ ويقمر، فسلم إليه القمر بسبب الضرطة.

وكانت صنعته في الغناء طيبة، فمن صنعته في شعر كثير، وهو الصوت الذي ذُكِرَتْ أخباره بسببه: (٤) [المتقارب].

ألا نادِ جيرانَنَا نقصدُ ... فنقضي اللبَانَةَ أو نُعْهدُ

كأن على كَبِدي جَمْرَةً ... حِذَاراً من البَيْنِ ما تَبْرُدُ

توفي أشعب سنة أربع وخمسين ومئة.

٤٨- يُونِس الكَاتِب (٥)

كَمل بالطرب أدواته، وجعل جس العود دواته، وكانت أنامله بالوتر أليق من

(١) قمره في اللعب: غلبه.

(٢) دو: اثنان بالفارسية ويك: واحد.

(٣) الزمع: الخوف.

(٤) الشعر لكثير عزة في الأغاني ١٩/ ١٤٣ وفي ديوان كثير ص ١٢٤ ـ ١٢٥.

(٥) يونس الكاتب: يونس بن سليمان بن كرد بن شهريار، من ولد هرمز، كاتب شاعر بارع في صناعة الغناء، من أهل المدينة، سافر في تجارة إلى الشام فاستدعاه الوليد بن يزيد ـ قبل أن يلي الخلافة ـ فأكرمه وسر به، ثم لما ولي بعث إليه فجاءه في المدينة، فلم يزل معه حتى قتل، فعاد يونس إلى المدينة، أخذ الغناء عن معبد وطبقته، وهو أول من دون الغناء في العرب، صنف كتابا في الأغاني ونسبتها إلى من غنى بها. توفي في المدينة سنة ١٣٥. (الأغاني ٤/ ٣٩٠ ـ ٣٩٦ والنويري ٤/ ٣٠٩).

القلم، وأوفق بإمداد مما يمده المداد من الظلم، حلق فيه تحليق الطائر، وحقق فيه ما لا يحقق من النظائر، وأطرب من سمع، وأطرق[1] كل مجتمع، حتى ألف أنغامه، وخلف لأنف الحاسد إرغامه، وقسم أنواع الضروب، وغال [ص ١٣٣] الأفئدة بالأكول الشروب.

قال أبو الفرج: هو أول من دون الغناء، ويقال: إنه خرج إلى الشام في تجارة، فبلغ الوليد بن يزيد مكانه، فلم يعلم يونس إلا ورسله قد دخلت عليه الخان، والوليد اذ ذاك أمير، قال: فنهضت معهم حتى أدخلوني على الأمير، لا أدري من هو، إلا أنه أحسن الناس وجهاً، فسلمت وأمرني بالجلوس، ثم دعا بالشراب والجواري، فغنيت: [2] [الخفيف]

إن يَعْش مصعبٌ فنحنُ بخيرٍ قَدْ أتانا مِنْ عَيْشِنَا ما نُرَجِّي

ثم تنبهت، فقطعت الصوت، فقال: مالك، فأخذت أعتذر من غنائي بشعر في مصعب، فضحك وقال: إن مصعباً قد مضى وانقطع أثره، ولا عداوة بيني وبينه، إنما أريد الغناء، فامض في الصوت، فعدت فيه فغنيته ولم يزل يستعيده حتى أصبح، فشرب عليه مصطبحاً، وهو يستعيد في الصوت لا يجاوزه حتى مضت ثلاثة أيام، قلت: أيها الأمير، جعلني الله فداك إني رجل تاجر، خرجت مع تجارة وأخاف أن يرحلوا فيضيع مالي، فقال: أنت تغدو غداً، وشرب باقي ليلته، وأمر لي بثلاثة آلاف دينار، فَحُمِلَتْ إليَّ، وغدوت إلى اصحابي، فلما خرجت من عنده، سألت عنه، فقيل: هذا الأمير الوليد بن يزيد، ولي عهد أمير المؤمنين هشام، فلما استخلف بعث إليَّ فأتيته، ولم أزل معه إلى أن قتل.

---

(١) الشعر لعبيد الله بن قيس الرقيات في ديوانه ص ١٨٠ تحقيق يوسف نجم ط صادر بيروت والأغاني ٤ / ٣٩٣.

(٢) لعلها: «وأطرف».[المراجع].

٤٩ - أحْمَد النَّصْبِيّ (١)

رجح سعداً، ونجح وعداً، وأقمر أمله،و أثمر بحسن الصنيعة عمله، وكان من رؤساء أهل الغناء، وجلساء الملوك المصغين لمسامعهم للاجتناء، إذا استقر في المجلس تحرك، وراجع رأيه زمان السرور واستدرك، وتكاثر الآباء، وتناثر الحباء، وجاءت النعم وفاقاً، والدِّيَمُ دفاقاً، واقتدحت بروح وتتوجت بأقدامها هام الراح، وتسلبت حتى الهموم القطاع، وحفظ الأدب، وأما النَّدُّ فضاع.

قال أبو الفرج: هو أول من غنى بالطنبور في الإسلام، وكان ينادم عبيد الله بن زياد سراً [ص ١٣٤] ويغنيه، وله صنعة كثيرة حسنة، كان مؤاخياً لأعشى همدان (٢) مواصلاً له، وأكثر غنائه في شعره، يقال: لقي أعشى همدان وأحمد النصبي خرجاً في بعض مغازيهما، فنزلا على سليمان(٣) بن صالح بن سعيد بن جابر العنبري، وكان منزله بساباط المدائن (٤) فأحسن قراهما، وأمر لدوابهما

---

(١) أحمد النصبي: هو أحمد بن أسامة الهمداني، من رهط الأعشى الأدنين، سُمِّيَ النصبي نسبة إلى الأنصاب وأحدها النصب، والنصب ما أحكم، من النشيد، يشبه الحداء إلا أنه أرق منه، وكان يغني بالطنبور في الإسلام، وكان فيما يقال ينادم عبيد الله بن زياد سراً ويغنيه، وله صنعة كثيرة حسنة لم يلحقها أحد من الطنبوريين ولا كثير ممن يغني بالعود، أخباره في الأغاني.
(الأغاني ٦/ ٧٢ - ٧٨).

(٢) أعشى همدان: عبدالرحمن بن عبدالله بن ا لحارث الهمداني، شاعر اليمانيين بالكوفة وفارسهم في عصره، وهو من شعراء الدولة الأموية، كان أحد الفقهاء القراء، اشترك في الغزوات ووصف وقائعها، ولما خرج عبدالرحمن بن الأشعث انحاز إليه واستولى على سجستان معه وقاتل الحجاج الثقفي، ثم جيء إلى الحجاج أسيراً بعد مقتل ابن الأشعث، فأمر به الحجاج فضربت عنقه سنة ٨٣ هـ.
(الأغاني ٥/ ١٣٨ - ١٥٣ الإكليل ١٠/ ٥٨، اللباب ٢/ ١٠٧).

(٣) في الأغاني: سليم. [المراجع].

(٤) ساباط: موضع بالمدائن معروف لكسرى أبرويز، وقد ذكره الأعشى في شعره. والمدائن مدينة بالعراق بينها وبين بغداد ستة فراسخ وكان اسمها طيسفون وفيها قبر سلمان الفارسي رضي الله عنه.
(ياقوت: ساباط، الموانئ).

بعلوفة وقضيم، واقسم عليهما أن ينتقلا عنده، ففعلا، فعرض عليهما الشراب فأجابا، فوضع بين أيديهما، وجلسا يشربان، فقال أحمد للأعشى: قل في هذا الرجل الكريم شعراً تمدحه به حتى أغني فيه، فقال الأعشى يمدحه: (١)

[السريع]

يا أيُّها القلبُ المطيع الهوى أنَّى اعتراك الطربُ النازحُ
تذكر جُمْلاً فإذا ما نأتْ طار شعاعاً قلبُك الطامحُ

يقول فيها:

إني توسَّمْتُ امرأً ماجداً يصدقُ في مدحته المادحُ
ذؤابة العنبرِ واخترتُهُ(٢) والمرء قد ينعشه الصايح(٣)
قد عَلِمَ الحيُّ إذا أمحلوا أنَّكَ رفَّادٌ لهم مانحُ
في الليلة القالي قراها التي لا غابقٌ فيها ولا صابح
فالضيفُ معروفٌ له حَقُّهُ لَهُ على أبوابكم فاتحُ
والخيلُ قد تعلمُ يومَ الوَغَى أنَّك عن جمرتها ناضحُ

قال: فغنى أحمد النصبي في هذه الأبيات، وجارية لسليم في السطح جالسة، فسمعت الغناء فنزلت إلى مولاها، فقالت: إني سمعت من أضيافك شعراً ما سمعت أحسن منه، وغناء في غنوة فيه أحسن غناء سمعته، فخرج مولاها فاستمع حتى فهم، ثم نزل فدخل عليهما فقال: لمن هذا الشعر والغناء؟

ومن أنتما؟ فقال: الشعر لهذا وهو أبو المصبح أعشى همدان، والغناء لي وأنا

(١) الشعر لأعشى همدان في كتاب الصبح المنير ص ٣١٨ ـ ٣١٩ طبعة أدولف هلز هوس بيانة ١٩٢٧. والأغاني ٦/ ٧٤ ـ ٧٥.

(٢) في الأغاني: «فاخترته». [المراجع].

(٣) في الأصل: «الصايح» وفي الأغاني: «الصالح». [المراجع].

همدان النصبي[١]، فانَكبَّ على رأس أعشى همدان فَقَبًّا[٢] وقال: كتمتماني أنفسكما وكدتما تفارقاني ولم أعرف خبركما، قال: فاحتبسهما عنده شهراً، ثم حملهما على فرسين وقال: [ص ١٣٥] خَلِّفا عندي ماكلّ من دوابكما، ثم ارجعا من مغزا كما إليَّ، فمضيا إلى مغزاهما فأقاما حيناً ثم انصرفا، فلما شارفا منزله قال أحمد للأعشى: إني أرى عجباً، قال: وما هو؟ قال: أرى فوق سطح سليم ثعلباً، قال: لئن كنت صادقاً، فما بقي في القرية أحّد، قال: فدخلنا القرية فوجدنا سليماً وجميع أهل القرية قد أصابهم الطاعون، فمات أكثرهم، وانتقل باقيهم.

٥٠- سُلَيْم [٣]

مطرب قد هزج، ومدير سلاف لو مزج بالروح لامتزج، وكان في أمره عجباً، وبطربه لا يدع محتجباً، وفتى القيان، وأتى بما يملأ العيان، وكان هذا شحيحاً لحزاً، لا يجري دفقاً ولا نزراً[٤]، على ما كان له من وفور إدرار، وسني الجوائز التي تقر له كل قرار.

قال أبو الفرج، قال أبو الحاجب الأنصاري، قال لي سليم يوماً: امضِ إلى موسى ابن إسحاق الأزرق فادعُهُ، ووافياني مع الظهر، فجئناه الظهر، فأخرج إلينا ثلاثين جارية محسنة ونبيذاً، ولم يطعمنا شيئاً، ولم نكن أكلنا [شيئاً] فغمز [٥] موسى غلامه، فذهب فاشترى لنا خبزاً وبيضاً، ودخلنا الكنيف [٦]، فجلسنا

---

(١) في الأغاني: «وأنا أحمد النصبي الهمداني». [المراجع].

(٢) في الأصل: «فقبّلها» والصواب من الأغاني [المراجع].

(٣) سليم بن سلام الكوفي: ويُكَنَّى أبا عبدالله مُغَنٍّ حسن الصوت والوجه، انقطع إلى إبراهيم الموصلي فمال إليه فعلمه وناصحه وبرع وكثرت روايته وصنع وأجاد، أخباره في الأغاني. (الأغاني ٦/ ١٧٣ - ١٨٠).

(٤) في الأصل: «نرزا» ولعلها «نزّا». [المراجع].

(٥) في الأصل (فذهب).

(٦) الكنيف: الكنة تشرع فوق باب الدار، والكنيف: السترة.

نأكل، فدخل إلينا، فلما رآنا نأكل خاصمنا وقال: أهكذا يفعل الناس؟ تأكلون ولا تطعموني، وجلس معنا في الكنيف يأكل كما نأكل حتى فني ذلك.

قال إسحاق: غَنَّى سليم يوماً وبرصُوما يزمر عليه بين يدي الرشيد، فقصر في موضع صيحة، فأخرج برصوما الناي [1] من فمه ثم صاح: يا أبا عبدالله، صيحة أشد من هذا، فضحك الرشيد حتى استلقى. قال إسحاق: وضحكت أنا ضحكا ما أذكر أني ضحكت قط مثله.

قال محمد بن الحسن: إنما أخَّر سليما عن أصحابه في الصنعة ولعُهُ بالأهزاج، فإن ثلثي صنعته هزج، وغنى سليم بين يدي الرشيد ثلاثة أصوات من الهزج فأطربه، فأمر له بثلاثين ألف درهم، وقال: لو كنت حكم الوادي مازدت على هذا الإحسان في أهزاجك شيئاً.

٥١-ابن عَبَّاد الكَاتِب [2] [ص ١٣٦]

جمع الصنعتين فأبدع، وفاق فيهما لكنه سَرَّ من رأى دون سروره من استمع، كان في الغناء للقلب خالباً، وللب سالباً، وللسرور جالباً، وللهم الذي شد خناقه على الصدور غالباً، وله طرف تُحكى، وغرائب تُروى، آثار تنقل، وأصوات تطرب.

---

(١) في الأصل: (الناس) وهو تحريف.

(٢) ابن عباد: هو محمد بن عباد، مولى بني مخزوم، وقيل إنه مولى بني جمح، ويكنى أبا جعفر، مكي من كبراء المغنين من الطبقة الثانية منهم، وقد ذكره يونس الكاتب فيمن أخذ عنه الغناء، متقن الصنعة كثيرها، وكان أبوه من كتاب الديوان بمكة، فلذلك قيل ابن عباد الكاتب (الأغاني ٦/ ١٨١ - ١٨٢).

قال أبو الفرج الأصفهاني، قال ابن عباد: إني لأمشي بأعلى مكة في العشر (١)، إذا أنا بمالك على حمار له ومعه فتيان من أهل المدينة، فظننت أنهما قالا له: هذا ابن عباد، فمال إليَّ، فملت إليه، فقال لي: أنت ابن عباد، فقلت: نعم، فقال: مِلْ معي هاهنا، فأدخلني شعب ابن عامر، ثم أدخلني دهليز ابن عامر، قال: غَنِّني، قلت: أُغَنِّيك وأنت مالك، وقد كان يبلغني أنه يثلب أهل مكة، ويتعصب عليهم، فقال: بالله إلا غَنَّيتَني صوتاً من صنعتك، فاندفعت فغنيته: [الوافر]

ألا يا صاحِبَيَّ قِفَا فَعُوجا ... على رَبْعٍ تَقَادَم بالمنيْف (٢)
فَأمْسَتْ دارُهُمْ شَحَطَتْ وبانتْ ... وأضحى القلبُ يخفقُ ذا وجيفِ

وما غنيته إياه إلا على احتشام، فلما فرغت نظر إليَّ وقال: والله لقد أحسنت، ولكن حلقك كأنه حلق زانية، فقلت: أما إذْ(٣) أفلت منك بهذا فقد أفلتُّ.

قال: وبقي ابن عباد إلى أيام المهدي، فقدم بغداد وتوفي بها في أيامه، ودفن بباب حرب.

٥٢- يَحْيَى المكِّي (٤)

رابط فكر سانح، وخاطر مانح، واضطلاع فيما نقل، واطلاع على ما كان

---

(١) عشر: واد بالحجاز، وقيل شعب لهذيل قرب مكة عند نخلة اليمانية (ياقوت: عشر) وفي الأغاني: (في الشعب).

(٢) المنيف: موضع جاء في شعر صخر الغي:

فلما رأى العمق قدَّامَهُ ... ولما رأى غَمَراً والمنيفا

وحصن في جبل صبر من أعمال تعز، وهو أيضا حصن قرب عدن (ياقوت: المنيف).

(٣) في الأصل: «إذا» والصواب من الأغاني. [المراجع].

(٤) يحيى المكي: يحيى بن مرزوق المكي من موالي الأمويين، أديب من المغنين المشهورين نشأ بمكة في العصر الأموي وعاش طويلاً فكان له في العصر العباسي شأن، أقام ببغداد واتصل بالمهدي وغيره من الخلفاء وصنف كتاباً في (الأغاني) جمع فيه نحو ثلاثة آلاف صوت أهداه إلى عبدالله بن طاهر، توفي ببغداد سنة ٢٢٠ هـ. (الأغاني ٦/١٨٣ ـ ٢٠٠).

يظن أنه لم يُقَلْ، وإتقان لصنعته يجمع طُرُقَتها[١]، ويعرف فرقها، ويؤنس غربتها، ويُحَلّي غربلتها، وأذن الخلافة مصغية إلى اجتناء الطرائف، واقتناء الشرايف، واستحسان الحسن، واستنطاق الألسن، فنفقت بضاعته، وفتقت الحجب، إلى القلوب صناعته.

قال أبو الفرج: قال أحمد بن سعيد المالكي: حضرت يحيى المكي يوماً وقد غَنَّى لحناً لمالك، فسئل عن صانعه فقال: هذا لي، فقال إسحاق: قلت ماذا؟ قلت: فديتك، وتضاحك به، وأخبر [ص ١٣٧] أنه لمالك، فَغَنّى الصوت فخجل يحيى[٢]، وأمسك عنه، ثم غَنّى بعد ساعة صوتا آخر، فسئل عنه فنسبه إلى الغريض، فقاله إسحاق: يا أبا عثمان، ليس هذا من نمط الغريض ولا طريقته، فلو شئت لأخذت مالك وتركت للغريض ماله[٣] ولم تتعب، فاستحيا يحيى، ولم ينتفع بنفسه [بقية] يومه، فلما انصرف بعث إلى إسحاق بألْطَافٍ[٤] وهدايا، وكتب إليه يعاتبه ويقول له: لست من أقرانك فتضادني، ولا أنا ممن يتصدى لمباغضتك ومباراتك فتكايدني وأنت أولى أن أفيدك وأعطيك ما تعلم أنك لا تجده عند غيري، فتسمو بي على أكفائك أحوج منك على أن تباغضني، وأعطي غيرك سلاحاً إذا حمله عليك لم تَقُمْ له، وأنت أولى وما تختار، فعرف إسحاق صدقه فكتب إليه يعتذر، ورد الألطاف، وحلف له أنْ لا يعارضه بعدها، وكان يأخذ عنه غناء المتقدمين ويستفيد منه أشياء فاق بها نظراءه، وكان يحيى بعد

(١) في الأصل:« يجمع طرقتها ».[المراجع].

(٢) الكلام هنا مضطرب وسياقه في الأغاني« ... غني صوتاً فسئل عنه فقال هذا لمالك، ثم غنى لحناً لمالك فسئل عن صانعه فقال هذا لي فقال له إسحاق قلت ماذا فديتك؟ وتضاحك به فسئل عن صانعه فأخبره ثم غنى الصوت فخجل يحيى... ».[المراجع].

(٣) في الأصل:« الغريض مكانه » والصواب من الأغاني.[المراجع].

(٤) الألطاف: الهدايا.

ذلك إذا سُئِلَ بحضرته عن شيء صدق فيه، وإذا غاب إسحاق خلط فيما سُئِلَ عنه.

قال إسحاق يوماً للرشيد قبل أن تصلح الحال بينه وبين يحيى المكِّي، أتحب يا أمير المؤمنين أن أظهر لك كذب يحيى فيما ينسبه من الغناء؟ قال: نعم، قال: أعطني أي شعرٍ شئت حتى أصنع فيه، وسَلْنِي بحضرته عن صانعه، فإني سأنسبه إلى رجل لا أصل له، وسَلْنِي وسل يحيى عنه إذا غنيته، فإنه لا يمتنع أن يَدَّعي معرفته، فأعطاه شعراً وصنع فيه لحناً وغناه الرشيد بحضرة يحيى، فسأله: لمن هو، قال له إسحاق: لغناديس المدني، فأقبل الرشيد على يحيى فقال له: لقيت غناديس المدني [(١)]؟ قال: نعم، وأخذت عنه صوتين، ثم غَنّى صوتاً وقال: هذا أحدهما، فلما خرج يحيى، حلف إسحاق بالطلاق ثلاثاً، وعتق جواريه، أن الله عز وجل ما خلق أحداً اسمه غناديس، ولا سمع في المغنين ولا غيرهم وأنه وضع هذا الاسم في وقته.

قال زُرْزُر مولى علي المالقي[(٢)]، قال إبراهيم بن المهدي يوماً لمولاه: ويلك يا مارق[(٣)]، إن يحيى المكي غَنّى البارحة أمير المؤمنين ذكر فيه صوتاً فيه ذكر زينب[(٤)]، وكان النبيذ أخذ مني فأنسيت شعره، فاستعدته إياه، فلم يعده [ص ١٣٨] فاحتل لي عليه حتى تأخذه لي منه ولك علي سَبَق [(٥)]، فقال لي مولاي: اذهب إليه وأعلمه أني أسأله أن يكون اليوم عندي، فمضيت إليه فجئت به، فلما قعدنا ووُضِعَ النبيذ، قال له المارقي: إني كنت سمعتك تغني صوتاً فيه ذكر

(١) في الأصل: (اليمني).

(٢) في الأغاني: «المارقيّ».[المراجع].

(٣) في الأغاني:« يامارقيّ».[المراجع].

(٤) في الأغاني:« إن يحيى المكي غنى البارحة بحضرة أمير المؤمنين صوتاً فيه ذِكرُ زينب».[المراجع].

(٥) سيق: أي جائزة مكافأة.

زينب، وأنا أحب أن آخذه منك، وكان يحيى يوفي هذا الشأن حقه ولا يحضر إلا بحذر، ثم لا يدع الطلب والمسألة، ولا يلقي صوتاً إلا بعوض، فقال له: وأي شيء العوض إذا ألقيت عليك هذا الصوت، فقال: ما تريد؟ فقال: هات الدلية[1] الأزمنية، أما آن لك أن تملّها؟ قال: بلى، وهي لك، قال: وهذه الظباء الحرمية، أنا مَكّيٌّ وأنا أولى بها منك، قال: هي لك، وأمر بحمل ذلك إليه، وقال: يا غلام هات العود، فقال يحيى: والميزان والدراهم وكان لايغني صوتاً إلا بخمسين درهماً فأعطاه إياها، وألقى عليه الصوت وهو: [2] [الطويل]

بزينبَ ألِم قَبْلَ أن يظعَنَ الرَّكْبُ وُقلْ إن تمليْنا فَمَا مَلّكِ القَلبُ

فلم يشك المارقي أنه قد أخذ الصوت الذي طلبه إبراهيم وأدرك حاجته، فبكَّرَ إلى إبراهيم وقد أخذ الصوت، فقال: جئتك بالحاجة، فدعا بالعود، فغناه إياه، فقال: لاوالله، ما هذا هو، وقد خدعك، فعاود الاحتيال عليه. فقال زُرْزُر: فبعثني إليه وبعث معي خمسين درهماً، فلما دخل إليه وأكلا وشربا، قال له يحيى: قد واليت بين دعوتيك لي ولم تكن براً ولا وصولاً، فما هذا؟ قال: لا شيء والله إلا محبتي لك، والأخذ عنك والاقتباس منك، فقال: سَرَّك الله، فَمَهْ؟ قال: تذكرت الصوت الذي سألتك إياه، فإذا ليس هو الذي ألقيته، قال: فتريد ماذا؟ قال: تذكر الصوت، قال: أفْعَلُ، فغناه: [3] [البسيط]

أَلْمِمْ بزينبَ إنَّ البينَ قَدْ أَفِدا قَلَّ الثَّواءُ لئنْ كانَ الرَّحِيْلُ غَدَا

فقال: نعم، فديتك يا أبا عثمان، هذا هو، فألقه عليَّ، قال: العوض؟ قال: ما

(١) كذا في الأصل، وفي الأغاني (الزِّرْبيّة الأرمينية) أي الطنفسة أو البساط فيه خمل.

(٢) الشعر لنصيب بن رباح في مجموع شعره ص ٦٠ جمع وتحقيق داود سلوم ط بغداد ١٩٦٧ والأغاني ٦/١٢٨.

(٣) الشعر لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه ص ٣٩١.

شئت، قال: هذا المطرف [1] الأسود، قال: هو لك، فأخذه وألقى عليه الصوت حتى استوى له، وبكَّرَ إلى إبراهيم فقال له: ما وراءك؟ قال: قد قضيت الحاجة، فغناه إياه، فقال: خدعك والله، ليس هو هذا، فأعِدْ الاحتيال عليه، وكلما تعطيه إياه فألزمني به، [ص ١٣٩] فلما كان في اليوم الثالث، بعث إليه، وفعل مثل فعله بالأمس، فقال له يحيى مالك أيضا؟ فقال: يا أبا عثمان، ليس هذا هو الصوت الذي أردت، قال له: لست أعلم ما في نفسك فاذكره، وإنما علي أن أذْكُرَ ما فيه زينب من الغناء كما التمست حتى لا تبقى زينب البتة إلا حضرت بها، قال: هات على اسم الله تعالى، [قال][2] اذْكُرِ العوَض، قال: هذه الدَّراعة الوشي التي عليك، فأخذها، قال: والخمسين درهما، فأحضرت، فأخذها وألقى عليَّ:[3] [الطويل]

لِزَينبَ طيفٌ تَعْتَرِيني طوارِقُهْ هُدُوّاً إذا النجمُ أرْجَحَنَّتْ لواحِقُهْ

فأخذه ومضى إلى إبراهيم، فصادفه يشرب مع الحَرَم، فقال له حاجبه:

ما تصل إليه، فقال له: قل له قد جئتك بحاجتك، فدخل فأعلمه، فقال له: يدخل فيغنيه في الدار قائماً، فإن كان هو، وإلا فليخرج، قال: ففعل ذلك، فقال: لا والله ما هو هذا، فعاود الاحتيال عليه، ففعل مثل ذلك، فقال له يحيى وهو يضحك: ما ظفرت بزينبك بعد؟ قال: لا والله يا أبا عثمان، وما أشُكُّ إلا أنك تعتمدني بالمنع [4] مما أريده، وقد أخذت كل شيء عندي معابثةً، فقال له يحيى: قد استحييت الآن منك وأنا ناصحك على شريطة، قال: نعم، قال:

---

(١) المطرف: رداء من خز ذو أعلام.

(٢) الزيادة لازمة،وهي من الأغاني .[المراجع].

(٣) الشعر لمحمد بن عبدالله النميري في الأغاني ١٠/١٧٣ و ٦/١٩١.

(٤) في الأصل: (تعدني بالمدح) ولا يستقيم المعنى.

الشريطة أن لا تلمني أن أعاتبك لأنك أخذت في معاتبتي[٥] والمطلوب إليه أقدر من الطالب، فلا تعاود أن تحتال عليَّ فإنك لا تظفر مني بما تريد، وقد دَسَّكَ إبراهيم عليَّ لتأخذ صوتاً غنيته، وسألني إعادته فمنعته إياه، بخلاً عليه به، لأنه لم يلحقني منه خير ولا بركة، ويريد أن يأخذ غنائي باطلاً وطمع بموضعك عندي أن يأخذ الصوت بلا ثمن ولا حمد، لا والله، إلا بأوفر ثمن وبعد اعترافك، وإلا فلا تطمع في الصوت، فقال له: أما إذا قد فطنت فتغنيه الآن إن كان هو، وإلا فعليك إعادته بعينه ولو غَنَّيْتَني كُلَّ شيء تعرفه لما أحسنت[٢] لك إلا به، فقال: اشتره، فتساومنا طويلاً، وما كستُهُ إلى أن استقرَّ الأمرعلى ألف درهم، فدفعتها إليه، وألقى: [٣] [الكامل]

طَرَقَتْكَ زينبُ والمزارُ بعيدُ ... بمنى ونحنُ مُعَرِّسُونَ هُجُودُ
فكأنَّما طَرَقتْ بِرَيَّا رَوْضَةٍ ... أُنُفٍ تسجُّ مُزْنَها وتجودُ[٤]

[ص ١٤٠] قال: وهو صوت كثير العمل، حلو النغم، كثير الصنعة، صحيح القسمة، حسن المقاطع، فأخذه وبكَّرَ إلى إبراهيم فقال له: قد أفقرني هذا الصوت وأعراني وأبلاني بوجه يحيى وشحه وشرهه، وحدثه بالقصة فضحك إبراهيم، وغناه إياه، فقال: هو هذا وأبيك هو بعينه، فألقاه عليه حتى أخذه، وأخلف كل شيء أخذه يحيى منه، وزاده خمسة آلاف درهم، وحمله على برذون[٥] أشهب بسرجه ولجامه، وقال له: يا سيدي، فغلامك زُرْزُر المسكين قد تردد عليه حتى ظلع[٦]، هَبْ له شيئاً، فأمر له بألف درهم.

---

(١) سياق الخبر على وجهه في الأغاني:«قال نعم لك الشريطة ،قال:لاتلمني في أن أعاتبك لأنك أخذت في معاتبتي...».[المراجع].
(٢) في الأغاني: «لم أحتسب». وهو الوجه.[المراجع].
(٣) الشعر في الأغاني ٦/ ١٩٢ ـ ١٩٣.
(٤) مطر سجح: لين سهل.
(٥) البرذون: من غير العراب من الخيل.
(٦) ظلع: عرج وغمز في مشيه.

قال: كان إبراهيم بن المهدي في مجلس محمد الأمين، والمغنون حضور، فَغَنَّى يحيى المكي: [1] [مجزوء الوافر]

خَلِيلٌ لي أهِيْمُ بِهِ فَلا كَافَا ولا شَكَرا

فاستعاده إبراهيم وأحب أن يأخذه منه، فجعل يحيى المكي يفسده، وفطن الأمين بذلك، فأمر له بعشرين ألف درهم وأمره برده وترك التخليط فيه، فدعا له، وقَبَّل الأرض بين يديه، وردَّد الصوت وجَوَّده، فاستعاده إبراهيم، فقال له يحيى: ليست تطيب نفسي لك به إلا بعوض من مالك، ولا أنصحك والله، فهذا مال أمير المؤمنين مولاي فلم تأخذ أنت غنائي، فضحك الأمين وحكم على إبراهيم بعشرة آلاف درهم، فأحضره[2] وقبَّلَ يحيى يده، فأعاد الصوت وجوَّده، فنظر إلى مخارق وعلوية متطلعين لأخذه، فقطع الصوت، ثم أقبل عليهما فقال: قطعة من خُصية الشيخ تُغَطّي أسْتَاهَ عدة صبيان، والله لا أعدته بحضرتكما، ثم أقبل على إبراهيم بن المهدي، فقال له: يا سيدي، أنا أصير إليك حتى تأخذه متمكناً، ولا يشركك فيه أحد، فصار إليه فأعاده حتى أخذه، وأخذه جواريه.

قال: غَنَّى ابن جامع للرشيد يوماً بيتاً، وهو هذا:[3] [الكامل]

إِنِّي امْرُؤٌ مالي يَقِي عِرْضِي وَيَبَيْتُ جاري آمناً جَهْلِي

فأعجب به الرشيد، فاستعاده مراراً وأسكت لابن جامع سائر المغنين، وجعل

---

(١) البيت في الأغاني ٦/ ١٩٤ وبعده:

بلى يُدْعَى له باسمي إذا ما رِيْعَ أو عَثَرا

(٢) في الأغاني: «فأحضرها». [المراجع].

(٣) البيت في الأغاني ٦/ ١٩٨ وبعده:

وأرى الذَّمَامَةَ للرفيقِ إذا ألقى رحالتَهُ إلى رَحْلِي

والذمامة: الحرمة والحق.

يسمعه ويشرب عليه، ثم أمر له بعشرة آلاف درهم، وعشر خلع، وعشرة خواتم، وانصرف، ومضى إبراهيم الموصلي من وجهه إلى يحيى المكي، فأخبره بالذي كان [ص ١٤١] من ابن جامع، واستغاث به، فقال له يحيى: أفزاد على البيت الأول شيئاً؟ قال: لا، قال: أفرأيت إن زدتك بيتاً ثانياً لم يعرفه إسماعيل، أو عرفه ثم انسيه، طرحته عليك حتى تأخذه، ما تجعل لي؟ قال: النصف مما يصل إلي بهذا البيت، قال: والله؟ قال: والله، فلما استوثق منه بالأيمان، ألقى عليه: [الكامل]

وأرى الذَّمَامَةَ للرفيقِ إذا ألقى رحالتَهُ إلى رَحْلِي

فأخذه وانصرف، فلما حضر المغنون من غد، كان اول صوت غَنَّاهُ إبراهيم هذا الصوت، وتحفَّظَ فيه وأحسن فيه كل الإحسان، فطرب الرشيد عليه واستعاده حتى سكر، وأمر لإبراهيم بعشرة آلاف دينار (١)، وعشرة خواتيم وعشر خلع، فحمل ذلك معه وانصرف من وجهه إلى يحيى، فقاسمه ومضى إلى منزله، وانصرف ابن جامع إليه من دار الرشيد، وكان يحيى في بقايا علة، فاحتجب عنه، فدفع ابن جامع في صدر بوَّابِهِ، ودخل إليه، وقال :إيه يا يحيى، كيف صنعت، ألقيت الصوت على الجرمقاني (٢)، لا دفع الله صرعتك، ولا وهب عافيتك، وتشاتما ساعة، وخرج ابن جامع من عنده وهو مُدَوَّخٌ.

قال يحيى المكي: أرسل اليَّ الرشيد، فدخلت عليه، وهو جالس على كرسي بِتَلٍّ

---

(١) في الأغاني: (عشرة آلاف درهم).

(٢) الجرمقاني: وأحد الجرامقة، وهم قوم من العجم، هبطوا الموصل في أوائل الإسلام (المعجم الوسيط: الجرمقاني).

دارا [1]، فقال: يا يحيى غنّني: [2] [الطويل]

مَتَى تَلْتَقِي الأُلاَّف والعِيْسُ كُلَّما ... تَصَعَّدْنَ مِنْ وادٍ هَبَطْنَ إلى وادِ

قال: فلم أزل أُغَنِّيه إيَّاه، ويتناول أقداحاً، إلى أن أمسى، فعددت عليه عشر مرات استعاده فيها، وشرب عليه عشرة أقداح، ثم أمر لي بعشرة آلاف درهم، وأمرني بالانصراف.

٥٣- حَكَم الوَادِي [3]

تنقل في فنون الطرب، وتوقل الرجال في الطلب، وكان مثل حمامة الوادي طرباً، يصدع زجاجة الأحشاء، ويكون حاجة الانتشاء، ويفعل في هذا شبيه السحر في التخييل، ونظيره في التضليل، ومثله في تحسين [4] الأباطيل، وكان على اتفاق، وعمله كله على النفاق.

قال أبو الفرج، قال إسحاق: سمعت حكم الوادي يُغنِّي صوتاً فأعجبني، فسألته: لمن هذا؟ قال: ولمن يكون إلا لي[5]؟ [ص ١٤٢] قال: وغنَّى حكم الوادي يوماً فقال له رجل، أحسنت، فألقى الدف بين يديه وقال للرجل: قبحك

---

(١) دارا: بلدة في لحف جبل بين نصيين وماردين، وهي من بلاد الجزيرة ذات بساتين ومياه جارية، وعندها كان معسكر دارا ابن دارا الملك ابن قباذ. ودارا أيضا: قلعة حصينة في جبال طبرستان، وكذلك واد في ديار بني عامر (ياقوت: دارا)

(٢) البيت في الأغاني ٦/١٩٥.

(٣) حكم الوادي: حكم بن ميمون، أو ابن يحيى بن ميمون، مُغَنٍّ من الطبقة الأولى في عصره، أصله من الموالي، أعتق الوليد بن عبدالملك أباه، ونشأ حكم ينقل الزيت على الجمال بالأجرة من الشام إلى المدينة، وأولع بصناعة الغناء، فكان ينقر بالدف ويغني مرتجلاً، فاتصل ببني العباس في خلافة المنصور وانقطع اليها، واشتهر وأصاب مالاً طائلا، عاش عمراً طويلا منذ الوليد بن عبدالملك حتى زمن هارون الرشيد وتوفي نحو سنة ١٨٠ هـ. (الأغاني ٦/٢٩٤-٣٠٣).

(٤) في الأصل (تحصيل) وفي الحاشية (تحسين) وكلاهما ملائم للسياق.

(٥) في الأصل: «الأولى». والصواب من الأغاني. [المراجع].

الله، تراني مع المغنين منذ ستين سنة [وتقول لي أحسنت؟]

قال إسحاق: أربعة بلغوا في الإحسان في أربعة أجناس مبلغاً قصر عنهم غيرهم، معبد في الثقيل الأول، وابن سريج في الرمل، وحكم في الهزج، وإبراهيم في الماخوري (١).

ويقال: إن حكم الوادي غَنَّى في الأهزاج في آخر عمره، فلامه ابنه على ذلك وقال: بعد الكبر تغني غناء المخنثين، فقال له: اسكت فإنك جاهل، غَنَّيْتُ الثقيل ستين سنة فلم أفِدْ إلا القوت، وغنيت الأهزاج منذ سنتين فكسبت مالم تر مثله قط.

قال يحيى بن خالد: ما رأينا فيمن يأتينا من المغنين أجود أداء من حكم الوادي، وليس أحد يسمع منه غناء إلا وهو يغيره ويزيد فيه وينقص، إلا الحكم، فقيل لحكم ذلك، فقال: إني لست أشرب، وهؤلاء يشربون، فإذا شربوا تَغَيّرَ غناؤهم.

٥٤ - عُمَر الوَادي (٢)

رجل نغمه بالطرب موصول، وإلى خلب الكبد له وصول، لو مَرَّ السيل المنحدر لوقف وأنصت، أو الطير في جو السماء لخرس وما صَوَّت، مع حسن

(١) الماخوري: هو خفيف الثقيل الثاني بالوسطى.

(٢) عمر الوادي: هو عمر بن داود بن زاذان، وجده زاذان مولى عمرو بن عثمان بن عفان، وكان عمر مهندسا، وأخذ الغناء عنه حكم وذووه من أهل وادي القرى، وكان قدم إلى الحرم فأخذ في غناء أهله فحذق وصنع فأجاد وأتقن، وكان طيِّب الصوت شَجِّيَهُ مطربا، وكان أول من غنى من أهل وادي القرى، واتصل بالوليد بن يزيد في أيام إمارته فتقدم لديه جدا، وكان يسميه جامع لذاتي ومحيي طربي، وقتل الوليد وهو يغنيه. أخباره في الأغاني. (الأغاني ٧/ ٩٨ - ١٠٣).

صنعةٍ لا يدخل الخلل ضروبها، ولا يكون بلوغ الأمل ضريبها، ولا يتم سرور المجالس إلا إذا سمع منه في جنباتها، وطلع عُودُهُ المَخضرُّ الغضُّ في جنباتها، فكان مجنى المحاضر، ومنى السامع والناظر.

قال أبو الفرج: اتصل بالوليد بن يزيد فتقدم عنده، وكان يسميه جامع لذاتي ومحيي طربي، وقتل الوليد وهو يغنيه، وكان آخر الناس عهداً به.

وقيل إن الوليد كان يوماً جالساً وعنده عمر الوادي وأبو رُقَيَّة، وكان ضعيف العقل [ص ١٤٣] وكان يملي المصحف على [أم] الوليد [١]، فقال الوليد لعمر وقد غَنَّاه صوتاً: أحسنت والله يا جامع لذاتي، وأبو رُقية مضطجع، وهم يحسبونه نائما، فرفع رأسه إلى الوليد وقال له: وأنا جامع اللذات لأمك، فغضب الوليد وهَمَّ به، فقال له عمر الوادي: والله جعلني الله فداك مايَعْقِلُ أبو رُقَيَّة وهو سكران، فأمسك عنه، قال عمر الوادي: بَيْنَا أنا أسيرُ من العرجِ [٢] والسُّقْيَا، إذ سمعت إنسأناً يغني غناءً لم أسمع قط أحسن منه، وهو هذا: [٣] [الطويل].

وكنت إذا ما جِئْتُ ليلى بأرضِهَا ... أرَىَ الأرض تُطْوَى لي ويدنُو بعيْدُها
مِنَ الخفراتِ البيضِ ودّ جَلِيسُها ... إذا ما انْقَضَتْ أُحْدوثَةٌ أن تَعِيْدَها

فكدت أسقط من ناقتي طرباً، فقلت: والله لألتمسن الصوت والوصول إليه ولو بذهاب عضو من أعضائي، فقصدت نحو الصوت حتى ذهبت من الشرف[٤]، وإذا أنا برجل يرعى غنماً، فإذا هو صاحب الصوت، فأعلمته الذي

(١) في الأغاني ٧/٩٩: (وكان يمسك المصحف على أم الوليد).

(٢) العرج: عقبة بين مكة والمدينة على جادة الحاج، تذكر مع السقيا، (ياقوت: العرج).

(٣) الشعر لكثير عَزَّة من قصيدة في ديوانه ص ١٢٥ ـ ١٢٦ والأغاني ٧/١٠٠ ـ ١٠١

(٤) الشرف: المكان العالي.

ـ قلت: في الأغاني حتى «هبطت من الشرف».[المراجع].

أقْصَدني[١] إليه، وسألته إعادته عليَّ، فقال: والله لو كان عندي قِرىً[٢] لما فعلت، ولكني أجعله قِراكَ، فربما ترنمت به وأنا جائع فأشبع، وكسلان فأنشط، ومتوحش فآنس، فأعاده عليَّ مراراً حتى أخذته، فوالله ما كان لي كلام غيره حتى دخلت المدينة، ولقد وجدته كما قال.

قال عمر الوادي: خرج إليَّ الوليدُ بن يزيد يوماً، وفي يده خاتم فضة وعليه ياقوت أحمر، فقال لي: أتحب أن أهبه لك؟ قلت: نعم والله يا مولاي، فقال: غن في هذه الأبيات التي أنْشِدُكَهَا، واجْهَدْ نفسك، فإن أصبت إرادَتِي فهنيئا لك، فقلت: أجهد وأرجو التوفيق، فقال:[٣] [مجزوء الوافر]

ألا يُسْلِيْكَ عن سَلْمى ... قَتِيُر الشَّيْبِ والحِلْمُ

وأنَّ الشَّكَ مُلْتَبِسٌ ... فلا وَصْلٌ ولا صُرْمُ

وكيف بظلم جاريةٍ ... ومنها اللينُ والرُّحْمُ

فخلوت في بعض المجالس، ومازلت أديره حتى استقام، ثم خرجت إليه وعلى رأسه وصيفة وبيدها كأس، وهو يروم شربه فلا يقدر خُماراً[٤]، فقال: ما صنعت؟ قلت: قد [ص ١٤٤] فرغت ممّا[٥] أمرت به، وغنيته، فصاح: هذا والله، ووثب قائماً، وأخذ الكأس وقال: أعد فديتك، فأعدته عليه، فشرب ودعا ثانياً وثالثاً ورابعاً، وهو على حاله يشرب قائماً حتى كاد أن يسقط، وجلس ونزع الخاتم والحلة التي كانت عليه، وألبَسَنِيْهَا وأجلسني في حجره وقال: و[الله] العظيم لا تبرح هكذا حتى أسكر، ومازلت أعيده ويشرب حتى مال على جنبه سكراً ونام.

---

(١) في الأصل: «قصدني» والصواب في الأغاني. [المراجع].

(٢) القرى: طعام الضيف.

(٣) الشعر للوليد بن يزيد في ديوانه ص ١١١ والأغاني ٧/١٠٢.

(٤) الخمار: الصداع الذي يصيب شارب الخمر.

(٥) في الأصل: «ماأمرت» والصواب في الأغاني. [المراجع].

٥٥- أحْمَدُ بنُ يَحْيَى المَكِّي [١]

أطنب فأطرب، وأعرب فأغرب، وجمع شتى الأصوات وزيَّنَها، وأتى بالغرائب وحسَّنها، وانهل منه صَيِّبٌ لا يعرف الإمساك، وتدفق سكوب لو كنت تتذكر معه البحر لأنساك، تقدم في أهل صناعته حتى كان لا يراهم إلا إذا التفت، وفرع منهم حاجة الجلساء حتى تمسكت به فاكتفت.

قال أبو الفرج، قال جحظة، حدثني محمد بن أحمد بن يحيى المكِّي، قال: ناظر أبي بعض المغنين ليلة بين يدي المعتصم وطال تلاحيهما في الغناء، فقال [أبي] للمعتصم: يا أمير المؤمنين، من شاء منهم فليُغَنِّ عشرة أصوات لا أعرف فيها ثلاثة، وأنا أغني عشرة وعشرة وعشرة، لا يعرف أحد منهم صوتاً منها، فقال إسحاق: صدق يا أمير المؤمنين، واتبعه ابن بسخنر وعلوية [٢]، فقالا: صدق إسحاق يا أمير المؤمنين، فأمر له بعشرة آلاف درهم. قال محمد [٣]: ثم عاد ذلك الرجل إلى مماظته [٤] يوماً، فقال: قد دعوتك إلى النصفة فلم تقبل، وأنا أبدأ بما دعوتك إليه، فاندفع فَغَنَّى عشرة أصوات، فلم يعرف أحد منهم صوتاً واحداً، كلها من الغناء القديم، والغناء اللاحق به صنعة المكيين الحُذَّاق

(١) أحمد بن يحيى بن مرزوق المكي، يكنى أبا جعفر، وكان يلقب ظنيناً، وهو ابن يحيى المكي المغني المشهور، وأحمد هذا أحد المحسنين المبرزين الرواة للغناء كان محكم الصنعة، وكان إسحاق يقدمه ويؤثره ويشيد بذكره، وله كتاب (المجرد) في الأغاني، وكان مع جودة غنائه وحسن صنعته أحد الضراب الموصوفين المتقدمين، أخباره في الأغاني. (الأغاني ١٦ / ٣٣٦ ـ ٣٤٢).

(٢) علوية: هو علي بن عبدالله بن سيف موسيقي بغدادي توفي سنة ٢٣٦ هـ.

(٣) محمد: أي محمد بن أحمد المكي ابن صاحب الترجمة

(٤) المماظة: المخاصمة والمشاتمة والمنازعة. وفي حديث أبي بكر الصديق: (أنه مر بابنة عبدالرحمن وهو يماظ جاراً له، قال أبو بكر: لا تماظ جارك، فإنه يبقى ويذهب الناس) (اللسان: مظظ).

الخاملي الذكر، فاستحسن المعتصم منها صوتاً، فأسكت المغنين له، وأعاده مرات وهو يستعيده، ولم يزل يشرب عليه سحابة يومه، وأمر له بألفي دينار، وخلع عليه وعلى جماعته الندماء مماطر (١) لها شأن من ألوان شتى، فسأل عبدالوهاب ابن علي أن يرد عليه الصوت [ص ١٤٥] ويجعل له مِمْطَرَهُ، فَغَنَّاهُ إيّاه، فلما خرجوا للانصراف أمر غلمانه بدفع الممطر إلى غلمان أبي، فسلموه إليهم.

والصوت: (٢) [الخفيف]

لعنَ اللهُ مَنْ يلومُ مُحِبّاً ... ولحىَ اللهُ مَنْ يُحِبُّ فَيَابىَ

رُبَّ إلفَينِ أظهَرا الحُبَّ دَهْراً ... فَعَفَا اللهُ عنهما حينَ تَابَا

٥٦- بَذْل (٣)

جارية نقصت البدور المقمرة، واستنقصت فيها القناطر المقنطرة، وتحاسدت عليها الملوك وأصحاب الأسرة، واهتبلت فيها الغِرَّة، وسخت فيها النحر بمنى، وأمتحن بمماثلة(٤) طيبها المسك فأصبح تحت الفهر ممتهناً، وكانت رأساً في الطرب، إلا أنه بالتاج مُعْتصب، ولهوى الخلفاء مغتصب، وبرزت على كل ذات قناع، وأخذت القلوب بلا امتناع، وكانت أعلام الغناء نكرات لديها، ومنكرات

(١) المماطر: المعطف التي تلبس لتقي من المطر.

(٢) البيتان في الأغاني ١٦ / ٣٣٩.

(٣) بذل: جارية صفراء مولدة من مولدات المدينة، ربيت بالبصرة، وهي إحدى المحسنات المتقدمات الموصوفات بكثرة الرواية، يقال: إنها كانت تغني ثلاثين ألف صوت، ولها كتاب في الأغاني منسوب الأصوات غير مجنس يشتمل على اثني عشر ألف صوت، يقال: إنها عملته لعلي بن هشام، وكانت حلوة الوجه ظريفة ضاربة متقدمة، وابتاعها جعفر بن موسى الهادي، فأخذها منه محمد الأمين وأعطاه مالاً جزيلاً، فولدهما جميعا يدعون ولاءها، أخذت بذل عن أبي سعيد مولى فائد ودحمان وفليح وابن جامع وإبراهيم وطبقتهم. (الأغاني ١٧ / ٨٠ ـ ٦٨).

(٤) عبارة: «وسخت (أو: وسخنت؟سخن؟) فيها النحر بمنى » غير واضحة في الأصل. والعبارة الثانية في الأصل: وأمحت بممايلة » وقرأتها على الوجه المُثبت. [المراجع].

لا تصل إليها، يعترف لها مثل ابن المهدي، ويعترض عليها حتى تحضر معها في الندي، وكان لا يرى بنو العباس غير فينتها شرفاً، ولا بعد أدنى هوى الرشيد في هواها إلا سرفاً[١].

قال أبو الفرج: كانت حلوة الوجه ضاربة متقدمة، وابتاعها جعفر بن موسى الهادي وأخذها منه محمد الأمين، وكانت قد وصفت له فبعث إلى جعفر يسأله أن يريه إياها فأبى، فزاره إلى منزله فسمع شيئاً لم يسمع مثله، فقال لجعفر: بِعني يا أخي هذه الجارية، فقال: يا سيدي مثلي لا يبيع جارية، فقال: هبها لي، فقال: هي مدبَّرة [٢]، فاحتال عليه محمد حتى أسكره، وأمر ببذل فحملت معه إلى الحُرَّاقة [٣] وانصرف بها. فلما انتبه جعفر سأل عنها، فَأُخْبِرَ بخبرها، فسكت، فبعث إليه محمد من الغد، فجاءه وبذْلُ جالسة فلم يقل له شيئاً، فلما اراد جعفر الانصراف قال: أوقروا حراقة ابن عمي دراهم، فكان مبلغ ذلك عشرين ألف ألف درهم، قال: وبقيَتْ بَذْلُ في دار محمد إلى أن قُتِلَ، ثم خرجت، وكان ولد محمد يدعون ولاءها، فلما ماتت ورثها ولد عبدالله بن [ص ١٤٦] محمد الأمين.

وقيل: كان محمد الأمين قد وهب لها من الجوهر شيئاً لم يكن يملك أحد مثله، فَسَلِمَ لها، فكانت تُخْرِجُ منه الشيء فتبيعه بالمال العظيم، إلى أن ماتت. وكان إبراهيم بن المهدي [٤] يعظمها ويتوافى لها، ثم تغير بعد ذلك استغنى بنفسه عنها، فعلمت ذلك وصارت إليه، ودعت بعود وغنَّتْ في طريقة واحدة

---

(١) العبارة الأخيرة غير واضحة الكتابة. [المراجع].

(٢) المدبرة: المعتقة بعد الموت.

(٣) الحراقة: ضرب من السفن فيها مرامي نيران يرمى بها العدو في البحر.

(٤) إبراهيم بن المهدي بن عبدالله المنصور العباسي الأمير أخو هارون الرشيد ادعى الخلافة حين اختلف أمر الأمين والمأمون وحكم سنتين، توفي بسامراء سنة ٢٢٤ هـ.

وإيقاع واحد مئة صوت، لم يعرف إبراهيم منها واحداً ووضعت العود وانصرفت، فلم تدخل داره حتى طال طلبه لها وتضرعه إليها في الرجوع إليه.

قال أحمد بن شعيب المكي: خالف بذلاً إسحاق في صوت غَنَّتْهُ بحضرة المأمون، فأمسكت عنه ساعة، ثم غَنَّتْ ثلاثة أصوات في الثقيل الثاني، واحداً بعد واحد، وسألت إسحاق عن صانعها، فلم يعرفه، فقالت [١] للمأمون: هي والله يا أمير المؤمنين لأبيه أخذتها من فيه، فإذا كان لا يعرف غناء أبيه، فكيف يعرف غناء غيره فاشتد [٢] ذلك على إسحاق حتى بان فيه.

قال: وذكر أن المأمون كان قاعداً يوماً يشرب، ومعه قدح، إذ غَنَّتْ بذلُ: [٣] [الطويل]

أَلا لاَ أرىَ شَيْئَاً ألذَّ مِنَ الوعدِ ومِنْ أملِي فيهِ وإن كَانَ لا يُجْدِي

فجعلته:

أَلا لاَ أَرى شَيْئَا ألذَّ مِنَ السَّحْقِ

فوضع المأمون القدح من يده، والتفت إليها، فقال: بَلَى النَّيْكُ ألذُّ من السَّحْقِ، فَتَشَوَّرَتْ [٤] وخافت غضبه، فأخذ قدحه وقال: أتمي صوتك وزيدي فيه: [٥]

وَمِنْ غَفْلَةِ الواشي إذا ما أتيْتُهَا وَمِنْ زَوْرَتي أبياتَهَا خالياً وَحْدِي

(١) في الأصل: (فقال) والخطأ واضح.
(٢) في الأصل: (فأنشد ذلك) والخطأ واضح.
(٣) الأغاني ١٧/ ٨٥.
(٤) تشورت: خجلت.
(٥) الأغاني ١٧/ ٨٥.

وَمِنْ ضِحْكَةٍ فِي الْمُلْتَقَى ثم سَكْتَةٍ وكِلْتَاهُمَا عِنْدي ألذُّ من الخُلْدِ

٥٧- عَزَّةُ المِيْلاء (١)

وضرة الظبية الكحلاء، كان بيتها مأوى كل شريف، ومثوى كل ظريف، ونَدِيٌّ كل ذي كلفٍ نزح به الغرام، وقرح جفنه وأدماه حب الآرام، أقامت بالمدينة وفتية قريش تغشى معهدها المعمور، وترى مشهدها من مهمات الأمور، وأدركت من الأول السلف قوماً شرفت برؤياهم، ولزمت [ص ١٤٧] بهم، ومن لطوالع الشموس بأن تلحق بأُخْرَاهُم.

قال أبو الفرج، قال يونس: كان ابن سريج في حداثته يأتي المدينة فيسمع من عزّة ويتعلم غناءها، وكان إذا سئل: من أحسن الناس غناء؟ قال: مولاة الأنصار المفضلة على كل من غَنَّى وضرب بالمعازف والعيدان، من الرجال والنساء.

وكان عبدالله بن جعفر وابن أبي عتيق وعمر بن أبي ربيعة، يغشونها في منزلها فتغنيهم، وغنت يوماً عمر بن أبي ربيعة لحناً لها في شيء من شعره، فَشَقّ ثيابه، وصاح صيحة عظيمة صعق منها، فلما أفاق قال له القوم: لغيرك الجهل يا أبا الخطاب، قال: إني سمعت والله ما لم أملك به نفسي ولا عقلي.

---

(١) عزة الميلاء: كانت مولاة للأنصار ومسكنها المدينة، وهي أقدم من غنى الغناء الموقع من النساء بالحجاز، كانت تضرب بالعيدان والمعازف، وكانت وافرة السمنة جميلة الوجه، لُقِّبت بالميلاء لتمايلها في مشيتها، زارها الشعراء والأمراء مثل النعمان بن بشير الأنصاري وسمع غناءها، قال طويس: (هي سيدة من غنى من النساء مع جمال بارع وخلق كريم وإسلام لا يشوبه دنس، تأمر بالخير وهي من أهله، وتنهى عن السوء وهي مجانبة له، أخبارها في الأغاني وتوفيت نحو سنة ١١٥ هـ.

(الأغاني ١٧ / ١٦٤ ـ ١٨٢، أعلام النساء ٢ / ١٠١٣ الدر المنثور ص ٣٤١).

قال خارجة بن زيد: دعينا إلى مأدبة في آل نبيط فحضرتها وحسان بن ثابت، فجلسنا معاً على المائدة، وهو يومئذ قد ذهب بصره، ومعه ابنه عبدالرحمن، وكان إذا أُتِي بطعام سأل: أطعام يد أو يدين؟ يعني باليد الثريد، وباليدين الشواء،إلا أنه يمسُّ مَسَّاً، فإذا قيل له طعام يد أكل، وإذا قيل[1] يدين أمسك يده، فلما فرغوا من الطعام أُتِيَ بجاريتين مغنيتين إحداهما رَائِعَةُ والأخرى عَزَّةُ، فجلستا وأخذتا مزهريهما وضربتا ضرباً عجباً بقول حسان:[2] [المنسرح]

انظر نهاراً بباب جلَّقَ هَلْ تؤنسُ دون البلقاءِ مِنْ أَحَدِ

فأسمع حسان يقول: (قد أراني هناك سميعاً بصيراً)، وعيناه تدمعان، فإذا سكتتا سكت عنه البكاء، فإذا غنتا بكت، فكنت أرى ابنه عبدالرحمن إذا سكت يشير إليهما أن تغنيا فَيُبْكِي أباه.

قال: كان بالمدينة رجل ناسك من أهل العلم والفقه، وكان يغشى عبدالله بن جعفر[3]، فسمع جارية لبعض النخاسين تغني: [البسيط]

بَانَتْ سعادُ فأمسى حبلُهَا انقطعا

فاستهتر[4] بها وهام، وترك ما كان عليه، حتى مشى إليه عطاء[5]

(١) في الأصل: «قال»؛ والصواب في الأغاني. [المراجع].

(٢) الشعر لحسان بن ثابت في ديوانه ص ٢٧٩ ط وليد عرفات والأغاني ١٧/١٦٩ مع خلاف في الرواية.

(٣) عبدالله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، صحابي ولد بأرض الحبشة لما هاجر أبواه إليها، وهو أول من ولد بها من المسلمين، كان كريما يسمى بحر الجود، وللشعراء فيه مدائح، وكان أحد الأمراء في جيش علي يوم صفين توفي بالمدينة سنة ٨٠ هـ.

(الإصابة ٤٥٨٢ تهذيب ابن عساكر ٧/٣٢٥ المحبَّر ص ١٤٨ فوات الوفيات ١/٢٠٩)

(٤) استهتر بها: شغف بها وأولع.

(٥) عطاء: هو عطاء بن أسلم بن صفوان، تابعي من أجلاء الفقهاء كان مغني مكة ومحدثهم توفي سنة ١١٤ هـ.

وطاوس[١] فلاماه، فكان جوابه أن تَمَثَّل بقول [ص ١٤٨] الشاعر:[٢] [البسيط]

يَلُومُنِي فيكِ أقوامٌ أُجَالِسُهُم فَمَا أُبَالِي أطَارَ النَّوْمُ أم وَقَعَا

وبلغ عبد الله بن جعفر خبره، فبعث إليه النخاس، فاعترض الجارية، وسمع غناءها بهذا الصوت، وقال لها: ممن أخذته، فقالت: من عزّة الميلاء، فابتاعها بأربعين ألف درهم، ثم بعث إلى الرجل، فسأله عن خبره، فأعلمه إياه وصدقه عنه، فقال: أتحب أن تسمع هذا الصوت ممن أخذت عنه تلك الجارية، قال: نعم، فدعا بعزة الميلاء وقال: غنِّيه إياه، فغنَّتهُ، فصعق الرجل، وَخَرَّ مغشيا عليه، فقال ابن جعفر: أثِمْنَا فيه، الماءَ الماءَ، فنضح على وجهه، فلما أفاق قال: أكل هذا بلغ بك عشقها؟ فقال: وما خفي عليَّ أكثر، قال: أتحب أن تسمع منها، قال: قد رأيت ما نالني حين سمعته من غيرها، فكيف يكون حالي إن سمعته منها، وأنا لا أقدر على ملكها، قال: أفتعرفها إن رأيتها؟ قال: أو أعرف غيرها! فأمر بها فَأُخْرِجَتْ، وقال: خذها فهي لك، والله ما نظرت إليها إلا من عرض، فقبل الرجل يديه ورجليه، وقال: أنمتْ عيني، وأحْيَيْتَ نفسي، وتركتني أعيشُ بين قومي، ورددت إليَّ عقلي، ودعا له دعاء كثيراً، فقال: ما أرضى أن أعطيها هكذا، يا غلام: احمل معه مثل ثمنها لكي تهتم بك، وتهتم بها.

---

(١) طاوس: طاوس بن كيسان الخولاني الهمداني بالولاء من أكابر التابعين، تفقه بالدين ورواية الحديث، كان يأبى القرب من الملوك والأمراء، توفي سنة ١٠٦ هـ.

(٢) البيت في الأغاني ١٧/ ١٧٨ وفي ديوان الأعشى قصيدة عينية (بانت سعاد) وليس منها هذا البيت.

٥٨- فِنْد مَوْلَى عَائِشَة (١)

جُمْلَةُ عجز وصدر صَدٍّ وحَجَرٌ أشَدٌّ من مرزمة الإبل توانياً، وأعظم من مكدية الأمل تفانيا، أبطأ من الخيل نهوضاً، وأطول من كلب أهل الكهف ربوضاً، ولو سابقه المقيد في الوثاق لسبقه، والطائر المقصوص الجناح لبلغ قبله طلقه، يرى المخالفة طاعة، والسنة تمضي بتمامها، إذا أسرع في الحاجة ساعة، إلى تخلف عن كل خير وتَوانٍ إلا في فِنْدٍ يُحَثُّ إليه السير، وقبح فعلة، بقيت بقاء الأبد، وعمرت أكثر من نسور لبد، وشؤم طلعة، وكساد سلعة، إلا أنه ممن ألحفه الأصفهاني الجناح، وذكرَّ فغدا أو راح(٢).

قال أبو الفرج: كان يجمع بين النساء و الرجال في منزله، فلذلك(٣) يقول فيه عبيد الله بن قيس الرقيات:(٤) [ص ١٤٩] [الخفيف]

قُلْ لفِنْدٍ يُسَيِّرُ الأظعانا ... طالما سَرَّ عَيْشَنَا وكَفَانَا
صادراتٍ عشيَةً من قُدَيْدٍ ... وارداتٍ مَعَ الضُّحى عُسْفَانا (٥)

ويه يضرب المثل في الإبطاء، قال: أرسلته عائشة بنت سعد ليجيئها بنار، فخرج لذلك، فلقي عيراً خارجة إلى مصر، فخرج معهم، فلما كان بعد سنة رجع فأخذ ناراً ودخل على عائشة وهو يعدو، فسقط وقد قرب منها، فقال:

(١) فند: هو فند أبو زيد مولى عائشة بنت سعد بن أبي وقاص، ومنشؤه المدينة، وكان خليعاً متهتكاً، يجمع بين الرجال والنساء في منزله. وقد اختلف في اسمه فقيل: قند بالقاف وفند بالفاء وهو أصح، وبه ضرب المثل في الإبطاء فيقال: تعست العجلة. خبره في الأغاني. (الأغاني ١٧/ ٢٧٩ - ٢٨١).

(٢) في الأصل: «أدواح». [المراجع].

(٣) في الأصل: «فكذلك» والصواب في الأغاني. [المراجع].

(٤) الشعر لعبيد الله بن قيس الرقيات في ديوانه ص ١٥٦ - ١٥٧ والأغاني ١٧/ ٢٧٩.

(٥) قديد: موضع قرب مكة.

عسفان: منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة، وقيل: بين المسجدين، وهي من مكة على مرحلتين.

تعست العجلة، قال بعض الشعراء في رجل وصفه بذلك: [الرمل]

مَـــا رأيْنَا لعُــبَــيْــد مَــثَــلاً ... إذْ بَعَـــشْنَاهُ يَجي بالمسْــــألَهْ
غَــيْــرَ فِنْدٍ بعــثــوهُ قَــابِسَـــاً ... فَـــثَــوى حَــوْلاً وسَبَّ العَــجَلَهْ

٥٩- دَنَانِيرُ البَرْمَكيَّة [١]

جارية منذرة، وملهية للآلي الدمع مبدرة، ومطربة لو جاءت كلّ[٢] ورقاء على فنن لأسكتتها، أو طارحت كل ذات شجن لبَكَّتتْهَا، وكانت أعز مما سميت به من الدنانير التي تدخل عليها الصرف، ويظهر عليها سيماء الوجل لا الظرف، نالت عواليها آل برمك خطى قاد لها الجامع[٣] وقال به في فيٍّ خدرها الطامح، وأبدعت صورة وكانت فيها المحاسن محصورة.

قال أبو الفرج: كانت صادقة الملاحة، فرآها يحيى فوقعت في قلبه واشتراها، وكان الرشيد يصير إلى منزله ويسمعها، حتى ألفها واشتد عجبه بها ووهب لها هبات سنية، منها أنه وهب لها في ليلة عيد عقداً قيمته ثلاثون ألف دينار، فردتهُ عليه في مصادرة البرامكة بعد ذلك، وعرفت أم جعفر الخبر فشكته إلى عمومته فصاروا جميعاً إليه، فعاتبوه فقال لهم: مالي في هذه الجارية من أرب في

(١) دنانير: كانت مولاة يحيى بن خالد البرمكي، وكانت صفراء مولدة، ومن أحسن الناس وجهاً وأظرفهن وأكملهن أدباً وأكثرهن رواية للغناء والشعر، وكان الرشيد لشغفه بها يكثر مصيره إلى مولاها ويقيم عندها ويبرها ويفرط، حتى شكته زبيدة إلى أهله وعمومته فعاتبوه على ذلك، لها كتاب مجرد في الأغاني مشهور وكان اعتمادها في غنائها على ما أخذته من بذل وهي خرجتها اعتزلت بعد نكبة البرامكة وتوفيت سنة ٢١٠ هـ.
(الأغاني ١٨ / ٧٠ ـ ٨٠ أعلام النساء ١ /٣٥٨ الدر المنثور ص ١٩٢، المستظرف ـ للسيوطي ٢٥ ـ ٢٧ والإماء الشواعر ٥٣ ـ ٥٦).

(٢) في الأصل: «لوجاء بكلّ ورقاء» .[المراجع].

(٣) كذا، ولعلها « الجامح» موافقة للسّجع، والعبارة قلقة. [المراجع].

نفسها، وإنما أربي في غنائها، فاسمعوها، إن استحقت أن يؤلف غناؤها فذاك، وإلا فقولوا ما شئتم، فأقاموا عنده، ونقلهم إلى[1] يحيى حتى سمعوا عنده فعذروه، وعادوا إلى ام جعفر فأشاروا عليها ألا تلح عليه في أمرها فقبلت، وأهدت إلى الرشيد عشر جوار،منهنّ: مراجل أم المأمون، وماردة أم المعتصم، [ص ١٥٠] وفاردة أم صالح.

قال إسحاق، قال لي أبي، قال لي يحيى بن خالد: إن ابنتك دنانير قد عملت صوتاً اختارته وأعجبت به، فقلت لها: لا يشتد إعجابك بما تصنعينه حتى تعرضيه على شيخك، فإن رضيه واستجاده وشهد بصحته فارضيه لنفسك، وإن كرهه فاكرهيه، امض حتى تعرضه عليك، قال: فقلت له أيها الوزير: كيف إعجابك أنت به، فأنت ثاقب الرأي، عالي الفطنة، صحيح التمييز، قال: أكره أن أقول لك أعجبني فيكون عندك غير معجب، إذ كنت رئيس صناعتك تعرف بها مالا أعرف، وتقف من لطائفها على مالا أقف، وأكره أن أقول لك لم يعجبني، وقد بلغ من قلبي مبلغاً محموداً، وإنما يتم لي السرور به إذا صادف ذلك منك استجادة وتصويباً، قال: فمضيت إليها، وقد كان تقدم إليَّ خدمه بذلك وقال لدنانير: إذا جاءك إبراهيم فاعرضي عليه الصوت الذي صنعته واستحسنته، فإن قال لك أصبت سررتني بذلك، فإن كرهه فلا تعلميني لئلا يزول سروري بما صنعت فلما حضرت[2] الباب أدخلت ونصبت الستائر، فسلمت على الجارية، فردت علي السلام وقالت: يا أبت أعرض عليك صوتاً قد تقدم إليك خبره، وقد سمعت الوزير يقول: إن الناس يفتنون بغنائهم ويعجبهم منهم ما لا يعجبهم من غيرهم، وكذلك يفتنون بأولادهم فيحسن في أعينهم منهم ماليس يحسن، وقد خشيت على هذا الصوت أن يكون كذلك، فقلت: يا بنية، هات، فأخذت عودها فغنت: [3] [الكامل]

---

(١) في الأصل: «ونقلهم يحيى» .[المراجع]

(٢) في الأصل: «حضر الباب». [المراجع].

(٣) البيتان في الأغاني ١٨ / ٧٢.

نَفْسي أكنتُ عليك مُدَّعِيَاً أَمْ حينَ أزمعُ بَينهُم خُنْتِ
إن كُنْتِ مُولَعَةً بِذِكْرِهِمُ فعلى فراقهم ألا مُتِّ

قال: فأعجبني والله غاية الإعجاب، واستخفني الطرب حتى قلت لها: أعيديه، وأنا طالب فيه موضعاً أصلحه أو أغيره لتأخذه عني، فلا والله ما قدرت على ذلك، ثم قلت لها: اعيديه الثالثة، فأعادته، فإذا هو المصفى، فقلت لها: احسنت يا بنية وأصبت وأجدت، وقد قطعت عنك بجودة إصابتك [ص ١٥١] وحسن إحسانك فائدة المتعلمين، إذ قد صرت تحسنين الاختيار، وتجيدين الصنعة، ثم خرج فلقيه يحيى بن خالد فرآه متهللا، فقال له: كيف رأيت صنعة ابنتك دنانير؟ فقال: أعز الله الوزير، ما يحسن كثير من حذاق المغنين مثل هذه الصنعة، ولقد قلت لها أعيديه، فأعادته ثلاث مرات كل ذلك أريد إعناتها لأجلب لنفسي مدخلاً يؤخذ عني وينسب إليَّ، فلا والله ما وجدته، فقال لي يحيى: وصفك لها يقوم مقام تعليمك إياها، والله لقد سررتني وسأسرك، فوجه إليه بمال كثير.

قال حماد البشري: مررت بمنزل من منازل طريق مكة يقال له النِّباج [(١)]، وإذا كتاب على حائط في منزل، فقرأته فإذا هو: النيك أربعة، [فالأول] شهوة، والثاني لذة، والثالث شفاء، والرابع داء، وحر [(٢)] إلى أيرين،أحوج من فرج إلى حرين، وكتبت دنانير مولاة البرامكة بخطها مُدّةً طويلة.

قال ابن شبة: أخذت دنانير مولاة البرامكة غناء إبراهيم [الموصلي] حتى كانت تغني غناء فتحكيه فيه حتى لا يكون بينهما فرق، وكان إبراهيم يقول

---

(١) النباج: هو نباج بني سعد بالقريتين، وقيل النباج بين مكة والبصرة للكريزيين، والنباج الآخر على طريق البصرة يقال له نباج بني عامر وهو بحذاء فيد. (ياقوت: النباج)

(٢) الحر: بتخفيف الراء، الفرج.

ليحيى: متى فقدتني ودنانير باقية، فما فقدتني.

قال: أصاب دنانير العِلَّةُ الكَلَبِيَّةُ، فكانت لا تصبر على الأكل ساعة واحدة، وكان يحيى يتصدق عنها في كل [يوم من] شهر رمضان بألف دينار، لأنها كانت لا تصومه، وبقيت بعد البرامكة مدة طويلة.

٦٠- الزُّبَيْرُ بنُ دَحْمَان (١)

واقع على غرض، ورافع لبعض ما عرض، كان مشهور الأصوات، مشكور الفعل حتى بألسن الأموات، متى رفع عقيرته متع جيرته لضرب لا تدعيه مطمعة، ولا تعيه الآن مسمعة، أكثر استنهاضاً من الحمية في الأمور، وأكبر إعراضا من صدّ الكؤوس عن الخمور، وله في مجالس الخلفاء ولوج، حيث يُرى أذن، ولا يقبل الآراء أَفِن.

قال أبو الفرج: كان الرشيد بعد قتله البرامكة شديد الندم على ما فعله بهم، ففطن الزبير لذلك، وكان يغنيه في هذا [ص ١٥٢] المعْنى فيحركه، فغناه يوماً:(٢) [البسيط]

مَنْ للخصومِ إذا جَدَّ الخصامُ بهم ... يوم الجيادِ ومَنْ للضُمَّرِ القُوْدِ
فَرَّجْتَهُ بلسانٍ غيرِ مُشْتَبِهٍ ... عند الحفاظِ وقلبٍ غيرِ رعديدِ
وموقفٍ قد كَفَيْتَ الناطقين به ... في مجمعٍ من نواصي الناسِ مَشْهودِ

(١) الزبير بن دحمان: أحد المغنين المحسنين المتقنين الرواة الضراب المتقدمين في الصنعة، قدم على الرشيد من الحجاز، وكان من المتحزبين لإسحاق الموصلي، كان الزبير عاقلا نبيلا ديناً، وكان أبوه قبله كذلك. علت مكانته عند الرشيد فأكرمه وقدمه، أخباره في الأغاني. (الأغاني ١٨/٣٠٨-٣١٨)

(٢) الشعر لامرأة من بني أسد في الأغاني ١٨ / ٣١١ مع خلاف في الرواية.

فقال له الرشيد: أعد، فأعاد فقال: ويحك كأن قائل هذا الشعر يصف به يحيى ابن خالد وجعفر بن يحيى، وبكى حتى جرت دموعه، ووصل الزبير بصلة سنية.

قال إسحاق: كان عندي الزبير بن دحمان يوماً، فغنيت لأبي [1]: [الطويل]

أشَاقَكَ مِنْ أرضِ العراقِ طُلُولُ

فقال الزبير: أنت الأستاذ وابن الأستاذ السيد، وقد أخذت عن أبيك هذا الصوت، وأنا أغنيه أحسن من هذا، فقلت له: والله إني لأحب أن يكون كذلك، فغضب وقال: أنا والله أحسن غناء منك ومن أبيك، فتلاحينا طويلاً، فقلت له: هلم نخرج إلى صحراء الرقة، فيكون أكلنا وشربنا هنالك، ونرضى في الحكم بأول من يطلع علينا، فقال: أفعل، فأخرجنا طعاماً وشراباً، وجلسنا على الفرات نشرب، فأقبل حبشي يضرب الأرض، فقلت له: ترضى بهذا؟ فقال: نعم، فدعوناه وأطعمناه وسقيناه، وبادرني الزبير بالغناء، فغنى الصوت، فطرب الحبشي وحرك رأسه حتى طمع الزبير [فيّ]، ثم أخذت العود فغنيته، فتأملني الحبشي ساعة وصاح: وأي شيطان أنت؟ ومدّ بها صوته، فما أعلم أني ضحكت مثل ضحكي يومئذ وانخذل الزبير واستحيا.

قال: غضب الرشيد على أم جعفر، ثم ترضاها، فأبت أن ترضى عنه، فأرق ليله، ثم قال: افرشوا لي على دجلة، ففعلوا، فقعد ينظر إلى الماء وقد زاد زيادة عجيبة، فسمع غناء في هذا الشعر: [2] [الطويل]

جرى السَّيلُ فاستبكاني السَّيلُ إذْ جرى   وفَاضَتْ لَهُ مِنْ مُقْلَتِي غُرُوبُ

---

(١) الشطر لأبي العتاهية من قطعة في ديوانه ص ٣٣٢ والأغاني ١٨ / ٣١٥. وتمام البيت:

أشاقك من أرض العراق طلول   تحمل منها جيرة وحمول

(٢) الشعر للعباس بن الأحنف في ديوانه ص ٤٤ ـ ٤٥ والأغاني ١٨ / ٣١٦ مع خلاف في الرواية.

وما ذاك إلا حين أيقنت أنَّهُ [ص ١٥٣] يَمُــــرُّ بوادٍ أنت منهُ قــــريبُ
يكون أُجَـاجَـاً دونَكُمْ فـإذا انتــهى إليكم تَلَقَّى نَشْـــرَكُمْ فــيطيْبُ
فــيــا ســاكِني أكنافِ دجلَةَ إنكُم إلى القلبِ من أجلِ الحبيبِ حبيبُ

فسأل عن الناحية التي فيها الغناء، فقيل: دار ابن المسيب، فبعث إليه أن ابعث لي بالمغنيٍّ فبعث به، فإذا هو الزبير بن دحمان، فسأل عن الشعر فقال: هو للعباس بن الاحنف، فأحضره فاستنشده إياه، وجعل الزبير يغنيه والعباس ينشده، وهو يستعيدهما، حتى أصبح، وقام فدخل على أُمِّ جعفر فسألت عن دخوله فَعُرِّفَتْه، فوجهت إلى العباس بن الأحنف بألف دينار، وإلى الزبير بألف دينار.

٦١- ومنهم- عَبْدُاللّهِ بن العَبَّاس[١]

ابن الفضل بن الربيع، بيت رفيع، وقوم لهم ما لفضل الربيع من طراوةٍ ندى، وطلاوة حدِى، ورونق يزين الدنيا أبداً، ومعال أثرت بها مآثرهم، ومعان أثرها أكابرهم، فورثها أصاغرهم، حُجَّاب الخلفاء الأعز المكارم، وحفظة أبواب كالأنهار وراء بحور خضارم، وجدّه الربيع خدم المنصور فادعى إليه ولاءً، وارتقى به إلى أن عقدت له ذوائب الكواكب لواء، وعبدالله هذا من سرّ صميمهم، وأرج شميمهم، إلا أنه بالغناء وضع قدر حُبِّهِ[٢]، وصنع ما لا يليق بنسبه، تعلم الغناء سراً ،وتقدم قشراً[٣]، فأطرب كُلَّ محزونه، وأنفق من ذخائر

(١) عبدالله بن العباس بن الفضل بن الربيع، كان شاعراً مطبوعاً، ومغنياً محسناً جيد الصنعة نادرها، حسن الرواية، حلو الشعر ظريفه، اتصل بالخليفة الواثق فأحسن إليه وسمع غناءه، أخباره في الأغاني. (الأغاني ١٩/ ٢٣٤ ـ ٢٧٥).

(٢) كذا في الأصل ولعلها (حسبه) لتستقيم من السجعة (نسبه).

(٣) قشراً: هنا يعني كثيراً.

العاشقين سقمها، وَحَنَّ العودُ في يده حنين الحمام عليه أيام تَأوُّد.

ذكر أبو الفرج فقال، [قال] يحيى بن حازم، حدثني عبدالله بن العباس الربيعي قال: دخل محمد بن عبدالملك الزيات [١] على الواثق، وأنا بين يديه أغني، وقد استعادني صوتاً فأعدته فأحسنت، فقال له ابن الزيات: هذا والله يا أمير المؤمنين أولى الناس بإقبالك عليه واستحسانك له، واصطناعك إياه، فقال: أجل، فلما كان الغد [ص ١٥٤] جئت محمد بن عبدالملك الزيات شاكراً لحسن محضره، فقلت له في أضعاف كلامي: وأفرط الوزير أعزه الله في وصفي وتقريظي بكل شيء حتى وصفي بجودة الشعر، وليس ذلك عندي، وانما أعْبَثُ بالبيت والبيتين والثلاثة ولو كان عندي شيء يعد من ذلك لصغر عن أن يصف الوزير، ومحله في هذا الباب المحل الرفيع المشهور، فقال لي: والله إنك لو عرفت مقدار قولك حين تقول: [٢] [المجتث]

يا شَادِنَاً رام إذ مرّ ... في الشَّعَانين قَتْلي
يقولُ لي كَيْفَ أصْبَحْـ ... ـتَ كَيفَ يُصْبِحُ مِثْلي؟

لما قلت هذا القول، والله لو لم يكن لك شعر في عمرك كله إلا قولك (كيف يصبح مثلي) لكنت شاعراً.

---

(١) محمد بن عبدالملك الزيات: وزير المعتصم والواثق العباسيين، وعالم باللغة والأدب من بلغاء الكتاب الشعراء نشأ في بيت تجارة ونبغ حتى بلغ رتبة الوزارة اعتمد عليه المعتصم في مهام دولته وكذلك ابنه الواثق، ولما ولي المتوكل نكبه فصادره وعذبه حتى مات، كان من العقلاء الدهاة وفي سيرته قوة وحزم، كانت وفاته سنة ٢٣٣ هـ.

(وفيات الأعيان ٢/ ٥٤ امراء البيان ١/ ٢٧٨ ـ ٣٠٦ الطبري وابن الأثير حوادث سنة ٢٣٣ الخزانة ١/ ٢١٥ ـ ٢١٦)

(٢) الشعر لعبدالله بن العباس الربيعي في الأغاني ١٩/ ٢٣٥.

قال إسحاق: لقيت عبدالله بن العباس يوماً في الطريق فقلت له: ما كان خبرك أمس؟ فقال: اصطبحت، فقلت: على ماذا ومع من؟ فقال: مع خادم صالح بن عجيف، وأنت به عارف وبخبري ومحبتي له، فاصطبحنا على صفة بنت الخس (١) لما حملت: (٢) [الطويل]

أشمُّ كغُصْنِ البانِ جَعْدٌ مُرَجَّلٌ ... شُغِفْتُ به لو كان شيئاً مدانيا
ثكلْتُ أبي إنْ كنتُ ذُقْتُ كريقهِ ... سلافاً ولا ماءً من المزنِ صافيا
وأُقْسِمُ لو خُيِّرتُ بين فراقهِ ... وبين أخي لاخترتُ أن لا أخاليا
فإنْ لم أوسِّدْ ساعدي بعدَ رقدةٍ ... غُلاماً هلاليّاً فَشُلتْ بنانيا

فقلت له: أقمت على لواط وشربت على زناء، والله ما سبقك إلى هذا أحد، فقلت: وقد كان على جلالة قومه ونباهتهم مغرى بالاصطباح، مغرماً به في كل صباح، ومثاله مما قاله في هذه الحالة: (٣) [البسيط]

ومستطيل على الصهباء باكرها ... في فتية باصطباح الراح حذاق
فكل كف رآه ظنه قدحاً ... وكل شخص رآه ظنه الساقي

وقوله في ذلك: (٤) [المجتث]

---

(١) بنت الخس: هند بنت الخس بن حابس الإيادية، شاعرة فصيحة جاهلية، كانت ترد سوق عكاظ ولها أخبار فيه، وصفها الجاحظ بأنها: من أهل الدهاء والنكراء واللسن واللقن والجواب العجيب والكلام الصحيح والأمثال السائرة والمخارج العجيبة.
(البيان والتبيين ط هارون ينظر فهرسته، عيون الأخبار ٢/٢١٤ بلاغات النساء ص ٥٨ الحيوان ٥/٤٥٩).

(٢) الشعر لابنة الخس في الأغاني ١٩/٢٤٥.

(٣) الشعر لعبدالله بن العباس الربيعي في الأغاني ١٩/٢٤٨.

(٤) الشعر لعبدالله بن العباس الربيعي في الأغاني ١٩/٢٧١.

باكـــر الـراح صُـبْــحـــاً لا يســبـــقـنك فـــجـــر
وإن يـفـــتك اصـطبـــاح فـــلا يفـــوتـنك سكر [ص ١٥٥]

ويقال إنه شرب أواخر شعبان وكان قد نما إلى الخليفة انهماكه على المدام وانتهاكه للحياء مع الندام، وكذلك بلغه عن غيره، فبث رسله القيام في طلب هتك حرمة الصيام، وأتاه النذير وهو بين تربه مقبل على شربه، فقال: (١)[الخفيف]

عللاني نعـــمــتــمـــا بمدام واسقياني من قبل شهر الصيام
حـرم الله في الصـيـام التـصـابي فـتـركناه طاعــة للإمـــام

ثم دام على غَيِّه وضلاله، وأقام عمر قمر شعبان وهلاله حتى قارب رمضان أن يستهل، وحل خيط المدام أنْ يُسَلَّ، ولم يبق غير دنو رمضان وإقباله، وإن ليله يلقى حافر هلاله، فقال: (٢) [المديد]

اسـقني صـهـبـاء صـافـيـة لـيـلـة الـنـوروز والأحـــد
حـرم الله اصطبـاحـتـهـا فـتـزود شـربهـا لغـد

قال: [خالد] بن حمدون: كنا عند الواثق في يوم دجن (٣)، فلما برق واستطار، قال(٤): قولوا في هذا شيئاً، فبدرهم عبدالله بن [العباس بن] الفضل بن الربيع فقال: (٥) [المتقارب]

أعِـنِّـي عـلـى بـارق لامـع خـفِيٍّ كلمـحك بالحاجب
كـأن تألقـه في السـمـاء يدا كـاتب أو يدا حـاسـب

(١) الشعر لعبدالله بن العباس الربيعي في الأغاني ١٩ / ٢٧١.
(٢) الشعر لعبدالله بن العباس الربيعي في الأغاني ١٩ / ٢٦٥.
(٣) يوم دجن: فيه غيم ومطر.
(٤) في الأصل: «فقال». [المراجع].
(٥) الشعر لعبدالله بن العباس الربيعي في الأغاني ١٩ / ٢٥٠.

وصنع فيه لحناً شرب الواثق عليه بقية يومه، واستحسن شعره وغناءه وصنعته، ووصله بصلة سنية.

وكان لدخول عبدالله في الغناء سبب حكاه وقصد استهون به فحواه، واستهول عقباه حتى أصباه، وذلك أنه هوي جارية لعمته وكان لا يقدر عليها ولا يستطيع الجلوس إليها، خيفة أن يبدو حبه فتمنعه عنها، وتفطن لما بَطَنَ فلا تمكنه منها، فأسر في نفسه غرضه، وداوى مرضه بعلة ممرضة وجملة معترضة، واحتال في رأي على عمته عرضه، هو أنه أظهر لها الرغبة في الغناء وتعلمه، واستكتمها عن جده في تكتمه، فأنفت [ص ١٥٦] له عمته الغناء ومذهبه، وكرهت ما يشين أباه وجده ومنصبه، فأبى إلا طرباً، وتصابى حتى صبا، وتلاعب حتى جد لعبا، وداوم حتى أحس قوة التصنيف، فصنع صوتين أنفق عليهما جهده من التثقيف، وعرضهما على الجارية، فقالت: هذا في الصنعة فوق الاتقان، ولا يحسن أحد في الزمان أكثر من هذا الإحسان، ونمى خبر الصوتين حتى غنيا للرشيد، فسأل عنهما وعلم لمن هما، فطلب جده وحدثه بما عنده، وعتبه على إخفاء أمره، وظن أنه يعلم به وقد أخفاه عنه، فأقسم الفضل أنه إلى الآن لم يعلم أن له ولداً من الغناء بهذا المكان، ثم كان من شهرته ما كان.

وقد ذكر أبو الفرج هذه القصة فقال: قال أحمد بن المرزبان، حدثني عبدالله ابن العباس قال: كان سبب دخولي في الغناء وتعلمي إياه، أني كنت أهوى جارية لعمتي رقية بنت الفضل بن الربيع، وكنت لا أقدر عليها ولا الجلوس معها، خوفاً من أن يظهر مالها عندي فيكون سبباً لمنعي منها، فأظهرت لعمتي أنني أشتهي أن أتعلم الغناء، ويكون ذلك [في] ستر من جدي، وكان جدي وعمتي على حال من الرقة علي والمحبة لي لأن أبي توفي في حياة جدي الفضل، فقالت: يا بني، ما دعاك إلى ذلك؟

قلت: شهوة غلبتني، إن منعت منها مُتُّ غَمًّا، وكان لي في الغناء طبع قوي، فقالت لي: أنت أعلم وما تختاره، والله ما أحب منعك من شيء، وإني لأكره أن تشتهر به فتسقط ويفتضح أبوك وجدك، فقلت: لا تخافي من ذلك، فإنما آخذ منه مقدار ما ألهو به، ولازمت الجارية لمحبتي إياها بِعِلَّةِ الغناء حتى تقدمت سائرهم حذقاً وصنعةً، وأقررن [1] لي بذلك، وبلغت ما كنت أريده منه ومن أمر الجارية، وصرت ألازم مجلس جدي، وكان يسر بذلك ويظنه تقرباً مني إليه، وانما كان وكدي فيه أخذ الغناء، فلم يكن يمر لإسحاق ولا لابن جامع ولا للزبير بن دحمان، ولا لغيرهم صوت الا اخذته، ثم أحسست من نفسي قوة في الصنعة، فصنعت أول صوت صنعته في شعر العرجي: [2] [الطويل] [ص ١٥٧]

أماطت كساء الخز عن حرّ وجهها … وأدنت على الخدين برداً مهلهلاً

ثم صنعت: [3] [المنسرح]

أقفر من بعد أهله سرف … فالمنحنى فالعقيق فالجرف [4]

وعرضتهما على الجارية التي كنت أهواها، وسألتها عما عندها فيهما، فقالت: لا يجوز أن يكون في الصنعة شيء فوق هذا، وكان جواري الحارث بن

(١) أقررن: أي الجواري اللواتي مع الجارية التي يحبها

(٢) الشعر للعرجي في ديوانه ص ٢٨٥ والأغاني ١٩ / ٢٣٧.

(٣) البيت في الأغاني ١٩ / ٢٣٧ ـ ٢٥٣.

(٤) سرف موضع على ستة أميال من مكة، المنحنى: أرض لبنى أسد.

العقيق: موضع بناحية المدينة فيه عيون ونخل. الجرف: موضع قريب من ودّان وهو منازل بني سهم بن معاوية من هذيل.

بسخنر وجواري ابنه محمد (١) يدخلن إلي جارنا، ويطرحن على جواري عمتي وجواري جدي ويأخذن أيضا ما ليس عندهن من غناء دارنا، فسمعنني ألقي هذين الصوتين على الجارية فأخذنهما مني، وسألن الجارية عنهما، فأخبرتهن أنهما من صنعتي، ثم اشتهرا حتى غُنِّيَ الرشيد بهما يوما فاستظرفهما، وقال لإسحاق: تعرفهما؟ قال: لا، وإنهما لمن حسن الصنعة ومتقنها، ثم سأل الجارية فتوقفت خوفاً من عمتي، وحذراً أن يبلغ جدي أنها ذكرتني، فانتهرها الرشيد، فأخبرته القصة، فوجه من وقته فدعا بجدي فأحضره فقال: يا فضل، يكون لك ابن يغني ثم يبلغ في الغناء المبلغ الذي يمكنه أن يصنع صوتين يستحسنهما إسحاق وسائر المغنين، ويتداولهما جواري القيان ولا تعلمني بذلك؟! كأنك رفعت قدره عن خدمتي في هذا الشأن، فقال له جدي: وحق ولائك يا أمير المؤمنين ونعمتك، وإلا فأنا نفيّ منها بريء من بيعتك، وعلى العهد والميثاق والعتق والطلاق، إن كنت علمت بشيء من هذا من ولدي قط، إلا منك الساعة، فجاء جدي وهو يكاد أن ينشق غيظاً، فدعاني فخرجت إليه، وقال: يا كلب، بلغني من امرك ومقدارك أن تحسن أن تتعلم الغناء بغير أمري، ثم لم تقنع بهذا حتى ألقيت صنعتك على الجواري في داري ثم تجاوزتهن إلى جواري الحارث بن بسخنر، فاشتهرت وبلغ أمير المؤمنين ذلك، فتنكر لي ولامني، وفضحتني وفضحت آباءك في قبورهم، وسقطت إلى الأراذل من المغنين، فبكيت غماً بما جرى مني، وعلمت أنه قد صدق، فرحمني وضمني إليه وقال: قد صارت الآن في أبيك مصيبتان، إحداهما به وقد مضى وفات، والأخرى فيك، وهي موصولة بحياتي، ومصيبة باقية العار عليَّ وعلى أهلي بعدي، وبكى وقال: يعزُّ عليّ يا

---

(١) بسخنر: هو محمد بن الحارث بن بسخنر، ويكنى أبا جعفر من موالي المنصور، وأصله من الري وكان يزعم أنه من ولد بهرام جور، ولد بالحيرة وكان يغني مرتجلاً، وكان يغني على المعزفة. أخباره في الأغاني. (الأغاني ١٢ / ٦١ - ٦٨).

بني أن أراك على غير ما أحب، وليست لي [ص ١٥٨] في هذا الأمر حيلة، لأنه قد خرج من يدي، ثم قال: جئني بعود حتى أسمعك وأنظر كيف أنت، فإن كنت تصلح للخدمة في هذه الفضيحة، وإلا جئته بك منفرداً وعرفته بخبرك، واستعفيته لك، فأتيته بعود وغنيت غناءً قديماً، فقال: بل غن صوتيك اللذين صنعتهما، فغنيته إياهما فاستحسنهما وبكى، ثم قال: بطلت والله يا بني وخاب أملي فيك، فواحزناً عليك وعلى أبيك، فقلت: ليتني مت يا سيدي من قبل ما أنكرته ولخرست، ومالي حيلة، ولكن وحياتك يا سيدي، وإلا فعليَّ عهد الله وميثاقه، والعتق والطلاق وكل يمين يحلف بها حالف، لازمةٍ لي، لا غنيته أبداً إلا لخليفةٍ أو وليّ عهدٍ، فقال لي: قد أحسنت فيما قد تنبهت عليه من هذا، ثم ركب وامرني فأحضرت ووقفت بين يدي الرشيد، وأنا أرعد، واستدناني حتى صرت أقرب إليه، ومازحني واقبل علي، وسكن مني، وامر جدي بالانصراف، واومأ إلى الجماعة فحدثوني وسقوني اقداحاً، وغنى المغنون جميعاً، واومأ إلى إسحاق أن أغني إذا بلغت النوبة إليَّ، ليكون ذلك أملح،فلما بلغت النوبة إليّ أخذت عوداً ممن كان إلى جانبي، وقمت قائماً واستأذنت في الغناء، فضحك الرشيد وقال: غَنِّ جالساً، فجلست فغنيت لحني الأول، فطرب واستعادني ثلاث مرات، وشرب عليه ثلاثة أقداح وأنصاف، فكانت هذه حاله، فدعا مسروراً فقال: احمل إليه الساعة عشرة آلاف درهم (١)، وثلاثين ثوباً من فاخر ثيأبي وعتيدةً مملوءةً طيباً، فَحُمِلَ ذلك أجمع معي.

قال عبدالله: ولم أزل كلما أراد وليُّ عهد أن يعلم من الخليفة بعد الخليفة الوالي، أهو أم غيره، دعاني (٢) وأمرني أن أغني، فأعرفه بيميني [فيستأذن

---

(١) في الأغاني: (عشرة آلاف دينار).

(٢) في الأصل: (عادني) ولا تستقيم.

الخليفة في ذلك، فإن أذن لي في الغناء عنده عرف أنه ولي عهد] (١) وإلا عرف أنه غيره، حتى كان آخرهم الواثق، فدعاني في أيام المعتصم وسأله أن يأذن لي في الغناء فأذن لي، ثم دعاني المعتصم من الغد فقال: ما صار غناؤك إلا سبباً لإظهار سري وأسرار الخلفاء قبلي، لقد هممت أنْ آمر بضرب عنقك، لا يبلغني أنك امتنعت من الغناء عن أحد، فوالله لئن بلغني لأقتلنك وأعتق من كنت تملكه يوم حلفت من المماليك، وطلق من كان عندك يومئذ من الحرائر، واستبدل بهن، وعليَّ العوض من ذلك وأرِحْنا من يمينك هذه المشؤومة، فقمت من عنده وأنا لا أعقل، فاستفتيت (٢) أبا يوسف القاضي حتى [ص ١٥٩] خرجت من يميني، وصرت بعد ذلك أُغَنِّي لإخواني جميعاً، حتى اشتهر أمري وبلغ المعتصم خبري، فتخلصت منه، ثم غضب علي الواثق لشيء أنكره، وولي الخلافة وهو ساخط علي، فكتبت إليه: (٣) [الكامل]

أدعــو إلهي أن أراكَ خليــفــةً ... بينَ المقــامِ ومسجــدِ الخَـيْفِ (٤)

فدعاني ورضي عني و قال سليمان بن أبي شيخ: دخلت على العباس بن الفضل بن الربيع ذات يوم وهو مختلط مغتاظ، وابنه عبدالله عنده، فقلت له: مالك أمتع الله بك، فقال: لا يفلح والله ابني هذا أبداً، فظننته قد جنى جناية، فجعلت أعتذر إليه [له] فقال: ذنبه أعظم من ذلك وأشنع، قلت: وما ذنبه؟

(١) ما بين المعقوفتين سطر ساقط من الأصل، والتتمة من الأغاني ١٩ / ٢٤٠ .

(٢) في الأصل (فاستقبلت أبي يوسف) .

(٣) البيت مع آخر في الأغاني ١٩ / ٢٤٠ لعبدالله بن العباس الربيعي .

(٤) الخيف : ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن ميل الماء، ومنه سمي مسجد الخيف من منى، وهو خيف بني كنانة (ياقوت : الخيف) .

قال: جاءني بعض غلماني فحدثني أنه رآه يشرب بقُطْرُبَّل [١] الداذي [٢] بغير غناء، فهل هذا فعل من يفلح؟ فقلت له وأنا أضحك: سَهَّلْت عليَّ القصة، فقال: لا تقل ذاك، فإن هذا من ضَعَةِ النفس وسقوط الهمة، فكنت إذا رأيت عبدالله بعد ذلك في جملة المغنين، وشاهدت تَبذُّلَهُ في هذا الحال، وانخفاضه عن مرتبة أهله، ذكرت قول أبيه.

قال: قالت بَذْلُ الكبيرةُ لعبدالله بن العباس: قد بلغني أنك قد عشقت جارية يقال لها عساليج، فاعرضها عليَّ، فأما إن عذرتك في حبها، أو عذلتك في أمرها[٣]، فوجه بها إليها وقال لبذل: هذه سيدتي فانظري واسمعي ومُرِي بما شئت أطعك، فأقبلت عليه عساليج فقالت: يا عبدالله، أتشاوِرُ فيّ، ووالله ما شاورت فيك لما صاحبتك، فَنَعَرَتْ[٤] بَذْلَ وقالت: أحسنت والله ياصبية، ولو لم تحسني شيئاً ولا كانت فيك خصلة تجمل، لوجب أن تعشقي لهذه الكلمة، ثم قالت لعبدالله: ما صنعت، احتفظ بصاحبتك. قلت: وربما أن فيها قوله:[٥] [الرمل]

إنَّ في القلبِ مِنَ الظَّبي كلومُ فَدَعِ اللَّومَ فإن اللومَ لُومُ [٦]

(١) قطربل: قرية بين بغداد وعكبرا ينسب إليها الخمر، ومازالت متنزها للبطالين وحانة للخمارين، وقيل: هو اسم لطسوج من طساسيج بغداد أي كورة، فما كان شرقي الصراة فهو بادوريا، وما كان غربيها فهو قطربل (ياقوت ومعمم ما استعجم: قطربل).

(٢) الداذي: شراب وهو نبت او شيء له عنقود مستطيل وحبه على شكل حب الشعير يوضع منه مقدار رطل في الفرق فتعبق رائحته ويجود اسكاره، ووصف بأنه شراب الفساق. قال الشاعر:

شربنا من الداذي حتى كأننا ملوك لنا بر العراقين والبحر (اللسان: داذي)

(٣) كذا في الأصل، ولعل الوجه «فإما عَذَرْتُكَ في حُبّها وإما عذلتك في أمرها». [المراجع].

(٤) نعرت: صاحت وصوتت بخيشومها.

(٥) الشعر لعبد الله بن العباس الربيعي في الأغاني ١٩/ ٢٧٣.

(٦) لوم: مخفف لؤم.

لـم أَكُـنْ أوَّل مَـنْ سَـنَّ الـهَـــوَى فَـــدَعِ العَـــذْلَ فَـــذَا داءٌ قَـــدِيمُ

قال عبدالله بن العباس الربيعي [ص ١٦٠] لقيني سوار بن عبدالله القاضي، وهو سوار الأصغر (١)، فأصغى إليَّ وقال: إن لي إليك حاجة، فأتني في خفيٍ، فأتيته فقال لي: قد أنست إليك لأنك لي كالولد، ولي إليك حاجة، فإن ضمنت كتمانها أفضيت بها إليك، فقلت: ذاك للقاضي عليَّ فرض واجب، فقال لي: إني قلت أبياتاً في جارية لي أميل إليها، وقد هجرتني، وأنا أحب أن تصنع فيها لحناً وتسمعنيه، فإن غنيته وأظهرته بعد ألا يعلم أحد أنه شعري، فلستُ أبالي، أتفعل ذلك؟ قلت: حباً وكرامةً للقاضي، فأنشدني سوار لنفسه: (٢) [الطويل]

سلَبْتِ عظامي لحمهَا فتَركْتِهـا عَـــواريَ في أجــــلادها تَتَكَسَّـــرُ
وأخليتِ منهـا مُـخَّـهـا فـتَـركْـتِـهـا أنابيبَ في أجـوافِـهـا الريحُ تَصْـفـرُ
إذا سَـمِـعَتْ ذكْـرَ الفـراق تَرَعَّـدَتْ مـفـاصلُها من هول مـا تَتَـحـدَّرُ
خذي بيدي ثم ارفعي الثوبَ فانظري بلى جـــســـدي لكنَّني أتَسَـتَّـــرُ
وليس الذي يجـري من العين مـاؤها ولكـنَّـهـــا رُوْحُ تذوبُ فَـــتَـــقْطرُ

قال عبدالله: فصنعت لحناً ثم عرّفْتُه خَبَره في رقعةٍ، وسألته أن يعدني المصير إليه، فكتب إليَّ: نظرت في القصة، فوجدت هذا لا يصلح ولا ينكتم حضورك، ولا سماعي إياك، وأسأل الله أن يَسُرَّ ويبقيك، فغنيت بالصوت حتى ظهر وتغنى به الناس، فلقيني سوار يوماً فقال لي: يابن أخي شاع أمرك في ذلك الباب، حتى سمعناه من بعيد، كأننا لم نعرف القصة.

(١) هو سوار بن عبدالله بن سوار بن عبدالله بن قدامة، من بني العنبر، من تميم، قاضٍ له شعر رقيق وعلم بالفقه والحديث من أهل البصرة، سكن بغداد وولي بها قضاء الرصافة توفي سنة ٢٤٥ هـ.

(٢) الشعر لسوار بن عبدالله في الأغاني ١٩/ ٢٦٩.

٦٢- أبو صَدَقَة (١)

من المشهورين في أهل الموسيقا، والمشكورين تحقيقا، أطرب أصواتاً، وأحيا نفوساً مواتاً،خطب للتقريب و خُطِيَ إليه من غير مكان قريب، وإذا كان اندفع يغنِّي استوجف الطير، وأوقف الراكب العجل عن السير، فكل مطرب يطير في الأوتار، ويطيب به حتى ذو الاقتار، لا يُغلب على تدبير، ولا يشبه تَلَعُّبَهُ بالقلوب لاعب بالماء في الغدير(٢).

قال أبو الفرج:(٣) كان الرشيد يعبث به كثيراً، فقال ذات يوم لمسرور: قل لابن جامع، وإبراهيم الموصلي، والزبير [ص ١٦١] بن دحمان وبرصوما، وابن أبي مريم المديني، إذا رأيتموني قد طابت نفسي فليسألني كل واحد منكم حاجة، مقدارها مقدار صلته، وذكر لكل واحد منهم مبلغ ذلك، وأمرهم أن يكتموا أمرهم عن أبي صدقة، فقال لهم مسرور ما قال له، ثم أذن لأبي صدقة قبل إذنه لهم، فلما جلس قال: يا أبا صدقة، قد أضجرتني(٤) كثرة مسألتك، وأنا في هذا اليوم ضجر قد أحببت أن أتفرج وأفرح، ولست آمن أن تنغص عليَّ مجلسي بمسألتك، فإما إن أعفيتني أن تسألني اليوم حاجة [وإلا فانصرف]، قال: يا

---

(١) أبو صدقة: هو مسكين بن صدقة، من أهل المدينة، مولى لقريش، كان مليح الغناء، طيب الصوت، كثير الرواية، صالح الصنعة، من أكثر الناس نادرة، وأخفهم روحاً، وأشدهم طمعا، وألحهم في مسألة، وكان له ابن يقال له صدقة يغني وليس من المعدودين، وابن ابنه أحمد بن صدقة الطنبوري أحد المحسنين من الطنبوريين، وله صنعة جيدة، وكان أشبه الناس بجده في المزح والنوادر، وأبو صدقة من المغنين الذين أقدمهم هارون الرشيد من الحجاز في أيامه، أخباره في الأغاني. (الأغاني ١٩/٣٠٣-٣١٣).

(٢) في الأصل:« ولايشبه يلعبه بالقلوب لاعبٌ بالمآقي الغدير» وقرأته كما ترى [المراجع].

(٣) الخبر في الأغاني ١٩/٣٠٨ وما بعدها.

(٤) في الأصل:« ضجرتني» وفي اللغة : أضْجره: جعله يضجر.[المراجع].

سيدي لست أسألك في يومي هذا ولا إلى شهر حاجة، فقال له الرشيد: أما إذ قد شرطت لي هذا على نفسك فقد اشتريت منك حوائجك بخمس مئة دينار، وها هي ذهْ فخذها طيبة معجلة، فإن سألتني بعدها في هذا اليوم فلا لوم عليَّ إن لم أصلك سنة بشيء، فقال له: نعم، فقال له الرشيد، زدني في الوثيقة، فقال: قد جعلت أمر أُمٍّ صدقة إليك فطلقها منِّي متى شئت، إن شئت واحدة، وإن شئت ألفاً، إن سألتك في يومي هذا حاجة، وأشهد الله ومن حضر على ذلك، ودفع المال إليه، ثم أذن للجلساء والمغنين فدخلوا، وشرب القوم، فلما طابت نفس الرشيد، قال ابن جامع: يا أمير المؤمنين، قد نلت بك مالم تبلغه أمنيتي، وكثر إحسانك إليَّ حتى قتلت أعدائي، وليس لي بمكة دار تشبه حالي، فإن رأى أمير المؤمنين أنْ يأمر لي بمال أبني به داراً وأفرشها، لأفقأ عيون أعدائي وأزهق نفوسهم، فعل، فقال: كم قدرت لذلك؟ قال: أربعة آلاف دينار، فأمر له بها ثم قام إبراهيم الموصلي فقال: قد ظهرت نعمتك عليَّ وعلى أكابر ولدي، وفي أصاغرهم من قد بلغ وأريد تزويجه، ومنهم من أحتاج أن أطهره، ومنهم صغار وأحتاج أن أتخذ لهم خدماً، فإن رأى أميرالمؤمنين أن يحسن معونتي على ذلك، فأمر له بمثل ما أمر لابن جامع.

وجعل كل واحد منهم يقوم فيقول من الثناء ما يحضره، ويسأل حاجة على قدر جائزته، وأبو صدقة ينظر إلى الأموال تفرق يميناً وشمالاً، فوثب على رجليه قائماً ورمى بالدنانير من كمه، وقال: يا أمير المؤمنين أقلني أقال الله عثرتك، قال له الرشيد: لا أفعل، فجعل يستحلفه ويضطرب ويلح، والرشيد يضحك ويقول [ص ١٦١]: ما إلى ذلك سبيل، الشرط أملك، فلمَّا عِيْلَ صَبْرُهُ أخذ الدنانير فرمى بها بين يدي الرشيد، فقال: هاكها قد رددتها عليك وزدتك فرج أم صدقة، فطلقها إن شئت واحدة، وإن شئت ألفاً، وإنْ لم تلحقني بجوائز القوم،

فألحقني بجائزة هذا البارد ابن البارد، وأراد بذلك عمر بن الغزال، وكانت [صلته ألف دينار، فضحك الرشيد حتى استلقى، ثم رد عليه خمس مئة الدينار، وأمر له [بـ] (١) ثلاثة آلاف دينار معها، وكان ذلك أكثر ما أخذه منه منذ يوم خدمته إلى أن مات.

قال: دخل جعفر بن يحيى على الرشيد صبيحة يوم مطر، فسأله عن يومه الماضي وما صنع فيه، فقال: كان عندي أبو زكَّار الأعمى (٢) وأبو صدقة، فغناني أبو صدقة صوتاً من صنعته فطربت ووالله يا أمير المؤمنين طرباً ما أذكر أني طربت مثله وهو: (٣) [الخفيف]

فَتَنَتْني بفاحم الَّلون جَعْد … وبثغرٍ كأنه نَظْمُ دُرٍّ
وبوجْهٍ كأنّهُ طلعةُ البَدْ … ر وعين في طَرْفِهَا نَفْثُ سِحْرَ

فقلت له: أحسنت يا أبا صدقة، فلم أسكت عن هذه الكلمة حتى قال لي: يا سيدي، إني قد بنيت داراً وقد انفقت عليها حريبتي (٤)، وما أعددت لها فرشاً فافرشها لي، نجَّدَ (٥) الله لك ألف قصر في الجنة، فتغافلت عنه، وأعاد الغناء والمسألة، فتغافلت، فقال: يا سيدي، هذا التغافل متى حدث لك؟ سألتك الله، وبحق أبيك عليك إلا أجبتني عن كلامي ولو بشتم، فأقبلت عليه وقلت: أنت والله بغيض، فاكفف عن المسألة الملحة، فوثب من بين يدي، فظننت أنه يخرج

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل، والتكملة من الأغاني وبها يستقيم المعنى.
(٢) أبو زكَّار الأعمى: رجل من أهل بغداد من قدماء المغنين، كان منقطعاً إلى البرامكة وكانوا يؤثرونه ويفضلون عليه أفضالاً. (الأغاني ٧/ ٢٤٦).
(٣) البيتان في الأغاني ١٩/ ٣١٠.
(٤) حريبة الرجل: ماله الذي سلبه.
(٥) نجد: زين.

لحاجةٍ، فإذا هو قد نزع ثيابه، وتجرد منها خوفاً من المطر، ووقف تحت السماء لا يواريه شيء، والمطر يأخذه، فرفع رأسه فقال: يا رب أنت تعلم أني مُلهٍ ولست نائحاً، وعبدك هذا الذي رفعته عليَّ وأحوجتني إليه، يقول لي أحسنت، ولا يقول لي أسأت، وأنا منذ جلست اقول له بنيت ولا أقول له هدمت، فيحلف بك جراءة عليك أني بغيض، فاحكم بيني وبينه يا سيدي، فأنت خير الحاكمين. فغلبني الضحك وأمرت به فجيء، وجهدت به في أن يُغني، فامتنع حتى حلفت له بحياتك أني أفرش له داره يا أمير المؤمنين، وخدعته فلم أسمّ له ما أفرشها به، فقال الرشيد [ص ١٦٣]: طيب والله [الآن] تمَّ لنا اللهو، هو ذا ادعوه، فإذا رآك فسيتنجز لك الفرش، لأنك حلفت له بحياتي، فهو يقتضيك ذلك بحضرتي ليكون أوثق، فإن قال لك فيه فقل: أنا أفرشها لك بالبواري (١)، وإن شئت فالبردي (٢) من الحصر، وحاكِمهُ إلي، ثم دعا به فأُحضر، فلما استقر في مجلسه قال لجعفر: الفرش الذي حلفت بحياة أمير المؤمنين الذي تفرش به داري تقدم فيه، فقال له جعفر: تخير إن شئت فرشتها لك بالبواري، وإن شئت فالبردي من الحصر، فضج واضطرب، فقال له الرشيد: وكيف كانت القصة؟ [فأخبره] فقال له: أخطأت يا أبا صدقة، إذ لم تَسَمِّ النوع ولم تحدد القيمة، فإن فرشها لك بالبواري، أو بما دون ذلك، فقد وفى بيمينه، وإنما خدعك ولم تفطن أنت ولا توثقت، وضيعت حقك، فسكت وقال: نوفر عليه أيضاً، البردي والبواري أعزَّه الله.

وغنى المغنون، حتى انتهى الدور إليه، فأخذ يغني غناء الفلاحين والملاحين والسقائين، وما جرى مجراه من الغناء، فقال له الرشيد: وأي شيء هذا من الغناء

(١) البواري: جمع البارية، وهي الحصير المنسوج.

(٢) البردي: نبات مائي من الفصيلة السعدية تسمو ساقه الهوائية إلى نحو متر أو أكثر ينمو بكثرة في منطقة المستنقعات بأعالي النيل وصنع منه المصريون القدماء ورق ا البردي المعروف.

ويلك، قال: من فُرِشَتْ داره بالبواري والبردي، فهذا الغناء كثير منه، وكثير أيضاً لمن هذه صلته، فضحك الرشيد وطرب وصفق، وأمر لَهُ بألف دينار من ماله، فقال له: افرش دارك من هذه، فقال له: وحياتك لا آخذها أو تحكم عليه بما وعدني، وإلا متُّ والله أسفاً لفوت ما وعدني به، فحكم له على جعفر بخمس مئة دينار، فقبلها جعفر وأمر له بها.

٦٣-عَمْرو بن أبي الكَنَّات (١)

مطرب نهج السَّنَن(٢) القديم، وأحَلَّ الغائب في محل النديم، واسمع كل ذي إصغاء، وجمع كل ذي ابتغاء، وغنَّى والناس في صنوف المعايش لاهية قلوبهم، أشتات مطلوبهم، بين دان ونازح، ومقبل على معاشه، ومقيل في رياشه، فجعلوا رؤيته دأب(٣) نواظرهم، وغناءه شغل خواطرهم، حتى لكاد يطرب الحيتان في الماء، والطير صافات في جو السماء.

قال أبو الفرج، قال بعضهم: وافقتُ ابن أبي الكنَّات في جسر بغداد في أيام الرشيد، فحدثته [بحديث] اتصل بي عن ابن عائشة [ص ١٦٤] في الموسم، أنه مر به فقال: إني لأعرف رجلاً لو تكلم لحبس الناس، فلم يذهب أحد ولم يجيء، فقلت: ومن هذا الرجل؟

قلت: أنا، ثم اندفع يُغني: (٤) [الوافر]

---

(١) عمرو بن أبي الكنَّات: هو عمرو بن عثمان بن أبي الكنَّات، مولى بني جمح، مكي مُغنٍّ محسن موصوف بطيب الصوت، من طبقة ابن جامع وأصحابه كان الرشيد يؤثره ويكرمه، أخباره في الأغاني (الأغاني ٢٠ / ٣٧١ - ٣٧٦).

(٢) في الأصل: «السنين القديم» والسَّنَنُ: النهج. [المراجع].

(٣) في الأصل: «دوابّ» والدأب: العادة والملازمة. [المراجع].

(٤) البيت لزهير بن أبي سلمى في ديوانه ص ٥٩ والأغاني ٢ / ٢٠١.

جَـرَتْ سُنحـاً فَـقُلْتُ لَهَـا أجِـيْـزي نَوى مَـشْـمُـولَةً فَـمَـتَى الْلِقَـاءُ

قال: فحبس الناس واضطربت المحامل [١] وكادت الفتنة أن تقع، فأتي به هشام فقال له: يا عدوَّ الله، أردت أن تفتن الناس، فأمسك عنه، وكان تياها، فقال له: ارفق بتيهك، فقال ابن عائشة: حق لمن كانت هذه مقدرته على القلوب ان يكون تياهاً، فضحك وأطلقه، فقال ابن أبي الكنات: فأنا أفعل كما فعل، وقدرتي على القلوب أكثر من قدرته كانت، ثم اندفع يغني في هذا الصوت ونحن على جسر بغداد، وكان إذ ذاك على بغداد ثلاثة جسور معقودة، فانقطعت الجسور بالناس من ازدحام الخلق عليها فأتى به الرشيد فقال: يا عدو الله أردت أن تفتن الناس، قال: لا والله يا أمير المؤمنين، ولكن بلغني أن ابن عائشة فعل مثل هذا في أيام هشام، فأردت أن أكون في أيامك، فأمر له بمال، واحتبسه عنده ليسمع غناءه.

قال يحيى بن يعلى بن معبد: بينا أنا ليلة في منزلي في الرمضة أسفل مكة، إذ سمعت صوت عمرو بن أبي الكنَّات كأنه معي، فأمرت الغلام فأسرج لي دابتي، وخرجت أريده، فلم أزل أتبع الصوت حتى وجدته جالساً على الكثيب العارض على بطن عرنة [٢]، قلت: وهذا كذب لا شك فيه، إذ لا يبلغ حاسة الأذان إلى بعض ذلك[٣].

(١) المحامل: ما يحمل على البعير، وهما شقان على البعير يحمل فيهما العديلان.

(٢) بطن عرنة: واد بحذاء عرفات، وقيل مسجد عرفة (ياقوت: عرنة).

(٣) كذا في الأصل؛ ولعلّه: «إذْ لا تبلغ حاسّة الأذن...» [المراجع].

٦٤- خَلِيْلان المُعَلِّم (١)

رجلٌ كان لما أراد مهيأً، خلط عملاً صالحاً وآخر سَيِّئاً، كان يلقن القرآن ويعلم الغناء، ويقرب من هذا وهذا الأدناء، وكان بابة(٢) الذكر في أهل الشأن، تائه العطف لا يتقدم الزمان، لو جالس كئيبا لانشرح، وحبيباً مسكه تيه الحب لاطّرح، لألحان حرها وأصوات مثل بيت جان لم تصورها.

قال أبو الفرج: كان يعلم الصبيان القرآن، ويعلم الجواري الغناء [ص ١٦٥] في موضع واحد.

قال بعضهم: وكنت يوماً عنده وهو يردِّدُ على صبيٍّ ﴿**ومِنَ النَّاسِ من يَشْتَرِى لَهْوَ الحَدِيثِ لِيُضِلَّ عن سبيل اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ**﴾ (٣)، ثم يلتفت إلى صبية بين يديه يرددها عليها: (٤) [السريع]

اعــتَــادَ هَذا القلبُ بَلْبَــالُهُ أن قُــرِّبتْ للبينِ أجْــمَــالُهُ (٥)

فضحكت ضحكاً مفرطاً لفعله، فالتفت إليَّ وقال: مالك ويلك؟ فقلت: ما سبقك إلى هذا أحد، انظر أي شيء أخذت على الصبي من القرآن، والله إني لأظنك ممن يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله، فقال: أرجو ألا أكون كذلك إن شاء الله تعالى.

قال عبدالصمد بن المعذل: دخل يوماً خليلان المعلم على عقبة بن سلم

---

(١) خليلان: هو الخليل بن عمرو، مكي، مولى بني عامر بن لؤي، مُقِلٌّ لا تعرف له صنعة غير صوت واحد، كان خليل المعلم يلقب خليلان، وكان يؤدب الصبيان ويلقنهم القرآن والخط، ويعلم الجواري الغناء في موضع واحد، أخباره في الأغاني. (الأغاني ٢١ / ٢٠٠ ـ ٢٠٤).

(٢) في الأصلك «بابه» وبابةُ الشيء : وجْهُه ومايَصْلُح له. [المراجع].

(٣) سورة لقمان الآية ٦.

(٤) الشعر لعمر بن أبي ربيعة من قطعة في ديوانه ص ٤٩٩ والأغاني ٢١ / ٢٠٠.

(٥) البلبال: شدة الهم والوسواس. البين: الفراق.

الأزدي الهنائي فاحتبسه عنده، فأكل وشرب، فحانت منه التفاتة فرأى عوداً معلقاً، فعلم أنه عرض له به، فدعا به وأخذه وغنّى [١]: [المديد]

يابْنَةَ الأزديِّ قلْبِي كـئـيبُ مُسْتَهَامٌ عِنْدَها مَا يُنِيْبُ

والتفت فرأى وجه عقبة بن سلم متغيراً، قد ظن أنه عرّض به [٢]، ففطن، فغنى غيره، فسرَّ عقبة وشرب فلما فرغ وضع العود من حجره، وحلف بعد ذلك بالطلاق ثلاثاً أنه لا يغنِّي إلا على من يجوز أمره عليه.

والصوت الذي صنعه: [٣] [المتقارب]

ألا طَرَقَتْ في الدُّجى زينبُ وأحْبِبْ بزينبَ إذْ تَطْرُقُ
عَجِبْتُ لزَيْنَبَ إنِّي سَرَتْ وزينبُ من ظِلِّها تَفْرَقُ

٦٥- عُبَيْدَةُ الطُّنْبُوريَّة [٤]

مهزُّ قضيب، وممر كثيب، وربيبة كناس، وحبيبة أناس، برعت في الضرب بالطنبور، وأسرعت إلى الصدور بالحبور، وعدلت عن العود وتعب صناعته، وتأبى طاعته وصدورة شيرته[٥]، وكثرة تعجيزه، إلى ما خف موقعاً، وكان مقنعاً، وجاءت فيه بكل إجادة، وجاوزت غاية العود وزيادة.

(١) الشعر لعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق في الأغاني ١/٥٨و ٢١/٢٠١.

(٢) عرض به: أي ظن أنه شبب بابنته.

(٣) الشعر لابن رهيمة في الأغاني ٢١/١٩٩.

(٤) عبيدة الطنبورية: كانت من المحسنات المتقدمات في الصنعة والآداب يشهد لها بذلك إسحاق الموصلي، وكان أبو حشيشة محمد بن علي بن أمية يعظمها ويعترف لها بالرياسة والأستاذية، وكانت من أحسن الناس وجها، وأطيبهم صوتاً، ذكرها جحظة في كتاب الطنبوريين والطنبوريات وقال: كانت من المحسنات، وكانت لا تخلو من عشق، ولم يعرف في الدنيا أعظم منها في الطنبور ،أخبارها في الأغاني وتوفيت نحو سنة ٢٢٥ هـ. (الأغاني ٢٢/٢٠٧ ـ ٢١٤).

(٥) كذا في الأصل؛ ولعلها: «وصدود نشيزه». [المراجع].

قال أبو الفرج، قال علي بن الهيثم اليزيدي: دعوت يوماً إسحاق الموصلي وكان يألفني فقال [ص ١٦٦]: من عندك؟ قلت: محمد بن عمرو بن مسعدة، وهارون بن هشام، وقد دعونا عبيدة الطنبورية، فقال: أفعل، فإني كنت أشتهي أن أسمع عبيدة، ولكن لي عليك شريطة، فقلت: هاتها، قال: إن عرفتني وسألتموني أن أغني بحضرتها، لم يَخْفَ عليها أمري وانقطعت، فلم تصنع شيئاً، فدعوها على حجلتها(١)، فقلت: أفعل ما أمرتَ به، فنزل وردَّ دابته، وعرَّفتُ صاحبي ما جرى، وأكلنا ما حضر، وقدم النبيذ، فغنت لحناً: (٢) [مجزوء الوافر]

قريبٌ غيرُ مُقْتَرِبِ ومؤتَلِفٌ كَمُجْتَنِبِ
لَهُ وُدِّي ولي مِنْهُ دواعي الهَمِّ والكَرِبِ
أواصِلُهُ على سَبَبٍ ويهجُرُني بلا سَبَبِ
ويظلُمُني على ثِقَةٍ بأنَّ إليهِ مُنْقَلَبي

فطرب إسحاق وشرب نصفاً، ثم غنت وشرب حتى والى بين عشرة أنصاف، وشربناها معه، وقام يصلي فقال لها هارون بن أحمد بن هشام: ويحك يا عبيدة، ما تبالي والله متى مُتِّ، قالت: ولِمَ؟ قال: أتدرين من المستحسن غناءك والشارب عليه ما شرب؟ قالت: لا والله، قال: إسحاق بن إبراهيم الموصلي، فلا تُعرِّفيه أنك قد عرفته، فلما جاء إسحاق ابتدأت تغني، فَلَحِقَتْهَا هَيْبَةٌ له واختلاط، فنقصت نقصاناً بيناً، فقال لنا: أعرّفتموها من أنا؟ فقلنا: نعم، عرفها هارون بن أحمد، فقال إسحاق: نقوم إذاً فننصرف، فلا خير في عشرتكم الليلة، ولا فائدة لي ولا لكم، ثم قام فانصرف.

---

(١) في الأصل: «جملتها». [المراجع].

(٢) الشعر في الأغاني ٢٢/٢٠٨.

قال جحظة حدثني شرائح [١] قال: كانت عبيدة تعشقني فتزوجت فمرت بي يوماً، فسألتها الدخول إلي، فقالت: يا كشخان [٢]، كيف أدخل إليك وقد أقعدت في بيتك صاحب مسلحة، ولم تدخل.

قال: وكان لها غلام يضرب عليها يقال له عليٌّ ويلقب ظِئْر [٣] عبيدة، وكانت إذا خلت في البيت وشبقت اعتمدت عليه، وتقول: بغلُ الطَّحان يصلح للحمل والطحن والركوب.

قال: اجتمع الطنبوريون عند أبي العباس الرشيد يوماً وفيهم المسدود وعبيدة، فقالوا للمسدود: غن، فقال: لا والله لا تقدمت عبيدة [ص ١٦٧] وهي الأستاذة، فما غنى حتى غنت.

قال جحظة: وهب لي جعفر بن المأمون طنبوراً فإذا عليه مكتوب: [٤] [مجزوء الخفيف]

كُلُّ شَيءٍ سِوَى الخِيَا نةِ في الحُبِّ مُحْتَمَلْ

٦٦- أبو حَشِيْشَة [٥]

سرى فأصبح، وأرى بصره الفاسد فأصلح، وفهم دقائق الغناء وأوضحها،

---

(١) هو شرائح الخزاعي صاحب ساباط شرائح بسويقة نصر، ونصر هو ابن مالك الخزاعي وسويقته بشرقي بغداد أقطعه إياها المهدي.

(٢) الكشخان: الديوث، وهو الرجل الذي لا يغار على حريمه وعرضه.

(٣) الظئر: في الأصل المرضعة، والمراد هنا شيء آخر.

(٤) البيت في الأغاني ٢٢ / ٢١٠.

(٥) أبو حشيشة: لقب غلب عليه، وهو محمد بن أمية ابن أبي أمية، يكنى أبا جعفر، وكان أهله جميعاً متصلين بإبراهيم بن المهدي، وكان هو من بينهم معنياً بالطنبور، يغني أحسن غناء، وخدم=

وعلم حقائق الطرب وفضحها، وسارّ الأوتار، وسامى النظراء، لا يرهقه الإقتار، ودخل أخبية الملوك وأخذ عطاياها، وحث مطاياها وفاز بصفوة مواهبها، وجلا عليهم حسان الأصوات المختارة في مذاهبها، وادخر خير أموالها، وأبقى الفضول لناهبها.

قال أبو الفرج، قال نوبخت: رأيته وقد حضرت عريب عند ابن المدبر، وقد تغنى، فقالت له عريب: أحسنت يا أبا جعفر، ولو عاش الشيخان ما قلت لهما هذا، علوية ومخارق.

قال جحظة، حدثني أبو حشيشة قال: هجم عليَّ خادم أسود فقال: البس ثيابك، فعلمت أن [هذا] لا يكون إلا عن أمر خليفة أو أمير، فلبستها ومضيت معه، فعبر بي الجسر، وأدخلني داراً لا أعرفها، فأدخلني في حجرة مفروشة، وجاءني بمائدة كأنها جزعة (١)، وقد نشر في أعراضها الخبز، فأكلت وسقاني رطلين، وجاء بصندوق ففتحه، وإذا فيه طنابير، فقال: اختر ما تريد، فاخترت واحداً، فأخذ بيدي فأدخلني إلى دار فيها رجلان، على أحدهما قباء غليظ ملحم (٢)، وعلى الآخر ثياب ملحم وخز، فقال لي صاحب الخز: اجلس، [فجلست] فقال لي: أكلت وشربت؟ قلت: نعم، فقال: قل ما نقول لك، فقلت: قل ،فقال: غنِّ بصنعتك: (٣) [الخفيف]

يا مَلِيْحَ الإقبالِ والانصرافِ ومَلولاً ولو أَشَا قُلْتُ جَافِي

=جماعة من الخلفاء أولهم المأمون ومَنْ بعده إلى المعتمد،و كان أكثر انقطاعة إلى أبي أحمد بن الرشيد أيام حياته، وكان أبوه وجده وأخواله كتابا. (الأغاني ٢٣/ ٨١ ـ ٩١)

(١) الجزعة: واحدة الجزع وهو ضرب من العقيق يعرف بخطوط متوازية مستديرة مختلفة الألوان.

(٢) الملحم: جنس من الثياب يختلف نوع سداه ولحمته، كالصوف والقطن أو الحرير والقطن.

(٣) البيت في الأغاني ٢٣/ ٨٣.

فغنيته إياه، ولم يزل يطلب مني صوتاً بعد صوت من صنعتي فأغنيه ويستعيده، ويشرب هو والرجل، وأسقى بالأنصاف المختوتة (١) إلى أن صلوا العشاء [ص ١٦٨] الآخرة، ثم أومأ إلى الخادم فقمت، فقال لي صاحب القباء منهما: أتعرفني؟ قلت: لا، قال: أنا إسحاق بن إبراهيم الطاهري، وهذا محمد ابن أسد الخناق، والله لا بلغني أنك تقول رأيتني لأضرُبنَّ عُنُقَكَ، انصرف، وخرجت، ودفع الخادم ثلاث مئة دينار، فجهدت أن يقبل منها شيئاً على سبيل البِرِّ، فلم يفعل.

٦٧- إسْحَاق المَوصِلي (٢)

رجل تعقد عليه الخناصر، ويعتد عليه الناصر، علم منوع ويَمٌّ لا يخلو من الإخلاطة بكل مشرع، أخذ من كل فن ظرفاً، وعلا على كل فضل شرفاً، حتى كان يعدُّ القضاء وناظر العلماء، وأبكى بغلبة الجفون دماء، وكان يربأ بنفسه إلى أن يدخل على الخلفاء مع أهل الفقه، ويختلط بهذا الشبه، وبرع في الأدب وأفانينه، وغنى بالشعر وتحسينه، وخلف وراءه السباق، وفي حسن نظمه وتحسينه، وحلّ من الرشيد فمن بعده من الخلفاء محل الأصفياء، وفازوا منه

(١) المختوتة: الناقصة.

(٢) إسحاق الموصلي: إسحاق بن إبراهيم بن ميمون التميمي الموصلي، أبو محمد ابن النديم، من أشهر ندماء ا لخلفاء، تفرد بصناعة الغناء وكان عالما باللغة والموسيقا والتاريخ وعلوم الدين وعلم الكلام راويا للشعر حافظاً للأخبار شاعراً له تصانيف، فارسي الأصل ولد ببغداد وعَمِيَ قبل وفاته بسنتين، نادم الرشيد والمأمون والواثق العباسيين، ولما مات نعي إلى المتوكل.
فقال: ذهب صدر عظيم من جمال الملك وبهائه وزينته، ألف كتبا كثيرة منها (كتاب أغانيه) التي غنى بها، توفي سنة ٢٣٥ هـ.
(الفهرست ١/ ١٤٠ وفيات الأعيان ١/ ٦٥ الأغاني ٥/ ٢٧٨ - ٤٤٩ وانظر فهرسته وتاريخ بغداد ٦/ ٣٣٨).

بالوفاء، وفاز هو بما تجلى له منهم من موارد الصفاء، وكانوا يرونه القلب الذي يسع سرورهم، والشباب الذي يحسن غرورهم، وأيامه مطويات إلى بلوغ آرابه، وسبوغ النعمة فيما زنده أورى به، هذا إلى عفاف تشهد به المضاجع، وكرم وخير وتقدم في أول وأخير، ونفس ما أشربت حب الحرام ولا اشرأبت إلى غير اختلاف الكرام.

قال أبو الفرج، قال إسحاق: بقيت زماناً من دهري أغلّس [1] كل يوم إلى هشيم، ثم أصير إلى الكسائي وأقرأ عليه جزءاً من القرآن، وآتي الفرّاء فأقرأ عليه أيضاً، ثم آتي منصور زلزل فيضاربني طرقين [2] أو ثلاثة، ثم آتي عاتكة بنت شهدة فآخذ منها صوتاً أو صوتين، ثم آتي الأصمعي فأناشده، وآتي أبا عبيدة فأذاكره، ثم أصير إلى أبي فَأُعْلِمُهُ ما صنعت، ومن لقيت، وما أخذت، وأتغدى معه، فإذا كان العشاء رحت إلى الرشيد.

قال إسحاق: دعاني المأمون يوماً فسألني عن صوت، فقال: أتدري من صنعه، فقلت: أسمعه، ثم أخبر أمير المؤمنين بذلك إن شاء الله تعالى، فأمر جارية من جواريه وراء الستارة، فغنت وضربت [ص ١٦٩] [فإذا] هي قد شبهته بالقديم، فقلت: زدني معها عوداً آخر، فإنه أثبت لي، فزادني عوداً آخر، فقلت: يا أمير المؤمنين، هذا الصوت مُحْدَثٌ لامرأة ضاربة، فقال: من أين قلت ذلك؟ فقلت لما سمعته وسمعت لينه، عرفت أنه من صنعة النساء، ولما رأيت جودة مقاطعه، علمت أن صاحبته ضاربة وقد حفظت مقاطعه وأجزاءه، ثم طلبت عوداً آخر فلم أشك، قال: صدقت، الغناء لعريب.

---

(١) في الأصل: (أغسل)، وأغلس: أي أذهب في الغلس وهو ظلمة آخر الليل.

(٢) الطرق: صوت أو نغمة بالعود ونحوه.

قال إسحاق بن إبراهيم الظاهري، حدثتني مخارق مولاتنا قالت: كان لمولانا الذي علمني الغناء فراش رومي، وكان يغني بالرومية صوتاً مليح اللحن، فقال لي مولاي: يا مخارق، خذي هذا اللحن الرومي فانقليه إلى شعر صوت من أصوات العربية حتى أمتحن به إسحاق الموصلي فأعلم أين يقع من معرفته، ففعلت ذلك، فصار إليه إسحاق فأجلسه، وبعث إليَّ مولاي أن أدخلي اللحن الرومي في وسط غنائك، فغنيته إياه في دَرْجِ أصوات مرت [قبله]، فأصغى إليه إسحاق وجعل يتفهمه ويقسمه ويتفقد أوزانه، فقال: هذا الصوت رومي اللحن، فمن أين وقع إليك؟، فكان مولاي بعد ذلك يقول: ما رأيت شيئاً أعجب من استخراجه لحناً رومياً لا يعرفه، ولا العلة فيه، وقد نقل إلى غناء عربي، وامتزجت نغمته، حتى عرفه ولم يَخْفَ عليه.

قال: تناظر المغنون يوماً عند الواثق، فذكروا الضُرّاب وَحِذْقَهُم، فقدم إسحاق ربرباً [1] على ملاحظ، ولملاحظ الرياسة في ذلك عليهم جميعهم، فقال لهم الواثق: هذا حَيْفٌ وتعدٍّ منك، فقال إسحاق: يا أمير المؤمنين، اجمع بينهما وامتحنهما، فإن الأمر سينكشف لك فيهما، قال: فأمر بهما فأُحْضِرا، قال له إسحاق: إن للضراب أصواتاً معروفة، فامتحنهما بشيء منها، قال: أجل أفعل، فَسَمّى ثلاثة أصوات كان أولها: [2] [السريع]

عُلِّقَ قلبي ظَبْيَةَ السَّيْبِ

(١) في الأصل: (زبزبا) بزائين. وهو ربرب كما في الأغاني ١١/ ٣٣٨.

(٢) الشعر من بيت لإسحاق الموصلي في الأغاني ٥/ ٢٩١ وتمامه:

علق قلبي ظبية السيب جهلاً فقد أغري بتعذيب

والسيب: كورة في سواد الكوفة وهما سيبان: الأعلى والأسفل من نواحي سورا عند قصر ابن هبيرة، والسيب أيضا: نهر بالبصرة فيه قرية كبيرة (ياقوت: السيب).

فضربنا عليه فتقدم ربرب وقصر عنه ملاحظ، فعجب الواثق من كشفه لما ادَّعَاهُ في مجلس واحد، فقال له ملاحظ [ص ١٧٠] : ما باله يا أمير المؤمنين يحيلك على الناس، ولم لا يضرب هو؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إنه لم يكن أحد في زماني أضرب مني، إلا أنكم أعفيتموني، فتفلّت مني، على أنَّ معي بقية لا يتعلق بها أحد من هذه الطبقة، ثم قال: يا ملاحظ: شوش عودك وهاته، ففعل ذلك ملاحظ، قال إسحاق: يا أمير المؤمنين، هذا خلط الأوتار خلط متعنت، فهو لا يألو ما أفسدها، ثم أخذ العود فجسه ساعة حتى عرف مواضعه، وقال: يا ملاحظ (١)، غَنِّ أيَّ صوت شئت فغنى ملاحظ، فضرب عليه إسحاق بذلك العود الفاسد التسوية، فلم يخرج عن لحنه في موضع واحد حتى استوفاه، عن تقوية (٢) واحدة، ويده تصعد وتنحدر على الدساتين (٣)، فقال له الواثق: لا والله ما رأيت مثلك قط، ولا سمعت به، اطرح هذا على الجواري، فقال: هيهات يا أمير المؤمنين، هذا شيء لا تفي به الجواري، ولا يصلح لهن، وإنما بلغني أنَّ الفهليذ ضرب يوماً بين يدي كسرى أبرويز فأحسن، فحسده رجل من حذّاق صنعته، فترقبه حتى قام لبعض شأنه، ثم خالفه إلى عوده فَشَوّشَ بعض أوتاره، فرجع فضرب وهو لا يدري، والملوك لا تصلح في مجالسها العيدان، فلم يزل يضرب بذلك العود الفاسد، إلى أن فرغ، ثم [قام] على رجله فأخبر الملك بالقصة، فامتحن العود فعرف ما فيه، فقال: زِهْ زِهْ وزِهانْ زِهْ (٤)، ووصله بالصلة التي كان يصل بها من خاطبه بهذه المخاطبة، فلما تواترت الروايات بهذا، أخذت

---

(١) في الأصل: (يا مخارق) وهماً

(٢) في الأغاني: (عن نقرة واحدة).

(٣) الدساتين: ما عليه أطراف أوتار العود من مقدمه، والكلمة فارسية، وتسمي العرب ذلك (العتب).

(٤) زه: كلمة فارسية بمعنى أحسنت.

نفسي بها، وَرُضْتَهَا عليه، وقلت: لا ينبغي أنْ يكون الفهليذُ أقوى على هذا مني، فمازلت أستنبط بضع عشرة سنة حتى لم يبق في الأوتار موضع على طبقة من الطبقات، إلا وأنا أعرف نغمته كم هي، والمواضع التي يخرج النغم كلها منها، وهذا شيء لا تفي به الجواري، فقال له الواثق: لعمري لقد صدقت، ولئن مُتَّ لتَمُوتَنَّ هذه الصناعة بموتك، وأمر له بثلاثين ألف درهم.

قال: إسحاق: دعاني [المأمون وعنده] (١) إبراهيم بن المهدي، وفي مجلسه عشرون جارية، وقد أجلس عشراً عن يمينه، وعشراً عن يساره، ومعهن العيدان، فلما دَخَلْتُ سمعت من الناحية اليسرى خطأً فأنكرته، فقال المأمون: يا إسحاق، أتسمع خطأً؟ فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، مُر الجواري اللواتي في الناحية اليمنى [ص ١٧١] يمسكن، فأمرهن فأمسكن، فقلت لإبراهيم: هل تسمع خطأ؟ فقال: [ما] هاهنا خطأ، فقلت: يا أمير المؤمنين يمسكن وتضرب الثامنة، فأمسكن وضربت الثامنة، فعرف إبراهيم الخطأ، فقال: نعم يا أمير المؤمنين، ها هنا خطأ، فقال المأمون عند ذلك لإبراهيم بن المهدي: لا تمارِ إسحاقَ بعدها، فإن رجلاً (٢) يعرف الخطأ بما بين وتر وعشرين لجدير أن لا تماريه، فقال: صدقت يا أمير المؤمنين.

قال أحمد بن حمدون: سمعت الواثق يقول: ما غنَّاني إسحاق قط إلا ظننت أنه قد زِيْدَ لي في مُلْكِي، ولا سمعته يغني غناء ابن سريج إلا ظننت أن ابن سريج قد نشر، وأنه ليحضرني غيره إذا لم يكن حاضراً فيتقدمه عندي بطيب الصوت، حتى إذا اجتمعا عندي رأيت إسحاق يعلو، ورأيت غيره ينقص، وإن إسحاق

---

(١) ما بين المعقوفتين خرجة من هامش الأصل وبخط حديث، والتصويب من الأغاني.

(٢) في الأصل: (فإن رجل) وهو لحن، ودرجنا أن نصحح الأخطاء النحوية دون إشارة لكثرتها.

لنعمة من نعم الملوك التي لم يحظ أحد بمثلها، ولو أن العمروالشباب والنشاط مما يشترى لاشتريتهُنَّ بِشَطر ملكي.

قال ابن المنجم: سأل إسحاق الموصلي المأمون أن يكون دخوله إليه مع أهل الرواية والعلم لا مع المغنين، فإذا أراد الغناء غناه، فأجابه إلى ذلك، ثم سأله بعد ذلك أن يأذن له في الدخول مع الفقهاء، فأذن له، ثم سأله أن يأذن له في لبس السواد يوم الجمعة والصلاة معه في المقصورة، فقال ولا كل هذا يا إسحاق، وقد اشتريت منك هذه المسألة بمئة ألفِ درهم.

قال: وكان معه جماعة من المغنينَ يحضرون عند الواثق، وعيدانهم معهم، إلا إسحاق، فإنه كان يحضر بلا عود للشرب والمجالسة، فإذا أراد الخليفة أن يغني له، أحضر له عوداً، فإذا غنى وفرغ شيْلَ من بين يديه، إلى أن يطلبه، وكان الواثق يكنيه(١)، وكان إذا غنى وفرغ الواثق من شرب قدحه، قطع الغناء، فلم يُعِدْ منه حرفاً، إلا أن يكون في بعض بيت فيتمه، ثم يقطع ويضع العود من يده.

قال: كان إبراهيم يأكل المغنين أكلاً، حتى إذا حضر إسحاق فيداريه إبراهيم ويطلب مناقبه، ولا يدع إسحاق تبكيته ومعارضته، وكان إسحاق [ص ١٧٢] آفته، كما لكل شيء آفة.

قال محمد بن راشد الجنان (٢): سألني إسحاق أن أصير إلى إبراهيم بن المهدي، وقال: قل له أسألك عن شيء، فإذا قال لك: سل، قل له أخبرني عن قولك: (٣) [الطويل]

---

(١) لأن العرب تكرّم الرجل بندائه أو ذِكره بكنيته. [المراجع].

(٢) في الأغاني: (الخناق).

(٣) الشطر في الأصل جاء مضطرباً هكذا (ذهبت عن الدنيا وأذهبتها عني وقد ذهبت مني) الشطر=

ذهبت من الدنيا وقد ذهبت مني

أي شيء كان معنى صنعتك فيه، وأنت تعلم أنه لا يجوز في غنائك الذي صنعته إلا أن تقول: (ذهبتو) بالواو، فإن قلت (ذهبت) ولم تمدها تقطع اللحن، وإن مددتها قبح الكلام، وصار مثل كلام النبط، فقال له: يا أبا محمد، كيف أخاطب إبراهيم بهذا؟ فقال: هي حاجتي إليك، وقد كلفتك إياها، قال: فأتيت إبراهيم وجلست عنده وتحادثنا إلى أن جئنا إلى ذكر الغناء، فذكرت له ما قال إسحاق، فتغير لونه وانكسر، وقال: يا محمد، ليس هذا من كلامك، هذا من كلام الجرمقاني[١]، قل له عني: أنتم تصنعون هذا للصناعة، ونحن نصنع هذا للهو واللعب والعبث.

قال يحيى بن محمد الظاهري، قال حدثني ينشو مولى أبي أحمد بن الرشيد قال: اشتراني مولاي أبو أحمد بن الرشيد واشترى معي رفيقي يحموماً، ودفعنا إلى وكيل له أعجميٍّ خراساني، وقال له: انحدر بهذين الغلامين إلى بغداد إلى إسحاق الموصلي، وادفع إليه مئة ألف درهم وشهريا [٢] بسرجه ولجامه وثلاثة ادراج [٣] فضة مملوءة طيباً، وسبعة تخوت [٤] وشْيٍ كوفي، وثلاثين ألف درهم للنفقة، وقال للرسول: عَرِّف إسحاق أن هذين الغلامين لرجل من وجوه العرب

=لإبراهيم بن المهدي وهو من قطعة في الأغاني في ترجمة إبراهيم بن المهدي ١٠ / ١٦٩ والبيت في الدر الفريد ٢٩٥٣ / وتمام البيت

ذهبت من الدنيا وقد ذهبت مني هوى الدهر بي عنها وولى بها عني.

(١) الجرمقاني: واحد الجرامقة وهم قوم من العجم صاروا بالموصل في أوائل الإسلام (اللسان: جرمق).

(٢) الشهرية: بالكسر، ضرب من البراذين، وهو بين البرذون والمقرف من الخيل (اللسان: شهر)

(٣) الأدراج: جمع درج، وهو سفيط صغير تدخر فيه المرأة طيبها وأداتها وهو الحفش أيضاً (اللسان: درج).

(٤) التخوت: جمع تخت، وعاء تصان فيه الثياب، (فارسي الأصل).

أهل خراسان، وجِّه بهما إليه ليتفضل عليه بتعليمهما أصواتاً اختارها وكتبها له في الدرج، وقال له: كلما علمهما صوتاً فادفع إليه ألف درهم حتى يتعلما بها مئة صوت، فإذا علمهما الصوتين اللذين بعد المئة فادفع إليه الشهري، ثم إذا علمهما الثلاثة التي بعد الصوتين، فادفع إليه لكل صوت درجاً من الأدراج، ثم لكل صوتين بعد ذلك تختاً وسفطاً،حتى ينفد ما بعثت به معك، ففعل وانحدر بنا إلى بغداد، واتينا إسحاق فَغَنَّينا بحضرته، وأبلغه الوكيل الرسالة، فلم يزل يلقي [ص ١٧٣] علينا الأصوات حتى أخذناها كما أَمَرَسيدنا، ثم صرنا إلى (سُرَّ مَنْ رأى)، فدخلنا عليه وغنيناه جميع ما أخذناه فَسُرَّ بذلك.

وقدم إسحاق من بغداد إلى سر من رأى، فلقيه مولانا فدعا بنا وأوصانا بما أراد، وغدا بنا إلى الواثق، وقال: إنكما ستريان إسحاق بين يديه، فلا توهماه أنكما رأيتماه قط، وألبسنا أقبيةً[١] خراسانية ومضينا معه إلى الواثق، فلما دخلنا عليه قال له سيدي: هذان غلامان اشتريا لي من خراسان يغنيان بالفارسية، فقال: غنيا، فضربنا ضرباً فارسياً، وغنينا غناء فهليذياً، فطرب الواثق وقال: احسنتما، فهل تغنيان بالعربية؟ قلنا: نعم، واندفعنا فغنيناه ما أخذنا من إسحاق، وإسحاق ينظر إلينا، ونتغافل حتى غنيناه اصواتاً من غنائه، فقام إسحاق وقال: وحياتك وبيعتك وإلا فكل مملوك لي حر، وكل مالٍ لي صدقة، إن لم يكن هذان الغلامان من تعليمي، ومن قصتهم كيت وكيت، فقام أبو أحمد وقال للواثق ما أدري ما يقول هذا، إني اشتريتهما من رجل نَخَّاسٍ خراساني، [فقال له] من أين يجيد تلك الأغاني؟ فضحك أبو أحمد وقال للواثق، صدق والله، أنا احتلت عليه، ولو رمت بأن أعلمهما ما أخذاه منه إذا علم أنهما لي بأضعاف ما أعطيته ما فعل، فقال له إسحاق قد تمت عليَّ حيلته يا أمير المؤمنين.

(١) الأقبية جمع القباء؛ نوع من الثياب. (وسمّي بذلك لاجتماع أطرافه). [المراجع].

قال: كنت عند الرشيد فقال: يا إسحاق تغن: [1] [الوافر]

شَـرِبْتُ مُـدَامَـةً وسُـقِـيْتُ أُخْـرَى   وراح المنتـشُـونَ ومـا انتـشَـيْتُ

فغنيته فأقبل عليَّ إبراهيم بن المهدي وقال لي: ما أصبت يا إسحاق، [2] فقلت له: ليس هذا مما تحسنه أنت، ولا تعرفه، وإن شئت فغنّه، فإن لم أجدك تخطئ فيه منذ ابتدائك إلى انتهائك فدمي حلال، ثم أقبلت على الرشيد وقلت: يا أمير المؤمنين، هذه صناعتي وصناعة أبي التي قربتني منك واستخدمتنا لك، وأوطأتنا بساطك، وإذا نازعنا أحد فلا نجد بداً من الإيضاح والذب [3]، فقال: لا غرو ولا لوم عليك، وقام الرشيد ليبول، فأقبل إبراهيم بن المهدي عليَّ وقال: ويحك [ص ١٧٤] يا إسحاق، وتجترئ عليَّ وتقول لي ما قلت يا ابن الزانية؟ فدخلني مالم أملك نفسي معه، وقلت له: أنت تشتمني ولا أقدر على إجابتك، وأنت ابن الخليفة ثم أخو الخليفة، ولولا ذلك لكنت أقول لك يا بن الزانية كما قلت لي، ولكن قولي في ذمك ينصرف إلى خالك الأعلم [4]، ولولاك لذكرت صناعته ومذهبه، قال إسحاق: وكان بيطاراً، قال: وسكت إبراهيم، وعلمت أنه يشكوني إلى الرشيد، وأن الرشيد سوف يسأل من حضر عما جرى فيخبرونه، ثم قلت له: أتظن أن الخلافة تصير إليك فلا تزال تهددني بذلك، وتعادي سائر أولياء أخيك حسداً له ولولده على الأمر، وإن تضعف عنه وعنهم فتستخف بأوليائهم تشفياً، وإني أرجو ألا يخرجها الله عن الرشيد وولده، وأنْ يقتلك دونها، فإن صارت إليك ـ وبالله العياذ ـ فحرامٌ عَلَيَّ العيش حينئذ، والموت أطيب من الحياة معك، واصْنَعْ حينئذ ما بدا لك، فلما خرج

(١) البيت في الأغاني ٥/ ٣٠٧.

(٢) في الأصل: (فقال له).

(٣) الذب: الدفع والمنع والمحاماة.

(٤) الأعلم: المشقوق الشفة العليا.

الرشيد وثب إبراهيم فجلس بين يديه، وقال: يا أمير المؤمنين، شتمني وذكر أمي واستخفَّ بي، فغضب الرشيد، وقال لي: ما تقول ويلك؟ فقلت: لا أعلم، سَلْ من حضر، فأقبل على مسرور وحسين (١)، فسألهما عن القصة، فجعلا يخبرانه، ووجهه يتربد (٢)، إلى أن انتهيا إلى ذكر الخلافة فسرى عنه ورجع، وقال لإبراهيم: ماله ذنب شتمته فعرفك أنه لا يقدر على جوابك، ارجع إلى مكانك وأمسكْ عن هذا، فلما انقضى المجلس وخرج الناس، أمر أن لا أبرح، وخرج كل من حضر حتى لم يبق غيري، فساء ظنِّي وهمتني نفسي، فقال: ويحك، يا إسحاق، أتراني لا أعرف وقائعك، قد والله زنيته (٣) دفعات ويحك لا تعد ويلك، حدثني عنك، لو ضربك إبراهيم، أكنتُ أقتص لك منه فأضربه وهو أخي، يا جاهل أتراه لو أمرغلمانه فقتلوك، أكنت أقتله بك، فقلت: قد والله قَتَلْتَنِي يا أمير المؤمنين بهذا الكلام، ولئن بلغه ليقتلني، وما أشكُّ في أنَّهُ قد بلغه الان، فصاح بمسرور وقال: علي بإبراهيم الساعة، وقال لي: قم فانصرف، فقلت لجماعة من الخدام وكلهم [كان] لي محباً وإلي مائلا: أخبروني بما يجري، فأخبروني من غد أنه لما دخل عليه وبخه وجهله، وقال له: تستخف بخادمي وبصنيعتي ونديمي وابن خادمي وصنيعتي [ص ١٧٥] وصنيعة أبي، وتقدم علي وتضع في مجلسي؟ هاه هاه! تقدم على هذا وأمثاله وأنت أنت مالك والغناء؟، وما يدريك ما هو؟ ومن أخذك به وطارحك إيّاه حتى تظن أنك تبلغ منه مبلغ إسحاق الذي غُذِّيَ به وهو صناعته، ثم تظن أنك تخطئه فيما لا تدريه، ويدعوك إلى إقامة الحجة عليك، فلا تثبت لذلك وتعتصم منه بشتمه، أليس

(١) مسرور وحسين: خادمان كانا للرشيد.

(٢) تربد وجهه: تغير وتعبس غضباً.

(٣) زنيته: نسبته إلى الزنا.

هذا مما يدل على السقوط وضعف العقل وسوء الأدب من دخولك فيما لا يشبهك، ثم إظهارك إياَّه ولم تحكمه وادعائك ما لا تعلمه حتى ينسبك الناس إلى إفراط الجهل، وألا تعلم ـ ويحك ـ أن هذا سوء الأدب وقلة معرفة ومبالاة بالخطأ والتكذيب والرد القبيح؟ ثم قال له: والله العظيم وحق رسوله الكريم: وإلا فأنا نفيٌّ لأبي إن أصابه سوء أو سقط من دابته، أو سقط عليه سقفه، أو مات فجأة لأقتلنك، فوالله والله والله، وأنت أعلم، فلا تعرض له، قم الآن فاخرج، فخرج وقد كاد يموت، فلما كان بعد ذلك دخلت عليه وإبراهيم عنده، فأعرضت عنه، وجعل ينظر إليه مرة وإليَّ أخرى ويضحك، ثم قال له: إني لأعلم محبتك لإسحاق وميلك إليه وإليَّ الأخذ عنه، وأن هذا لا يجيئك من قبله إلا أن يرضى، والرضا لا يكون بمكروه، ولكن أحسن إليه وأكرمه واعرف قدره وحقه وَصِلْهُ، فإذا فعلت ذلك ثم خالف ما تهواه عاقبته بيد منبسطة ولسان منطلق، ثم قال لي: قُمْ إلى مولاك وابن مولاك فقبِّلْ رأسه، فقمت إليه وأصلح الرشيد بيننا.

قال إسحاق: لما أراد الفضل بن يحيى الخروج إلى خراسان، ودعته ثم أنشدت: [المتقارب] (١)

فِـراقُكَ مِـثلُ فُـراقِ الحَـيـاةِ ... وفَـقْـدُكَ مِـثلُ افـتِـقَـادِ النِّعَمْ
عليكَ السَّـلامُ فَكَمْ مِنْ وفَـاءٍ ... أُفَـارِقُ مِنْكَ وكَمْ مِنْ كَـرَمْ

قال: فضمني إليه، وأمر لي بألف دينار، وقال لي: يا أبا محمد، لو حليت هذين البيتين بصنعة، وأودعتهما بعض من يصلح من الخارجين معنا، لأهديت لي بذلك أُنساً وأذكرتني نفسك، ففعلت ذلك وطرحته على بعض المغنين وكان

---

(١) البيتان لإسحاق الموصلي في الأغاني ٥/٣١٢ وديوان إسحاق الموصلي ص ١٥٣ ـ ١٥٤ جمع وتحقيق ماجد العزي ط بغداد ١٩٧٠

كتابه لا يزال يرد [ص ١٧٦] عليَّ ومعه ألف دينار وألفا دينار يصلني بذلك كلَّما غني بهذا الصوت.

قال أحمد بن يحيى المكي: دعاني الفضل بن الربيع، ودعا علوية ومخارقاً، وذلك في أيام المأمون بعد رجوعه له ورضاه عنه، فلما اجتمعنا عنده كتب إلى إسحاق الموصلي يسأله أن يصير إليه ويعلمه الحال في اجتماعنا عنده: فكتب إليه: لا تنتظروني في الأكل، فإني قد أكلت، وأنا أصير إليكم بعد ساعة، فأكلنا وجلسنا نشرب، حتى قربت صلاة العصر، ثم وافى إسحاق وجاء غلامه بقطرميز (١) نبيذ فوضعه ناحيةً، وأمر صاحب الشراب بإسقائه منه، وكان علوية يغني الفضل صوتاً اقترحه عليه وأعجبه، وهو: (٢) [الطويل]

فَإن تَعْجَبي أو تبْصِري الدَّهرَ ضَمَّني ... بأحداثه ضَمَّ المُقَصَّص بالجَلَمْ (٣)
فَقَدْ أتركُ الأضيافَ تَنْدى رِحالُهم ... وأُكْرِمَهُمْ بالنّحضِ والنَّاصِل الشَّبِمْ (٤)

فقال: أخطأت يا أبا الحسن في قسمة هذا الصوت، وأنا أصلحه لك، فجن علوية واغتاظ وقامت قيامته، فأقبل عليه إسحاق وقال: يا حبيبي، ما أردت الوضع منك بما قلت لك، وإنما أردت تهذيبك وتقويمك لأنك منسوب في الصواب والخطأ إلى أبي وإليَّ، فإن كرهت ذلك تركتك وقلت لك أحسنت وأجملت، فقال له علوية، والله ما هذا أردت [ولا أردت] إلا ما لا تتركه أبداً من سوء عشرتك، أخبرني عنك حين تجيء هذا الوقت لما دعاك الأمير وعرفك أنه نشط للاصطباح، ما حملك على الترفع من مباركته وخدمته؟أمن شغلٍ؟ فما

---

(١) القطرميز: قلة كبيرة من الزجاج

(٢) البيتان في الأغاني ٥ /٣١٧ مع خلاف في الرواية.

(٣) الجلم: ما يجز به الشعر والصوف.

(٤) النحض: اللحم المكتنز، الناصل الشبم: الصافي البارد

يشغلك عنه شيء إلا الخليفة، ثم تجيئه معك قطرميز نبيذ ترفعاً عن شرابه، كما ترفعت عن طعامه ومجالسته؟ وترى أنك تجيئه كما تشتهي حتى تبسطكما الأكفاء، ثم تعمد إلى صوت وقد اشتهاه واقترحه وسمعه جميع من حضر، فما عابه أحد فعبته، ليتم تنغيصك إياه لذته، والله لو أن الفضل بن يحيى وأخاه جعفراً، لا والله، بل بعض أتباعهم دعاك إلى مثل ما دعاك إليه الأمير، لبادرت وباكرت وما تأخرت ولا اعتذرت، قال: وأمسك الفضل [عن الجواب] إعجاباً بما خاطب [به] علويه إسحاق، قال له [ص ١٧٧] إسحاق: أما ما ذكرته من تأخري إلى الوقت الذي حضرت فيه، فهو يعلم أني لا أتأخر عنه إلا بعائق قاطع، إن وثق بذلك مني وإلا ذكرت الحجة سراً من حيث لا يكون لك فيه مدخل، واما ترفعي عنه، فكيف اترفَّعُ عنه وأنا أنتسب إلى صنائعه واستمنحه، وأعيش في فضله منذ كنت،وهذا تضريب [١] منك لا أُبالي به، وأمّا حملي النبيذ معي، فإن لي في النبيذ شرباً من طعمه إن لم أجده لم أقدر على ذلك الشرب منه، وينغص علي يومي أجمع، وإنما حملته ليتم نشاطي وينتفع بي، وأما طعني على ما أختاره، فإني لم أطعن على اختياره، وإنما أردت تقويمك، ولست والله تراني متتبعاً لك بعد اليوم، ولا مقوماً شيئاً من خطاياك، وأنا أغني له ـ أعزه الله [٢] ـ هذا الصوت، فيعلم وتعلم ويعلم من حضر أنك قد أخطأته [٣] وقصرت فيه، وأما البرامكة وملازمتي لهم فأشهر من أن أجحده، وذلك والله أقل ما يستحقونه مني، ثم أقبل على الفضل ـ وقد غاظه في مدحه لهم ـ فقال: اسمع مني شيئاً أخبرك به فيما فعلوه بي، ليس هو كثيراً في صنائعهم عندي ولا عند أبي، فإن وجدت لي في ذلك عذراً وإلا فَلُمْ: كنت مع ابتداء أمري نازلاً مع أبي في داره،

(١) التضريب: الإغراء بين القوم.

(٢) في الأصل: (اعزك الله) والمقصود الأمير وليس علوية.

(٣) كذا في الأصل والصواب: أخطأت فيه.

فكان لايزال يجري بين غلماني وغلمانه، وجواري وجواريه الخصومة، كما تجري بين هذه الطبقات، فيشكونهم إليه، فأتبين الضجر في وجهه، فاستأجرت داراً واسعة، فلم أرض ما معي من الآلات لها لمن يدخل إليَّ من إخواني، أن يرى مثله عندي، وفكرت في ذلك وكيف أصنع فيه، وزاد فكري حتى خطر بقلبي فتح الأحدوثة من نزول مثلي في داره بأجرةٍ، وإني لا آمن في وقتٍ أن يستأذن [١] عليَّ، وعندي بعض الرؤساء والأصدقاء الذين احتشمهم ولا يعلمون حالي، فيقال: صاحب دارك، أو يوجه في وقت فيطلب أجرة الدار وعندي من أستحشمه، فضاق بذلك صدري ضيقاً عظيماً: حتى جاوز الحد، فأمرت غلامي بأن يسرج لي حماراً كان عندي لأمضي إلى الصحراء أتفرج فيها، مما دخل إلى قلبي، فأسرجه وركبت برداء ونعلٍ، فأفضى بي المسير وأنا مفكر لا أميز الطرق التي أسلك فيها، وهجم بي على باب [ص ١٧٨] يحيى ابن خالد، فوثب غلمانه إليَّ وقالوا: أين هذا الطريق؟ فقلت: إلى الوزير، فدخلوا فاستأذنوا وخرج إليَّ الحاجب فأمرني بالدخول، وبقيت خجلاً، قد وقعت في أمرين قبيحين، إذ دخلت عليه برداء ونعل، وأعلمته أني قد قصدته في تلك الحال كان سوء أدب، وإن قلت له أين كنت مجتازاً ولم أقصدك فجعلتك طريقاً، كان قبيحاً، ثم عزمت على صدقه، فلما رآني تبسم وقال: ما هذا الزي يا أبا محمد، احتسبنا لك بالبر والقصد والتفقد، ثم علمنا أنك جعلتنا طريقاً، فقلت: لا والله أيُّها الوزير، ولكني أصْدُقُك، قال: هات، فأخبرته بالقصة من أوّلها إلى آخرها، فقال: هذا حق مستوٍ، أفهذا شغل قلبك، قلت: أي والله، وزاد فقال: لا تشغل قلبك بهذا، يا غلام: ردوا حماره، وهاتوا خلعةً، فجاؤوني بخلعة من ثيابه تامة فلبستها، وجيء بالطعام

(١) أي صاحب الدار.

فأكلنا، ووضع النبيذ فشربت وشرب وغنيته، ثم دعا بدواة ورقعةٍ، فكتب أربع رقعات، فظننت توقيعاً بجائزة فإذا هو قد دعا بعض وكلائه فساره بشيءٍ، فزاد طمعي بالجائزة، ومضى الرجل وجلسنا نشرب وأنا أنتظر، فلا أرى شيئاً إلى العتمة، ثم اتكأ يحيى فنام، وقمت من عنده وأنا منكسر خائب فخرجت وقدم لي حماري، فلما تجاوزت الدار قال لي غلامي [إلى اين تمضي] قلت: إلى البيت، قال: قد بيعت وأشهد على صاحبها، وابتيع الدرب كله ووزن ثمنه، والمشتري جالس على بابك ينتظر ليعرفك وأظنه ابتاع ذلك للسلطان، لأني رأيت الأمر في عجلة واستحثاث أمر سلطانياً، فوقعت من ذلك فيما لم يكن في حسأبي، وأنا لا أدري ما أعمل، فلما نزلت على باب داري، [إذا أنا] بالوكيل الذي ساره يحيى قد قام إليّ وقال: ادخل ـ أيَّدك الله ـ دارك، حتى أدخل إليك في أمر أحتاج إلى مخاطبتك فيه، فطابت نفسي بذلك، ودخلت الدار ودخل إلي فأقرأني توقيع يحيى: (يطلق لأبي محمد إسحاق مئة ألف درهم يبتاع له بها داره، وجميع ما يجاورها ويلاصقها) والتوقيع الثاني إلى ابنه الفضل: (قد أمرت لأبي محمد إسحاق [بمئة ألف درهم] يبتاع له بها داره فأطلق له مثلها على إصلاح الدار كما يريد وبنائها على ما يشتهي)، والتوقيع الثالث إلى ابنه جعفر [ص ١٧٩] (قد أمرت لأبي محمد إسحاق بمئة ألف درهم يبتاع له منها منزل يسكنه، وأمر له أخوك بمئة ألف درهم ينفقهاعلى بنائهاَ ومرّمتها على ما يريد فأطلق أنت له مئة ألف درهم يبتاع بها فرشاً لمنزله)، والتوقيع الرابع إلى محمد ابنه: (قد امرتُ وأخواك بثلاث مئة ألف درهم لمنزل يبتاعه وفرش يبتذله فيه، ونفقة ينفقها عليه فأمر له بمئة ألف درهم ينفقها في سائر نفقته)، وقال لي الوكيل: قد حملت المال كله واشتريت كل شيء حولك بسبعين ألف درهم) وهذه كتب الابتياعات باسمي والإقرار لك، وهذا المال الباقي في يدي ها هو

بورك لك فيه، فقبضته، وأصبحت احسن الناس حالاً ومرأى في منزلي وفرشي وآلتي، والله ما هذا من أكثر شيء فعلوه بي، أفألام على ذلك في شكرهم؟ فبكى الفضل بن الربيع وكُلٌّ من حضر، وقالوا: لا والله، لا يلام على شكرهم، ثم قال له الفضل: بحياتي عليك، غن الصوت ولا تبخل على أبي الحسن أن تقومه له، قال: أفعل، وغناه، فتبين علوية أنه كما قال، فقام فقبل رأسه، وقال: أنت أستاذنا وابن أستاذنا وأولى بتقويمنا واحتمالنا من كل أحد، ورَدَّه (١) إسحاق مرات حتى استوى لعلوية.

قال إسحاق: قلت في ليلةٍ من الليالي: (٢) [الخفيف]

هل إلى نظرةٍ إليك سبيل ... يُرْوَ منها الصَّدَى ويُشْفى الغليل
إن مَا قَلَّ منك يكثُرُ عنْدي ... وكثيرٌ ممّن تحبُّ القليلُ

فلما أصبحت أنشدتها الأصمعي، فقال: هذا الديباج الخُسرواني (٣)، هذا الوشي الإسكندراني، لمن هذا؟ فقلت: ابن ليلته، فتبيَّنْتُ الحسدَ في وجهه، وقال: أفسدته! أفسدته! أما إنَّ التوليد فيه لبينٌ.

قال الأصمعي: دخلت أنا وإسحاق الموصلي يوماً على الرشيد فرأيته لقس (٤) النَّفس، فأنشده إسحاق: (٥) [الطويل]

وآمرةٍ بالبخلِ قيْلَ لها اقْصِرِيْ ... فذلكَ شيءٌ مَا إليهِ سبيلُ

---

(١) اي الصوت. أعاده وردده.

(٢) الشعر لإسحاق الموصلي في ديوانه ص ١٦٦ والأغاني ٥/ ٣٢٨.

(٣) الخسرواني: ضرب من الثياب منسوب إلى خسرو شاه من الأكاسرة.

(٤) لقس النفس: غث النفس، فيه فتوروكسل.

(٥) الشعر لإسحاق الموصلي في ديوانه ص ١٦٣ والأغاني ٥/ ٣٣١.

أرى النـاسَ خُـــلانَ الكرام ولا أرى   بخـيـــلاً له حـتَّى الممـاتِ خليلُ
[ص ١٨٠] وإنِّي رأيتُ البُخْلَ يُزْرِي بأهله   فـأكـرمتُ نفسي أنْ يُقـالَ بَخـيلُ
ومن خيـر حـالات الفتى قـد عَلِمْتُهُ   إذا نال خـيـــراً أنْ يَكُونَ يُـنيْلُ
وكـيف أخـافُ الفَـقْـرَ أو أُحَرمُ الغنى   ورأيُ أمـيـرِ المؤمنين جـمـيْلُ

فقال الرشيد: لا تخف [١] إن شاء الله، ثم قال: لله در أبيات تأتينا بها، ما أشد أصولها، وأحسن فصولها، وأقل فضولها، وأمر له بخمسين ألف درهم. فقال له إسحاق: وصفك والله يا أمير المؤمنين لشعري أحسن منه، فعلام آخذ الجائزة؟ فضحك الرشيد وقال: اجعلوها لهذا القول [مئة ألف درهم]، قال الأصمعي: فقلت يومئذ إن إسحاق أحذق بصيد الدراهم.

قال إسحاق: جاءني الزبير بن دحمان مُسَلِّماً فاحتبسته، فقال لي: قد أمرني الفضل بن الربيع بالمصير إليه، فقلت له: أقم يا أبا العوام ويحك نشرب ونله مع اللاهين ونلعب: [٢] [الطويل]

إذا مـا رأيْتَ اليـومَ قَـدْ بانَ خَـيْـرُهُ   فَخُـذه بِشُكْرٍ واترُكِ الفَضْلَ يَصْخَبُ

فأقام عندي وشربنا يوماً، ثم صار إلى الفضل بن الربيع، فسأله عن سبب تأخره، فحدثه الحديث وأنشده الشعر، فغضب وحول وجهه عني، وأمر عوناً حاجبه ألا يدخلني إليه ولا يستأذن لي عليه، ولا يوصل لي رقعةً إليه، فقلت: [٣] [الطويل]

---

(١) في الأصل: (لا كيف) وهو تحريف.

(٢) البيت مع آخر لإسحاق الموصلي في ديوانه ص ٩٧ والأغاني ١٨/١٣١.

(٣) البيتان لإسحاق الموصلي في ديوانه ص ٢٠٣ والأغاني ٥/٣٣٤.

حرامٌ عليَّ الكأسُ ما دمْتَ غضبانا ... ومالم يَعُدْ عنِّي رضاكَ كما كانا
فأحْسِنْ فإني قد أسأتُ ولم تَزلْ ... تُعَوِّدُني عند الإساءَةِ إحسانا

قال: فأنشدته إياها فضحك ورضي عني، وعاد إلى ما كان عليه.

قال ابن المكي: كان المغنون يجتمعون مع إسحاق، وكلهم أحسن صوتاً منه، ولم يكن فيه عيب إلا صوته، فيطمعون فيه، فلم يزل بلطفه وحذقه ومعرفته حتى يغلبهم ويبذهم جميعاً، ويفضلهم ويتقدم عليهم.

قالوا: هو أول من أحدث المجنب (١) ليوافق صوته ويشاكله، فجاء معه عجباً من العجب، وكان في حلقه نبوٌّ عن الوتر.

قال إسحاق (٢): كنت يوماً عند إسحاق بن إبراهيم بن مصعب، فلما جلسوا للشرب، جعل الغلمان يسقون من حضر، وجاء غلام قبيح الوجه، إليَّ [ص ١٨١] بقدح فيه نبيذ، فلم آخذه، ورآني إسحاق فقال: لم لا تشرب؟ فقلت له: (٣) [البسيط]

اصْبَحْ نديمك أقداحاً تُسَلْسِلُهَا ... من الشَّمولِ وأتْبِعْهَا بأقْداحِ (٤)
من كَفِّ ريمٍ مليحِ الدَّلِّ رِيْقَتُهُ ... بعدَ الهجوعِ كِمسكٍ أو كتُفَّاحِ

---

(١) المجنب: تعريف عربي قديم وهو اسم دستان من دساتين العود، تستخرج منه النغم، ومنه أنواع: مجنب الذيل، ومجنب السبابة ومجنب الوتر ومجنب الوسطى (الموسوعة العربية الميَسرة: مجنب).

(٢) المتحدث هو حماد بن إسحاق عن أبيه.

(٣) الأبيات لإسحاق الموصلي في ديوانه ص ١٠٣ والأغاني ٥/ ٣٣٩ ـ ٣٤٠.

(٤) الشمول: من أسماء الخمر.

لا أشـــربُ الرَّاحَ إلا من يَـدَيْ رَشَـــأٍ		تقـبـيـلُ راحَـتـه أشـهى من الراحِ [١]

فضحك وقال: صدقت والله، ودعا بوصيفةٍ تامة الحسن في زي غلام عليها أقبية [٢] ومنطقة، وقال لها: تولي سقي أبي محمد، فمازالت تسقيني حتى سكرت، ثم أمر بتوجيهها وكل ما لها في دارها الي، فحملت معي.

قال ابن المكي: تذاكرنا يوماً عند [أبي] صنعة إسحاق، وقد كنا بالأمس عند المأمون فغناه إسحاق لحناً صنعه في [شعر] ابن ياسين: [٣] [مجزوء الخفيف]

الـــطُّـــلـــولُ الـــدَّوارِسُ		فـــارقَـــتْـــهـــا الأوانِسُ
أوحـــشتْ بـعـــد أهـلـهـــا		فـــهي قَـــفْـــرٌ بســـابِسُ

قال: فقال لي أبي: لو لم يكن من بدائع إسحاق غير هذا لكفاه (الطلول الدوارس) كلمتان قد غنى فيهما استهلالاً وبسطاً، وصاح وسجع ورجع النغمة، واستوفى في ذلك كله في كلمتين، وأتى بالباقي مثله، فمن شاء فليفعل مثل هذا أو فليقاربه، ثم قال إسحاق: والله والله ما في زماننا فوق ابن سريج والغريض ومعبد، ولو عاشوا حتى يروه لعرفوا فضله، واعترفوا له به.

قال صالح بن الرشيد: كنا يوماً عند المأمون، ومعه جماعة من المغنين، فيهم إسحاق وعلويه ومخارق وعمرو بن بانة، فغنى مخارق صوتاً من صنعة إسحاق، وهو: [٤] [الطويل]

---

(١) الرشأ: الظبي إذا قوي وتحرك ومشى مع أمه، الراح: من أسماء الخمر.

(٢) الأقبية: جمع قباء وهو ثوب يلبس فوق الثياب.

(٣) الشعر لابن ياسين في الأغاني ٥/٣٥٢، ٤٣٩، ٤٤١.

(٤) الشعر في الأغاني ٥/٣٥٤.

أعـــاذلُ لا آلوك إلا خليـــقـــتي ... فـلا تجـعلي فـوقي لسـانك مـبْـرَدا
ذريـني أكُـنْ للمــــالِ ربًّـا ولا يكُـنْ ... لـي المالُ رباً تحـمــدي غِـبَّــهُ غَـدَا
ذريني يكن مـــالي لعــرضي وقـايةً ... يقي المالُ عــرضي قـبل أن يتـبــدَّدا
ألـم تعلمي أني إذا الضــيفُ نابني ... وعزَّ القِرى اقري السديف المُسَرْهَدا (١)

[ص ١٨٢] فقال له المأمون: لمن هذا اللحن؟ قال: لهذا الهزبر الجالس (يعني إسحاق)، فقال المأمون لمخارق: قم واقعد بين يدي وأعد عليَّ الصوت، فقام فجلس بين يديه، فغناه فأجاد، وشرب المأمون عليه رطلاً، ثم التفت إلى إسحاق فقال غن هذا الصوت، فغناه فلم يستحسنه كما سمعه من مخارق، ثم دار الدور إلى علوية، فغنى صوتاً من صنعة إسحاق أيضا، وهو: (٢) [الوافر]

أُريتُ اليــــومَ نـارَكِ لـم أغَـــمِّضْ ... بـواقـــصـــةٍ ومَــشْـــرَبُنا بَرُودُ (٣)
فلـم أرَ مـــثلَ مـــوقِـــدِها ولكـنْ ... لأيَّـةِ نـظـرةٍ زهَـرَ الـوُقُـــــــودُ
فَـــبِتُّ بليلةٍ لا نومَ فـــيـــهـــا ... أكـــابدُها وأصـــحـــابي رقُـــودُ
كـأنَّ نجـــومـــهـــا رُبطَتْ بصَـــخْـــرٍ ... وأمـــــراسٍ تـدورُ وتـســـتَـــزيدُ

فقال المأمون: لمن هذا الصوت؟ فقال: لهذا الجالس، وأشار إلى إسحاق، فقال لعلوية: اعده، فأعاده وشرب عليه رطلاً، وقال لإسحاق: غنه، فغناه، فلم يطرب عليه طربه لعلوية، فالتفت إسحاق وقال: أيها الأمير لولا أنه مجلس سرور وليس مجلس حجاج وجدل لأعلمته أنه طرب على خطأ، وأن الذي استحسنه، إنما هو

---

(١) السديف: السنام، وقيل: لحمه، المسرهد: المقطع أو السمين.

(٢) الشعر في الأغاني ٥ / ٣٥٤.

(٣) في الأصل: (أرأيت القوم).

واقصة: منزل بطريق مكة بعد القرعاء نحو مكة وقبل العقبة لبني شهاب من طيء.

(ياقوت: واقصة)

تزايد منهما يفسد قسمة اللحن وتجزئته، وكان الصواب ما غنيته لا مازاداه، ثم أقبل عليهما وقال يا مخنثان، قد علمت أنَّكُما لم تريدا بما فعلتما مدحي ولا رفعي، وأنا على مكافأتكما قادر، فضحك المأمون وقال له: ما كان ما رأيته من طربي إلا استحساناً لأصواتهما، لا تقديما لهما، ولا جهلاً بفضلك.

قال إسحاق: كانت أعرابية تقدم من البادية، فأفضل عليها وكانت فصيحة، فقالت لي: والذي يعلم مغزى كل ناطق، لكأنك في عملك ولدت فينا ونشأت معنا، ولقد أريتني نجداً بفصاحتك وأحللتني الربيع بسماحتك، فلا اطّرد لي قول إلا شكرتك، ولا نسمت لي ريح إلا ذكرتك.

قال الهشامي [(١)]: كان أهلنا يعتبرون [(٢)] إسحاق فيما يقوله في نسبة الغناء واختياره، بأن يجلسوا كاتبين فهمين خلف الستارة [ص ١٨٣] يكتبان ما يقوله ويضبطانه، ثم يتركونه مدة حتى ينسى ما جرى، ثم يعيدون تلك المسألة عليه، فلا يزيد فيها ولا ينقص منها حرفاً كأنه يقرأه من دفتر، فعلموا حينئذ أنه لا يقول في شيء يُسْأَلُ عنه إلا الحق.

قال عبدالله بن العباس الربيعي: اجتمعنا بين يدي المعتصم، فغنى علوية: [(٣)] [الطويل]

لِعَبْدَةَ دارٌ ما تُكَلِّمُنَا الدَّارُ

فقال له إسحاق: شتمنا قَبَّحَهُ الله، وسكت وبان ذلك فيه، وكان علوية أخذه

---

(١) في الأصل: (الهاشمي) وقد مر (الهشامي)

(٢) يعتبرون: أي يختبرون ويمتحنون.

(٣) الشطر لبشار بن برد في ديوانه ٤ / ٧٨ والأغاني ٥ / ٣٦٣ وتمامه

لعبدة دار ما تكلمنا الدار تلوح مغانيها كما لاح أسطار

من إبراهيم.

قال يحيى بن معاذ: كان إسحاق الموصلي وإبراهيم بن المهدي إذا خلوا فهما أخوان، وإذا التقيا عند خليفة تكاشفا أقبح تكاشف، فاجتمعا يوماً عند المعتصم فقال لإسحاق يا إسحاق، إن إبراهيم يثلبك ويغض منك، فقال إسحاق: يا أمير المؤمنين، أفعل الساعة فعلاً إن زعم أنه يحسنه فلست أحسن شيئاً، وإلا فلا ينبغي أن يدعي مالا يحسنه، ثم أخذ عوداً فشوش أوتاره، فقال لإبراهيم: غن على هذا او يغني غيرك، واضرب عليه، فقال المعتصم: يا إبراهيم، قد سمعت قول إسحاق فما عندك؟ قال: ليفعله هو إن كان صادقاً، فقال إسحاق: غن حتى أضرب، فأبى، فقال لزرزر الكبير، غن أنت، فغنى، وإسحاق يضرب عليه، حتى فرغ من الصوت، ما علم أن العود مشوش، ثم قال: هاتوا عوداً آخر (فشوشه) وجعل كل وتر منه في الشدة واللين مقدار العود المشوش الأول، حتى استويا، فقال لزرزر، خذ أحدهما، فأخذه، ثم قال: انظر إلى يدي وأفعل كما افعل واضرب، ففعل، وجعل إسحاق يغني ويضرب، وزرزر ينظر إليه ويضرب، ويعمل كما يعمل، فما ظن أحد أن في العودين شيئاً من الفساد، ثم قال لإبراهيم: خذ الآن [احد] العودين فاضرب منه مبدأ أو طريقةً أو كيف شئت، إن كنت تحسن شيئاً فلم يفعل، وانكسر انكساراً شديداً، فقال له المعتصم: أرأيت مثل هذا قط؟ قال: لا والله، ما رأيت، ولا ظننت أن مثله يتم ولا يكون.

قال: كان الواثق إذا صنع صوتاً قال لإسحاق: هذا [ص ١٨٤] وقع إلينا البارحة فاسمعه، فكان ربما أصلح فيه الشيء بعد الشيء، فكاده مخارق عنده، وقال له: إنما يستجيد صنعتك إذا حضر ليقاربك ويستخرج منك فإذا فارقك قال في صنعتك غير ما تسمع، قال الواثق: فأنا أحب أن أقف على ذلك، فقال مخارق:

أنا أغنيه صوتك (١): [الطويل]

أيَـا مُـنْـشِـــــــــــــرَ المـوتـى

فإنه [لم] يعلم أنه لك، ولم يسمعه من أحد، قال: فافعل، فلما دخل إسحاق، غناه مخارق وتعمد لأن يفسده بجهده، وفعل ذلك في مواضع خفية لم يعرفها الواثق من قسمته، فلما غناه، قال الواثق لإسحاق: كيف ترى هذا الصوت؟ قال: فاسد غير مرضي، فأمر به فسحب من المجلس حتى أخرج عنه، وأمر بنفيه من بغداد، ثم جرى ذكره يوماً فقالت فريدة: يا أمير المؤمنين، إنما كاده مخارق فأفسد الصوت في حيث أوهمك أنه زاد فيه بحذقه نغماً وجودةً، وإسحاق يأخذ نفسه بقول الحق في كل شيء ساءه أو سره، ويفهم من غامض علم الصناعة مالا يفهمه غيره، فليحضره أمير المؤمنين ويحلفه بغليظ الأيمان على حقيقة الصوت، فإن كان فاسداً فصدق عنه إن لم يكن عيباً ووافقناه عليه حتى يستوي، فليس يجوز أن يتركه فاسداً، وإن كان صحيحاً، قال فيه ما عنده، فأمر بالكتاب بِحْمِله فحمل وأحضر، وأظهر الرضا عنه، ولزمه أياماً، ثم أحلفه أنه يصدقه عما يمر في مجلسه، فحلف له، ثم غُني الواثق أصواتاً يسأله عنها أجمع فيخبر فيها بما عنده، ثم غنته فريدة هذا الصوت، وسأله الواثق عنه، فرضيه واستجاده وقال: ليس على هذا سمعته المرة الاولى، وأبان عن المواضع الفاسدة، وأخبر بإفساد مخارق إياها، فسكن غضبه الذي كان، وتنكر لمخارق مدة.

قال إسحاق: ما كان يحضر الواثق أعلم منه بالغناء، قال إسحاق: كتبت إلى هشام أطلب نبيذاً، فبعث إليَّ بما التسمت، وكتب: قد وجهت إليك بشراب

---

(١) هذا جزء من بيت لأعرابي ونسب إلى كثير عزة وليس له وهو في الأغاني ٥/ ٣٦٩ وتمامه:

أيا مُنْشِرَ الموتى أقْدِني مِنَ التَّي ... بها نَهَلَتْ نَفْسِي سقاماً وعَلَّتِ

أصلب من الصخر، وأعتق من الدهر، وأصفى من القطر. [ص ١٨٥]

قال: لما غنى إسحاق [محمداً الأمين] لحنه في شعر هو (١): [المنسرح]

يا أيُّها القائمُ الأمينُ فَدَتْ نَفْسَكَ نَفْسي بالمالِ والولدِ
بَسَطْتَ للنّاسِ إذ وليتَهُمُ يداً مِنَ الجود فوقَ كُلِّ يدِ

أمر له بألف ألف درهم، فحملت إليه على مئة فرّاش حتى أدخلت إليه.

قال عمرو بن بانة (٢): رأيت المهدي يناظر إسحاق في الغناء، فتكلما بما فهماه، ولم أفهم منه شيئاً، فقلت لهما: لئن كان ما أنتما فيه من الغناء، فما نحن في قليل منه ولا كثير.

قال: خالف إبراهيم إسحاق في شيء من التجزئة، فقال له: : إلى من أحاكمك، فالناس بيننا حمير!

قال ابن المنجم، قال لي محمد بن الحسين بن مصعب، وكان بصيراً بالغناء والنغم: لحن إسحاق في (تشكى الكُميت الجري) (٣) أحسن من لحن ابن سريج فيه، ولحنه (تُبدي لنا) أحْسنُ من لحن معبد فيه، وذلك من اجود صنعة ابن سريج، وهذا من أجود صنعة معبد، قال: فأخبرت إسحاق بقوله، فقال: قد

---

(١) الشعر لإسحاق الموصلي في ديوانه ص ١٢٠ والأغاني ٥/ ٣٧٩.

(٢) عمرو بن بانة: عمرو بن محمد بن سليمان بن راشد مولى ثقيف، وبانة أمه، نسب إليها، نديم من الشعراء العلماء بالغناء، كان خصيصاً بالمتوكل العباسي، له كتاب في الأغاني، توفي بسامراء سنة ٢٧٨ هـ.
(الأغاني ١٤/ ٥٠ وفيات الأعيان ١/ ٣٩١).

(٣) هو جزء من بيت لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه ص ٤٦٢ والأغاني ١/ ٩، ٦٧، ٢١٥ وتمامه:
تَشَكّى الكُمَيْتُ الجرْيَ لما جَهَدتُهُ وبيَّن لو يَستطيعُ أنْ يَتَكَلَّمَا

أخذت بزمامي راحلتهما فزعزعتهما ثم أنختهما فما بلغتهما، فأخبرت بذلك محمد بن الحسن، فقال: هو والله يعلم أنه قد برز عليهما، ولكنه لا يدع تعصبه للقدماء.

قال أبو الفرج: وكان إسحاق قد اعتلت عيناه [١]، وضعف بصره، وكف في آخر عمره، قال: وكان السبب في علة عينيه أن إبراهيم ابن أخي سلمة الوصيف، نازع إسحاق بين يدي الرشيد في شيء من الغناء، فرد عليه، فشتمه إبراهيم، فرد عليه إسحاق وأربى [٢] عليه في الرد، فقال [إبراهيم]: أترد علي وأنا مولى أمير المؤمنين فقال إسحاق: اسكت، فإنك من موالي العبدين [٣]، فقال له الرشيد: يا إسحاق، وأي شيء موالي العبدين؟ فقال: يا أمير المؤمنين، يشتري للخلفاء كل صانع في العبيد للعتق، فيكون فيهم الحائك والحجَّام والسائس، فهو أحد هؤلاء الذين ذكرتهم، قال: وخرج إبراهيم فوقف له في طريقه، فلما جاز عليه منصرفاً ضرب [٤] رأسه بمقرعة فيها معول، فكان ذلك سبب ضعف نظره، فبلغ الرشيد الخبر فأمر [بأن] يحجب [ص ١٨٦] عنه إبراهيم، وحلف ألا يدخل عليه، فدس إلى الرشيد من غناه: [٥] [الخفيف]

مَنْ لِعَبْدٍ أذلَّهُ مَولاهُ ... مَالَهُ شَافعٌ إليهِ سِواهُ
يشتكي ما بهِ إليهِ ويَخْشَاهُ ... ويرجوُه مثلَ ما يخشَاهُ

(١) في الأصل: (اعتلت غناؤه) وهو تحريف.

(٢) أربى عليه: زاد.

(٣) في الأغاني (العيدين) مثنى عيد، ولا معنى لها.

(٤) في الأصل: (منصوفا فلرب رأسه) والتحريف واضح.

(٥) الشعر لأبي العتاهية في ديوانه ص ٣٦ والأغاني ٤ / ٦٩.

فسأل الرشيد عن صانع لحنها فعرفه، فحلف أن لا يرضى عنه حتى يرضى إسحاق، فقام [إسحاق] وقال: قد رضيت عنه يا سيدي رضىً صحيحاً، وقبل الأرض لما كان من قوله، فرضي عنه وأحضره وأمره أن يترضى إسحاق ففعل.

قال ابن المكِّي: كان إسحاق إذا غنى هذا الصوت، يأخذ بلحيته ويبكي: (١) [الطويل]

إذا المرءُ قَاسَى الدَّهرَ وأبيضَّ رأسُهُ ... وثُلِّمَ تثليم الإناء جوانبُهْ
فَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ خَسِيْسَةٍ ... تُبَاعِدُهُ طَوراً وطَوراً تُقَارِبُهْ

قال أبو الفرج: كان إسحاق يأخذ عن الأصمعي، ويكثر الرواية عنه، ثم فسد ما بينهما، فهجاه إسحاق وثلبه، وكشف للرشيد معايبه، وأخبره بقلة شكره وبخله وضعف نفسه، وأن الصنيعة لا تزكو عنده، وأن أبا عبيدة أوثق منه وأصدق وأسمح بالعلم منه، فأنفذ إليه مَنْ أقدمه، وأبعد الأصمعي، فقال الأصمعي لإسحاق: (٢) [البسيط]

أئن تغنيت للشُّرب الكرام: ألا ... رد الخليط جمال الحي فانفرقوا
وقيل أحسنت فاستدعاك ذاك إلى ... ما قلت ويحك لا يذهب بك الخرق
وقيل أنت حسان الناس كلهم ... وابن الحسان فقد قالوا وقد صدقوا
فما بهذا تقوم النادبات ولا ... يثنى عليك إذا ما ضمَّك الخرق

قال إسحاق: جاء عطاء الملط (٣) بجماعة من أهل البصرة إلى قُرَيْب أبي

(١) الشعر لزبان بن سيار الفزاري في الأغاني ٥/٣٩٣.
(٢) الأبيات للأصمعي أو لأبي المنذر العروضي في الأغاني ٥/٣٩٧.
(٣) في الأغاني: (عطاء الملك)

الأصمعي، وكان نذلاً من الرجال، فوجده ملقى على وجهه في كساء نائماً في الشمس، فركله برجله، وصاح به: يا قريب، قم ويلك، فقال: هل لقيت أحداً من أهل العلم، أو من أهل اللغة، أو من العرب، أو من المحدثين؟ قال: لا والله، فقال لمن حضر: هذا أبو الأصمعي، فاشهدوا لي عليه وعلى ما سمعتم منه، لا [ص ١٨٧] يقول لكم الأصمعي غداً أو بعده: حدثني أبي، أو أنشدني أبي، ففضحه.

قال الصولي: كان لإسحاق غلام يقال له فتح يسقي الماء لأهل داره على بغلين من بغاله دائماً، فقال له إسحاق يوماً: أي شيء خبرك يا فتح، قال خبري أنه ليس في هذه الدار أشقى مني ومنك، قال: وكيف ذاك؟ قال: أنت تطعم أهل الدار الخبز، وأنا أسقيهم الماء، فاستظرف قوله وضحك منه، فقال: وأيُّ شيء [تحب قال] تعتقني وتهب لي البغلين أسقي عليهما، قال: قد فعلت.

قال: وكان إسحاق يقول الإسناد فيه الحديث فتحدث مرة بحديث لا إسناد له، فَسُئِلَ عن إسناده فقال: هذا من المرسلات عرفاً.

قال إسحاق، قال لي الرشيد يوماً، أيُّ شيء يتحدث الناس؟ قال: يتحدثون بأنك تقبض على البرامكة، وتولي الفضل بن الربيع الوزارة، فغضب وصاح، وقال: ما أنت وذاك ويلك، فأمسكت، فلما كان بعد أيام دعا بنا (١) فرأيته عَيَانا، وكان أول شيء غنيته أبياتاً لأبي العتاهية: (٢) [مجزوء الوافر]

إذا نحنُ صَدَّقْنَاكَ فضَّرَ عندك الصدقُ

---

(١) في الأصل: (عادتنا) وهو تحريف

(٢) الشعر لأبي العتاهية في ديوانه ص ٢٥٩ والأغاني ٥ / ٤١٠ - ٤١١.

طلبنا النفع بالباطل إذ لم ينفع الحقُّ
فلو قدّم صبّاً في هواه الصبر والرفقُ
لَقُدِّمْتُ على الناس ولكن الهوى رزقُ

فضحك الرشيد وقال: ويلك يا إسحاق قد صرت حقوداً.

قال إسحاق: ذكر المعتصم يوماً بعض أصحابه وقد غاب عنه، فقال: تعالوا حتى نقول ما يصنع في هذا الوقت، فقال قوم: يلعب بالنرد، وقال قوم: يغني، فبلغتني النوبة، فقال: قل يا إسحاق، فقلت إذاً أقول وأصيب، قال: أتعلم الغيب؟ قلت: لا، ولكني أفهم ما يصنع وأقتدر على معرفته، قال: فإن لم تصب؟ قلت: فإن أصبت؟

قال: لك حكمك، قال: فإن لم تصب؟ قلت: لك دمي، فقال: وجب، فقلت: وجب، قال: فقل، قلت: [ص ١٨٨] يتنفس، قال: فإن كان ميتاً؟ فقلت: تحفظ الساعة التي تكلمت فيها، فإن كان مات فيها أو قبلها، فقد قمرتني(١)، فقال قد أنْصَفْتَ، قلت: فالحكم؟ قال: احتكم ما شئت؟ فقلت: ما حكمي إلا رضاك يا أمير المؤمنين، قال: فإن رضاي لك، وقد أمرت لك بمئة ألف درهم، أتري مزيداً؟ فقلت: ما أولاك بذلك يا أمير المؤمنين، قال: فانها مئتا ألف، أترى مزيداً؟ فقلت: ما أحوجني إلى ذلك يا أمير المؤمنين، قال: فإنها ثلاث مئة ألف، قلت: ما أولاك بذلك يا أمير المؤمنين، قال: يا صفيق الوجه ما نزيدك على هذا.

قال إسحاق: لم أر قط مثل جعفر بن يحيى، كانت له فتوة وظرف وأدب وحسن غناء وضرب بالطبل، وكان يأخذ بأجزل حظ من كل فن الأدب والفتوة،

---

(١) قمره: غلبه في الرهان.

فحضرت باب الرشيد يوماً، فقيل لي: إنه نائم، فانصرفت فلقيني جعفر بن يحيى، فقال لي: ما الخبر؟ فقلت: أمير المؤمنين نائم، فقال لي: قف مكانك، ومضى إلى دار أمير المؤمنين وخرج إليه الحاجب فأعلمه بأنه نائم، ورجع فقال: صِرْ بِنَا إلى المنزل حتى نخلو جميعاً بقية يومنا، وأغنيك وتغنيني، ونأخذ في شأننا من وقتنا هذا، فقلت: نعم، فصرنا إلى منزله، فنزعنا ثيابنا ودعا بطعام فأكلنا، وأمر بإخراج الجواري وقال: لتبرزن، فليس عندنا من تحتشمنه، فلما وضع الشراب، دعا بقميص حرير فلبسه ودعا بخلوق [1] فتخَلَّق به، ثم دعا لي بمثل ذلك، وجعل يغنيني وأغنيه، حتى دعا بالحاجب وتقدم إليه، وأمره بأن لا يأذن لأحد من الناس كلهم، وإن جاء رسول أمير المؤمنين أعلمه بأنه مشغول واحتاط في ذلك، وتقدم فيه إلى جميع الحجاب والخدم، ثم قال: إن جاء عبدالملك فأذنوا له، يعني رجلاً كان يأنس به ويمازحه ويحضر خلواته، ثم أخذنا في شأننا، فوالله إنا لعلي حالة سارة عجيبة، إذ رفع الستر، فإذا عبدالملك بن صالح الهاشمي قد أقبل، وغلط الحاجب فلم يفرق بينه وبين الذي عناه جعفر [ص ١٨٩] بن يحيى، وكان عبدالملك بن صالح من جلالة قدره والتقشف والامتناع من منادمة أمير المؤمنين على أمرٍ جليل، وكان الرشيد قد اجتهد به أن يشرب معه أقداحاً، فلم يفعل ذلك رفعاً لنفسه، فلما رأيناه مقبلاً، أقبل كل واحد منا ينظر إلى صاحبه، وكاد جعفر أن ينشق غيظاً، وفهم حالنا، فأقبل نحونا، حتى إذا صرنا بالقرب منه، وصار إلى الرواق الذي نحن فيه، نزع قلنسيته فرمى بها مع [طيلسانه] [2] جانباً، ثم قال: اطعمونا شيئاً، فدعا له جعفر بالطعام، وهو منتفخ غيظاً وغضباً، فطعم، ثم دعا برطل فشربه، ثم أقبل إلى

---

(١) الخلوق: ضرب من الطيب أعظم أجزائه الزعفران.

(٢) في الأصل: (مع فلنسيته).

المجلس الذي نحن فيه فأخذ بعضادتي[١] الباب، ثم قال: أشركونا فيما أنتم فيه، فقال له جعفر: ادخل، ثم دعا بقميص حرير وخلوق، فلبس وتخلق، ثم دعا برطل [٢] ورطل حتى شرب عدة أرطال، ثم اندفع يغنينا، فكان أحسننا والله جميعاً غناءً، فلما طابت نفس جعفر بن يحيى وسُرِّيَ عنه ما كان به، التفت إليه فقال: ارفع حوائجك، قال: ليس هذا موضع حوائج، قال: لتفعلن، قال فلم يزل يلح عليه حتى قال: أمير المؤمنين واجد [علي] وأحب أن تترضاه لي، قال: فإن أمير المؤمنين قد رضي عنك، فهات حوائجك، قال: هذه كانت حاجتي، قال: ارفع حوائجك كما أقول لك، قال: عليَّ دين فادح، قال: هذه أربعة آلاف درهم [٣]، فإن أحببت تقتضيها من مالي الساعة فاقبضها، فإنه لم يمنعني عن إعطائك إياها إلا أن قدرك يجلك أن يصلك مثلي، ولكني ضامن لها حتى تحمل إليك من مال أمير المؤمنين فسل أيضاً، قال ابني، تكلم أمير المؤمنين حتى ينوه باسمه، فقال: قد ولاه أمير المؤمنين مصر، وزوجه ابنته العالية وأمهرها عنه بألفي ألف درهم، قال: إسحاق: فقلت في نفسي: قد سكر الرجل، ـ يعني جعفراً ـ فلما اصبحت لم يكن لي همة إلا حضور دار الرشيد، فإذا جعفر بن يحيى قد بكر، ووجدت في الدار جلبةً، وإذا أبو يوسف القاضي ونظائره، قد دعي بهم، ثم دعي بعبد الملك بن صالح الهاشمي [وابنه] فأدخلا جميعاً على الرشيد، فقال الرشيد لعبد الملك: إن أمير المؤمنين كان واجداً عليك [ص ١٩٠]، وقد رضي عنك، وأمر لك بأربعة آلاف [ألف] درهم، فاقبضها من جعفر بن يحيى الساعة، ثم دعا بابنه فقال: اشهدوا أني قد زوجته العالية بنت أمير المؤمنين، وأمهرتها عنه

---

(١) عضادتا الباب: خشبتاه من جانبيه.

(٢) الرطل: مقداره أُوقيتان تقريبا في ذلك الوقت.

(٣) في الأغاني: (أربعة آلاف ألف درهم).

بألفي ألف درهم [من مالي] ووليته مصر، فلما خرج جعفر بن يحيى سألته عن الخبر فقال: بكرت على أمير المؤمنين، فحكيت له جميعا ماكان منا وما كنا فيه حرفاً حرفاً، ووصفت له دخول عبدالملك وما صنع، فعجب لذلك وسر به، ثم قلت له: وقد ضمنتُ له يا أمير المؤمنين عنك ضمأناً، قال: وما هو؟ فأعلمته، قال: نفي له بضمانك، وأمر باحضاره، فكان ما رأيت.

قال اسحق: ما اغتممت [بشيء قط مثلما اغتممت] بصوت مليح صنعته بهذا الشعر: [المديد]

كان لي قلبٌ أعيشُ به ... فاكْتَوى بالنَّار فاحترَقَا
أنا لم أُرْزَقْ مَحَبَّتَها ... إنَّما للعَبْدِ ما رُزِقا
لم يكن ما ذاق طعمَ رَدىً ... ذاقهُ لا شكَّ إنْ عَشِقَا

فإني صنعت فيه لحناً، وجعلت أردده في جناح لي سحراً، فأظن أن إنسانا من العامة، سمعه فأخذه، وبكرت من غد إلى المعتصم لأغنيه به، وإذا أنا بسواط يسوط الناطف (١) ويغني اللحن بعينه، إلا أنه غناء فاسد، فعجبت وقلت: ترى من أين للسواط هذا الصوت، ولعلي أن غنيته أن يكون مر بهذه السفلة بعض من يحضر معنا فسمعه يغنيه، وبقيت متحيراً، ثم قلت له: يا فتى، ممن سمعت هذا الصوت؟ فلم يجبني، فالتفت إلى شريكه فقال: خذ إليك [هذا] يسألني ممن سمعته، والله لو سمعه إسحاق الموصلي لخريء في سراويله، فبادرت والله هارباً خوفاً من أن يمر بي إنسان فيسمع ما جرى فأفتضح، وما علم الله أني نطقت بذلك الصوت بعدها.

---

(١) السواط: الذي يخلط الشيء والناطف: ضرب من الحلواء.

قال إسحاق: غدوت يوماً ضجراً من ملازمة دار الخلافة والخدمة فيها، فخرجت وركبت بكرةً، وعزمت على أن أطوف الصحراء أفترج فيها، فقلت لغلماني: إن جاء رسول الخليفة، فعرفوه أني بكرت في بعض مهماتي، وأنكم لا تعرفون أين توجهت، ومضيت فطفت ما بدا لي، ثم عدت وقد حمي [ص ١٩١] النهار، فوقفت في شارع المخرم [١] في فناء ثخين الظل وجناح رحب على الطريق لأستريح، فلم ألبث أن جاء خادم يقود حماراً فارهاً [٢] عليه جارية راكبة تحتها منديل دبيقي [٣]، وعليها من اللباس الفاخر ما لا غاية بعده، ورأيت لها قواماً عادلا حسناً وظرفاً وشمائل حسنة، فحدست عليها أنها مغنية، فدخلت الدار التي كنت واقفا عليها، ثم لم ألبث أن أقبل خادمان ومعهما رجلان شابان جميلان، فاستأذنا فأذن لهما، فنزلا ونزلت معهما، ودخلت فظنا أن صاحب الدار دعاني، وظن صاحب البيت أني معهما، فجلسنا وأتي بالطعام فأكلنا، وبالشراب فشربنا أقداحاً، وقمت لأبول، فسأل صاحب المنزل الرجلين عني، فأخبراه أنهما لا يعرفاني، فقال: هذا طفيلي، ولكنه ظريف، فأجْمِلا عشرته، وجئت فجلست، فغنت الجارية في لحنٍ لي: [٤] [الطويل]

---

(١) المخرم: محلة ببغداد في الجانب الشرقي، والمخرم: محلة كانت ببغداد بين الرصافة ونهر المُعَلَّى وفيها كانت الدار التي يسكنها السلاطين البويهية والسلجوقية خلف الجامع المعروف بجامع السلطان، وكانت هذه المحلة بين الزاهر والرصافة، وهي منسوبة إلى مخرم بن يزيد بن شريح بن مخرم. (ياقوت ومعجم ما استعجم: المخرم).

(٢) الفاره: النشيط.

(٣) دبيقي: نسبة إلى دبيق بليدة كانت بين الفرما وتنيس من أعمال مصر. (ياقوت: دبيق).

(٤) الشعر لذي الرمة في ديوانه ص ١١١ من قصيدة، وفي الأغاني ٥ / ٤٣٨ ـ ٤٣٩.

ذكـــرتُك إذ قَّـــرتْ بنا أمُّ شَـــادنٍ أمـــامَ المطايا تَشْـــرئبُّ وتَسْنَحُ
من المؤلفـــاتِ الرَّمل أدمـــاءُ حُـــرَّةٌ شُـعَـاعُ الضُّحى في مَـتْنِها يتـوضَّحُ

فـأدته أداءً صـالحـاً، ثـم غنت أصـواتاً شـتى، وغنـت في أضـعافـهـا [من] صَنْعَتي:[١] [مجزوء الخفيف]

الـــطُّـــلـــولُ الـــدَّوارِسُ فـــارقَـــتْـــهَـــا الأوانِسُ
أو حـــشَـتْ بعـــدَ أهلِهـــا فـــهي قَـــفْـــرٌ بَسَـــابِسُ

فكان أمـرها فـيـه أصلح من الأول، ثم غنت أصواتاً من القـديم والحديث، وغنت في أضعافها من صنعتي: [٢] [مجزوء الخفيف]

قُـلْ لمنْ صَـــدَّ عـــاتِبـــاً ونـأى عـنـكَ جـــانـبـــاً
قَـــدْ بـلـغـتَ الـذي أردْ تَ ولـو كـنـتَ لاعِـــبـــا

فكان أصلح من الأولين، فاستعدتها لأصلح ما فيه، فقال لي أحد الرجلين: ما رأيت طفيلياً أصفق وجهاً منك، لم ترض بالتطفيل حتى اقترحت[٣]، فهذا غاية المثل: (طفيلي مقترح)، فأطرقت ولم أجبه، وجعل صاحبه يكفه عني فلا يكف، ثم قاموا إلى الصلاة، وتأخرت قليلاً، فأخذت عود الجارية ثم شددت طبقته وأصلحته إصلاحاً محكماً، وعدت إلى موضعي فصليت [ص ١٩٢] وعاد وأخذ ذلك [الرجل] في عربدته عليَّ، وأنا صامت، ثم أخذت العود الجارية فجسَّتْهُ، فأنكرت حاله، وقالت: من مس عودي؟ قالوا: ما مسه أحد، قالت: بلى والله قد مسه حاذق متقدم، وشد طبقته وأصلحه إصلاح متمكن في صناعته، فقلت لها: أنا أصلحته، قالت: فبالله عليك، خذه واضرب به، فأخذته

(١) الشعر لابن ياسين في الأغاني ٥ / ٣٥٢ ـ ٤٣٩.

(٢) الشعر لإسحاق الموصلي في ديوانه ص ٩٤، وفي الأغاني ٥ / ٤٣٩ ومواضع أُخر.

(٣) إشارة إلى المثل المشهور« فضولي ويقترح! » .[المراجع].

وضربت به مبدأً عجيباً ضرباً صعباً فيه نقرات متحركات، فما بقي أحد منهم إلا وثب فجلس بين يدي، فقالوا: بالله يا سيدي أتغني؟ قلت: نعم، وأعرفكم بنفسي، أنا إسحاق الموصلي، والله إني لأتيه على الخليفة إذا طلبني، وأنتم تسمعوني ما أكره منذ اليوم، لأني تملحت معكم، ووالله لانطقت بحرف، ولاجلست معكم، حتى تخرجوا هذا المعربد المقيت الغث، فقال له صاحبه: من هذا حذرتك، فأخذ يعتذر، فقلت: ما أنطق بحرف أو تخرجوه، فأخذوا بيده فأخرجوه، فبدأت فغنيت الأصوات التي غنتها الجارية من صنعتي، فقال لي الرجل: هل لك في خصلةٍ؟ وما هي؟ قال: تقيم عندي شهراً، والجارية والحمار لكَ مع ما عليها من حُليٍّ، فقلت: أفعل، فأقمت عنده شهراً، لا يعرف أحد أين أنا، والمأمون يطلبني في كل موضع، فلا يعرف لي خبراً، فلما كان بعد ثلاثين يوماً، سلم إليَّ الجارية والحمار والخادم، فجئت بذلك إلى منزلي، وركبت إلى المأمون من وقتي، فلما رآني قال: إسحاق، ويلك أين تكون؟ فأخبرته، فقال: عليَّ بالرجل الساعة، فدللتهم عليه، فأحضر، فسأله المأمون عن القصة فأخبره بخبرها وخبر الرجل المعربد، وما حلفت من إخراجه، فقال: أنت رجل ذو مروءة، وسبيلك أن تعان على مروءتك، ثم أمر له بمئة ألف درهم، وقال له: لا تعاشر ذلك الرجل المعربد، وامر لي بخمسين ألف درهم، وقال لي: أحضر الجارية، فأحضرتها فغنته، فقال لي: قد جعلت عليها نوبة في كل يوم ثلاثاء تغنيني من وراء الستار مع الجواري، وأمر لها بخمسين الف درهم، فَرَبِحْتُ وَأَرْبَحْتُ.

قال إسحاق: دخلت يوماً دار الواثق بغير إذن، إلى موضع أمر أن أدخله إذا كان جالساً، فسمعت صوت عود من بيت [ص ١٩٣] وترنما لم أسمع مثله قط حسناً، فأطلع خادمٌ رأسَهُ ثم رَدَّهُ وصاح بي، فدخلت فإذا الواثق، فقال لي: أي شيء سمعت؟ فقلت: الطلاق لي لازم، وكل مملوك لي حر، لقدسمعتُ ما لم

أسمع مثلهُ قطُّ حسناً فضحك وقال: وما هو! إنما هو فضلة أدب وعلم، مدحهُ الأوائل واشتهاه أصحاب رسول الله ﷺ، ومن بعدهُ من التابعين، وكثر في حرم الله ومهاجر رسول الله، أتحبُّ أن تسمعهُ؟ قلت:

إيْ والله الذي شرّفني بخطابك وجميل رأيك، فقال: يا غلام، هات العود، وأعط إسحاق رطلاً، فدفع الرطل إليّ، وضرب وغنّى في شعرٍ لأبي العتاهية بلحن صنعهُ فيه:(١) [البسيط]

أضحت قبورهم من بعد عِزِّهمُ ... تسفي عليها الصَّبا والحرجفُ الشَّملُ(٢)
لا يدفعون هواماً عن وجوههُم ... كأنهم خُشبٌ بالقاع مُنجدلُ

فشربتُ الرطل ثم قمت فدعوتُ له، فأجلسني وقال: أتشتهي أن تسمعه ثانية؟ فقلت: إي والله ثانية وثالثة، وصاح ببعضِ خدمه وقال: احمل إلى إسحاق ثلاث مائة ألف درهم الساعة، ثم قال: يا إسحاق، قد سمعت ثلاثة أصوات وشربتَ ثلاثةَ أرطال، وأخذت ثلاث مائة ألف درهم، فانصرف إلى أهلك بسرورك ليُسَرُّوا معك، فانصرفتُ بالدراهم.

قال إسحاق: ما وصلني أحد من الخلفاء مثل ما وصلني به الواثق، ولا كان أحد منهم يكرمني إكرامَهُ، ولقد غنَّيتُه لحني في(٣): [الطويل]

لعلك ان طالت حياتك ان ترى ... بلاداً بها مبدى لليلى ومحضر

فاستعاده مني جمعة لا يشرب على غيره، ثم وصلني بثلاث مئة ألف درهم، ولقد قدمت عليه في بعض قدماتي، فقال لي: ويحك يا إسحاق أما اشتقت

(١) الشعر لأبي العتاهية في الأغاني ٩/٣١٦ وليس في ديوانه.
(٢) الحرجف: الريح الشديدة الباردة. الشمل: التي هبت عليها ريح الشمال وهي باردة.
(٣) البيت في الأغاني ٩/٣٢٤ غير منسوب.

إلي؟ فقلت: بلى والله يا سيدي، وقلت في ذلك أبياتاً، إن أمرتني أن أنشدها، فقال: هات، فأنشدته: (١) [البسيط]

أشكو إلى الله بُعدي عن خليفته ... وما أقاسيه من هم ومن كبر
لا أستطيع رحيلاً إن هممت به ... يوماً إليه ولا أقوى على السفر (٢)
أنوي الرحيل إليه ثم يمنعني ... ما أحدث الدهر والأيام في بصري

ثم استأذنته في إنشاد قصيدة مدحته بها فأذن لي، فأنشدته قصيدتي التي أقول فيها: [ص ١٩٤] (٣) [البسيط]

لما أمرت بإشخاصي إليك هوى ... قلبي حنيناً إلى أهلي وأولادي
ثم اعتزمت فلم أحفل لبينهم ... وطابت النفس عن فضل وحماد
كم نعمة لأبيك الخير أفردني ... بها وخص بأخرى بعد إفرادي
فلو شكرت أياديكم وأنعمكم ... لما أحاط بها وصفي وتعدادي

فقال: أحسنت يا أبا محمد، فكناني(٤) وأمر لي بمئة ألف درهم، ثم قلت: [الطويل] (٥)

أتبكي على بغداد وهي قريبة ... فكيف إذا ما ازددت عنها غداً بعدا
لعمرك ما فارقت بغداد عن قلى ... لَوَ أنّا وجدنا من فراقٍ لها بدا
إذا ذكرت بغداد نفسي تقطعت ... من الشوق أو كادت تموت بها وجدا
كفى حزناً أنْ رحت لم تستطع بها ... وداعاً ولم تحدث بساكنها عهدا

(١) الشعر لإسحاق الموصلي في ديوانه ص ١٣١ والأغاني ٩/ ٣٢٤.
(٢) في الأصل: (على السهر) ولا يناسب المعنى.
(٣) الشعر لإسحاق الموصلي في ديوانه ص ١٠٩ ـ ١١٠ والأغاني ٩/ ٣٢٤.
(٤) ذكره بالكُنية تكريماً له وإيناساً. [المراجع].
(٥) الشعر لإسحاق الموصلي في ديوانه ص ١١٦ والأغاني ٩/ ٣٢٦.

فقال لي: يا موصلي، قد اشتقت إلى بغداد: فقلت: يا أمير المؤمنين، لا والله، ولكني اشتقت إلى الصبيان، وقد حضرني بيتان، فقال: هاتهما، فقلت: [1] [الوافر]

حننت إلى الأصيبية الصغار وشاقك منهم قرب المزار
وكل مفارق يزداد شوقاً إذا دنت الديار من الديار

فقال: يا إسحاق صر إلى بغداد، فأقم شهراً مع صبيانك، ثم عد إلينا، وقد أمرنا لك بمئة ألف درهم.

قال إسحاق الموصلي: قدمت سنة من السنين من الحج فصرت إلى سر من رأى فدخلت إلى الواثق، فقال لي: بأي شيء أطرفتني من أحاديث الأعراب وأشعارهم؟ فقلت: يا أمير المؤمنين، جلس [إلي] فتى من الأعراب في بعض المنازل، فحادثني فرأيت منه أحلى من رأيت من الفتيان منظراً وحديثاً وظرفاً وأدباً، وسألته إنشادي، فأنشدني [2]: [الطويل]

سقى العلم الفرد الذي في ظلاله غزالان مكحولان مؤتلفان
إذا أمنا التفا بجيدي تواصلٍ وطرفاهما للريب مسترقان
أرغتهما ختلاً فلم أستطعهما ورمياً ففاتاني وقد قتلاني

ثم تنفس تنفساً ظننت أنه قد قطع حيازيمه، فقلت: مالك بأبي أنت؟

فقال: لي وراء هذين الجبلين [ص ١٩٥] شَجَنٌ[3] وقد حيل بيني وبين الوصول إليه، وقد نذروا دمي، وأنا أتمتع بالنظر إلى الجبلين تعللاً بهما إذا قدم الحاج، ثم

---

(١) البيتان لإسحاق الموصلي في ديوانه ص ١٣٣ والأغاني ٩ / ٣٢٦ و ٥ / ٣٦٩.

(٢) الشعر لأعرابي في الأغاني ٩ / ٣٣١.

(٣) الشجن: هوى النفس، والحاجة حيث كانت. وأراد هنا فتاة يحبها في شجنه. [المراجع].

يحال بيني وبين ذلك، فقلت له: زدني مما قلت شيئاً في ذلك، فأنشدني: [1]
[الطويل]

إذا مــــا وردت الماء في بعض أهله حـضـور فـعـرض بي كـأنك مـازح
فـإن سـألت عني حـضـور فـقل لها به غُـبّـر [2] من دائه وهو صـالح

فأمرني الواثق فكتبت له الشعرين، فلما كان بعد أيام دعاني فقال: قد صنع بعض عجائز دارنا في أحد الشعرين لحناً فأسمعه، فإن ارتضيت أظهرناه، وإن رأيت فيه موضع إصلاح أصلحناه، فغنى لنا من وراء الستارة، فكان في نهاية الجودة، وكذلك كان يفعل، إذا صنع شيئاً، فقلت: أحسن والله صانعه ما شاء، فقال: بحياتي عليك، قلت: أي وحياتك، وحلفت له بما يوثق به، وأمر لي برطل فشربته، ثم أخذ العود فغناه ثلاث مرات، وسقاني ثلاثة ارطال، وأمر لي بثلاثين ألف درهم، فلما كان بعد أيام دعاني وقال: قد صنع عندنا أيضاً في الشعر الآخر، وأمر فغني به، فكانت الحال فيه مثل الحال الاول، فلما استحسنته وحلفت له على جودته، وأعاده لي ثلاث مرات، وسقاني ثلاثة أرطال، وأمر لي بثلاثين الف درهم، ثم قال: هل قضيت حق هديتك؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، فأطال الله بقاءك، وتمم نعمتك، ولا أفقدنيها منك وبك، فقال: لكنك لم تقض حق جليسك الأعرابي، ولا سألتني معونته على أمره، وقد سبقت مسألتك، وكتبت إلى صاحب الحجاز وأمرته بإحضاره، وخطبت له المرأة وحمل صداقها إلى قومها عنه من مالي، فقبلت يده وقلت: السبق إلى المكارم لك، وأنت أولى بها من عبيدك ومن سائر الناس.

قال: لما خرج المعتصم إلى عمورية، واستخلف الواثق بسر من رأى كانت أموره

---

(١) الشعر لأعرابي في الأغاني ٩/ ٣٣٢.
(٢) الغُبَّرُ من كل شيء: بقيته .[المراجع].

كلها كأمور أبيه، موجه إلى الجلساء والمغنين أن يبكروا إليه يوماً حدد لهم، ووجه إلى إسحاق فحضره، فقال لهم الواثق: إني عزمت على الصبوح، ولست أجلس على سرير [1] حتى اختلط بكم ونكون كالشيء الواحد، فاجلسوا معي حلقة، ولكن كل جليس إلى جانبه مغنٍ، فجلسوا كذلك، فقال الواثق: أنا أبدأ، فأخذ عوداً وغنى [ص ١٩٦] وشربوا، وغنى من بعده حتى انتهى إلى إسحاق، فأُعطي العود،فلم يأخذه، فقال: دعوه، ثم غنى وغنوا دوراً آخر، فلما بلغ إسحاق، لم يغن، وفعل هذا ثلاث مرات، فوثب الواثق فجلس على سريره، وأمر الناس فأدخلوا، فما قال لأحد منهم اجلس، ثم قال: علي بإسحاق، فلما رآه قال: يا خوزي [2] يا كلب، أتَبَذَّلُ لك وأغني، وترتفع عني؟!

أترى لو أني قتلتك لكان المعتصم يقيدني بك؟ [ابطحوه] فبطح وضرب ثلاثين مقرعة، وحلف لا يغني سائر يومه [سواه]، فاعتذر وتكلمت الجماعة فيه، فأخذ العود ومازال يغني حتى انقضى ذلك اليوم.

قال إسحاق: دخلت يوماً على الواثق وهو مضطجع، فقال: غنني يا إسحاق صوتاً غريباً لم أسمعه منك، حتى أسر به بقية يومي، قال: وكأن الله عز وجل أنساني الغناء كله إلا هذا الصوت: [3] [السريع]

يا دار إن كان البِلَى قد محاكْ ... فإنه يعجبني أن أراكْ
أبكي الذي [قد] كان لي مألفاً ... فيك فآتي الدار من أجل ذاكْ

قال: فتبينت الكراهة في وجهه، وندمت على ما كان مني، وتجلد فشرب رطلاً

---

(١) في الأصل: (على شهر) وهو تحريف.

(٢) خوزي: نسبة إلى الخوزجيل من العجم نسبة إلى بلاد خوزستان (المعرب من الكلام الأعجمي ص ١٢٩).

(٣) البيتان في الأغاني ٩ / ٣٤٢.

كان بيده، وعدلت عن الصوت إلى غيره، وكان ذلك اليوم والله آخر جلوسي معه.

قال: وتوفي إسحاق ببغداد أول خلافة المتوكل، وكان يسأل الله ألا يبتليه بالقولنج لما رأى من صعوبته على أبيه، فأصابه ذربٌ[١] في شهر رمضان سنة خمس وثلاثين ومئتين، وكان يتصدق في كل يوم أمكنه أن يصومه بمئةدرهم، ثم ضعف عن الصوم، ومات في رمضان.

لما تولى المتوكل الخلافة بعد الواثق، طلب إسحاق، فلما حضر رمى إليه مخدة وقال: اجلس عليها، فإني سمعت أن المعتصم أول يوم خلافته رمى إليك بها وقال: ما يستجلب ما عند الحر إلا بالكرامة، وسأله سماع شيء من أغانيه، فغناه لحنه نظمه في نفسه وعماه: [٢] [البسيط]

ما عِلّةُ الشيخ عيناه بأربعة ... تغرورقان بدمع ثم تنسكب [٣]

فأنعم عليه بمئة ألف درهم وصرفه، وسأله العود فتوجه من سر من رأى [ص ١٩٧] إلى بيته ببغداد، فتوفي بعد شهر، فبلغ المتوكل وفاته، فغمه وحزن عليه.

قال ادريس بن أبي حفصة يرثي إسحاق الموصلي: [٤] [الطويل]

سقى الله يا بن الموصلي بوابلٍ ... من الغيث قبراً أنت فيه مقيم
ذهبت فأوحشت الكرام فما يني ... بعبرته يبكي عليك كريم
إلى الله أشكو فقد إسحاق إنني ... وإن كنت شيخاً بالعراق مقيم

---

(١) الذَّرَبُ: داءٌ يَعْرِضُ للمعدة فلا تهضم الطعام ويفسد فيها ولا تمسكه. [المراجع].

(٢) البيت لإسحاق الموصلي في ديوانه ص ٩٩ والأغاني ٥/ ٤٢٨.

(٣) بأربعة: يريد بالأربعة اللحاظين والموقين للعينين، فإن الدمع يجري من الموقين فإذا غلب وكثر جرى من اللحاظين أيضاً.

(٤) الأبيات لإدريس بن أبي حفصة في الأغاني ٥/ ٤٤٦.

وقال محمد بن عمر الجرجاني يرثيه: (١) [الطويل]

على الجدث الشرقي عوجا فسلما ببغداد لما ضن عنه عوائده
وقولا له لو كان للموت فدية فداك من الموت الطريف وتالده
أإسحاق لا تبعد وان كان قد رمى بك الموت ورْداً ليس يصدر وارده
إذا هزل اخضرت متون حديثه ورقت حواشيه وطابت مشاهده
وإن جد كان القول جداً وأقسمت مخارجه ألا تلين معاقده
فابك على ابن الموصلي بعبرة كما ارفضّ من نظم الجمان قلائده

وقال مصعب الزبيري يرثيه، تغمده الله برحمته: (٢) [الكامل]

لله أي فتى إلى دار البلى حمل الرجال ضحى على الأعواد
كم من كريم ما تجف دموعه من حاضر يبكي عليه وباد
أمسى يؤبِّنَهُ ويعرف فضله من كان يثلبه من الحساد
فسقتك يا بن الموصلي سحابة تروي صداك بصوبها وغواد

وقال أيضاً: (٣) [المتقارب]

تولى شبابك إلا قليلا وحل المشيب فصبراً جميلا
كفى حزناً بفراق الصبا وإن أصبح الشيب منه بديلا
ولما رأى الغانيات المشيـ ـب أغضين دونك طرفاً كليلا
سأندب عهداً مضى للصبا وأبكي الشباب بكاء طويلا

(١) الشعر لمحمد بن عمرو الجرجاني في الأغاني ٥/ ٤٤٦.
(٢) الأبيات لمصعب الزبيري، وفي الأغاني ٥/ ٤٤٩ لأحمد بن إبراهيم.
(٣) الشعر لإسحاق الموصلي يبكي على نفسه في ديوانه ص ٢٢٥، والأغاني ٥/ ٣٢٤.

٦٨- إبْراهِيْم بنُ المَهْدِي [(١)] [ص ١٩٨]

رجل وضع في شرفه، وخضع من شرفه، رضع حب الغناء منذ فطم، وأعطى قياده لغير أهل الغناء وما حطم، وانحط إلى الحضيض وحطه كذي[(٢)] الجناح المهيض، حتى إنه بعد أن أصفقت له الأيدي المبايعة[(٣)]، وصفت له القلوب للمشايعة[(٤)] وعقدت البيعة في الرقاب، وعينت له الألقاب، وصعد المنبر وتبوأ أعلاه، وولج المحراب، وأقام الصلاة جُذِبَ[(٥)] عن ذلك المقام، وكذب عليه ليقام، وعير بالغناء مهنته وانشغاله أهنته، حتى استحر وخلع، وعضد اصل سؤدده وقلع، ثم كان هذا عليه عاراً يلبسه، وشناراً كما نهض به حسبه يجلسه[(٦)].

قال أبو الفرج، كان إبراهيم يقول: لولا أني أرفع نفسي عن هذه الصناعة لأظهرت فيها ما يعلم معه أنهم لم يروا قبلي مثلي.

قال إبراهيم: دخلت يوماً على الرشيد، وفي رأسي فضلة من خمار [(٧)]، وبين يديه ابن جامع وإبراهيم الموصلي، فقال: بحياتي يا إبراهيم غنني، فأخذت

(١) إبراهيم بن محمد المهدي بن عبدالله المنصور العباسي، أبو إسحاق، ويقال له ابن شكلة، وهو أخو هارون الرشيد، ولد ونشأ في بغداد وولاه الرشيد إمرة دمشق ثم عزله عنها بعد سنتين ثم أعاده إليها فأقام فيها أربع سنين، ولما انتهت الخلافة إلى المأمون اغتنم إبراهيم فرصة الخلاف بين الأمين والمأمون فدعا إلى نفسه وبايعه كثيرون في بغداد، فطلبه المأمون فاستتر، فأهدر دمه، فجاء مستسلما فسجنه ستة أشهر، ثم اعتذر له فقبل عذره، وكانت خلافته في بغداد سنتين تقريبا. كان إبراهيم أسود حالك السواد عظيم الجثة وليس في أولاد الخلفاء قبله أفصح منه لساناً ولا أجود شعراً، كان فاضلا سخيا حاذقاً بصنعة الغناء، وأمه جارية سوداء اسمها (شكلة) نسبه إليها خصومه، مات في سر من رأى سنة ٢٧٠ هـ. (الأغاني ١٠/٦٩ و ٩٤ ابن خلكان ١/٨ تاريخ بغداد ٦/١٤٢).

(٢) في الأصل: كذا. [المراجع].

(٣) في الأصل: «المبالغة». [المراجع].

(٤) في الأصل: «المسايعة». [المراجع].

(٥) في الأصل: «حدب». [المراجع].

(٦) في الأصل: «بحلسه». [المراجع].

(٧) الخمار: الصداع يصيب شارب الخمر، وما يشتكي من شرب الخمر.

العود، ولم ألتفت إليهما فغنيت: [1] [الكامل]

أسرى لخالدة الخيال ولاأرى ... شيئاً ألذ من الخيال الطائف

قال: فسمعت إبراهيم يقول لابن جامع: لو طلب هذا بهذا [الغناء] ما نطلب لما أكلنا خبزاً أبداً، فقال له ابن جامع: صدقت، فلما فرغت من غنائي، وضعت العود وقلت: خذا في حقكما ودعا باطلنا.

قال هبة الله بن إبراهيم بن المهدي: اتخذ أبي حراقة[2]، فأمر بشدها في الجانب الغربي حذاء داره، فمضيت إليها ليلة، وكان أبي يخاطبنا من داره بأمره ونهيه وبيننا عرض دجله، فما أجهد نفسه.

قال ابن قتيبة، حدثني ابن أبي ظبية، قال: كنت أسمع إبراهيم بن المهدي يتنحنح فأطرب.

قال ابن خرداذبة، حدثني محمد بن الحارث بن بسخنر، قال: وجه إبراهيم بن المهدي يوماً يدعوني، وذلك في أول خلافة [ص ١٩٩] المعتصم، فصرت إليه وهو جالس وحده، وشارية جاريته خلف الستارة، فقال لي: قد قلت شعراً وغنيت فيه، وطرحته على شارية فأخذته وزعمت أنها أحذق به مني، وأنا أقول إنها دوني في الحذق، وقد تراضينا بك حكماً لموضعك من هذه الصناعة، فاسمعه مني ومنها، ولا تعجل حتى تسمعه مني ومنها ثلاث مرات، فاندفع يغني هذا الصوت: [3] [الطويل]

أضن بليلى وهي غير سخية ... وتبخل ليلى بالهوى وأجود

فأحسن وأجاد، ثم قال لها: تغني فغنته فبرزت فيه كأنه كان معها في الجد،

---

(١) البيت لجرير في ديوانه ص ٤٣٤ والأغاني ١٠/١٢٢ وفي المصدرين بقافية القاف (الخيال الطارق).

(٢) الحرّاقة: نوع من السُّفن.[المراجع].

(٣) البيت في الأغاني ١٠/١٤٠.

ونظر إلي فعرف أني قد عرفت فضلها، فقال: على رسلك، وتحدثنا وشربنا، ثم اندفع فغناه ثانيةً، فأضعف في الإحسان، ثم قال لها: تغني، فغنت وبرعت وزادت وزادت اضعاف زيادته، وكدت أشق ثيابي طرباً، فقال لي: تثبت ولا تعجل، ثم غناه ثالثةً فلم يبق عليه في الإحكام، ثم أمرها فغنت، فكأنه إنما كان يلعب، ثم قال لي: [قل]، فقضيت لها عليه، فقال: أصبت، فكم تساوي الآن عندك؟ فحملني الحسد عليها له والنفاسة بمثلها ان قلت: تساوي مئة ألف درهم، فقال: أو ما تساوي على هذا كله الا مئة ألف درهم؟! قبح الله رأيك، والله ما أجد شيئاً في عقوبتك ابلغ من أن أصرفك، فقم فانصرف إلى منزلك مذموماً، فقلت له: ما لقولك اخرج من منزلي جواب، فقمت وانصرفت وقد أحفظني كلامه وأرمضني (١)، فلما خطوت خطوات التفت إليه فقلت: يا إبراهيم، أتطردني من منزلك، فوالله ما تحسن أنت ولا جاريتك شيئاً.

وضرب الدهر من ضربه، ثم دعانا المعتصم بعد ذلك وهو بالوزيرية في قصر الليل (٢)، فدخلت أنا ومخارق وعلوية، وإذا أمير المؤمنين مضطجع (٣)، وبين يديه ثلاث جامات: جام فضة مملوءة دنانير جدداً، [وجام ذهب مملوءة دراهم جدداً] وجام قوارير مملوءة عنبراً، فظننا أنها لنا لم نشك به في ذلك، فغنيناه وأجهدنا بأنفسنا، فلم يطرب ولم يتحرك لشيء من غنائنا، ودخل الحاجب فقال: إبراهيم بن المهدي، فأذن له، فدخل فغناه أصواتاً فأحسن فيها، ثم غناه بصوت من صنعته وهو هذا: (٤) [ص ٢٠٠] [البسيط]

ما بال شمس أبي الخطاب قد غربت ... يا صاحبيَّ أظن الساعة اقتربت

---

(١) ارمضني: أوجعني وأحرقني، مأخوذ من الرمضاء: وهي الحجارة الحامية من حر الشمس.

(٢) في الأغاني (قصر التل).

(٣) في الأغاني: (مصصبح) وهي الأصح.

(٤) الشعر لإبراهيم بن المهدي في الأغاني ١٠ / ١٤٢، ١٦ /٣٦٨.

فاستحسنه المعتصم وطرب وقال: أحسنت والله، فقال إبراهيم: يا أمير المؤمنين فإن كنت قد أحسنت فهب لي إحدى هذه الجامات، فقال: خذ أيها شئت، فأخذ التي فيها الدنانير، فنظر بعضنا إلى بعض، ثم غناه إبراهيم بشعرٍ له: (١) [المتقارب]

فـمـا مـزة قـهـوة قـرقف   شـمـول تروق براووقـهـا

فقال: أحسنت والله يا عم وسررت، فقال: يا أمير المؤمنين: إن كنت أحسنت فهب لي جاماً أخرى، قال: فخذ أيها شئت، قال: فأخذت الجام التي فيها الدراهم، فعندها انقطع رجاؤنا منها، وغنى بعد ساعة: (٢) [الطويل]

ألا ليت ذات الخال تلقى من الهوى   عشير الذي ألقى فيلتئم الحب

فارتج بنا المجلس الذي كنا فيه، وطرب المعتصم، واستخفنا الطرب، فقام على رجليه وجلس، وقال: أحسنت والله يا عم، قال: فإن كنت أحسنت فهب لي الجام الثالثة، قال: خذها، فأخذها، وقام أمير المؤمنين، فدعا إبراهيم بمنديل فثناه طاقين، ووضع الجامات فيه، ودعا بطين فختمه ودفعه إلى غلامه، ونهضنا للانصراف، وقدمت دوابنا، فلما ركب إبراهيم التفت إلي وقال: يا محمد بن الحارث، زعمت أني لا أحسن أنا وجاريتي شيئاً، وقد رأيت ثمرة الإحسان، [فقلت في نفسي: قد رأيت، فخذها لابارك الله لك فيها! ولم أجبه بشيء].

قال: دخل الحسن بن سهل (٣) يوماً على المأمون وهو يشرب، فقال: بحياتي

(١) البيت لإبراهيم بن المهدي في الأغاني ١٠ / ١٤٢.

(٢) البيت للعباس بن الأحنف في ديوانه ص ٣٦ برواية: فليتئم الشعب

(٣) الحسن بن سهل: بن عبدالله السرخسي وزير المأمون وأحد كبار القادة والولاة في عصره اشتهر بالذكاء المفرط والفصاحة والادب والكرم، وهو والد (بوران) زوجة المأمون وكان المأمون يجله ويكرمه، أصيب بمرض السويداء سنة ٢٠٣ هـ فتغير عقله حتى شد بالحديد، ثم شفي منه قبل=

عليك يا محمد، إلا شربت معي قدحاً، وصب له من نبيذٍ قدحاً فأخذه بيده وقال له: من تحب أن يغنيك فأومأ إلى إبراهيم بن المهدي، فقال له المأمون: غن يا عم: (١) [البسيط]

تسمع للحلي وسواساً إذا انصرفت

يعرض به لما كان لحقه من السوداء والاختلاط، فغضب المأمون حتى ظن إبراهيم أنه سيوقع به، ثم قال له: أبيت إلا كفراً، يا أكفر خلق الله تعالى لنعمه، والله ما حقن دمك غيره، ولقد اردت قتلك فقال لي إن عفوت عنه فعلت فعلاً لم يسبقك إليه أحد [ص ٢٠١] فعفوت والله عنك لقوله، أفحقه أن تعرض به؟ والله لا تدع كيدك ودخلك، (٢) وأنفت من إيمائه إليك بالغناء، فوثب إبراهيم قائماً وقال: يا أمير المؤمنين، لم أذهب حيث ظننت، ولست بعائدٍ، فأعرض عنه.

قال حمدون: كنت أحب أن أجمع بين إبراهيم بن المهدي، وأحمد بن يوسف الكاتب، لما كنت أراه من تقدم أحمد عليه [وغلبته] الناس جميعاً بحفظه وبلاغته وأدبه في كل محضر ومجلس، فدخلت يوماً على إبراهيم بن المهدي، وعنده أحمد بن يوسف وأبو العالية الخزري، فجعل إبراهيم يحدثنا فيضيف شيئاً إلى شيء، مرة يذكر ومرة يونث، ومرة يعظنا ومرة ينشدنا ومرة

= زواج المأمون بابنته سنة ٢١٠ هـ وتوفي في سرخس من بلاد خراسان سنة ٢٣٦ هـ.

(وفيات الأعيان ١/ ١٤١ تاريخ بغداد ٧/ ٣١٩)

(١) الشطر للأعشى من قصيدة في ديوانه ص ١٠٥ ط محمد حسين والأغاني ١٠/ ١٦٤. وتمامه:

تسمع للحلي وسواسا إذا انصرفت ... كما استعان بريح عشرق زجل

وإبراهيم يعرض بسهل بن هارون في بيت الأعشى من القصيدة وفيه ذكر الجنون:

أإن رأت رجلاً أعشى أضرّ به ... ريب المنون ودهر مفند خبل

(٢) الدخل: الفساد، مثل الدغل.

يضحكنا،و أحمد بن يوسف ساكت، فلما طال بنا المجلس، أردت أن أخاطب [أحمد]، فسبقني إليه أبو العالية فقال: [1] [الرجز]

مـــالك لا تـنبح يا كـلب الـدومْ قـد كنت نبـاحـاً فـمـا لك اليـومْ

فتبسم إبراهيم وقال: لو رأيتني في يد جعفر بن يحيى لرحمتني منه، كما رحمت أحمد مني.

قال إبراهيم بن المهدي: قلت للأمين يوماً: يا أمير المؤمنين، جعلني الله فداك! [فقال: بل جعلني الله فداك] فأعظمت ذلك، فقال: يا عم، لا تعظمه فإن لي عمراً لا يزيد ولا ينقص، فحياتي مع الأحبة أطيب من تجرعي فقدهم، وليس يضرني عيش من عاش [بعدي] منهم.

قال إبراهيم بن المهدي: غنيت يوماً الأمين: [2] [مجزوء الكامل]

أقـوت منازل بالهضاب من آل هـنـد فـالـربـاب
خطارة بزمامها وإذا ونت ذلـل الركـاب [3]
ترمي الحصا بمناسم صم صلادمة صلاب

قال: فاستحسن اللحن، وسألني عن صانعه، فأعلمته أن ابن جامع حدثني عن سياط [4] أنه لابن عائشة، فلم يزل يشرب عليه لا يتجاوزه، ثم انصرفنا ليلتنا تلك، ووافاني رسوله حين انتبهت [من النوم] وأنا أستاك، فقال لي: يقول

---

(١) الرجز في الأغاني ١٠/١٤٨ لعله لأبي العالية الخزري.

(٢) الشعر في الأغاني ١٠/١٥٨.

(٣) في الأصل: (خطارة بركابها) ولا يصح لأن الخطر ان يكون بالزمام وليس بالركاب بالإضافة إلى تكرار (الركاب) في القافية.

(٤) سياط: هو عبدالله بن وهب مولى خزاعة، أحد المغنين المقدمين في صناعة الغناء والعزف من أهل مكة، وهو أستاذ إبراهيم الموصلي وطبقته توفي نحو سنة ١٦٩ هـ، وقد مر ذكره.

لك بحياتي يا عم، لا تشتغل بعد الصلاة بشيء غير الركوب [إليَّ] فصليت وتناولت طعاماً خفيفاً وركبت إليه، فلما رآني من بعيد، صاح بي، بحياتي يا عم (خطارة بزمامها)، فلما دخلت المجلس، ابتدأت [ص ٢٠٢] فغنيته إياه، فأمر بإخراج صبيةٍ كان يتحظاها، فأخرجت إليه صبية كأنها لؤلؤة في يدها عود، فقال: بحياتي يا عم ألقه عليها، فأعدته مراراً وهو يشرب، حتى ظننت أنها قد أخذته، وأمرتها أن تغنيه، فإذا هو قد استوى لها، إلا في موضع كان فيه، وكان صعباً جداً، فجهدت جهدي أن يقع لها طلباً ليسر به، فلم يقع لها بتةً، ورأى جهدي في أمرها وتعذره عليها، فأقبل عليها وقد سكر وقال: نفيت من الرشيد، وكل أمةٍ لي حرة، وعلي عهد الله، لئن لم تأخذيه في المرة [الثالثة] لأمرن بإلقائك في دجلة، قال: ودجلة تطفح وبيننا وبينها ذراعان، وذلك في الربيع، فتأملت القصة، فإذا هو قد سكر والجارية لا تقوله كما أقوله أبداً، فقلت: هذه والله داهية ويتنغص عليه يومه، وأشرك في دمها، فعدلت عما كنت أغنيه عليه وتركت ما كنت أقوله، وغنيته كما كانت هي تقوله، وجعلت اردده حتى انقضت ثلاث مرات أعيده عليها، كما كانت هي تقوله، وأريته أني اجتهدت، فلما انقضت الثلاث مرات، قلت لها: هاتيه، فغنته على ما كان وقع لها، فقلت: أحسنت والله يا أمير المؤمنين، ورددته عليها ثلاث مرات، فطابت نفسه، وسكر فأمر لي بثلاثين ألف درهم.

قال محمد بن الحارث بن بسخنر: غنى إبراهيم بن المهدي يوماً بحضرة المأمون: (١) [الكامل]

يا صاح يا ذا الضامر العنس ... والرحل ذي الأنساع والحلس
أما النهار فأنت تقطعه ... ركضاً وتصبح مثل ما تمسي

(١) البيتان لخالد بن المهاجر في الأغاني ١٠ / ١٦٠ و ١٦ / ٢١٠.

قال: فاستحسنه المأمون وذهبت آخذه، ففطن بي إبراهيم، فجعل يزيد فيه مرة وينقص أخرى بزوائده التي كان يعملها في الغناء، وعلمت ما يصنع فتركته، فلما قام قلت للمأمون: يا سيدي، إن رأيت أن تأمر إبراهيم أن يلقي علي:

يا صاح يا ذا الضامر العنس

فقال: أفعل، فلما عاد قال له: يا إبراهيم ألق على محمد:

يا صاح يا ذا الضامر العنس

فألقاها علي كما كان يغنيه مغيراً، ثم انقضى المجلس وسكر المأمون، فقال لي إبراهيم: قم الآن فأنت أحذق الناس به، فخرج وخرجت، وجئته إلى منزله، فقلت له: ما في الأرض أعجب منك، أنت ابن خليفة وأخو خليفة [ص ٢٠٣] تبخل على وليٍّ لك مثلي لا يفاخرك بالغناء، ولا يكاثرك بصوت! فقال لي: يا محمد، ما في الدنيا أضعف عقلاً منك، والله ما استبقاني المأمون محبة لي، ولا صلة لرحمي، ولكنه سمع من هذا الجرم شيئاً فقده من سواه، فاستبقاني لذلك، فغاظني قوله، فلما دخلت إلى المأمون حدثته بما قال لي، فقال لي: يا محمد، هذا أكفر الناس لنعمةٍ، وأطرق ملياً ثم قال: لا نكدر على أبي إسحاق وقد عفونا عنه، ولا نقطع رحمه، واترك هذا الصوت الذي ضن به عليك إلى لعنة الله.

قال محمد بن يزيد: لما رضي المأمون عن إبراهيم بن المهدي ونادمه، دخل إليه متبذلاً في ثياب المغنين وزيهم، فلما رآه ضحك وقال: نزع عمي ثياب الكبر عن منكبيه، فدخل فجلس، فأمر المأمون ان يخلع عليه فلبس الخلع، ثم ابتدأ مخارق يغني: [1] [الطويل]

---

(١) البيت في الأغاني ١٠/١٦٢.

خليلي من كعب ألما هديتما بزينب لا يفقدكما أبداً كعب

فقال إبراهيم: أسأت واخطأت، فقال له المأمون: يا عم إن كان أساء وأخطأ فأحسن أنت، فغنى إبراهيم الصوت، فلما فرغ منه قال لمخارق: أعده الآن، فأعاده فأحسن، فقال له إبراهيم: يا أمير المؤمنين، كم بينه الآن وبينه في أول الامر، فقال: ما ابعد ما بينهما، فالتفت إلى مخارق وقال: مثلك يا مخارق مثل الثوب الوشي الفاخر،، إذا تغافل عنه أهله سقط عليه التراب، فحال لونه، فإذا نفض عنه عاد إلى جوهره.

قال إسحاق بن إبراهيم بن رياح: كنت أسأل مخارقاً: أي الناس أحسن غناء؟ فيجيبني جواباً مجملاً حتى حققت عليه يوماً، فقال لي: إبراهيم الموصلي أحسن غناء من ابن جامع بعشر طبقات، وأنا أحسن من إبراهيم بعشر طبقات، وإبراهيم بن المهدي أحسن غناء مني بعشر طبقات، ثم قال: أحسن الناس غناء أحسنهم صوتاً، وإبراهيم بن المهدي أحسن الإنس والجن والوحش والطير صوتاً، وحسبك هذا.

قال إبراهيم بن المهدي وقد ذكر الطبل والإيقاع به، فقال: هو من الآلات التي لا يجوز أن تبلغ نهايتها، فقيل له: وكيف خص الطبل بذلك؟ [ص ٢٠٤] فقال: لأن عمل اليدين فيه عمل واحد ولابد أن يلحق اليسار فيه نقص عن اليمين، ودعا بالطبل ليرينا ذلك، فأوقع إيقاعاً لم نظن أن يكون مثله، وهو مع ذلك يرينا زيادة اليمين على اليسار، وقال له الامين في بعض خلواته: يا عم، أشتهي أن أراك تزمر، فقال: يا أمير المؤمنين، ماوضعت على فمي نايا قط، ولا أضعه، ولكن يدعو أمير المؤمنين بفلانة ـ من موالي المهدي ـ حتى تنفخ في الناي وأمر يدي عليه، وأحضرت فوضعت الناي على فمها وأمسكه إبراهيم، فكلما مر الهواء

(١) مر إصبعه، فيسمع زمراً، أجمع سائر من حضر أنه لم يسمع مثله قط.

قال محمد بن موسى المنجم (٢): حكمت بأن إبراهيم بن المهدي أحسن الناس غناءً ببرهان، وذلك أني كنت أراه في مجالس الخلفاء مثل المأمون والمعتصم، يغني ويغني المغنون، فإذا ابتدأ الصوت لم يبق من الغلمان والمتصرفين في الخدمة وأصحاب الصناعات والمهن الصغار والكبار، إلا ترك ما في يده وقرب من أقرب موضع يمكنه أن يسمعه، فلا يزال مصغياً إليه، لاهياً عما كان فيه مادام يغني، حتى إذا أمسك وغنى [غيره] رجعوا إلى التشاغل بما كانوا فيه، ولم يلتفتوا إلى ما يسمعون، ولا برهان مثل هذا أقوى من شهادة الفطن واتفاق الطبائع ـ مثل اختلافها وتشعب طرقها ـ على الميل إليه.

٦٩- عُلَيَّةُ بِنْتُ المَهْدِي(٣)

ضربت عليها الخلافة سرادقها، ونصبت لها المهلة نمارقها، وأسبلت دونها

---

(١) في الأصل: (مر الغناء).

(٢) محمد بن موسى بن شاكر المنجم، عالم بالهندسة والحكمة والموسيقا والنجوم وهو أحد الأخوة الثلاثة الذين تنسب إليهم (حيل) بني موسى في الميكانيك وهم مشهورون بها واسم أخويه أحمد والحسن، وكانوا من المقربين من المأمون، يرجع إليهم في حل ما يعسر عليه فهمه من آراء متقدمي الحكماء، توفي محمد بن موسى سنة ٢٥٩ هـ.
(وفيات الأعيان ٢ / ٧٩، أخبار الحكماء ص ٢٠٨ مرآة الجنان ٢ / ١٧٠)

(٣) علية بنت المهدي بن المنصور، وتعرف بالعباسة، أخت هارون الرشيد، أديبة شاعرة تحسن صناعة الغناء، من أجمل النساء وأظرفهن وأكملهن فضلاً وعقلاً، كان أخوها إبراهيم بن المهدي يأخذ الغناء عنها، وكان في جبهتها اتساع يشين وجهها، فاتخذت عصابة مكللة بالجوهر لتستر جبهتها، وهي اول من اتخذها، كان الرشيد أخوها يبالغ في إكرامها ويجلسها معه على سريره، تزوجها موسى بن عيسى العباسي، توفيت في بغداد سنة ٢١٠ هـ.
(الأغاني ١٠ / ٢١٨ ـ ٢٢٦ فوات الوفيات ٢ / ٩٩ الدر المنثور ٣٤٩، أشعار أولاد الخلفاء ٥٥ ـ ٨٣ أعلام النساء ١٠٦٧ ـ ١٠٧٤).

الحجب المنيعة، وأسدلت بين أخصاء الخدم وبينها الستور الرفيعة، وكان الرشيد شديد الغيرة عليها، والغيلة لمن أومأ بنظره إليها، هذا حاله مع خدم الدار(١)، وحرم من آواه(٢) حرم ذلك الجدار، فأما من سواهم، فلا يقع عليها مقل النجوم نظر ناظر، ولا يمر من خاطر النسيم على ذكر ذاكر، إجلالاً لمكانها، وإجفالاً من رقباء الرشيد الطائفة بأركانها، ثم هتكت بالغناء سترها الرفيع، وهونت حجابها المنيع، فعرضت عرضها(٣) للتشنيع، وعرضت عرضها للتضييع، ولم يغنها أن أخلدت إلى هذه الصناعة، ورمت مالها بالإضاعة [ص٢٠٥]، حتى صارت تظهر لأهل الغناء، وتختلط بمن يؤهل من قومه المهناء، فأصبحت لا تعد في ذوات الستور، ولا تعاب إلا بما تحمد به البدور من السفور، وإنما أمها بصبص، وحق سرها فيها قد حصحص، وكانت هي وأخوها إبراهيم أقدر أخوين على الغناء، وأقوم رسيلين بالغناء كانت كأنما أعطيت مزماراً من مزامير داود، أو حركت أوتاراً ركبت في لهواتها لا في العود، على كمال أدب بارع، وظرف إلى هز المعاطف مسارع، مع جمال تنقبت بنقابه وكمال تجلببت بجلبابه، ورقة خلائق كان نشر الصبا يدمثها، ودقة معان كان صوت اليراع ينفثها، وكان الرشيد لا يقدر على فراقها لسماع تلك الأغاريد، وإمتاع ذلك اللسان الحلو بلقائط تلك الأناشيد، وكان لا يتم سروره الا بحضورها، ولا يعم حبوره إلا إذا برزت نحوه من ستورها.

قال محمد بن إسماعيل بن موسى الهادي، كنت عند المعتصم وعنده مخارق وعلوية ومحمد بن الحارث بن بسخنر وعقيد، وكنت أضرب عليه فغنى: (٤) [المديد]

---

(١) في الأصل: «الرأي». [المراجع]. (٢) في الأصل: «أواه». [المراجع].

(٣) وردت في التحقيق «عليها» والصواب من الحاشية. [المراجع].

(٤) الشعر لخالد الكاتب في الأغاني ١٠/٢٠٥.

نام عـــــــذالـي ولـم أنم   واشـتـفى الواشـون من سـقـمي
وإذا مـــا قـلـت بـي ألـم   شـك مـن أهـواه فـي ألمـي

فطرب المعتصم وقال: لمن هذا الشعر، فأمسكوا، فقلت: لعلية، فأعرض عني، فعرفت غلطي، وأن القوم أمسكوا عمداً، فقطع بي [١]، وتبين حالي، فقال: لا ترع يا محمد، فإن نصيبك منها مثل نصيبنا.

قال إسحاق الموصلي: عملت في أيام الرشيد لحناً: [٢] [البسيط]

سـقـيـاً لأرض إذا مـا نمت نبـهـني   بعـد الهـدوء بهـا قـرع النواقـيس [٣]
كـأن سـوسنهـا في كل شـارقـة   على الميـادين أذناب الطـواويس

قال: فأعجبني وعزمت على أن أباكر به الرشيد، فلقيني في طريقي خادم لعلية بنت المهدي، فقال: مولاتي تأمرك بدخول الدهليز لتسمع من بعض جواريها [ص ٢٠٦] صوتاً أخذته عن أبيك، وشَكَّتْ فيه الآن، فدخلت معه حجرةً قد أفردت لي كأنها كانت معدة، فجلست وقدم لي طعام وشراب، فنلت حاجتي منهما، ثم خرج إليَّ خادم فقال: تقول مولاتي، أنا أعلم أنك قد غدوت إلى أمير المؤمنين بصوت قد أعددته له محدثٍ، فأسمعنيه ولك جائزة سنية، فغنيتها إياه ولم [تزل] تستعيده مراراً، ثم قالت: اسمعه الآن، فغنته غناءً ما سمع سمعي مثله قط، ثم قالت: كيف تراه؟ قلت: أرى والله ما لم أر مثله، ثم أمرت جارية فأخرجت لي عشرين ألف درهم، وعشرين ثوباً، فقلت: هذا ثمنه، وأنا الآن داخلة إلى أمير المؤمنين ولم أبدأ بغناء غيره، وأخبره أنه صنعتي، وأعطي الله عهداً لئن نطقت بأن لك فيه صنعة لأقتُلَنَّك، هذا إن نجوت منه إن علم بمصيرك إليَّ،

---

(١) قطع بي: أي أحرجت وسدت علي المسالك.

(٢) الشعر لإسماعيل بن يسار أو إسحاق الموصلي في الأغاني ١٠/٢٠٧.

(٣) في الأصل: (بعد الهوى) وهو تحريف.

فخرجت من عندها، والله إني كالموقر[١] بما أكره من جائزتها أسفاً على الصوت، فما جسرت والله بعد ذلك أن أتَنَغَّم به في نفسي فضلاً عن أن أظهره حتى ماتت.

فدخلت على المأمون في أول مجلس جلس به للهو بعدها، فبدأت به في اول ما غنيت، فتغير وجه المأمون، وقال: من أين لك هذا ويلك؟ قلت: ولي الأمان على الصدق، قال: ذلك لك، فحدثته الحديث، فقال: يا بغيض، فما كان لك في هذا من التعاسة حتى شهرته، وذكرت هذا منه، مع ماأخذته من الجائزة. وهجنني[٢] فيه هجنةً وددت معها أنني لم أذكره، فآليت على نفسي ألا أغنيه بعدها أبداً.

قال: أهديت للرشيد جارية في غاية الجمال والكمال، فخلا معها يوماً، وأخرج كل قينةٍ في داره واصطبح، فكان من حضر من جواريه للغناء والخدمة والشراب زهاء ألفي جارية في أحسن زي، وفي كل نوعٍ من أنواع الجواهر والثياب، واتصل الخبر بأم جعفر، فغلظ عليها ذلك، فأرسلت إلى علية تشكو إليها، فأرسلت إليها علية: لا يهولنك ما رأيت، والله لأردنه إليك، قد عزمت أن أصنع شعراً، وأصوغ فيه لحناً، وأطرحه على الجواري فلا تبقى عندك جارية إلا بعثت بها إلي، وألبسيهن أنواع الثياب، ليأخذن الصوت مع جواري [ص ٢٠٧] ففعلت أم جعفر ما أمرتها به علية، فلما جاوزت صلاة العصر لم يشعر الرشيد الا وعلية قد خرجت إليه من حجرتها، معها زهاء ألفي جارية من جواريها وسائر جواري القصر، عليهن غرائب اللباس، وكلهن في لحن واحد هزج: [٣] [مجزوء الرجز]

منفـــــصل عني ومـــــا قـلـبي عـنـه مـنـفـــــصل

---

(١) الوقر: الحمل الثقيل، يقال: أوْقَر الدابة، حَمَلّها وقراً؛
– وهو يصف ما أصابه من أسف على ضياع لحنه.[المراجع].

(٢) هجنه: أهانه وعابه.

(٣) الرجز لعلية بنت المهدي في الأغاني ١٠/ ٢١١.

يا قـــــاطعي اليـــــوم لمن نويت بعـــــــدي أن تصل

فطرب الرشيد وقام على رجليه حتى استقبل أم جعفر وعلية وهو على غاية السرور، وقال: لم أر كاليوم قط، يا مسرور، لا تبقين اليوم درهماً في بيت المال الا نثرته، وكان مبلغ ما نثر يومئذ ستة آلاف ألف درهم.

قال: كانت علية تقول: [من] لم يطربه الرمل لم يطربه شيء، وكانت تقول: من أصبح وعنده طباهجة (١) ولم يصطبح ضاع سروره.

قال إبراهيم بن المهدي: ما خجلت قط خجلتي من علية بنت المهدي، حين دخلت إليها يوماً، فقلت لها: كيف أنت يا أختي جعلت فداك، وكيف حالك وخبرك؟ فقالت: بخير والحمد لله، ووقعت عيني على جارية لها كانت تذب عنها (٢)، فتشاغلت بالنظر إليها وأعجبتني، وطال جلوسي ثم استحييت من علية، فأقبلت عليها فقلت لها: كيف أنت وكيف حالك جسمك (٣) جعلت فداك؟ فرفعت رأسها إلى حاضنة لها وقالت: أليس قد مضى هذا وأجبنا عنه؟ فخجلت خجلاً ما خجلت مثله قط، وقمت وانصرفت.

قال محمد بن جعفر بن يحيى: شهدت أبي جعفراً وأنا صغير، وهو يحدث أباه يحيى بن خالد في بعض ما كان يخبره به من خلواته مع الرشيد، فقال: يا أبت، أخذ بيدي أمير المؤمنين، ثم أقبل في حجرة يخترقها حتى انتهى إلى حجرةٍ مغلقةٍ، ففتحها بيده ودخلنا جميعاً، فأغلقها من داخل بيده، ثم صرنا إلى رواق ففتحه، وفي صدره مجلس مغلق، فقعد على باب المجلس، فنقر الباب [ص ٢٠٨] فسمعنا حسناً، ثم أعاد النقر، فسمعنا صوت عودٍ، ثم أعاد الثالثة

(١) الطباهجة: ضرب من اللحم المقلي

(٢) تذب عنها: أي تحرك المروحة فوق رأسها لتبعد الحر عنها.

(٣) في الأصل كلمة مضطربة هكذا (جلسمك).

فغنت جارية ما ظننت أن الله تعالى خلق مثلها في حسن الغناء، وجودة الضرب، فقال أميرالمؤمنين لها بعد أن غنت أصواتاً: غني صوتي، فغنت [١]: [الكامل]

ومخنث شهد الزفاف وقبله ... غنى الجواري حاسراً ومنقبا
لبس الدلال وقام ينقر دفه ... نقراً أقر به العيون وأطربا
إن النساء رأينه فعشقنه ... فشكون شدة ما بهن فأكذبا [٢]

قال: فطربت والله طرباً هممت معه أن أنطح برأسي الحائط، ثم قال: غنني، فغنت: [٣] [المديد]

طال تكذيبي وتصديقي ... لم أجد عهداً لمخلوق
لا تراني بعدهم أبداً ... أشتكي عشقاً لمعشوق

قال: فرقص الرشيد ورقصت معه، ثم قال: امض بنا فإنني أخشى أن يبدو منا ما هو أكثر من هذا، فمضينا فلما صرنا إلى الدهليز، قال: وهو قابض على يدي: عرفت هذه المرأة؟ قلت: لا يا أميرالمؤمنين، قال: فإني أعلمك ستسأل عنها فلا تكتم ذلك، وأنا أخبرك بها، هذه علية بنت المهدي، ووالله لئن لفظت به بين يدي أحدٍ وبلغني لأقتلنك، قال: فسمعت جدي يقول له، قد والله لفظت به، ووالله لأقتلنك [٤] فاصنع ما أنت صانع.

---

(١) الأبيات في الأغاني ١٠/٢١٨.

(٢) في الأصل: (إن النساء رأينه فعشقنه يشكون بشدة) والوجه: (يشكين).

(٣) الشعر لمحمد بن حميد الطوسي في الأغاني ١٠/٢١٨.

(٤) كذا وردت العبارة في الأصل، وفي الأغاني: (ووالله ليقتلنك) وفي كلتا العبارتين لبس، هل محمد بن جعفر يخاطب أباه، أم جعفر بن يحيى يخاطب الرشيد؟

– قلت: توجيه الكلام أنّ – يحيى قال لجعفر:« قد لفظت بخبر عُليّةَ واسمها» وعَقّبَ على ذلك بما هَدَّدَ به الرشيد« ووالله ليقتلنّك» أي في يوم من الأيام.

وأردف:« فاصنعْ ماأنت صانع» أي فلن تُفلت مما ورد على لسان الرشيد من القتل.

– والخبر يدخل في جملة الأخبار التي جُمعت عن الرشيد والبرامكة، وفيها إرهاصات بالأحداث المستقبلية. [المراجع].

ومن شعرها في طَلّ: [1] [الكامل]

يا رب إني قد غرضت بهجرها وإليك أشكو ذاك يا رباه
مولاة سوء قد تضر بعيدها نعم الغلام وبئست المولاه
طَلٌّ ولكني حرمت نعيمه وهواه إن لم يغنني الله [2]
يا رب إن كانت حياتي هكذا ضُرّاً عليّ فما أُحِبُ حياه

قال: ماتت علية سنة تسع ومئتين، ولها من العمر خمسون سنة، وصلى عليها المأمون، وكان سبب وفاتها أن المأمون يوماً ضمها إليه وجعل يقبل رأسها، وكان وجهها مغطى، فشرقت من ذلك وسعلت ثم حمت بعقب هذا أياماً يسيرة وماتت.

وكانت تحب خادماً لها اسمه طل فأقصاه الرشيد [ص ٢٠٩] عنها خلافاً لمرادها، وأقصدها من فراقها بسهم لم يخط صميم فؤادها فأبعده إلا عَنْ موضعه من حبها، وأخرجه إلا مِنْ مكانه من قلبها، وإنما أظهرت التجلد لأجله، وأبدت التثبت خوفاً أن يسبق السيف لعذله، فلم تتمكن بعد أن نفض عن ستورها سقيط طَلِّه إلا أن تجمع بالبكاء طلها بوبله، فبلغ الرشيد ولعها بتذكره، ودمعها الباكي على ساقط الطل في ثغر الأقحوان الضاحك، فقويت عزيمتها على الطرب، وإن كان مر المذاق، وتماسكت، وما عسى أن يتماسك المشتاق، فدخل الرشيد عليها يوماً وهي تقرأ: «فإن لم يصبها وابل فطل» [3]، فقالت: فإن لم يصبها وابل فما نهى أمير المؤمنين عنه، فقال لها: يا علية ولا في القرآن، ثم أذن له فيما بعد أن يكون بمكانه من بابها في جملة الخدم، ولا يتأخر عنهم ولا

(١) الشعر لعلية بنت المهدي، وقيل لنبيه الكوفي في الأغاني ١٠/ ٢٠١.
(٢) في الأصل: (حرمت نعيمها) وبهذه الرواية يكون الشعر لنبيه الكوفي.
(٣) من سورة البقرة الآية ٢٦٥.

يتقدم، فكان على ذلك وهي أشدّ ما كانت به ولوعاً، وإليه نزوعاً، تتشكى الظمأ، ولا ترى الماء إلا ممنوعاً[١]، ومضت عليها أيام لا تراه، فمشت على ميزابٍ مخاطرة في هواه، فلما وصلت إليه أنشدت من حرقتها عليه:[٢] [الكامل]

قد كان من كُلِّفتُه زمناً ... يا طل من وجد بكم يكفي
حتى أتيتك زائراً عجلاً ... أمشي إلى حتفي على حتفي

وقالت في طلٍ وصحفت اسمه: [٣] [الطويل]

أيا سروة البستان طال تشوقي ... فهل لي إلى ظل إليك سبيل
متى يلتقي من ليس يقضى خروجه ... وليس لمن يهوى إليه سبيل

وكانت لأم جعفر جارية يقال لها طغيان، فوشت بعلية إلى رشأ وقالت عنها مالم تقل، فقالت علية فيها: [٤] [الطويل]

لطغيان خف مذ ثلاثين حجةً ... جديد فلايبلى ولا يتخرَّق
وكيف بلى خف هو الدهر كله ... على قدميها في السماء معلق
فما خرقت خفاً ولم تبل جورباً ... وأما سراويلاتها فتمزق

ومن شعرها وقولها: [٥] [ص ٢١٠] [المديد]

نام عذالي ولم أنم ... واشتفى الواشون من سقمي
وإذا ما قلت بي ألم ... شك من أهواه في ألمي

(١) في الأصل: «ممنوعة». [المراجع].
(٢) الشعر لعلية بنت المهدي في الأغاني ١٠/٢٠١.
(٣) الشعر لعلية بنت المهدي في الأغاني ١٠/٢٠٢.
وقد صحفت باسم طل فجعلته (ظل).
(٤) الشعر لعلية بنت المهدي في الأغاني ١٠/٢٠٥.
(٥) الشعر لخالد الكاتب في الأغاني ١٠/٢٠٥.

وقولها وقد خرجت مع أخيها الرشيد: (١) [الطويل]

ومـغـتـرب بـالمرج يبكي لشـجـوه وقد غـاب عنه المسعدون على الحب (٢)
إذا مـا أتاه الركب من نـحـو أرضـه تنشق يـسـتـشـفي برائحـة الـركب

وقولها: (٣) [الطويل]

وأحـسـن أيام الهـوى يومك الذي تـروع بالـهـجـران فـيـه وبالعـتـب

ومنه قولها: (٤) [مجزوء الكامل]

اشـرب عـلى وجـه الغـزال الـنـاعـم الحـلـو الـدلال (٥)
اشـرب عـلـيـه وقـل لـه يـا غـلَّ ألبـاب الـرجـال

وقولها: (٦) [مجزوء الرجز]

مـنـفـصـل عـني ومـا قـلـبـي عـنـه مـنـفـصـل
يـاقـاطـعـي الـيـوم لمـن نـويـت بـعـدي أن تـصـل؟

(١) الشعر لعلية بنت المهدي في الأغاني ١٠/٢٢٢.
(٢) المرج: وهو مرج القلعة بينه وبين حلوان منزل وهو من حلوان إلى جهة همدان (ياقوت: المرج).
(٣) البيت لعلية بنت المهدي، ولم أجد له مصدراً.
(٤) الشعر لعلية بنت المهدي في الأغاني ١٠/٢٠٢.
(٥) الشعر في الأغاني برواية:
سلم على ذاك الغزال الاغيد الحسن الدلال
سلم عليه وقل لـه يا غـل الباب الرجـال
(٦) الرجز لعلية بنت المهدي في الأغاني ١٠/٢١١.

٧٠-ومنهم- أبو عِيْسَى [١]

الزبير [٢] علمه الغناء والفراغ، وظفر الاعتناء منه بما يُرَاغ[٣]، ولم يرعه من صنعة هذه الصنعة شرف أبيه، وشره مثله إلى ما يعليه، ونزوع نفسه إلى التشبه بأخويه، والتشبث بما كان يؤمل أن يصير إليه. وإنما أعجزه؟ على غرة شبابه عمه إبراهيم فخلّطَ عليه، وكان ذا جمال لا يدع لذي حسن نفاقاً، وكمال يُديرُ[٤] عليه من حذق نطاقاً.

قال الأصفهاني: ومن شعره وله فيه صنعة:[٥] [مجزوء الرجز]

قام بقلبي وقعد ... ظبي نفى عني الجلد
خلفني مدلهاً ... أهيم في كل بلد
أسهرني ثم رقد ... ومارثى لي من كمد
ظبي إذا ازددت له ... تذللا تاه وصد [ص ٢١١]
واعطشا إلى فمٍ ... يمج خمراً من برد

وكان يقال: انتهى جمال ولد الخلافة إلى أولاد الرشيد، ومن اولاد الرشيد إلى محمد وأبي عيسى [وكان أبو عيسى] إذا عزم على الركوب جلس الناس له حتى يروه، اكثر مما كانوا يجلسون للخلفاء.

قال الرشيد لأبي عيسى وهو صبي: ليت جمالك لعبدالله (يعني المأمون) فقال: على أن حظه منك لي، فعجب من جوابه على صباه وضمه إليه وقبله.

(١) كذا وردا اسمه في الأصل، وهو أبو عيسى بن الرشيد، اسمه أحمد، وقيل بل اسمه صالح بن الرشيد، وأمه أم ولد بربرية، وكان من أحسن الناس وجهاً ومجالسة وعشرة،وأمجنهم وأحدهم نادرة وأشدهم عبثاً، وكان يقول شعراً ليناً طيباً من مثله، أخباره في الأغاني. (الأغاني١٠/ ٢٢٧ ـ ٢٣٥).

(٢) الزبير: هو الزبير بن (دحمان المغني).

(٣) في الأصل: «يراع».[المراجع].

(٤) في الأصل:«يريد» .[المراجع].

(٥) الرجز لأبي عيسى بن الرشيد في الأغاني ١٠/ ٢٢٦.

ولما قال [أبو] عيسى: [1] [الطويل]

دهاني شهر الصوم لا كان من شهر ... ولا صمت شهراً بعده آخر الدهر
فلو كان يعديني الإمام بقدرةٍ ... على الشهر لا ستعديت جهدي على الشهر

ناله بعقب قوله لهذا الشعر صرع، فكان يصرع في اليوم مرات، ولم يبلغ شهراً مثله.

قال ابن حمدون: قلت لإبراهيم بن المهدي: من أحسن الناس غناءً؟

قال: أنا، قلت: ثم من؟ قال: أبو عيسى بن الرشيد، قلت: ثم من؟ قال مخارق.

قال: كان أبو عيسى بن الرشيد وطاهر بن الرشيد يتغديان مع المأمون. فأخذ أبو عيسى هندباءةً [2] وغمسها في الخل، وضرب بها عين طاهر الصحيحة، فغضب وقال: يا أمير المؤمنين: إحدى عيني ذاهبة، والأخرى على يدي عدلٍ، يفعل بي هذا بين يديك؟ فقال المأمون: يا أبا الطيب، إنه والله يعبث معي أكثر من هذا العبث.

قيل: كان المأمون يخطب يوم جمعة على المنبر بالرصافة، وأخوه أبو عيسى تلقاء وجهه في المقصورة، إذ أقبل يعقوب بن المهدي، وكان من أفسى الناس، معروفاً بذلك، فلما أقبل وضع أبو عيسى كمه على أنفه، وفهم المأمون ما أراد، فكاد أن يضحك، فلما انصرف بعث إلى أبي عيسى فأحضره وقال: والله لهممت أن ابطحك فأضربك مئة درة [3]، ويلك أردت أن تفضحني بين أيدي

---

(١) الشعر لأبي عيسى بن الرشيد في الأغاني ١٠/٢٢٨.
(٢) الهندباء: صنفان من النبات، أحدهما قريب الشبه من الخس عريض الورق والآخر أدق وأرق منه، وفي طعمه مرارة. (مفردات ابن البيطار ١/١١٨).
(٣) الدرة: السوط يضرب به.

الناس يوم الجمعة وأنا على المنبر، إياك أن تعود لمثل هذا، وكان يعقوب بن المهدي لا يقدر أن يمسك الفساء إذا جاءه، فاتخذت له داية مثلثة[١] [ص ٢١٢] وطيبتها وتنوقت فيها، فلما وضعتها تحته [فسا]، فقال: هذه ليست بطيبة، [فقالت له الداية هذه قد كانت طيبة] وهي مثلثة، فلما ربعتها فسدت.

قال: وكان يعقوب هذا مُحَمَّقاً، وكان يخطر بباله الشيء يشتهيه، ثم يثبت تحته ليس عندنا، فوجد في دفتر له ثبت ما في الخزانة من الثياب المثقلة الإسكندرانية، لا شيء، الفصوص الياقوت الأحمر من حالها كذا ومن نعتها كذا: لا شيء، فحمل إلى المأمون ذلك الدفتر فضحك لما قرأه حتى فحص برجليه وقال: ما سمعت بمثل هذا قط.

قال عمرو بن سعيد: لما مات أبو عيسى بن الرشيد وجد عليه المأمون وجداً شديداً، حتى امتنع من النوم ولم يطعم شيئاً، فدخل عليه أبو العتاهية، فقال له المأمون: حدثني بحديث بعض الملوك ممن كان قبلنا في مثل بعض حالنا وفارقها، فحكى له حكاية الجارية التي أخبر سليمان بن عبدالملك أنها عرضت له وهو خارج إلى الجمعة، وأنشدته: [٢] [الخفيف]

أنت خير المتاع لو كنت تبقى

البيتان

وأنه أعرض بوجهه، فلم تَدُرْ عليه الجمعة إلا وهو تحت التراب.

---

(١) لم أهتد لمعناها: ويبدو أنها قطعة قماش من ثلاث طبقات توضع تحته كالوسادة لتمنع خروج الريح.

(٢) الشطر لموسى شهوات في الأغاني ١٠ / ٢٣٤ وتمام البيتين:

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى ... غير أن لا بقاء للإنسانِ

أنت خلو من العيوب ومما ... يكره الناس غير أنك فاني

قال: فبكى المأمون والناس، فمارأيت أكثر باكياً من ذلك اليوم، والبيتان لموسى شهوات.

ومن شعر أبي موسى وله فيه صنعة: (١) [مجزوء الخفيف]

رقــــــدت عنــك سلـوتـي والهـــوى ليـس يـرقـــد
وأطـار الســــهــــاد نـو مـي فنـومي مــســـهــد
أنـت بـالحــســن منـك يـا أحــسن الناس تشــهـد
وفـــؤادي بحــســن وجـ ـهك يشــقى ويكمـــد

٧١- عَلُّوَيْه(٢)

كوكب أفق وسحب أنواء دفق، توقل (٣) مناراً، وتوقد شجره الأخضر ناراً، صنع غرائب الألحان، وظهر بعجائب الامتحان، وأدنته مجالس الخلفاء، وأدنته(٤) بالزيادة على الأكفاء وحلت له عقدة الحظ، وعقلة الزمن الفظ، فباء بالنعم الوافرة، وآب بالآمال النافرة، وراد معاندة خاسر [ص ٢١٣] الصفقة، حاسي الرفقة، لا يضم رجاؤه على النجاح كشحاً، ولا تأتيه دقائق الرزق إلارشحاً.

قال أبو الفرج، قال أبو عبيد الله بن حمدون، حدثني أبي قال: اجتمعت مع إسحاق يوماً في بعض دور بني هاشم، وحضر علويه فغنى أصواتاً، ثم غنى من

(١) الشعر لأبي عيسى بن الرشيد في الأغاني ١٠/ ٢٣٥ مع اختلاف في الرواية.

(٢) علويه: علي بن عبدالله بن سيف أو يوسف أبو الحسن، موسيقي بغدادي أصله من السغد (بين بخارى وسمرقند تخرج على إبراهيم الموصلي وبرع في الغناء والتلحين والضرب بالعود وغنى للأمين العباسي وعاش إلى أيام المتوكل، كان حاذقاً مؤدباً محسناً لصناعته مع خفة روح وطيب مجالسة ونوادر، توفي سنة ٢٣٦ هـ. (الأغاني ١١/ ٣٣٤ - ٣٦٦).

(٣) توقل: صعد، يقال: توقل في الجبل أو المجد، صعد وارتقى.

(٤) كذا بتكرار «أدنته»، ولعلها هنا: «آذَنَتْهُ». [المراجع].

صنعته: (١) [الطويل]

ونبئت ليلى أرسلت بشفاعة إلي فهلا وجه ليلى شفيعها

فقال له: أحسنت والله يا أبا الحسن ما شئت، فقام علويه من مجلسه فقبل رأس إسحاق وجلس بين يديه، وسر بقوله سروراً شديداً، ثم قال له: أنت سيدي وأستاذي، ولي إليك حاجة، قال: قل فوالله إني أبلغ فيها ما تحب، فقال: أيما أفضل أنا عندك أم مخارق فإني أحب أن يسمع منك في هذا المعنى قول يؤثر ويحكيه عنك من حضر، فتشرفني به، قال إسحاق: ما منكما إلا محسن مجمل، ولا نريد أن يجري في هذا شيء، قال: سألتك بحقي عليك وبتربة أبيك، وبكل حق تعظمه إلا ما حكمت، فقال: ويحك لو كنت أستجيز أن أقول غير الحق لقلته فيما تحب، فأما إذ أبيت إلا ذكر ما عندي، فلو خيرت أنا من يطارح جواري أو يغنّيني، لما اخترت غيرك، ولكنكما إذا غنيتما بين يدي خليفة أو أمير، غلبك على إطرابه، واستبد عليك بجائزته، فغضب علويه، وقام وقال: أفٍّ من رضاك، وأف من غضبك.

قال عبدالله بن طاهر، سمعت الواثق يقول: علويه أصح الناس صنعةً بعد إسحاق، وأطيب الناس صوتاً بعد مخارق، وأضرب الناس بعد زلزل (٢)، فهو مصلي (٣) كل سابق ناذر(٤)، وثاني كل أول فاضل.

قال: وكان الواثق يقول: غناء علويه مثل نقر الطست يبقى ساعة في السمع بعد سكونه.

وكان علويه أعسر، وكان عوده مقلوب الأوتار، البم أسفل، ثم المثلث فوقه،

---

(١) البيت لمجنون ليلى في ديوانه ص ١٥١ ط عالم الكتب بيروت ١٩٩٦، والأغاني ١١ / ٣٣٥.

(٢) في الأغاني (ربرب) والصواب: زلزل.

(٣) المصلي: في خيل السباق الذي يتلو السابق، ويستعار للإنسان.

(٤) كذا بالأصل، ولعلها «بادرٌ». [المراجع].

ثم المثنى ثم الزير، فيكون مستوياً على يده، مقلوبا في يد غيره.

قال: غنى علويه يوماً بين يدي الأمين (١): [ص ٢١٤] [الرمل]

ليت هنداً أنجـــزتنا مـــا تعـــد وشـــفت أنفـــسنا مما تجـــد

وكان الفضل بن الربيع يَضْطَغِنُ عليه شيئاً، فقال للأمين: إنما يعرض بك ويحرض المأمون، ويستبطئ محاربته إياك، فأمر به فضرب خمسين سوطاً (٢) وجر برجله حتى أخرج، وجفاه مدةً، فلما قدم المأمون، تقرب إليه بذلك، فلم يقع له بحيث يحب، وقال له: إن الملوك بمنزلة الأسد والنار فلا تتعرض لما يغضبه، فإنه ربما جرى منه ما يتلفك، ثم لا تقدر بعد ذلك على تلافي ما فرط منه، ولم يعطه شيئاً.

ومثل هذا من (٣) فعل الأمين ما حكاه إسحق قال: دخلت يوماً على الأمين فرأيته مغضباً كالحاً، فقلت: ما للأمير تمم الله سروره ولا نغصه إياه كالخاثر، فقال: غاظني أبوك الساعة، والله لو كان حيا لضربته خمس مئة سوط، ولولاك لنبشت الساعة قبره وأحرقت عظامه، فقمت على رجلي وقلت: أعوذ بالله من سخطك يا أمير المؤمنين، ومن أبي وما مقداره حتى تغتاظ منه، وما الذي غاظك، فلعل له عذراً فيه، فقال: شدة محبته المأمون، وتقديمه إياه عليَّ قال في الرشيد شعراً يقدمه علي وغناه فيه، وغنيته الساعة فأورثني هذا الغيظ، فقلت: والله ما سمعت بهذا قط، ولا لأبي غناء إلا وأنا أرويه، ما هو؟ (٤) فقال قوله: (٥)

(١) البيت لعمر بن أبي ربيعة من قصيدة في ديوانه ص ٣٢٠ والأغاني ١١ / ٣٤٢.

(٢) في الأصل: (خمسين صوتاً) وهو تحريف من الناسخ.

(٣) في الأصل: (ما فعل الأمين).

(٤) في الأصل العبارة فيها قلب واضطراب: (قال فما هو، قلت: قوله) إنشاد الشعر للأمين وليس لإسحاق.

(٥) البيت لإبراهيم الموصلي في الأغاني ١١ / ٣٤٢.

[الوافر]

أبو المأمون فينا والأمين ... له كنفان من كرم ولين

فقلت له: لم يقدم المأمون هذا لتقديمه إياه في الموالاة، ولكن الشعر لم يصح وزنه إلا هكذا، فقال: وكان ينبغي له إذا لم يصح وزنه إلا هكذا أن يدعه إلى لعنة الله، قال: فلم أزل أرفق به إلى أن سكن، فلما قدم المأمون سألني عن هذا الحديث، فحدثته به فجعل يضحك ويتعجب منه.

قال أحمد بن يحيى المكي: دخلت على علويه أعيده من علة اعتلها، فجرى حديث المأمون، فقال: علم الله كدت أذهب ذات يوم وأنا معه، لولا أن الله عز وجل سلمني ووهب [ص ٢١٥] لي حكمة، فقلت كيف كان ذاك؟ قال: كنت معه لما خرج إلى الشام، فدخلنا دمشق وجعل يطوف على قصور بني أمية، فدخلنا صحناً [١]، فإذا هو مفروش بالديباج والرخام الأخضر، وفيه بركة ماء يدخلها ويخرج منها من عين تصب إليها، وفي البركة سمك، وبين يديها بستان، وعلى أربع زواياها أربع سروات [٢]، كأنها قصت بمقراض من التفافها أحسن ما رأيت قط من السرو قداً، فاستحسن ذلك وعزم على الصبوح [٣]، وقال: هاتوا لي الساعة طعاماً خفيفاً، فأتي ببزماورد [٤] فأكله، ودعا بالشراب، وأقبل علي فقال: غنني ونشطني، فكأن الله عز وجل أنساني الغناء [٥] [كله إلا

---

(١) الصحن: ساحة الدار.

(٢) السروات: جمع سروة، والسرو شجر للزينة من فصيلة الصنوبريات.

(٣) الصبوح: شرب الخمر عند الصباح، والغبوق شربه عند المساء.

(٤) البزماورد: طعام يتخذ من اللحم المقلي والبيض، وقيل: هو الرقاق الملفوف باللحم (فارسي معرب).

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل، والتكملة من الأغاني ١١/٣٥٨.

هذا الصوت:(١) [المنسرح]

لو كـــان حـــولي بني أمـــيـــة لـم تـنـطق رجـــال أراهـم نطقـــوا]

فنظر إلي مغضباً وقال: عليك وعلى بني أمية لعنة الله، ويلك، قلت لك سؤني أو سُرّني، ألم يكن لك وقت تذكر فيه بني أمية إلا هذا الوقت تعرض بي، فتحيلت عليه وعلمت أني قد أخطأت، فقلت: أتلومني على أن أذكر بني أمية، هذا مولاكم زرياب (٢) عندهم (٣) يركب في مئتي غلام له، ويملك ثلاث مئة ألف دينار، وهبوها له، سوى الخيل والضياع والرقيق، وأنا عندكم أموت جوعاً!! قال: أَوَ لم يكن لك شيء تذكرني به نفسك غير هذا؟ فقلت: هكذا خطر لي حين ذكرتهم، قال: اعدل عن هذا ونبه على إرادتي، فأنساني الله كل شيء أحسنه إلا هذا الصوت: (٤) [الكامل]

الحين ســـاق إلى دمـــشق ومـــا كـــانت دمـــشق لأهلهـــا بلدا

فرماني بالقدح فأخطأني، وانكسر القدح، وقال: قم عني إلى لعنة الله وحر سقر، وقام فركب، فكانت والله تلك الحالة آخر عهدي به، حتى مرض ومات.

قال: ثم قال لي علويه: يا أبا جعفر، كم تراني أحسن، أغني ثلاثة آلاف صوت أربعة آلاف صوت؟ خمسة آلاف صوت؟ أنا والله أغني أكثر من ذلك، ذهب

---

(١) الشعر لعبيد الله بن قيس الرقيات في ديوانه ص ٧٢ والأغاني ١١/ ٣٥٨.

(٢) زرياب: هو أبو الحسن علي بن نافع مولى المهدي العباسي، كان مغنيا وموسيقياً مبدعاً، حسن الصوت وهو الذي جعل العود في خمسة أوتار، وكانت أوتاره أربعة، وكان شاعراً مطبوعاً، أخذ الغناء عن إسحاق الموصلي وغيره، توفي سنة ٢٣٠ هـ. (الأغاني ٣٥٤٤/ ط الدار، نفح الطيب ٢/ ٧٤٩ كتاب بغداد ـ لطيفور ص ١٥٣ الأعلام ٥/ ٢٨).

(٣) عندهم: أي عند الأمويين في الأندلس.

(٤) الشعر في الأغاني ١١/ ٣٦٠.

والله كله عني، حتى كأني لم اعرف غير ما غنيت، ولقد ظننت أن لو كان لي ألف روح، ما نجت منها واحدة، ولكنه كان رجلاً حليماً.

قال: وغنى يوماً علويه بحضرة الرشيد: (١) [ص ٢١٦] [الكامل]

وأرى الغـــواني لا يـواصلن امـــرأ	فـقـد الشـبـاب وقـد يصلن الأمـردا

فدعابه الرشيد وقال: يا عاض بظر أمه، تغني في مدح المرد وتذم الشيب، وستارتي منصوبة وقد شبت،كأنك إنما تعرض بي، ثم دعا بمسرور فأمره أن يأخذ بيده فيضربه مئة (٢) درة، ولا يرد إلى مجلسه، ففعل ذلك به، ولم ينتفع الرشيد يومئذ بنفسه.

قال: دخل علويه يوماً على إبراهيم بن المهدي، فقال له إبراهيم: ما الذي أحدثت بعدي من الصنعة يا أبا الحسن؟ قال: صنعت صوتين، قال فهاتهما إذاً، فغناه: (٣) [الطويل]

ألا إن لي نفـسين نفـسـاً تقـول لي	تمتع بليلى مـــا بدا لك لينهـــا
ونفـسـاً تقـول اسـتـبق ودك واتئـد	ونفـسك لا تطرح على من يهـينهـا

قال: فكاد إبراهيم أن يموت من حسده، وتغير لونه، ولم يدر ما يقول له، لأنه لم يجد في الصوت مطعناً، فعدل عن الكلام في هذا المعنى، وقال له: هذا يدل على أن ليلى هذه كانت من لينها مثل الموم (٤) بدهن البنفسج، ثم سأله عن

(١) الشعر للأعشى في ديوانه ص ٢٧٧ والأغاني ١١/ ٣٦٣.

(٢) في الأغاني (ثلاثين درة). والدرة السوط.

(٣) الشعر في الأغاني ١١/ ٣٤٩.

(٤) الموم: الشمع (معرب).

الصوت الآخر [فغناه] : [الطويل][1]

إذا كــان لي شــيـئــان يا أم مــالك فــإن لجـاري منهــمــا مــا تخـيــرا
وفي واحــد إن لـم يكـن غـيــر واحـد أراه لـه أهلاً إذا كــان مــقــتــرا

قال : فكاد إبراهيم أن يموت حسداً له، قال : وإن كان لك امرأتان يا أبا الحسن، حبوت جارك بواحدة، فخجل علويه وما نطق بحرف بقية يومه .

٧٢-ومنهم- مُخَارِق (٢)

نبعة لا يقاتل بغرب، ولا يقابل في طرب، أتى في الغناء بكل خارق، وواتى ضربه إيماض كل شارق، وزاحم في مجالس الخلفاء، ووقف والقوم جِثِيٌّ على الركب، وقام بحصائد لسانه،و كل واحد به نكب، وكانَ زبدة تلك الحَلْبَة، ودَرّة تلك الجلبة، وأسرع الكل اقتباساً [ص ٢١٧] وأبْرَع نطقاً لا يعرف احْتِبَاسا، ولهذا كان لا يعدل بأحد، ولا يعد معه من إذا خول النعمة جحد .

قال أبو الفرج : لما صار مخارق للرشيد كان يقف بين يديه ويغني وهو واقف، فغنى ذات يوم ابن جامع : (٣) [البسيط]

---

(١) الشعر لحاتم الطائي في ديوانه ص ١٠٩ ـ ١١٠ والأغاني ١١ /٣٤٩ . (ط دار الكتاب العربي ١٩٩٧ بيروت) .

(٢) مخارق : هو مخارق بن يحيى الجزار، أبو المهنا، مغنٍ جيد الصوت، كان الرشيد العباسي يعجب به حتى أقعده مرة على السرير معه، واتصل بعد ذلك بالمأمون، كان مملوكاً لعاتكة بنت شهدة بالكوفة وهي التي علمته الغناء والضرب على العود وباعته، فصار إلى الرشيد، فذكره له إبراهيم الموصلي فسمعه واعتقه واغناه، كان أبوه جزاراً من المماليك توفي بسامراء سنة ٢٣١ هـ.
(الأغاني ١٨ /٣٤٦ ـ ٣٨٥ النجوم الزاهرة ٢ / ٢٦٠ الطبري ١١ / ٢١) .

(٣) الشعر في الأغاني ١٨ / ٣٤٩ .

كـأن نيـرانـنـا في جنب قلعتـهـم مـصـبـغـات على أرسـان قـصّـار [١]
هـوت هـرقـلـة لما أن رأت عـجـبـاً حـوائـمـاً ترتمي بالنفط والنار [٢]

فطرب الرشيد واستعاده عدة مرات، وهو شعر مدح به الرشيد في فتح هرقلة، فأقبل الرشيد على ابن جامع، وقال له: أحسنت أحسنت، فغمز مخارق إبراهيم الموصلي بعينيه وتقدمه إلى الخلاء [٣]، فلما جاء قال له: مالي اراك منكسراً، قال: أما ترى إقبال أمير المؤمنين على ابن جامع بسبب هذا الصوت، فقال له مخارق: قد والله أخذته، فقال: ويحك إنه الرشيد، وابن جامع من تعلم، ولا يمكن معارضته الا بما يزيد على غنائه، وإلا فهو الموت، فقال: دعني وخلاك ذم، وعرّفْه أني أغني به، فإن أحسنت فإليك ينسب إحساني، وأن اسأت فعلي يعود اللوم، قال: صدقت وعاد إلى موضعه، ثم قال: يا أميرالمؤمنين، أراك معجباً بهذا الصوت فوق ما يستحقه ويستوجبه، قال: فلقد أحسن فيه ابن جامع ما شاء، قال: أو لابن جامع هو؟ قال: نعم هكذا ذكر، قال: فإن عبدك مخارقاً يغنيه غناء أحسن من هذا وأطيب، فنظر إلى مخارق وقال: تغنيه؟

قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: هاته، فغناه وتحفظ فيه، فأتى بالعجائب، فطرب الرشيد حتى كاد يطير فرحاً، وشرب، ثم أقبل على ابن جامع فقال: ويلك، ما هذا! فابتدأ يحلف له بالطلاق وكل محرجةٍ أنه لم يُسمع ذلك الصوت قط إلا

---

(١) المصبغات: الثياب الملونات. القصار: الذي يصبغ الثياب، وقصر الثوب: حوره ودقه، الأرسان هنا: الحبال.

(٢) هرقلة: مدينة ببلاد الروم، كان الرشيد غزاها بنفسه ثم افتتحها عنوة بعد حصار وحرب شديد ورمى بالنفط والنار حتى غلب أهلها.
(ياقوت: هرقلة).

(٣) في الأصل: (إلى الخلافة) وهو وهم من الناسخ.

منه، ولا صنعه غيره، وأنها حيلة تمت عليه، فأقبل على إبراهيم، وقال: اصدقني بحياتي، فصدقه في قصة مخارق، قال: نعم يا مولاي، قال: اجلس إذاً مع أصحابك، فقد تجاوزت مرتبة من يقوم، فأعتقه ووصله بثلاثة آلاف دينار وأقطعه [ضيعة] ومنزلاً.

قال الحسين بن الضحاك: حدثني مخارق [ص ٢١٨] أن الرشيد قال يوماً وهو مصطبح لجماعة من المغنين: من منكم يغني هذا الصوت (١): [البسيط]

يا ربع سلمى لقد هيجت لي طربا زدت الفؤاد على علاته وصبا

فقمت وقلت: أنا يا أمير المؤمنين، فقال: هاته، فغنيتُهُ فطرب وشرب وقال: علي بهرثمة (٢)، فقلت في نفسي: ما يريد منه، فجاؤوا به فأدخل إليه وهو يجر سيفه، فقال: يا هرثمة، مخارق الشاري الذي قتلناه في ناحية الموصل، ما كانت كنيته؟ قال: أبو المهنا، قال: فانصرف، ثم أقبل علي بوجهه وقال: قد كنيتك أبا المهنا لإحسانك، وأمر له بمئة ألف درهم.

قال: كان الواثق يقول: أتريدون أن تعرفوا فضل مخارق على جميع أصحابه، انظروا إلى هؤلاء الغلمان الذين يقفون في السماط، فكانوا يتفقدونهم وهم وقوف وكلهم يستمع الغناء من المغنين جميعاً وهو واقف مكانه ضابط لنفسه،

(١) الشعر لهلال بن الأسعر المازني في الأغاني ٣/٥٢ و ١٨/٣٥٠.

(٢) هو هرثمة بن أعين أمير من القادة الشجعان ولاه الرشيد مصر ووجهه إلى أفريقية ثم ولاه خراسان، انحاز إلى المأمون في الفتنة بين الأمين والمأمون، وكان الفضل بن سهل يبغضه فدس إليه من قتله في الحبس سنة ٢٠٠ هـ.
(الولاة والقضاة ص ١٣٦ طبقات علماء إفريقية ص ٥ النجوم الزاهرة ٢/٨٨ ـ ٩٠ شذرات الذهب ١/٣٥٨).

فإذا غنى مخارق خرجوا من صورهم، فتغيرت وجوههم وتحركت ارجلهم ومناكبهم، وظهرت أسباب الطرب فيهم، وازدحموا على الحبل الذي يقفون من ورائه.

قال: سمع إبراهيم الموصلي يوماً مخارقاً يغني وهو صغير، فقال له: نعم الفسيلة غرس إبليس منك في الأرض.

قال هارون بن محمد بن هشام: دعانا مخارق يوماً فأطعمنا جزوريةً، وجلسنا نشرب، فإذا نحن بامرأة تصيح: يا أبا المهنا، الله الله في، حلف زوجي بالطلاق أن يسمع غناءك ويشرب عليه، قال: اذهبي فجيئي به، فجاء فجلس، فقال له: ما حملك على ما صنعت، قال: يا سيدي، كنت سمعت صوتاً من صنعتك فطربت عليه حتى استخفني الطرب، فحلفت أن أسمعه منك، ثقةً بك، وكانت زوجته داية هارون بن مخارق، فقال له: ما الصوت؟ فقال: [1] [الكامل]

بكرت علي فهيجت وجداً ... هوج الرياح وأذكرت نجدا
أتحن من شوق إذا ذُكرت ... نجدٌ وأنت تركتها عمدا

[ص ٢١٩] فغناه إياه وسقاه رطلاً وأمره بالانصراف، وقال له: احذر أن تعاود فانصرف، فلم يلبث أن جاءت المرأة وعاودت الصياح، وهي تقول: يا سيدي، قد عاود اليمين، الله الله فيّ وفي أولادي، فقال: هاتيه، فأحضرته، فقال لها: انصرفي أنت، فإن هذا كلما انصرف حلف وعاود، فدعيه يقيم عندنا اليوم، فتركته وانصرفت، فقال له مخارق: ما قصتك؟ قال: رجل طروب، وكنت سمعت صوتاً من صنعتك فاستخفني الطرب حتى حلفت أن أسمعه منك،

(١) الشعر للحسين بن مطير في الأغاني ١٨/ ٣٦٦.

قال: وما هو؟ قال: [١] [مجزوء الرمل]

ألف الظبي بعادي ... ونفى عني رقادي
وعدا الهجر على الوصـ ... ـل بأسياف حداد

قال: فغناه إياه وسقاه رطلاً، ثم قال: يا غلام، ائتني بمقارع، فجيء بها، فأمر بالرجل فبطح وضربه خمسين مقرعة وهو يستغيث ولا يكلمه، ثم قال له: احلف بالطلاق أنك لا تذكرني أبداً، وإلا كان هذا دأبك إلى الليل، فحلف بالطلاق ثلاثاً على ما أمره به، ثم أخرج، فجعلنا نضحك بقية يومنا من حمقه، وما أصاب الرجل.

قال: كان مخارق ممن إذا تنفس أطرب[٢] من يسمع نفسه.

قال: خرج مخارق مع بعض إخوانه إلى بعض المتنزهات، فنظر إلى قوس مذهبة مع بعض من خرج معه، فسأله أن يهبها له، فضن المسئول [بها]، قال: وسنحت ظباء بالقرب منه فقال مخارق: أرأيت إن غنيت صوتاً فعطفت به عليك خدود الظباء أتدفع لي هذه الأقواس؟ قال: نعم والله، فاندفع مخارق يغني: [٣] [المجتث]

ماذا تقول الظباء ... أفرقة ام لقاء
أم عهدها بسليمى ... وفي البيان شفاء
مرت بنا سانحات ... وقد بدا الإمساء
فما أحارت جواباً ... وطال فيها العناء

(١) الشعر في الأغاني ١٨ / ٣٦٧ ـ ٣٦٨.
(٢) في الأصل: «لأضرب» [المراجع].
(٣) الشعر في الأغاني ١٨ / ٣٦٩.

قال: فعطفت الظباء راجعة إليه حتى وقفت بالقرب منه مستشرفة تنظر إليه، ومصغية تسمع صوته، فعجب من حضر من رجوعها ووقوفها، وناوله الرجل [ص ٢٢٠] القوس فأخذها، وقطع الغناء فعاودت الظباء نفارها، ومضت راجعة إلى سننها.

قال بعض أصدقاء مخارق: ركبت معه مرةً في طيّار [١] ليلاً وهو سكران، فلما توسط دجلة اندفع بأعلى صوته، فما بقي أحد في الطيّار من ملاح أو غلام أو خادم إلا بكى من رقة صوته، ورأيت الشمع والسرج [٢] من جانبي دجلة في صحون القصور والدور يتساعون [٣] بين يدي أهلها يسمعون غناءه.

قال هبة الله بن إبراهيم بن المهدي: غنت شارية يوماً بحضرة أبي صوتاً، فأحدّ النظر إليها وقال لها أمسكي، فأمسكت، فقال: عرفت إلى أي شيء ذهبت، أردت أن تتشبهي بمخارق في تزايده.

[قالت: نعم يا سيدي قال: إياك ثم] إياك أن تعودي، فإن مخارقاً خلقه الله وحده في طبعه وصوته ونفسه، يتصرف في ذلك أجمع حيث يحب، ولا يلحقه أحد، قد أراد غيرك أن يتشبه به في هذه الحال فهلك وافتضح ولم يلحقه، فلا أسمعَنَّك تتعرضين لهذا بعد هذا الوقت.

قال مخارق، ودعا أمير المؤمنين محمد الامين يوماً، وقد اصطبح، فاقترح علي: [البسيط]

استقبلت ورق الريحان تقطفه وعنبر الهند والوردية الجددا

---

(١) الطيار: القارب السريع.

(٢) السرج: جمع سراج، المصابيح.

(٣) يتساعون: يتسابقون.

ألست تعــرفني في الحي جــارية ولـم أخنـك ولـم تـرفـع إلـيَّ يـدا

فغنيته إياه، فطرب طرباً شديداً، وشرب عليه ثلاثة أرطال، وأمر لي بألف دينار، وخلع علي جبة وَشْيٍ كانت عليه مذهبة ودراعة [١] مثلها وعمامة مثلها، فما لبست ذلك ورآه عليَّ ندم، وكان كثيراً ما يفعل ذلك، فقال لبعض الخدم: قل للطباخ يأتينا بمصلية [٢] معقودة الساعة، فأتينا بها، فقال: كل معي، فامتنعت لما أعرفه من كراهيته، فَحَلَفَ أن آكل معه، فحين أدخلت يدي في الغضارة [٣] رفع يده وقال: أُفٍّ نغصتها والله وقذرتها بإدخالك يدك معي فيها، ثم رفس القصعة رفسة فإذا هي في حجري وودكها [٤] يسيل على الخلعة حتى نفذ إلى جلدي، فقمت مبادراً فنزعتها وبعثت بها إلى منزلي، وغيرت ثيابي، وأنا مغموم بها وهو [ص ٢٢١] يضحك، فلما رجعت إلى منزلي، جمعت كل صانع حاذقٍ فجهدوا في إخراج ذلك الأثر منها فلم يخرج، ولم أنتفع بها حتى أحرقتها وأخذت ذهبها. وضرب الدهر ضربة، ثم دعاني أمير المؤمنين المأمون يوماً، فدخلت عليه وهو جالس، وبين يديه مائدة عليها رغيفان ودجاجتان [٥]، فقال لي: تعال فكل، فامتنعت، فقال لي: تعال ويلك فساعدني، فجلست وأكلت معه حتى فرغ، ووضع النبيذ ودعا علويه فجلس، وقال: يا مخارق، أتغني: [٦] [الطويل]

---

(١) الدراعة: ضرب من الثياب وجبة مشقوقة المقدم.

(٢) المصلية: اللحم المشوي، من صلى اللحم يصليه صلياً أي شواه.

(٣) الغضارة: القصعة الكبيرة.

(٤) الودك: ما يتحلَّب من اللحم والشحم من دسم.

(٥) في الأصل: (عليها رغيفين ودجاجتين) وهو لحن.

(٦) الشعر للأحوص في ديوانه ص ١٠٠ والأغاني ١٨/ ٧٤.

أقول التماس العذر لما ظلمتني ... وحملتني ذنباً وما كنتُ مذنبا

هبيني امرأ إما بريئاً ظلمته ... وإما مسيئاً قد أناب وأعتبا (١)

فقلت: نعم يا سيدي، قال: غنه، فغنيته، فعبس في وجهي وقال: قبحك الله، أهكذا يغنى هذا؟ ثم أقبل على علويه فقال: أتغنيه، قال: نعم سيدي، قال: غنه، فغناه، فوالله ما قاربني فيه، فقال: أحسنت والله، وشرب رطلاً واستعاده ثلاثاً، ثم شرب عليه ثلاثة أرطال، وأعطاه كل مرة يعيده عشرة آلاف درهم، ثم خذف (٢) بإصبعه وقال: برق يمان، وكان إذا أراد قطع الشراب فعل ذلك، وقمنا فعلمت من أين أتيت.

ولما كان بعد أيام دعاني (٣) فدخلت وهو جالس في ذلك الموضع يأكل، فقال لي: تعال يا مخارق، فقلت لا والله يا سيدي ما أقدر على ذلك، فقال: تعال ويلك أتراني [بخيلا] على الطعام لا والله، ولكني أردت أن أؤدبك،أن السادة لا ينبغي لعبيدها ان تؤاكلها، أفهمت؟ قلت: نعم، قال: فتعال الآن وكل على الأمان، فقلت: إذاً أكون أول من أضاع تأديبك أياه، واستحق العقوبة من قرب، فضحك حتى استغرق، وأمر لي بألف دينار، فمضيت إلى حجرتي المرسومة في الخدمة، وأتيت بطعام فأكلت، ووضع النبيذ، فدعاني ودعا علويه، فلما جلسنا قال: يا علي أتغني:(٤) [البسيط]

الم تقولي نعم قالت أرى وهما ... مني وهل يؤخذ الإنسان بالوهم

---

(١) أعتب: أرضاه بعد العتاب.

(٢) خذف باصبعه: حركها وأشار بها.

(٣) في الأصل: (عادني).

(٤) الشعر في الأغاني ١٨ / ٣٧٥.

فقال: نعم يا سيدي، قال: هاته، فغناه، فعبس في وجهه وبسر [١] ثم أقبل علي [ص ٢٢٢] وقال: أتغنيه يامخارق؟ فقلت: نعم يا سيدي، وعلمت أنه أراد أن يستقيد لي [٢] من علويه ويرفع مني، وإلا فما أتى فيه علويه لا يعاب به، فغنيت فطرب وشرب، وأمر لي بعشرة آلاف درهم، وفعل بي ذلك ثلاث دفعات، كما فعل به، ثم أمر بالانصراف فانصرفنا، وما عاودت بعد ذلك مؤاكلة خليفة إلى وقتنا هذا.

قال حج رجل مع مخارق، فلما قضيا الحج وعادا، قال الرجل، بحقي عليك غنني صوتاً، فغنى: [٣] [الطويل]

رَحَلْنَا فَشرَّقْنا وراحوا فَغَرَّبوا   وفاضت لروعات الفراق عيون

فرفع الرجل يده إلى السماء وقال: اللهم إني أشهدك أني قد وهبت حجتي له.

وتوفي مخارق في أول خلافة المتوكل، وقيل: بل في آخر خلافة الواثق، وذكر ابن خرداذبة أنه كان أكل قرنبيطيّة باردة فقتلته من يومه.

٧٣- عَرِيْبُ جَارِيَةُ المأْمُونِ [٤]

وهي التي تحفظ أخبارها، ولا يقاس عليها، ولا يقال عن أحد فيكون بالنسبة

---

(١) بسر: عبس.

(٢) يستقيد لي: يأخذ لي بثأري، والقود: القصاص.

(٣) البيت في الأغاني ١٨ / ٣٨٤.

(٤) عريب: وتعرف بعريب المأمونية، مغنية شاعرة أديبة من أعلام العارفات بصناعة الغناء والضرب على العود، قيل: هي بنت جعفر بن يحيى البرمكي، ولدت في بغداد، ونشأت في قصور الخلفاء العباسيين، وأعجب بها المأمون فقربها حتى نسبت إليه، وقيل: سرقت لما نكب البرامكة، وهي=

إليها، وكانت أنفذ من السهام إلى أغراضها[1] وأطيب من زوال السقام لأمراضها، غلب معها المأمون وسرت إلى هواها سرى الأمون، وكانت لا تتحاشى، ولا ترى لها بغير أن تعاشر انتعاشا، وكانت ذات فنون ومحاسن كما في الظنون، وبديهة تتوقد، وميامن كأنها الفرقد.

ذكرها أبو الفرج الأصفهاني وقال، قال: دخل أبو عبيد الله الحسامي على المعتز، وعريب تغني فقال: يابن هشام غن، فقلت: تبت من الغناء مذ قتل سيدي المتوكل، فقالت له عريب: قد والله أحسنت حيث تبت فإن غناءك كان لا متقناً ولا صحيحاً ولا مطرباً، فأضحكت أهل المجلس منه وخجل.

وكانت عريب مولدة في دار جعفر بن يحيى، وقيل إن أمها كانت تسمى فاطمة، وإن جعفراً تزوجها سراً وأسكنها داراً، ووكل بها من يحفظها، وكان يتردد إليها، فولدت عريباً في إحدى وثمانين ومئة، وعاشت ستاً وسبعين [ص ٢٢٣] سنة.

قال: وماتت أم عريب في حياة جعفر بن يحيى، فدفعها إلى امرأة نصرانية وجعلها داية لها، فلما حدثت الحادثة بالبرامكة باعتها من شنين[2] النخاس، فباعها من عبدالله بن إسماعيل المراكبي، ثم باعها فاشتراها المأمون بخمسين ألف درهم.

قال الفضل بن مروان: كنت إذا نظرت إلى قدمي عريب[3] شبهتها بقدمي جعفر

= صغيرة، فاشتراها الأمين، ثم اشتراها المأمون، توفيت بسامراء سنة ٢٧٧ هـ.

(لاغاني ٢١ / ٦١ ـ ١٠٣ الدر المنثور ص ٣٣١ نزهة الجليس ١ / ٣٠٠ المستطرف من أخبار الجواري ص ٣٧ الإماء الشواعر ص ١٣٥ ـ ١٤٨).

(١) في الأصل: «أعراضها» .[المراجع].

(٢) في الأغاني (سنبس الانحاس).

(٣) في الأصل (غريب) بالغين وتكررت في أكثر من موضع.

ابن يحيى .

قال: وذكرت بلاغتها لبعض الكتاب فقال: وما يمنعها من ذلك وهي بنت جعفر ابن يحيى .

قال أبو العنبس بن حمدون، حدثني أبي قال: دخلنا على عريب يوماً مسلمين، فقالت: أقيموا اليوم عندي حتى أطعمكم لوزينجه [1] صنعتها بدعة بيدها من لوز رطب، وأغنيكم أنا وهي، قال: فقلت لها: على شريطة، قالت: وما هي؟ قلت: شيء أريد أن أسألك عنه وأنا أهابك، قالت: ذاك إليك وأنا أقدم الجواب قبل أن تسأل، تريد أن تسألني عن شرطي أي شيء هو، فقلت: والله ذلك الذي أردت، قالت: شرطي أير صلب ونكهة طيبة، فإن انضاف إلى ذلك حسن وجمال زاد قدره عندي، وإلا فهذا ما لابد منه .

قال: عتب المأمون على عريب بهجرها أياماً ثم اعتلت فعادها، فقال لها: كيف وجدت طعم الهجر، فقالت: يا أمير المؤمنين، لولا مرارة الهجر ما عرفت حلاوة الوصل، ومن ذم بدء الغضب، أحمد عاقبة الرضا، فخرج المأمون إلى جلسائه فحدثهم ذلك، ثم قال: أترى هذا لو كان من كلام [النظام] [2] ألم يكن كبيراً .

قال: وكانت عريب تهوى محمد بن حامد، فكتب إليها: أخاف على نفسي، فكتبت إليه [3] [المتقارب]

---

(١) اللوزينجه: من الحلواء (معرب) واللوزينج من الحلواء شبه القطائف تودم بدهن اللوز، وهو تعريب (لوزينه) (المعرب ص ٢٩٩ واللسان: لوز)

(٢) النظام: إبراهيم بن سيّار بن هاني البصري، من أئمة المعتزلة، انفرد بآراء خاصة تابعه فيها فرقة من المعتزلة عرفت بـ(النظامية) نسبة إليه، توفي سنة ٢٣١ هـ.
(تاريخ بغداد ٦/ ٩٧ اللباب ٣/ ٢٣٠ النجوم الزاهرة ٢/ ٢٣٤ المسعودي ٦/ ٣٧١ ط أوروبا).

(٣) الشعر لعريب في الأغاني ٢١/ ٩٩ والإماء الشواعر ص ١٣٨ وفي الرواية خلاف .

إذا كنت تحـذر مـا تحـذر وتـزعم أنـك لا تجـسـر
فـمـا لي أقـيم على صـبـوتي ويوم لـقـائك لا يـقـدر

فصار إليها من وقته واصطلحا، واقام عندها يومه

قال [ص ٢٢٤] ابن حمدون: ركبت ليلة في حاجة للمأمون، فإذا أنا بصوت حافر، ووافت برقة فأضاء لها وجه الراكب، فإذا عريب، فقلت: عريب: قالت: نعم، ابن حمدون؟ قلت: نعم، ثم قلت لها: من أين أقبلت في هذا الوقت؟ قالت: يا تكش (١)! عريب في مثل هذا الوقت من عند محمد بن حامد خارجة من مضرب الخليفة وراجعة إليه، تقول أي شيء عملت عنده؟! صليت معه التراويح، أو قرأت عليه جزءاً من القرآن؟! أو دارسته شيئاً من الفقه؟! يا أحمد، تحادثنا وتعاتبنا وأكلنا وشربنا ولعبنا وغنينا وتنايكنا [وانصرفنا]، فأخجلتني وغاظتني، وافترقنا، ومضيت في حاجتي ثم عدت إلى المأمون، فأخذنا في الحديث وتناشدنا الاشعار، فهممت أن أحدثه بحديثها، ثم هبت أن أذكر ذلك، فقلت أقدم قبل ذلك تعريضاً بشيء من الشعر، فأنشدته: (٢) [الطويل]

ألا حي أطلالاً لواسـعـة الحـبـل ألوف تـسـاوي صـالح القـوم بالرذل
فلو أن من أمـسى بجـانب تلعـةٍ إلى جـبلي طَيٍّ مـسـاقطة الحـبل
جلوس إلى أن يقـصـر الظل عندها أراحـوا وكل القـوم منهـا على وصل

فقال لي المأمون: اخفض صوتك لا تسمع عريب فتغضب، وتظن أنك في حديثها، فأمسكت عما أردت [أن أخبره] وخار الله في ذلك.

---

(١) يا تكش: كلمة يراد بها التقريع والتجريح، وهي من عامية ذلك العصر.
(٢) الشعر في الأغاني ٢١ / ٩٤.

قال اليزيدي: خرجت مع المأمون في خرجته إلى الروم، فرأيت عريب في هودج، فلما رأتني قالت: يا يزيدي: أنشدني شعراً قلته حتى أصنع فيه لحناً، فأنشدتها:(١) [الرجز]

مـــاذا بقلبي من دوام الخـــفق إذا رأيت لمعـــان البـــرق

من قـــبل الأردن أو دمـــشق لأن مـــن أهـــوى بـــذاك الأفـــق

ذاك الـــذي يملـــك مـــني رقـــي ولست أبغي مـا حـيـيت عـتـقي

فلما سمعته تنفست نفساً ظننت أن ضلوعها قد تفصلت منه، فقلت: والله هذا نفس عاشق، فقالت: اسكت يا عاجز، أنا أعشق؟ والله لقد نظرت نظرة مريبة في [ص ٢٢٥ مجلس فادعاها من أهل المجلس عشرون رئيساً، ما علم أحد منهم لمن كانت إلى اليوم.

قال ابن حمدون: وقعت ملاحاة بين عريب وبين محمد بن حامد وشر، وكان في قلبها أكثر مما في قلبه منها، فلقيته يوماً فقالت له: كيف قلبك يا محمد، قال: أشقى والله ما يكون وأقرحه، فقالت: استبدل تَسْلُ، فقال: لو كانت البلوى باختيارٍ لفعلت، فقالت: لقد طال إذاً تعبك، فقال: وما يكون؟ أصبر مكرها، اما سمعت قول العباس بن الأحنف:(٢) [الكامل]

تعب يطول مع الرجاء لذي الهوى خـيـر له من راحـةٍ في اليـاس

لولا كـرامـتكم لما عـاتبـتكم ولكنتم عندي كـبـعض الناس

قال: فذرفت عيناها واعتذرت إليه وعاتبته، واصطلحا.

---

(١) الرجز لإبراهيم بن أبي محمد اليزيدي في الأغاني ٢١/٩٤.

(٢) الشعر للعباس بن الأحنف في ديوانه ص ١٦٦ والأغاني ٢١/٩٥.

قال أحمد بن عبدالله بن إسماعيل المراكبي، قالت لي عريب: حج بي أبوك وكان مضعوفاً، فكان عديلي [١]، وكنت في طريقي أطلب الأعراب فأستنشدهم الأشعار، وأكتب عنهم النوادر، فوقف شيخ من الاعراب يسأل، فاستنشدته، فأنشدني: [٢] [البسيط]

يا عز هل لك في شيخٍ فتى أبداً وقد يكون شبابٌ غير فتيان

فاستحسنته، ولم أكن سمعته قبل ذلك، فاستنشدته [٣] باقي الشعر فقال لي: هو يتيم، فاستملحت قوله وبررته، وحفظت البيت و غنيت فيه لحناً من الثقيل الأول،ومولاي لا يعلم بذلك لضعفه، فلما كانت عشية ذلك اليوم، قال لي: ما كان أحسن البيت الذي أنشدك الأعرابي إياه وقال لك إنه يتيم، أنشدينيه إن كنت حفظته، فأنشدته إياه وأعلمته أني قد غنيت فيه، ثم غنيته له، فوهب لي ألف درهم، وفرح بالصوت فرحاً شديدا.

قال أبو الخطاب العباس بن أحمد بن الفرات، حدثني أبي قال: كنا يوماً عند جعفر بن المأمون نشرب، وعريب حاضرة، اذ غنى بعض من كان هناك [٤] [ص ٢٢٦] [الكامل]

يا بدر إنك قد كسيت مشابهاً من وجه ذاك المستنير الواضح
وأراك تُمْحَصُ بالمحاق وحسنها باقٍ على الأيام ليس ببارح [٥]

---

(١) أي عديلها في الهودج.

(٢) الشعر لأعرابي في الأغاني ٢١/٩٦.

(٣) في الأصل: (فاستنشدني) وهو خلاف السياق.

(٤) الشعر لأبي محلم النسابة في الأغاني ٢١/٩٨.

(٥) تمحص: تذهب وتزيل. بارح: ذاهب وزائل.

فطربت عريب وصفقت ونعرت [١]، وقالت: ما على وجه الارض من يعرف خبر هذا الصوت غيري، فلم يعرف ولم يقدر أحد منا على مسألتها عنه غيري، [فسألتها] فقالت: أنا أخبركم بقصته، ولولا أن صاحب القصة قد مات، لما أخبرتكم، إن أبا محلم قد قدم بغداد فنزل بقرب دار صالح المسكين في خان هناك، فاطلعت أم محمد على أبي محلم يوماً فرأته يبول فأعجبها متاعه، فأحبت مواصلته، فجعلت لذلك علة بأن وجهت إليه تقترض منه مالاً، وتعلمه أنها في ضيقة، وأنها ترده إليه بعد جمعةٍ، فبعث إليها عشرة آلاف درهم، وحلف لها أنه لو ملك غيرها لبعث به، فاستحسنت ذلك منه وواصلته، وجعلت القرض سبباً للوصلة، وكانت تدخله إليها ليلاً، وكنت أنا أغني لهم، فشربنا ليلة في القمر، وجعل أبو محلم ينظر إليها، ثم دعا بدواةٍ ورقعةٍ، وكتب فيها: [الكامل]

يا بدر إنك قد كُسِيْتَ مشابهاً   من وجه أم محمد ابنة صالح

والبيت الآخر، وقال لي: غني فيه، ففعلت واستحسناه وشربنا عليه، فقالت لي أم محمد في آخر المجلس: يا أختي انك قد غنيت في هذا الشعر وأراه سيبقى علي فضيحة آخر الدهر، قال أبو محلم، فأنا أغيره، فجعل مكان (ام محمد ابنة صالح)، (ذاك المستنير اللائح)، وغنيته كما غيره، وأخذه الناس عني ولو كانت أم محمد حية، لما أخبرتكم بالخبر.

قال أبو الحسن بن الفرات: كنت يوماً عند أخي أبي العباس بن الفرات، وعنده عريب تغني، فقالت لأخي، وقد جرى ذكر الخلفاء: ناكني منهم ثمانية، ما اشتهيت منهم أحداً، إلا المعتز، قال ابن الفرات: فأصغيت إلى بعض بني أخي،

(١) نعرت: صاحت وصوتت بخيشومها.

فقلت: كيف ترى شهوتها الساعة، فضحك من قولي، فقالت: أي شيء قلتم؟ فجحدتها، فقالت: جواري حرائر [ص ٢٢٧] لئن لم تخبراني بما قلتما لأنصرفن، ولئن قلتما لي لاحذرت من شيءٍ جرى، ولو أنها تسفيل، فصدقتها فقالت: وأي شيء في هذا، أما الشهوة فبحالها، ولكن الآلة قد ضعفت، عودوا إلى ما كنتم فيه.

قال أبو عبدالله بن حمدون: زارت عريب محمد بن حامد، وجلسا جميعاً فجعل يعاتبها ويقول: فعلت كذا وفعلت كذا، فقالت: يا عاجز، خذ فيما نحن فيه، واجعل سراويلي مخنقتي (١)، والصق خلخالي بقرطي، فإذا كان غد فاكتب إلي بعتابك حتى أكتب اليك بعذري، فقد قال الشاعر: (٢) [الوافر]

دعي عد الذنوب إذا التقينا تعالي لا نعد ولا تعدي

قال: اصطبح المأمون وعنده ندمان، وفيهم محمد بن جامع وجماعة من المغنين، وعريب معه على مصلاه، فأومأ محمد بن حامد إليها بقبلة، فاندفعت تغني ابتداءً: (٣) [الطويل]

رمى ضرع نابٍ فاستمر بطعنةٍ كحاشية البرد اليماني المسهم

فقال المأمون: أمسكي، فأمسكت، ثم أقبل على الندماء فقال: من منكم أومأ إلى عريب بقبلة؟ والله لئن لم يصدقني لأضربن عنقه، فقام محمد فقال: أنا يا أمير المؤمنين أومأت إليها، والعفو أقرب للتقوى، فقال: قد عفوت عنك. فقال: [كيف] استدل أمير المؤمنين على ذلك فقال: ابتدأت صوتاً وهي لا تغني

(١) المخنقة: القلادة.

(٢) البيت للمؤمل بن جميل في الأغاني ٢١/٨٣.

(٣) الشعر في الأغاني ٢١/٨٠.

ابتداءً أبداً إلا لمعنى، فعلمت أنها لم تبتدئ بهذا الصوت إلا لشيء أومئ إليها به، ولم يكن من شرط هذا المعنى إيماءً إلا بقبلة، فعلمت أنها أجابت بطعنة.

قال: لما وقف المأمون على خبرها مع محمد بن حامد، أمر بالباسها جبة صوف وختم زيقها [١] وحبسها شهراً في كنيف [٢] مظلم لا ترى الضوء، يدخل إليها خبز وملح وماء من تحت الباب، ثم ذكرها فرق لها، وامر باخراجها، فلما فتح الباب عنها وأخرجت، لم تتكلم بكلمة حتى اندفعت تغني: [٣] [ص ٢٢٨] [الكامل]

حجبوه عن بصري فمثّل شخصه في القلب فهو محجب ما يحجب

فبلغ المأمون ذلك، فعجب منه، وقال: لن تفلح هذه أبداً.

٧٤ - إبْرَاهِيم الموْصِلي [٤]

أصلح طرائق الغناء وسددها، وشيد شيز [٥] العيدان وشددها، أغري بهذه

---

(١) الزيق: ما يحيط بالعنق.

(٢) الكنيف: الساتر، وحظيرة من خشب أو شجر تتخذ للإبل والغنم.

(٣) البيت لعريب جارية المأمون في الأغاني ٢١/٧٩.

(٤) إبراهيم الموصلي: إبراهيم بن ميمون بن بهمن، وكان اسم ميمون (ماها) فغيره إلى ميمون التميمي بالولاء مات أبوه وهو صغير فكفله بنو تميم فنسب اليهم أبو إسحق الموصلي، من المغنين البارعين والملحنين، كان شاعرا ينادم الخلفاء، انتقل والده إلى الكوفة فولد بها، ثم رحل إلى الموصل فأقام سنة يتعلم الضرب على العود فنسب إلى الموصل، واجاد الغناء العربي والفارسي، وكانت منزلته حسنة عند الخلفاء، سمعه المهدي العباسي، وحبسه لشربه النبيذ، فحذق القراءة والكتابة في الحبس، ولما ولي موسى الهادي أغدق عليه وكذلك هارون الرشيد وجعله الرشيد من ندمائه وخاصته، كان ينظم الشعر ويلحنه ويغنيه، توفي ببغداد سنة ١٨٨ هـ.
(الأغاني ٥/١٦٩ ـ ٢٦٨ وفيات الأعيان ١/٩ تاريخ بغداد ٦/١٧٥ مرآة الجنان ١/٤٢٠).

(٥) الشيز: خشب أسود تعمل منه الامشاط والجفان ونحوها.

الصناعة حتى أتقنها، ودافع فيها الشك حتى تيقنها وولع بها والأيام[١] قد لقحت بسعادته، وحملت بحظه ساعة ولادته، حتى انتهت الليلة إلى فجرها[٢] والحامل إلى شهرها، فما أجاءها المخاض حتى اغرق في السعادة، وما خاض [حتى] اتصل بالخلفاء، وحصل فوق الاكتفاء، وأثرى ثراء تضيق به الكنوز، وتضيع في معرفته الرموز، واقتنى الجواري اللاتي طلعن أقماراً، وسمعن وكان حديثهن أسماراً.

قال أبو الفرج، قال ابن المنجم: كان سبب قولهم [٣] الموصلي أنه لما نشأ وبلغ صحب الفتيان واشتهى الغناء فطلبه، واشتد اخواله عليه في ذلك، وبلغوا منه، فهرب إلى الموصل فأقام بها نحواً من سنة، فلما رجع إلى الكوفة، قال له إخوانه من الفتيان: مرحباً بالفتى الموصلي، فمرت عليه.

قال: وأول خليفة غناه إبراهيم وسمع غناءه المهدي، وكان لا يشرب وأراد من إبراهيم ملازمته وترك الشرب، فأبى وكان يغيب عنه أياماً فشرب عند موسى وهارون [فحبسه المهدي وقال] [٤]لا تدخل على موسى وهارون البتة، فوالله لئن دخلت عليهما لأفعلن ولأصنعن، فقال: نعم، ثم بلغه أنه دخل عليهما وشرب معهما، وكانا مشهورين [٥] بالنبيذ، فدعاه فضربه ثلاث مئة سوط، وقيده وحبسه، فأقام مدة ثم أخرجه وأحلفه بالطلاق والعتاق، وكل يمين لا فسحة له فيها، ألا يدخل على موسى وهارون أبداً، ولا يغنيهما، وخلى سبيله.

---

(١) في الأصل: «والأم». [المراجع].

(٢) في الأصل: «التي فجراها والحامل التي» ولامعنى له. [المراجع].

(٣) قوله (حديثهن أسماراً، قال أبو الفرج، قال ابن المنجم كان سبب قولهم) خرجة من الحاشية.

(٤) في الأصل نقص في الرواية عدة أسطر

(٥) في الأغاني (مستهترين بالنبيذ) وهي الأصح.

قال: فلما ولي موسى الهادي الخلافة، استتر إبراهيم منه، فكان منزله يكبس[(١)] في كل وقت، وأهله يروعون بطلبه، حتى أصابوه فمضوا به إليه، فلما عاينه قال: يا سيدي [فارقت] أم ولدي وأعز خلق الله علي، ثم غناه في شعره:[(٢)] [الخفيف]

يا بن خير الملوك لا تتركني غرضاً للعدو يرمي حيالي
[ص ٢٢٩] فلقد في هواك فارقت أهلي ثم عرضت مهجتي للزوال
ولقد عفت في هواك حياتي وتغربت بين أهلي ومالي

قال إسحاق: فَموَّله والله الهادي وخوله [(٣)]، وحسبك أنه أخذ منه في يوم واحد خمسين ألف دينار، ولو عاش لنا لبنينا حيطان دارنا بالذهب والفضة.

قال إسحاق: كان لأبي طعام معد أبداً في كل وقت، وذلك أنه كان له في كل يوم ثلاث شياه: واحدة مقطعة في القدور، وأخرى مسلوخة معلقة، وأخرى حية، فإذا أتاه قوم أطعموا ما في القدور، فإذا فرغ قطعت الشاة المعلقة ونصبت القدور وذبحت الحية فعلقت، وأتي بأخرى وهي حية في المطبخ، وكانت وظيفته [لطعامه] وطيبه في كل شهر ثلاثين ألف درهم سوى ما كان يجري وسوى كسوته، ولولا يقع عندنا من الجواري والودائع لإخوانه ثمانون جارية، ما فيهن واحدة الا ويجري عليها من الطعام والكسوة والطيب، مايجري لأخص جواريه، فإذا ردت الواحدة إلى مولاها، أوصلها وكساها، ومات وما في ملكه أكثر من ثلاثة آلاف دينار، وعليه من الدين مئة ألف [(٤)] دينار.

---

(١) يكبس المنزل: يهاجم فجأة ويحاط به بحثاً عن المطلوب.

(٢) الشعر لإبراهيم الموصلي في الأغاني ٥ /١٧٧.

(٣) موّله: أعطاه مالاً، وخوله: أعطاه خدماً، والخول: العبيد والإماء والحشم.

(٤) في الأغاني (سبعمئة دينار) ولعلها سبعمئة ألف دينار.

قال إسحاق: اشترى الرشيد من أبي جارية بستة وثلاثين ألف دينار، فأقامت عنده ليلة، ثم أرسل إلى الفضل بن الربيع يقول: إنما اشترينا هذه الجارية من إبراهيم ونحن نحسب أنها من بابتنا [١]، فليس كما ظننا، وما قربتها، وقد ثقل علي الثمن، وبينك وبينه ما بيننا، فاذهب إليه وسله أن يحطنا من ثمنها ستة آلاف دينار، وقال: فصار إليه الفضل فاستأذن فخرج أبي إليه فتلقاه فقال: دعني من هذه الكرامة التي لا مؤونة فيها، لست ممن يحب ذلك، وقد جئتك في أمر أصدقك عنه، وخبره بالخبر كله، فقال له أبي إنما أراد أن يبلو قدرك عندي، قال: ذاك أراد، قال: فما لي عليه في المساكين صدقة، إن لم اضعفه لك، قد حططتك اثني عشر ألف دينار، فرجع إليه الفضل بالخبر فقال له: ويلك، احمل إلى هذا ماله، فما رأيت سوقة قط أنبل منه نفساً. [ص ٢٣٠]

قال إسحاق: وكنت قد قلت له: ما كان لحطيطة هذا المال معنى، فقال لي: يا أحمق، أنا أعرف الناس به، والله لو أخذت المال منه كاملاً، ما أخذته إلا وهو كاره له، ولحقد ذلك علي، وكنت أكون عنده صغير القدر، وقد مننت عليه وعلى الفضل، فانبسطت نفسه، وعظم قدري عنده وإنما اشتريت الجارية بأربعين ألف درهم، وقد اخذت بها أربعة وعشرين ألف دينار، فلما حمل المال بلا حطيطة، دعاني فقال: كيف رأيت يا إسحاق، من البصير أنا أم أنت فقلت: بل أنت جعلني الله فداك.

قال إبراهيم بن المهدي: انصرفت ليلة من الشماسية [٢]، فمررت بدار إبراهيم

---

(١) من بابتنا: أي تصلح لنا، والبابة: الوجه والطريق.

(٢) الشماسية: محلة مجاورة لدار الروم التي في أعلى مدينة بغداد، وإليها ينسب باب الشماسية. (ياقوت: الشماسية).

الموصلي، فإذا هو في روشن، [1] وقد صنع لحنه في: [2] [الطويل]

ألا رب ندمــــانٍ علي دمـــوعـــه تفيض على الخدين سحاً سجومها

فهو يعيده ويلعب فيه بنغمةٍ ويكررها لتستوي له، وجواريه يضربن عليه، فوقفت تحت الروشن حتى أخذته، ثم انصرفت إلى منزلي، فمازلت أعدله حتى بلغت فيه الغاية القصوى، وأصبحت فغدوت إلى الشماسية، واجتمعنا عند الرشيد، فاندفع إبراهيم فغناه أول شيء غناه، فلما سمعه الرشيد طرب واستحسنه وشرب عليه، ثم قال: لمن هذا يا إبراهيم؟ فقال: لي يا سيدي صنعته البارحة، فقلت: كذب يا أمير المؤمنين، هذا الصوت قديم وأنا أغنيه، فقال: غنه يا حبيبي، فغنيته كما غناه إبراهيم، فبهت إبراهيم وغضب الرشيد وقال: يا ابن الفاجرة! أتكذبني وتدعي ما ليس لك؟ قال: فظل [3] إبراهيم بأسوأ حال، فلما صليت العصر، قلت للرشيد: الصوت وحياتك له، ولكنني مررت [به] البارحة وهو يردده وجوارٍ يضربن عليه، فوقفت تحت روشنه حتى حفظته.

قال إسحاق، قال ابن جامع يوماً لأبي: رأيت في منامي كأني وإياك راكبان في محمل، فسفلت حتى كدت تلصق بالأرض، وعلا الشق الذي أنا فيه، فلأعلونك في الغناء، قال أبي: الرؤيا حق والتأويل باطل [ص ٢٣١] إني وإياك كنا في ميزان فرجحت بي وشالت كفتك، وعلوت ولصقت أنا بالأرض، فلأبقين بعدك ولتموتن قبلي، قال إسحاق: فكان كما قال أبي، علا عليه [4] وأفاد من أكثر فوائده، ومات ابن جامع قبله، وعاش أبي بعده.

---

(١) الروشن: الشرفة من خشب.

(٢) البيت في الأغاني ٥/ ١٨٧.

(٣) في الأصل: (فظن) وهو تحريف.

(٤) في الأصل: (على علويه) وهو تحريف.

قال مخارق: اشتغل الرشيد يوماً واصطبح مع الحرم، وقد أصبحت السماء مغيمة، فقلت والله لأذهبن إلى أستاذي إبراهيم فأعرف خبره، فجئت فدخلت عليه وهو في رواق له، وبين يديه قدور تغرغر[1]، وقناني تزهر، والستارة منصوبة، والجواري خلفها، وبين يديه صينية فيها رطلية وكوز وكأس، فقلت: ما بال الستارة لست أسمع من ورائها؟ فقال: اقعد ويحك، إني أصبحت على الذي ظننت، فأتاني خبر ضيعة تجاورني، قد والله طلبتها زماناً ومنيتها فلم أملكها، وقد أعطي بها مئة ألف درهم، فقلت: وما يمنعك منها؟ فوالله لقد أغناك الله أضعاف هذا المال وأكثر، قال: صدقت، ولست أطيب نفساً بأن أخرج هذا المال، قلت فمن يعطيك الساعة مئة ألف درهم، وما أطمع في ذلك من الرشيد فكيف بمن دونه، فقال: اجلس فخذ هذا الصوت، ثم نقر بقضيب معه على الدواة وألقى علي هذا الصوت: [2] [البسيط].

نام الخليّون من هم ومن سقم ... وبت من كثرة الأحزان في الم
يا طالب الجود والمعروف مجتهداً ... اعمد ليحيى حليف الجود والكرم

قال: فأخذته فأحكمته، وقال لي امض الساعة إلى باب يحيى بن خالد، فإنك تجد الناس عليه، وتجد الباب قد فتح ولم يجلس بعد، فاستأذن عليه قبل أن يصل إليه أحد، فإنه سينكر مجيئك ويقول لك: من أين أقبلت في هذا الوقت؟ فحدثه بقصدك إياي وما ألقيت إليك من خبر الضيعة، وأعلمه أني صنعت هذا الصوت وأعجبني، ولم أرَ أحداً يستحقه إلا فلانة جاريته، وأني ألقيته عليك حتى أحكمته لتطرحه عليها، فسيدعو بها، ويأمر بالستارة فتنصب، ويقول لك

---

(١) تغرغر: أي تصوت القدر عند الغلي.

(٢) الشعر لأبي النضير البصري عمر بن عبدالملك في الأغاني ٥/١٩٤.

اطرحه عليها بحضرتي فافعل، وأثني بما يكون بعدها من الخبر، قال: فجئت باب يحيى فوجدته كما وصف [ص ٢٣٢] وسألني فأعلمته ما أحضرني به وأمرني به، فأحضر الجارية، فألقيته عليها، ثم قال لي: تقيم عندنا يا أبا المهنا [١] أو تنصرف، فقلت: أنصرف، فقال: يا غلام، احمل مع أبي المهنا عشرة آلاف درهم، واحمل إلى أبي إسحاق مئة ألف درهم ثمن هذه الصنعة، فحملت العشرة آلاف درهم معي، فأتيت منزلي، فقلت أسر يومي هذا، وأسر من عندي، ومضى الرسول بالمال، وأقمت ليلتي فلما أصبحت غدوت عليه، فوجدته على مثل ما كان عليه، فترنمت وطربت، فلم يتلق ذلك بما يجب، فقلت: ما الخبر؟ ألم يأتك المال؟ قال: بلى، قال: فما خبرك أنت فأخبرته بما وهب لي، فقال: ارفع السجف [٢]، فرفعته فإذا عشر بدر [٣]، قلت: في أي شيء بقي عليك في أمر الضيعة؟ فقال: والله ما هو إلا أن دخلت منزلي حتى شححت عليها، وصارت مثل ما حويت قديماً، قلت: سبحان الله العظيم، فتصنع ماذا؟ [قال]: قم حتى ألقنك صوتاً يفوق ذلك، فقمت فجلست بين يديه، فألقى عليَّ: [٤] [الطويل]

ويفـــــرح بالمولود من آل برمكٍ   بغاة الندى والسيف والرمح ذو النصل
وتنبـــسط الآمـــال فـيـــه لفـضله   ولا سيـمـا إن كـان من ولد الفـضل

قال مخارق: فسمعت مالم أسمع مثله قط، وصغر عندي الأول، فأحكمته، وقال: امض الساعة إلى الفضل بن يحيى، فإنك تجده لم يأذن لأحد بعد، وهو

---

(١) أبو المهنا: كنية مخارق المغني، وهو مخارق بن يحيى الجزار، وقد مضت ترجمته.

(٢) السجف: الستر.

(٣) البدرة: عشرة آلاف درهم، والبدرة من المال: كمية عظيمة منه، وقيل: الكيس الموضوعة فيه، والجمع بدر وبدور (اللسان: بدر).

(٤) الشعر لأبي النضير في الأغاني ٥/١٩٦.

يريد الخلوة مع جواريه اليوم، فاستأذن عليه وحدثه بحديثنا الأول من أمس وما كان من أبيه إلينا وإليك، وأعْلِمْهُ أني صنعت هذا الصوت، وكان عندي أرفع منزلة من الصوت الأول الذي وضعته، وإني ألقيته عليك حتى أحكمته، ووجهت بك قاصداً لتلقيه على فلانة جاريته، فصرت إلى الفضل فوجدت الأمر على ما ذكر، فاستأذنتُ فوصلت إليه، فسألني عن الخبر، فأعلمته بخبري وما وصل إلي وإليه من المال، فقال: أخزى الله إبراهيم ما أبخله على نفسه! ثم دعا خادماً وقال له: اضرب الستارة، فضربها، فقال: ألقه، فألقيته، فلما ألقيته قال: أحسن والله أستاذك، وأحسنت أنت يا مخارق، ولم أبرح حتى أخذته الجارية وأحكمته [ص ٢٣٣] فسر بذلك وقال: يا غلام، احمل مع أبي المهنا عشرين ألف درهم، واحمل إلى إبراهيم مئتي ألف درهم، فانصرفت إلى منزلي بالمال فنثرت منه على الجواري، وشربت وسررت أنا ومن عندي، فلما أصبحت بكرت إلى إبراهيم فوجدته على الحال التي كان عليها، فدخلت أترنم وأصفق، فقال لي: ادن، فقلت: ما بقي؟ فقال: اجلس وارفع سجف هذا الباب فإذا عشرون بدرة مع تلك العشر، فقلت: ما تنتظر الآن؟ فقال: والله ما هو إلا أن حصلت حتى جرى مجرى ما تقدم، فقلت: والله ما أظن أن أحداً نال في هذه الدولة ما نلته، فلم تبخل على نفسك بشيء تمنيته، دهرك، وقد ملكك الله أضعافه؟ ثم قال: اجلس فخذ هذا الصوت، فألقى علي صوتاً أنساني الأولين: (١) [الطويل]

أفي كل يوم أنت صب وليلةٍ ... إلى أم بكرٍ لا تفيق فتقصرُ
أحب على الهجران أكناف بيتها ... فيالك من بيت يحب ويهجرُ
إلى جعفر سارت بنا كل جَسْرةٍ ... طواها سراها نحوه والتهجرُ
إلى واسع للمجتدين فناؤه ... تروح عطاياه عليهم وتبكرُ

---

(١) الشعر لمروان بن أبي حفصة في ديوانه ص ٦٠ ـ ٦١ والأغاني ٥ / ١٩٧.

قال مخارق: فسمعت مالم أسمع قط مثله حسناً، فردده علي حتى أخذته ثم قال: امض إلى جعفر فافعل به كما فعلت بأخيه وأبيه، فمضيت ففعلت مثل ذلك، وخبرته بما كان منهما، وعرضت عليه الصوت، فسره وامر خادماً فضرب الستارة، وأحضر الجارية وقعد على كرسي، ثم قال: هات يا مخارق، فاندفعت وألقيت الصوت عليها حتى أخذته الجارية، فقال: أحسنت يا مخارق، وأحسن أستاذك، يا غلام، تحمل معه ثلاثين ألف درهم، وإلى الموصلي ثلاث مئة ألف درهم، فصرت إلى منزلي بالمال فأقمت ومن عندي مسرورين نشرب بقية يومنا ونطرب، ثم بكرت إلى إبراهيم فتلقاني قائماً وقال لي: أحسنت يا مخارق، فقلت: وما الخبر؟ قال: اجلس، فجلست، فقال لمن خلف الستارة، خذوا فيما أنتم فيه، ثم رفع السجف فإذا المال كاملاً، قلت: فما خبر الضيعة؟ فأدخل يده تحت مسورة (١) هي متكأه، فقال: هذا صك [ص ٢٣٤] الضيعة، سئل عن صاحبها فوجد ببغداد فاشتراها منه يحيى بن خالد، وكتب إلي: قد علمت أنك لا تسخو نفسك بشراء الضيعة بمال يحصل لك ولو حيزت لك الدنيا كلها، وقد ابتعتها لك من مالي، ثم وجه إلي بصكها، وهذا المال كما ترى، ثم بكى وقال: يا مخارق، إذا عاشرت فعاشر مثل هؤلاء، [هذه] ستمئة ألف درهم، وضيعة بمئة ألف درهم، وستون ألف درهم لك، حصلنا ذلك أجمع وأنا جالس في منزلي لم أبرح منه، متى يوجد مثل هؤلاء؟

قال إسحاق: حضر أبي يوماً عند موسى الهادي، فقال له: يا إبراهيم، غنني جنساً من الغناء ألذه وأطيبه وأطرب عليه، ولك حكمك، قال: وكنت أراه لا يصغي إلى شيء من الأغاني إصغاءه إلى النسيب والرقيق [منه]، فغنيته: (٢)

---

(١) المسورة: الوسادة من جلد.

(٢) الشعر لأبي صخر الهذلي في الأغاني ٥/١٩٩

والمروي في البيت: (تعروني لذكراك هزة).

[الطويل]

وإني لتعروني لذكراك نفضة　　كما انتفض العصفور بلله القطر

فضرب بيده إلى جيب دراعته فخرقها(١) ذراعاً آخر، وقال: زدني، ويلك أحسنت والله ووجب حكمك، فغنيته:(٢) [الطويل]

هجرتك حتى قيل لا يعرف الهوى　　وزرتك حتى قيل ليس له صبر

فرفع صوته وقال :أحسنت لله أبوك، ها ما تريد، قلت: يا سيدي، عين مروان بالمدينة، فدارت عيناه في رأسه وقال: يا بن اللخناء، أردت أن تشهرني بهذا المجلس، فيقول الناس: أطربه فحكمه، فتجعلني سمراً وحديثاً، يا إبراهيم الحراني، خذ بيد هذا الجاهل إذا قمت فأدخله بيت مال الخاصة، فإن أخذ كل ما فيه فخله وإياه، فدخلت فأخذت منه خمسين ألف دينار.

قال إسحاق: اشترى أبي لجعفر بن يحيى جارية مغنية بمال عظيم، فقال له جعفر: أي شيء تحسن هذه حتى بلغت هذا المال كله؟ قال: لو لم تحسن شيئاً إلا أنها تحكي قولي: (٣) [الكامل]

لمن الديار ببرقة الروحان

لكانت تساوي وزيادة، فضحك جعفر وقال: أفرطت.

(١) «فخرقها» أي فَشَقّ الدُّرَّاعة ذراعاً إعجاباً بما سمع. وكان شقّ الثياب يكون أحياناً من الطرب الشديد. وقال :ذراعاً آخر لأن الدراعة هي جُبّة مشقوقة المُقَدّم .[المراجع].

(٢) الشعر لأبي صخر الهذلي في الأغاني ٥ / ٢٠٠ والبيت وسابقه في قصيدته التي أولها:

عجبت لسعي الدهر بيني وبينها　　فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر

(٣) الشطر في الأغاني ٥ / ٢٠١ وتمامه:

لمن الديار ببرقة الروحان　　إذ لا نبيع زماننا بزمان

وقال إسحاق: صنع أبي تسع مئة صوتٍ، منها دينارية [ص٢٣٥] ومنها درهمية، ومنها فلسية، فأما ثلاث مئة منها، فإنه تقدم الناس جميعاً فيها، وأما ثلاث مئة فشاركوه وشاركهم، وأما ثلاث المئة الأخرى فلعب وطرب، [وأسقط] إسحاق بعد ذلك ثلاث المئة الأخيرة، وكان بعد ذلك إذا سئل عن صنعة [أبيه] قال ست مئة[١] صوت.

قال إسحاق: غنَّي مخارق بين يدي الرشيد صوتاً فأخطأ فيه، فقال له: أعد، فأعاده وكان الخطأ خفياً، فقلت للرشيد: سيدي قد أخطأ فيه، فقال لإبراهيم بن المهدي: ما تقول فيما ذكره إسحاق، قال: ليس الأمر كما قال، ولا هاهنا خطأ، فقلت له: أترضى بأبي؟ فقال: إي والله، وكان أبي في بقية علةٍ، فأمر الرشيد بإحضاره فجيء به في محفةٍ[٢]، فقال لمخارق: أعد الصوت، فأعاده، فقال له: ما عندك يا إبراهيم في هذا الصوت، قال: قد أخطأ فيه، فقال: هكذا قال ابنك إسحاق، وذكر أخي إبراهيم أنه صحيح، فنظر إلي وقال: هاتوا دواة، فأتي بها، فكتب شيئاً لم يقف عليه أحد، ثم قطعه ووضعه بين يدي الرشيد، وقال لي: اكتب بذكر الوضع الفاسد من قسمة هذا الصوت، فكتبته وألقيته، فقرأه وضحك، وقام فقرأه بين يدي الرشيد، فعجب ولم يكن أحد في المجلس إلا قرَّظ وأثنى ووصف، وخجل إبراهيم بن المهدي.

قال إسحاق: غنى أبي يوماً بحضرة الرشيد هذا البيت:[٣] [الطويل]

---

(١) في الأصل: (تسع مئة صوت) ولا يصح بعد أن أسقط منها ثلاث مئة.

(٢) المحفة: مركب للنساء كالهودج، وسرير يحمل عليه المريض أو المسافر، ويسمى تخت روان.

(٣) الشعر لقيس بن ذريح في ديوانه ص ٩٣ وفي الأغاني٥/٢٠٨ ينسب إلى مضرس بن قرط الهلالي وإلى قيس بن ذريح.

سَلِي هَلْ قَلانِي مِنْ عَشِيْرٍ صَحِبْتُهُ ... وَهْلَ ذَمَّ رَحْلِي في الرِّفَاقِ رَفِيْقُ

فطرب واستعاده وأمر له بألف[1] دينار، فلما كان بعد سنين خطر ببالي ذلك الصوت وذكرت قصته، فغنيته إياه، فطرب وشرب ثم قال لي: يا إسحاق كأن[2] في نفسك ذكر حديث أبيك، وأني أعطيته ألف دينار على هذا الصوت، فطمعت في الجائزة، فضحكت وقلت: والله سيدي ما أخطأت، فقال: أخذ أبوك ثمنه مرة فلا تطمع، فعجبت من قوله، ثم قلت: يا سيدي، قد أخذ أبي منك أكثر من مئتي ألف دينار، مارأيتك ذكرت منها غير هذا الألف على بختي أنا، فقال: ويحك، أكثر من مئتي ألف؟! فقلت: أي والله، فوجم من ذلك وقال: أستغفر الله من ذلك، ويحك [ص ٢٣٦] فما الذي خلف منها؟ قلت: خَلَّفَ عليَّ ديوناً فقضيتها، قال: ما أدري أينا أشد تضييعاً، والله المستعان.

قال إسحاق، قال أبي: أتيت الفضل بن يحيى يوماً، فقلت له: يا أبا العباس، جعلت فداك، هب لي دراهم، فإن الخليفة قد حبس يَدَهُ، فقال: ويحك يا أبا إسحاق، ما عندي مال أرضاه لك، ثم قال: هاه! إلا أن هاهنا خصلة، أتانا رسول صاحب اليمن، فقضينا حوائجه، ووجه إلينا بخمسين ألف دينار نشتري لنا بها ما نحب، فما فعلت ضياء جاريتك، قلت: عندي جعلت فداك، قال فهو ذا، أقول لهم حتى يشتروها منك، فلا تنقصها من خمسين ألف دينار، فقبلت رأسه وانصرفت، فبكر عليَّ [رسول] صاحب اليمن، ومعه صديق له، فقال: جاريتك فلانة، فقلت: عندي، فقال اعرضها علَّي، فعرضتها، فقال: بكم، قلت: بخمسين ألف دينار لا أنقص منها واحداً، وقد أعطاني بها الفضل بن يحيى أمس هذه العطية، فقال لي: له أريدها، فقلت: أنت أعلم إذا اشتريتها فصيرها لمن شئت، فقال لي:

---

(١) في الأغاني (بعشرين ألف درهم) وهو خطأ كما سيأتي في السياق.

(٢) في الأصل: « كأني ».[المراجع].

هل لك في ثلاثين ألف دينار مسلمةٍ؟ قال: وكان شراء الجارية على أربع مئة دينار، فلما وقع في أذني [ذكر] ثلاثين ألف دينار أُرْتِجَ علي ولحقني زمع[١]، وأشار علي صديقي الذي معه بالبيع، وخفت والله أن يحدث بالجارية أو بي أو بالفضل [حدث] فسلمتها وأخذت المال، ثم بكرت إلى الفضل بن يحيى، فإذا هو جالس وحده، فلما نظر إلي ضحك، ثم قال لي: يا ضيق الحوصلة، حرمت نفسك عشرين ألف دينار! فقلت له: جعلت فداك، دع ذا عنك، فوالله لقد دخلني شيء أعجز عن وصفه، وخفت أن تحدث بي حادثة أو بالجارية أو بك أو بالمشتري، فبادرت بقبول ثلاثين ألف دينار، فقال: لا ضير، يا غلام جيء بالجارية، فقال: خذها مباركاً لك فيها، فما أردنا إلا نفعك، ولم نرد الجارية، فلما نهضت قال لي: مكانك، رسول صاحب أرمينية قد جاءنا فقضينا حوائجه ونفذنا كتبه، وذكر أنه قد جاءنا بثلاثين ألف دينار يشتري لنا ما نحب، فاعرض عليه جاريتك هذه ولا تنقصها من ثلاثين ألف دينار، فانصرفت [ص ٢٣٧] بالجارية، وبكر عليَّ صاحب أرمينية ومعه صديق لي آخر، فقاولني بالجارية، فقلت: لست أنقصها من ثلاثين ألف دينار، فقال: معي عشرون ألف دينار مسلمة تأخذها بارك الله لك فيها، فدخلني والله مثل ما دخلني في المرة الأولى، وخفت مثل خوفي الأول، فسلمتها إليهم وأخذت المال، وبكرت على الفضل بن يحيى، فلما رآني ضحك وضرب برجله وقال: ويحك حرمت نفسك عشرة آلاف دينار، فقلت له: أصلحك الله، خفت والله مثل ما خفت في المرة الأولى، فقال لي: لا ضير، يا غلام: جاريته، فجيء بها، فقال: خذها ما أردناها ولا أردنا إلا نفعك، فلما ولت الجاريُ صحت بها ارجعي، فرجعت، فقلت: أشهدك ـ جعلت فداك ـ أنها حرة لوجه الله، وأني قد تزوجتها على عشرة آلاف درهم،

(١) الزمع: شبه رعدة تأخذ الإنسان.

كسبت لي في يوم خمسين ألف دينار، فما جزاؤها إلا هذا، فقال: وفقت إن شاء الله.

قال: لما [صنع] أبي لحنه:(١) [الرمل]

ليتَ هِنْداً أنجــزَتْنَا مَــا تَعِــدْ

خاصمته وعبته في صنعته وقلت له: بإزائك من ينتقد أنفاسك ويعيب محاسنك وأنت لا تفكر تجيء إلى صوت قد عمل [فيه] ابن سريج لحناً فتعارضه بلحن لا يقاربه، والشعر أوسع من ذلك، فدع ما قد اعتورته(٢) صناعة القدماء وخذ في غيره، فغضب، وكنت لا أزال أفاخره بصنعتي وأجب(٣) ما يعاب من صنعته، فإن قبل مني فذاك، وإن غضب داريته وترضيته، فقال لي: ما يعلم الله أني أدعك أو تفاخرني بخير صوت صنعته في طريقة هذا الصوت، فلما رأيت الجد منه اخترت لحني في:(٤) [مجزوء الخفيف]

قُلْ لمنْ صَــــدَّ عَــــاتِبــــاً ونَأى عَنْكَ جَــــانِبَــــا

وكان ما تجاريناه ونحن نتساير في الصحراء لنقطع فضل خمارنا(٥)، فقال: من تحب أن يحكم بيننا، فقلت: من ترى يحكم؟ قال: أول من يطلع علينا، أغنيه لحني وتغنيه لحنك، فطمعت فيه وقلت: نعم، وأقبل شيخ نبطيٌّ على حمار له، فأقبل عليه أبي وقال: إني وصاحبي هذا قد تراضينا بك في شيء،

(١) الشعر لعمر بن أبي ربيعة من قصيدة في ديوانه ص ٣٢٠ والأغاني ٥/٣١٤ وتمامه:

ليت هنداً أنجزتنا ما تعد وشفت أنفسنا مما تجد

(٢) اعتورته: تعاطته وتداولته.

(٣) أجب: أقطع، ومنه: الإسلام يجبّ ما قبله.

(٤) الشعر لإسحاق الموصلي في ديوانه ص ٩٤ والأغاني ٥/٢١٤.

(٥) الخمار: ما يصيب شارب الخمر من الصداع.

قال: وأي شيء هو؟ قال: زعم كل واحد منا أنه أحسن غناء من صاحبه، فتسمع مني ومنه وتحكم بيننا، فقال: على اسم الله، فبدأ أبي فغنى لحنه، وتبعته [ص ٢٣٨] فغنيت لحني، فلما فرغت أقبل عليَّ فقال: قد حكمت عليك عافاك الله ومضى، فلطمني [أبي] لطمةً ما مر بي مثلها، وسكت فما أعدت عليه حرفاً.

قال الرشيد يوماً لجعفر بن يحيى: قد طال سماعنا هذه العصابة على اختلاط الأمر فيها، فهلم أقاسمك إياها فأخايرك، فاقتسما المغنين على أن جعلا بإزاء كل رجلٍ نظيره، فكان ابن جامع في حيز الرشيد، وإبراهيم في حيز جعفر، وحضر الندماء لمحنة[١] المغنين، وأمر الرشيد ابن جامع بالغناء، فغنى صوتاً أحسن فيه كل الإحسان، وأطرب الرشيد غاية الإطراب، فلما قطعه، قال الرشيد لإبراهيم: هات هذا الصوت فغنه، فقال: لا والله يا أمير المؤمنين لا أعرفه وظهر الانكسارُ فيه، فقال الرشيد لجعفر: هذا واحد، ثم قال لابن جامع: غنِّ يا إسماعيل، فغنى صوتاً ثانياً أحسن من الأول، فلما استوفاه قال الرشيد لإبراهيم: هاته يا إبراهيم، فقال: لا والله لا أعرف هذا، فقال: هذان اثنان، يا إسماعيل غن يا إسماعيل، [فغنى] ثالثاً يتقدم الصوتين فلما أتى على آخره، قال: هاته يا إبراهيم، فقال: ولا والله ما أعرفه، فقال له جعفر: أخزيتنا أخزاك الله، وأتمَّ ابن جامع يومه والرشيد مسرور به، وأجازه وخلع عليه، ولم يزل إبراهيم منخذلا حتى انصرف، قال: فمضى إلى منزله، فلم يستقر حتى بعث إلى محمد المعروف بالزف[٢]، وكان من المغنين المحسنين، وكان أسرع الناس أخذاً للصوت، وكان الرشيد وجد عليه في أمر فألزمه بيته وتناساه، فقال إبراهيم للزف، إني اخترتك على من هو أحب إليَّ منك لأمر لا يصلح له غيرك، فانظر كيف تكون، قال:

---

(١) المحنة هنا: الاختبار والامتحان والتجربة.

(٢) في الأصل: (الرف) بالراء المهملة في كل موضع، وهو بالزاي المعجمة وقد تقدمت ترجمته.

أبلغ في ذلك محبتك إن شاء الله، فأدى له الخبر وقال: أريد أن تمضي من ساعتك إلى ابن جامع فتعلمه أنك صرت إليه مُهَنِّئاً بما تهيأ له علي، وتثلبني وتشتمني، وتحتال في أن تسمع منه الأصوات وتأخذها، ولك كل ما تحبه من جهتي مع رضا الخليفة إن شاء الله، قال: فمضى من عنده فاستأذن على ابن جامع، فأذن له، فدخل وسلم عليه وقال: جئتك مهنئاً بما بلغني من خبرك، والحمد لله الذي كشف الفضل عن محلك في صناعتك، قال: وهل بلغك خبرنا؟ قال: هو أشهر من أن يخفى [ص ٢٣٩] على مثلي، قال: ويحك إنَّه يقصر عن العيان، قال: أيها الأستاذ سرني بأن أسمعه من فيك حتى أرويه عنك وأسقط الأسانيد، قال: أقم عندي حتى أفعل، فدعا ابن جامع بالطعام، فأكلنا وشربنا، ثم بدأ وحدثه بالخبر، حتى انتهى إلى خبر الصوت الأول، فقال له الزف: وما هو أيها الأستاذ، فغناه ابن جامع، فجعل محمد يصفق ويشرب، وابن جامع مشتغل في شأنه، حتى أخذه منه، ثم سأله عن الصوت الثاني، فغناه إياه، وفعل مثل ما فعله في الأول، ثم كذلك في الصوت الثالث، فلما أخذ الأصوات وأحكمها، قال له: يا أستاذ، قد بلغت ما أحب، فأذن له بالانصراف، فانصرف محمد من وجهه إلى إبراهيم، فلما طلع من باب داره قال: ما وراءك؟ قال: ما تحب، ادْعُ لي بعود، فدعا به فضرب، وغناه الأصوات، قال إبراهيم: هي وأبيك بصورتها وأعيانها، وأردُدْها عليَّ الآن، فلم يزل يرددها حتى صَحَّتْ لإبراهيم، وانصرف محمد إلى منزله، وغدا إبراهيم إلى الرشيد، فلما دعا بالمغنين دخل فيهم، فلما بصر به قال: أو قد حضرت؟ أما كان ينبغي أن تجلس في منزلك شهراً بسبب ما لقيت من ابن جامع، قال: ولم ذلك يا أميرالمؤمنين جعلني الله فداك،والله لئن أذنت لي أن أقول لأقولن، قال: وما عساك أن تقول؟ قل، قال: إنه ليس لي ولا لغيري أن يراك متعصباً لحيز فيغاضبك أو يغالبك، وإلا فما في الأرض صوت إلا وأنا أعرفه، فقال له: دع ذا عنك، قد

أقررت أمس بالجهالة بما سمعت من صاحبنا، قال: فإن كنت أمسكت عنه بالأمس على معرفة كما تقول، فهاته اليوم، فليست هاهنا عصبية ولا تمييز، فاندفع يغني الأصوات كلها، وابن جامع مصغ مستمع له، حتى أتى على آخرها، فاندفع ابن جامع يحلف بالأيمان المحرجة أنه ما عرفها قط ولا سمعها ولا هي إلا من صنعته لم تخرج إلى أحد غيره، فقال له: ويحك فما أحدثت بعدي؟ قال: ما أحدثت حدثاً، قال: يا إبراهيم بحياتي اصدقني، قال: وحياتك لأصدقنك، رميته بحجره، بعثت بمحمّدٍ الزَّفِّ وضمنت له ضمانات، أولها رضاك عنه، فمضى فاحتال عليه حتى أخذها عنه ونقلها إليَّ، وقد سقط الآن عنِّي اللوم بإقراره بأنه ليس علي أن أعرف ما صنعه هو[1] ولم يخرجه [ص ٢٤٠] إلى الناس، وهذا باب من الغيب، وإنما يلزمني أن يعرف هو شيئاً من غناء الأوائل وأجهله أنا، وإلا فلو لزمني أن أروي صنعته، للزمه أن يروي صنعتي وللزم كل وأحد منا لسائر طبقته، ونظرائه مثل ذلك، فمن قصر عنه كان مذموماً ساقطاً، فقال له الرشيد: صدقت يا إبراهيم ونضحت عن نفسك وقمت بحجتك، ثم اقبل على ابن جامع فقال له: يا إسماعيل: أُتيِتَ، أبطل عليك الموصلي ما فعلته، به أمس، وانتصف منك، ثم دعا بالزَّفِّ ورضي عنه.

قال إسحاق: وأصوات ابن جامع هذه، الأول منها قول قيس بن[2] ذريح:[3] [الوافر]

بكيتُ نعم بكيت وكلّ إلف ... إذا بانت قرينته بكاها
وما فارقت لبنى عن تقالٍ ... ولكن شقوة بلغت مداها

(١) في الأصل: (هذا)

(٢) في الأصل: (قيس بن أبي ذريح) وكلمة (أبي) زائدة.

(٣) الشعر لقيس بن ذريح في ديوانه ص ١١٢ والأغاني ٥ / ٢٢٣.

قال :والثاني منها قول حماد الراوية:[1] [المتقارب]

عسفت دار سلمى بمفضى الرغام ... رياح تعاقبها كل عام

خلاف الحلول بتلك الطلول ... وسحب الذيول بذاك المقام

قال: والثالث منها قول [ابن] الأحنف:[2] [الكامل]

نزف البكاء دموع عينك فاستعر ... عيناً لغيرك دمعها مدرار

من ذا يعيرك عينه تبكي بها ... أرأيت عيناً للبكاء تعار

قال: لما أنشد بشار قول العباس بن الأحنف:

نزف البكاء دموع عينك

البيتين، قال: لحق هذا الفتى بالمحسنين، ومازال يدخل نفسه معنا ونحن نخرجه حتى قال هذا الشعر.

قال: ولما أنشد الرشيد قول العباس بن الأحنف:

من ذا يعيرك عينه تبكي بها

قال: يعير عينيه من لا حَاطَهُ الله ولا كَلأهُ[3].

قال [الرشيد] لإبراهيم بن المهدي، وإبراهيم الموصلي، وابن جامع، وابن أبي الكَنَّات: باكروني غداً، وليكن كل واحد منكم قد قال [ص ٢٤١] شعراً، إن كان يقدر أن يقوله، ويغني فيه لحناً، وإن لم يكن شاعراً، غنى في شعر غيره. قال إبراهيم بن المهدي: قمت في السحر واجتهدت على شيء أصنعه فلم يتفق لي، فلما خفت طلوع الفجر، دعوت غلماني وقلت لهم: أريد المضي إلى موضع

(١) الشعر لحماد الراوية في الأغاني ٥/٢٢٤.

(٢) الشعر للعباس بن الأحنف في ديوانه ص ١٢٧ والأغاني ٥/٢٢٤ ـ ٢٢٥.

(٣) في الأصل: «مَنْ يعير عينيه». [المراجع].

لا يشعر بي أحد حتى أصير إليه، وكانوا في زنيديات لي يبيتون على باب داري، فقمت فركبت في إحداها، وقصدت دار إبراهيم الموصلي، وكان قد حدثني أنه إذا أراد الصنعة لم ينم حتى يدبر ما يحتاج إليه، فإذا قام إلى حاجته في السحر، اعتمد على خشبة له في المستراح، فلايزال يقرع عليها حتى يفرغ من الصوت ويرسخ في قلبه، فجئت حتى وقعت تحت مستراحه، فإذا هو يردد هذا الصوت:[1] [الطويل]

إذا سكبت في الكأس قبل مِزاجها ... ترى لونها في جلدة الكأس مذهبا[2]

وإن مـزجت راعت بلون تخاله ... إذا ضمنته الكأس بالكأس كوكبا

أبوها نجاء المزن والكرم أمها ... ولم أر زوجاً منه أشهى وأطيبا[3]

فجاءتك صفرا أشبهت غير جنسها ... وما أشبهت في اللون أما ولا أبا

[قال] فما زلت واقفاً أسمع الصوت حتى أخذته، ثم غدونا إلى الرشيد فلما جلسنا إلى الشرب جاء الخادم الي فقال: يقول لك أمير المؤمنين، يابن أم، غنني، فاندفعت فغنيته هذا الصوت، والموصلي في الموت، حتى فرغت منه، وشرب عليه وأمر لي بثلاث مئة ألف درهم، فوثب الموصلي وحلف بالطلاق وبحياة الرشيد أن الشعر له، قاله البارحة وغنى فيه، ما سبقه إليه أحد، فقال إبراهيم: يا سيدي، فمن أين هو لي لولا كذبه وبهته[4]، وإبراهيم يضرب ويضج، فلما قضيت أرباً من العبث به، قلت للرشيد: الحق أحق ما استعمل، وصدقته، فقال الرشيد: أما أخي فقد أخذ المال ولا سبيل إلى رده، وقد أمرت لك بمئة ألف

(١) الشعر لابراهيم الموصلي في الأغاني ٥/ ٢٢٩ ـ ١٣٠.

(٢) في الأصل: (إذا سكبت في الكأس كان مزاجها) والصواب: قبل مزاجها، لأنه يصف حالة الخمر قبل المزج وبعده.

(٣) نجاء المزن: السحاب.

(٤) البهت والبهتان: الكذب والافتراء.

درهم، عوضاً عما جرى عليك، ولو ابتدأت بالصوت لكان حظك، فأمر بها فحملت إليه.

وذكر أن الرشيد هب من نومه في ليلة من الليالي، فدعا بحمار كان يركبه في القصر أسود قريب من الأرض، فركبه وخرج في دُرَّاعة[١] وشيٍ، متلثماً بعمامة وشيٍ، ملتحفاً بإزارِ وشيٍ، وبين يديه أربع مئة خادم أبيض سوى الفراشين [ص ٢٤٢] وكان مسرور الفرغاني جريئاً عليه لمكانته عنده، فلما خرج قال: إلى أين تريد يا أمير المؤمنين في هذه الساعة؟ قال: أردت بيت الموصلي، قال مسرور: فمضى ونحن معه وبين يديه، حتى أَتَى إلى منزل إبراهيم، فخرج وتلقاه، وقبل حافر حماره، وقال له: يا أمير المؤمنين، أفِي هذه الساعة تظهر، قال: نعم، شوقك بي، ثم نزل فجلس في طرف الإيوان وأجلس إبراهيم، فقال: يا سيدي، أتنشط لشيء تأكله؟ فقال: نعم، خاميز[٢] ظبي، فأتي به كأنه كان معداً له، فأصاب منه شيئاً يسيراً، ثم دعا بشرابٍ حمل معه، فقال الموصلي: يا سيدي، أغنيك أم تغنيك إماؤك؟ قال: بل الجواري.

فخرج جواري إبراهيم، فأخذن صدر الإيوان وجانبيه، فقال: أيضربن كلهن أم واحدة واحدة؟فقال :تضرب اثنتان اثنتان،وتغني واحدة واحدة ففعلن ذلك حتى مَرَّ صدرُ الإيوان وأحد جانبيه، والرشيد يسمع ولا ينشط لشيء من غنائهن، إلى أن غنت صبية من حاشية الصفة:[٣] [البسيط]

يا موري الزند قد أعيت قوادحه	اقبس إذا شئت من قلبي بمقباس
ما أقبح الناس في عيني وأسمجهم	إذا نظرت فلم أبصرك في الناس

(١) الدراعة: ضرب من الثياب تلبس، وقيل: جبة مشقوقة المقدم.

(٢) الخاميز: طعام يتخذ من لحم عجل بجلده، أو مرق السكباج.

(٣) الشعر في الأغاني ٥ / ٢٣٢.

قال: فطرب لغنائها، واستعاد الصوت مراراً، وشرب أرطالاً، ثم سأل الجارية عن صانعه، فأمسكت، فاستدناها فتقاعست، فأمر بها فأقيمت، حتى أقيمت بين يديه، فأخبرته بشيء أسرته إليه، ودعا بحماره فركبه وانصرف، ثم التفت إلى إبراهيم فقال: ما ضرك يا إبراهيم ألا تكون خليفةً، فكادت نفسه تخرج، حتى دعا به بعد ذلك وأدناه، وكان الذي أخبرته به الجارية أن الصنعة في الصوت لأخته علية وكانت لها، وجهت بها [إلى] إبراهيم تطارحه.

قال لي إبراهيم، قال لي الرشيد يوماً: يا إبراهيم، بَكِّرْ غداً حتى نصطبح، فقلت: أنا والصبح كفرسي رهان، فبكرت فإذا به خالٍ وبين يديه جارية كأنها خوط بانٍ[1] او جدل[2] عنان، حلوة المنظر، دمثة الشمائل في يدها العود، فقال لها: غني، فغنت في شعر أبي نواس، وهو هذا:[3] [الطويل]

توهمه قلبي فأصبح خده ... وفيه مكان الوهم من ناظري أثْرُ
ومر بفكري خاطراً فجرحته ... ولم أر جسماً قط يجرحه الفكرُ
[ص ٢٤٣] وصافحه قلبي فآلم كفه ... فمن غمز قلبي في أنامله عقرُ

قال إبراهيم: فذهبت والله بعقلي، حتى كدت أفتضح، فقلت: من هذه يا أمير المؤمنين؟ قال: التي يقول فيها الشاعر:[4] [الوافر]

لَهَا قَلْبِي الغَدَاة وقَلْبُهَا لِي ... فَنَحْنُ كَذَاكَ في جَسَدِيْنِ رُوْحُ

قال: ثم شرب أرطالاً وسقاها، وقال: غن يا إبراهيم، فغنيت حسب ما في قلبي

---

(١) الخوط: الغصن الناعم، والبان: ضرب من الشجر واحدته بانة.

(٢) الجدل: شدة الفتل، أي عنان محكم الفتل يريد رشاقتها وفتوتها.

(٣) الشعر لأبي نواس في ديوانه ص ٧٣٠ والأغاني ٥ / ٢٤٠ ـ ٢٤١.

(٤) البيت في الأغاني ٥ / ٢٤١.

غير متحفظ:[1] [الطويل]

تشرّب قلبي حبها ومشى بها تمشي حميا الكأس في كف شارب
ودب هواها في عظامي فشفها كما دب في الملسوع سم العقارب

قال: ففطن بتعريضي، وكانت جهالة مني، وأمرني بالانصراف، ولم يدعُ بي شهراً ولاحضرت مجلسه، فلما كان بعد شهر دس إلي خادماً معه رقعة فيها مكتوب:[2] [الخفيف]

قد تخوفت أن أموت من الوجـ ـد ولم يدر من هويت بمابي
يا كتابي فاقر السلام على من لأسمي وقل له يا كتابي
إن كفاً إليك قد كتبتني صبت فؤاده في عذابي[3]

فأتاني الخادم بالرقعة، فقلت: ما هذا؟ قال: رقعة فلانة التي غنتك بين يدي أميرالمؤمنين، فأحسست بالقصة، فشتمت الخادم، ووثبت إليه، وضربته ضرباً شفيت به غيظي، وركبت إلى الرشيد من فوري، فأخبرته بالقصة، وأعطيته الرقعة، فضحك حتى كاد يستلقي، ثم قال: على عمدٍ فعلت ذلك، أردت لأمتحن مذهبك وطريقتك، ثم دعا بالخادم، فلما رآني قال: قطع الله يديك ورجليك، ويلك قتلتني، فقلت: القتل كان بعض حقك لما وردت به عليَّ، ولكنِّي رحمتك فأبقيت عليك، وأخبرت أمير المؤمنين ليأتي عقوبتك بما تستحقه، فأمر لي الرشيد بصلة سنية، والله أعلم ما فعلت الذي فعلته عفافاً، ولكني خفت.

---

(١) الشعر لإبراهيم الموصلي في الأغاني ٥ / ٢٤١.

(٢) الشعر في الأغاني ٥ / ٢٤٢ وفي روايته خلاف عما في الأصل.

(٣) كذا في الأصل: وعجز البيت غير موزون وفي الأغاني: (في شقاء موصل وعذاب).
- قلت: كان تتمة الكلام: «كيف صَبٌّ فؤاده في عذابي».[المراجع].

قال إسحاق: سمعت الرشيد وقد سأل أبي: كيف يصنع إذا أراد أن يصوغ الألحان، قال: يا أمير المؤمنين، أخرجُ [ص ٢٤٤] الهم من فكري وأمثل الطربَ بين عيني، فتسرع لي مسالك الألحان التي أريد فأسلكها بدليل الإيقاع، فأرجع مصيباً ظافراً بما أريد، فقال: يحق لك يا إبراهيم أن تصيب وتظفر، وإن حسن وصفك مشاكل لحسن صنعتك وغنائك.

قال ثمامة بن أشرس: مررت بإبراهيم الموصلي ويزيد حوراء وهما مصطبحان[1]، وقد أخذا بينهما صوتاً يغنيانه، هذا بيتاً وهذا بيتاً:[2]

[الطويل]

أيا جبلي نعمان بالله خليا ... سبيل الصبا يخلص إلي نسيمها
فإن الصبا ريح إذا ما تنسما ... على نفس مكروب تجلت همومها

قال ثمامة: فوالله ما خلتُ أن شيئاً بًقيَ من لذات الدنيا بعد ما كانا فيه قال إبراهيم الموصلي، قال لي جعفر بن يحيى يوماً: صر اليَّ حتى أهب لك شيئاً حسناً، فصرت إليه فقال لي [أيما] أحب إليك، أهب لك الشيء الحسن الذي وعدتك به، أو أرشدك إلى شيء تكسب به ألف ألف درهم، فقلت بل يرشدني الوزير أعزه الله إلى هذا الوجه، فإنه يقوم مقام إعطائه إياي هذا المال، فقال: إن أمير المؤمنين يحفظ شعر ذي الرمة حفظ الصبا، ويعجبه ويؤثره، فإذا سمع فيه غناء أطربه أكثر مما يطربه غيره مما لا يحفظ شعره، فإذا غنيته، وأطربته وأمر لك بجائزة، فقم على رجلك وقبل الأرضَ وقل له: لي حاجة غير هذه الجائزة، أريد أن أسألها أمير المؤمنين، وهي حاجة تقوم عندي مقام كل فائدة ولا تضره ولا

(١) مصطَبحان: يشربان الخمر صباحاً.

(٢) الشعر لقيس بن الملوح في ديوانه ص ١٩٣، والأغاني ٥/ ٢٤٣. ط عالم الكتب بيروت ١٩٩٦.

ترزؤه، فإنه سيقول لك: أي شيء حاجتك؟ فقل: قطيعة تقطعنيها سهلة عليه، ولا قيمة لها ولا منفعة لأحد فيها، فإذا أجابك إلى ذلك، فقل له: تقطعني شعر ذي الرمة، أغني فيه ما أختاره، وتحظر على المغنين جميعاً أن لا يداخلوني فيه، فإني أحب شعره وأستحسنه فلا أحب أن ينغصه عليَّ أحد منهم، وتوثق منه في ذلك، فقبلت هذا القول منه، وما انصرفت [بعد ذلك] إلا بجائزة من عنده، وتوخيت وقتاً للكلام حتى وجدته، فقمت وسألت كما قال لي، فرأيت السرور في وجهه، وقال: [ص ٢٤٥] ما سألت شططاً، قد أعطيتك ما سألت، فجعلوا يتضاحكون من قولي، ويقولون: لقد استضخمت القطيعة وهو ساكت، فقلت: يا أمير المؤمنين أتأذن لي في التوثق[١]؟ قال: توثق[١] كيف شئت، فقلت: بالله وبحق رسوله وبتربة أميرالمؤمنين المهدي، إلا جعلتني في ثقة من ذلك، بأن تحلف لي بأن لا تعطي أحداً من المغنين جائزة على شيء يغنيه في شعر ذي الرمة، فإن ذلك وثيقتي، فحلف مجتهداً له لئن غَنَّاه أحد منهم في شعر ذي الرمة لا أثابه ولا أبره ولا سمع غناءه، فشكرت فعله وقبلت الأرض بين يديه، فانصرفنا فصنعت مئة صوت وزيادة عليها في شعر ذي الرمة، وكان إذا سمع منها شيئا طرب، وزاد في الطرب، ووصلني وأجْزَلَ، ولم ينتفع به أحد منهم غيري، فأخذت والله منه ألف ألف درهم، وألف ألف درهم.

قال: اجتمع إبراهيم الموصلي وزلزل وبرصوما بين يدي الرشيد، فضرب زَلْزلُ وزمر برصوما وغنى إبراهيم:[٢] [الوافر]

صَـــحَـــا قَلْبي وَرَاعَ [إليَّ] عَـــقْلي وأقْـصَـرَ بَاطِلي وتَنَـسَـيْتُ جَـهْلي[٣]

(١) في الأصل: (التوقع.. توقع) وهما تحريف.

(٢) البيتان في الأغاني ٥/٢٥٢ ونسبهما لأبي العتاهية، وليسا في ديوانه ط بيروت. دار الكتاب العربي ١٩٩٧.

(٣) راع الشيء: رجع إلى موضعه. [المراجع].

رأيتُ الغَـانِيَـاتِ وكُنَّ صُـوْراً إليَّ صَـرَمْنَني وقَطَعْنَ حَـبْلِي

فطرب هارون حتى وثب على رجليه وصاح: يا آدم، لو رأيت من يحضرني من ولدك اليوم لسرك! ثم جلس وقال: أستغفر الله.

قال: علي بن عبدالكريم: زار ابن جامع إبراهيم الموصلي، فأخرج إليه ثلاثين جارية، فضربن جميعاً طريقةً واحدة، ثم غنَّين فقال ابن جامع: في الأوتار وتر غير مستوٍ، فقال إبراهيم: يا فلانة، شدي مثناك، فشدته [فاستوى]، فعجبت أولاً من فطنته وابن جامع للوتر بعينه.

قال إبراهيم الموصلي: قال لي الرشيد يوماً يا إبراهيم إني جعلت غدا للحُرَمِ، وجعلت ليلته للشرب مع الرجال، وأنا مقتصر من المغنين عليك، فلا تشغل غداً بشيء، ولا تشرب نبيذاً، وكن بحضرتي وقت العشاء الآخرة، فقلت: السمع والطاعة لأمير المؤمنين، فقال: [ص ٢٤٦] وحق أبي لئن تأخرت أو اعتللت بشيء لأضربن عنقك، أفهمت؟ قلت: نعم، وخرجت ،،فما جاءني أحد من إخواني إلا احتجبت عنه، ولاقرأت رقعة لأحد حتى صليت المغرب وركبت قاصداً إليه، فلما قربت من داره مررت بفناء قصر، وإذا زنبيل[1] كبير مستوثق منه بحبال وأربع عرى أدم، وقد دلي من القصر، وجارية تنتظر إنساناً قد وعد ليجلس فيه،فنازعتني نفسي، إلى الجلوس فيه، ثم قلت: هذا خطأ، ولعله يجري سبب يعوقني عن الخليفة فيكون الهلاك،ولم أزل أنازع نفسي وتنازعني، حتى غلبتني، فنزلت وجلست فيه، ومُدَّ الزنبيل حتى صار في أعلى القصر، ثم خرجت فنزلت، فإذا جوار كأنهن المها جلوس، فضحكن وطربن، وقلن: قد جاء والله [من أردنا]، فلما رأينني من قريب تبادرن عني وقلن: يا عدو الله ما

(١) الزنبيل: وعاء يحمل فيه، ويصنع عادة من الخوص.

أدخلك إلينا؟ فقلت: يا عدوات أنفسهن من الذي أردتن إدخاله، ولِمَ صار أولى بها مني؟ فلم يزل ذلك دأبنا، هن يضحكن وأضحك معهن، ثم قالت إحداهن: أما من أردنا فقد فات، وما هذا إلا ظريف، فهلمن نعاشره عشرة جميلة، فأُخرج إليَّ طعام ودعيت إلى أكله، فلم يكن فيّ فضل إلا أنني كرهت أن أنسب إلى سوء العشرة، فأصبت منه إصابة معذور، ثم جيء بالنبيذ فجلسنا نشرب، فأخرجن إليَّ ثلاث جوارٍ لهن فغنين غناء مليحاً، وغنت إحداهن صوتاً لمعبد، فقالت إحدى الثلاث من وراء الستر: أحسن إبراهيم هذا له، فقلت: كذبت ليس هذا له، فقالت: يا فاسق، ما يدريك الغناء ما هو؟ ثم غنت الأخرى صوتاً للغريض، فقالت: اللَّهُمَّ أحسن إبراهيم هذا له أيضاً، فقلت: كذبت يا خبيثة، هذا للغريض، فقالت: اللَّهُمَّ أخْزِه، ويلك ما يدريك؟ ثم غنت الأخرى صوتاً لي فقالت تلك: أحسن ابن سريج هذا له، قلت: كذبت هذا لإبراهيم، وأنت تنسبين غناء الناس إليه، وغناءه إليهم، قالت: ويلك وما يدريك؟ فقلت: أنا إبراهيم، فتباشرن بذلك جميعاً وظهرن كلهن لي وقلن: كتمتنا نفسك وقد سررنا، فقلت: أنا الآن أستودعكنَّ الله، فقلن: ما السبب؟ فأخبرتهن بقصتي مع الرشيد، فضحكن وقلن: الآن طاب حبسك علينا، وعلينا إن أخرجت أسبوعاً، فقلت: هو والله القتل، فقلن: إلى لعنة الله، فأقمت عندهن أسبوعاً لا أزول، فلما كان بعد أسبوع، ودعنني وقلن: إن سلمك [ص ٢٤٧] الله، فأنت بعد ثلاثة أيام عندنا، فأجلسنني في الزنبيل وسرحت، فمضيت لوجهي حتى أتيت دار الرشيد، فإذا النداء قد أُشِيْعَ ببغداد في طلبي، وأن من أحضرني فقد سوغ ملكي وأقطع مالي، فاستأذنت فبادر الخادم حتى أدخلني إلى الرشيد، فلما رآني شتمني وقال: السيف والنطع(١)، إيهٍ يا إبراهيم، تهاونت بأمري وتشاغلت

---

(١) النطع: بساط من الجلد يفرش تحت المحكوم عليه بالقتل والضرب، والجمع انطاع ونطوع.

بالعوام عما أمرتك به، وجلست مع أشباهك من السفهاء حتى أفسدت علي لذتي، فقلت: ياأمير المؤمنين، أنا بين يديك، وما أمرت غير فائت، ولي حديث عجيب ما سمع بمثله قط، وهو الذي قطعني عنك ضرورة لا اختياراً، فاسمعه فإن كان عذراً فاقبله، وإلا فأنت أعلم، قال: هاته فليس ينجيك، فحدثته فوجم ساعةً ثم قال: إن هذا لعجب، فتحضرني معك هذا الموضع؟ قلت: نعم، وأجلسك معهن إن شئت قبلي حتى تحضر عندهن، وإن شئت على موعد، فقال: بل على موعد، قلت: أفعل، قال: انظر، قلت: ذاك حاصل لك مني متى شئت، فعدل عن رأيه في، وأجْلَسَنِي وشرب وطرب، فلما أصبحنا أمرني بالانصراف، وأن أجيئه من عندهن، فمضيت إليهن في وقت الموعد، فلما وافيت الموضع، إذا الزنبيل معلق، فجلست فيه، ومده الجواري وصعدت، فلما رأينني تباشرن بي، وحمدن الله على سلامتي، وأقمت ليلتي، فلما أردت الانصراف قلت لهن: إن لي أخاً هو عديل نفسي عندي، وقد أحب معاشرتكن ووعدته بذلك، فقلن: إن كنت ترضاه فمرحباً، فواعدتهن ليلة غد وانصرفت، وأتيت الرشيد فأخبرته، فلما كان الوقت خرج معي متخفياً حتى أتينا الموضع، فصعدت وصعد بعدي، ونزلنا جميعاً، وقد كان الله وفقني بأن قلت لهن(١): إذا جاء صديقي فاستترن عني وعنه، ولا يسمع لكن نطقة وليكن ما تخترنه من الغناء أو تقلنه من قول مراسلةً، فلم يتعدين ذلك، وأقمن على أتم ستر وخفر، وشربنا شرباً كثيراً، وقد كان أمرني أن لا أُخَاطبَهُ بإمرة أمير المؤمنين، فلما أخذ مني النبيذ، قلت سهواً يا أمير المؤمنين، فتبادرن من وراء الستار حتى غابت عنا حركاتهن، فقال لي: يا إبراهيم قد أفلت من أمرٍ عظيم، والله لو برزت لك واحدة منهن لضربت رقبتك، قُمْ بنا، فانصرفنا، فإذا هُنَّ له، وقد [ص ٢٤٧]

---

(١) في الأصل: (قلت له) وهو سهو من الناسخ.

وقد كان غضب عليهن فحبسهن في ذلك القصر، ثم وجَّه من غدٍ بخدم فردهن إلى قصره، ووهب لي مئة ألف درهم، وكانت الهدايا والألطاف بعد ذلك تأتيني منهن.

قال مخارق: كنا عند الرشيد في بعض أيامنا، فغناه ابن جامع، ونحن يومئذٍ بالرقة:(١) [الخفيف]

هاج شوقاً فراقك الأحبابا فتناسيت أو نسيت الربابا
حين صاح الغراب بالبين منهم فتصاممت أن سمعت الغرابا
لو علمنا أن الفراق وشيك ماانتهينا حتى نزور القبابا
أو علمنا حين استقلت نواهم ما أقمنا حتى نزم الركابا

قال: فاستحسنه الرشيد وطرب عليه وأعجبه واستعاده مراراً، وشرب عليه أرطالاً حتى سكر، وما سمع شيئاً غيره ولا أعجبه، ولا أقبل على أحدٍ، وأمرلابن جامع بخمسة آلاف دينار، فلما انصرفنا قال لي إبراهيم: لا ترم منزلك حتى أصير إليك، فصرت إلى منزلي، فلم أغير ثيابي حتى أعلمني غلامي بموافاته، فلقيته في دهليزي(٢)، فدخل فجلس وأجلسني بين يديه، ثم قال لي: يا مخارق، أنت نسيلة(٣) مني إحساني إليك، وقبحي عليك، ومتى تركنا ابن جامع على ما ترى غلبنا على الرشيد، وقد صنعتُ صوتاً في طريقة صوته الذي غنَّاه، أحسن صنعةً منه وأشجى، وإنما يغلبني(٤) عند هذا الرجل بصوته، ولا مطعن على صوتك،

---

(١) الشعر في الأغاني ٥/٢٧٧،

(٢) الدهليز: الممر الذي بين الباب ووسط الدار (فارسي معرب).

(٣) النسيلة: واحدة النسيل والنسال: وهو ما سقط من الصوف أو الشعر عند نسله، يريد: (قطعة مني) وفي الأغاني: (فسيلة) وهي صغار النخل يقطع عن أمه فيغرس.

(٤) في الأصل: (نغلبه) وهو خلاف المقصود.

وإذا أطربته وغلبت عليه بما يأخذه مني، قام ذلك مقام الظفر، وسيصبح أمير المؤمنين، ويدخل الحمام غداً، ويحضر فيدعو بالطعام ويدعو بنا، ويأمر ابن جامع فيرد الصوت الذي غناه، ويشرب عليه رطلاً، ويأمر له بجائزة، فإذا غناه فلا تنتظره أكثر من أن يرد ردته حتى تغني ما أُعلِّمُكَ السَّاعةَ، فإنه يقبل عليك ويصلك، ولست أبالي أن لا يصلني بعد أن يكون إقباله عليك،فقلت: السمع والطاعة، فألقى عليَّ لحنه في أبيات لابن هرمة، وهي:[1] [المنسرح]

يا دار سعدي بالجزع من ملل حييت من دمنة ومن طلل[2]

إني إذا ما البخيل أمَّنها باتت ضموزاً مني على وجل[3]

[ص ٢٤٩] لاأمتع العوذ بالفصال ولا أبتاع إلا قريبة الأجل[4]

ورده حتى أخذته وانصرف، ثم بكر عليَّ فاستعاد [الصوت] مني حتى رضيه، ثم ركبنا وأنا أدرسه حتى صار إلى الرشيد، فلما دخلنا فعل الرشيد جميع ما وصفه إبراهيم شيئاً فشيئاً، وكان إبراهيم أعلم الناس به، ثم أمر ابن جامع فرد الصوت ودعا برطلٍ فشربه، فلما استوفاه، واستوفى ابن جامع صوته، لم أدعه يتنفس حتى اندفعت فغنيت صوت إبراهيم، فلم يزل يصغي إليه، وهو باهت، حتى استوفيته، فشرب وقال: لمن هذا الصوت؟ قلت: لإبراهيم، فلم يزل يستدنيني حتى صرت قدام سريره، وجعل يستعيد الصوت وأعيده حتى شرب عليه أرطالاً، وأمرلإبراهيم بجائزة سنية، وأمر لي بمثلها، وجعل ابن جامع

---

(١) الشعر لابن هرمة في ديوانه ص ١٨٤ ـ ١٨٥ والأغاني ٥/ ٢٦٩.

(٢) ملل: منزل على طريق المدينة إلى مكة على ثمانية وعشرين ميلاً من المدينة (ياقوت: ملل)

(٣) ضموز ضمز الحيوان ضموزاً أمسك بجرته في فيه لم يجتر، من الفزع وغيره. وضمز على ماله: أمسك عليه وشح.

(٤) العوذ: جمع عائذ وهي الناقة التي نتجت، الفصال: صغار النوق.

[يشغب ويقول] يجيء بالغناء فَيَدُسُّهُ في أسْتَاهِ الصبيان، إن كان محسناً فليغنه[١] هو، والرشيد يقول له: دع ذا عنك، قد والله استقاد[٢] منك وزاد.

قال يحيى بن عروة بن أذينة: خرجت في حاجةٍ لي، فلما كنت بالسيالة[٣]، وقفت على منزل إبراهيم بن هرمة فصحت: يا أبا إسحاق، فأجابتني ابنته: من هذا؟ فقلت: أعلمي أبا إسحاق، قالت: خرج آنفاً قال، فقلت: هل من قرى، فإني مقو[٤] من الزاد، قالت: لا والله ما صادفته حاضراً، فقلت: فأين قول أبيك: [المنسرح]

لا أُمْتِعِ العُوذَ بالفِصَالِ ولا ... أبْتَاعُ إلا قَرِيْبَةَ الأجَلِ

قالت: فذاك والله أفناها

قال إسحاق: لما دخلت سنة ثمانٍ وثمانين ومئة، اشتد أمر القولنج[٥] على أبي ولزمه، وكان يعتاده في الأحيان، فقعد عن الخدمة للخليفة، وعن نوبته في ذلك، وقال في ذلك:[٦] [مجزوء الرمل]

مَلَّ والله طَبِيْبِي ... عن مُقَاسَاةِ الذي بِيْ
سَوْفَ أُنْعَى عَنْ قَرِيْبٍ ... لِعَدوٍّ وحَبِيْبِ [ص ٢٥٠]

---

(١) في الأصل: (فليغنيه هو) وهو لحن والفعل مجزوم بحذف الياء.

(٢) استقاد: انتقم، يقال: إذا أتى إنسان إلى آخر أمراً فانتقم منه بمثله قيل استقاده منه (اللسان: قود).

(٣) السيالة: أرضٌ يطؤها طريق الحاج، قيل: هي أوَّلُ مرحلة لأهل المدينة إذا أرادوا مكة، قال ابن الكلبي: مَرَّ تُبَّعٌ بها بعد رجوعه من قتال أهل المدينة وواديها يسيل، فسمّاها السيالة. (ياقوت: السيالة)

(٤) مقو: لازاد له، أقوى القوم: فني زادهم.

(٥) القولنج: مرض معوي مؤلم يعسر معه خروج الثفل والريح.

(٦) الشعر لإبراهيم الموصلي في الأغاني ٥ / ٢٦٣.

قال: وركب الرشيد حماراً ودخل يعوده، فوجده وهو جالس على الأبزن(١)، فقال له: كيف أنت يا إبراهيم، فقال له: إنا والله يا سيدي كما قال الشاعر:(٢) [الوافر]

سَقِيْمٌ مَلَّ مِنْهُ أقْرَبُوه وأسْلَمَهُ المُداوي والحَمِيْمُ

فقال الرشيد: إنا لله، وخرج، فما بعد حتى سمع الواعِيَةَ(٣) عليه قال عمر بن شبة: مات إبراهيم الموصلي في سنة ثمانٍ وثمانين ومئة، ومات في ذلك اليوم الكسائي و [العباس بن] الأحنف، فرفع ذلك إلى الرشيد، فأمر المأمون أن يصلي عليهم، فخرج فصفُّوا بين يديه، فقال: من هذا الأول؟ قيل: إبراهيم الموصلي، قال: أخروه وقدموا العباس بن الأحنف فقدم فصلّى عليهم وانصرف، ودنا منه هاشم بن عبدالله الخزاعي فقال:

يا سيدي، كيف آثرت العباس بالتقدمة على من حضر، قال لقوله:(٤) [الكامل]

وسَعَى بِهَا واشٍ فقالوا إنها لَهِي التي تَشْقَى بِهَا وتُكَابِدُ

ثم قال: أتحفظها؟ قلت: نعم، قال: أنشدني باقيها، فأنشدته

لما رأيتُ الليلَ سَدَّ طريقه عني وعذَّبني الظَلامُ الرَّاكد

والنَجْمُ في كبد السَّماءِ كأنه أعمى تحيَّر ما لديه قائد

ناديت من طرد الرقاد بصده عما أعالج وهو خلو هاجد

---

(١) الإبزن: حوض من حديد أو من نحاس مصنوع على شكل التابوت على قدر قامة الإنسان، عليه غطاء مثقوب، يضع فيه الأطباء المريض ويخرجون رأسه من الثقب فيداوونه بصب الماء المغلي والأدوية الحارة.

(٢) الشعر في الأغاني ٥/٢٦٣.

(٣) في الأصل: «الداعية» بالدال، والصواب: الواعية وهي الصُّراخ على الميت؛ لافِعْلَ له كما في اللسان. [المراجع].

(٤) الشعر للعبا س بن الأحنف في ديوانه ص ٩٦ والأغاني ٥/٢٦٤ ـ ٢٦٥ مع اختلاف في الرواية.

يا ذا الذي صدع الفؤاد بصده ... أنت البلاء طريفه والتالد
ألقيت بين جفون عيني فرقةً ... فإلى متى أنا ساهر يا راقد

فقال المأمون: أليس من قال هذا الشعر حقيقاً بالتقدمة؟ فقلت: بلى يا سيدي.

قال إسحاق: دخلت يوماً إلى الرشيد بعقب وفاة والدي، وذلك بعد فوات شهرين[١]، فلما جلست، رأيت موضعه الذي يجلس فيه خالياً، فدمعت عيني فكفكفتها وتصبرت، فلمحني الرشيد، فدعاني إليه وأدناني منه، وقبلت يده ورجله، والأرض بين يديه، فاستعبر وكان رقيقاً، فوثبت قائماً، ثم قلت:[٢] [ص ٢٥١] [الخفيف]

في بَقَاء الخليفة الميمونِ ... خَلفٌ مِنْ مُصِيْبَةِ المحزونِ
لا يضيرُ المُصَابَ رزءٌ إذا ما ... كانَ ذا مَفْزَعٍ إلى هارونِ

قال لي: كذلك والله هو، ولن تفقد من أبيك ما دمت حياً إلا شخصه، وأمر بإضافة رزقه إلى رزقي، فقلت: بل يأمر به أمير المؤمنين إلى ولده، ففي خدمتي له ما يغنيني أنا، فقال: اجعلوا رزق إبراهيم لولده، وأضعفوا رزق إسحاق.

وأما الصوت الذي ذكرت أخبار إبراهيم بسببه والشعر فيه والغناء له، وهو من المئة صوت المختارة، فهو:[٣] [مجزوء الرمل]

ربما تيَّهني الإخـ ... ـوان والليل بهيم
حين غارت وتدلت ... في مهاويها النجوم
وتعاس الليل في عيـ ... ـني كالثاوي مقيم
للتي تُعْصَرُ لما ... أيْنَعت منها الكروم

---

(١) في الأصل: (بعد وفاة شهرين) وهو تحريف.

(٢) الشعر لإسحاق الموصلي في ديوانه ص ٢٠٢ والأغاني ٥/٢٦٨.

(٣) الشعر لإبراهيم الموصلي في الأغاني ٥/١٦٨.

أنا بالرّيّ مقيم في قرى الرّيّ أهيم
ما أراني عن قرى الرّ يّ مدى دهري أريم

ومما رُثِيَ به إبراهيم الموصلي قول ابنه:(١) [الطويل]

أيا قبر إبراهيم حييت حفرةً ولا زلت تسقى الغيث من سبل القطر(٢)
لقد عزني وجدي عليك فلم يدع لقلبي نصيباً من عزاء ولا صبر
وقد كنت أبكي من فراقك ليلة فكيف إذا صار الفراق إلى الحشر

وقال أيضا:(٣) [الطويل]

سلام على القبر الذي لا يجيبنا ونحن نحيي تربه ونخاطبه
ستبكيه أشراف الملوك إذا رأوا محل التصابي قد خلا منه جانبه
ويبكيه أهل الظرف طراً كما بكى عليه أمير المؤمنين وحاجبه
ولما بدا لي اليأس منه وأبرقت عيون بواكيه وقلّتْ نوادبه
وصار شفاء النفس من بعد مابها إفاضة دمعٍ تستهل سواكبه
جعلت على عيني للصبح عبرة ولليل أخرى ما بدت لي كواكبه

[ص ٢٥٢]

وقال أيضاً:(٤) [الطويل]

عليك سلام الله من قبر فاجع وجادك من نوء السماكين وابل
هَلَ أنْتَ محيي القبر أم أنت سائل وكيف تحيا تربة وجنادل

(١) الشعر لاسحاق الموصلي في ديوانه ص ١٣٠ والأغاني ٥/ ٢٦٧، وأول القطعة بيت هو:
أقول له لما وقفت بقبره عليك سلام الله يا صاحب القبر
(٢) سبل القطر: ما سال من المطر.
(٣) الشعر لإسحاق الموصلي في ديوانه ص ٨٩ والأغاني ٥/ ٢٦٧.
(٤) الشعر لإسحاق الموصلي في ديوانه ص ١٧٣ والأغاني ٥/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨.

أظل كـأني لم تـصـبني مـصـيـبـة وفي الصـدر من وجد عليك بلابل[١]
وهَوَّنَ عندي فـقـده أن شـخـصـه على كل حـال بين عـينَيَّ مـاثل

٧٥- أبو زَكَّار[٢]

رجل أوفى بعهده، ووفى بعقده، صحب بني برمك، وهم الغيوث السوافح، والبحار الطوافح، فغمروه بالنعماء، ورعوه أكثر مما رعت ابن ثابت[٣]، صنائع آل جفنة[٤] الكرماء، فلم ينس لهم حسن الصنيع، ويمن الأيام التي مالا انحاز عن مثلها الصديع، وكان في أهل الغناء مقدماً بصيراً مع ما هو عليه من العمى.

قال أبو الفرج: أخبرت عن أبي عبدالله محمد بن عبدالله بن مالك الخزاعي، أنه قال: سمعت مسروراً الكبير يحدث أبي قال: أمرني الرشيد بقتل جعفر بن يحيى، دخلت إليه وعنده أبو زكار الأعمى الطنبوري يغنيه:[٥] [الوافر]

فَـلا تبْـعَـدْ فَكُلُّ فَـتىً سَـيَـأتِي عليـهِ الموتُ يَطْرُقُ أو يُغَـادِي[٦]

(١) البلابل: الوسواس وشدة الهم وحديث النفس.

(٢) أبو زكار: مغن من أهل بغداد من قدماء المغنين، وكان منقطعاً إلى البرامكة، وكانوا يؤثرونه ويفضلون عليه أفضالاً، وبقي أبو زكار وفياً للبرامكة بعد نكبتهم، قربه الرشيد وأكرمه. أخباره قليلة في الأغاني (الأغاني ٧/ ٢٤٦ - ٢٤٧).

(٣) في الأصل «ابن نابت». والمقصود حسان بن ثابت رضي الله عنه. [المراجع].

(٤) في الأصل: «صنائع إلى جفنة..» والمثبت هو الصواب، والمراد الغساسنة ملوك الشام قبل الإسلام، وكان حسان قد مدحهم، ومنه قوله

أولاد جَفْنة حول قبر أبيهم قبْر ابن مارية الكريم المُفضل

وكانوا يجزلون عطاء حسان. [المراجع].

(٥) الشعر في الأغاني ٧/ ٢٤٦.

(٦) لا تبعد: لا تهلك.

فقلت له: في هذا والله أتيتك، وأمرت بضرب عنقك، فضربت عنقه، فقال لي أبو زكار: نشدتك الله إلا ألحقتني به، فقلت له: وما رغبتك في ذلك؟ فقال: إنه أغناني عمن سواه بإحسانه، فما أحب أن أبقى بعده، فقلت: أستأمر أمير المؤمنين في ذلك، فلما أتيت الرشيد برأس جعفر، أخبرته بقصة أبي زكار، فقال: هذا رجل فيه مُصطنعٌ فاضممه إليك، وانظر ما كان جعفر يجريه عليه فأتْمِمْهُ له.

قال: غنى علُّويه يوماً بحضرة إسحاق:(1) [البسيط]

عَـمَّـيْتُ أمـري على أهلي فَنَمَّ به ... دَمْعٌ إذا ذُكِـرَتْ مَكْنُونةٌ سَـفَـحَـا

قال إسحاق: هذا صوت معروف في العمى، الشعر لبشار الأعمى، والغناء لأبي زكَّار الأعمى، وأوله: عميت.

وهذا آخر ما يقع عليه الاختيار [ص ٢٥٣](2) من جامع أبي الفرج الأصفهاني، اقتصر فيه على من ذكره من مشاهير المغاني، وقد بقيت مدة لا أجد ما أذيل عليه، ولا ما أصله به إلى زماننا هذا على ما جرينا عليه في جميع هذا الكتاب، لقلة اعتناء المتأخرين، ولاسيما بهذا الفن الذي فني ولم يبق من يعانيه أو يسمعه، لرغبة ملوك زماننا فيما سوى هذا،أو شواغل أبناء الزمان بالهموم

(١) نسب الشعر لبشار ولم أجده في ديوانه وكذلك لم أجده في الأغاني.

(٢) في حاشية الأصل بخط متأخر ومختلف عن خط الأصل تعليق هو: (أقول إن المؤلف لم يحرر كلامه هنا ولم يستوف تراجم الأغاني فإن كثيراً ممن ذكره من هنا إلى آخر هذا الباب، مذكور في الأغاني، يعلم ذلك من استوفى الأغاني نظراً، وقد طالعته ثلاث مرات، وأنت ترى جماعة من هذا الذيل قبل زمن أبي الفرج الاصبهاني بمدد، ولا يشذ عنه مع كثرة اطلاعه واستيعابه، المجمع على سعة مادته وتقصيه وتغصيه [كذا] والمؤلف معذور، طالت عليه الشقة، وأراد التبجح عند من ليس له كثير اطلاع لعلمه باضمحلال أهل هذا الفن والمحرر له، وذهل عن قوله:

جاء شقيق عارضا رمحه ... إن بني عمك فيهم رماح

ففي كل زمن بقية معتبرة، فكم ترك الأول للآخر.علي الحموي الحنفي)

الصادة عن السرور ثم ظفرت لابن ناقيا[١] بتأليف جاء في تضاعيفه عرضاً ذكر جماعة على ذيل زمان أبي الفرج، ثم اقتطعت من كتب التواريخ والأخبار المقيدة عن أواخر الخلفاء من بني العباس، وبقايا الخلفاء بالأندلس من بني أمية وأعقاب الملوك، والجلّة من كل أفق، ما جمعت مفرقه وألفت ممزقه، ثم أتبعته بما التقفته من ذماء[٢] بقية من أهل الاعتناء ممن تأخر بهم الأجل إلى هذا العصر، وبذلت الجهد فيه حسب الطاقة، ونقبت فيه حتى لم أجد، وأبديت فيه حتى لم أُعِدْ، فأما نسبة الأصوات فقد أتيت بما قدرت عليه في ذلك دون ما صدني عنه العجز، وعن حال بيني وبينه يقضي أوقات السرور بأهله، على أنني لم أُخِلَّ محسناً، ولا أهملت حسناً، وكثيراً ما انبَتَّتْ[٣] عليه طاقة مثلي، وزماني[٤] وإخماد حدثان الدهر لجمرتي، وتكديره[٥] لصفوة مسرتي، وبالله أستعين.

٧٦- ومنهم دَلِيْل الطَّنْبُورِي

كان بدمشق وأخذ صناعة الغناء عن مشايخها، وتفرد بضرب الطنبور، وأتى العراق، ولم يجد له بها عظيم نفاق، فعاد إلى دمشق وأقام بها، ونفق على أمرائها، وحضر مجالس سرواتها، ومن مشاهير أصواته:[٦] [الكامل]

(١) في الأصل (ابن باقيا) بالباء وقد تكرر في أكثر من موضع والصواب بالنون (ناقيا) وهو عبداله بن محمد بن الحسين بن ناقيا أبو القاسم، ويقال له: البندار، شاعر مترسل لغوي من أهل بغداد، كان كثير المجون ينسب إليه مذهب المعطلة، ويتهم بالطعن على الشريعة، من كتبه (ملح الممالحة) مجموع و(وتفسير) الفصيح، لثعلب، و(الجمان في تشبيهات القرآن) و(مقامات) في الأدب وله ديوان شعر كبير توفي سنة ٤٨٥ هـ. (وفيات الأعيان ١/ ٢٦٦ المنتظم ٩/ ٦٨ لسان الميزان ٣/ ٣٨٤ إنباه الرواه ٢/ ١٥٦).

- انظر دراسة تعيد النظر في تقويم شخصية ابن ناقيا وترد له حقيقة حاله في مقدمة تحقيق كتابه«الجمان في تشبيهات القرآن» طبع دار الفكر دمشق- تحقيق،محمد رضوان الداية.[المراجع].

(٢) الذماء: بقية الشيء، وأصله: بقية الروح في المذبوح وغيره والذماء: قوة القلب أيضاً.

(٣) انبتت: انقطعت.

(٤) في الأصل:« ورماني ».[المراجع].

(٥) في الأصل:« وتكذبوه» وهو تصحيف وتحريف عجيب.[المراجع].

(٦) لم أجد الشعر في ديوان أبي تمام.

ومكللٍ بالدر والمرجان كالورد بين شقائق النعمان
أخذ المِراة [1] وقد أراد زيارتي فرأى محاسن وجهه فجفاني

والشعر لأبي تمام، قال ابن ناقيا: هو في الثقيل الأول من المعلق.

وكذلك صوته الآخر في مشطور السريع [ص ٢٥٤] وهو [2] [الرَّجَز]

وشادنٍ مكتحلٍ بسحر أجفانه سكرى بغير خمر
أرق من رقة ماء يجري أملك بي مني وليس يدري
آليت لا أمْلِكُ [3] عنه صبري أو أسترد ما مضى من عمري

والشعر لأبي الفرج الوأواء شاعر شامي مقل،إلا أنه مطبوع الكلام، وكان عامياً مقلا من الأدب، وله عدة مقاطع يَغَنِّى فيها ويأتي ذكره في موضعه.

٧٧- عَلِيُّ بن يَحْيَى الْمُنَجِّم [4]

كان من الشعراء الرواة الإخباريين المحدثين للغناء، وكان الأصفهاني شديد الكراهة له، وروى عن إسحاق الموصلي، وأذكر أكابر أهل الصنعة والحُذَّاق، وأخذ عنهم فطار اسمه في العراق، وهو ممن جرى مع أولئك السبق وأخرس تلك الألسنة النطق، فجثم لديه أولئك الملأ العقود، وجفَّ كل بنانٍ، وييبس على عود،

---

(١) في الأصل: «المراء» والصواب «المراة» مخففة المد من المرآة. [المراجع].

(٢) الشعر لأبي الفرج الوأواء في ديوانه ص ١٠٣ تحقيق سامي الدهان ط صادر ١٩٩٧.

(٣) في الأصل: «لاأقلّل» ورجّحت ماأثبت. [المراجع].

(٤) علي بن يحيى المنجم: أبو الحسن نديم المتوكل العباسي، خص به وبمن بعده من الخلفاء إلى أيام المعتمد، يفضون إليه بأسرارهم ويأمنونه على أخبارهم، وكان راوية للأشعار، والأخبار، شاعراً محسناً، له كتب منها (أخبار إسحاق بن إبراهيم الموصلي) و(كتاب الشعراء القدماء الإسلاميين) وكان أبوه يحيى فارسي الأصل أسلم على يد المأمون، توفي علي بن يحيى بسامراء سنة ٢٧٥ ورثاه عبدالله بن المعتز. (وفيات الأعيان ١/ ٣٥٦ المرزباني ٢٨٦ السمط ص ٢٥٢).

وكان يعد من ندماء الخلفاء وأهل القرب، والإصفاء، كأنما تخير أبوه المنجم لمولده الطالع، وختم عليه من خاتم الزهرة بالطابع، فجاء مطبوعاً على الطرب، لو تنحنح أطرب، ولو تكلم بالكلام المألوف لأعرب، لا يلحق الا بالشمس أو هي منه أقرب، ومن مشاهير أصواته:(١) [الطويل]

ومجدولةٍ جدل العنان كأنما ... سنا البرق في داجي الظلام ابتسامها
ولما التقينا قالت اليوم فالتمس ... سوى جلدها هيهات منها مرامها
فقلت معاذ الله أسأل حاجةً ... أموت وتبقى بعد ذاك أثامها
فبت أثنيها علي كأنها ... من اللين سكرى أو قطاة عظامها

الشعر من أناشيد إسحاق، وقد رواه عنه، والصنعة له فيه خفيف ثقيل مشتركان في الإصبع، وذكر ابن ناقيا صوتاً لإسحاق بن إبراهيم وهو:(٢) [الطويل]

وأبرزتها بطحاء مكة بعدما ... أصات المنادي للصلاة فأعتما(٣)
فما ذر قرن الشمس حتى تبينت ... بعسفان نخلاً شامخاً ومكمما(٤)

وذكر أنه غنى فيه في باب الرمل المزموم، ثم قال: والشعر لأبي دهبل الجمحي(٥) وكان له ناقة يقال لها العجاجة، زعم العرب أنه لم يكن في زمانها أسيرُ منها، ولا أحسن صورة، وفيها يقول هذا الشعر يصف حسن سيرها.

---

(١) في الأصل: (ومجدولة جدل العنان) مكررة مرتين من سهو الناسخ.

(٢) الشعر لأبي دهبل الجمحي في ديوانه ص والأغاني ٣/١٠٥-١٠٦.

(٣) في الأصل: (أصاب المنادي) وهو تصحيف، أصات هنا: أذن للصلاة، أعتم: دخل في العتمة، العتمة: الظلام، وهي الثلث الأول من الليل بعد مغيب الشمس.

(٤) عسفان: منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة، وقيل: عسفان بين المسجدين وهي من مكة على مرحلتين.

(٥) أبو دهبل الجمحي وهب بن زمعة بن أسد، من أشراف بني جمح من قريش، أحد الشعراء العشاق المشهورين، من أهل مكة.

قال موسى بن يعقوب: أنشدني أبو دهبل قوله:

فَـمَا ذَرَّ قـرن الشـمس [حـتى تبـينت]

فـقلت له: مـا كنت إلا علـى الريح، قـال: يا بن أخي إن عـمك كـان إذا هم فعل، وهي العجاجة.

قال ابن ناقيا: أنشدنا الشريف المرتضى لنفسه إجازة لقول أبي دهبل: (وأبرزتها بطحاء مكة) ونقل الصفة إلى امرأة من أبيات:[1] [الطويل]

فطيـب رياها المقـام وضـوأت بإشـراق مـرآها الحطيم وزمـزما[2]
فـيـا ربٌ إن لقّـيت وجـهـاً تحـيـةً فَـحَيٍّ وجـوها بالمدينة سـهـمـا

قال: وقال لي بعض أرباب الصناعة: إن أبا عبدالله ابن المنجم قد غنى في هذين البيتين مع بيتي أبي دهبل في هذا المذهب، ومن قلائده:[3] [الخفيف]

يـا خـليـلـي مـن ذؤابـة قـيـس في التـصـابي رياضـة الأخـلاق
غنيـانـي بـذكـركـم تطربـاني واسـقـيـانـي دمـعي بكأس دهاق
وخـذا النـوم من جـفـوني فـإني قـد خلعت الكرى على العـشـاق[4]

والشعر لأبي القاسم الشريف المرتضى، والغناء فيه مطلق من سادس الهزج، ويقال: إن أخاه الشريف الرضي لما أنشد هذه الأبيات قال: لقد وهب مالا يملك لمن لا يقبل.

---

(١) لم أجد البيت في ديوان الشريف المرتضى

(٢) في الأصل: (وضوت)، ضوأت: أي أضاءت.

(٣) الشعر للشريف المرتضى ص ٢٠٢ تحقيق رشيد الصفار ط بيروت ١٩٨٧.

(٤) في الأصل (جعلت الكرى) وفي الحاشية (خلعت).

وحكى ابن ناقيا أنه كان يحضر مجلس المرتضى شيخٌ طيِّبُ الخلق يعرف بالقاضي المالكي ممن يَتَوكَّفُ[١] بِرَّهُ ويصفو مع إمساكه وشحه، فلما قال المرتضى (قد خلعت الكرى على العشاق) قال المالكي: هذا لما تفضل سيدنا وخلع، فضحك منه المرتضى ولم يؤاخذه به.

٧٨-ومنهم- زَرْفَل بن إخْلِيْج [ص ٢٥٥]

ابن عبدالملك الأهوازي، كان إذا نطق اهتز المجلس، واعتز المؤنس، وهز القلوب منه المطمع المؤيس، يصغي لأصواته كُلُّ خلي يده فوق خِلْبِه[٢]، ويتقلب والشوق حشو قلبه، ولولاه لم ندر كيف تفتت الأكباد، ولا كيف يتحرك الجماد، ولا كيف تسمع الأُذُنُ فيهيمُ الفؤاد، كان في كل لهاةٍ له ضارب فتر، وكان له في كل نغمةٍ ما لو صدع الحجر لا نفطر، وأكثر أصواته في الزريقي وما لهج به خلف المتأخرين من أهل الغناء، ومنها: [مجزوء الكامل]

اشربْ معتقة اليهود ... صرفاً تضرم في الخدود
اشربْ على تفاحةٍ ... قد أينعت من غير عود

ومنها: [مجزوء الكامل]

أطع الهوى واعص الأدب ... وكذاك يفعل من أحب
لا يشغلنك شاغل ... عن بنت صافية العنب
جاءت بخاتم ربها ... فافتضها شيخ الأدب

---

(١) يتوكف بره: يتوقع وينتظر.

(٢) الخلب: الحجاب ما بين القلب والكبد.

٧٩ - ومنهم- إسْرائِيْل العَوَّاد

ذكر ابن ناقيا في غير موضع في كتابه المسمى بالمحدث في الأغاني[١]، وذكره غيره المغنيات والمغاني[٢]، وطالما ضَمَّ إليه العود فترنم مسروراً وترنح محبوراً، وتذكر وهو في شعب الأغصان عهداً غير راجع، وزماناً تعلم فيه الضرب من السواجع، فحنَّ حنين المفارق، وشكا فجاوبه كل عاشق، فمهد مجلس أُنسه بالترحيب، وأنَّ فساعده كُلُّ مغرمٍ بالبكاء والنحيب، ومن مشاهير أصواته[٣]: [الطويل]

فلم أستطع رد الدموع التي جرت ... ومن ذا يرد الدمع من مقلة الصبِّ[٤]

فيا حسرات الشوق دمعي على الخبا ... ويا قلبي المكروب لازلت في كربِ

والشعر لأبي بكر العنبري، صاحب أدب منسوب إلى صناعته، كان يعمل العنابر[٥]، وأصله من البصرة، ثم ألف بغداد وأقام بها وأحبها وفضلها على البصرة، وكان [ص ٢٥٧] مذهبه التصرف والإيقاع عن الناس، وله شعر مدون مأخوذ عنه. من أصواته: [الكامل]

أصبحت كالجمل المضاع زمانه ... بكراً يلاعب ناقةً وزماما

ما هاج شوقك من بكاء حمامةٍ ... تدعو على فنن الأراك حماما

لولا تذكرك الأوانس بعدما ... قطع المطي سباسباً وهياما

قال ابن ناقيا: في هذا الصوت من أغاني إسرائيل في هذا المذهب، يعني مذهب

---

(١) لم يصل كتاب ابن ناقيا هذا، وهو من الكتب المفقودة.

(٢) كذا جاء في الأصل ولعله (في المغنين).

(٣) (ومن مشاهير أصواته) خرجة من الحاشية وبخط مختلف.

(٤) في الأصل: (برد الدموع) ولا يستقيم الوزن.

(٥) العنابر: جمع العنبر وهو بناء رحب يتخذ للخزن أو العمل ومأوى للجنود أو المرضى.

صوت إبراهيم الموصلي في شعر مروان بن أبي حفصة:[١] [الكامل]

طرقَتْكَ زَائِرةً فَحَيٍّ خَيَالَهَا بَيْضَاءُ تَخْلِطُ بالحَيَاءِ دَلاَلَهَا

قال ابن ناقيا: ولم أسمعه إلا منه، يعني من إسرائيل، وممن أخذه عنه، وهو جيد الصنعة، وفيه لحن منسوب إلى يحيى المكي من خفيف ثقيل بالبنصر من كتاب أبي الفرج، والشعر لثابت قطنة مولى بني أسد بن الحارث بن عتيك، ولُقِّبَ قطنة لأن سهماً أصابه في إحدى عينيه، فذهب بها في بعض حروب الترك، فكان يجعل عليها قُطْنَةً، وهو شاعر فارس شجاع، من شعراء الدولة الأموية، وكان في صحابة يزيد بن المهلب، ولاه أعمالاً من أعمال الثغور فحمد فيها مكانه لكفايته وطاعته، وفيه يقول حاجب بن دينار المازني:[٢] [البسيط]

لا تعرِفُ النَّاسُ مِنْهُ غَيْرَ قُطْنَتِهِ وَمَا سِوَاهُ من الإنسَانِ مَجْهُولُ

ومن قلائد إسرائيل:[٣] [الطويل]

أمَا وجَلالِ اللَّه لو تَذْكُرِينَنِي كَذكريك ما نَهْنَهَتْ للعينِ مَدْمَعَا
فَقْلتُ بلى والله ذكراً لَوَ انَّهُ تضمنه صم الصفا لتصدعا

والشعر للصمة بن عبدالله القشيري، والغناء فيه في الممخر من خفيف الرمل، وسبب قول الصمة هذا، فيما رواه الهيثم بن عدي أنه كان يهوى ابنة عم له، فخطبها إلى أبيها، فاقترح مبلغاً شطيطاً[٤] من المهر، وذلك من أبيه، فجعل يدافعه فغضب على أبيه وركب ناقته ورحل إلى الثغور، وقال هذين البيتين في قصيدة يصف [ص ٢٥٨] فيها شوقه إلى ابنة عمه وحنينه إلى وطنه، ولم

---

(١) الشعر لمروان بن أبي حفصة ص ١٠٣ في الأغاني ١٠/١٠٢، ١٠٩.

(٢) البيت لحاجب بن دينار المزني المعروف بحاجب الفيل، في الأغاني ١٤/٢٥٨.

(٣) الشعر للصمة بن عبدالله القشيري في الأغاني ٦/٩، ١١.

(٤) الشطيط: من الشطط، وهو المجاوز للحد.

يرم[١] هناك حتى مات، ذكر ذلك ابن ناقيا، قال: ولعريب المأمونية في ذلك لحن من خفيف الرمل، وقال: فأما لحنها في هذا الباب فمن نقل المحدثين، وذكر ابن ناقيا له صوتاً: [مجزوء الكامل]

يوم أتاك مبشراً ... بسعود جدك حين لاحا
اشرب سقيت مدامةً ... نشر العبير بها ففاحا

والشعر لجعفر الكرخي، والغناء فيه خفيف ثقيل المزموم، وذكر له أصواتاً أُخر: [الرمل]

قل لمن يحمل ما حملته ... من رسيس الحب إلا ظلعا
لم يزدني الحب إلا حسرة ... ودواعي الشوق إلا طمعا

والشعر لمهيار بن مرزويه، والغناء فيه من خفيف الثقيل المجنب.

ومن أصواته: [الكامل]

ألا رحمتم موقفي بفنائكم ... متلدداً[٢] في داركم أتصدق
متحيّراً أبكي إلى مَنْ مَرّبي ... مثل الغريق بما يرى يتعلق

والشعر مجهول، والغناء فيه من الرمل المجنب.

٨٠- ومنهم، طَرِيْفُ بنُ مُعَلَّى الهَاشِمَي

من ولد جعفر بن أبي طالب، كان يدعي هذا النسب، وكان يُطعن عليه فيه، ويقال زيادةً على هذا إنه لغير أبيه، إلا أنه ذو أدب نهض بحسبه، وبيض منه

(١) لم يرم: لم يلبث.
(٢) تلدد: تلبث وتحير.

عرق مكتسبه، وولع بالقيان واقتنائهن، وسماع غنائهن، ثم دخل في الطرب حتى أخذ بأزمته وتقدم حتى عد من أئمته، ومن أصواته:(١) [الطويل]

عجبت وقد ودعتها كيف لم أمت ... وكيف انثنت يوم الفراق يدي معي

فيا مقلتي العبرى عليها اسكبي دماً ... ويا كبدي الحرَّى عليها تقطعي

والشعر لأبي القاسم كشاجم، والغناء فيه في خفيف الرمل المعلق.

ومن أصواته:(٢) [الكامل]

تعب يطول مع الرجاء لذي الهوى ... خير له من راحةٍ في الياس

[ص ٢٥٩] لولا كرامتكم لما عاينتكم ... ولكنتمُ عندي كبعض الناس

والشعر للعباس بن الأحنف، والغناء فيه من خفيف الرمل المزموم، ويعرض فيه ما حكاه ابن حمدون النديم، قال: وقع بين عريب المأمونية ومحمد بن حامد شر، وكان يجد بها الوجد كله، وتجد به(٣) مثل ذلك، فلقيته يوماً فقالت: كيف قلبك يا محمد؟ فقال: أشقى والله ما كان وأقرحه، قالت: استبدل تَسْلُ، فقال: لو كانت البلوى باختيار لفعلت، فقالت: لقد طال إذاً تعبك، فقال: وما يكون أصبر مكرهاً وأقول بقول الشاعر:(٤) [الكامل]

تَعَبٌ يَطُولُ مَعَ الرَّجَاء - البيت-

فذرفت عيناها واعتذرت إليه وأعتبته واصطلحا، وعادا إلى أفضل ما كانا عليه.

---

(١) لم أجد البيتين في ديوان كشاجم تحقيق خيرية محفوظ ط بغداد ١٩٧١.

(٢) الشعر للعباس بن الأحنف في ديوانه ص ١٦٦ والأغاني ٢١/ ٩٥.

(٣) في الأصل: (بها) وهو خلاف المراد.

(٤) الشطر من بيت للعباس بن الأحنف في ديوانه ص ١٦٦ والدر الفريد ١/ ١٦٠ وتمامه:

تعب يطول لذي الرجاء مع الهوى ... خير له من راحةٍ في الياس

لولا محبتكم لما عاتبتكم ... ولكنتم عندي كبعض الناس

قلت: وذكر ابن ناقيا في هذا الشعر صوتاً لعريب، قال: ومن أغانيها في هذا المذهب أيضاً من كتاب أبي الفرج فيما تضمنه في ذكر حالها، أن المأمون لما وقف على خبرها، أمر بإلباسها جبة صوف وختم زيقها وحبسها في بيت مظلم، ثم ذكر الحكاية، وقد تقدمت ترجمة عريب المأمونية.

ومن أصوات طريف: [مجزوء الرمل]

حبذا صبح تبدى ... والدجى وحف[1] الجناح
طلعت لي فيه شمس ... أشْرَقَتْ حتى الصباح
فشربت الراح صرفاً ... من ثناياك الأقاح
من غزالٍ سرق الخلـ ... ـخال عطشان الوشاح

والشعر من المجهول، والغناء فيه مطلق من الطريقة السادسة من الهزج.

٨١- ومنهم، تُحْفَة جَارِيَة المُعْتَز

أدَّها ابن المعتز وخرّجها، وعلَّمها النحو واللغة، وروَّاها الشعر وأيام الناس، وعلمها الغناء وضرب العود، وجمع لها الحذاق من أهل الصنعة حتى أخذت عنهم، وصارت من المجيدات في الصنعة، لا تلحق في ميدانها، ولا تمارى في نطق عيدانها، إلى جمال بارع، وخلالٍ عذبة المشارع، وحسن باهر، وإحسان ظاهر، بوجه نقل بدراً، [ص ٢٦٠] وطرف ينفث سحراً، وقَدٍّ يستقل غصناً نضراً، هذا مع جبين يجني من عناقيد الأصداغ أعناباً، وبنانٍ يقطف منه جناهُ الحسن عناباً. ومن مشاهير أصواتها:[2] [البسيط]

---

(١) البيتان لابن المعتز من قصيدة في ديوانه ٢ / ٦٢.

(٢) الوحف: الشعر الكثير الأسود الحسن. [المراجع].

حطوا الرحـال إلى خَمَّـار دسكرةٍ مستعجل بافتتاح الدن محثوث[1]
تميل من سكرات الخمـر قامتـه كمثل ماشٍ على دفٍ بتخنيث

والشعر لمولاها أبي العباس بن المعتز، والغناء فيه ثقيل أول محمول على نحو صوت إسحاق الموصلي:[2] [الطويل]

تغيـر لي فيمن تغيـر حارث وكم من أخٍ قـد غيرته الحوادث
أحارث إن شوركت فيك فطالما عمرنا وما بيني وبينك ثالث

والشعر لإسحاق أيضاً ذكره ابن ناقيا في كتاب المحدث في الأغاني، وكذلك لتحفة جارية أبي العباس صوت في شعر مولاها، وهو: [مُخَلّع البسيط]

أجوز جهـراً بلا حـذار خوف رقيب على حبيب
وذاك أني ضنيت حتى خفيت عن ناظر الرقيب

والغناء فيه من محمول الرمل الذي يحصر بالسبابة.

٨٢-ومنهم- إسْحَاق المُنَجِّم

وكان بدراً لا يتآكله المحاق، وجواداً لا يحاول به اللحاق، وبحراً في كل علم لا يُشَبُه إلا بِسَمِيِّه إسحاق، وكان يتحفَّى بالغناء تحفي المنهمك في طلب المطالب، ويتكتم تكتم المأمون من أبيه حب آل أبي طالب، إلا أنه كان تلو[3]

---

(١) الدسكرة: الأرض المستوية، وبناء كالقصر حوله بيوت للأعاجم فيها الشراب والملاهي يكون للملوك، والقرية العظيمة.

(٢) الشعر لإبراهيم بن العباس الصولي في الطرائف الأدبية ص ١٨٢ وينسب إلى إسحاق الموصلي وليس في ديوانه. والشعر في الأغاني ١٠ / ٥٥ لإبراهيم وقيل لإسحاق الموصلي.

(٣) تلو أخيهِ: لعله يريد مثل سميه إسحاق الموصلي أو يليه في اتساع الرواية.

أخيه في اتساع الرواية وارتفاع الراية، ومن مشاهير أصواته :(١) [الكامل]

مَـا يَسْتَحِي أَحَدٌ يُقَالُ لَهُ ... نَضَلُوك آلُ بويهٍ أو فَضَلُوا
فَوْقَ السَّماءِ وفوقَ ما طَلَبُوا ... فإذا أرادوا غَايةً نَزَلُوا

والشعر لأبي الطيب المتنبي، والغناء فيه في الهزج والمزموم، وكذلك صوته :(٢) [المتقارب]

أرى ذلك القرب صار ازورارا ... وصار طويل السلام اختصارا
تركتني اليوم في خجلةٍ ... أموت مرارا وأحيا مرارا
[ص ٢٦١] أسارقك اللحظ مستخفياً ... وأزجر في الخيل مهري سرارا
وأعلم أني [إذا] ما اعتذرت ... أراد اعتذاري إليك اعتذارا

والشعر لأبي الطيب المتنبي، والغناء فيه ثقيل أول محمول.

قال ابن ناقيا: وفي هذا المذهب [المتقارب]

أقول وقد أزمعوا (٣) النوى ... عشية للبين حثوا المسير (٤)
يعز علي فراقي لكم ... وإن كان سهلاً عليكم يسير

ولإسحاق المنجم صوت هو من قلائده وفرائده، وهو :(٤) [السريع]

أعددت للأعداء خيفانةً ... مثل عقاب السرحة العادي
وأسمراً في رأسه أزرق ... مثل لسان الحية الصادي

---

(١) الشعر للمتنبي في ديوانه ٣/٣٠٩ ـ ٣١٠ شرح العكبري تحقيق السقا والأبياري وشلبي ط دار المعرفة بيروت.
(٢) الشعر للمتنبي في ديوانه ٢/ ٩٤.
(٣) في الأصل: (ازعموا للنوى) والصواب :أزمعوا.
(٤) الشعر لدعبل الخزاعي في ديوانه ص ١٣٠ تحقيق عبدالكريم الأشتر ط دمشق ١٩٨٣، وفي رواية الأبيات خلاف كبير.
(٤) في الأصل: «البين» وهو يكسر الوزن .[المراجع].

أين مــحل الحي دون الغــضــا خَــبِّــر ســقــاك الرائح الغــادي

والشعر لدعبل والغناء فيه من الرمل المسرح.

وذكر ابن ناقيا من أصواته في شعر أبي نواس:(١) [البسيط]

إن كنت لست معي فالذكر منك معي يراك قلبي إذا مــا غــبت عن بصــري

العين تبــصــر من تهــوى وتعــدمــه وناظر القــلب لا يخلو من النظر

والغناء فيه من الرمل المزموم. ومن أصوات إسحاق بن المنجم أيضاً:(٢) [البسيط]

نطوي الليــالي علمــاً أن ســتطوينا فـشعشعيـهـا بماء المزن واسقينا

وتوّجي بكؤوس الراح راحـــتنا فـــإنما خلقت للراح أيدينا

والشعر للسَّرِيّ بن أحمد بن السَّرِيُّ الرفاء الموصلي، والغناء فيه مطلق من الطريقة الرابعة من الرمل، وكان السَّرِيُّ من شعراء سيف الدولة، فحسده الخالديان فارتحل إلى بغداد قاصداً حضرة الوزير المهلبي، فارتحلا وراءه ودخلا على المهلبي وثلباه فلم يحظ بطائل، فأقام وَرَّاقاً ببغداد إلى أن مات، وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى في موضعه.

ذكر أبو بكر الخطيب قال: أنشدني أبو الحسن علي بن محمد بن عبدالجبار قال: رأيت في منامي كأني دخلت [ص ٢٦٢] دار عضد الدولة، ووصلت

(١) لم أجِد البيتين في ديوان أبي نواس طبعة الغزالي. وهما للخليل بن أحمد في أمالي القالي ٢/١٩٦ مع خلاف في الرواية وفي الدر الفريد ٢/٣٢٠ للخليل بن أحمد وقال: ويروى للحكم ابن قنبر وهما كذلك في المختار من شعر بشار ص ٥٠ وللحكم بن قنبر في زهر الآداب ١/١٥٣.

(٢) الشعر للسري الرفاء في ديوانه ص ٢٧٢ تصوير دار الجيل بيروت ١٩٩١.

إلى الصُّفَّة[١] الكبيرة التي على البستان، فرأيته جالساً في صدرها، وبين يديه أبو عبدالله بن المنجم وهو يغني، فقال لي عضد الدولة: كيف تراه يغني، طيباً؟ فقلت: نعم، فقال: فاعمل له قطعة يغنيها، فانصرفت من حضرته، وجلست على طرف البستان، ومعي دواة وكاغد لأعمل وبدأت أفكر[٢]، فإذا الشيخ قد وافاني من عنده، وعليه رداء، فقال: ماذا تصنع؟ قلت: أعمل قطعة لأبي عبدالله ابن المنجم يغني بها، فقال: فنتعاون عليها، فقلت: أفعل، فقال: إن شئت أن تعمل الصدور، وأعمل الأعجاز فافعل، فبدأت وقلت: [الطويل]

فَبِتْنَا وسَادَانَا ذِرَاعٌ ومِعْصَمُ

فقال في الحال:

وعَضْدٌ على عَضْدٍ وَخَدٌّ على خَدِّ

فقلت:

بَكَرَ التَّشَاكي في حَدِيْثٍ كَأَنَّهُ

فقال في الحال:

تَسَاقَطَ ذُو[ب] العقدِ والعَنْبَرِ الهِندي

فقلت:

وَقَدْ لَفَّ جِيْدَيْنَا عِنَاقٌ مُضَيِّقٌ[٣]

فقال في الحال:

---

(١) الصفة: الظلة، البهو الواسع العالي السقف، ومنه أهل الصفة كانوا في مكان مظلل في مسجد المدينة يأوي إليه فقراء المهاجرين ويرعاهم الرسول صلى الله عليه وسلم (اللسان: صفف).

(٢) في الزصل: «لاأفكر» وهو سهو من الناسخ يكرر مثله أحياناً. [المراجع].

(٣) في الأصل (وقد لف جيدنا عناق) ولا يستقيم وزنا ولا نحواً.

فَلَمْ تَدْرِ عَيْنٌ أيَّنا لابِسَ العِقْدِ

فقلت:

أضَنُّ على بَدْرِ السَّمَاءِ بِوَجْهِهَا

فقال: وأستُرهُ مِنْ أن يُلاحِظَهُ جهدي

ثم قال: ألَسْتَ تعلم أن قولك هذا في النوم، فقلت: بلى، فقال: كَرِّرْهَا حتى تحفظها وتثبتها إذا انتبهت ولا تَنْسَهَا، واخذ الرقعة بيده، وطفقت أقرأها عليه مرات حتى حفظتها، ثم انتبهت فعملت لها أولاً مصوغاً هو:

وَزارَتْ بِلا وَعْدٍ بِنَفْسِي التي تَسِيرُ من الواشين في غابة الأُسْدِ (١)

وبعد الأبيات:

إلى أن ثنت ريح الصبا من خمارها فأبصر أبهى منه منها [بلا] حمد
ولم أدر أن البدر أمسى متيما يجن بها ما في حشاي من الوجد
وكنت مروعاً منه يفضح سرنا ولم أدر أن البدر يفضح من عندي

٨٣ - ومنهم- ابنُ العَلاَّف نَدِيم المُعْتَضِد(٢)

وهو أبو بكر الحسن بن علي بن أحمد بن بشار نديم المعتضد، ومسايس ذلك

(١) في الأصل: (بنفسي التي تزار وزارت بلا وعد) وهو مضطرب وغير موزون.

(٢) المعتضد بالله العباسي، أحمد بن طلحة بن جعفر، المعتضد بالله بن الموفق بالله ابن المتوكل، ولد ونشأ ومات في بغداد، كان عون أبيه في حياته، وأظهر بسالة ودراية في حروبه مع الزنج والأعراب وهو في سن الشباب، بويع له بالخلافة بعد وفاة عمه المعتمد، فأبدى مقدرة وجدد للدولة هيبتها، أقام العدل وبذل المال، كان عارفا بالأدب موصوفا بالحلم مدة خلافته تسع سنوات وتسعة أشهر توفي سنة ٢٨٩ هـ.
(النجوم الزاهرة ٣/١٢٨ شذرات الذهب ٢/١٩٩ فوات الوفيات ١/٤٥).

الأسد، وملاين صعاب تلك العريكة، ومجالس تلك الصمصامية على الأريكة، وكان ممن أجاد في الغناء، وجاء في ألحانه بقطع الروضة الغناء، وكان لا يغني إلا للمعتضد [ص ٢٦٣] منفرداً، ولا يُسمع منه صوت إلا كالماء مطرداً، ولم تنقل أصواته إلا من دفتر كان له دَوَّنَ فيه غناءه، وَعَرَفَ بِهِ مَنْ بَعْدَهُ اعتناءه:(١) [الطويل]

لعمرك إني في الحياة لزاهد ... وفي العيش مالم ألق أم حكيم

من الخفرات البيض لم أر مثلها ... شفاء لذي بثٍ ولا لسقيم

ولو شهدتنا يوم دولاب أبصرت ... طعان فتى في الحرب غير ذميم

والشعر لقطري بن الفجاءة، وَرُوِيَ لعمرو القنا، وَرُوِيَ لحبيب بن سهم، وقيل: بل لعبدة بن هلال اليشكري، ودولاب اسم قرية من أعمال الأَهواز كانت بها حرب الأزارقة وابن عنبس بن كريز أيام ابن الزبير، والغناء فيه ثقيل أوَّلٌ مزموم، وذكره ابن خرداذبة ونسب صنعته إلى المعتضد، وقد نسب إليه عدة أصوات كثيرة، منها في شعر عمر بن أبي ربيعة:(٢) [الطويل]

رأت رجلاً أمَّا إذا الشمس عارضت ... فيضحى وأما بالعشي فيخصر

أخا سفرٍ جواب أرضٍ تقاذفت ... به فلوات فهو أشعث أغبر

قليل على ظهر المطية ظله ... سوى ما نفى عنه الرداء المحبر

وكان الأصمعي يقول: كان جرير إذا أنشد شعر عمر بن أبي ربيعة قال: هذا شعر تهامي إذا أنْجَدَ وجد البرد، حتى سمع قوله هذا فقال: مازال هذا القرشي يهذي حتى قال الشعر.

---

(١) الشعر لقطري بن الفجاءة في ديوان الخوارج ص ١٢٠ جمع وتحقيق، إحسان عباس ط دار الشروق بيروت ١٩٨٢.

(٢) الشعر لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه ص ٩٤.

عدنا[1] إلى ابن العلاف، ومن أصواته في شعره: [الطويل]

سرى طيف سعدى مَوْهِناً فاستقر بي ... هيوباً وصحبي بالفلاة رقود
ولما انتهينا للخيال الذي سرى ... إذا الدار قفر والمزار بعيد
فقلت لعيني عاودي النوم واهجعي ... لعل خيالاً طارقاً سيعود

والبيت الثاني منسوب إلى المعتضد وباقيه لابن العلاف، وكان ينادم المعتضد، ويشرف في الاجتماع به ولا يقتصد.

وقد حُكِيَ أن المعتضد بعث إليه بخادم من خاصته في بعض الليالي، فقال: إن أمير المؤمنين يقول لك: ارقُبِ الليلةَ، فعملت بيتاً من الشعر وأُرْتِجَ عَلَيَّ تمامه، قال: [ص ٢٦٤] وأنشد البيت، قال: فأجزته له، فمضى وعاد، فقال: أحسنت ووقع قولك على غرض أمير المؤمنين، وقد أمر لك بجائزة، وها هي، فدفعها إليَّ، فقلت: [الطويل]

وَآخَرُ يأتي رِزْقُهُ وهوَ نَائِمُ

قال: ثم أمرني فغنيت فيه، والغناء فيه خفيف الثقيل المزموم.

ومن الأصوات المنسوبة إليه: [الكامل]

يا من يحاكي البدر عند تمامه ... ارحم فتى يحكيه عند محاقه
أوليس من إحدى العجائب أنني ... فارقته وبقيت بعد فراقه

والشعر له ويروى لغيره، والغناء فيه من الهزج المحمول، ولغيره فيه غناء: [البسيط]

أما ترى الليل قد ولت عساكره ... مهزومة وجيوش الصبح في الطلب

---

(١) في الأصل: (عندنا) وهو من سهو الناسخ.

والبــدر في الأفق الغـربي مطلعـه   من فـوق دجلة منحـازاً إلى الهـرب[1]
كـأنما هو بـالخط السـوي بهـا   قد مَدَّ[2] جسراً على الشطين من ذهب

والشعر لبعض الهاشميين والغناء فيه في الهزج المجنب، وللمختارين فيه غناء في الزريقي المطلق وفي هذا ذكره ابن ناقيا وقال:

وغنوا في هذا المذهب: [الوافر]

وخـمـارٍ تخب إليـه ليـلاً   قـلائص قـد تعبن من النهـار
فـحـمحم والكرى في مـقلتيـه   لمخـمـورٍ شكا أَلَمَ الخـمـار[3]
أَبِنْ لي كـيف صـرت إلى حـريمي   وجـفن الليل مكتـحل بقـار
فـقلت لـه ترفق لي فـإنـي   رأيت الصـبح من خلل الديار
فكان جـوابه أن قـال صـبح   ولا صـبح سـوى ضـوء العـقـار

٨٤- ومنهم-مُؤَدِّبُ الرَّاضِي[4]

مؤدب ذلك الخُلُقُ السَّمْحُ، ومؤدى ذلك الكرم الجم إلى الصفح، كان بقربه محظياً، وبحبه الراضي مرضياً، ولم يُخْفِ أُفُقُ جمال هو كَوْكُبهُ، ولا شرف سماءٍ به موكبه، وكانت يده تَسُحُّ عليه سجالا، وتمر إليه عجالى، وكان في علم النغم

---

(١) في الأصل: (في افق الغربي) ويستقيم بأل التعريف (الأفق).

(٢) في الأصل: «مَرّ» والصواب ماأثبت. [المراجع].

(٣) الخمار: بقية السكر.

(٤) الراضي بالله: محمد بن المقتدر بالله جعفر بن المعتضد بالله أحمد، خليفة عباسي كانت أيام سلفيه (القاهر والمقتدر) أيام ضعف امتنع فيها الأمراء عن الطاعة واستقل كثير من الولاة بما كانوا يلون، حاول الراضي إصلاح الأمر فأعجزه، وتفككت الدولة في عهده، وهو آخرُ خليفة بقيت له رسوم الخلافة، جالس الندماء وله شعر مدون توفي سنة ٣٢٩ هـ ببغداد ودفن في الرصافة.
(البداية والنهاية ١١/ ١٦٩ ابن الأثير ٨/ ٨٩ فوات الوفيات ٢/ ١٨٥ تاريخ بغداد ٢/ ١٤٢).

عالماً لو اهتدت إليه الأوائل لما ذُكِرَ قائل. ومن أصواته: [البسيط]

قَـالتْ بعـادُكَ مِنْ قُـرْبي يُقَـرِّبُني وفي دُنُوك أخْـشَى النَّارَ والعَـارا[1]

[ص ٢٦٥]

إذا قضيت لنا ما منك نأمله فاستغفر الله تلقى الله غفارا

قالت لقد بعد المسرى فقلت لها من عاجل الشوق أن يستبعد الدارا

والشعر فيه قديم، والغناء فيه من خفيف الرمل المزموم، وله صوت في شعر الواثق، وكان قد صنع فيه الواثق لحناً ولم ينقل محفوظاً وهو هذا: [البسيط]

لما استقل بأرداف تجاذبه واخضر فوق حجاب الدر شاربه

كلمته بجفون غير ناطقةٍ فكان من ردها[2] ما قال حاجبه

والغناء فيه من الهزج المزموم.

٨٥- ومنهم- أبو سَعْد بن بِشْر

العطار الطنبوري المعروف بغلام الديلمي، وإمام هذه الصناعة، وكم من كَمِيٍّ كَادَ بِهِ الطنبور أن يبيت يحرق العود، ويزم المزمار، وإن أُعْطِيَ نِعْمَةً من آل داود، وكان لا يعدل طرب صوت وتره الفصيح، وصوت ترتيبه الصحيح، وشدو أوتاره التي لو حيَّتْ بها القسي لكانت لها تناهز، ولما قيل فيها وقد ترنمت ثكلى أوْجَعَتْهَا الجنائز، ومن أصواته: [المديد]

رنة الدولاب في السحر واصطلاح الناي والوَتَرِ

تركتني جار معصرةٍ لا أفيق الدهر من سَكَرِي

(١) في الأصل: (من ربي) ولا وجه لها.

(٢) في الأصل: درها.

والشعر لأبي الحسن عاصم بن الحسن بن عاصم، والغناء فيه مطلق من الطريقة الرابعة وهي الرمل.

٨٦- ومنهم- مِسْكِينُ بنُ صَدَقَة(١)

المديني مولى قريش، ومكمل طيب كل عيش، كان من صفو الحياة وطيبها، ولدارة أيام العمر ونصيبها، لو بات يسمع السليم لألهاه، أو يشغل الكئيب لأسلاه، كان أنساً للجليس، ونَفَسَا للخندريس، وشمساً للندماء، بل ابن الشمس منه لمن يقيس.

ومن أصواته:(٢) [الكامل]

يا ويح من لعب الهوى بحياته ... فأماته من قبل حين مماته
وحياة من أهوى فإني لم أكن ... أبداً لأحلف كاذباً بحياته
لأخالفن عواذلي في لذتي ... ولأسعدن أخي على لذاته

والشعر لأبي العتاهية، والغناء فيه مطلق من الرمل، وقد ذكر ابن ناقيا في هذا المذهب صوتاً: [ص ٢٦٦] [الكامل]

الله يعلم ما هممت بسلوةٍ ... الدمع يخلف والعواذل تشهد
وعلي من ذكرى عهودك آمر ... ينهي الفؤاد عن السلو ويبعد

(١) مسكين بن صدقة: مولى لقريش من أهل المدينة، كان مليح الغناء طيب الصوت، كثير الرواية، صالح الصنعة، من أكثر الناس نادرة وأخفهم روحاً، وأشَدَّهم طمعاً وألحهم في مسألة، وكان له ابن يقال له صدقة يغني وليس من المعدودين، وابن ابنه أحمد بن صدقة الطنبوري، أحد المحسنين من الطنبوريين وله صنعة جيدة. وأبو صدقة من المغنين الذين أقدمهم هارون الرشيد من الحجاز في أيامه.
(الأغاني ١٩/٣٠٣-٣١٣)

(٢) نسب الشعر في الأصل لأبي العتاهية ولم أجده في ديوانه، والشعر في الأغاني ١٩/٣٠٢ قال: والشعر لبعض شعراء الحجاز ولم يقع إلينا اسمه.

قال: والشعر لأبي محمد بن معروف القاضي، ثم قال: وحُكِيَ أن بعض الرؤساء عاتبه على قول الغزل، فجحد ذلك فقال له: من الذي يقول:

الدَّمْعُ يخلفُ والعواذلُ تَشْهَدُ

غَيْركَ، فإن هذه صفة مجلس الحكم.

٨٧- ومنهم- بَدِيْعُ بنُ مُحْسِنٍ

ابن عبدالرحمن من ولد عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان العرجي الشاعر، كجده الشارع سبيلاً لودّه، كان مع نظم القريض، وعظم شرفه المستفيض، مُبَرِّزاً في صناعة الغناء قَيِّماً بألحانها، منعماً في صفوف ريحانها، كأنما جاء في عصر أردشير(١)، وأخذ عن الموابذة الزمزمة(٢) بالأساطير، تعلم ما يقرب به لقباذ، وزمزم به أنو شروان(٣) حول كروم طيزَنَاباَذْ(٤)، فسلب حلي فارس، وجنى من شجر لم يكن له بغارس. ومن أصواته: [المتقارب]

سهرتُ اغْتِنَام(٥) ليالي الوصال لعلمي بها أنها تنفد

فقال وقد رق لي قلبه وأيقن أني به مكمد

إذا كنت تسهر ليل الوصال وليل الصدود متى ترقد

---

(١) أرْدَشير: ملك فارس توفي سنة ٢٤٠ ميلادية مؤسس الأسرة الساسانية، قويت دولته بتأييد الكهنة وبعثت الزرادشتية، شهر لكونه ملكاً عادلاً وقويا خلفه سابور الأول (الموسوعة العربية الميسرة).

(٢) الزمزمة: صوت يخرجه المجوس أثناء الأكل.

(٣) قباذ و أنو شروان: من ملوك الفرس.

(٤) طيزناباذ: موضع بين الكوفة والقادسية على حافة الطريق على جادة الحاج وبينها وبين القادسية ميل، كانت إقطاعاً للأشعث بن قيس، وكانت من أنْزَه المواضع محفوفة بالكروم والشجر والحانات والمعاصر، وكانت أحد المواضع المقصودة للهو والبطالة. (ياقوت: طيز ناباذ)

(٥) في الأصل: «لتلتام» وهي تكسر الوزن، والصواب ماأثبت. [المراجع].

والشعر مجهول، والغناء فيه مطلق من الرمل.

ومن أصواته: [مجزوء البسيط المخلّع]

نكهتك العنبر الفُتَاتُ[(١)] وريقك البارد الفرات

وعارضاك اللذان راقا لما بدا فيهما النبات

وحيث ما كنت من بلادٍ فلي إلى وجهك التفات

والشعر يروى للشريف الرضي، والثالث معروف له، والغناء فيه من مجهول الرمل الذي يُحْصَرُ بالسَّبَّابَةِ.

ومن أصواته: [الخفيف]

لي حبيب تسيء فيه الظنون ليس لي في هواه دمع مصون

قال لي كيف كان حالك بعدي قلت مثلي بأي حالٍ يكون

والشعر مجهول، والغناء فيه من خفيف الرمل المعلق [ص ٢٦٧]

٨٨- ومنهم- غَضُوْبُ[(٢)] جَارِيةُ المُتَّقِي

شمسُ كُلَلٍ وطرازُ حُلَلٍ، ورضى وإن سُمِّيَتْ بغضوب، وبدراً وإن عُوْجِلَتْ بغروب، ولم تُعْرَفْ إلا بعد المتقي، وامتداد أجلها الشقي، وكانت على عهده لا يعرف عنها مخبرا ولا يبلغ ريح الصبا عنها خبرا، وكانت من المهرة الحُذَّاقِ، والجواري اللائي لم يلحقن إلا فتنة للعشاق.

ومن أصواتها: [الكامل]

أوفى على بدر السماء بحسنه وزها على الشمس المنيرة إذ زها

(١) في الأصل: «الفتّان» ولا معنى لها، وتكسر الوزن. [المراجع].

(٢) في الأصل: (غصون)

وإذا أراد تنزهاً في روضةٍ أخذ المراة بكفه فتنزها
فكأنما أعطاه خالقه المنى وحباه من حلل الملاحة طرزها(١)

والشعر مجهول، والغناء فيه من الرمل المسرح.

ومن أصواتها الطائرة:(٢) [الوافر]

فقلت لها ظلوم مطلت ديني وشر الغارمين ذوو المطال
فقالت ويح نفسي كيف أقضي غريماً ما ذهبت له بمال

والشعر لكثير بن عبدالرحمن صاحب عَزَّةَ، والغناء فيه من الرمل المزموم
وكذلك صوتها في شعر ابن المعتز:(٣) [الوافر]

شجاني صوت مسمعةٍ وراح يباكرني إذا برق الصباح
ومعشوق الشمائل عسكري جنى قتلي وليس له سلاح
كأن الكأس في يده عروس لها من لؤلؤ رطب وشاح
وقائلة متى يفنى هواه فقلت لها إذا فني الملاح

وكذلك صوتها: [الطويل]

ألا أيها الظبي الذي مل من قربي أبِنْ لي فدتك النفس بالله ماذَنْبِي
فإن كان ذنبي أنني بك ذا ضنى فلا غفر الرحمن ذلك من ذنبي

والشعر مجهول، والغناء فيه من الزريقي المطلق. وبهذا ذكرت شعراً كنت

---

(١) في الأصل: (فلكأنما أعطاه) وهو تحريف لا يستقيم به الوزن.

(٢) الشعر لكثير عزة في ديوانه ص ٢٩١ وفي روايته خلاف كبير ورواية الديوان:

أقول لها عُزيزَ مطلت ديني وشر الغانيات ذوو المطال
فقالت وَيْبَ غيرك كيف أقْضِي غريماً ما ذهبت له بمال؟

(٣) الشعر لعبدالله بن المعتز في ديوانه ٢/٧٣ ـ ٧٤.

قلته وهو: [الطويل]

تَصُدّينَ عني والفؤاد معذب ... وما كنت يوماً عن ودادك راغبا

لئن كان ذنبي أنني لك عاشق ... فعذبت بالهجران إن جئت تائبا

[ص ٢٦٨]

٨٩- ومنهم- مَعْمَر بنُ قَطَامِي

ابن خالد الدمشقي، كان بدمشق من أطرب شحاريرها، وأطيب على مجاري تلك المياه من أصوات خريرها، أقام طول عمره يُؤْخَذُ عنه الغناء، وتأليف ضُروبه، وتصنيف غريبه، وإتقانه على حسن ترتيبه، فكان لايثبتُ سَامِعُهُ، ولا يماثل به معبد ولا أبو الفرج وما حواه جامعُهُ.

ومن أصواته: [مجزوء الكامل]

يا راحلاً جعل الفرا ... ق لبعده سبب التلاقي

قد كان ساء فضمني ... ضم المودع للفراق

قد كان صد فحين وا ... صلني على غير اتفاق

عانقته وبكيت من ... جزعي لما بعد العناق

والشعر لأبي القاسم المطرزي، والغناء فيه من المطلق في الرمل.

ومن أصواته: [المتقارب]

مَرِضُ الجفون بلا علةٍ ... ومكتحل الطرف لم يكتحل

شكا حسنه قبح أفعاله ... فأثر في وجنتيه الخجل

أقلي الملام ولا تَعْذُلِي ... ففي ذا الغزال يطيب الغزل

والشعر لنصر بن أحمد الأرزي، والغناء فيه في رابع الرمل.

وكذلك صوته:[1] [الطويل]

وخبرني عن مجلس كنت زينة ... رسول أمين والنساء شهود
فقلت لها كري الحديث الذي مضى ... وذكرك من بين الحديث أريد

والشعر للعباس بن الأحنف، والغناء فيه خفيف الرمل المزموم.

قال: ومنهم ابن ناقيا في هذا المذهب: [الطويل]

وكنت وأيام المزار رخية ... علي ورخص الود لي فيك مطمع
أعز فلا أعطي الهوى فيك حقه ... من الشكر والمعطي مع الحق يمنع
فلما استرد الدهر مني عطاءه ... وكادت شعاب من هواي تقطع
فعدت مع الهجران أبكي على الهوى ... وأسأله عن فائتٍ كيف يرجع

٩٠- ومنهم- تُحْفَةُ جاريةُ أبي مُحَمَّد [ص ٢٦٩]

الحسن بن عيسى بن المقتدر، وكانت تُغني غناء المقتدر، وتسرع أول المغاني وتبتدر وتذهب في أصواتها مذهب الأوائل، وتخلب القلوب بلقابة[2] الشمائل، تُسْلِي عن هوى ميّ ذا الرمة، وتُنْسِي هوى زينب بشاراً الأكْمَهَ، تعاود بها لهزم شبابه، ويعيد حبُّها زمان زيدٍ وحبَّابة[3].

ومن أصواتها: [مجزوء الرمل]

يَا بَدِيْعَاً أَلْبَسَ السُّقْـ ... ـمَ به جِسْمَاً بَدِيْعَا

---

(١) نسب الشعر في الأصل إلى العباس بن الأحنف، وليس في ديوانه، والشعر لعلية بنت المهدي في الأغاني ١٠/ ٢٢٤١ وفيه خلاف في البيت الثاني هو:

فقلت له كر الحديث الذي مضى ... وذكرك من ذاك الحديث أريد

(٢) كذا في الأصل، ولعلها (بلقانة) واللقانة: العقل والذكاء والفهم.

(٣) كذا في الأصل: ولعل العبارة« ويعيد حبّها زمان يزيد وحَبّابة». [المراجع].

إنَّ صَبْرِي وعَزَائِي هَلَكَا فِيْكَ جَمِيْعَا

والشعر مجهول، والغناء فيه في الطريقة الرابعة من الرمل.

وكذلك صوتها في بحر المنسرح وهو: [المنسرح]

هل لك في خمرةٍ مشعشعةٍ تضحك في كأسها لشاربها
كأنما الماء حين خالطها يلعب بالنرد في جوانبها

وكذلك صوتها:(١) [الطويل]

لقد قتلت عيناك نفساً كريمةً فلا تأمني إن مت سطوة ثائر
كأن فؤادي في السماء معلق إذا غبت عن عيني بمخلب طائر

والشعر لابن المعتز، والغناء فيه في خفيف الرمل المحمول فيه.

٩١- تحه جَارِيَةُ أبي يَعْقُوب(٢)

وكانت تخلف القمر إذا غاب، وتخلب السالي وقد فارق زمان الشباب، تبسُمُ عَنْ سِمْطي جُمَانٍ، وتقرن تفاح خدودها من النهود برمان، وكان حسنها المفرط يأبى أنْ يُصان، وصوتها المطرب لا تحكيه الحمائم على الأغصان، ومن أصواتها:(٣) [مجزوء الرمل]

آحْ مِنْ حُبِّكَ آحْ آحْ مِنْهُ لابَراحْ
إنما تيّم قلبي عَقْدُ دُرٍّ ووِشَاحْ

والشعر للوليد بن يزيد، والغناء فيه مطلق في الطريقة الرابعة من الرمل.

(١) الشعر لابن المعتز في ديوانه ٣ / ٢٨٠.

(٢) كذا جاء رسم الاسم (تحه) ولم اجد لها ذكراً في المصادرولعلها: تحية.

(٣) نَسَبَ الأصل الشعر للوليد بن يزيد، ولم أجده في ديوانه تحقيق: حسين عطوان.

وكذلك صوتها: [مجزوء الكامل]

هبـــــــوا إلى حلب الكرو　　م مـــزاجــه حلب الســحـــاب
فـــالدهر يركض فـــاركـــضــوا　　ركض المشــيب إلى الشــبـــاب
ودعـــوا العـــتـــاب فـــإنه　　وقت يجل عن العـــتـــاب

[ص ٢٧٠] والشعر مجهول، والغناء فيه في خفيف الرمل المسرح.

٩٢- ومنهم-أبو العِزّ العَوّاد

واسمه نصر الله بن أحمد، ويعرف بالبصري، وكان شاعراً مغنياً، ونديما معيناً، حاذقاً في صناعته، نافقاً في سوق بضاعته، جيد الصوت، مليح النغم، صحيح الضرب، مذهبه مذهب الزُّطِّ(١) في الحركة والخفة في المقاطع وصحة الإيقاع.

قال ابن ناقيا: وله غناء في عدة قطع(٢) من شعري، ومن أصواته في شعر نفسه: [الطويل]

جـعلتك لي عـيناً وأذناً(٣) لأنني　　أراك بعين الود أشـرفَ منهـمـا
واسـأل(٤) عن القلب الذي لا يَحُلُّه　　سـواك لتـدري مـا يُجِنُّ فـتـرحـمـا

---

(١) الزط: جيل أسود من السند إليهم تنسب الثياب الزطية، وقيل: الزط اعراب جت بالهندية وهم جيل من أهل الهند، وقيل: وهم جنس من السودان والهنود الواحد زطي مثل الزنج والزنجي، وقيل الزط السبابجة قوم من السند بالبصرة.
(اللسان: زطط).

(٢) في الأصل: (عدة قطاع) ولعله من وهم الناسخ.

(٣) في الأصل: «وأذني». [المراجع].

(٤) كذا في الأصل، والشطر مكسور. [المراجع].

٩٣- ومنهم- عَيْنُ الزَّمانِ أبو القَاسِم

مطرب لو غنى للجهام لهتن، أو للسالي الغرام لأثار له الفتن، بضربٍ أشجى من الورقاء، وأشد حنيناً من قلب المحب للقاء، لو سمعته صخرة الوادي لتفجرت، أو مقلة القاسي لجرت، وله أصوات منها: [الكامل]

سترت بنفسج صدغها بنقابها ... وحمته بالتطريف من عنابها

بدوية ألفاظها ولحاظها ... والروم تستولي على أنسابها

شَرَقَ(١) الجمال بحمرةٍ في خدها ... خجلاً فكاد يفيض ماء شبابها

والشعر لأبي الوليد أحمد بن محمد البخاري، والغناء فيه مزموم الرمل. قال ابن ناقيا: أنشدني إياه عنه أبو محمد الحسن بن سهل بن خلف، شيخ من مشايخنا، مليح العارضة والمحاضرة، قد لقي جماعة من العلماء، وروى عنهم الأحاديث والأسانيد، وكان قد صحب الإخوان، وعرف الزمان وحلب الدهر أشطره وأتلف باللذة تالده في معاشرة من عاشره، حتى سلب الشيب غرامه، وجلله ثغامه، فأيقظ حلمه، وألقى بين عينيه غرمه، فكان يحضر مجالس الأنس تعللا، لاحظ له في غير السماع والمشاهدة والمحادثة والمناشدة، فبينا أنا وجماعة [ص ٢٧١] من أبناء الأدب، حضور عند بعض الرؤساء على مذاكرة ومعاقرة، والشيخ قد انتظم في سلك اجتماعنا، ونثرت الأغاني عقودها في أسماعنا، قال الشيخ: بيوم من أيام الشبيبة، وقد حضر مجلساً كمجلسكم هذا، آهلاً من الأدب والطرب، وطرأ إلينا أبو الوليد البخاري، فأخذ في شأننا، ولم يَأْلُ في إنشادنا، وكان مطبوع الخلق، محتملاً للدعابة، فقلت له مازحاً: دعنا من أقطاعك الباردة، فقال: هل لك في الإنصاف؟ فقلت: أجل، فأنشد أبياته المذكورة، وقال: أمن الشعر البارد هذا؟ قلت: لا والله، وجعلت أعتذر إليه،

(١) في الأصل: «سرق» ولامعنى لها. يقال شرقت الشمس وأشرقت. [المراجع].

وتعاطى روايتها جماعة الحاضرين شغفاً بها، واقترحها على بعض المغنين، فغنَّى فيها، وتصرم يومنا بسماعها، حتى أخذ منا الشراب، فيا له يوماً كأيام، ثم نطقت إشارته بالتأسف على ما مضى من زمانه، فقلنا له: نحن نتمم لك الحلف من يومك السالف باقتراح الغناء في الأبيات، وإليك ما يقتضيه سماعها، وتقدمنا إلى أبي القاسم عين الزمان وهو حاضر، وكان له مذهب في حسن الإيقاع وجودة الاختراع، فغنى بها في هذا اللحن، فطار المجلس بأهله سروراً وطرباً وقام الشيخ الخَلَفِيُّ يصفق بيده ثم قال: والله لأؤدينّ هذا الصوت بنقض التوبة، وتناول كأساً فَسُرُّ بها فداخلنا العجب مما رأينا من ارتياحه وطربه، وصار الصوت من قلائد عين الزمان وخاصة غنائه يُسميه ناقض التوبة.

٩٤- ومنهم- أبو العُبَيْس بن حَمْدُون

متقن للألحان، مؤثر في الألقاب تأثير بنت الحانْ، لو تغنى لمغنٍّ لأزال عنه النصب، أو عاد بعوده لمشف لأزال عنه الوَصَب، أو وقع على دف لأغناه عن موصول القصب، يُطربُ السَّمْعَ ويُرْقِصُ في المجلسِ حتى الشَّمْعَ، يعرض دونه الغريض، ويرى علويه وقد انكسر لِخَفْضِ جناحه المهيض:(١) [الطويل]

فديتك أعدائي كثير وشقتي ... بعيد وأنصاري لديك قليل
وكنت إذا ما جئت جئت بعلّةٍ ... فأفنيت علاتي فكيف أقول؟
فما كل يوم لي بأرضك حاجة ... ولا كل يومٍ لي إليك رسول

[ص ٢٧٢] والشعر ليحيى بن طالب الحنفي، ويُروى لابن الدمينة، والغناء فيه ثقيل أول مزموم، وكذلك من قلائد أصواته:(٢) [الخفيف]

---

(١) الشعر لابن الدمينة في ديوانه ص ١٨٧ من قطعة

(٢) نسب الأصل البيتين إلى الطرماح وليس في ديوانه تحقيق عزة حسن بيروت ١٩٩٤ دار الشروق. والبيتان لمؤرج السدوسي في وفيات الأعيان ٥ / ٣٠٥ وقد جاء البيت الأول ثانياً، وفي الرواية خلاف.

بـأبـي أَنْـتَ شَـــــــادِنـاً بـي فَـظًّـا ... لـم تَـدَعْ لـلـظِّـبَـــــاءِ عِـنْـدي حَـظَّـا
لستُ أنسَــاكَ مَــا حَـيِـيْـتُ ولَكِـنْ ... كُـلّ يـومٍ تَـزيـدُ عِـنْـدِي وتحْـظَـى

والشعر مجهول لا يعرف قائله، والغناء فيه ثاني ثقيل المجنب، وقد روى له المأمون صوتاً:[1] [الطويل]

لقَـد جَـعَلَتْ نَفْسي على النَّأي تَنْطوي ... وعَــيني على فَـقْــد الحَـبِـيْـبِ تنامُ
وفَــارقتُ حَــتَّى مَــا أُبَالي مِنَ النَّوى ... وإن بـان جــيــــرانٌ عليَّ كِـــرَامُ

والشعر للطرماح ويروى لمؤرج السدوسي، والغناء فيه من الممخر من خفيف الثقيل.

٩٥- ومنهم- جَيْداء جَارِيةُ سَيْفِ الدَّوْلَة[2]

ابن حمدان، وكانت أخت الغزالة محاسن، وشبه الغزال من نظر فاتن، إلى سِرٍّ فيها كامن، وسرى طرب يحرك كل ساكن، وخلائق كأنَّ نشر الصبا دَمَّثها[3]، وكأن هاروت وماروت نفثها، لو اعترضت لسرية عبس لأوقفتها عن السَّرْح، أو سمعتها أذن بلقيس لألهتها عن الصرح، ولو تلمحت عن وجهها الأسارير[4] لقالت إنه صرح مُمَرَّدٌ من قوارير، ومن مشاهير أصواتها: [المنسرح]

يا طُولَ شَــوْقي إلى الرحــيلِ غــداً ... ويــا بَـلائـي مِـنْـهُ إذا وفَــــــدا

---

(١) نسب الأصل البيتين إلى الطرماح وليس في ديوانه تحقيق عزة حسن بيروت ١٩٩٤ دار الشروق. والبيتان لمؤرج السدوسي في وفيات الأعيان ٥/ ٣٠٥ وقد جاء البيت الأول ثانياً، وفي الرواية خلاف.

(٢) سيف الدولة الحمداني: علي بن عبدالله بن حمدان التغلبي، أمير حلب، نشأ شجاعا مهذباً عالي الهمة ملك واسطا وما جاورها ومال إلى الشام فامتلك دمشق، كان ممدحاً من الشعراء وأولهم المتنبي، له أخبار مع الروم ووقائع، كان كريما يقول الشعر توفي بحلب سنة ٣٥٦ هـ. (وفيات الأعيان ١/ ٣٦٤ يتيمة الدهر ١/ ٨ ـ ٢٢، زبدة الحلب ١/ ١١١ ـ ١٥٢).

(٣) دمث الشيء: سهله ومهده ووطأه.

(٤) في الأصل: «الأسارى». والصواب ماأثبت. [المراجع].

أضْنَانِيَ الحُبُّ إذا تَعَرَّضَ بِي ... مَا قَتَلَ الحُبُّ هَكَذا أبدا

والشعر لسيف الدولة، ويقال لغيره، والغناء فيه ثقيل أول مزموم.

وكذلك من أصواتها: [الخفيف]

لَكَ أنْ تَمْنَعَ الجُفُونَ الهجوعَا ... ولنا أن نَسُحَّ فيها الدُّمُوعَا

يا بديعَ الجمالِ أبْدَعْتَ في الصَّدْ ... دِ كما في هواك صِرْتُ[1] بَدِيْعَا

والشعر لعلي بن محمد العلوي.

قال ابن ناقيا: ويغنَّى في الرمل المطلق، وحكيَ أنها كانت تنافث[2] العلماء، وتطارح الشعراء، وكانت لاتزال تحضر مجلس سيف الدولة وراء ستر يسبل دونها، وهي بإزاء عين سيف الدولة، حيث ينظر [ص ٢٧٣]، فلما أقام أبو الطيب المتنبي لديه ماثلاً، وأنْشَدَ في مدحه قائلاً قصيدته التي أولها:[3] [الطويل]

لِكُلِّ امرِئٍ مِنْ دَهْرِهِ مَا تَعَوَّدَا ... وعاداتُ سيفِ الدَّولةِ الطَّعْنُ في العِدى

اهتزت لها من وراء الستر طرباً، وصنعت لحناً في قوله منها:[4] [الطويل]

تركت السرى خلفي لمن قل ماله ... وأنعلت أفراسي بنعماك عسجدا

وقيدت نفسي في هواك محبة ... ومن وجد الإحسان قيداً تقيدا

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته ... وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

والغناء فيه رمل مطلق، فلم يفرغ أبو الطيب من إنشاده حتى فرغت من

(١) في الأصل: «صدّت» ولامعنى لها.[المراجع].

(٢) تنافث: أي تناجي، نفث الشيء: رمى به، ومنه: نفثة مصدور: ما يخفف به عن صدره ويروح عن نفسه عن طريق المحادثة.

(٣) البيت مطلع قصيدة للمتنبي في ديوانه ١ / ٢٨١.

(٤) الأبيات للمتنبي في قصيدته أعلاه في ديوانه ١ / ٢٩١ ـ ٢٩٢ والبيت الثالث في ص ٢٨٨.

صنعته، ثم بعثت بالخادم إلى سيف الدولة تعلمه أنها صنعت لحناً فيه، فصرف الناس إلا خاصته، وأبقى أبا الطيب منهم، ثم قال: يا جيداء، هات ما صنعت، فاندفعت تغني الأبيات، قال أبو الطيب: فوالله ما ظننت إلا أن المجلس يرقص بنا، فاستعادها، ثم لم يزل يستعيدها وهي ترددها حتى مضت سحابة يومنا، وكأننا في كل مرة أول ما سمعناه، ثم أمر لي سيف الدولة بجائزة جليلة، فقلت: هي والله يا أمير المؤمنين أحق بها، فسألتك بالله إلا ما جعلته لها، فقال: بل هي لك ولها مثلها.

ومن أصواتها السيارة في شعر ابن المعتز:(١) [الوافر]

وليلٍ قد سهرت ونام فيه ... ندامى صرّعوا حولي رقودا
أنادم فيه قهقهة القناني ... ومزماراً يعللني وعودا
فكاد الليل يرجمني بنجم ... وقال أراه شيطاناً مريدا

والغناء فيه من الرمل المزموم، وقد ذكر الثعالبي في اليتيمة لجيداء هذه خبراً مع سيف الدولة وأبي فراس بن حمدان قريبه غير أنه لم يُسَمِّهَا، قال: وكان سيف الدولة قلما ينشط لمجلس الأنس لاشتغاله عنه بتدبير الجيوش، وملابسة الحروب، وممارسة الخطوب، فوافت حضرته إحدى(٢) المحسنات من فتيات بغداد، فتاقت نفس أبي فراس إلى سماعها، ولم تر أن يبدأ باستعارتها قبل سيف الدولة، فكتب إليه يحثه على استحضارها، فقال:(٣) [السريع]

محلك الجوزاء أو أرفع ... وصدرك الدهناء بل أوسع(٤)

(١) الشعر لابن المعتز في ديوانه ٢ / ٩١ ـ ٩٢ ورواية البيت الثاني فيه:

أسامر فيه قرقرة القناني ... ومزماراً يحدثني وعودا

(٢) في الأصل: «أحد». [المراجع].

(٣) الشعر لأبي فراس في ديوانه ص١٦٤ .

الخبر والشعر في يتيمة الدهر ـ الثعالبي ١ / ٥٨ تحقيق مفيد قميحة ط دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٣ .

(٤) الجوزاء: برج من بروج السماء. الدهناء: صحراء من صحاري العرب.

[ص ٢٧٤]

وقلبك الرحب الذي لم يزل ... للجد والهزل به موضع
رفه بقرع العود سمعاً غدا ... قرع العوالي جل ما يسمع

فبلغت هذه الأبيات المهلبي الوزير، فأمر القيان بحفظها وتلحينها، وصار لا يشرب إلا عليها، انتهى(١).

ولعل هذه جيداء، وكان هذا قبل أن يشتريها سيف الدولة، أو لعلها جارية أخرى قدمت عليه ولم تَصِرْ إليه.

٩٦- ومنهم- القَاسِمُ بنُ زُرْزُر

ذكره ابن ناقيا، وشكره حقيقةً لارياءً، وإذا(٢) غَنَّى سلّى الحزين فجعه، وسلب الحمام سجعه، وغرغر في المآقي دمعة المشوق، ومثل للمفارق طعنة المعشوق، كم هَزَّ غُصْنَ بانٍ، وأنسى المتيم الشغف مَنْ بان، وكان يُغنِّي في رسيل وآلةٍ ومن أصواته المشهورة:(٣) [الطويل]

وركبٍ كأطراف الأسنة عرسوا ... على مثلها والليل تسطو غياهبه
لأمرٍ عليهم أن تتم صدوره ... وليس عليهم أن تتم عواقبه

والشعر لأبي تمام في قصيدة يمدح بها عبدالله بن طاهر، وهو على خراسان. وقال ابن ناقيا: وحُكِيَ أنه لما أنشده إياها أمَرَ فَنُثِرَ عليه ألف دينار، ثم حمل إليه الجائزة بعد ذلك، والغناء فيه ثقيل مزموم.

ثم قال: وفي هذا المذهب من بحر المديد: [المديد]

(١) أي انتهى الاقتباس من يتيمة الدهر.

(٢) كأن هنا سقطاً،تقديره:«وقال: إذا غَنّى...» أو«وكان إذا غنّى...».[المراجع].

(٣) الشعر لأبي تمام في ديوانه ١/ ١٢١ ـ ١٢٢.

يَا نَديمي الصُّبْحَ قَدْ وَضَحَا ... فَأَدِرْ لا تَحْبِسِ القَدَحَا[1]
مَا تَرَى بردَ الهَوى عَبِقا ... بِنَسِيْمِ المِسكِ قَدْ نَفَحَا؟

وهذا البيت الثاني في نحوه ما يأتي من شعر فلتةً، ونحن في مجلس قد رُكِّبَ على نهر مُطَّرِدٍ كأنه أيمٌ[2] فَرَّ من يد قاتله أو اضطرب في جوف مخاتله، والدوح قد مالت ذوائبه، والنسيم قد رَقَّ ولان جانبه، والليل قد جَلَّلَ الأفق مسكي ردائه، وَبَلَّلَ مطارف الثرى بأندائه، والقمر قد أقبل على طوق هالته، وجلا ضوؤه المنير حالك حالته: [البسيط]

[ص ٢٧٥]

لله مجلسنا والنهر مطرد ... كأنه ممعن قد جد في الهرب
والدَّوْح قد مال مهتزاً بلا طرب ... فكيفُ لو حركته نشوة الطرب[3]
وللنسيم بنا أخذ تلذ به ... كأنه أخذةُ الوسنان بالهدب
هذا وقد ذر مسك الليل أجمعه ... لولا نوافجه في الليل لم يطب[4]
وعندنا كل ذي ودٍّ نسر به ... هو السرور فدع عنك ابنة العنب
وأقبل البدر محفوفاً بهالته ... كمثل بيضاء في طرقٍ من الذهب

عدنا إلى ذكر زرزر، ومن أصواته: [مجزوء الكامل]

يا عين ما ظلم الفؤا ... د وما تعدى في الصنيع
ذوقته ألم الهوى ... فمحا سوادك بالدموع

---

(١) في الأصل القافية حاء مفتوحة (القدح، نفح) والصواب بإطلاق الفتحة (القدحا، نفحا) وبه يستقيم الوزن.

(٢) الأيم: الحية الذكر.

(٣) في الأصل: (مهتز) بالرفع وهو لحن.

(٤) في الأصل (وهذا وقد درمسك الليل جحع) وهو مضطرب وغير موزون.

والشعر مجهول، والغناء فيه من الممخر من ثاني ثقيل، ومن أصواته في شعر نفسه: [مجزوء الكامل]

بالرَّاحِ أعْـــمُـــرُ رَاحَـــتِي ... مـــا دامَ لي جَـــسَـــدي وروحي
وعلى النَّصِـــيح مَـــلامَـــتِي ... وعَلَيَّ عـــصـــيـــانُ النَّصـــيْح

والغناء فيه من مزموم الرمل.

٩٧- ومنهم- عَليُّ بنُ مَنْصُوْر الهَاشِمِيّ

إمام من أئمة الغناء، وتمام من البدور الكاملة السَّناء، يأخذ القلوب أخذة الوسن الوسنان، ويملك الألباب ملكة الجواد بالعنان، فلم[1] يفتح على مثله طرف، ولا منح شبيه فضله صاحب ظرف، كان في فنه غريباً، وعلى بعده إلى النفوس قريباً.

وله أصوات منها: [مجزوء الرمل]

قل لمن ريقـــتـــه مـــسـ ... ـــك ونـــد ونـــدام
والـذي حـلّـل قـــتـــلـي ... وهـو مـــحـــظـور حـــرام
كل نـار غـــيـــر نـاري ... فـــيـك بـرد وســـلام

والشعر لابن الحجاج، والغناء فيه فى الرمل المزموم، قال ابن ناقيا وفى هذا المذهب صوت: [السريع]

يـا ويـح قـلبـي مـن تـقـلبـــه ... أبـدا يـحـن إلى مـــعـــذبـه
قـــالوا كـــتـــمـت هواه عن جلد ... ولَـوَ انّ لـي جـلـداً لـبـــحـت بـه

[ص ٢٧٦]

(١) في الأصل: «ملمّ». [المراجع].

٩٨- ومنهم- كُرْدُم بنُ مَعْبَد

ابن الوليد بن محمد بن معبد بن كردم بن معبد المديني، أحد المغاني الفصاح ، وواحد أهل المباني الصحاح،له نسب مُعْرِقٌ لا يُدَانَى ذلك الأب أبوه، وذلك النسب بالطرب يحبوه لكنه لم تُنْقَل عنه أعمال، ولم تنحل المنى آمال.

وله صوت هو :[١] [الخفيف]

قل لأحبابنا الجفاة رويداً درّجونا على احتمال الملال
أحسنوا في صنيعكم لمحبٍ لا عدمناكم على كل حال
إن هذا الصدود من غير جرمٍ لم يدع فيّ موضعاً للمقال

والشعر لأبي فراس بن حمدان، والغناء فيه مِنْ الرمل المجنب .

٩٩- ومنهم- أحْمَدُ بنُ أُسَامَة النَّصْبِيّ[٢]

كان من أسباب الطرب، وأشتات الأدب، لا يعدله في ضربه ضريب، ولا في نظرائه من يَصْبُو[٣] به اللبيب، يسلب الضاحي رداء الوقار، ويلبس الصاحي جلاء العقار، ويفعل طربه بالألباب، ما يفعله قرع المزاج بالحباب، إلى أدب ما قل له من نصيب، وطرب ليس هو من مثله بعجيب.

ومن مشاهير أصواته :[٤] [الكامل]

---

(١) الشعر لأبي فراس الحمداني في ديوانه ص ٢٣٠ مع خلاف في الرواية.

(٢) مرت ترجمته والحديث عنه في الأصل ص ١٣٣ ـ ١٣٤ وتكررت هنا عن ابن ناقيا باختلاف.

النصبي: نسبة إلى غناء النصب وهو الذي أحكم من النشيد، وأقيم لحنه ووزنه، والنصب يشبه الحداء إلا أنه أرق منه (اللسان: نصب).

(٣) في الأصل:« تصبو» .[المراجع].

(٤) الشعر لأعشى همدان في كتاب الصبح المنير ص ٣٣٤ ـ ٣٣٥ والأغاني ٦/٤٤ ـ ٤٥.

أصـــبـــحـت رهناً للعـــداة مكبـــلاً ... أمـــسي وأصـــبـح في الأداهم أرسف
ولقـــد أراني قـــبـل ذلك ناعـــمـــاً ... جـــذلان آبى أن أضـــام وآنف(١)

والشعر للأعشى، أعشى همدان، والغناء فيه مطلق من الطريقة الثالثة، وهي من خفيف الثقيل، والبيتان من قصيدة أولها:

لمن الظعـــائن ســـيـــرهن ترجّف ... عـــوم الســـفين إذا تقـــاعس يجـــدف
مـــرت بذي خـــشب كـــأن حـــمـــولهـــا ... نخل بيـــثـــرب طلعـــه مـــتـــصـــفـف
وغـــدت بـهـم يوم الفـــراق عـــرامس ... فـــــتـل المرافق بالـهـــــوادج دلف
بان الخلـيط وفـــاتـني برحـــيـــله ... خـــود إذا ذكـــرت لقلبك تشـــغف

[ص ٢٧٧]

وسبب قول الأعشى هذه القصيدة أن الحجاج كان قد أغزاه بلد الديلم(٢)، فَأُسِرَ، ثم إن بنتاً للعلج الذي أسَرهُ هَوِيَتْهُ، وصارت إليه ليلاً ومكنته [من نفسها] فأصبح قد واقعها ثماني مرات، فقالت: يا معاشر المسلمين، أهكذا تفعلون بنسائكم، فقال: هكذا نفعل كلنا، فقالت: بهذا الفعل نُصِرْتُم، ثم عاهدته أن يصطفيها لنفسه إن خلصته، فلما كان الليل حلت قيوده وأخذت طرقاً تعرفها حتى نجا. فقال شاعر من أسرى المسلمين يُعَرِّض به:(٣)[الطويل]

فَمَنْ كَانَ يَفْدِيهِ(٤) مِنَ الأَسْرِ مَالُهُ ... فـهـمـدانُ تَفْـدِيْهَـا الغَـدَاةَ أُيورُها

ومن أصوات النصبي: [المتقارب]

---

(١) في الأصل: (ولقد يراني)

(٢) الديلم: جيل من العجم كانوا يسكنون نواحي أذربيجان.

(٣) الأغاني ٦/ ٤٣.

(٤) في الأصل: (يقدمها من الأسر).

أيَا دَهر وَيْلَكَ مـــاذا جَـــمِـــيلُ فـــؤادٌ عليلٌ وإلْفٌ نَحـــيْلُ[(١)]
كـــأني أرى شَـــخْـــصَـــهُ في المراةِ يَلُوحُ ومـــالي إليـــه سَـــبِـــيْلُ

والشعر لأبي الحسن محمد بن محمد البصروي، والغناء فيه من الطريقة الرابعة من الرمل.

١٠٠- ومنهم- وَشِيْحَة

جارية من أهل منبج محسنة وناطقة لسنة، كأن أناملها على محضر العود سوسنة، لطيفة تُعْشَقُ، وظريفة بسهام النواظر تُرْشَقُ، لغنائها أخذة الكرى بالهدب، وهبة الصبا بالكتب، لم يسعد بها جد البحتري حيث حاطت، وإلى منهج التامير، وحل منه بعد المتوكل محل السمير[(٢)]، ولا قَيَّضَ له هواها فكان لا يذكر علويه[(٣)]، ولا يَتَبَصَّرُ طيفَهَا ولو من علوه ويمنع برقها أن يُشَام، وجانب هواها ولم يَقُلْ يادارَ عَلْوَةَ من أعالي الشام.

ومن أصواتها المشهورة:[(٤)] [المتقارب]

ولما عـــبـــثن بأوتارهن قـــبـــيل التـــبلج أيقظنني
عـــمـــدن لإصـــلاح عـــيـــدانهن فـــأصلحنهن وأفـــســـدنني

والشعر لأبي الفتح كشاجم، والغناء فيه مطلق من الطريقة الثالثة، وهي من خفيف الثقيل.

---

(١) ماذا جميل: أي ليس هذا جميلاً.

(٢) العبارة من قوله«لم يسعد بها...» إلى هنا غير واضحة المعنى.[المراجع].

(٣) كأن العبارة:«فكان لايذكر عَلْوة، ولايتبصر طيفها ولو من غلْوة» وتبقى العبارة غير جلية.[المراجع].

(٤) الشعر لكشاجم في ديوانه ص ٤٧٣ تحقيق خيرية محفوظ ط وزارة الإعلام بغداد ١٩٧٠.

١٠١- ومنهم- إسْرائِيْل اليَهُودِيّ

أثرى في أهل صناعته وتَخَوَّلَ، وخَلَفَ منهم إسرائيل الأول، إلا أن ضعة دينه وضَعَتْهُ، وضائقة دينه ما وسعته، فكان عند اليهود محرما، لكنه أدام درس [ص ٢٧٨] الزبور، ولبس الحبور حتى أصلح عوج لسانه، وأوضح منهج إحسانه، فصبر لمعاداة أهل دينه واحتسب، وألهاه كثرة ما اكتسب.

ومن أصواته: [الطويل]

أيا نفحات الريح من أرض بابل ... بحق الهوى إلا حملت رسائلي
فإن لصحراء الغوير منازلاً ... لأحبابنا أكرم بها من منازل
وفيها التي هام الفؤاد بحبها ... وكم سائل لم يحظ منها بطائل
تعلقها بالأمس خلواً من الهوى ... فقد شغلته اليوم عن كل شاغل

والشعر لأبي بكر العنبري، والغناء فيه خفيف الثقيل المعلق، وكذلك صوته في شعر أبي الهندي: [البسيط]

أَبَا الوليدأمَا واللَّه لو عَملتْ ... فيكَ الشَّمُولُ لما فَارقْتَهَا أبدا(١)
فلا نَسِيْتَ حَمَيَّاها ولذَّتَهَا ... ولا عَدلْتَ بِهَا مَالاً ولا وَلَدَا

١٠٢- ومنهم- يَحْيَى جَارِيَةُ أبي مُحَمَّد المُهَلَّبي

وكانت جارية تملأ العين، وتفرع العيْن، لو رآها ابن عيينة لما لبث بلحظه أن رشقها، أو أبو يزيد البسطامي، لما زاد في أن بسط عذر من عشقها، هيفاء رؤد بيضاء، تطول بحدق سود، مُخَصَّرةٌ تزدان بها عقودها، وترفٌ(٢) إليها رفيف الخزامى بان كل(٣) نجودها، ومن أصواتها: [المتقارب]

---

(١) في الأصل: (لو علمت) وهو تحريف.

(٢) في الأصل: «وترق». [المراجع].

(٣) غير واضحة في الأصل. [المراجع].

تأوب عيني طيف ألم لطارقة طرقت في الظلم
تخيل منها خيال سرى لتسلب حلمي بذاك الحلم
فما أنس لا أنس إذ أقبلت تميس كغصن سقته الديم
على رأسها معجر أخضر وفي جيدها سبح من برم (١)

والشعر لأبي الفرج الأصفهاني، والغناء فيه من خفيف الثقيل المزموم، وحكى أبو الفرج قال: أنفذ إليَّ الوزير أبو محمد المهلبي(٢) ذات ليلة خمسة آلاف درهم صلةً، لا أعرف سببها، فلما حضرت مجلسه من الغد على العادة في المنادمة قلت: لقد خفت أن يكون الرسول قد أخطأ القصد فيما حمله إليَّ، وإن كان لا ينكر خطرات كرم الوزير، فقال: إني جلست البارحة على الشرب وَخَرَجَتْ إليَّ يحيى وفي يدها عودها، وعليها قناع أخضر، وفي عنقها مخانق البرم(٣)، فذكرت أبياتاً في قصيدة أنشدتها مُعِزَّ الدولة، وذكر [ص ٢٧٩] هذه الأبيات، قال: فأنْشَدْتُهَا إياَّها، فَغَنَّتْ فيها، وتقدمت بإنفاذ الدراهم إليك، فقلت: هي الآن صلة أخرى بالسكون إلى علم سببها وشكرته على فعله.

١٠٣- ومنهم- عِنَانُ جَارِيةُ النَّطَافيّ(٤)

مهاترة أبي نواس، ومظهرة غرائب الأنفاس، لم تبلغ مبلغها في المولدين امرأة

---

(١) المعجر: ما تشده المرأة على رأسها. السبح: القلائد
البرم: الحبل المفتول طاقين وبرم الشيء أحكمه، والبريم: كل شيء في خيط وغيره فيه لونان مختلطان، وحبل فيه لونان مزين بجوهر، تشده النساء على الوسط والعضد، والعوذة تعلق على الصبي لدفع العين.

(٢) الوزير الحسن بن محمد بن هارون من نسل المهلب بن أبي صفرة، وزير معز الدولة البويهي.

(٣) المخانق: القلائد، البرم: حب العنب أول ما يظهر.

(٤) في الأصل: (النطاف) وترجمتها في الأغاني..
كانت عنان مولدة من مولدات اليمامة، وبها نشأت وتأدبت، واشتراها الناطفي ورباها، وكان=

من النساء، ولاحَظِيَ بمثلها أحدٌ من الرؤساء، ولا سُمِعَ مثلُ شعرها إلا مِنَ الخنساء، وغلبت على هوى الرشيد غلبةً أوهنت عرقه، وأوهنت حدقه، حتى كاد ينضب بها جدول أُمِّ جعفر، وتمر ماردة وتكفر، فنصبت لها أُمُّ جعفر أشْراكَ الحيل، ومدت لها طوائل الطيل[١]، وأقامت من أبي نواس لها قرناً منابذاً، وراميا إليها سهماً نافذاً[٢]، مقبحاً لحسنها، ومبغضاً لأجنها[٣]، حتى سَفَّهَ رأي الرشيد، ونَكَّدَ فيها علة عيشه الرغيد.

قال أبو الفرج: نشأت باليمامة وتأدبت، وهَمَّ الرشيد أن يبتاعها، ثم منعه هجاء الشعراء لها، وكان ذلك بكيد من زبيدة، دخلت عليه وهي تتبختر، فقال لها: أتحبين أن أبتاعك؟ قالت: ولم لا أحب ذلك يا أحسن الناس خَلْقاً وخُلُقاً قال: أما الخلق فظاهر، وأما الخُلُقُ فما علمك به؟ قالت: رأيت شرارة قد طاحت من المجمرة حين جاء الغلام بالبخور إليك، فسقطت على ثوبك فأحرقته، فوالله ما قبضت لها وجهاً، ولا راجعت في جنايتها حرفاً فقال لها: والله لولا أن العيون قد ابتذلتك لاشتريتك، ولكن لا يصلح للخلافة ما هذا سبيله، فاشتراها طاهر ابن الحسين.

وروى الأصمعي قال: بعثت إليَّ أم جعفر أن أمير المؤمنين قد لهج بذكر عنان، فإن صرفْتَهُ عَنْهَا فَلَكَ حُكْمُكَ، قال: فالتمست وقتاً لخطابه فأعوز، وكنت أهابه فلا أقدم عليه ابتداءً، فرأيت يوماً في وجهه أثر الغضب، فقال: هذا

=صفراء جميلة الوجه شكلة مليحة الأدب والشعر، سريعة البديهة، وكان فحول الشعراء يساجلونها ويقارضونها فتنتصف منهم، توفيت في مصر سنة ٢٢٦ هـ.
(الأغاني ٢٣/ ٩٢).

(١) الطيل والطول: الحبل يربط في وتد ونحوه، ويطول للدابة فترعى مقيدة.

(٢) في الأصل: (سهاما ناقداً) وهو من وهم الناسخ.

(٣) كذا جاءت الكلمة ولم أتبين لها وجهاً ولعلها: (لإحنها)، والإحن: الحقد والضغن.

الناطفي مولى عنان،أماو الله لولا أني لم أَجُرْ في حكم قط متعمداً[١]، لجعلت على كل حبلٍ منه قطعةً، ومالي في جاريته أرَبٌ غير الشعر، فقلت: أجل ما فيها غير الشعر، أو يَسُرُّ أميرَ المؤمنين أن يُجَامِعَ الفرزدق، فضحك حتى استلقى وترك ذكرها.[١]

وحكى يعقوب بن إبراهيم، أن الرشيد طلب من الناطفي جارية، فأبى أنْ يبيعها بأقل من مئة [ص ٢٨٠] ألف دينار، فقال له: أعطيتكها على صرف سبعة دراهم بدينار، فأمر أن تحضر، فأُحْضِرَتْ ثم لم يمض البيع، ولم تزل في قلب الرشيد حتى مات مولاها الناطفي، فبعثَ بمسرور الخادم، فأخرجها إلى باب الكرخ، ووقفها على سرير، وعليها رداء رشيدي قد جللها، فنودي عليها، بعد أنْ شاور الفقهاء فيها، وقال: على مالكها دين، فأفتوا في بيعها، فانتهت إلى مئتين وخمسين ألف درهم، فأخذها مسرور[٢]، ولم يكن فيها ما يُعَابُ، فطلبوا لها عيباً لئلا تصيبها العين، فأوقعوا بخنصر رجلها شيئاً في ظفرها. فأولدها الرشيد ابنين ماتا صغيرين، ثم خرج بها إلى خراسان، فمات هناك، وماتت بعده بمدةٍ يسيرة.

وروى ابن عمار أنها خرجت إلى مصر وماتت بها حين أعتقها النَطَّاف، ورثته بقولها:[٣] [الكامل]

يادَهْرُ أفْنَيْتَ القرونَ ولم تَزَلْ ... حَتَّى رَمَيْتَ بِسَهْمِكَ النَّطَافا

وكانت مجيدة في الشعر مقصرة في الغناء، جارت مروان بن أبي حفصة وأبا نواس والعباس بن الأحنف، وكان يتعشقها العباس بن الأحنف.

حكى رجل أن ابن أبي حفصة قال: لقيني الناطفي فدعاني إلى عنان،

---

(١) في الأصل:« معتمداً» .[المراجع].

(٢) الخبر في الإماء الشواعر ص ٤٦ والأغاني ٢٣ / ٩٨ والمستظرف ص ٤٥ .

(٣) أي أخذها مسرور الخادم للرشيد.

(٤) البيت لعنان ترثي مولاها الناطفي في الإماء الشواعر ص ٤٨ .

فانطلقت معه إليها، فقال لها: قد جئتك بأشعر الناس مروانٍ، وكانت عليلةً، فقالت: إني عنه لفي شغل، فأهوى إليها بسوطه(١)، فضربها به، فبكت فرأيتُ الدموع تنحدر من عينيها فقلتُ:(٢) [السريع]

بَكَتْ عَنَانٌ فَجَرى دَمْعُهَا   كَالدُّرِّ إذ يَنْسَلُّ مِنْ خَيْطِهِ

فقالت مسرعة بديهةً:(٣) [السريع]

فَلَيْتَ مَنْ يضربُهَا ظَالماً   تَيْبَسُ يُمْنَاهُ على سَوْطِهِ(٤)

فقلت للنطاف: أعتق مروان ما يملك إن كان في الإنس والجن أشعر منها.

وأنشدها أبو نواس:(٥) [المنسرح]

عَلِقْتُ من لو أتى عَلى أنْفُسِ الما   ضِينَ والغابِرِيْنَ ما نَدَمَا

قالت:(٦)

لو نَظَرَتْ عَيْنُهُ إلى حَجَرٍ   وَلَّد فيه فُتُورُهَا سَقَمَا

وحكى أحمد بن معاوية قال، قال لي رجل تصفحت كتباً، فرأيت فيها بيتاً جهدت جهدي [ص ٢٨١] أن أجد أحداً يجيزه(٧) لي فلم أجده، فقال لي

---

(١) في الأصل: (بصوته).

(٢) الشعر لمروان بن أبي حفصة في ديوانه ص ٧١ والإماء الشواعر ص ٣٠ والأغاني ٢٣/ ٩٤.

(٣) الشعر لعنان في الإماء الشواعر ص ٣٠ والأغاني ٢٣/ ٩٤.

(٤) في الأصل: (على صوته) يبدو أن الناسخ أعجمي فارسي يلفظ السين صاداً والطاء تاءً، ويكتب حسبما يلفظ.

(٥) ديوان أبي نواس ص ٢٣٣ والإماء الشواعر ص ٣٢ والأغاني ٢٣/ ٩٦.

(٦) الشعر في الإماء الشواعر ص ٣٣ وديوان أبي نواس ص ٢٣٣، والأغاني ٢٣/ ٩٦.

(٧) في الأصل: «يخبره» ولامعنى لها هنا. [المراجع].

صديق لي: عليك بعنان، فأتيتُها فَأَنْشَدْتُهَا وهو:(١) [الطويل]

ويبكي فأبكي رَحْمَةً لِبُكَائِهِ إذا ما بَكى دَمْعاً بَكيْتُ لَهُ دَمَا

وحكى الحسن بن وهب قال: دخلت على عنان يوماً، فسألتني أن أقيم عندها، ففعلت، وأتينا بالطعام والشراب، فأكلنا وشربنا، وغنتني، فكان غناؤها دون شعرها، فشربت ستة أرطال ونكتها خمسة، وضجرت فقالت لي: ما أنصفت، شربت ستةً ونكت خمسةً، فتغافلت وقلت: غني صوتي:(٢) [الطويل]

خليلي ما للعاشقين قلوب ولا للعيون الناظرات ذنوب
ويا معشر العشاق ما أبغض الهوى إذا كان لا يلقى المحب حبيب

فغنت:(٣) [الطويل]

خليلي ما للعاشقين أيور ولا لحبيب لا يناك سرور
ويا معشر العشاق ما أبغض الهوى إذا كان في أير الحبيب فتور

فخجلت وانصرفت.

وكتبت عنان على عصابتها باللؤلؤ: (إذا لم تستح فاصنع ما شئت)

---

(١) في الإماء الشواعر ص ٣٠ والأغاني ٢٣ / ٩٥ قال: فأتيتها فأنشدتها:

ومازال يشكو الحب حتى حسبته تنفس من أحشائه أو تكلما

فلم تلبث أن قالت:

ويبكي فأبكي رحمة لبكائه إذا ما بكى دمعاً بكيت له دما
إلى أن رثى لي كل من كان موجعاً وأعرض خلو القلب عني تبرما

(٢) سياق الكلام هنا أن الشعر للحسن بن وهب، وفي الإماء الشواعر ص ٤٥ قال: (غني صوتي في شعر سلم الخاسر) وليس البيتان في شعر سلم الخاسر جمع غرنباوم ضمن (شعراء عباسيون).

(٣) الشعر لعنان في الإماء الشواعر ص ٤٥.

وقال هبة الله بن إبراهيم بن المهدي: أنشدني أبي لعنان:[١] [الكامل]

نفسي على حسراتها موقوفة ... فوددت لو خرجت مع الحسرات

لو في يديَّ حساب أيامي إذاً ... أنفقتهن تعجلاً لوفاتي

لا خير بعدك في الحياة وإنما ... أبكي مخافة أن تطول حياتي

١٠٤- دَنَانِيْرُ جَارِيةُ مُحَمَّد بن كُنَاسَةَ[٢]

جارية لاتُسَامُ بألوف، ولا تنفر عن ألوف، أجادت في الشعر كل الإجادة وزادت فيه على الشعراء حتى استبعدت أبا عبادة، وشدت من الغناء شدواً، وقنعت منه بما جاء عفواً، وكانت ملهيةَ النوادر، مسرعة البوادر، تشد إزارها على الكثيب وتعدل قوامها إلا على الكئيب، كانت مَوَلَّدةً من مُوَلَّدَات الكوفة [ص ٢٨١] ربَّاها ابن كناسة وأدَّبها، فخرجت شاعرة أديبة فصيحة، قيل إنها كانت تغني، وكان ابن كُنَاسَةَ دِّيناً صالحاً، وهو ابن خالة إبراهيم بن أدهم[٣]، وذكر علي بن عثام الكلابي قال: كان لابن كُنَاسَةَ صديق له يُكَنَّى أبا الشعثاء، وكان عفيفاً مَزَّاحَاً، فكان يدخل على ابن كناسة يسمع غناء جاريته دنانير ويعرض لها بأنه يهواها فقالت: فيه شعراً منه:[٤] [الرمل]

لأبي الشَّعْثَاءِ حُبٌّ ظَاهِرٌ ... ليسَ فِيْهِ مَطْعَنٌ للمُتَّهَمْ

---

(١) الشعر لعنان في الإماء الشواعر ص ٤٥ والمستظرف ص ٤٦.

(٢) دنانير: جارية محمد بن كناسة، مولدة من مولدات الكوفة رباها محمد بن كناسة وأدبها وخرجت شاعرة أديبة فصيحة، وقيل إنها كانت تغني وذلك غير مؤكد، وكان محمد بن كناسة رجلاً زاهداً نبيلاً وهو ابن خالة إبراهيم بن أدهم وابن كناسة شاعر إخباري روى شعر الكميت وغيره (الإماء الشواعر ص ٥٣ ـ ٥٦ الأغاني ١٣ / ٣٦٣ ـ ٣٧٢ في ترجمة ابن كناسة).

(٣) إبراهيم بن أدهم بن منصور: زاهد روى عن أبيه والأعمش ومالك بن دينار وغيرهم توفي سنة ١٦٢ هـ (فوات الوفيات ١ / ١٣ ـ ١٤) تحقيق إحسان عباس بيروت ٧٣ ـ ١٩٧٤.

(٤) الشعر لدنانير في الإماء الشواعر ص ٥٤ ـ ٥٥ والأغاني ١٣ / ٣٧٠ ـ ٣٧١.

يا فُـؤَادِي فَـازْدَجِـرْ عَنْهُ وَيَا   عَـبَثَ الحُبِّ بِه فَـاقْـعُـدْ وَقُمْ

١٠٥- ومنهم، فَضْل اليَمَامِيَّة(١)

جارية المتوكل وهي المعروفة بفضل الشاعرة، أجلُّ أن تكون أخت الخنساء، أو تقع في تخت أحد من الرؤساء، جارت الفحول وجبذت(٢) وقيدتهم الوحول(٣)، ومهرت في القريض، وَحَبَّرَتْ(٤) منه الروض الأريض، وعلقت فيه القرناء، وقد ذكرها صاحب كتاب الإماء(٥) قال: كانت من مولدات البصرة، وبها نشأت، وذكر محمد بن داود أنها عبدية، وكانت تزعم أن أمها علقت بها من مولى لها من عبدالقيس، وأنه مات وهي حامل بها، فباعها ابنه فولدت بعد بيعها واسترقت، وكانت سمراء حسنة الوجه والقد والجسم، شكلة حلوة أديبة فصيحة سريعة الهاجس، حادة الخاطر، مطبوعة في الشعر متقدمة فيه، وكانت تجلس في مجلس المتوكل على كرسي وتقارض الشعراء الشعر بحضوره، فألقى عليها يوماً أبو دلف [العجلي](٦) [الكامل]

---

(١) فضل اليمامية: جارية مولدة من مولدات البصرة، وكانت أمها من مولدات اليمامة بها ولدت، ونشأت في دار رجل من عبدالقيس، وباعها بعد أن أدبها وخرجها، فَاشْتُرِيَتَ وَأُهْدِيَتْ إلى المتوكل، كانت حسنة الوجه والقوام أديبة فصيحة سريعة البديهة مطبوعة في قول الشعر، ولم يكن في نساء زمانها أشعر منها. (الأغاني ١٩/ ٣١٤ ـ ٣٢٧)

(٢) جبذت: مقلوب جذبت.

(٣) كذا في الأصل ولعلها الحجول.

ـ قلت لعلها «الوعول» وهي الأوابد .[المراجع].

(٤) في الأصل: «وجرّت». [المراجع].

(٥) في الأصل (الإمام) سهواً وانظر الإماء ص ٦٠ ـ ٨٢.

(٦) الشعر في الإماء الشواعر ص ٦١ والشعر لعلي بن الجهم في ديوانه ص ١١٢ (التكملة) والمستظرف للسيوطي ص ٥٠

قالوا عشقت صغيرة فأجبتهم أشهى المطي إلي ما لم يركب
كم بين حبة لؤلؤ مثقوبة لبست وحبة لؤلؤ لم تثقب

فأجابته بديهاً:(١) [الكامل]

للناس أهواء ولذة بعضهم وهواه في الأمر الذي لم يصعب
ويرى سواه يحب بكراً كاعباً كم بين بكرٍ في القياس وثيب

وكتب إليها بعض من كان يحضرها:(٢) [الطويل]

ألا ليت شعري أنت هل تذكرينني فذكرك في الدنيا إلي حبيب

[ص ٢٨٣]

وهل لي نصيب في فؤادك ثابت كما لك عندي في الفؤاد نصيب
فلستُ بمتروك فأحيا بزورةٍ ولا النفس عند اليأس عنك تطيب(٣)

فكتبت إليه:(٤) [الطويل]

نعم وإلهي إنني بك صبة فهل أنت يا من لا عدمت مشيب(٥)

---

(١) في الإماء الشواعر ص ٦١ والأغاني ١٩/ ٣١٥ والمستظرف ص ٥٠ أنها أجابت أبا دلف العجلي بقولها:

إن المطية لا يلذ ركوبها حتى تذلل بالزمام وتركب
والدر ليس بنافع أربابه حتى يؤلف بالنظام ويثقب

والوجه في القافية نحوياً (وتركبا، ويثقبا) وفي الأغاني: مالم تذلل بالزمام وتركب و: حتى يؤلف للنظام بمثقب، وهكذا يصح الإعراب.

(٢) الشعر في الأغاني ١٩/ ٣١٧ والإماء الشواعر ص ٦٤.

(٣) في الأغاني ١٩/ ٣١٧: (ولست بموصول) وهو الأنسب للمعنى.

(٤) الشعر في الأغاني ١٩/ ٣١٧ والإماء الشواعر ص ٦٤ ـ ٦٥ لفضل الشاعرة.

(٥) في الأصل: (نعم والهوى) ولا يستقيم به الوزن، والتصويب من الأغاني والإماء الشواعر.

لمن أنت منه في الفؤاد مُصَوَّرٌ وفي العين نصب العين حين تغيب
فثق بفؤادٍ أنت تظهر مثله على أن بي سقماً وأنت طبيب

وقال علي بن يحيى: دخلت على المتوكل يوماً، فدفع إليَّ رقعةً وأمرني بقراءتها، فإذا فيها:(١) [مجزوء الرمل]

قد بدا شبهك يامو لاي يحدو بالظلام
فأجب نقض لبانا ت اعتناق والتزام
قبل أن تفضحنا عو دة أرواح النيام

قلت: مليح والله قائلها، لمن هو؟ قال: وعدتني فضل البارحة على أن أبيت معها، فسكرت سكراً شديداً منعني من التيقظ لها، فلما أصبحت وجدت رقعتها في كمي، والشعر لها وهو بخطها.

وروى أبو هفان عن رجل قال: خرجت قبيحة(٢) على المتوكل في يوم نيروز(٣) وفي يدها كأس من بلور فيه شراب صافٍ، فقال: ما هذا؟ فقالت: هديتي إليك في هذا اليوم، عرفك الله يمنه، فشربه وقَبَّل خدَّها، فقالت فضل:(٤) [السريع]

سلافة كالقمر الباهر في قدح كالكوكب الزاهر

(١) الشعر لفضل الشاعرة في الأغاني ١٩ / ٣٢١ والإماء الشواعر ص ٦٦ والمستظرف ص ٥٣ .
(٢) قبيحة: هي أم المعتز انظر فيها المستظرف للسيوطي ٥٧ والديارات ١٦٩ ـ ١٧٠.
(٣) النيروز أو النوروز: بالفارسية، هو اليوم الجديد، وهو أول يوم من السنة الشمسية الإيرانية، ويوافق الحادي والعشرين من شهر مارس من السنة الميلادية، وعيد النيروز أكبر أعياد الفرس.
(المعجم الوسيط: نيروز)
(٤) الشعر لفضل الشاعرة في الإماء الشواعر ص ٦٧ والأغاني ١٩ / ٣٢٤.

يديرها خشف كبدر الدجى ... فوق قضيب أهيف ناضر
على فتى أروع من هاشم ... مثل الحسام المرهف الباتر

وحكى أحمد بن أبي طاهر قال: ألقى بعض أصحابنا على فضل:[١] [الطويل]

وَمُسْتَفْتِحٍ بَابَ البلاءِ بِنَظْرةٍ ... تَزَوَّدَ مِنْهَا قَلْبُهِ حَسْرَةَ الدَّهْرِ

فقالت:[٢] [الطويل]

فَوَاللهِ مَا يَدْرِي أيدري بما جَنَتْ ... عَلَى قَلْبِهِ أم أهْلَكَتْهُ ومَا يَدْرِي

[ص ٢٨٤]

وحكى أبو يوسف الضرير قال: صرت أنا وأبو منصور الباخرزي[٣] إلى فضل الشاعرة، فحجبنا عنها، وما علمت بنا، ثم بلغها خبرنا بعد انصرافنا، فكتبت إلينا تعتذر:[٤] [الطويل]

ومَا كنتُ أخْشَى أن تَرَى لي زَلَّةً ... ولكِنَّ أمْرَ اللَّهِ مَا عَنْهُ مَهْرَبُ
أعوذُ بِحُسْنِ الصَّفحِ مِنْكُم وقَبْلَنَا ... بِعَفْوٍ وَصَفْحٍ ما تَعَوَّذَ مُذْنِبُ[٥]

فكتب إليها أبو منصور [الباخرزي][٦] [الطويل]

---

(١) الشعر في الإماء الشواعر ص ٥٧.
(٢) الشعر لفضل الشاعرة في الإماء الشواعر ص ٦٨ وفيه:
فو الله ما يدري أتدري ما جنت
(٣) أبو منصور الباخرزي: محمد بن إبراهيم من أهل خراسان، نزل بغداد، عمي في آخره عمره (معجم الشعراء ص ٤٠٣ ـ ٤٠٤).
(٤) الشعر لفضل الشاعرة في الإماء الشواعر ص ٦٨ والأغاني ١٩/ ٣٢٠.
(٥) في الأصل: (منكم وقلبنا) وهو تحريف.
(٦) الشعر لأبي منصور الباخرزي في الأغاني ١٩/ ٣٢٠ والإماء الشواعر ص ٦٨.

لئن أهديت عتباك لي ولإخوتي لمثلك يا فضل الفضائل تعتب
إذا اعتذر الجاني محا العذر ذنبه وكل امرئ لا يقبل العذر مذنب

وحكى عليٌّ بن الجهم قال: كنت يوماً عند فضل الشاعرة فلحظتها لحظة استرابت بها، فقالت: (١) [الرجز]

يا رُبَّ رامٍ حَسَنٍ تَعَرُّضُهْ يَرْمِي ولا يَشْعُرُ أنِّي غَرَضُهْ

فقلت: (٢) [الرجز]

أيُّ فَتَىً عَهْدُكِ لَيْسَ يُمْرِضُهْ وأيُّ عَهْدٍ مُحْكَمٍ لا يَنْقُضُهْ (٣)

فضحكت وقالت: خذ في غير هذا الحديث.

ومن شعرها ما كتبت إلى سعيد بن حميد، فكان منهما ما كان: (٤) [الكامل]

الصَّبْرُ ينقصُ والسَّقَامُ يزيدُ والدَّارُ دانيَّةٌ وأنتَ بعيدُ
أشكُوكَ أم أشكُو إليكَ فإنَّهُ لا يستطيعُ سِوَاهُما المجهودُ

وكتبت: (٥) [الطويل]

---

(١) الرجز لفضل الشاعرة في الإماء الشواعر ص ٦٩ والأغاني ١٩ / ٣١٩.

(٢) الرجز لعلي بن الجهم في ديوانه ص ١٥٣ والأغاني ١٩ / ٣١٩ والإماء الشواعر ص ٦٩ .

(٣) في الأصل: (أيّ فتى ليس عهدك يمرضه) وفيه تقديم وتأخر وغير موزون ورواية الأغاني والإماء الشواعر والديوان:

أي فتى لحظك ليس يمرضه وأي عقد محكم لا ينقضه

(٤) الشعر لفضل الشاعرة في الإماء الشواعر ص ٧٣ والأغاني ١٨ / ١٧٠ والمستظرف ص ٥٤ .

(٥) الشعر لفضل الشاعرة في الأغاني ١٩ / ٣١٩ والإماء الشواعر ص ٧٧ وجاءت الأبيات بقافية الدال:

وعيشك لو صرحت باسمك في الهوى لأقصرت عن أشياء في الهزل والجد
ولكنني أبدي لهذا مودةً وذاك وأخلُو فيك بالبث والوجد
مخافة أن يُغرى بنا قولُ كاشحٍ عَدُوًّا فيسعى بالوصال إلى الصَّدّ

وعيشك لو صرحت باسمك في الهوى ... لأقصرت عن أشياء في الجد والهزل
ولكنني أبدي لهذا مودة ... وذاك وأخلو منك خلوة ذي خبل
مخافة أن يغرى بنا قول كاشح ... عدواً فيسعى بالصدود على الوصل

فكتبت إليها:[1] [الطويل]

تنامين عن ليلي وأسهره وحدي ... وأنهى جفوني أن تبثك ما عندي
فإن كنت لا تدرين ما قد فعلته ... بنا فانظري ماذا على قاتل العمد

[ص ٢٨٥]

وحكى القاسم بن زُرْزُر[2] قال: قصد سعيد [بن حميد العراق] لحُمى نالته، فسألتني فضل أن أساعدها أنا وعريب، في المضي إليه للسلام عليه، وأهدت إليه هدايا فيها ألفُ جدي وألف دجاجة فائقة وألف طبق فاكهة، وطيب كثير وشراب وتحف حسان، فكتب إليها سعيد: إن سروري لا يتم إلا بحضورك، فجاءته في آخر النهار، وجلسنا نشرب، واستأذن غلامه بنان، فأذن له فدخل إلينا وهو يومئذ شاب طرير[3] حسن الوجه، حسن الغناء، سَريٌّ الملبوس كثير العطر شَكِلٌ[4]، فذهب بفضل كل مذهب، وبان ذلك في إقبالها عليه، وتحققها به، فتنمر سعيد واستطِيرَ غضباً، وتبين ذلك لبنانٍ فانصرف، وأخذ سعيد يعذلها ساعة ويوبخها تارة ويزيد في تأنيبها، وهي تعتذر منه، ثم سكت، فكتبت إليه

(١) الشعر لسعيد بن حميد في الأغاني ١٨/١٥٨ و ١٩/٣١٩ والإماء الشواعر ص ٧٧ وفي مجموع أشعاره رقم ١٣/١٢٥.

(٢) في الأغاني والإماء الشواعر يرد اسمه (زرزور).

(٣) الطرير: الغلام أول ما ينبت شاربه.

(٤) شَكِل: أي جميل الشكل. حسن الهيئة والصورة.

فضل:(١) [مجزوء الكامل]

يا من أطلت تفرسي | في وجهه وتنفسي
أفديك من متدلل | يزهى بقتل الأنفس
هبني أسأت وما أسأ | ت بلى أقر أنا المسي
أحلفتني أن لا أسا | رق نظرةً في مجلسي
فنظرت نظرة مخطئ | أتبعتها بتفرسي
ونسيت أني قد حلفـ | ـت فما عقوبة من نسي؟

فقام سعيد لوقته وقبل رأسها، وقال: لا عقوبة عليك، بل نحتمل هفوتك ونتجافى عن زلتك، وغنت عريب في الشعر رملاً، وشربوا عليه بقية يومهما ذلك، ثم افترقا، وقد أثر بنان في قلبها أثراً، وعلقته، ولم تزل تواصله سراً حتى ظهر أمرهما، ثم غضب بنان على فضل في أمر أنكره، فاعتذرت فلم يقبل، فكتبت إليه كأنها تخاطب نفسها:(٢) [السريع]

يا فَضْلُ صَبْراً إنَّهَا مِيْتَةٌ | يَجْرعُهَا الكاذبُ والصادقُ
ظَنَّ بنانٌ أنَّني خُنْتُهُ | رُوحي إذاً مِن جَسَدي طَالِقُ

١٠٦- ومنهم- تَيْمَاءُ جَارِيَةُ خُزَيمَةَ بن خَازِم(٣)

وكانت مدنية شاعرة جريئة، ذات عورة(٤) ضحوك لعوب، كَسْلى دَلَالٍ لا

(١) الشعر لفضل الشاعرة في الإماء الشواعر ص ٧٩ والأغاني ١٨ / ١٧١ والمستظرف ص ٥٥.

(٢) الشعر لفضل الشاعرة في الإماء الشواعر ص ٨٢ والأغاني ١٩ / ٣٢٥.

(٣) في الأصل العنوان ساقط ومكانه بياض، والتكملة من الإماء الشواعر ص ٨٥ والمستظرف ص ١٢، وخزيمة بن خازم النهشلي: قائد لمع في زمن الرشيد والأمين والمأمون، ولي البصرة أيام الرشيد، وولي الجزيرة أيام الأمين توفي سنة ٢٠٣ هـ. (الطبري والكامل حوادث سنة ٢٠٣ هـ).

(٤) كلمة «عورة» غير واضحة، وهي قلقة. [المراجع].

يعتريها لغوب(١)، [ص ٢٨٦] تجرُّ على الغواني ذيلاً، وتخسف البدور ليلاً، وتخطئ المتيم الذي يقول: [الطويل]

وخبرتماني أن تيماء منزل لليلى..

وأجادت في الشعر، ولم تقصر في الغناء، ولم تدع لمن بعدها غير الغناء، ومن شعرها:(٢) [البسيط]

تفديك تيماء من سوء تحاذره ... فأنت مهجتها والسمع والبصر

لئن رحلت لقد أبقيت لي حزناً ... لم يبق لي معه في لذة وطر

فهل تذكرت عهدي في المغيب كما ... قد شفني الهم والأحزان والفكر

وحكت أنها عرضت على خزيمة هي ووصيفةٌ بكرٌ حلوة الوجه، فمال إليها، وأقبل علي كالمعتذر فقال:(٣) [الكامل]

قالوا عشقت صغيرةً فأجبتهم

البيتان

فقلت:(٤) [الكامل]

إن المطِيَّةَ لا يلذُّ رُكُوبُهَا ... حَتَّى تُذَلَّلَ بالزِّمَامِ وَتُرْكَبُ

---

(١) اللغوب: التعب والإعياء.

(٢) الشعر لتيماء جارية خزيمة بن خازم في الإماء الشواعر ص ٨٥ والمستظرف من أخبار الجواري ـ السيوطي ص ١٦ تحقيق صلاح الدين المنجد ط بيروت ١٩٦٣، وص ١٢ ط مصر.

(٣) الشعر لأبي دلف العجلي في الأغاني ١٩ / ٣١٤ وأنشده خزيمة بن خازم في الإماء الشواعر ص ٨٦ وتتمة الشعر:

قالوا عشقت صغيرة فأجبتهم ... أشهى المطي إلى مالم يركب

كم بين حبة لؤلؤ مثقوبة ... بذلت وحبة لؤلؤ لم تثقب

(٤) الشعر لفضل الشاعرة في الأغاني ١٩ / ٣١٥ والإماء الشواعر ص ٨٦.

والدُّر ليسَ بِنَافعٍ أصْحَابَهُ ... حَتَّى يُؤَلَّف بالنظام وَيُثْقَبُ[1]

هكذا رواهما أبو الفرج في كتاب الإماء. قالت تيماء فضحك واشترانا معاً، ثم غلبتها عليه، ولها غناء فيهما.

١٠٧- ومنهم- سُكُون[٢] جَارِيَة طَاهِر بن الحُسَيْن

وكانت بيضاء مولدة بادية السناء، حسنة الوجه والغناء، ربيت في دار بسخنر[٣] بن محمد، وأخذت الغناء عنه وعن ابنه وبناته وجواريه، وتلقت عن إسحاق [الموصلي] وطبقته، واستحسنها إبراهيم الموصلي وسائر رفقته، وأعجب بها ابن المهدي، واهتز لصوتها الندي، وكانت مبرزة في الشعر، تعد من الشعراء، وتلحق منهم بالرجال لا بالنساء، وسمعها إبراهيم الموصلي فاستحسن طبعها، وقال: ليت شعري هذا السيف لمن يشحذ. وحظيت عند طاهر بن الحسين ثم غلبتها عليه جارية أخرى انقطع إليها مدة، ثم جاز بحجرهِ، سُكُون، فوثبت إليه وقبلت يديه وقال: الليلة أزورك، فتأهبت لذلك وتزينت وتعطرت، وأنسي طاهر فلم يأت إليها، فكتبت إليه:[٤] [الوافر]

ألايا أيُّها الملكُ الهُمَامُ ... لأمرِكَ طَاعةٌ ولَنَا ذِمَامُ

طَمِعْنَا في الزيارة والتَّلاقي ... فَلَمْ يَكُ غَيرُ عُذْرٍ والسَّلامُ

---

(١) في الأصل: (بنافع أصحابها).

(٢) في الأصل: (سكون) وفي الإماء الشواعر ص ٨٩ (سكن).

(٣) في الأصل الاسم محرف (كسحير)، وهو محمد بن الحارث بن بسخنر، أصله من الري كان نديماً للخلفاء وكانت له منزلة عند المأمون.

(الأغاني تنظر الفهارس والمختار من قطب السرور ص ٤٤٥، ٢٤٦، ٢٤٨ نهاية الأرب ٥/ ٤٢).

(٤) الشعر لسكون في الإماء الشواعر ص ٩٠.

فلما أتَتْهُ رقعتها حَرَّكَتْهُ وهاجَتْ دواعيه وأطربته، فقام إليها ودخل مسارعاً عليها [٢٨٧] فأقام عندها ثلاثاً، وأبرم لها حبله الذي كان أنكاثا، وعاد لها إلى ما كان عليه، وعلى مالم يزل لديه.

١٠٨- ومنهم- فُنُونُ جَارِيَةُ يَحْيَى بن مُعَاذ

وكانت كاتبة شاعرة، حلوة الوجه، والنادرة، بارعة في الغناء عزيزة لا تسام بالغلاء وهي القائلة:(١) [البسيط]

يا ذا الذي لام في تخريق قرطاسي ... كم مر مثلك في الدنيا على راسي
الحزم(٢) تخريقه إن كنت ذا أدب ... وإنما الحزم سوء الظن بالناس
إذا أتاك وقد أدى أمانته ... فاحفظ أساطيره عن كل وسواس
واشقق كتاب الذي تهواه معتمداً ... فرب مفتضح في حفظ قرطاس

١٠٩- ومنهم- صِرْف جَارِيَة أمِّ حُصَيْن(٣)

مولى جعفر بن سليمان، وكانت جارية مليحة وشاعرة فصيحة، ومغنية حسنة الوجه والغناء كأن الشمس من أخواتها والورق في لهواتها، من مولدات البصرة، ومتوكدات الحسرة، ولها في الغناء صنعة بديعة، ذكر الهاشمي منه هذا الصوت:(٤) [الطويل]

---

(١) الشعر لفنون جارية يحيى بن معاذ في الإماء الشواعر ص ٩٣ مع خلاف في بعض الألفاظ.

(٢) لعله: «ما الحزْمُ». [المراجع].

(٣) في الأصل: (صرح جارية ام حصين) وفي أبيات عبدالصمد بن المعذل الآتية (صرف) وفي الإماء الشواعر: (صرف جارية ابن خضير مولى جعفر بن سليمان).

(٤) الشعر لأبي الشيص الخزاعي في مجموع أشعاره ص ١٠٤ والإعجاز والإيجاز ص٥١ ودون نسبة في الإماء الشواعر ٩٧.

كــريم يغض الطرف فــرط حــيــائه ويــدنــو وأطــراف الــرمـــــاح دوان
وكـــالســيف إن لاينــتــه لان مــتنه وحـــداه إن خـــاشنتـــه خــشنان

ولحنه في خفيف الرمل.

وكتب إليها عبدالصمد بن المعذل:[١] [السريع]

حــبــوت صــرفــاً بــهــوى صــرف لأنــهــــا فــي غـــايــة الـظـرف
يا صــرف مــا تقـضين من عــاشق بكــاؤه يبـــدي الـذي يخـــفي

فكتبت إليه:[٢] [السريع]

لبـــيـك من داع أبـا قـــاسـم حــبــك يدنيـني من الحـــتف
صــرف التي تسقـيك صـرف الهـوى وخـــلــة جــلــت عـــن الـــوصــف

١١٠ - ومنهم- نَسِيْمُ جَارِيَةُ أَحْمد بن يُوسِف الكَاتِب[٣]

شاعرة مغنية، زاهرة عن الكواكب مغنية، مولَّدة مولِّدة لكل صبابة طبعت عليها [ص ٢٨٨] النفوس، وكأنه[٤] خلعت عليها فلا ينزع لها لبوس.

(١) الإماء الشواعر ص ٩٨ وليست في مجموع شعر عبدالصمد بن المعذل جمع زهير غازي زاهد ـ ط النجف ١٩٧٠.

(٢) الشعر في الإماء الشواعر ص ٦٨.

(٣) أحمد بن يوسف الكاتب: ابن القاسم بن صبيح العجلي بالولاء، وزير من كبار الكتاب من أهل الكوفة، ولي ديوان الرسائل للمأمون، ثم استوزره، كان فصيحاً قوي البديهة يقول الشعر الجيد له رسائل مدونة، توفي ببغداد سنة ٢١٣ هـ (معجم الأدباء ٢ / ١٦٠ تاريخ بغداد ٥ / ٢١٦ الوزراء والكتاب ص ٣٠٤ البداية والنهاية ١٠ / ٢٦٩ النجوم الزاهرة ٢ / ٢٠٦ أمراء البيان ١ / ٢١٨ ـ ٢٤٣).

(٤) في الأصل: (وكابه) ولم أجد لها معنى.

وهي القائلة في سيدها وقد مات:[1] [الطويل]

ولو أن حــيــاً هابه الموت قــبلـه | لما جــاءه أو جــاء وهو هيــوب
ولو أنَّ حــيــاً قــبله صــانه البلى | إذن لم يكن للأرض فــيــه نصــيب

وكذلك هي القائلة فيه:[2] [البسيط]

نفــسي فــداؤك لو بالناس كلهم | مــا بي عليك تمنوا أنهم مــاتوا
وللورى مــيــتــة في الدهر واحــدة | ولي من الهمِّ والأحــزان مــوتات

١١١- ومنهم-عَارِم جَارية وليهدة النخاس[3]

مُـولَّدةٌ من مُولَّدَاتِ البصرة، والمولِّدَاتِ في القلوب الحسرة، باعـهـا مولاها فابتاعها بعض الكتاب، وحلت منه محلاً لم يبلغه العتاب.

قال الخاركي[4] الشاعر: مرت بي عارم يوماً وأنا مخمور، فاستوقفتها وقلت لها:[5] [الرجز]

هَلْ لَكِ فـي أيـرٍ وأيْرُ مِــــثْلِي | ينهـضُ قُــدَّامِي وفَــوْقَ رِجْلِي
أدَقُّ عِــرقَــيْــهِ كــأيرِ بَغْلِ

(١) الشعر في الإماء الشواعر ص ١٠١ والمستظرف ص ٧٣. مع خلاف في الرواية.

(٢) الشعر لنسيم في الإماء الشواعر ص ١٠٢ وفيه (وللورى موته) والميتة: الحال من أحوال الموت، يقال: مات ميتة رضية.

(٣) في الإماء الشواعر: (جارية زلبهدة) ولم أقف على ترجمة له.

(٤) الخاركي اسمه عمرو، بصري أزدي، وكان أعور هجاءً ماجناً، والخاركي نسبة إلى جزيرة خاراك في الخليج العربي ينظر فيه: البرصان والعرجان للجاحظ ص ١٥٦ ـ ١٥٧ تحقيق عبدالسلام هارون ومعجم الشعراء ص ٣٢.

(٥) الرجز للخاركي في الإماء الشواعر ص ١٠٥ وبدون عزْوٍ في حلية المحاضرة ـ الحاتمي ٢/٢١٦ تحقيق جعفر الكتاني بغداد ١٩٧٩.

فضحكت ثم قالت:[1] [الرجز]

هَلْ لَكَ في أضَيَقِ من حِرِ أمِّكا   مُسْتَحْصِفٍ داخِلُهُ كَهمِّكا[2]
تموتُ إنْ أبصَرْتَه بِهَمِّكَا

١١٢- ومنهم- سَلْمَى اليَمَامِيَّة

جارية أبي عباد، وكانت فتنةً للنظر، ومحنة لمن بات من العشق على غرر، وهي القائلة: [3] [الكامل]

يا نازحاً شط المزار [به]   شوقي إليك يجل عن وصفي[4]
أسهرت عيني في تفرقنا   ما التذّ بعدك بالكرى طرفي
أغفي لكي ألقاك في حلمي   ومن الكبائر ثاكل تغفي

١١٣- ومنهم- مُرَاد جَارِيَة عليّ بن هِشَام[5]

مُولدةٌ مِنْ مولدات المدينة، صفراء كأنها الذهب، هيفاء كأنها مال بها الطرب، اشتراها علي بن هشام لما حج وكانت تقول الشعر في معاني فتوحه، وتداني به ما يهتز به [ص ٢٨٩] من مديحه، وغضبت عليه مرةً وهجرته،

---

(١) الرجز لعارم جارية وليهدة النخاس في الإماء الشواعر ص ١٠٦.

(٢) المستحصف: الضيق.

(٣) الشعر لسلمى اليمامية في الإماء الشواعر ص ١١٠.

(٤) في الأصل: (وطفي) وهو تحريف.

(٥) علي بن هشام: من أمراء المأمون وقواده، تولى حرب بابك الخرمي، ثم غضب عليه بسبب ما بلغه من ظلمه واغتصابه أموال الناس فأمر بقتله سنة ٢١٧ هـ.

(الطبري وابن الأثير حوادث سنة ٢١٧ والأغاني ٧/ ٣٢١ ـ ٣٢٦ في ترجمة متيم الهشامية).

وتعرض إلى ترضيها، فزجرته، فكتب إليها:(١) [الطويل]

لئن كان هذا منك حقاً فإنني ... مداوي الذي بيني وبينك بالهجر
ومنصرف عنك انصراف ابن حرةٍ ... طوى وده والطي أبقى على النشر

فكتبت إليه:(٢) [الطويل]

إذا كنت في رقي هوى وتملكٍ ... فلابد من صبرٍ على غصص الصبر
وإغضاء أجفانٍ طوين على قذى ... وإذعان مملوكٍ على الذل والقسر
فذلك خير من معاصاة مالك ... وصبر على الإعراض والصد والهجر

١١٤- ومنهم- مُتيَّمُ الهِشَامِيَّة(٣)

كانت تعبث بالشعر فإذا قالته تجيده، وقادته لا يأتي عليها شريده، وعلى أنه بحر لم تقع إلينا منه إلا فريده، قال لها المأمون أجيزي:(٤) [الطويل]

---

(١) في الأصل جاء بَيْتَا عليٍّ بن هشام في درج الكلام على أنه نثر
والبيتان في الإماء الشواعر ص ١١٣ ـ ر١١٤

(٢) الشعر لمراد جارية علي بن هشام في الإماء الشواعر ص ١١٤ مع خلاف في بعض الألفاظ.

(٣) في الأصل: (الهاشمية). وكذلك في المستظرف ص ٦٣ ط مصر وقد مرت في ص ١٥٠ جارية أخرى باسم (متيم الهاشمية) وهي غير هذه. متيم: مولاة لبانة بنت عبدالله بن إسماعيل المواكبي، شاعرة عارفة بالأدب، أحسنت صناعة الغناء، ولدت ونشأت وتأدبت في البصرة، واشتراها علي بن هشام أحد القواد في جيش المأمون، فنسبت إليه وولدت له، ولما مات عتقت، واتصلت بالمأمون العباسي فكان يبعث إليها كثيراً فتغنيه وتسامره، واختص بها المعتصم في خلافته فأشخصها معه إلى سامراء، فكانت إذا أرادت زيارة بغداد استأذنته فتقيم أياما وتعود، توفيت سنة ٢٢٤ هـ.
(الأغاني ٧/٣١٢ ـ ٣٢٦ الدر المنثور ص ٤٨٨ النويري ٥/٦٢).

(٤) الشعر في الإماء الشواعر ص ١٩٩ والأغاني ٧/٢٢٤ وفيه:
تعالي تَكُنِ الكتب بيني وبينكم.
ولم يرد البيت الثاني في الأغاني فيه بيت آخر.

تعـــالي يكـن للكـتـب بيني وبينكـم ... مـــلاحظة نُومي بهـــا ونشــــير
فـعندي من الكـتـب المشــومـة خـيـرة ... وعندي من شــؤم الرســول أمـــور

فقالت:(١) [الطويل]

جـعلت كــتـابي عـبـرة مـســتـهلة ... وفي الخـد من مـاء الجـفـون سطور

وهي القائلة:(٢) [السريع]

يـا مـــنـزلاً لـم تـبـل أطـلالـه ... حـاشـا لأطلالك أن تبلى

الأبيات، وفيه صنعة رمل على طريق النوح، وقد ذكر في أخبار المعتصم.

١١٥-سَمْرَاءُ وهِيْلانَة(٣)

شاعرتان فاخرتان، ومُوَلَّدتَانِ للقلوب مفسدتان، من مُوَلَّدَاتِ الحجاز، ومجددات الهوى الذي ماله حجاز، وكان يجمع لمعارضة الشعراء لهما أهل الآداب ووجوه الكتاب.

قال أبو الشبل البرجمي(٤) الشاعر: دخلت إلى سمراء فتحدثنا ساعة، ثم

---

(١) البيت لمتيم الهاشمية في الإماء الشواعر ص ١٢٠ ومعه بيت ثان هو:

رسلي بحاجاتي وهن كثيرة ... إلَيْكِ إشاراتٌ بها وزفير

(٢) البيت لمتيم الهاشمية من قطعة في الأغاني ٧ / ٣٢٠ ـ ٣٢١ والإماء الشواعر ص ١٢٠ ـ ر١٢٤

(٣) سمراء وهيلانة: مولدتان كانتا لرجلين من نخاسي بغداد، وكان الشعراء في أيام المعتصم وقبلها يدخلون عليهما يسمعون صوتهما ويقيمون عندهما، ويجتمع لذلك أهل الأدب والكتاب فينفقون عليهما. (الإماء الشواعر ص ١٢٥).

(٤) أبو الشبل: عاصم بن وهب البرجمي من أهل الكوفة،نشأ وتأدب بالبصرة، اختص بالمتوكل وكان من المعمرين توفي سنة ٢٣٥ هـ.

أنْشدْتَها بيتاً لأبي المستهل[1] في المعتصم: [2] [المتقارب]

أقــــام الإمـــــام منـار الهـــــدى وأخــــرس ناقـــوس عـــمــــوريه

ثم قلت لها اجيزي، فقالت: [3] [ص ٢٩٠] [المتقارب]

كـــســـاني المليك جـــلابيـــبــه ثيــابـاً عـــلاها بســـمــــوريه [4]

فــأعلى افــتـــخــاري بهـــا رتبــتي وأذكى ببــــهــــجـــتــــهـــا نوريه

ثم أكلنا عندها، وخرجت من عندها، فأتيت هيلانة فقالت: من أين يا أبا الشبل؟ فقلت: من عند سمراء، فقالت: قد علمت أنك تبتدئ بها، وكانت سمراء أجملهما، فقالت: وأعلمُ أنها لم تدعك حتى أكلتَ عندها، قلت: أجل، قالت: فهل لك في الشرب، قلت: نعم، فأحضرت شراباً، فشربت منه، ثم قالت: أخبرني بما جرى بينكما، فأخبرتها، قالت: هذه المسكينة كانت تجد البرد، واحتاجت إلى سمورية، فهلا قالت: [5] [المتقارب]

أضـــحَى به الدينُ مُـــسْـــتَـــبْـــشَـــراً وأَضْـــحَتْ زنادُ الهُـــدى [6] مـــوريَهْ

فقلت لها: أنت في كلامك أشعر منها في شعرها، وشعرك فوق شعراء أهل عصرك.

---

(١) أبو المستهل: عبدالله بن تميم بن حمزة الأسدي، شاعر روى شعر سلم الخاسر. (الأغاني ١٩ ـ ٢٨٨ ـ ٢٩٠).

(٢) البيت لأبي المستهل في الأغاني ١٤ / ١٩٨ والإماء الشواعر ص ١٢٦.

(٣) الشعر لسمراء الجارية في الإماء الشواعر ص ١٢٦ والأغاني ٤ / ١٩٨.

(٤) سمورية: نسبة إلى السمور وهو حيوان ثديي ليلي من آكلات اللحوم، يتخذ من جلده فرو ثمين، ويقطن حاليا شمالي آسية.

(٥) البيت لهيلانة الجارية في الأغاني ١٤ / ١٩٩ والإماء الشواعر من ١٢٧.

(٦) في الأصل: «الهوى» وهو خطأ من الناسخ فالكلام على الدّين والهدى. [المراجع].

١١٦- ومنهم- ظَلُوم جَارِيَة مُحَمَّد بن مُسْلِم

وكانت شاعرة ماهرة، وناشرة باهرة، وكاتبة قادرة، ومغنية محسنة، سريعة البادرة، كانت لأبي صالح محمد بن مسلم الكاتب، ثم باعها لبعض الكتاب، فاستفادت عنده طرائق الكتاب، واستزادت فوق ما يحتاج إليه في هذا الباب.

قال جعفر بن قدامة، حدثني احمد بن أبي طاهر: كان محمد بن مسلم لي صديقاً، وكان يقال له أبو الصالحات، فرأيت جاريته يوماً إلى جانبه وعلى رأسها كور منسوج بالذهب مكتوب عليه بخط أحسن من كتب:(١) [الطويل]

وإني على الود الذي قد عرفتمُ ... مقيم عليه لا أحول على العهد
وذلك أدنى طاعتي لمحبتي ... كأيسر ما أطفي به علة الوجد

فقلت لها: ما أملح هذا الشعر الذي على كورك، قالت: هو شعري أفتحب أن أغنيك به؟ قلت: أجل، فغنته أملح غناء، ثم اشتراها بعد ذلك فتى من الكُتَّاب.

١١٧- ومنهم- عَاذِلُ(٢) جَارِيةُ زينب بنت إبراهيم الهَاشِميَّة

من أحسن الناس شعراً وغناءً، وسناً وسناءً، إلى محيا وسيم، وقوام كما [ص ٢٩١] عبث بِغُصْنِ البان النسيم، ورقة معاطف كأنما تصبّب من قطراتها المدام، ولين بشرةٍ(٣) كأنما تصوَّبَ من خطراتها الغمام، وكان إبراهيم بن العباس الصولي بها سكران لا يفيق، ونشازاً لا يأنس إلى رفيق.

(١) البيتان في الإماء الشواعر ص ١٣١ - ١٣٢ لظلوم جارية محمد بن مسلم الكاتب.

(٢) في الأصل ومعجم الأدباء ١/ ٢٦٦ ط مرجليوث والوافي ٦/ ٢٤ - ٢٨ والمستظرف ص ٣١ اسمها: عاذل. وفي الأغاني (ترجمة إبراهيم بن العباس ١٠/ ٥٨ اسمها سامر، وفي معجم الأدباء ١/ ٧٥ اسمها: ساهر.

(٣) في الأصل: «نشرة». [المراجع].

قال ابن السخي: وكانت مولاتها زينب بنت إبراهيم أخت عبدالوهاب بن إبراهيم تقيِّن(١) عليها وتخرجها إلى الوجوه بِسُرُّ مَنْ رأى، وكانت كاملة في الظرف، وكان إبراهيم بن العباس(٢) ممن اخرجتها عليه، فمالت إليه وأصفته هواها، فلم يكدر له جوَّه، ولا تنكر له دَوَّه(٣) وامتنعت من جماعة كانوا يهوونها واحتجبت منهم حتى كأنهم ما كانوا يرونها، ثم إن إبراهيم علق غيرها جاريةً كانت للواثق أهداها إليه بعض ملوك الأتراك، فخرجت بعد وفاة الواثق حرة، وكانت ولدت منه بنتاً، فلما واصلها جفا ظلوم(٤) وظلمها في الوفاء، وأضرمها بنار لا تعاجل بالانطفاء، فلما رأت تكدره، وتَبَيَّنَتْ تغيره لها وتنكره، كتبت إليه(٥): [المنسرح]

[بالله] يا ناقض العهود بمن ... بعدك من أهل صبوتي أثق

وأسوأتا ما استحيت لي أبداً ... إن ذكر العاشقون من عشقوا

لا غرني كاتب له أدب ... ولا ظريف مهذب لبق

قال إبراهيم ابن الصولي: فلما قرأت الأبيات، أخذني مثل الجنون عليها، ثم هجرت الواثقية وأقبلت عليها، ولم نزل على مصافاةً ومواصلة حتى قطع الموت بيننا، وقرب حينُنا حينَنا.

---

(١) تقين: تزين العروس، قينت المرآة الفتاة زينتها، وقينت الماشطة العروس.

(٢) هو إبراهيم بن العباس الصولي، ابن أخت العباس بن الأحنف، تولى الكتابة للوزير الفضل بن سهل، توفي سنة ٢٤٣ هـ.

(الأغاني ١٠/٤٣ تاريخ بغداد ٦/١١٧ معجم الأدباء ١/٢٦٠-٢٧٧)

(٣) كذا في الأصل. والدو: المرض الباطن، ودوى فلان: أصَابَهَ الدوى وهلك بمرض باطن.

(٤) كذا في الأصل، وظلوم جارية محمد بن مسلم، ولعله يريد (عاذل) فأخطأ.

(٥) الشعر لعاذل في الإماء الشواعر ص ١٥٢ مع خلاف في الرواية ومعجم الأدباء ١/٧٦ وفي المستظرف جاء اسمها سامر وفيه زيادة بيت ص ٢٨ هو:

كنت بذاك اللسان محتملي ... دهراً ولم أدر أنه ملق

١١٨- ومنهم- رَيَّا وظَمْيَاء

مُولَّدَتَان يماميتان، هما الشمس وأختها، والخَطِيَّةُ وتحتَها غصن بانة، ومعطفا ريحانة، وغَزَالا سَرْبٍ، وقسيما شرب وقمرها له ومقلتها، ظبي أفلت من حباله.

حكى أحمد بن خلف قال: حدثني أحمد بن سهل وكان أحد كتاب صاعد، قال: سمعت الحسن بن مخلد يحدث، أن رجلاً نَخَّاساً من اليمامة قدم بجاريتين شاعرتين على المتوكل، فنظر إلى إحداهما فقال: ما اسمك؟ قالت: ريا، قال: أنت شاعرة؟ قالت: كذا زعم مالكي، قال: فقولي في مجلسنا شعراً ترتجلينه، وتذكرينني وتذكرين الفتح، فوقفت هنيهة ثم قالت:(١) [الطويل]

أقول وقد أبصرت صورة جعفر ... إمام الهدى والفتح ذا العز والفخر
أشمس الضحى أم شبهها وجه جعفر ... وبدر السماء الفتح أمْ شبهه البدر

[ص ٢٩٢]

فالتفت إلى الأخرى، ثم قال: وقولي أنت، فقالت(٢): [الطويل]

أقول وقد أبصرت طلعة جعفر ... تعالى الذي أعلاك يا سيد البشر
وأكمل نعماه بفتح نصيحةً ... فأنت لنا شمس وفتح هو القمر

فأمر أن تُشْتَرى الأولى وَتُرَدَّ الأخرى، فقالت المردودة: ولم رددتني يا مولاي؟ قال: لأن بوجهك نمشاً، فقالت:

لم يسلم الظبي على حسنه ... يوماً ولا البدر الذي يوصف
الظبي فيه خنس ظاهر ... والبدر فيه نكت تعرف

---

(١) الشعر لريا في الإماء الشواعر ص ١٥٥.

(٢) الشعر لظمياء في الإماء الشواعر ص ١٥٦.

فاشتراهما معاً، ولم يفرق لهما مجمعاً، إلى أن فرق بينهما الدهر المشتتُ، وبت(١) اجتماعهما صرفُ الزَّمانِ المُبَتِّتُ.

١١٩- ومنهم- بَنَان جَارِيَة المُتَوَكِّل

وكانت تخجل القمر بصفحتها، والغزال بلمحتها، والقضيب المتأود بقدها، والتفاح الجَنِّي بخدّها، وتغير القلائد بنظمها الذي لا يُحَلّيه(٢) إلا مبسمها، ولا يضاهية إلا الثريا لمن يتوسمها، لا تجيء عريب لها بأصبع من بنانٍ، ولا دنانير إلا مما لا يُدَّخَر للامتنان، ولا سابقة لا تلحق إلا وهي معها في طَيٍّ عنان.

قال الفضل بن العباس الهاشمي، حدثتني بنان الشاعرة المتوكلية قالت: خرج المتوكل يوماً يمشي في صحن القصر وهو يتوكأ على يدي ويد فضل الشاعرة فأنشد:(٣) [الطويل]

تعلَّمْتُ أسبابَ الرِّضَا خَوفَ هَجْرِها ... وعَلَّمَهَا حُبِّي لها كيفَ تَغْضَبُ

ثم قال لنا: أجيزا هذا البيت، فقالت فضل:(٤) [الطويل]

تَصُدُّ وأبدي بالمودَّةِ جاهداً ... وتبعُد عَنِّي بالوصال وأقربُ

وقلت أنا:(٥) [الطويل]

---

(١) بت: قطع، وبت الشيء بتاتاً: قطعه مستأصلاً، والمبتت: القاطع.

(٢) في الأصل: تحلّيه .[المراجع].

(٣) البيت في الأغاني ١٩/ ٣١٧ والإماء الشواعر ص ١٦٧ والمستظرف ص ٨، ونسب في خلاصة الذهب المسبوك ص ١٦٤ تحقيق مكي السيد جاسم ط بغداد للعباس بن الأحنف، وليس في ديوانه.

(٤) البيت لفضل الشاعرة في الأغاني ١٩/ ٣١٨ والإماء الشواعر ص ١٦٨ والمستظرف ص ٨.

(٥) البيتان لبنان جارية المتوكل في الأغاني ١٩/ ٣١٨ والإماء لشواعر ص ١٦٨ والمستظرف ص ٨.

وعِنْدِي له العُـتْبَى على كُلِّ حـالةٍ فَـمَـا عَنْهُ لي بُدٌّ ولا عَنْهُ مَـذْهَبُ

١٢٠- ومنهم- رَيَّا جَارِيَةُ إسْحَاقُ [المَوْصِلي]

وكانت مولدة ربيت باليمامة، وتربت على غناء أشجى من تغريد اليمامة، وكانت صفراء كأنما [ص ٢٩٣] تجر معصفرات الجلابيب، أو تُكسى مصفرات الذهب الصبيب[١]، هذا إلى حلاوة تؤكل بالعيون، وحسن لا يقضى منه عدات الديون، وكانت شاعرة لو فاوضت النساء أو أوجبت عليهن الفخر[٢]، أو باكت الخنساء لما كانت لها عينان تجري على صخر، وطالما تمناها مُتيمٌ لو أن الأيام ساعدت، وظل لا يزيد على ان يقول:[٢] [الطويل]

حَنَنْتَ إلى ريَّاً ونَفْسُكَ باعَدَتْ

حكى حماد بن إسحاق الموصلي قال: اشتراها أبي لما حج، وكان يحبها ويستحليها وهي التي تقول فيه:[٣] [مجزوء الخفيف]

يا لـذيذَ المعانَقَهْ يا كثيرَ المُفَارَقَةْ
جُزْتَ يا مُنْتَهى المُنَى فيَّ حَدَّ المُوافَقَهْ
وأنَا دَوْنَ مَنْ تَرى لك واللَّهِ عَاشِقَهْ

قال حماد: وفيه لحن من الرمل لبعض جوارينا، إما صيد وإما دمن وكانت قد أخذت عنهما الغناء وسرقته من إسحاق.

---

(١) الصبيب: ما ينصب، أي المسبوك.

(٢) كذا في الأصل، والكلام يقتضي أن تكون العبارة: «لأوجبت عليهن الفخر». [المراجع].

(٣) الشطر من قطعة للصمة بن عبدالله القشيري في الحماسة ـ لأبي تمام ٢ / ٣ وتمام البيت:

حننت إلى ريا ونفسك باعدت مزارك من ريا وشعباكما معا.

(٤) الشعر لريا جارية إسحاق الموصلي في الإماء الشواعر ص ١٧١.

١٢١- ومنهم- مَحْبُوبَة جَارِيَةُ المُتَوكِّل[١]

وكانت ضرة الشمس، ومسرة النفس، قيد كل ناظر، وأمنية كل خاطر، لو حدرت في الليل قناعها لابيضت غرابيبه،[٢] واتَّقَدَتْ بطلائع الصباح جلابيبه، أحسن من الريم سالفة وحدقاً، وأكثر من الأغصان أعطافاً ومعتنقاً، هذا إلى صفاءٍ فيه لا تناول[٣]، وصفاء لا يقاس به الشمول، وإجادة في الشعر لا يعرف لذات خمارٍ، ولا يعد للأخيلية[٤] معها إلا ما يُحكى في أكاذيب الأسمار، تَنْحَطُّ عنها رتبةً عَلَيَّة[٥] أخت إبراهيم، وترد عنان وقد أصبحت حدائقها كالصريم.

قال أبو الفرج في كتاب الإماء[٦]: كانت مولدة شاعرة مغنية متقدمة في الحالين على طبقتها، وكانت حسنة الوجه والغناء، أهداها عبدالله بن طاهر للمتوكل في جملة أربع مئة فيهن قيان وسواذج[٧]، فتقدمتهن جميعاً عنده،

---

(١) في الأصل سقط العنوان ومكانه بياض

محبوبة: جارية شاعرة ملحنة موسيقية من مولدات البصرة، كانت لرجل من أهل الطائف أدَّبها وعلمها، وأُهْدِيَتْ للمتوكل العباسي لما ولي الخلافة سنة ٢٣٢ هـ، فحلت من قلبه محلاً جليلاً، واشتهرت بأخبارها في مجالسه، ولما قتل سنة ٢٤٧ هـ صار كثير من جواريه إلى وصيف وهو مملوك تركي، وبينهن محبوب، فأمرها يوماً أن تغني، فأنشدت أبياتاً في رثاء المتوكل فغضب وصيف وأمَرَ بسجنها، فَسُجِنَتْ، وكان آخر العهد بها، وفيه استوهبها منه بغا ـ وهو مملوك تركي ـ فوهبها له فأعتقها وأمر بإخراجها من سامراء، فخرجت إلى بغداد، فأخملت ذكرها وانزوت إلى أن توفيت سنة ٢٤٧ هـ. (الأغاني ١١/ ٢٠٢ ـ ٢٠٦ أعلام النساء ص ١٤٢٠ المسعودي ٧/ ٢٨١ ـ ٢٨٧ ط باريس، الأعلام ٥/ ٢٨٣).

(٢) الغربيب: الشديد السواد، وغرابيب الليل: شدة ظلامه.

(٣) «إلى صفاء فيه لاتناول» شديدة التحريف، هكذا. واقرأ بعدهاك«وصفاء لاتقاس...» والشمولك الخمر. [المراجع].

(٤) الأخيلية: هي ليلى الأخيلية الشاعرة صاحبة توبة الحميري.

(٥) علية: هي علية بنت المهدي.

(٦) الإماء الشواعر ص ١٥٩، والمستظرف من أخبار الجواري ـ السيوطي ص ٦٥ر

(٧) السواذج: الجواري اللواتي لم يدربن على الغناء والطرب.

ولما قتل صارت إلى وصيف (١)، فلزمت النسك حزناً ووفاءً للمتوكل، حتى أراد وصيف قتلها، فاستوهبها منه بغا (٢)، فأعطاه إيَّاها فأعتقها [ص ٢٩٤]، وقال: أقيمي حيث شئت، فانحدرت عن سر من رأى إلى بغداد وأخملت نفسها إلى أن ماتت.

قال: وحدثني جعفر بن قدامة عن عليٍّ بن الجهم قال: كنت يوماً بحضرة المتوكل وهو يشرب ونحن بين يديه، إذ دفع إلى محبوبة تفاحة مغلفة بغالية(٣)، فقبلتها وانصرفت عن حضرته إلى مجلسها، ثم خرجت جارية لها ومعها رقعة، فدفعتها إلى المتوكل، فقرأها وضحك ضحكاً شديداً، ثم رمى بالرقعة إلينا، فإذا فيها:(٤) [المنسرح]

يا طيبَ تُفَّاحةٍ خَلوتُ بها ... تُشْعِلُ نارَ الهوى على كَبِدي
أبكي إليها وأشتكي دَنَفي ... وما أُلاقي من شِدَّةِ الكَمَدِ
لو أنَّ تفاحةً بكتْ لَبَكتْ ... من رحمةٍ هذه التي بيدي
إنْ كنتِ لا تعلمينَ ما لَقِيتْ ... نفسي فَمِصْدَاقُ ذاكَ في جسدي
وانْ تأمَّلْتِهِ علمت بأن ... ليسَ لخَلْقٍ عليه من جَلَدِ

قال: فما [بقي] أحد والله إلا استظرفها واسْتَمْلَحَ الأبيات، وتقدم المتوكل إلى عريب وشارية(٥) أن يصنعا في الأبيات لحناً، فصنعتا الحنين وغنتا بهما.

---

(١) وصيف: مملوك تركي من القواد.

(٢) بغا: مملوك تركي من القواد.

(٣) الغالية: أخلاط من الطيب.

(٤) الشعر في الإماء الشواعر ص ١٦٠ والأبيات عدا الأخير في الأغاني ٢٢ / ٢٠٤، والأبيات في المستظرف ص ٦٥.

(٥) عريب وشارية: جاريتان مغنيتان، سبقت ترجمتهما.

وحدثني جعفر بن قدامة قال، حدثني علي بن يحيى المنجم قال، قال المتوكل لابن الجهم وكان يأنس به ولا يكتمه شيئاً: يا عليُّ إني دخلت على قبيحة الساعة فوجدتها قد كتبت اسمي على بياض ذلك الخد، فقل في هذا شيئاً، وكانت محبوبة جالسة من وراء الستارة تسمع فسبقت علينا على البديهة، وقالت:(١) [الطويل]

وكاتبةٍ بالمِسْكِ في الخَدِّ جَعْفرا ... بنفسي مَخَطُّ المِسْكِ من حيث أثرَا
لَئِنْ كتَبَتْ في الخَدِّ سَطْراً بِكَفِّها ... لقد كتبتْ بالقلب في الحُبِّ أسطرا(٢)
فيا مَنْ لِمَمْلوكٍ لِمُلكِ يَمينه ... مُطيعٌ لَهُ فيما أسَرَّ وأظْهَرَا
ويا مَنْ مُنَاهَا في المنِيَّةِ جعفرٌ ... سقى اللَّهُ عَهْداً من ثناياك جَعْفَرا(٣)

أنشدتها للمتوكل، فبقي علي بن الجهم واجماً لا ينطق بحرف، وغنت عريب بهذه الأبيات.

وحدثني جعفر قال، حدثني علي بن يحيى [المنجم]: أن جواري المتوكل تفرقن بعد قتله، فصار لوصيف عدة فيهن محبوبة، فاصطبح وأمر بإحضار الجارية والجواري [ص ٢٩٥] فأحضرن وعليهن أصنافُ الثياب والحلي متزينات متعطرات، سوى محبوبة، فإنها جاءت شعثاء مُتسلبة(٤)، عليها ثياب بيض(٥)، فغنين وطربن وشرب وصيف وطرب، ثم قال لمحبوبة: غني، فغنت على العود:(٦)

(١) الشعر لمحبوبة جارية المتوكل في الإماء الشواعر ص ١٦١ والأغاني ٢٢/٢٠٣ والمستظرف ص ٦٦ مع اختلاف يسير في الرواية.

(٢) في الإماء الشواعر والأغاني والمستظرف: (لقد أودعت قلبي من الحب أسطرا).

(٣) في الإماء الشواعر والأغاني والمستظرف: (لسقى الله من ثناياك جعفرا).

(٤) متسلبة: أي لبست السلاب وهو ثوب أسود تلبسه المرأة في الحداد.

(٥) ثياب بيض: لباس الحزن عند العباسيين البياض.

(٦) الشعر في الإماء الشواعر ص ١٦١ ـ ١٦٢ والأغاني ٢٢/٢٠٤ ـ ٢٠٥ والمستظرف ص ٦٧.

[مجزوء الخفيف]

أيُّ عـيـشٍ يـطـيـبُ لـي ... لا أرى فـيـه جـعـفـرا
مَـلـكـاً قَـدْ رأتْـهُ عَـيْـنـي صـريـعـاً مُـعَـفَّـرا
كُـلُّ مَـنْ كـان ذا سَـقَـا ... مٍ وحُـزْنٍ فـقـد بَـرَا
غـيـرَ مـحـبـوبةَ التي ... لـو تـرى الموتَ يُـشْـتـرى
لاشـتـرَتْـهُ بما حَـوتْـ ... ـه جـمـيـعـاً لِتُـقْـبَـرا

فاشتد ذلك على وصيف وهم بقتلها، فاستوهبها منه بغا، فأعتقها وأطلقها حيث أحبت، فلم تزل متسلبة حتى ماتت.

وحدثني جعفر قال، قال علي بن يحيى بن الجهم قال: غاضب المتوكل محبوبة فاشتد عليه بعدها، ثم جئته يوماً فحدثني أنه رأى في النوم أنها صالحته، ودعا له بخادم فقال له: اذهب فاعرف لي خبرها، فمضى وعاد فأعلمه أنها جالسة تغني، فقال: ما ترى إلى هذه؟ أنا غضبان عليها وهي تغني، ثم قال: قم معي حتى نسمع ما تغني به، فقمنا حتى انتهينا إلى حجرتها، فإذا هي تغني:(١) [مُخَلَّع البسيط]

أدورُ في القَـصْـرِ لا أرى أحـداً ... أشكـو إليـه مـا يُكَلِّمُني
حـتَّى كـأنِّي أتيتُ مـعـصـيـةً ... ليـست لهـا توبةٌ تُخَلِّصُني
فـهل لـنا شـافعٌ إلى مـلكٍ ... قـد زارني في الكرى فـصـالحَني
حـتى إذا مـا الصـبـاحُ لاحَ لنا ... عـادَ إلى الهـجـرِ فـصـارَمَني

قال: وطرب المتوكل فأحَسَّتْ به، فخرجت إليه وخرجنا نتبادر، فأعلمته أنها رأته في النوم قد صالحها، وأنها صالحته في النوم، وقد صنعت تلك الأبيات وغنت

(١) الشعر لمحبوبة جارية المتوكل في الإماء الشواعر ص ١٦٢ والأغاني ٢٢/ ٢٠٦. والمستظرف ص ٦٧.

فيها، وحَدَّثَها بما رأى، فتعجبا جميعاً ، واصطلحا، وأقاما يشربان يومهما.

١٢٢- ومنهم- أمَل جَارِيَة قَرِيْن النَّخَّاس

أخذت من الأقمار غرتها ولزَّتْ[١] بالشمس فكانت ضرتها، جاءت في غرة الشباب [ص ٢٩٦] وجالت من الحسن[في][٢] جلباب، وأصبحت تترشقها النظرات، وتتشوقها في أوراقها النضرات، لو بدت للأيام لجلت بكرها الوضاح، أو للبدر لتستتر بالغمام خشية الافتضاح.

وحكى أبو حفص الشطرنجي قال؛ قال لي صالح بن الرشيد[٣]: إن لقرين النخاس جارية شاعرة، فاعترضها وعرفني خبرها، فدخلت إلى قرين فأخرج إليّ جارية حسنة طريفة حلوة المنطق، فقلت: ما اسمك؟ قالت: شيء إذا بلغته نلت المنتهى، قلت: إذاً أمل، فضحكت، فقلت: يقول لك الأمين:[٤] [مجزوء الكامل]

أسَلُ المهيمنَ خالقَ الـ ــخلقِ الكثير ورازقَهْ
أنْ لا أموتَ بغُصَّتي يوماً وأنت مفارِقَهْ

فأخذت دَرجاً وكتبت:[٥] [مجزوء الكامل]

لا بلْ أراكِ وأنتِ لي مملوكةٌ ومعانِقَةْ

---

(١) لعل الكلمة لزت: أي الصقت وقورنت.

(٢) زيادة تفيد المعنى.[المراجع].

(٣) صالح بن الرشيد: هو صالح بن هارون الرشيد كان أديباً يقول الشعر، ولاه أخوه المأمون البصرة. (الطبري وابن الأثير حوادث سنة ٢٠٩ كتاب بغداد ١٧٤ ـ ١٧٨ الوافي ٢٧٣/١٦ ـ ٢٧٤).

(٤) الشعر في الإماء الشواعر ص ١٧٥ ـ ١٧٦.

(٥) الشعر لأمل جارية قرين النخاس في الإماء الشواعر ص ١٧٦.

لـــدنـــوتُ مـــنـــكِ ولـــو عـــلـــو ت إلى الجـــبـــالِ الشـــاهقَـــهْ
ولـهـــــأن عـنـدي قـــــولُ ســــا عِ نـاطـقٍ أو نـاطـقَـــــــــهْ
هل [غـــيـــر] قـــولِهُمُ جـــمـــيـ ـعـــاً فـــاسقٌ أو فـــاســـقَـــةْ
وكـــــذاكَ نـحـن فـكـان مـــــا ذا عـــاشِقٌ مع عـــاشِـــقَـــهْ

وقالت: ادفع هذا الجواب إلى الأمين، فأتيته بخبرها وجوابها فَسُرَّ بِهِ وأمر بابتياعها.

١٢٣-ومنهم- رَابِعَة جَارِيَة إِسْحَاق بن إبراهيم الموْصِليّ(١)

غراء تستنير الأيام بصنعها، فرعاء تستديم الليالي بفرعها، جيداء لا تلتفت إلى الغزال، غيداء لا تصلح إلا للأغزال، أجلب للعلَّةِ من السَّقَمِ، وأجلى من النعم المجلية لآثار النقم، مع سهم ضاربٍ في الشعر والغناء، وخلائق تسام فيها بالعلاء.

قال الأصفهاني: كان يقال إنها أخت مخارق(٢)، ويقال: كانت صاحبته نَشَأ(٣) في موضع واحد، شاعرة مولدة.

(١) في الأصل: (اسحاق بن إبراهيم الموصلي) وفي الإماء الشواعر ص ١٨٩ (إسحاق بن إبراهيم بن مصعب) وهذا غير إسحاق المغني. وإسحاق بن إبراهيم بن مصعب الخزاعي: هو ابن عم طاهر بن الحسين، ولي الشرطة ببغداد من أيام المأمون إلى أيام المتوكل توفي سنة ٢٣٦ هـ.
(الطبري حوادث سنة ٢١٦ ـ ٢٣٦ رسوم دار الخلافة ص ٢٠، ٢٧٣ الديارات ص ١٢٣ ـ ١٢٤ الوافي ٨/٣٩٧ ـ ٣٩٨).

(٢) مخارق: مخارق بن يحيى الجزار، كان مملوكاً لعاتكة بنت شهدة بالكوفة، كان مغنياً بارعاً، اتصل بالرشيد والمأمون، وتوفي بسر من رأى سنة ٢٣١ هـ اخباره في الأغاني ينظر فهرسه.

(٣) في الأصل: (كانت صاحبتها نشأتا) وهو وهم فمخارق رجل.

وقال: أخبرني جعفر بن قدامة، قال: أنشدني عبدالله بن طاهر لرابعة:(١) [ص ٢٩٧] [مجزوء الكامل]

قلْ للأمـــيـــر المصـــعـــبيِّ ... أخـــي المـــكـــارمِ والمِـــنَـــنْ
والمشـــتـــري الحـــمـــدَ الرفـــيـ ... ـــعَ بما يجـلُّ من الثَـــمَـنْ
[أدرِ] المـــدامـــةَ بـكـرةً ... واشـــربْ على الوجـهِ الحـسنْ(٢)
واغْنَـمْ سُـــرورَك عـــاجـــلاً ... مـن قـــبـل أحـــداثِ الَّزمَـنْ
إنْ لـــم تـــكُـــنْ فَـــطِـــنـــاً لَمـا ... قـــد قُلْتُ من هذا فَـــمَـنْ؟
عـــيشُ الفـــتى شُـــرْبُ المُدَا ... مِ وتَـرْكِ ذاكَ مـن الـغَـبِـنْ

وكتب بها إلى إسحاق، فقال: لعمري إن ترك ما أشارت يغبن، واصطبح به أياماً معها وغنت.

١٢٤-ومنهم- قَاسِم جَارِيَة ابنِ طَرْخَان

ربيبة حجرٍ وحبيبة قلب لا تروع بالهجر، لو أشارت إلى القمر المخسوف لانجلى، أو الشمس في الكسوف لأبرزتها تجتلى، ما خطرت والمسك مُكَتَّمٌ إلا فاح، ولاسفرت إلا رأيت صفحات الصفاح، ولا نظرت إلا ذكت اللواعج، وأذكرت بالحنين إلى أوطانها النواعج.

قال الأصفهاني، حكى يزيد بن محمد المهلبي عن إسحاق قال:

دخل العباس بن الأحنف على قاسم جارية ابن طرخان، وكانت شاعرة

(١) الشعر لرابعة في الإماء الشواعر ص ١٨٩ ـ ١٩٠.

(٢) في الأصل: (إذا المدامة) ولا معنى له.

مغنية، فقال لها: أجيزي هذا البيت:(١) [الكامل]

أهْدَى لَهُ أحْبَابُهُ أُتْرُجَّةً فَبَكى وأشفقَ من عيافةِ زاجرِ

فقالت بديهاً:(٢) [الكامل]

مُتَطَيِّراً لما أتَتْهُ لأنَّها لونانِ باطِنُهَا مخالفُ ظاهرُ

١٢٥-ومنهم- مَهَا جَارِيَة عَرِيْب

وكانت جارية تسفر كالقمر الطالع، وتظهر كالنجم ما فيه أمل لطالع، تحلي العقد الرائع، وتحكي الظبي الراتع، تربية مثل عريب وهل تلك، ومن جواريها الحسان ردة في سلك، وكانت تجيد الشعر وتغني، وتزيد أمنية المتمني.

قال أبو الفرج الأصفهاني، قال سراج المالكي: كنت أهوى جارية لعريب يقال لها مها، فكانت في غنائها أديبة شاعرة، فكان سبب عشقي لها أدبها وغناءها، وتعرضتها وقتاً [ص ٢٩٨] وكتبت لها بيتاً قلته:(٣) [البسيط]

كَيْفَ احتِيَالي بِنَفْسِي أنْتِ يا أمَلِي في زَوْرَةٍ مِنْكِ قَبْلَ الموتِ تُحْيِيْنِي(٤)

فوقعت في ظهرها:(٥) [البسيط]

أنفِدْ صِحَاحَكَ إنَّ الشِّعرَ مَفْسَدَةٌ بضِاعَةُ الشِّعرِ مِنْ نَقْدِ المجانِيْنِ

فبعت ضيعة لي بثلاثين ألف درهم، وأنفقتها عليها

(١) الإماء الشواعر ص ١٩٧، المستظرف من أخبار الجواري ص ٥٦.

(٢) البيت لقاسم جارية ابن طرخان في الإماء الشواعر ص ١٩٧، والمستظرف ص ٥٦.

(٣) البيت لسراج المالكي في الإماء الشواعر ص ٢٠٧.

(٤) في الأصل: (قبل النوم) ولا معنى له.

(٥) البيت لمها جارية عريب في الإماء الشواعر ص ٢٠٧ وفيه: (من نقد المفاليس).

١٢٦- ومنهم- بَدْعَة[١] الكُبْرَى جَارِيَة عَرِيْب

وكانت بديعة في الجمال، ونبعة للآمال، إلى صنعة غريبة، ولفتات للظنون مريبة، وحركات من حركات عريب قريبة، حتى لأصبحت بها تشبه المحسنات، وتنبه اللواحظ الوسنات، قام بها الحسن أتم القيام، وجلاها في صفة التمام.

قال الأصفهاني: كانت أحسن أهل دهرها وجهاً وغناءً، وقد ذَكَرْتُ من أخبارها في كتاب القيان، وكانت تقول شعراً ليس هو بمستحسن من مثلها[٢]، وكان إسحاق التغلبي[٣] يهواها، وخبره معها مشهور، فلم تفكر فيه حتى التقيا بحضرة المعتصم، ثم عرفت مقداره وواصلته وزارته، فحدثني عَرَفَةُ وكيلُها قال: لما رأى إسحاق بن أيوب بدعة، وسمع غناءها زاد عشقه بها ومالت إليه، بعد انحراف ونفار وبغض له، وكانت تبعث[٤] بالشعر فكتبت إليه:[٥] [الخفيف]

كَيفَ أصبحتَ سيدي وأميري عشتَ في [ظل] نعمة وحبورِ[٦]
عَلِمَ اللّهُ كيفَ كانَ اغتباطي ونعيمي وبهجتي وسروري
بلقاءِ الأميرِ لاعَدِمَتْ نَفْـ ـسي وعيني لقاءَهُ من أميرِ

(١) في الأصل: (بديعة) وفيما يلي ذكرها بـ(بدعة) وكذلك في المصادر التي ذكرتها.

(٢) في الإماء الشواعر: (شعراً لينا يستحسن من مثلها).

(٣) إسحاق بن أيوب التغلبي من عدي ربيعة، أمير من القادة ولي الموصل سنة ٢٦٠ هـ ثم صار أميراً على ديار ربيعة في زمن المعتضد، وتوفي سنة ٢٨٧ هـ. (الطبري وابن الأثير حوادث سنة ٢٨٧ هـ).

(٤) في الأصل (تبعث) ولعل الصواب (تعبث) بالشعر.

(٥) الشعر لبدعة جارية عريبة في الإماء الشواعر ص ٢٠٢ والمستظرف في أخبار الجواري ـ السيوطي ص ١٠.

(٦) في الأصل: (عشت في نعمة وحبور) (ظل) ساقطة وفي الإماء (كل).

فلما أوصلتها [إليه] سُرَّ بها سروراً [شديداً]، وخلع عليَّ خلعة نفيسة من ثيابه، ووصلني بثلاث مئة دينار، وبعث معي بهدايا إليها فيها ألف دينار مُسَّيفَة(١) قد أطبقت دينارين دينارين على غالية(٢) ودرج كبير من ذهب مملوء مسْكاً وعنبراً ونِدًّا(٣)، ومئة ثوب من ألوان الثياب وفاخرها وكتب إليها: (٤) [الخفيف]

أنا في نعمـــةٍ بقُـــربْكِ تفـــديـ ـــكِ حيـاتي من مُـفْظعـاتِ الأمـورِ
بلغت مـهـجـتي بقـربكِ منِّي أمـلـي كلَّـهُ وتَـمَّ سُـــــروري
[ص ٢٩٩] وصلَ اللَّهُ ذاكَ مـا عِـشْـ ـــنا وأبقـــاكِ لي بقـــاءَ الدُّهورِ(٥)

وحدثني عرفة قال: لما قدم المعتضد من حرب وصيف(٦) دخلت عليه بدعة فقالت: يا مولاي شَيَّبَتْكَ واللَّهِ هذه السفرةُ، فقال: دون ما كنت فيه يشيب، فقالت:(٧) [الخفيف]

إنْ تَكُ شِـــبْتَ يا مليكَ البـــرايا لأمـــورٍ عـــانيـــتُـــهـــا وخطوبِ
فلقَـــدْ زادكَ المشـــيبُ جَـمـــالاً فـالمشـيبُ البـادي كـمـال الأديبِ
فـابقَ أضـعـافَ مـا مـضى لك في عِـزْ زٍ ومُلْكٍ وخِـــفْضِ عـــيشٍ رطيبِ

فطرب المعتضد لها وخلع عليها، وقال لها يوماً: يا بدعة أما ترين الشيب

(١) المسيف: الدراهم أو الدنانير التي جوانبها نقية من النقش.
(٢) الغالية: أخلاط من الطيب.
(٣) الند: ضرب من الطيب يتبخر به.
(٤) الشعر لإسحاق التغلبي في الإماء الشواعر ص ٢٠٢ والمستظرف ص ١٠.
(٥) البيت مضطرب من الأصل. [المراجع].
(٦) وصيف: مملوك محمد بن أبي الساج، طمع في إقامة دولة في البلاد المتاخمة لبلاد الروم، فسار إليه المعتضد وحاربه وأسره. (الطبري ومروج الذهب حوادث سنة ٢٨٧ ـ ٢٨٨ والوافي ٧/ ٩٩).
(٧) الشعر لبدعة في الإماء الشواعر ص ٢٠٣ والمستظرف ص ١٠.

كيف اشتعل في لحيتي ورأسي؟ فقالت: يا سيدي عمرك الله حتى ترى أولادك وقد شابوا، فأنت والله في الشيب أحسن من القمر، وفكرت طويلاً ثم قالت هذه الأبيات، وغنت بها:(١) [مجزوء المجتث]

مـا ضَـرَّكَ الشَّـيْبُ شـيـئـاً ... بل زِدْتَ فـيـهِ جـمـالا
قـد هـذَّبـتكَ الـلـيـالي ... وزِدْتَ فِـيـهِ كـمـالا
فَـعِـشْ لنا في سـرورٍ ... وأنعمْ بعـيـشكَ بـالا
تـزيُـد فـي كُـلِّ يـومٍ ... ولـيـلـةٍ إقْـبـالا
في نعـمـةٍ وسُـرورٍ ... ودْولـةٍ تَـتَـعـالى

فوصلها بصلة سنية، من ثياب ومال وطيب كثير

١٢٧- ومنهم-مَثَل جَارِيَةُ إِبْرَاهيم بن المُدَبِّر

جارية طالما غنت فأطربت، وسميت مثلاً وما ضربت، طلبت الشعر وخاضت لجج البحور، وأضاءت منه بالدرر في النحور، فاقت في الجواري، وفاتت المُجاري، وشغفت سيدها، وشغلت بضرب العود يدها، حتى عدت الأضراب، وعَدّت في التراب الأتراب.

ذكرها صاحب كتاب الإماء وقال الأصفهاني، حدثني جعفر بن قدامة، قال، حدثني إبراهيم بن المدبر، قال: اشتريت جارية شاعرة مدنية يقال لها مثل، وقد تعالت سني وكبرت، فلما كان الليل خلوت بها، فأردتها فلم تنهضني الشهوة، فخجلت منها فقلت لها: [ص ٣٠٠](٢) [البسيط]

(١) المستظرف في أخبار الجواري ص ٩ ـ ١٠.

(٢) البيت للقطامي في ديوانه ص ٢٥ والإماء الشواعر ص ٧٩ و الأغاني ٢٤/ ٢٦.

قَـدْ يُدْرِكُ المتَـأنِّي بعضَ حَـاجَـتِـهِ   وقَـدْ يكونُ مع المُسْـتَـعْـجِلِ الزَّلَلُ

فقالت مجيبةً غير متوقفة بديهاً:(١)

وَرُبَّمَـا فـاتَ بعضُ القـومِ آمـرَهُم   مع التَـأنِّي وكلٌّ الحـزمِ لو عَـجِلوا

فازداد والله خجلي، ثم علمت أن فيها ما في المدنيات من الشبق وأنا عاجز(٢) عن بلوغ رجائها، فبعتها كارها غير راض.

١٢٨-ومنهم-[نَبْت جَارِيَة مَخْفِرانَة](٣)

جارية يجور قدها المعتدل، ويجوز الوهم به على المعتقل، يستنطق ألحاظها الجمود، ويشق نظرها القلوب قبل الجلود، يقل قضيباً في نقا، وتقل صبر أهل التقى، البدر تحت خمارها إلا أنه غير جانح، واللهب في وجناتها إلا أنه بين الجوانح علقت المستوفز لسماعها، وحطت رجال الركائب للإقامة بعد إزماعها، بحسن غناء ما أوتيته جارية، ولا وعته أذن إلا وأنهلت الدموع جارية.

قال الأصفهاني: كانت مغنية محسنة، وأخبرني جعفر بن قدامة قال، حدثني أحمد بن أبي طاهر قال: دخلت على نَبْت يوماً، وكانت حسنة الوجه والغناء،

(١) البيت لأعرابي في الأغاني ٢٤ / ٢٦ وقد تمثلت به مثل في الإماء الشواعر ص ١٧٩.

(٢) في الأصل: (وإن عجزا عن بلوغ) ولا يستقيم بها المعنى.

(٣) في الأصل الاسم ساقط ومكانه بياض، والتتمة مما ورد في سياق النص والإماء الشواعر ص ١٨٣.
وفي المستظرف من أخبار الجواري ص ٧١ :نبت جارية المعتمد على الله.
والمعتمد على الله: هو أبو العباس أحمد بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد ولي الخلافة بعد قتل المهتدي بالله بن الواثق سنة ٢٥٦ هـ، وتوفي المعتمد سنة ٢٧٦ هـ (تاريخ الخلفاء ص ٣٦٣ ـ ٣٦٨).

فقلت :(١) [البسيط]

يا نَبْتُ حُسْنُكِ يُغْني بهجةَ القَمَرِ

فقالت :

قَدْ كَاد(٢) حُسْنُكَ أن يَبْتَزَّني بَصَري

ووقفت أنا فسبقتني هي فقالت :(٣) [البسيط]

وَطَيْبُ نَشْرُكِ مثلُ المسكِ قَدْ نَسَمَتْ ... رَيَّا الرِّياضِ عليه في دُجَى السَّحَرِ

فثبط طبعي فقالت : [البسيط]

فَهَلْ لَنَا مِنْكِ حَظٌّ في مُواصَلَةٍ ... أو لا فإني راضٍ منك بالنَّظَرِ

فقمت من عندها محتشماً من انقطاعي عن مساجلتها، ثم عرضت ذلك على المعتمد فاشتراها فامتحنها في الكتابة والغناء فأرضته، وكان أول صوت غنته شعر عريب وصنعتها لعريب في المعتمد وهو :(٤) [الكامل]

سَنَةٌ وشَهْرٌ قَابِلٌ بسعودِ

وقد مضت الأبيات في أخبار عريب فأغنت عن إعادتها، فطرب المعتمد، وتبرك بما استفتحت [ص ٣٠١] به، ثم قال لابن حمدون(٥) : قارضها بشعر،

---

(١) الإماء الشواعر ص ١٨٣، والمستظرف ص ٧٢.

(٢) في الأصل :« كان » .[المراجع].

(٣) البيت لنبت جارية مخفرانة في الإماء الشواعر ص ١٨٣ والمستظرف ص ٧٢.

(٤) الشعر لعريب من قطعة في الإماء لشواعر ص ١٨٤ وتمامه :

سنة وشهر قابل بسعود ... وجه الخليفة إنَّهُ لسعيد

(٥) ابن حمدون : هو أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل، لغوي إخباري، أستاذ ثعلب، كان مختصاً بالمتوكل ثم نفاه، له مصنفات في الشعر والنسب والجغرافية توفي سنة ٢٦٤ هـ.

(معجم الأدباء ١ / ٣٦٥ ـ ٣٧٢ الوافي ٦ / ٢٠٩ ـ ٢١١ الفهرست من ١٦١).

فقال:[1] [مجزوء الرجز]

وهبتُ نَفْـــــسِي للهَـــوَى

فقالت:

فـــــجَـــــار َلَّما أن مَـلَكْ

فقال:

فَـصِـرْتُ عَـبْـداً خَـاضِـعَـاً

فقالت:

يـسـلـكُ بـي حَـــــيْثُ سَـلَكْ

[فأمر بابتياعها، فابتيعت بثلاثين ألفاً][2]

١٢٩- ومنهم-صَاحِب جَاريَة ابن طِرْخَان النخاس[3]

وكانت شاعرة مغنية، تنظم الشعر وتصنف مذهبه، وتفوق مذهبه بما يسوغ الطرب، ويسول للنفس الأدب، هذا إلى جمال فتان، وكمالٍ تم فيه الحسن والإحسان، وكان ابن أبي أمية[4] يهواها هوى يخالط صميمه و يخالل صبابته القديمة، فكتب إليها:[5] [الكامل]

---

(١) الشعر في الإماء الشواعر ص ١٨٥ والمستظرف ص ٧١.

(٢) إضافة من الإماء الشواعر.

(٣) في الأصل ما بين المعقوفتين بياض، والتكملة من الإماء الشواعر ص ١٩٣.

(٤) ابن أبي أمية: محمد بن أمية بن أبي امية، كان كاتباً شاعراً ظريفاً، وكان ينادم إبراهيم بن المهدي، ويعاشر على بن هشام، ذكر له ابن النديم ديواناً يقع في خمسين ورقة.
(الفهرست ص ١٨٥ الأغاني ١٢/ ١٤٥ ـ ١٥٨ ط دار الكتب المصرية).

(٥) الشعر في الإماء الشواعر ص ١٩٤ وينسب إلى أبي نواس ونسب إلى الخليفة المنتصر في مروج الذهب ٥/ ٤٨ تحقيق شارل بلا، ط بيروت ١٩٧٩ ونسب لأحد ندماء الواثق في العقد الفريد=

إنـي رأيتُـكِ فـي المـنـام كـأنّما عاطَيْتني من ريقِ فيْكِ البارِدِ
وكـأنّ كـفَّك في يدي وكأنّما بتنا جـمـيعـاً في فـراشٍ واحـد
ثم انتـبـهتُ ومعـضـداك كـلاهمـا بيـدي اليـمين وفي يمينكِ ساعدي

قال فأجابته:(١) [الكامل]

خـيـراً رأيتَ وكلُّ ما عاينتَهُ ستنالُهُ مِنّي برغم الحاسدِ
إنّي لأرجـو أنْ تبيتَ مُعانقي وتظلَّ مِنّي فوقَ ثدي ناهدِ
ونبيتُ أنعَمَ عاشقينِ تفاوضا طرفَ الحديث بلا مخافة واحد

١٣٠-[ومنهم جلُّنار جَارية أخت رَاشِد بن إسحاق الكوفي الكاتب](٢)

جل نار منها في الخدود، وجُلنار ثمرة رمان النهود، من مولدات الكوفة، ومـوليات العيون على القلوب المخوفة، شاعرة تأتي بالعجب، ومغنية ترى استقطاع هوى العشاق من بعض ما وجب، قال عيسى بن القاشي الكاتب: كانت لأخت راشد جارية يقال لها جلنار، وكانت مليحة حسنة الغناء حسنة الشعر، فحدثني راشد أخو مولاتها قال: عشقتها وهمت شغفاً بها، وعلمت أُختي بذلك فحجبتني عنها(٣) أشد حجاب، إلا بأن أبتاعها بحصتي من ضيعة

=٦ / ٦٠ ـ ٦١ والمستطرف للأشبيهي ص ١٥٥.

(١) الشعر في الإماء الشواعر ١٩٤ ونسب لجارية لسليمان بن عبدالملك في الواضح المبين ـ لمغلطاي ص ٢٠ تحقيق أوتوسييز، ط دلهي ١٩٣٦.

(٢) في الأصل بياض والتتمة من سياق النص، والإماء الشواعر ص ٢١١ وراشد الكاتب: هو راشد بن إسحاق الملقب بأبي حكيمة، كان شاعراً أديباً ماجناً له ديوان شعر وتوفي في طريق مكة سنة ٢٤٠ هـ.

(معجم الأدباء ١١ / ١٢٢ طبقات ابن المعتز ص ٣٨٩ فوات والوفيات ٢ / ١٥ ـ ١٩)

(٣) كذا بالأصل، ولعل الصواب: (فحجبتها عني).

ورثتها أنا وهي عن أبينا، وحلفت أن لا تبيعها إلا بذلك، فشاورت ثقات إخواني، فعابوا هذا عليَّ، ونهوني عن إتيان ذلك، وضننت أنا بالضيعة أن تخرج من يدي، ثم غلبني ما أجده، فقلت:(١) [المتقارب]

أيُعْذَلُ صَبٌّ عَلَى وَجْدِهِ ... وقَدْ لَجَّ مَوْلاهُ في صَدِّهِ(٢)

[ص ٣٠٢]

وكيفَ أرى الصَّبْرَ عَمَّنْ أرى ... دُنُوُّ المنيَّةِ في بُعْدِهِ

غزالٌ يُنسِّيْك قَدُّ القضيـ ... ـبِ بحُسْنِ الرشاقةِ في قَدِّهِ

إذا عَدِمَ الورْدُ في روضِهِ ... فلم يُعْدَمِ الوَرْدُ من خَدِّهِ

قال: وبلغني أن الجارية تتعجب من صبري عنها، ومن إيثاري الضيعة على نفسي في حبها، وتقول غدر بي واختار ملكه علي، فأجبت أختي إلى ذلك مع الحصة، وتقرر الأمر بيننا، فكتبت إلى الجارية:(٣) [الكامل]

نزلَ الوصالُ بساحةِ الهَجْرِ ... ومحا الوفاءُ معالمَ الغَدْرِ

وغدا اللقاءُ عليهما بلوائهِ ... وعليه تخفقُ رايةُ النَّصْرِ

فكتبت إليَّ:(٤) [الكامل]

ما كان أخوفني من الهجرِ ... حتى كتبتَ إليَّ بالعُذْرِ(٥)

فسكنتُ منك إلى مراجعةٍ ... قوي الوصالُ بها على الهَجْرِ

---

(١) الأبيات لأبي حكيمة في الإماء الشواعر ص ٢١٢.

(٢) في الأصل: (عن وجده) وهو تحريف لا يستقيم به الوزن والمعنى.

(٣) الشعر لأبي حكيمة في الإماء الشواعر ص ٢١٢.

(٤) الشعر لجلنار الجارية في الإماء الشواعر ص ٢١٢.

(٥) في الأصل البيت فيه نقص (مان أخوفني).

أرجــــو وفــــاءَكَ لـي ويُؤْنِسُني　　　أشـيــاء تعــرضُ منك في صــدري
لاشَــتَّتَ الرحــمنُ شــملَ هوى　　　مــتــآلف منَّا على الدَّهْـرِ

ثم اشتريتها وصارت في ملكي، فما آثرت عليها أحداً طول مقامها عندي، حتى ماتت.

١٣١-ومنهم- خَنْسَاء البَرْمَكِيَّة(١)

وكانت لبعض آل يحيى بن خالد، تزهى بها الأساور والقلائد، تفتك بلحظها، وتفتن بلفظها، مغنية تهز الجماد، وشاعرة لا تغترف من ثماد(٢)، لو قيست ببنت عمرو بن الشريد(٣) لعرف من أي البحرين يلتقط الفريد(٤).

قال عمرو بن بانة: كان من جيراني رجل من البرامكة، وكانت له جارية أديبة مغنية يقال لها خنساء، يدخل إليها الشعراء فيقارضونها ويسألونها عن المغاني فتأتي بكل غريبة وبديعة، فدخل إليها يوماً سعيد بن وهب فحدثها طويلاً ثم قال:(٥) [الهزج]

أبَـيْـنِـي لـي يَـا خَـنْـسَـــا　　　ءُ عَـنْ جِنْـسٍ مِـنَ الشِّـعْـرِ

---

(١) قال أبو الفرج: كان في جواري رجل من البرامكة، وكانت له جارية شاعرة ظريفة يقال لها حسناء [في المسالك: خنساء] يدخل إليها الشعراء ويسألونها عن المعاني، فتأتي بكل مستحسن من الجواب، فدخل إليها سعيد بن وهب يوماً وجلس إليها فحادثها طويلاً ثم قال لها بعد ذلك:

حـاجيتك يا حـسنا　　　ء في جنس من الشعر.. الأبيات

(الأغاني ٢٠/٣٥٧)

(٢) الثماد: الماء القليل الذي لا مادة له.

(٣) في الأصل: (الرشيد) وهو خطأ لأن الخنساء بنت عمرو بن الشريد.

(٤) الفريد: الدر إذا نظم وفصل بغيره.

(٥) الشعر لسعيد بن وهب في الأغاني ٢٠/٣٥٧ وفيه

حاجيتك يا حسنا　　　ء في جنس من الشعر

ومــــــاذا طولُـه شِــــــبْــــــرٌ وقـد يوفي على الشّـبْـرِ [ص ٣٠٣]
لـهُ فـي رأســــــــــهِ شِـقٌ نَـطُوفٌ بـالـنَّدى يجـــــري
إذا مـــــا جفَّ لم يَـنْفَـــعـ ـــك في بَـرٍّ ولا بحـــــرِ
وإنْ بُـــلَّ أتـــى بـــالـعَــ ـجَبِ المُعْـجِبِ والسِّــحْـرِ
وإنِّي لم أرد فُــحْــشــاً وربِّ الـشَّــــفْـعِ والـوَتْـرِ
ولـكـنْ صُــغْـتُ أبيـــاتـاً حَـــوَتْ مـــعنى من السِّــرِّ

قال: فغضب مولاها وتغير لونه، وقال لسعيد: أتخاطب جاريتي بالفحش والخنا؟ فقالت الجارية: خفض عليك، فما ذهب إلى ما ظننت، وإنما يعني القلم، فسري عنه وضحك سعيد وقال: هي أعلم منك بما سمعت، فاحتبسه مولاها عنده يومه، فجعلت تغنيهم تارة وتقارضهم تارة إلى أن سكروا.

قال عمرو [بن بانة] ثم لقيني مولاها فسألته عن القصة فحدثني بها، وأخرج إليَّ ابتداء سعيد وجوابها تحته، وهو: [الهزج]

أبا عــثــمــانَ حــاجَــيْـتَ بما قلتَ من الشــعــرِ
فــتـــاةٌ ذُلِّلَ الشــعــرُ لهـــا صــافــيــةُ الفكرِ
وفـي ظـاهـرهُ فُــحْـشٌ ولـيس الفـحشُ في السِّــرِّ
أردتَ المخـطـفَ المـرهـفَ إذ يـبـريـه مَـنْ يـبـري

وكتبت البرمكية على عصابتها: [الطويل]

ولا خيرَ في شَكْوى إلى غيرِ مُشْتَكِي ولا بُدَّ مِنْ شَكْوى إذا لم يَكُنْ صَـبْـرُ

وكانت جارية ماهرة، أديبة شاعرة، تأتي بكل غريب، وتبلغ مالا يجرجر فيه بعنان ولا تحدث عن عريب، صفراء من مولدات البصرة نشأت حيث يرف النخيل، ويرق السلسبيل، وكانت فضل الشاعرة تهاجيها ولا تهيجها، ولا يلفى

في الحسن ما تنشره بهجتها، وكان لكل واحدة منهما عصبة من شعراء الوقت يتعصبون لها وهي لا تتقنع، ويعيبون لديها الأخرى وما فيهم إلا من يتصنع.

حكى أحمد بن أبي طاهر قال: كانت فضل تهاجي خنساء جارية هشام المكفوف، وكان أبو الشبل عاصم بن وهب البرجمي يعاون فضلاً الشاعرة على خنساء ويهجوها [ص ٣٠٤] على لسانها، وكان الحفصي والصعيدي يعاونان خنساء، فقال أبو الشبل فيها على لسان فضل: (١) [السريع]

خنســــاءُ طيـــــري بجناحين ... أصبحتِ معشوقةَ نَذْلين (٢)
من كان يهوى صاحباً واحداً ... فأنتِ رهنٌ بهوى اثنينِ
هذا الصعيدي وهذا الفتى الـ ... ـحفصي زاراكِ كقردين
وكنتِ من هذا وهذا كما ... ينعمُ خنزيرٌ بحُشَّيْنِ (٣)

فقالت خنساء: (٤) [لسريع]

ماذا مَقَالٌ لكِ يا فضلُ بَلْ ... مقالُ خنزيرينِ فَرْدَين
يُكْنَى أبا الشّبْلِ ولكنَّهُ ... دَعَوهُ بالكلبِ بن كلبينِ (٥)

فقالت خنساء في فضل: (٦) [الطويل]

---

(١) الشعر لأبي الشبل في الأغاني ١٩ / ٣٢١.

(٢) في الأصل: (أصبحت مشوقة نذلين) ولا يستقيم الوزن.

(٣) الحش: البستان والكنيف وهنا يريد المعنى الثاني

(٤) البيتان لخنساء جارية هشام في الأغاني ١٩ / ٣٢١.

(٥) في الأغاني:

يكنى أبا الشبل ولو أبصرت ... عيناه شبلاً راث كرين

راث: أي سلح، كرين واحدها كر: ضرب من المكاييل.

(٦) البيتان لخنساء جارية هشام المكفوف في الأغاني ١٩ / ٣٢٢.

تقــولُ له فــضـلٌ إذا مــا تخــوفَتْ ركُـوبَ قـبـيح الذُّلِّ في طَلَبِ الوصلِ
حِــرُ أمٍّ فــتى لم يَلْقَ في الحب ذِلَّةً فـقلتُ لهــا لا بل حِـرُ أمٍّ أبي الشِّــبْلِ

ولها أيضاً فيها أبيات :(١) [الكامل]

لَعبَ الفـحـولُ بسُـفلِهـا وعِـجـانِهـا فـتـمـرَّدتْ كـتـمـرُّدِ الفـحلِ(٢)
لَمَّــا كَـنَـيـتِ بمـا كـنـيـتِ بـه وتسَـمَّتَ النقـصـانُ بالفـضلِ(٣)
كــادَتْ بنـا الدنيــا تميــدُ ضُـحى وترى السـمــاء تذوبُ كـالمُهْلِ(٤)

فغضب أبو الشبل وهجا مولاها فقال : (٥) [الخفيف]

نعم مــأوى الغُــرابِ بيتُ هِشَــامِ مُـسْـعِفٌ بالحــرامِ أهلَ الحــرامِ
من أرادَ المبـيتَ يبـغي سـفــاحــاً ويـنــالُ المــرادَ تحــت الـظــلامِ
فــهِـشَــامٌ يبـيـحُـهُ في دُجى الليـ ـلِ فــتــاة تُدعَى فــتــاةَ هشــامِ
ذاك حِــــــرٌ دواتُـهُ لا تُـعَــــرَّى أبـداً مــن تَـرَدُّدِ الأقــــــلامِ(٦)

وذكر أحمد بن الطيب أن أبا الشبل (٧) كان يهوى خنساء ثم هجاها فهجرته، فعدل عنها إلى فضل الشاعرة، ووعد أبو الشبل يوماً خنساء أن تزوره،

---

(١) الشعر لخنساء في هجاء أبي الشبل في الأغاني ١٩ / ٣٢٢ .

(٢) في الأصل : (ركب الفحول على منانتها) ولم أرَ له معنى، وأخذت برواية الأغاني
العجان : الإست

(٣) تسمت : تزين .

(٤) المهل : النحاس المذاب وقيل : دردي الزيت، والمهل أيضا : الصديد والقيح .

(٥) الشعر لأبي الشبل في الأغاني ١٩ / ٣٢٢ مع خلاف في الرواية .

(٦) لو قرئت« ذاك » حِبْرٌ» لكان وجهاً [المراجع] .

(٧) أبو الشبل : عاصم بن وهب من البراجم، مولده بالكوفة، ونشأ وتأدب بالبصرة، وقدم إلى سامراء في أيام المتوكل ومدحه، وكان حاذقاً نادراً كثير الغزل ما جناً، فنفق عند المتوكل بإيثاره العبث، وخدمه وخص به فأثرى وأفاد . (الأغاني ١٤ / ١٩١) .

وجاء [ص ٣٠٥] مطر شديد منعها من زيارته، فقال يذم المطر:(١) [البسيط]

دعِ المواعيدَ لا تعرضْ لوجْهَتِها ... إنَّ المواعيدَ مقرونٌ بها المَطَرُ
إنَّ المواعيدَ للأحبابِ قد مُنيَتْ ... به بأنكدِ ما يُمنى به البَشَرُ
كذا الثيابُ فلا يَغْرُرك إن غُسلَتْ ... صَحْوٌ شديدٌ ولا شَمْسٌ ولا قَمَرُ
وإنْ هَمَمْتَ بأن تلقاكَ زائرةٌ ... فالغيثُ لا شَكَّ مقرونٌ به السَّحَرُ

وكان سبب القطيعة بينهما أنه سكر عندها، فخاطبها مغلظاً لها في شيء فقالت: بم تدل على الناس؟ بأكثر من شعرك؟ وإنه لغير طيب، ووالله لئن شئت لأهجونك بما يبقى عليك عاره، فغضب وقال فيها:(٢) [مخلع البسيط]

خنساءُ قد أفرطتْ علينا ... تزعُمُ أنْ ليسَ لي مُجيرُ
تاهتْ بأشعارها وصَالتْ ... كأنَّما ناكها جريرُ

فخجلت ولم تجبه، وتقاطعا، وقيل: بل قالت فيه مبتدئة: [مخلع البسيط]

قُلْ لأبي الشِّبْلِ إنْ أتاهُ ... مُقَذعُ سَبٍّ له مجير
هيهاتَ ما إنْ له مُجيرٌ ... ولا نصيرٌ ولا ظهيرُ

١٣٢- [ومنهم خزامى جارية الضبط المغني](٣)

الملقب بالطيط (الضبط)، كانت حسنة الوجه والغناء، شاعرة بيوتها وثيقة

---

(١) الشعر لأبي الشبل في الأغاني ١٤ / ٢٠١ مع اختلاف في الرواية.

(٢) الشعر لأبي الشبل البرجمي في الأغاني ١٤ / ٢٠١.

(٣) في الأصل العنوان ساقط ومكانه بياض والتكملة من الأغاني ١٠ / ٣٣٢ في أخبار عبدالله بن المعتز، وفي متن الأصل جاء اسم المغني (الطيط) وفي المستظرف من أخبار الجواري للسيوطي ص ١٨ ط مصر: خزامى جارية المقين، كانت شاعرة ظريفة كتب إليها عبدالله بن المعتز:

رأيتك قد أظهرت زهداً وتوبة.

وفي المستظرف من أخبار الجواري ص ١٨ : : خزامى جارية المقين

البناء، وكان ابن المعتز يقدمها ويثقف قناتها ويقومها، ولا يبخل باستدعائها واستئمانها على خفايا السر واسترعائها.

قال ابن المعتز: كانت خزامى جارية الطيط (الضبط) تألفني وتنادمني وأنا حدث، ثم تابت من النبيذ، وكانت مغنية حسنة الغناء، شاعرة ظريفة نظيفة، فراسلتها مراراً أستدعيها فتأخرت، فكتبت إليها وأهديت لها ورداً: (١)

[الطويل]

رأيتُكِ قد أظهرتِ زهداً وتوبةً | فقد سَمُجَتْ من بعد توبَتكِ الخمرُ
فأهْدَيْتُ وَرْداً كي يُذَكِّرَ رِيْحُهُ | لمنْ لم يُمَتِّعْنَا ببهْجَتِهَا الدَّهْرُ

فأجابتني تقول: (٢) [ص ٣٠٦]

أتاني قريضٌ يا أميري مُحَبَّرٌ | حكى لي نَظْمَ الُدِّر فُصِّلَ بالشَّذْرِ
أأنكرتَ يا بنَ الأكرمينَ بأنَّني | وقد أفْصَحَتْ لي ألْسُنُ الدَّهْرِ بالزَّجْرِ
وآذنني شَرْخُ الشَّبَابِ بِبَيْنِهِ | فياليتَ شِعْري بعد ذلك ما عُذْري

قال ومن شعرها: [مجزوء الرمل]

قُلْ لِمَنْ تاهَ علينا | وجَفَانا وتَعَاطى
نلتَ والرَّحمنِ من قَلْـ | ـبي بالحُسْنِ اختصاصا
فَتَوقَّ اليومَ في قَلْـ | ـبي أن تلقى قصاصا

---

(١) الشعر لابن المعتز في الأغاني ١٠ / ٣٣٢ وديوان ابن المعتز ٣ / ٢٦١ والمستظرف من أخبار الجواري ص ١٨.

(٢) الشعر لخزامى جارية الضبط في الأغاني ١٠ / ٣٣٢ والمستظرف من أخبارالجواري ص ١٨.

١٣٣- ومنهم-صَدَقَة بن مُحَمَّد

من أغنياء أهل الغناء، وأذكياء أصحاب الاعتناء، ذكره ابن المستوفي في ترجمة البحراني النحوي، قال حدثني صدقة بن محمد الملحن، قال: حضرت القاضي أبا حامد السهروردي وقد صنعت لحناً في أبيات البحراني: [الرمل]

أيُّها البارقُ من وادي سَلَمْ أبِسَلْمى لكَ عِلْمٌ قُلْ نعمْ
أنتَ لو لم تَقْتَبِسْ من وجْهِها هذهِ الأنوارَ لم تَجْلُ الظُّلَمْ
فارَقَتْناً بقلوبٍ لم يُفِقْ من هواها وجفونٍ لم تَنَمْ
وتَوَلَّتْ ويدي في كَبِدٍ أوْقَدَ الوَجْدَ عليها فاضْطَرَمْ

قال: فجعل يهزه الطرب والارتياح، فيميل مثل النشوان مالت به الراح، ويقول: لمن هذا الشعر الذي دونه السحر؟ فقلت: لأبي عبدالله البحراني، فما زال يستعيده ويكرره ويوفيه في الإحسان حقه، إلى أن تقوض المجلس عليه، وقمنا وبه ما يعلم الله من الشوق إليه، وهذا اللفظ لابن المستوفي.

١٣٤-ومنهم- الحُسَيْن بنُ الحَسنْ

ابن أبي نصر بن منصور الدهان زين الدين أبو عبدالله الموصلي، سابق يوم الرهان، وفاتق عرفٍ بكل وردةٍ من الدهان، تنسب إليه محاسن من الأمور، ويقسم من زخرف بنانه بالسقف المرفوع والبيت المعمور، وتجني من إنعامه كل ذات كمام كأنها زهرة في دهانه، وثمرة غريبة من بدائع ألوانه، أتى بالبديع وأجاد [ص ٣٠٧] في نغمه ودهائه، فجاء في كل منهما بالصنيع، وأبدع فيهما، فقيل هذه البلابل غنت وهذه المصبغات ألوان فصل الربيع، وكان عالماً فاضلاً أديباً حسن الأخلاق، لا يمل جليسه محادثته، فريد عصره في صناعة الطرب

وعلم الموسيقا، وله فيه مصنف، وسمع منه الكمال ابن الفوطي وغيره، ومن شعره:
[الطويل]

وحلوُ اللُّمى مُذْ عاينَ النمل قد بدَتْ ... لهُ زُمَرٌ تبغي بفيهِ جَنَى النَّحْلِ
غدا جاحداً قتلي بسيفِ لحاظهِ ... ومن حُمْرَةِ الخَدَّين لي شاهِدَا عَدْلِ

ومنه: [الطويل]

رأيتُ حبيبي بُكْرَةً وهو مُعْرِضٌ ... فسَمَّيْتُهُ فازوَّر يرنو إلى الشرقِ
فيا عَاذِلي كُنْ عاذري فيهِ رحمةً ... فقد أظلمتْ من فرطِ هجرانهِ طُرْقي

ومنه: [الوافر]

ألا يا سادةً مازالَ قَلْبي ... لطولِ فراقِهِمْ في ضيقِ سِجْنِ
وحَقَّ جميل ما أوليتموني ... من الإحسانِ لم تُتْبَعْ بمَنّ
إليهِ صادق أني إذا ما ... ذكرتُكُمُ شَرِقْتُ بماءِ جَفْني
فعَيْني ما رأتْ حُسْناً سِواكم ... وغيرُ حديثكم ما راقَ أُذْني
فقدتُ لطولِ غَيْبَتِكم سروري ... ومُذْ فارقتُكُمْ واصلتُ حُزْني
نَدِمْتُ نَدَامَةَ الكُسَعِيَّ لكنْ ... على أوقاتِكُمْ وقَرَعْتُ سِنِّي
كفى حُزْني فراقكُمُ وحَسْبي ... بشوقي أنَّهُ ما انفكَّ عَنِّي

ومنه ما يكتب على مقلمةٍ: [الكامل]

كلُّ السُّيوفِ لها جفونٌ تُنْتَضى ... منها وإني جَفْنُ كُلِّ يَرَاعِ
واعلمْ بأنَّ السَّعْيَ للقَلَمِ الذي ... لولاهُ خابتْ للسيوفِ مَسَاعِ

ومنه: [الرجز]

يا خالقي من نُطْفَةٍ مَهِينَةٍ ... ومُوجِدي من عَدَمٍ مَقْدِرَتي
يا عُدَّتي في وحدتي يا مُؤْنِسي ... في وحدتي إذا نزلتُ حُفْرتي

اغْـفِـرْ ذنوبي وتجـاوزْ كَـرَمـاً   عَنِّي بعَـفْـوٍ منك واكـشفْ كُـرْبَتي

[ص ٣٠٨]

ولا تـؤاخِـذْ بـذنـوبٍ سَلَـفَـتْ   لشَـقْـوَتي فـأنتَ أهلُ الرحـمـةِ
وعـافني من مـرضٍ تَصَـدُّقـاً   وجُـدْ على ضَـعْـفي وارْدُدْ غُـربَتي

ومن أصواته ما رواه لي عنه الجمال المشرقي في الراست: [مجزوء المجتث]

يـا نـارَأسـود قـلـبـي   ونـورَ أسـود عـيـنـي
كُـنْ راحـمـاً لِمُـحِـبٍّ   أبـاحـكَ الأسـوديـنِ

توفي يوم الجمعة سابع عشر رمضان سنة سبع وثمانين وست مئة ودفن بالودية شرقي دار السلام، وكان له اختصاص بالسلطان بدر الدين لؤلؤ[١] صاحب الموصل.

١٣٥-ومنهم-[ياقُوتُ المُسْتَعْصِميّ][٢]

وهو الياقوت الذي لا يغلو به سعر، ولا يعرف الدر إن لم ينشد له شعر، بل هو الذي دونه ياقوت الخدود، ودر العقود، ووسائط القلائد، ولا أعني إلا قواعد النهود، كتب فسلب، وشَعَرَ فخلب، وغنى فقيل من أين جاء إلى العراق وادي

(١) بدر الدين لؤلؤ: لؤلؤ بن عبدالله الأتابكي، أبو الفضائل، بدر الدين الملقب بالملك الرحيم صاحب الموصل، طالت أيامه بها، وكان من أجل الملوك ومن أعلاهم همة، وأسهرهم على رعاياه، توفي بالموصل سنة ٦٥٧ هـ. (النجوم الزاهرة ٧/ ٧٠)

(٢) العنوان بين المعقوفتين في الأصل بياض، والتكملة من خلال الشعر وتخريجه بالرجوع إلى ترجمة وشعر ياقوت المستعصمي في كتاب الخط والكتابة في الحضارة العربية يحيى الجبوري ص ٢٣٦- ٢٤٤ .
ياقوت المستعصمي: أبو الدر جمال الدين ياقوت بن عبدالله المستعصمي الطواشي البغدادي، كان من مماليك المستعصم بالله آخر الخلفاء العباسيين ببغداد وكان المستعصم قد اشتراه صغيرا وربي بدار الخلافة، وبرع في الخط وهو آخر من انتهت إليه رياسة الخط المنسوب، وله شعر جيد توفي سنة ٦٩٨ هـ (الخط والكتابة ص ٢٣٦ - ٢٤٠).

سرنديب[١] هذا الجلب، وكان في الكنَفَ المستعصمي يرد طرف كل مبهوت، ويوفي حق كل خدمةٍ لا تفوت، وتفرد بكل خاصة، يقول القني في لظى فإن أحرقني فتيقن أني لست بالياقوت.

ما تقدم لمناهلته إلا من تأخر، ولا لمباهاته إلا من قيل له هيهات يا عرض أغلى أفخر الجوهر يتكبر، ولا لمضاهاته إلا من صفى جمره وتكشف عنه الرماد، وتوقد وخمد والياقوت ياقوت ما نقص ولازاد[٢].

مجيد في الشعر والموسيقا والخط، وله الأدب الكامل والنحو المتقن، أخذ الأدب والنحو عن نجم الدين بن كبوش البصري، ومن شعره: [مجزوء الرجز]

بدا بوَجْهٍ مخجلِ ... الشمس المنير المُشْرِقَهْ
في أذنه لؤلؤةٌ ... كأنَّها والحلَقَهْ
قداحةٌ في وردةٍ ... بالياسمين ملحقَهْ

وله: [مجزوء الهزج]

وحمَّامٍ دخلنا وَ ... فيه مقيمٌ حامي[٣]
بأنواعٍ من الخدمـ ... ـةِ لا ألوى ولا واني[٤]
فتمريخٌ بمعروفٍ ... وتسريحٌ بإحسانِ

---

(١) سرنديب: جزيرة عظيمة في بحر هركند بأقصى بلاد الهند (ياقوت: سرنديب).
- قلت هي: «سيلان، أو سيري لانكا» اليوم [المراجع].

(٢) دأب مصنف الكتاب في بداية كل ترجمة على المبالغة في الأوصاف بأسلوب مسجوع ممل كثيراً ما يضيع بسببه المعنى، واتخذ من اسم ياقوت سبباً في التغني بالياقوت الجوهر، ولا يبدأ الكلام المفيد إلا بعد أن يترك هذا السجع البغيض ويقتبس من كتب المؤلفين، وعند ذلك يأتي بما يغني ويفيد.

(٣) كذا وهو مضطرب الوزن والقافية، وكأن مجراه: وحَمّامٍ دخلناهُ ... وفيه قيّمٌ حانِ
يصف الحمّام وحسن الخدمة فيه. [المراجع].

(٤) ألوى: من ألا ألواً إذا فتر وضعف وقصر وأبطأ، ومنه لا آلوك نصحاً، أي لا أقصر فيه.

وله :[1] [الخفيف]

وَعَــدَتْ أن تزورَ ليــلاً فَـأَلْوَتْ وأتَتْ بالنَّهـار تسـحبُ ذَيْلا
قلتُ هَلا صَـدَقْتِ في الوعـدِ قالتْ كيفَ صَدَّقْتَ أنْ ترى الشمسَ لَيْلا

[ص ٣٠٩] وكان هو وظهير الدين بن محاسن في زيارة كمال الدين ابن عم ظهير المذكور، وانتبها وقد برد، فقال: [البسيط]

جاءَ الشتـاءُ ببـردٍ لا مـردَّ له ولم يُطِقْ حجرٌ قاسٍ يُقَاسِيـه
لا الكأسُ عندي ولا الكانون مُتَّقِداً كفى ظلامي وكيس قلَّ ما فيه
دعِ الكبابَ وخَلِّ الكس وا أسفاً على كِساءٍ أتغطَّى في دياجيه[2]

فأعطاه ظهير الدين فروة سمور[3] كانت لابن عَمِّه الكمال هناك، فلما سمع الكمال بالأبيات، أعطاه عمامة دمياطية ومئة دينار.

١٣٦ - عَبْدُالمؤْمِن بن يُوسِف[4]

ابن فاخر الأرموي، صفي الدين أبو الفضائل، مؤلف ضروب أشتات، ومصنف نوب يجمع عليها شتات، خدم الخلافة زمناً، وأخذ الدنيا لأنفاسه

---

(١) البيتان في الوافي بالوفيات ٤ / ٢٦٤ والخط والكتابة ص ٢٤٠.
(٢) الشطر الثاني مختلّ، ولعله: «على كِسا اتغطى في دياجيه». [المراجع].
(٣) السمور: حيوان ثديي ليلي من آكلات اللحوم، يتخذ من جلده فرو ثمين ويقطن شمالي آسية.
(٤) عبدالمؤمن بن يوسف بن فاخر الأرموي البغدادي، صفي الدين، إمام عصره في ضرب العود والموسيقا، ورد بغداد صبياً وأثبت فقيها في المستنصرية واشتغل بالمحاضرات والآداب العربية وتجويد الخط، وخدم المستعصم وعلم أولاده وارتفعت مكانته عنده وعند هولاكو، ولاه هولاكو الأوقاف في بغداد، مات محبوساً في دين عليه سنة ٦٩٣ هـ. له جملة مؤلفات في الموسيقا.
(الموسيقا العراقية في عهد المغول والتركمان لعباس العزاوي ص ٢٢ ـ ٣٤ الأعلام ٤ / ١٧٠).

ثمناً، وبلغ من علم الموسيقا مبلغا ضم له ضمن لحده سائب، وحاق به لإسحاق أن يظهر المعايب، لو سمعته الوحوش الشوارد لأنِسَتْ، وأوعته لما نبست، وأغنى في واقعة هولاكو بما منح من حسن التدبير، ويمن اللفظ في المقادير بالتلطف مع من أبيحت له لأيدي النهب محلته، وتعتعت[(١)] له بسنابك الركض حلته، لكنما القدرة أذهبت الحفيظة، وبردت حرق الصدر المغيظة، ثم كان هذا سبباً له إلى هولاكو فأوجب[(٢)] به صلته، وأوجز منه صلته.

ذكر الشيخ أبو الخير سعيد الدهلي ومخلصُ[(٣)] ما قال: ورد بغداد في زمن المستعصمي أبي أحمد ونزل في رباط ابن البيار وكتب له مصحفاً بخطٍ منسوب، ووصل إلى المستعصم فتعرف إليه به وجعل من الملازمين الباب يكتب المصاحف ويعلم أولاد المستعصم، ثم بلغ عنده مالم ينله عنده أحد من المقربين، وكان ابن سيدانا اليهودي كاتبه، وكان مقصوده منه أن يغنيه في علم الحساب لتقسيم أجزاء الموسيقا[(٤)]، ولم يلزم بيده ديناراً ولا درهماً، وكان خرجه في سنة واحدة كما ذكر ابن سيدانا ثلاث مئة ألف دينار عِوَالا[(٥)]، وكانت له معرفة بسائر العلوم، تغلب عليه الحكميات والرياضيات، وبلغ من الموسيقا مالم يبلغه أحد من المتأخرين، وصف [ص ٣١٠] وصنف في عملياته كثيراً، حفظ له الناس ثلاثين ومئة نوبة، ولم يكن نكتة عويصة إلا وصنف فيها نوبة مذكورة متداولة بين الناس، وصنف كتابين في علم الموسيقا، أحدهما الشرقية باسم

(١) تعتع الشيء قلقله وحركه بعنف.

(٢) في الأصل: (نواجب) ولم أجد لها وجها، لعل الصواب ما أثبته

(٣) المخلص: النتيجة والخلاصة.

(٤) في الأصل الكلمة وقد وهم الناسخ فكتب (الموصلي) ثم فوقها (الموسيقى) فأصبحت بهذا الرسم (الموصلقي).

(٥) العوال: الزائدة والمرتفعة.

شرف الدين هارون ابن الوزير شمس الدين الجويني، والكتاب الآخر يسمى الأدوار[١]، وله النظم الرائق والخط الفائق، وكان مليح الشكل[٢] عذب الأخلاق، ذا مروءة وقوة وكرم نفس، ظريفاً لطيفاً، وكتب عليه ياقوت المستعصمي وابن السهروردي، واشتغل عليه في الموسيقا في جماعة من الأعيان، قال: ومن كتابته السطر الطومار الذي على بركة جامع الكوفة التي عمرها الصاحب علاء الدين الجويني، وكتب درجاً للسلطان هولاكو فأعجبه، ثم وقع ذلك الدُّرج في يد من عرضهُ للبيع فاشتراه بمئة دينار عوالٍ، وفوض إليه هولاكو نظر الأوقاف بجميع العراق وصدورها، وعظم عند الناس بمنزلة هولاكو، ثم توصل خواجا نصير الطوسي بالجوينيين، وابتاع منه صدورية الوقف بسبعين الف دينار رائجاً، وبان على الأئمة وأهل الأوقاف فقده، لأنه كان محسناً إليهم، بخلاف من ولي بعده، ومن شعره: [الطويل]

لِحُسْنِكَ من كلِّ العيون نصيبُ ... وأنتَ إلى كلِّ القلوب حبيبُ

ومن شعره أيضا: [الوافر]

أُلاقي في سُهادي ما أُلاقي ... وأنتم في الكرى مِلءُ المآقي

ومن شعره أيضاً: [الخفيف]

يا حياةَ النُّفوسِ يا مُشْتَهَاها ... أنْتَ للعاشِقِيْنَ أقْصَى مُنَاهَا

قال الدهلي: وصنف عليه قولاً في العشاق طويلا.

ومن شعره أيضاً: [الكامل]

---

(١) في الأصل: (الأوار) وهماً من الناسخ.

(٢) في الأصل: (الشك) وهماً من الناسخ.

هل للمُعَنَّى الهائم المُضْنَى الصَّدِيّ | من رَاحمٍ أو مُسْعِدٍ أو مُنْجِد
عَرفَ الهوى وتلطَّفَتْ أسرارُهُ | فسرى ورَقَّ توجُّعاً للمكْمَد
يصبو لِبَثِّ جَوى يكادُ زفيرُهُ | لولا الرجاءُ لدقَّ صُمَّ الجلمد
ليس الودود فتى يودك يومهُ | حتى إذا استغنى يملُّك في غد

[ص ٣١١]

بل إنّما الخلُّ الودود فتى إذا | قَعَدَ الزمانُ بصاحبٍ لم يَقْعُدِ (١)

قال الدهلي: وسمع من نظمه جماعة، منهم الإمام علي بن سعيد المغربي قديماً ببغداد، وتوفي في يوم الأربعاء ثامن عشر من صفر سنة ثلاث وتسعين وست مئة.

وحدثني الجمال المشرقي عنه، وذكر عدة أصوات له، فمنها في شعر المتنبي: (٢) [الكامل]

اليومَ مَوْعِدُكم فأينَ الموعِدُ | هَيْهَاتَ ليسَ ليوم وعدِكُم غَدُ

والغناء فيه في الروكند، وفي هذا البيت: [الطويل]

لِحُسْنِك مِنْ كُلِّ القلوب نَصِيْبُ | وأنت إلى كُلِّ القلوبِ حَبِيْبُ

والغناء فيه في المجيّر من النيروز، وفي هذا البيت: [الكامل]

اصْنَعْ جَميْلاً ما اسْتَطَعْتَ لأنَّهُ | لابُدَّ أن يَتَحدَّثَ السُّمَّارُ

قال الجمال المشرقي: ولي في هذا المعنى: [الكامل]

اعْدِلْ إلى فِعْل المكارمِ والعُلى | إنّ المكارمَ للعُلى أنْصَارُ

---

(١) ديوان المتنبي ١/ ٣٢٧.

(٢) في الأصل: «لم تقعد». [المراجع]

وذكر العز حسن الأربلي في تاريخه قال: جلست مع عبدالمؤمن بالمدرسة المستنصرية، وجرى ذكر واقعة بغداد، فأخبرني أن هولاكو طلب رؤساء البلد وعرفاءه، وطلب منهم أن يقسموا دروب بغداد ومحالها وبيوت ذوي يسارها على أمراء دولته، فقسموها وجعلوا كل محلة أو محلتين أو سوقين باسم أمير كبير، فوقع الدرب الذي كنت أسكنه في حصة أمير مقدم عشرة آلاف فارس اسمه بانوابوين، وكان هولاكو قد رسم لبعض الأمراء أنْ يقتل ويأسر وينهب مدة ثلاثة أيام، ولبعضهم يومين، ولبعضهم يومٍ واحدٍ، على حسب طبقاتهم، فلما دخل الأمراء إلى بغداد، أول درب جاء إليه الدرب الذي أنا ساكنه، وكان قد اجتمع إليه خلق كثير من ذوي اليسار، واجتمع عندي نحو خمسين جوقة من أعيان المغاني من ذوي المال والجمال فوقف بانوابوين على باب الدرب وهو مدبس[١] [ص ٣١٢] بالأخشاب والتراب، فطرقوا الباب وقالوا: افتحوا لنا الباب وادْخُلُوا في الطاعة، ولكم الأمان، وإلا أحرقنا الباب وقتلناكم، ومعه الزراقون[٢] والنجارون وأصحابه بالسلاح، قال عبدالمؤمن: السمع والطاعة، أنا أخرج إليه، ففتحت الباب وخرجت إليه وحدي وعليَّ ثياب وسخة، وأنا أنتظر الموت، فقبلت الأرض بين يديه، فقال للترجمان: قل له من أنت، كبير هذا القوم الذي في الدرب؟ قلت: نعم، فقال: إذا أردتم السلامة من الموت، فاحملوا لنا كذا وكذا وطلب شيئاً كثيراً، فقبلت الأرض مرة ثانية وقلت: كل ما طلب الأمير يحضر، وقد صار كل ما في هذا الدرب بحكمك، فَمُرْ جيوشَكَ ينهبون باقي الدروب المعنية، وانزل حتى أضيفك ومن تريد من خواصك، فأجْمَعُ لك كل ما طلبت، فشاور أصحابه، ونزل في نحو ثلاثين رجلاً، فأتيت به داري،

---

(١) مدبس: مستور، دبس الشيء: واراه وستره.

(٢) الزراقون: الذين يرمون بالمزراق، وهي الرماح القصار، وزرقه رماه بالمزراق. (م. و: زرق).

وفرشت له الفرش الخليفية الفاخرة، والستور المطرزة بالزركش، وأحضرت له في الحال أطعمة قلايا وشوايا وحلو، وأكلت بين يديه شسني[١]، فلما فرغ من الأكل، عملت له مجلساً ملوكيا وأحضرت له الأواني المذهبة من الزجاج الحلبي وأواني فضة فيها شراب مروق، فلما دارت الاقداح وسكر قليلاً، أحضرت عشر جوق[٢] مغاني كلهم نساء، كل جوقة تغني بملهاة غير ملهاة الأخرى، وأمرتهم فغنوا كلهم على سار واحد فارتجّ المجلس وطرب وانبسطت نفسه، وضم واحدة من المغنيات أعجبته فواقعها في المجلس، ونحن نشاهده، وتم يومه في غاية الطيبة، فلما كان وقت العصر، حضر أصحابه بالنهب والسبايا، قدمت له ولأصحابه الذين كانوا معه تحفاً جليلة من أواني الذهب والفضة، ومن النقد والذهب، ومن الأقمشة الفاخرة شيئاً كثيراً، سوى العليق وهبات العوانية[٣] الذين كانوا بين يديه، واعتذرت من التقصير وقلت: جاء الأمير على غفلةٍ، لكن غداً إن شاء الله أعمل للأمير دعوة أحسن من هذه، فركب وقبَّلَتْ ركابه، ورجعت فجمعت أهل الدرب من اليسارة[٤]، وقلت لهم: انظروا لأنفسكم [ص ٣١٣]، هذا الرجل غداً عندي، وكذا بعد غد وكل يوم، وأريد أضعاف اليوم المتقدم، فجمعوا لي من بينهم ما يساوي خمسين ألف دينار من أنواع الذهب والأقمشة الفاخرة والسلاح، فما طلعت الشمس إلا وقد وافاني، فرأى ما أذهله، وجاء في هذا اليوم ومعه نساء، فقدمت إليه ولنسائه من الذخائر والذهب والنقد ما قيمته عشرون ألف دينار، وقدمت له في اليوم الثالث لآلىء نفيسة، وجواهر ثمينة،

---

(١) كذا جاءت الكلمة في الأصل ولم أجدها في المعجم وهي ضرب من الطعام.

(٢) الجوق والجوقة: الجماعة من الناس، وكل خليط من الرعاء أمرهم واحد ويراد هنا مجموعة الموسيقيين والمغنين.

(٣) العوانية: المعاونون والخدم، ويلاحظ أن هناك كلمات غير فصيحة هي من لغة العصر المتأخر في القرن السابع الهجري.

(٤) اليسارة: الغنى واليسار.

وبغلة جليلة بآلات خليفية، فقلت: هذه مراكب الخليفة، وقدمت لجميع من معه وقلت: هذا الدرب قد صار بحكمك، فإن تصدقت على أهله بأرواحهم، فيكون لك وجه أبيض عند الله وعند الناس، فما بقي عندهم سوى أرواحهم، فقال: قد عرفت ذلك ومن أول يوم، وهبتهم أرواحهم، وما حدثتني نفسي بقتلهم ولا سبيهم، ولكن أنت تجهز معي قبل كل شيء إلى حضرة القان، فقد ذكرتك له وقدمت له شيئاً من المستظرفات التي قدمتها لي فأعجبته، ورسم بحضورك، فخفت على نفسي، وعلى أهل الدرب، وقلت: هذا يخرجني إلى خارج بغداد ويقتلني وينهب الدرب، فظهر عليَّ الخوف، وقلت: يا خوند، هولاكو ملك كبير وأنا رجل حقير مُغَنّ أخشى منه ومن هيبته، فقال: لا تخف ما يصيبك إلا الخير، فإنه رجل يحب أهل الفضائل، فقلت: أنا في ضمانك أنه لا يصيبني مكروه، قال: نعم، فقلت: لأهل الدرب: هاتوا ما عندكم من النفائس، فأتوني بكل ما يقدرون عليه من المغيبات الجليلة ومن النقد الكثير من الذهب والفضة، وهيأت من عندي مآكل كثيرة طيبة وشراباً كثيراً عتيقاً فائقاً وأواني فاخرة كلها من الذهب والفضة المنقوشة، وأخذت معي ثلاثة جوق مغاني من أجمل من كان عندي وأتقنهن للضرب، ولبست بدلة من القماش الخليفي، وركبت بغلة جليلة كنت أركبها إذا رحت[(١)] إلى الخليفة، فلما رآني بانوابوين بهذه الحالة قال لي: أنت وزير، قلت: بل أنا مغني الخليفة ونديمه، ولكن لما خفت منك لبست هذه الثياب المقطعة الوسخة[(٢)]، ولما صرت من رعيتك أظهرت نعمتي وأمنت، وهذا الملك هولاكو ملك عظيم، وهو أعظم من الخليفة، فما ينبغي أدخل عليه [ص ٣١٤] إلا بالحشمة والوقار، فأعجبه مني هذا

---

(١) رحت: في الأصل عدت والرواح العودة والغدو الذهاب ودخلت العامية في هذا العصر فصار راح بمعنى ذهب، والأصل خلاف ذلك وفي الحديث (كالطير تغدو خماصا وتروح بطاناً) وهذا هو الأصل.

(٢) في الأصل: المقطع الوسخ.

وخرجت معه إلى مخيم هولاكو، فدخل عليه وأدخلني معه، وقال لهولاكو: هذا الرجل الذي ذكرته، وأشار إليَّ، فلما وقعت عينُ هولاكو عليَّ قبلت الأرض، وجلست على ركبتي كما هو من عادة التتار، فقال له بانوابوين: هذا كان مغني الخليفة وقد فعل معي كذا وكذا، وقد أتاك بهدية، فقال: أقيموه، فأقاموني فقبلت الأرض مرة ثانية ودعوت له، وقدمت له ولخواصه الهدايا التي كانت معي، فكلما قدمت شيئاً سأل عنه، ثم يفرقه، ثم فعل بالمأكول كذلك، ثم قال لي: أنت كنت مغني الخليفة؟ فقلت: نعم، فقال: إيش أجود ما تعرف في علم الطرب؟ فقلت: أحسن أغني غناء إذا سمعه الإنسان ينام، فقال: فغن لي الساعة حتى أنام، فندمت وقلت: إن غنيت له ولم ينم قال: هذا كذاب وربما قتلني، ولابد لي من الخلاص منها بحيلة، فقلت: يا خوند، الطرب بأوتار العود لا يطيب إلا على شرب الخمر، ولا بأس أن يشرب الملك قدحين ثلاثة حتى يقع الطرب في موقعه، فقال: أنا مالي في الخمر رغبة لأنه يشغلني عن مصالح ملكي، ولقد أعجبني من نبيكم تحريمه، ثم شرب ثلاثة أقداح كبار، فلما أحمَرَّ وجهه أخذت منه دستورا[1] وغنيته، وكان معي مغنية اسمها صبا، لم يكن في بغداد أحسن منها صورة، ولا أطيب صوتاً، فأصلحت أنغام العود على أنغام ضربة جالبةٍ للنوم مع زم رخيم الصوت، وغنيت فلم أتمَّ النوبة حتى رأيته قد نعس، فقطعت الغناء بغتة، وقويت ضرب الأوتار فانتبه، فقبلت الأرض وقلت: نام الملك، فقال: صدقت، تمنَّ عليَّ، فقلت: أتمنى على الملك أن يطلق لي (السُّمَيْلَة) قال: وأي السميلة شيء هي، قلت: بستان كان للخليفة، فتبسم وقال لأصحابه: هذا مسكين مغني قصير الهمة، وقال للترجمان: لم لا تمنيت

(١) الدستور: هنا الإذن والرخصة، وهذه من كلمات تلك الحقبة ولازالت مستعملة حتى الآن بهذا المعنى في بعض الدول العربية والإسلامية، فالذي يدخل بيتاً فيه نساء يقول قبل الدخول (دستور) أي يستأذن بالدخول.

قلعة أو مدينة، إيش هو بستان، فقبلت الأرض وقلت: يا ملك هذا البستان يكفي وأنامايجئ مني صاحب قلعة ولا مدينة، فرسم لي بالبستان وبجميع ما كان لي من المرتب أيام الخلافة، وزادني علوفة تشتمل على خبز ولحم وعليق دواب يساوي دينارين، وكتب لي بذلك [ص ٣١٥] فرماناً مكمل العلائم، وخرجت من بين يديه، وأخذ لي بانوابوين منه أميراً بخمسين فارساً ومعهم علم أسود هو كان علم هولاكو الخاص به يرسم حماية دربي، فجلس الأميرعلى باب الدرب ونصب العلم الأسود على أعلى باب الدرب، فبقي الأمر كذلك إلى أن رحل هولاكو عن بغداد.

قال الأربلي: فكم نابك في الثانية من المغارم؟ قال: أكثر من ستين ألف دينار ذهب، وأكثرها ممن كان انزوى إلى دربي من ذوي اليسار، والباقي من نعم موفرة كانت عندي من صدقات الخليفة، فسألته عن المرتب والبستان فقال أخذه مني أولاد الخليفة وقالوا: هذه إرثنا من أبينا، والعلوفة أقطعها عني الصاحب شمس الدين الجويني، وعوضني عنها وعن البستان ستين ألف درهم.

١٣٧- ومنهم- لَحاظ المغَنِّيَة

سحرت فقيل لحاظ، وملأت نفسَ كل عاشق مغاظ، طالما تجلَّت فجلتِ الهموم، وغنَّت فاقتادت القلوب المزموم، وبرزت فتنة للأنام، ومحنة للمستهام، إلا أنها لو تقدمت زماناً كما لو تقدمت افتناناً، لأرخصت دنانير وصرفت عنانا[١]، وأعربت بما لم تدع لعريب[٢] امتناناً، كانت تلازم مجلس الغناء عند الخليفة المستعصم، وكان يعجبه غناؤها.

---

(١) دنانير وعنان: مغنيتان مضت ترجمتهما.

(٢) عريب: مغنية سبقت ترجمتها.

قال صفي الدين عبدالعزيز، حدثتني لحاظ قالت: داعبني الخليفة، يعني المستعصم ،يوماً ونحن في خلوة مداعبةً ظننت أنه يريد مني بعض الأمر، فظهر له مني ما يدل على الإجابة، فتوقر وغضب، وقال: ويلك أظننت أني جاد، وهل ترين إلا المزاح، نعوذ بالله من المعصية.

قال عبدالمؤمن: كان ببغداد رجل يقال له ابن معمر، وكان ناظر ديوان المكوس، وكان يسكن الكرخ، وكان يحمل إليها في كل شيء خمس مئة دينار، وانطوى ذلك عن الخليفة، ففي بعض الأيام حضرت لحاظ على عادتها بين يدي الخليفة مع جماعة من المغنين فغنت: [ص ٣١٦] [الخفيف]

ذَكَــرَ الـكـرخَ نـازح الأوطـانِ فَـاسْـتَـهَلّتْ مَـدَامِعُ الأجْـفَـانِ

فقال بعض الحاضرين من المغنين: كيف لا يذكر الكرخ من يصل إليه في كل شهر خمس مئة دينار، فسأل الخليفة عن القصة، فأخبروه بالحال، فأمر بنفي المغنية، وعزل ابن معمر عن ولايته، ومازالت تُسْتَصْفَى أمواله.

١٣٨-ومنهم- الثُّوني

صاحب الأرمال واسمه، ومن أصواته قوله والشعر له، والغناء في السيكاه(١): [الطويل]

أيَجْمُلُ(٢) من بعد الوصالِ صدودُ وتُنْسَى مواثيِّق لنا وعُهودُ
وتجحَدُ ما بيني وبينَكَ في الهوى ولي من ضَنَى جسمي عليكَ شهودُ
شهودي عظامي ناحلاتٌ من الضَّنى وأجفانُ عيني بالدماء تجودُ
وروحي نأت يومَ نأيتم وأقسمتْ يميناً بكم إنْ عُدْتُمُ ستعودُ(٣)

(١) السيكاه: نغم المقام الثالث، والكلمة فارسية.

(٢) في الأصل: «أتُحْمَلُ» والصواب ماأثبت.[المراجع].

(٣) بإشباع حركة ميم« يوم» وهو قبيح.[المراجع].

ومنها أيضاً له والشعر والغناء في السيكاه: [الوافر]

عليلُ الشَّوْقِ فيك متى يَصُحُّ ... وسكرانٌ بحُبِّكَ كيف يصحو
وأعجبُ أن يكون له شِفاءٌ ... فُؤادٌ من لحاظكَ فيه جُرْحُ
وبينَ القلبِ والسلوانِ حَرْبٌ ... وبينَ الجفنِ والعَبَراتِ صُلْحُ
مزحتُ بحبِّكم يا صاحِ جَهْلاً ... وكم جلبَ السَّقامَ عليّ مَزحُ

١٣٩- ومنهم-الخَرُوْف

من ندماء الملك المنصور صاحب جماعة ومغانيه، واهل الحظوة الذي لم يكن فيها أحد يدانيه، والنجب الذي أدناه من صاحب البخت لبلوغ أمانيه، وكان من نجوم مجلسه الطالعة، وغصون حضرته اليانعة، وجلساء مدامه وأخصاء ندامه، وكان سري الخلائق يدمث عطف النسيم، ويبعث النشوة في شمائل النديم، أصله من مدينة درع[١]، وقدم دمشق وبرع، وعدّى المنتهين في الغناء من أول شرع، وكان جلاء البصر، وسراج هم الخاطر إذا انحصر، خدم البيت الأيوبي واقتاد بهم الخط الأبي، ومن أصواته: [ص ٣١٧] [الكامل]

إنْ غاضَ دَمْعُكَ والركاب تساقُ ... مع ما بقلبكَ فهو منكَ نفَاقٌ
لا تَحْسَبَنْ ماءَ الجفونِ فإنَّهُ ... لك يا لديغَ هواهُمُ دِرْياقُ
واحذرْ مصاحبةَ العَذولِ فإنَّهُ ... مُغْرٍ وظاهرُ عَذله[٢] إشفاقُ
لا يبعدَنْ زمن مضَتْ أيَّامُهُ ... وعلى متونِ غصونها أوراقُ
أيامَ نرجسنا العيونُ ووَرْدُنا ... غضُّ الخدودِ وخمرنا الأرياقُ[٣]

---

(١) كذا بالأصل، ولعلها: درعة لأنه يتكلم عن مغني المغرب والأندلس.

ودرعة: مدينة صغيرة بالمغرب من جنوب الغرب بينها وبين سجلماسة أربعة فراسخ، ودرعة غربيها (ياقوت: درعة).

(٢) في الأصلك« عدله ». [المراجع].

(٣) في الأصل الكلمة مبهمة هكذا (لفض).

فلئن بكت عيني دَمَا شوقاً إلى ... ذاكَ الزمان فَمِثْلُهُ يُشْتَاقُ

والشعر للشريف البياضي.

وحكى لي أبو جعفر بن غانم أنه حضر مجلس صاحب حماة، وهو مخيم ببارين[1] في زمن الربيع وقد أطلع بدائع النور وتجلى بسوابغ الأنهار، والروض قد فك عنه حجز الغمام، والنسيم قد مشى في جوانبه مسبل الأكمام، وأمر بالمغاني فأحضروا وفيهم الخروف ووجهه باسر يلوح يكلح، ولبه ذاهب كأنه ما جاء ليغني وإنما قد قدم ليذبح، فقال له: ما هذا الذي أراه بك؟ أهذا لمفارقة حماة أم لشيء لدينا تتحاماه؟ أما تنظر إلى فسيح هذا الفضاء، وإلى هذا الجو وقد مُوِّه بالفضة البيضاء؟ والخروف مطرق كأنه يرى السكين في يد الذابح، والنار تشب في زناد القادح، لهوى كان عقده بحماة[2] جديداً، وفارقه وإن لم تكن النوى رمت به مكاناً بعيداً، ثم لم يطل به السكوت، ولم[3] يتمادى لسانه في اعتقاد الصموت، حتى اندفع يغني صوتاً عمله لوقته، ونطق به وخرج من عهدة صمته، وهو: [الكامل]

قَسَمَاً بأيامِ التداني ولذةِ الـ ... ـوِصالِ وإني في يميني صادقٌ[4]

ما سُرَّ قلبي مُذْ نأيتُ ولاحلا ... ليَ العيشُ واللذاتُ منِّي طالقُ

وأنِّي أرى هنا الفضاء الذي أرى ... فسيحاً علينا بعدكم متضايقُ

وما سَرَّ قلبي الروضُ يزهر حسنُهُ ... وأني كفيتم عاشقٌ ومفارِقُ

فطرب صاحب حماة حتى مال، وسأله أن يطلعه على حقيقة ما قال، فقص عليه [ص ٣١٨] خبره مع شجنة وما جلبه فراقها عليه من حزن، وسأله: لمن

---

(٢) بارين: مدينة حسنة بين حلب وحماة من جهة الغرب. (ياقوت: بارين)

(٢) في الأصل: «بحما». [المراجع].

(٣) في الأصلك« ولا». [المراجع].

(٤) البيت مختلّ وزناً، ويصح مثلا أن يكون: «حلفت بأيام...». [المراجع].

الشعر؟ فقال: والله لا أعرف، ولكنه شيء أحفظه، فلما عاينت من ذكرك الموت جاء على خاطري، فصنعت فيه هذا الصوت، فقال: والله حسن جميل ما صنعت وإن مساعدتك لتعين، ثم أصبح فقوض خيامه عائداً، ثم دام له على هواه مساعداً، ثم أمر له بصلة سنية وزاد في راتبه.

وحكي أن صاحب حماة جلس ليلة على نهر العاصي(١)، والقمر مبدر، والليل قد أصحر أسده المخدر، والمجرة قد كاثرت المجلس بأكوابها، والظلماء قد لعبت أشعة البدر بأثوابها، والصهباء قد ذهّبت شبح الظلام، والأبارق قد شبت شعل ذلك الضرام، فاستدعى في ذلك المجلس الأسنى، واقترح عليه صوتاً فيه:(٢) [البسيط]

قُمْ فانتصِفْ من صروفِ الدهرِ والنُّوَبِ ... واجمع بكأسكَ [شَمْلَ] اللهو والطَّربِ
أما ترىَ الليلَ قد قامت عساكِرُهُ ... في الشرقِ ينشرُ أعلاماً من الذهبِ
والجوَّ يختالُ في حُجْبٍ مُمْسَّكة ... كأنما البرقُ فيها قلبُ ذي رعبِ
فاخْلَعْ عِذَارَكَ واشربْ قهوةً مُزِجَتْ ... بقهوة الرفقةِ المُعْسُولةِ الشَّنَبِ

والشعر للسري الرفاء.

ومن أصواته المشهورة: [الطويل]

ترى علمتْ وجدي بها ربَّةُ الخالِ ... ومن قلبها من شغل قلبي بها خالي
ومن أناصَبٌ في هواها مُتَيَّمٌ ... وما كنتُ منها قطُّ يوماً على بالَ
تنوّرْتُها كالبدر أدنى مزارها ... فؤادي وما أدناهُ لي المنظر العالي(٣)

والشعر لشيخنا أبي الثناء محمود الحلبي:

---

(١) نهر العاصي: نهر حماة وحمص ويعرف بالميماس، مخرجه من بحيرة قَدَس ومصبه في البحر قرب أنطاكية، وقيل: إنما سمي العاصي لأن أكثر الأنهر تتوجه ذات الجنوب، وهو يأخذ ذات الشمال، وليس هذا بمطرد. (ياقوت: العاصي).

(٢) الشعر للسري الرفاء في ديوانه ص ٢٦.

(٣) في الأصل: «بنورتها... المنظر الحالي» والصواب ما أُثبت. [المراجع].

ومن أصواته:[1] [الطويل]

أقولُ وقد ناحتْ بقربي حمامةٌ أيا جارتا هل باتَ حالُكِ حالي

معاذَ الهوى ما ذُقْتِ طارقةَ النوى ولا خطرتْ منكِ الهمومُ ببالي

أتحملُ محزونَ الفؤاد قَوادمٌ على غُصُنٍ نائي المسافة عالِ[2]

أيا جارتا ما أنصف الدهرُ بيننا تعالَيْ أقاسِمْكِ الهمومَ تعالي

تعالَيْ ترَيْ روحاً لديَّ ضعيفةً تَردَّدُ في جسمٍ يُعَذِّبُ بالي

لقد كنتُ أولى منكِ بالدمع مُقْلةً ولكنَّ دمعي في الشدائدِ غالِ

[ص ٣١٩]

والشعر لأبي فراس بن حمدان.

وحُكِيَ أنه كان يوماً بين يديه في خاصة من ندمائه، إذ أقبل غلام كالبدر في سمائه، قد شد وسطه ببند[3] قطع بين خصره وردفه، ومنع بين الواصف ووصفه، وطرفه قد سجى، وغرته تحت طرته صبح في دجى، وعذاره في خده قد شق في الورد بنفسجاً، فجاء حتى وقف بإزائه، والوجد به قد أضرم الجوانح، وهاج الولع بالظباء السوانح، فلم يبق إلا من أنشد شعراً نظمه واستشهد به، وذكر حسن ذلك الغزال السانح من سربه[و][4] الخروف مطرق في فكر، يسبح في لجحه[5] وذكر، لما ينطق به لسان حججه، حتى صاغ لحناً، واندفع فيه يغني: [الكامل]

قَسَمَاً بطرَّتهِ وحُسْنِ عِذَارِهِ وبما حواهُ الخَصْرُ من زنَّارِهِ

(١) الشعر لأبي فراس الحمداني في ديوانه ص ٢٤٦ تحقيق محمد التونجي ١٩٨٧ دمشق.

(٢) القوادم: الريشات الكبيرة في جناح الطائر.

(٣) البند: العلم الكبير، فارسي معرب.

(٤) الواو هنا زيادة لازمة.[المراجع].

(٥) في الأصل: «يسبح في نجحه». [المراجع].

وبحُسنِ وجنتِه وضَوْءِ جبينهِ وببدرِ تَمٍّ لاحَ من أزرارِهِ
وبوعدِهِ وبصَدِّهِ وبغَدْرِهِ وبقُرْبِ جفوتهِ وبُعْدِ مزارِهِ
لأخالفنَّ عواذلي في حُبِّهِ مهما استطعتُ ولو صَليتُ بنارِهِ

والشعر مجهول.

ومن أصواته التي اقترح عليه الغناء فيها: [الكامل]

أنْصَفْتُهُ من مُهْجَتي لوأنصفا ووَدِدْتُ لو راعى ودادي أو وفى
وطمعتُ مُغْتَراً بجوهر ثغرهِ فصفا وكدَّرَ من حياتي ما صفا
خادَعْتُهُ بحديث لِيْنِ قوامهِ فسَطَا وهزَّ عليَّ منه مثقفا
فذهبتُ من يدهِ إلى أجفانه فَرَقَاً وسَلَّ عليَّ منها مرهَفَا

والشعر للجلال ابن الصفّار المارديني، ومن هذه القطعة تلو الصوت: [الكامل]

كالبدر أعيتُ حسنه وهيبته لي وجنتيه أن يكون مَشَنَّفا(١)
وكَفَتْهُ خمرة ريقه ورضابه فكفَتُه أُن يرد العقار القَرْقَفا
أرأيت خداً لا يزيد تلَهُّباً فيزيدني إلا عليه تلهُّفا
أم هل سمعتَ بمن شكا حُرَقَ الهوى مثلي فداوِ النار بالنار اشتفى
رَشَأً رشيقاً ظلَّ يحذف خصرُهُ رِدْفاً عتا فقضى له أن يضعفا(٢)
يا نسمةً ضَمنَتْ تَعطُّف قَدِّهِ هَلا مَررْتَ بقَدِّهِ فتعَطَّفا
أحببته متجنباً ووددتهُ مُتَجنِّياً وعَشِقْتُهُ مُتَعَفِّفا

(١) كذا البيت في الأصل وهو مضطرب وزنا ونحواً و معنى.
(٢) عتا: ظلم وجاوز الحد.

[ص ٣٢٠]

فاخترتُ للجسم الضَّنى وجعلت للـ ـقلبِ الفنا ورضيتُ منه بالجفا

ومن أصواته المعروفة له : [البسيط]

مَنْ مُنْصِفي من هلالٍ يخضعُ القمر السـ ـاري له وغزالٍ يَصْرَعُ الأسدا
لِمْ لا يخافُ العِدَا أسيافَ ناظره وقد رأوا سالفيه أُلْبِسَا زَرَدَا .
وكيف لا في الهوى ينحَلُّ عَزمُهُمُ وبنْدُهُ فوقَ ذاك الخَصْرِ قد عَقَدا
يا مَنْ حكى الصَّعْدة السَّمْراء قامَتُهُ كم قد تنفَّسَ فيكَ العاشقُ الصَّعَدا

والشعر لابن الدجاجية الدمشقي .

ومن أصواته : [الكامل]

أشذاكُمُ عندَ الصباح يفوحُ أمْ نَشْرُ ليلى قد طوتْهُ الرِّيحُ؟
مِلْنا فكُلٌّ من تأرُّج عَرْفُهُ نشوانُ فوقَ مَطيَّةٍ مطروحُ؟
فكأنَّما دارتْ علينا في السُّرَى كأسٌ على نَغَمِ الحداةِ طَفُوحُ
أنسيمَ ليلى هل مَرَرْتَ على الحِمَى ليلاً وليلى في الديارِ يَرُوحُ؟

والشعر لبعض نصارى ماردين[(١)]

ومن أصواته :[(٢)] [الكامل]

طَلَلٌ لعَلْوةَ دونَ سَفحِ مُحَجَّرِ رَوَّتْهُ ديمةُ كلِّ غَيْثٍ مُمْطِرِ
وسَرَتْ عليه نُسَيْمَةٌ مُعْتَلَّةٌ عن غيرِ طَيِّبِ نَشْرِهِ لم يُنْشَرِ
حتَّى تَسَهَّمَ بُرْدُهُ بمُقَضَّبٍ ومُخَضَّبٍ ومُدْرَهمٍ ومُدنَّرِ

---

(١) ماردين : قلعة مشهورة على قُنَّةَ جبل الجزيرة مشرفة على دنيسر ودارا، ونصيبين، وكان فتحها سنة ١٩ هـ في أيام عمر بن الخطاب . (ياقوت : ماردين) .

(٢) الشعر للشهاب التلعفري .

رَبْعٌ عَلِقْتُ به وغُصْنُ شَبيبَتي   نَضْرٌ وفودي ليلُهُ لم يُقْمِرِ[1]

والشعر للشهاب التلعفري.

ومن قطعة ألزم فيها عدم الإلف وتمامها: [الكامل]

لِلَّه عَصْرُ شَبيبَةٍ قَضَيْتُهُ   في جَوِّهِ برحيقِ صَرْفٍ مُسْكِرِ
مع كلِّ معتدلٍ بريح صَعْدَةٍ   من قَدِّهِ ويديرُ مُقْلَةَ جُؤْذَرِ
ورشيقةٍ ممشوقةٍ لو نصبت[2]   للبدرِ ليلَةَ تَمِّهِ لم يُسْفِرِ
خَوْدٌ تُريكَ سقيم جفنٍ لم يكنْ   عن قتلِ صَبٍّ مُغْرَمٍ مثلي بَري
تحمي مُقَبَّلَهُ بِطَرْفٍ سَهْمُهُ   يُصْمي به عن غيرِ قوسٍ مُؤْثرِ
يفترُّ عن ثغرٍ نضيدٍ نورُهُ   حُفَّتْ حقيقَتُهُ بِسِمْطَيْ جوهرِ

وانظر إلى هذه القطعة التي كأنها من قطع الروض [ص ٣٢١] المرقع في عنفوان زمن الربيع، وكيف جاءت مع هذا الالتزام خفيفة الموقع، قريبة من الخاطر، لا ترى الكلفة[3] عليها ولا تتطرق للاستهجان.

وكذلك من أصواته في شعر ابن الحجاج، وحُكِيَ أن الملك المنصور صاحب حماة استصحبه معه إلى مصر في بعض سفراته إليها، فحضر يوماً يغنيه، وقد حضر عنده أبو الحسين الجزار الشاعر، واندفع الخروف يغني صوتاً أوله: [الوافر]

مُريقُ دَمي وسَالِبُ نَوْمَ عَيني

وطفق[4] يردده ويكرره، فقال له الجزار: لك الأمان يا شيخ أحمد، فضحك

---

(١) في الأصل: «ليلة لم تقمر». [المراجع].

(٢) في الأصل: (لو نقت) ولم أجد لها وجها، واجتهدت بوضع كلمة نصبت.

(٣) في الأصل: «للكلفة». [المراجع].

(٤) في الأصل: (وطرتو) وليس لها معنى.

صاحب حماة ومن حضر.

قلت: ولم يقع إليَّ من هذا الصوت غير ما ذكرت.

حُكِيَ أنه كان مع صاحب حماة على مجلس الشراب وهم ببلاد بارين(١)، والربيع قد سحب بردائه على الثرى، والسحاب قد أودع في ثغور الأقاح جوهرا، والنسيم قد هب من تحت أعكان(٢) الليل معنبراً(٣)، والروض قد أخذ زخرفه، والنور قد نظم أحرفه، والبدر قد طرح تاجه، وألبس الشمس شرفه، والراح قد راقت كأنها وجه حبيب، وطابت كأنها غفلة رقيب، والمدام قد أديرت في عسجدية، والكؤوس قد رقت في تلك الصفحة الندية، والسقاة كأنها أقمار توشحت الجوزاء مناديل، والأصداغ كأنها محاريب اشتعلت فيها الخدود قناديل، فاقترح عليه الغناء في شعر خمري يناسب ذلك المقام، ويحث به سوابق كبنت تلك المدام، فاندفع يغني: [البسيط]

والكأسُ تسلبني عقلي وأهونُ ما ... لَهَوتُ عن ذكرِهِ عقلي إذا سُلبا
خمراً تمشِّي بناني وهي فوق يدي ... منها بمثل شُعَاعِ الشمس مُخْتَضِبا
شربتُها غير مخمورٍ ولو طلب الـ ... ـخَمَّارُ روحي بها أعطيتُ ما طَلَبا
وأربحُ الناسِ عندي في تجارتهِ ... مُحَصِّلٌ يشتري بالفضَّةِ الذَّهَبَا

ومن أصوات الخروف: [الطويل]

إذا لم تكنْ تُنْهي إلى غيرك الشكوى ... فما ثَمَّ إلا الصَّبْرُ فيكَ على البلوى

[ص ٣٢٢]

(١) بارين: والعامة تقول (بعرين)، مدينة حسنة بين حلب وحماة من جهة الغرب (ياقوت: بارين).

(٢) أعكان الليل: تجمع ظلامه بعضه فوق بعض، ومنه العكنة: ما انطوى وتثنى من لحم البطن سمناً.

(٣) معنبراً: فيه رائحة العنبر.

وإنِّي وإِنْ أتلفتُ بالهجرِ مُهْجَتي لأرضى الذي ترضى وأهوى الذي تهوى
عرضَتُ على روحي تلافي فما أبت وعَرَّضْتُ روحي للسُّلُوّ فما السَّلْوى
ومن لم يَجُدْ بالروح في الحبِّ لم تَكُنْ مَحَبَّتُهُ إلا إذا حَقَّقَتْ دعوى

والشعر لابن إسرائيل.

١٤٠-ومنهم-مُحَمَّد بنُ غُرَّة

من مغاني صاحب حماة، وممن يؤتى في مغاني حِماه، ثم لما هدمت الأيام ذلك البيت المعمور، وهدت تلك الجبال الشم حوادث الأمور، أتى دمشق ولزم بعض كبرائها، وقطع باقي أيامه البيض في خضرائها، وقضى فيها ما كان بقي من أجل سروره، وعجل غروره، وكان ممن يقر له أهل صناعته، ويقدر له الذي لا يقدر على إضاعته، ومن أصواته: [البسيط]

من مُنْصِفي من عيونٍ كُلَّما نظرتْ إلى خَليٍّ فؤادٍ بات في شُغُل
إذا رَنَت فسيوفٌ من بني أسَدٍ وإنْ رَمَتْ فَسهامٌ من بنى ثُعَلِ
أنا القتيلُ بها والمستجيرُ بها منها فياليتَها تقضي عليَّ ولي
وبي أغن غضيض الطرف قامته تزري إذا مال بالعسالة الذبل(١)
زها على البدرِ في حُسْنٍ وفي شَرَفٍ وأخجلَ الغُصْنَ في لين وفي مَيَل
إذا بدا قال بَدْرُ التَّمِّ وا كلفي أو انثنى قال غُصْنُ البانِ وا خجلي(٢)

والشعر للجماز، وكذلك صوته في شعره أيضاً: [مجزوء الرجز]

كَحَّلَ جَفْني بالأرَقْ ساجِي الجفونِ والحَدَقْ

---

(١) السعالة: كذا بالأصل، وهي تحريف (العسالة) وهي الرماح المهتزة المضطربة للينها.

(٢) وا كلفي: من كلف الشيء وبه، أحَبَّه وأُولِعَ به، فهو كلف، والكلف: الرجل العاشق المولع.

مُـهَـفْـهَفٌ كـالغُـصْنِ قَـدْ دًا والعَـبِـيْـرِ[(١)] مُنْتَـشَقْ
حلوُ اللُّمى والمجُـتَنَى والمجُـتَلى والمُعـتنقْ
قـد سـحـرتْ أجْـفَـانُه ألبـابنا والسِّـحْـرُ حَقْ
وكَـلَّ طـرفـي بـالـبُـكـا وكَـلَّ قـلـبـي بـالـقَـلَـقْ
فَـمُـقْلَتي ومُـهْـجَـتي بـينَ دمـوعٍ وحُـرَقْ

وصوته في شعر الباخرزي: [ص ٣٢٣] [البسيط]

أبقـيتَ منِّي روحـاً مَـالهَـا بدن لذاك زوَّرتُ من روحي لهـا بَدَنا[(٢)]
يا فـالقَ الصُّـبْحِ من لألاءِ غُـرتـهِ وجـاعلَ الليلِ من أصـداغـه سَكَنَا
بصـورة الوثن اسـتـعـبـدتني ولَهَـا فَـتَنْتَني وقـديماً هِجْتَ لي فِـتَنا
لا غَـرْوَ إنْ أحـرقَتْ نارُ الهوىَ كَـبِـدي فـالنارُ حُق على من يعـبـدُ الوثنا

وهذا الصوت أوله من قطعة: [البسيط]

أنتَ الذي نقضَ الميـثـاقَ لستُ أنا فـدَعْ جـفـاءَكَ إنْ كـان الوفـاء أنى[(٣)]

ومن أصواته:[(٤)] [مجزوء الرمل]

أيُّـهـا الـصَّـبُّ المُعَـنَّـى يتـبـعُ الِّرئْـمَ الأغَـنَّـا
كـيـف يـحـنـو مَـنْ هـوى مَـنْ كُـلُّ يـومٍ يـتـجـنَّـى
أودعَ الـنَّـفـسَ مَـلاءً مُـعْـرِضٌ أعـرضَ عَنَّا
جـاد بـالهـجـرانِ منـهُ وبـوَصْـلِ الـصَّـبُّ ضَـنَّـا
كُـلُّ يـومٍ أنـا مـنـهُ نـادمٌ أقـرعُ سِـنَّـا

---

(١) في الأصل: «العنبر» وبه يكسر الوزن. [المراجع].

(٢) في الأصل: (اتقيت من روح) وهي خلاف المعنى والنحو.

(٣) أنى: أنياً، حان وقرب.

(٤) نسب المؤلف الشعر لأبي نواس ولم أجده في ديوانه طبعة الغزالي.

لـيسَ فـي كــــــــفٍّ مـنـهُ غـــــيـــــرَ أنْ كــــــانَ وكُنَّا

والشعر لأبي نواس.

وكذلك صوته: [البسيط]

حـاشـا لوجـهِكَ يا مَنْ لا أسَـمِّـيـهِ من أن يقـاس إلى مـثْلٍ وتَشْـبـيـهِ
أنَّى وكـيـفَ ولو كـانتْ مـحـاسِنُهُ للشـمسِ مـا طلَعَتْ من شِـدَّةِ التِّـيْـهِ
انظر إلى كـل شيء طيب حـسـن وانظرْ إليـه تجِـدْ أمـثـالَهُ فـيـه
أسْـتَـغْـفُـرُ اللّهَ مِمَّا قُلْتُـهُ عَـبَـثـاً إنَّ القـضـيـبَ وإنَّ البَـدْرَ يحكيـه(١)

والشعر مجهول

وكذلك صوته: [البسيط]

أحـبـابَنَا لا بُليـتُم بالبِـعَـادِ ولا خَلَـتْ رُبُـوعٌ لـكـم مْـنكـم وأوطـانُ
قَطَعْـتُمُ سُـبُلَ المعـروفِ فـابتـدئوا في حُـسنِكم فكمالُ الحُسْنِ إحسـانُ
أقْـسَـمْتُ لارُمْتُ منهمْ سَلْوةً أبداً ولا مَلَلْتُ وإنْ خـانوا وإنْ مـانوا(٢)
مـا ضَّـرهم لو وفـوا أو أنصـفـوا كـرمـاً هيهـاتَ هيهات ما هُمْ لي كـمـا كـانوا

[ص ٣٢٤] والشعر للزكي النابلسي.

وكذلك من أصواته في شعر العفيف التلمساني: [الطويل]

رعى اللّهُ مـرأى حـاجـرٍ ورُباها وحـيَّـا الحَـيَـا أطلالَهـا وسـقـاها
وراعَتْ إليـهـا الريحُ مـثلي عليلَةً لينقلَ أقـوالَ الغـصـون شـفـاها(٣)
وشـقَّـتْ بهـا ثَوْبَ الشـقـيق يَدُ الندى وبـدَّدتِ الأرواحُ عَـرْفَ شـذاها(٤)

---

(١) في الأصل «يحليه» ومعنى يحكيه أي يشابهه. [المراجع].

(٢) مانوا من المين وهو الكذب.

(٣) راعت: رجعت إلى موضعها، وراع روعاً: فزع.

(٤) في الأصل: «نوب»، والصواب ماأثبت. [المراجع].

إلى أنْ سَرَى سِرُّ الوشائع شائعا وتُصْبِحُ رَهْواً أرضها كَسَمَاها
فكم ليلةٍ بِتْنَا نرى البدرَ أختَهُ بها ويُرينا في السماء أخاها

وكذلك صوته: [المديد]

ما هوىً إلا لهُ سَبَبُ منه يبدو ثم يَنْشَعِبُ

وكذلك صوته: [مخلع البسيط]

أبعَدْتَني عنكَ بعدَ قُرْبي يا ليتَ شعري ما كان ذنبي
لهفي لعيشٍ قد كنتُ فيه أدعوكَ يا منيتي بِلُبِّي

وقال الجمال المشرقي: والشعر لابن الكرخي، والغناء فيه في الراست ونفق به ابن غُرَّةَ برهة من العمر وحصل به جدًى كثيراً.

١٤١-ومنهم- القَاضِي مُحَمَّد العَوَّاد

ويعرف بابن القاضي أيضاً، وكان من مغاني صاحب حماة الذين شُرِّفُوا إليه بالانتساب، وعرفوا لديه بالاكتساب، وكان ممن يحضر في يده العود، ويبيض به وجوه الليالي التي لا تعود، وكان في لسانه ثقال، حتى إذا غَنَّى لم يُرَ مثله في طلاقة اللسان، والطاقة التي ما لأحد في هذا الباب نظيرها من الإحسان، وأتى دمشق بعد انهدام ذلك المغنى(١) المشيد، وانقضاض ذلك الركن السديد، فأقام به مسترزقاً، ولباقي أيام عمره فيها منفقاً.

ومن أصواته: [ص ٣٢٥] [مجزوء الكامل]

جنحَ الحبيبُ إلى الصُّدودِ وافى وما وَفّى وعُودي

(١) المغنى: الموضع الذي كان به أهلوه.

وإذا العـوارضُ بـالبـنفـ ـسجِ جـاورتْ وَرْدَ الخُـدودِ
وتمـوَّجـتْ كُـثُـبُ الـرِّوا دفِ تحت أغـصـانِ القُـدُودِ
شـاهدتُ في أيـدي الظِّبـا[1] ءِ قـيـادَ أعناقِ الأسـودِ

والشعر مجهول.

وكذلك صوته: [الكامل]

يا مُسْكِري وجـداً بكأسِ جـفـونه قُلْ لـي أتِلْكَ لـواحظٌ أم قَـرْقَفُ؟
يا مَنْ حكى الغُـصْنَ الرَّطيبَ رشـاقـةً هَلا عَطَفْتَ فَـمِـثْلُ قَـدِّك يَعْطِفُ
بادرْ جـمـالكَ بـالجـمـيلِ فـرُبَّمَـا ذوت الملاحـةُ أو أبَلَّ المدْنَفُ[2]
واسـبقْ عـذارك[3] قـبلَ أنْ يـأتي بـعـزلِ هواكَ منه ملطِفُ

وكذلك صوته: [مجزوء الرجز]

هل بعـدَ جـيـران النَّقَـا يَلَذُّ لـلصَّبِّ البَـقَـا[4]
أو تـرتـضـي أجـفـانُهُ إلا الـبُـكـا والأرَقَـا
وهـل يـلـومُ قَـلْبَـهُ إذا قَـضَى تَشَـوُّقـا
أهـكـذا حـكـمُ الـهـوى لـيتَ الهـوى لاخُـلِقـا
أصْـمَى الـقـلوبَ بـالأسـى وبالسُّـهَـادِ الحَـدَقـا
أقـضي نهـاري أسـفـاً وعـمـر ليلي قـلقـا

والشعر للمجاور، وهو من قصيدة تخف على السامع منها: [مجزوء الرجز]

مـولى سـمـا بأصلِه على البـرايا وسَـمَقْ

(١) في الأصل: «الصبا» والصواب ماأُثبت. [المراجع].

(٢) المدنف: المريض، وأراد هنا مريض العشق.

(٣) في الشطر الأول كسر لنقص كلمة مثل الصبابة: واسبق عذارك[بالصبابة] قبل أن... إلخ. [المراجع].

(٤) النقا: كثيب الرمل. الصب: العاشق المشتاق.

جـــوادُ فَـــضْلٍ مـــا جـــرى لـغـــايـةٍ إلا سَـــبَـقْ
لـم يـخـلُـق الـلَّـهُ تـعـــا لـى نِـدَّهُ ومـــا خَـلَـقْ
ويـحَ الـكُـمَـــاةِ إن سـطـا والـفـصـحـاءِ إنْ نطقْ
وفـــارسُ الخـيـلِ إذا جَـدَّ الـصـدامُ والحَنَقْ
فـرَّقـهـا فـي الـبـيـد بـالـضـ رب وبـالـعَـطْـنِ فَـرَقْ(١)

[ص ٣٢٦]

بـأبـيـضٍ بَـرْقُ المـنـا يـا فـي غِـرَارَيْـه ائْـتَـلَـقْ
وأدهـمٍ كـالـلـيـلِ يـبـ ـدو بين عـيـنـيـه الـقَـلَـقْ

١٤٢- ومنهم - الدَّهْمان مُحَمَّد بن عَليٍّ بن عُمَر المازِني

أبو الفضل شمس الدين ذو يَدٍ في الأدب غير قصيرة، وذهن لا يتمثل شيئاً إلا أحسن تصويره، لو صور نفسه لم يزدها، ولو بُدِّلَتْ بالكواكب صنعته لم يردها، أجاد في صنعته، وواسى بفهمه أباريده(؟)، وأتى بكل بديع الصنعة لا يدني تدبيجها للغمام، بعيد السمعة والذي صوره أقرب شيء إلى الأفهام، صنائع فكر ويد جاء فيها بألوان ما يسر الناظر، ويسير الديوان فما أبقى من محاسن أدب ودهان، وأمسك منها قلم الشعر، والشعر لأنه حاز قصب الرهان، وغادر من أثريه خط ناظر امرئ وسمعيه، نشر منها قطع الرياض، ونطف الغُدُر(٢) الا أن ذهب الأصيل، طفح على إنائها الفضي من جوانبه وفاض، وعلى ما كان يعاني من عبء هاتين الصنعتين، فعززهما بثالث، بصوت مثان ومثالث، له

(١) العطن والأعطان : مبارك الإبل . – قلت :كذا في الأصل،وأقرأ أيضاً :
فرّقهافي البيْدِ بالضّـ ـرْبِ وبالطَّعْنِ فِرَقْ
فجمع الشاعر الطعن(بالرمح) إلى الضرب (بالسيف) .[المراجع].
(٢) جمع غدير .[المراجع].

في كل واحدة من هذه الثلاثة معان لا تتناهى، وصور قبل إبرازها إلى الخارج لا يتصوَّرُها أحد ولا يعرف معناها، في أي صورة ما شاء ركَّبَها، وفي أي مذهب أراد أذهبها، وكان فريداً في توقيع الألحان، وتنوع الشكر بما يعقُّ من تمام الفدام(١) عن بنت ألحان، وكان له بالربوة من وادي دمشق دارٌ نقشها زماناً، وأخرج فيها جهد صناعة الثلث فكتب عليها شعره وذهّبها، ثم كان يغنيها ألحانا، وكان يؤخذ عنه علم الطرب، وكان عَلَماً فيه واحداً، ومحركا لا يدع في السماع القائم قاعداً.

ومن شعره الذي صاغه شعراً وألحانا، وجمع فيه محاسن الدهر زماناً زماناً، وأتقن تراكيبه كأنما أضرمه إذهاباً وأتقنه دهانا، قوله: [الخفيف]

إنَّ فَصْلَ الرَّبِيْعِ أطيبُ فَصْلٍ ... طالعٍ وَجْهُه بِكُلِّ سَعَادَهْ

[ص ٣٢٧]

طابَ في فصلِ صحةٍ فلهذا ... كلُّ يومٍ جمالُه في زِيَادَهْ

تَبْرُزُ الأرضُ منهُ في سندسِ الـ ... وَشْي حاكت سَحَابُهُ أبرادَهْ

لم يزَلْ وَرْدُهُ يغازل لِلْمَنْـ ... ـثُورِ حتَّى شَقَّ الشَّقيقُ فؤادَهْ

وقوله: [البسيط]

يهيجُ شوقي إليه كلَّما صدحَتْ ... تدعو هَديلاً مع الأصباحِ في فَنَنِ

حمامةٌ وَجَدَتْ وجدي فلي ولها ... قلبان شُدًا مع الأشواقِ في قَرَنِ

قامتْ تنوحُ على ساقٍ وقُمْتُ على ... ساقٍ أنوحُ فأشجتني ولم تُعِنِ

والشعر له، وكذلك الغناء له، وله صوت مشهور لم يبق في زمانه من لم يقر له فيه إحسانه، وهو [الرَّجز]

هل حيها على الغوير واجد ... أم أقفرت من زينب المعاهد(٢)

---

(١) الفدام: ما يوضع في فم الإبريق ليصفي به ما فيه.

(٢) الغوير: قيل هو ماء لكلب بأرض السماوة بين العراق والشام، والغوير: ماء بين العقبة والقاع في طريق مكة، والغوير: موضع على الفرات. (ياقوت: الغوير).

خَـفـيَـتْ حـتَّىٰ من سـقـامي والضَّنىٰ لولا أنـيـني مـــا رآني الـعـــائدُ
حــتى رثَـتْ لي رحــمـةً حــواسـدي يـا ويحَ من تَرْثـي له الحـــواســدُ
يا كـعـبـةَ الحُـسْنِ التي أحُـجَـهـا فـــؤادُ مُـــضْنَاك عليك واقـــدُ
كم سُـقْتُ في الـهـوى إليكم مـقلتي والحُـــرُّ مَنْ يحـــفَظُ من يُعَـــاهدُ

والشعر لغيره، والغناء فيه له.

وبتنا ليلة في داره بالربوة وواديها يصفح، وناديها بنشر البنفسج ينفح، والليل قد رق جلبابه، وعلق في جوه ربابه، وهو تارة يحيينا من أناشيده، وتارة يطوينا طائره المترنم بتغريده، حتى حان الصباح ونحن لا نظن أن الليل قد نصّف، ولا أن فرع الجوزاء[١] قد تهدل أو تقصف، ثم التفت فإذا الصباح قد أشرق، وجمر الفجر قد شب إلا أنه ما أحرق، وتلفت يرى بكاء الطلّ في عيون النرجس ما رقا، والبرق بإزاء الليل الكافر مارقا[٢]، وجبين الصبح يرشح ماؤه، وجبين الفجر سقطاً ينضح الشفق دماءه، فاندفع يغني: [الطويل]

ألا حَــبَّــذَا الوادي وَرَوْضُ البَنَفْــسَجِ وطِيْبُ شَـــذَا مِنْ عَـــرْفِـــهِ المُتَـــأَرِّجِ

[ص ٣٢٨]

وأغـصــانُ بانٍ في حـفـافيـه مِـيَّـدٌ بكلِّ قـديم القَـدِّ غـيـرِ مُـعَـوَّجِ[٣]
وأنهـــارُ مـــاءٍ في صــفـــاءٍ ورقَّـــةٍ يســـيلُ به مـــا بين رَوْضٍ مُـــدبَّجِ
كَـــذَوْبِ لجُينٍ[٤] او كَـمَـتْنِ مُـهَنَّدٍ يمُرُّ مُـــرورَ الزئبقِ المتـــرَجْـــرِجِ

(١) الجوزاء: برج من بروج السماء.

(٢) أصلها (مارقاً) أي البرق خارجا من جنب الليل، من مرق أي خرج من الجانب الآخر، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: (يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية).

(٣) ميد: جمع مائد، وماد الشيء تحرك، حفا فيه: جوانبه. القد: القوام.

(٤) اللجين: الفضة.

إذا قـابَلَتْـهُ الشـمسُ أبصـرت مـذهبـاً ... من الوَشْي يبـدو ببـريق وزَبْرَجِ[١]
وإنْ جَـعَّـدَتْه خَطْرةٌ من نُسَـيْـمَـةٍ ... فـيـا حُـسْنُ مـرأى مَـتْنه المتـمَـوِّجِ
جِنَانٌ إذا ريحُ الصَّـبـا نفـحتْ بهـا ... فـبُـعْـداً لأطلالِ الرُّبا بِمَنْعجِ[٢]

وكان له مملوك أفرط في حُبه،وأخذ بمجامع قلبه، فغاله منه حادث الموت، فحزن عليه حزناً ذَبَّ عن جفنه الغرار[٣]، وأحرم قلبه الفرار، فأتى صاحبنا الخطيب الصوفي وكان بينهما صداقة أكيدة، ومزاح فَكِهٌ، ثم أنشد لنفسه كأنه يعزيه، وإنما قَصْدُهُ أنه يخزيه[٤]: [الطويل]

لئن مـات يا دهَّانُ مُلُوكُكَ الذي ... بَلَغَتْ به في النَّفْسِ مَـا كُنْتَ تَرْتَجي
فَـمَـثِّلْهُ بالأصبـاغ شكلاً وصـورةً ... وقَـدّاً ورِدْفاً واتْرُكِ الحُزْنَ واصلِجِ[٥]

فقام الدهان بأقبح خزية وأضرها، وأعظم كآبة وأشهرها، ثم قاطعه مدة فلم يكلمه.

١٤٣-ومنهم- الكَمَال التَّوْرِيزِي

سقطت لنا أخباره سقوط الندى، وبدت لنا بدو البدور على بعد المدى، كان إذا غنى تزلزل زلزل[٦]، ونسي جميلَ جميلٍ وما يتغزلُ، ونزل صوت في بيت عاتكة الذي يتعَزل، ولم يرض له معبداً عبداً، ولا ابن جامع الذي تَضَوَّعَ نَدُّهُ

(١) الزبرج: الحلية والزينة من وشي أو جوهر أو نحو ذلك، وكذلك الذهب.
- قلت: كلمة:«ببريق» غير واضحة، وهي قلقة أيضاً.[المراجع].
(٢) منعج: واد يأخذ بين حفر أبي موسى والنباج ويدفع في بطن فلج، ويوم منعج من أيام العرب لبني يربوع على بني كلاب. (ياقوت: منعج).
(٣) الغرار: القليل من النوم.
(٤) في الأصل:«يحزنه»؛ والمراد «يخزيه» وقد كررّها نثراً.[المراجع].
(٥) أصلج: أي تصامم، صلج صلجاً: صار أصم، وتصالج: ادعى الصمم.
(٦) زلزل: اسم مغن سبق ذكره.

نداً،(١) ولا إسحاق إلا الذبيح، ولا ابن المهدي إلا المخلوع الطريح(٢)، وكان فرد زمانه في كرم السجايا وحسن الأخلاق، وسعة النفس، قالوا: [كان] طيب المجالسة لا يملُّ حديثه، مكثراً من الأخباروالحكايات والنوادر، عارفاً بأخبار ملوك بيت جنكيز خان(٣)، وخصوصاً أولاد هولاكو بن تولي، وأحوال الوزراء والخواجكية، وله مشاركة جيدة في العلوم العقلية، ودربة بمخاطبة الملوك والأمراء والوزراء، والخواتين والخواجكية والكبراء متقناً للموسيقا علماً وعملاً [ص ٣٢٩] مجيداً في صناعة الغناء، لا يُجارى ولا يُبارى، ولا يطمع في مضاهاته ولا مداناته، اتصل بالسلطان أبي سعيد، وكان محباً للغناء والمغاني، فلما اتصل به الكمال، اقتصر عليه، واختص به، وجعل كل أهل هذه الصناعة، وسائر الجلساء والندماء دونه، وكان يشاربه ويحضر معه في أخص خلواته، ولا يكاد يصبر عنه ساعة في سائر أوقاته.

وحكى لي خواجا إسماعيل السامي: أن أبا سعيد كان مغرى(٤) بطول المكث في الحمام والشرب فيه، وجعل له حماماً جعل جدره من الزاج (٥)، وكان يدخل إليه ومعه أمراؤه(٦) ببغداد ومشافر وكان كلفاً به والكمال التوريزي، ويجلس الجلساء والندماء خارج الحمام، والسقاة تسقي، فإذا وصل الدور إلى الجالسين خارج الحمام أخرج إليهم من كوى بينهم، والمغاني تغني بالنوبة خارج الحمام، فإذا انتهت النوبة إلى الكمال غنى داخل الحمام وربما غنى

---

(١) الند الأولى: بالفتح الطيب، والند الثانية بالكسر: النظير والمثل.

(٢) المخلوع: إبراهيم بن المهدي المغني الذي اغتنم الخلاف بين الأمين والمأمون وادعى الخلافة وحكم سنتين ثم خلعه المأمون بعد مجيئه منتصراً من خراسان وقد مضت ترجمته وأخباره.

(٣) في الأصل: (ملوك البيت الجنكيز خان).

(٤) مغرى: مولع، وأُغرِي بالشيء: تعلق به قلبه ولزمه.

(٥) كذا في الأصل: (الزاج) ولعلها الزجاج، والزاج الأبيض: كبريتات الخرصين والزاج الأزرق: كبريتات النحاس، والزاج الأخضر: كبريتات الحديد.

(٦) في الأصل: (ومعه امرأته بغداد) وهذا لا يعقل.

أبو سعيد والكمال لا يغني، وربما غنيا معاً، وذكر أنه استفاد بأبي وبالأمراء والوزراء وأرباب الدولة وسائر الناس لأجله أموالاً جمة جليلة، لا تكاد تحصر، وسأله السلطان أبو سعيد أن يعلمه الموسيقا، فعلمه قدر ما احتمله فهمه، ثم ازداد نهمته[١] من هذا العلم، وأكثر ملازمة الكمال حتى برع وصار غاية في ذلك، ورأساً من رؤوسه، وصار يصنع الأصوات ويعرضها على الكمال، فتارة يصوب رأيه، وتارة يصلح له الصوت ندر وأجاد، وزاد وأحسن، وكانت أكثر أصوات الكمال في الأشعار المنظومة باللغة الفارسية، وهكذا كانت غالب أصوات أبي سعيد، وهو الذي استنبط هذا الغناء الذي يغنى به اليوم، ويسمى (البيشرون)[٢] وهو أنغام تطول على مقدار بيت الشعر ويقبض على وسع عبارة فَيُسدُّ بأنواع من الكلام الملفق الذي لا يُحْصَرُ بوزن ولا قافية، قلت: ولقد حرصت على تخريجه أو مقابلته بتفاعيل يوازن بها فلم أستطع، وسألت عنه الإمام حجة العرب أبا عبدالله بن الصائغ الأموي المروي فقال لي: هذا لا يتخرج ولا يوزن إلا بالنغم مثل الموشحات إذا كانت غير شعرية[٣]، فإنها لا تنضبط ولا يعرف صحيحها من مكسورها إلا إذا غنيت، قلت: وهذا الغناء يستلذ في المشارب وحانات [ص ٣٣٠] القَصْف[٤]، ولأهل مصر به ولوع وعليه وقوع، ولا يليق الغناء به في مجالس الملوك والكبراء، ولم يقع إليَّ من أصواته في الشعر العربي إلا أربعة أصوات، فمنها في شعر التلعفري: [الكامل]

---

(١) الأولى أن يقال: «رزداد نهمه» أو ززدادت نهمته». [المراجع].

(٢) البيشرون أو البيشرو: ويسميه العرب المحدثون (بشرف) لفظ فارسي يعني المذهب الإمامي، ويطلق في الموسيقا الشرقية والعربية على مقدمة موسيقية من نغم الآلات، موزونة في طريقة إيقاعية تتصدر اللحن الغنائي من جنس نغمه وطريقته. (الموسوعة العربية الميسرة ١ /٤٦٧).

(٣) الموشح الشعري هو الذي يُبنى على وزن من أوزان العرب المعروفة مثل (جادك الغيث) وغير الشعري يكون على إيقاعات منظومة موسيقية لكنها ليست من الأوزان المعروفة مثل موشح «ضاحك عن جمان / سافر عن بدر» للأعمى التطيلي. [المراجع].

(٤) في الأصل« القصب»، والصواب ما أثبت. [المراجع].

مـاصَـدَّ جَـفْنَ العينِ عن إغـمـاضِـهِ | إلا بـريـقٌ لاحَ فـي إيمـاضِـهِ
خـفَقَ الفـؤاد بخـفـقـةٍ فـغـدا كـمـا | حكـم الهـوى وقـفـاً على إمـراضِـه
مـازال يُغْـري مُـغْـرَمـاً لمعـانـه | بالمُنْحَنَى وغـيـاضِـه ورياضِـه
واهاً له من عـارضٍ تعـريضـهُ | لي بالأحِـبَّـة كـان في إعـراضـه

ومنها في شعر محمد ابن التلمساني هذا: [الوافر]

صُـدودُك هل له أمَـدٌ قـريبُ | ووَصْلُكَ هل يكون ولا رقـيبُ
ملوك الحُـسْنِ مـا صُنْعي بطَرْفٍ | تمَنى مـثلَهُ الرشـأُ الربيبُ
رمى فـأصـاب قلبي باجـتـهـادٍ | صـدقَـتْمُ كُلُّ مـجـتـهـدٍ مُـصِيْبُ
وفي تلـك الـهـوادج ظاعـنـاتٌ | سَـرَين وكُلُّ ذي ولَهٍ حـبـيبُ

ومنها في شعره أيضاً(١): [الطويل]

تحَكَّمْ إذا جَـازَ الجـمـالُ تحَكُّمـا | فـمـا المُحبٌ منكَ أنْ يتظَلَّمـا
حبيبي إنْ حرمتَ سَـهْمـاً في الكرى | فقـد حللت عيناك في القلب اسهـما
فـداكَ صَبٌّ فـيكَ أسْكَنَهُ الهـوى | وإِنْ كـان من سيفِ الصـدودِ تكلَّمـا
ومـا كـان يدري حـفظَ عـهـدٍ لغـادرٍ | فـمـا زال يهـوى الحُسْنَ حتَّى تعَلَّمَا

ومنها في شعر مجهول: [الخفيف]

بَرَحَ السَّقْمُ بي فليس صـحـيـحـاً | من رأتْ عَـيْنُه عـيـوناً مـراضـا
أَنَّ للأعْـيُنِ المراضِ سـهـامـاً | صَـيَّـرتْ أنْفُسَ الورى أغـراضـا

قلت: وقد كان سلطاننا حَرِصَ على إشخاصه إليه، وطلبه طلب متهافت عليه، فعزم على قصده، وقدمت مسيره للسير، فصده عنها قرارة لحده.

(١) اقرأ أيضاً – في البيت الأول« إذا جار الجمالُ...» الثاني: عبارة «في الكرى» تكسر الوزن لنقص حركة واحدة غاب حَرْفُها .اقرأ مثلاً« لدى الكرى»، الثالث :اقرأ :« فدىً للأصبِّ...» .[المراجع].

١٤٤-ومنهم- مُحَمَّد بن الكَسْب

الذي يوقد المصابيح، ويجيء بأسلس من دهنه وأطيب في الريح، أول ما تخرج مع أبيه، ثم [ص ٣٣١] تزيّد تزيّد الهلال، وتفرد تفرد العذب الزلال، وحصل العجب لما رأى بالكسب من الكسب، وبما سمع من طرب له في الأعضاء ذهب إلا أنه ماله سبب[١]، وكان لايزال المنصت يتتبع أصواته لا يمله إكثارها، والمسامع تقول عجباً للبصر وسَمَ سمةً تشكر آثارها، اشتغل بصناعة الغناء، حتى بلغ فيها المراتب، وأصبح بها يحسدُ ابن الكسبِ ابن السمسماني الكاتب، فأبرَّ في تفرده يمين كل مقسم، وأودى كيد حاسده وحبسه في أقماع السمسم[٢]، بدهن أصفى من دهن السليط، وأكثر من تلعبه بالفتيلة في التسليط، وأمْلى الأصوات وأمن من القالي، وحمّص قلوب الأعداء كما يقال على المقالي، فسلم إلا أنه برع في لطافة الشمائل، وشبت الضرم في المعاطف[٣]، كما ترى فعل السليط في القنديل باللهب المتمايل، وجميع أهل صناعته تصفه بالإحسان، وتقر له بالتقدم في آخر الزمان، وله من أصواته إجادة فيها وأتقنها كل الإتقان، وجمع فيها بين الشعر والألحان، فمن أصواته، والشعر للخطيب جمال الدين يوسف الصوفي: [الكامل]

يا مُقلتي أينَ المدامعِ هاتي ... لا تبخلي بلآلئ العَبَرات
هذا الفراقُ عليه قد حَسُن البُكا ... وتردُّدُ الحسراتِ واللهفاتِ
بالله يا حادٍ حدا بأحبَّتي ... وقضى على تأليفنا بشتاتِ
مهلاً عليَّ فإن يومَ وداعِهم ... مُرٌّ ولكنْ فيه حلوُ مماتِ

---

(١) في الأصل: (ماله لسب) ولم أجد لها هنا معنى مناسباً. والسب اللسع، ولسبه لسباً: لصقه.

(٢) إن حرص المصنف على السجع يضيع المعنى ويميل إلى العبث اللفظي، فيشتق من اسم ابن السمسماني كلمة (السمسم) ويضع حاسد المترجم له في أقماع السمسم. وهو حين يترك السجع بجيد في ترجمته ووصفه.

(٣) هناك كلمة غير واضحة قبل كلمة «المعاطف». [المراجع].

ورثاه الخطيب جمال الدين الصوفي النابلسي بقوله: [الطويل]

تَعَالوا بِنَا نذري الدموعَ الجَواريا ... ونَسْتَوقِفُ الحادي ونَبْكي المغَانِيَا
ونَذْكُرُ عَيْشَاً مَرَّ حين حَلا لَنَا ... بأيَّام أُنْس قَدْ خَلَتْ ولَيَالِيَا
ونَسَأَلُ عَنْ رُوح الحَياة وطِيْبِهَا ... مَلاعِبَ رَبَّات الحِجَاب الغَوَانِيَا
فإنا ذَمَمْنَا العيشَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ... وذُكّرَ بالأحزانِ مَنْ كَانَ ناسِيَا

١٤٥-ومنهم- الكُتَيْلَة

بدر الدين محمد الجتكي الماريني، خطبته الملوك لمجالستها، وحطته مواضع [ص ٣٣٢] القرناء لمنافستها، ونضرته لنعيمها[١]، وسرته من العوارف بعميمها، وكان بصيراً بأخلاق العظماء، خبيراً باستدرار أخلاف الكرماء، ولم يزل جوّاب أسفارٍ، وجوال بدر في غروب وأسفار، قليلاً على ظهر المطية ظله[٢]، خفيفاً مكانه من الخواطر ومحله، يزاحم في سحابه الوارد، ويتشوق إليه تشوق الظمآن إلى الماء البارد، واليقظان المسهد إلى المنام[٣] الشارد، أتى قلعة الجبل وحل هالات دورها، وحظي بأيام سرورها، هذا وسلطانها يقبل المتاب، ويقبل على المنتاب، ويتلقى القادم بطلاقته، ويفك الرهن من عاقته، ووجد الزمان ما بسر [٤]، والبغاث[٥] ما استنسر، والراعي لا يخاف الذئب على غنمه، والدم لا

(١) في الأصل: «لنعمتها».[المراجع].

(٢) كنايه عن الضعف والهزال لكثرة الأسفار، وهو مأخوذ من قول عمر بن أبي ربيعة من قصيدته الرائية: (ديوان عمر ص ٩٤)

قليل على ظهر المطية ظله ... سوى ما نفى عنه الرداء المحبر

(٣) في الأصل:«المقام» والمنام مصدر ميمي بمعنى النوم.[المراجع]

(٤) بسر: أظهر العبوس

(٥) البغاث: طائر أبغث اللون ـ والأبغث الذي فيه بقع سود وبيض ـ أصغر من الرخم بطيء الطيران، وفي المثل: (إن البغاث بأرضنا يستنسر) يراد: من جاورنا عز بنا.

يستباح منه إلا ما على الطرف المخضب من عنمه، والقلعة مسرح ظباء، ولا عقرب إلا بصدغ مليحة، ولا سيف يسل إلا بكرة صبيحة فقطع تلك المدد والدهر غافل، والبر سحابه حافل، والبدر في تلك الآفاق طالع غير آفل، ودخان الند يعقد سماء، وخدود الملاح يشرب ماء، ثم مات حيث تلاشى ذماء[(١)] الجود، ومص الثرى بقية الماء من الفرد.

أصله من أبناء الكُتَّاب، وكتب خطاً حسناً، وقرأ طرفاً من النحو والعربية، واتقن علم الموسيقا، وحفظ كثيراً من الشعر للقدماء والمحدثين، ونقل الأصوات المشهورة، وحفظ كثيراً من نوبِ عبدالمؤمن وانخرط في سلك الندماء، وأهل المحاضرات، وملح وندر، وحكى الحكاية والخبر، وخدم ملوك ماردين [(٢)] واتصل بهم، وحُكي أنه حظي عند الملك الصالح شمس الدين وراج لديه، وسمع به السلطان الناصر فاستدعاه، وأقبل عليه غاية الإقبال، وكان له مكانة لم يبلغها أحد من أمثاله، وأمره بملازمة الجواري وتعليمهن ويلقي عليهن الأصوات، حتى تخرج غالب الجواري المحسنات، وكان يتردد إلى باب الستارة في كل يوم، وتخرج إليه الجواري، وكان مجيداً في الغناء، متقناً في سائر الخفيف والثقيل منه،غاية في ضرب الجنك[(٣)] العجمي وتأليف الأنغام عليه، ولا يكاد يثبت سامعه لشدة الطرب، وكان يقيم بمصر المدد الطويلة، ثم يسأل في العَوْد إلى ماردين فيؤذن له، فلا يكاد يصل [ص ٣٣٣] ماردين ويستقر بها إلا وجهز السلطان في طلبه وبحث في سرعة عوده، فإذا وصل ضاعف الإكرام وعومل

---

(١) الذماء : بقية الروح في المذبوح.

- قلت : كلمة «الفرد» قلقة ولاتوافق المعنى ولا السجع .[المراجع].

(٢) ماردين : قلعة مشهورة على قنّة جبل الجزيرة، مشرفة على دنيسر ودارا ونصيبين. (ياقوت : ماردين).

(٣) الجنك : الطنبور، وهو آلة من آلات الطرب.

بأكثر مما يعهد، وحَصَّلَ بهذا أموالاً جزيلة، ونعماً كثيرة والأنزال التي تزيد على عادة مثله، وحضرت مجلس السلطان مرة وعنده موسى بن مهنا، وكلاهما يضرب بالجنك بين يديه، فرأيت موسى بن مهنّا على سكونه العظيم ووقاره يميل يمنة ويسرة، وكان كتيلة ذلك اليوم كله يردد صوتاً صنعه، والصوت: [البسيط]

يا دارَ عَــــزةَ مَنْ للوالِهِ البــــاكي بنظرة يتــــمَلَّى من مُـــحَـــيَّـــاك
مـا هَبَّ من أيمن الوادي نسيم صـبـا إلا وكــأن الهــوى العــذريُّ يمْنَاكِ
تحَّملي واحـملي يا نوقُ واصطبـري على المسيـر فـهـذا من سجـاياكِ

ولم يبق أحد من غلمان الدار وأعيان الأمراء، حتى هزه الطرب، ولولا مهابة السلطان لرقصوا، فلما فرغ مما هو فيه، أثنى السلطان عليه، وقال لموسى بن مهنا: كيف رأيت؟ فقال والله ظننت أنه يجذبني إليه، ولولم أملك نفسي لوقعت عليه، وأمر له السلطان بألف دينار يَتَّجِرُ بها، وكتب له توقيع مسامحة بما يجب عليه فيها من الموجبات الديوانية في السفر دائماً صادراً ووارداً، ومضى يوم عجيب لم ير مثله، ودخلت على السلطان يوماً آخر وهو عنده، وقد أخذ في صوت صنعه، والصوت: [الطويل]

ســـلامٌ على ليلى وليلى بعـيـــدةٌ ولكـنَّهــــا طيفٌ إليَّ قـــــريبُ
بديعـــةُ حُـــسْنٍ مــالهـــا من مُماثلٍ إذا طلعتْ شـــمس النهـــار تغـيـبُ
كـــمـــا أنَّ قلبي في البــلاد مُــتَــيَّمٌ كـذا حُسْنُ ليلى في الحسانِ غـريبُ

وكان الكتيلة يجيء إليَّ في حوائجه التي تكون له عند السلطان، وكان كامل الأدب وافر المروءة، حسن الخلق، جميل العشرة، يرجع إلى كرم وطيب أعراق، وكان بينه وبين الكمال التوريزي ما يكون بين أرباب كل فن من المنافسة والحسد،وكان السلطان قد سمع بالكمال، وجاءته الأخبار بأنه فرد من أفراد

الدهر في فنه، فبعث إليه مَنْ يُشخصه اليه، وتطلع إلى مَقدمه عليه، وفخاف كُتَيْلَةَ من بواره به، فلم تمتد الأيام حتى جاءت الأخبار بأن الكمال مات فجاءة، فشاع ذكر بأن كتيلة إنما دبر عليه من قتله، ولعل هذا إنما من تشنيع العوام [ص ٣٣٤] وأقوال الحسدة الطغام، ثم لم يلبث كُتَيْلَةُ بعده إلى أن عاد إلى ماردين فمات رحمه الله.

قلت: ولما انتهيت في ترجمتي هذه إلى هنا، وقعت على أصوات له صنع فيها ألحاناً مشهورة، مما حدثني به خواجا محمد المارديني.

وكان من خلطائه وأهل صحبته، فمنها شعر الحلاوي وهو: [الكامل].

أَلِفَ الملامَ وَلامَ عن ميشاقه ... رَشَأٌ فراقُ النفسِ دون فراقه
عَذْبٌ اللَّمَى حُلْوُ الخِلال كأنَّما ... خُلِقتْ مراشفُ فيه من أخلاقه
دقَّتْ معاني حُسْنِهِ ولقَدِّهِ ... عَبَثَ الأنامُ من القنا بدقاقه
يهوى الوِصالَ ولو بأيْسَرِ موعدٍ ... ويَصُدُّ حتَّى الطيف عن مشتاقه
يا مُحْرِقاً قَلْباً أقام بَربعِه ... ألا كففتَ جفاكَ عن إحراقه (١)

ومنها في شعر الحلاوي أيضاً: [الكامل]

أحيا بموعده قتيل وَعيدِه ... رشأٌ يشوبُ وصالَهُ بصدودِه
قَمَرٌ يفوقُ على الغزالةِ وجهُهُ ... وعلى الغزالِ بمُقْلَتَيْهِ وجيدِه
ياليتَهُ بَعُدَ الملامُ فإنَّهُ ... مازال ذا لَهَجٍ بِخُلْفِ وعودِه
يَفْتَرُّ عن عَذْبِ الرضابِ حياتُنا ... في وِرْدِهِ والموتُ دونَ ورودِه
قَمَرٌ أطاعَ الحسنُ منه وجهَهُ ... حتَّى كأنَّ الحسنَ بعضُ عبيدِه
أنا في الغرامِ شهيدُهُ ما ضَرَّهُ ... لو أنَّ جَنَّةَ وصلِه لشهيدِه

وهذه الأبيات من قصيدة فائقة منها مدح الملك الناصر داود: [الكامل]

(١) «ألا» أداة تحضيض بمعنى هلا. [المراجع].

يا يوسفَ الحُسنِ الذي أنا في الهوى ... يعقوبُهُ نَبِّئْ إلى داوده
أشكو إليه من الزمانِ فإنَّهُ ... مَلِكٌ يشيبُ شظاهُ رأسَ وليده
مَلِكٌ إذا اللأواءُ لاح لواؤها ... هزمت كتائبها طوالعُ جوده (١)
غمرتْ مواهبه العُفَاةَ فأصبحتْ ... تُرجى المواهبُ من وفودِ وفُودِه
وإذا العدوُّ نحتهُ لُدْنُ رماحِه ... فتكَتْ ثعالبُها بغُلْبِ أُسُودِه
من كلِّ أسمرَ في الملاحم طالما ... عاد الردى مُهَجَ الكُماةِ بعُودِه
غصبْت عواملُها الظلامَ نجومَها ... والبانَ قد سلبَتْه لينَ قدودِه

[ص ٣٣٥]

سَمْرٌ إذا الجَبارُ سامَ دفاعَها ... وردتْ أسِنَّتُها نجيعَ وروده
عَذَباتها صُفْرٌ كوجهِ عدوِّهِ ... بالنصرِ تخفق مثل قلب حسوده (٢)
ملكُ ألانَ لنا الزمانَ وإنَّما ... داودُ مُعْجِزَةٌ للِيْنِ حديدِه

ومن أصوات كتيلة مما ذكر لي صاحبه خواجا محمد المارديني، أنَّ كُتَيْلَةَ غناه بين يدي سلطاننا فأجزل عطاياه، ورفع على كاهل الجوزاء مطاياه: [الكامل]

ملكُ الملوكِ محمدٌ أنتَ الذي ... ذلَّتْ ملوكُ الأرضِ بينَ يديه
شرفُ المُلوكِ بأن يكون عَبِيدَهُ ... أو أن يكونوا واقفينَ لديه
جَهِدوا وما دانوكَ في أدنى العُلا ... هيهاتَ إنْ وصلَ الملوكَ إليه (٣)
وإذا هُمُ بلغوا السماءَ مَكانَهُ ... لما ترامَوا في السماحِ عليه

والشعر لرجل من أهل ماردين.

ومنها صوته في شعر القاضي أبي الحسن: [الطويل]

---

(١) اللأواء: الشدة.

(٢) العذبات: جمع العذبة، طرف كل شيء، ومنه عذبة العمامة، وأراد هنا الرايات والأعلام.

(٣) في الأصل: (إن وصلوا الملوك).

أأيامَنَا بين الكثيبين في الحمى وطيبَ ليالينا الحميدة فيهما
صَحِبْنَا بها شَرْخَ الشَّباب فدلَّنا على أعْيُنٍ كانتْ عن البين نُوَّما
فمن قائلٍ لا آمنُ الدَّهْرَ حاسداً وقائلةٍ لا رَوَّعَ البينُ مغرما
بدَتْ صُفْرةٌ في وجنتيهِ فلم تَزلْ مدامِعُهُ حتَّى شَرِبْنا بها دَمَا

ومنها صوته في شعر ابن زريق الكاتب: [البسيط]

باللَّه يا منزلَ القَفْصِ الذي درست آثارُهُ وعَفَتْ مدنية أربُعُه[(١)]
هل الزمانُ مُعيدٌ فيكَ لذَّتَنا أم الليالي التي أمْضَتْه تُرْجِعُهُ
في ذمة الله من أصبحت منزله وجاد غيثٌ على مغناك يمرعُهُ
مَنْ عندهُ لي عَهْدٌ لا يُضَيِّعُهُ كما لَهُ عَهْدُ صِدْقٍ لا أُضَيِّعُهُ

وقصيدة ابن زريق التي منها الصوت معروفة مشهورة لها في كل ناد نداء، ولها في كل واد حداء، وحمله مختارها سواه: [البسيط]

لا تعذليه فإن العَذْلَ ينفعُه قد قلتِ قولاً ولكن لست أسمعه (٢)

[ص ٣٣٦]

جاوزتِ في لومه حَدَّ المُضِرّ به من حيثُ قدَّرْت أنَّ اللومَ ينفعُه
فاستعملي الرِّفقَ في تأنيبه بدلاً من عُنْفِه فهو مُضْنَى القلب موجَعُهُ
يكفيه من روعة التفنيد أنَّ له من الهوى كلَّ يوم ما يُرَوِّعُهُ
ما آبَ من سَفَرٍ إلا وأزعجَهُ رأيٌ إلى سفرٍ بالعزم يجمعُهُ
كأنما هو من حلٍّ ومرتحَلٍ مُوكَّلٌ بفضاء الأرضِ يذرعُهُ
واللَّهُ قَسَّمَ بينَ النَّاسِ رزْقَهُمُ لم يخلقِ اللَّهُ من خَلْقٍ يُضَيِّعُهُ

---

(١) عجز البيت غير موزون.

(٢) رواية القصيدة فيها خلاف.

أستودعُ اللَّهَ في بغدادَ لي قَمَراً ... بالكرخِ من فَلَكِ الأزرارِ مَطْلَعُهُ
ودَّعْتُهُ وبودِّي لو يعاجلني ... وردُ الحِمامِ وأني لا أُوَدِّعُهُ
لا أكذبُ اللَّه ثوبُ الصبرِ منخرِّقٌ ... عَنِّي بفُرْقتِه لكنْ أُرَقِّعُهُ
إنِّي لأقطعُ أيَامي وأنفذها ... لحسرةٍ منُه في قلبي تُقَطِّعُهُ
لأصبرَنَّ لدهرٍ لا يمتّعني ... به ولا بي في حالٍ تُمَتِّعُهُ
علماً بأنَّ اصطباري مُعْقِبٌ فرجاً ... فأضيقُ الأمرِ إنْ فَكَّرْتُ أوسَعُهُ
عسى الليالي التي أضْنَتْ بفُرْقَتنا ... سَمْحا سَتَجْمَعَنَي يوماً وتجمعُهُ
وإنْ تَغُلْ أحداً مِنَّا مَنِيَّتُهُ ... فما الذي في قضاءِ اللَّه يَصْنَعُهُ

وموضع الصوت يكون أوله تلو: (إني لأقطع أيامي وانفذها) البيت.

ومن أصوات كتيلة في شعر البارع: [البسيط]

باللَّهِ يا ريحُ إن مَكَّنْتِ ثانيةً ... من صدْغهِ فأقيمي فيه واستتري
وراقبي غفلةً منهُ لتنتَهزي ... لي فرصةً وتعودي منهُ بالظَّفَرِ
وإنْ قَدَرْتِ على تشويش طُرَّتهِ ... فَشَوِّشيها ولا تُبْقي ولا تَذَري
ولا تمسِّي عِذارَيْهِ فَيَفْضَحني ... بنفحةِ المِسْك بين الوردِ والصَّدَرِ

وتتمة هذه القطعة:

وباكري عَذْب وَرْد من مُقَبَّلِه ... مُعَلَّلَ الطَّعْمِ بينَ الطِّيْبِ والخَصَرِ(١)
ثُمَّ اسْلُكي بَينَ بُرْدَيْه عَلَى عَجَلٍ ... واسْتَبْضعي الطِّيْبَ وأتيني على قَدَرِ

[ص ٣٣٧]

ونبِّهيني دُوَيْنَ القومِ وانتفضي ... عليَّ واللَّيلُ في شَكٍّ من السَّحَرِ
لعلَّ نفحةَ طِيْبٍ منك ثانيةً ... تقضي لُبَانَةَ قلبِ العاقرِ الوطرِ

(١) الخَصَر: البارد.

ومن أصواته في شعر الجلال ابن الصفار المارديني : [الكامل]

يسعى بأبرق ذا من ثغره يُحيي وذا من مقلتيه قاتلٌ (١)
عنيتُ إنساناً هما من لحظه ذا سايفٌ وبهديه ذا نابلُ (٢)
فمتى تقومُ قيامتي بوصاله ويضمُّ شملينا مَعَادٌ شاملُ
وأكونُ من أهل الخطايا خدُّهُ ثاري وصدغاهُ عليَّ سلاسلُ

وأولها :

أين السلو وما يرومُ العاذل ممن له بهواك شغل شاغل
أنا ما سلوت وبرق فيه خلب أسلو وعارضه أمامي سائل

ومن أصواته في شعره أيضاً : [الطويل]

وفي خزرم لما حللنا فناءها سكرى حيارى تحت ظل الغياهب (٣)
تبدت لنا عند الصباح طليعة من الترك مرد فوق جود السلاهب (٤)
بأيديهم سمر طوال كأنما أسنتها تبغي التقاط الكواكب
تثّنوا غصوناً في السروج وأطلقوا سهام لحاظٍ من قسي الحواجب
.... (٥) ... ...

(١) صدر البيت فيه نقص فهو غير موزون.

(٢) ذا هنا : بمعنى هذا.

(٣) خزرم أو حزرم : لعله يريد خوارزم مرخمة.

(٤) السلاهب : جمع السلهب وهو الطويل من الناس والخيل.

(٥) في الأصل بيت مكسور وغير مستقيم المعنى جاء كالآتي :

والقوا القنا والمران عنهم وقوموا قدوما أعدوها لفرع الكاتب

– قلت لعلّه :

والقوا القنا المران عنهم وقدّموا قُدوداً أعدوها لقرع الكتائبِ

يصف القوم باعتدال الرماح .[المراجع].

ولو كشفوا بيض العوارض في الوغى لأغنتهم عن مثل بيض القواضب

ومن أصواته في شعره أيضاً: [الكامل]

برقٌ بدا من ثغرك المنعوتِ أم لُؤلُؤٌ قد ضمَّهُ ياقوتُ؟

يا للنصارى بَرْقِعُوا شمَّاسَكُم قبلَ الضلالِ فإنَّه طاغوتُ (١)

ما قام أقنومُ الجمالِ بوجهه إلا وفي ناسوته اللاهوتُ (٢)

يشتاقُهُ قَلْبٌ إليه طائرٌ صَبٌّ وطَرْفٌ حائرٌ مبهوتُ

فاحسنْ فإنَّ الحُسْنَ وصفٌ زائلٌ واصنع جميلاً فالجمالُ يفوتُ

[ص ٣٣٨]

واسْتبقِ من أهلِ الغرامِ ولا تَجُرْ فيقلدوك دماءَهم وتموتُ

أخبرني الجمال المشرقي ما معناه: أن أبا كُتَيْلَةَ كان يعزف، وزجاجته ما أبرزت، وكانت له معه نوادر تستحسن، ووقائع لا يعرف أنها أحسن، قال: ومنها أنه لما اشتدَّ يافعا، وأصبح لا يراد منه نافعاً، سلك سبيل العتب في الإدلال، وفرط وأفرط في الاحتمال، حتى أتى إلى بركة كان قد صنعها النجم يحيى ملونة بالزجاج، ومشفقة كالقصور والجام، قد أقيمت حروفها وأحكم تأليفها، فأخذ حجراً بيده ورماها به، فثلمها وحطَّ رتبة حُسنها وحَطَّمها، فقال فيه: [السريع]

قُلْ للذي ثَلَّمَ [في] بركةٍ ما يأخُذ الثأرَ ولو هَدَّها

---

(١) الشماس: خادم الكنيسة ومرتبته دون القسيس والكلمة سريانية.

(٢) الأقنوم الأصل والجمع أقانيم والأقانيم الثلاثة عند النصارى: الأب والابن وروح القدس.

الناسوت: من المصطلحات المسيحية المتعلقة بالجسد.

اللاهوت: من المصطلحات المسيحية المتعلقة بالروح والإيمان.

فَـتَـحْتَ في أَسْـفَلِهَـا ثَغْـرَة لو عـاشَ ذو القَـرْنَيْنِ مَـا سَـدَّها(١)

قال: ثم تعدى شوط عداته وتعالى قدره في بلاد ماردين، فخدم في أعمالها، وختم بتصرفه على مآلها، وولي نظر دنيسر، وهمى عليه صوب الرزق فأيسر، ونشأ ابناه مسعود ومحمد كُتَيْلَةَ وتعلما، وكبرا وتقدما، إلا أنَّ الحِمَامَ أتى على مسعود أولاً وشبابه شارخ، وغناؤه لم يصرخ باسمه صارخ، فبقي الذكر لأخيه مفرداً، كأن لم يكن سواه من أبيه. فقال: وكان مسعود متعلقاً بحبائل(٢) ابن الملك المنصور صاحب ماردين، لا يخاف منه الخبر، ولا يسأل دونه السفر، وكان الملك المنصور قد أخذ ابنة الجنك البغدادية المغنية بغتة من بغداد، وأتى بها إلى ماردين وتركها بها مقيمة، وأهلها لا تعرف أرضاً ابتلعتها، أو سماء اقتلعتها، وكان سبب هذا أن الملك المنصور كان رجلاً جسيماً وكان قد نقص عيار الدراهم بماردين حتى حول الدرهم مقدار الثلثين، فلما نزل الأرد ببغداد سافر للقاء القان، فلما كان يوم دخوله إلى بغداد، خرج أهلها ليروه، وكانت ابنة الجنك ممن خرجت، فلما مَرَّ عليها، قالت لبعض من كان عندها: من هو صاحب ماردين في هؤلاء؟ فقيل لها: هذا، وأشاروا إليه، فنظرت إليه وقالت: كل هذا بثلثين الا مارديني هو، فدخلت كلمتها [ص ٣٣٩] في صماخ اذنه، وأذكت عليه نار إحَنِه، فطلب بعض خاصة قومه، وأمره أن يتعرف أمرها، حتى عرفها ثم عدا(٣) عليها حتى أحضرها إليه ليلاً لتغنيه فاختطفها وأركبها الخيل، وسِيْقَ بها

(١) في الأصل: (في أسفله)

ذو القرنين: لقب أُطلق على كثيرين كالمنذر الأكبر، وتُبَّع الأقرن ملك اليمن، وورد ذكر ذي القرنين في القرآن الكريم (سورة الكهف آية ٨٣) يراد به الإسكندر المقدوني، وسمي كذلك لأنه ملك فارس والروم، أو لعظم سطوته، والقرنان: كناية عن السلطان. (الموسوعة العربية الميسرة).

(٢) كذا في الأصل« حبائل» ولعلها حِبَال أي أسباب وعلاقات.[المراجع].

(٣) في الأصل (ثم على عليها) ولم أجد لها وجها مقبولاً.

النهار والليل حتى أتى بها ماردين، وقبرها في بعض دورها، وتركها لا يحفل بأمورها، ثم أحضرها ليسمع غناءها، فما رآها حتى رابه أمره، وخامر لبه خمره، وتلف بها جوى في الجوانح، وهوى صاد شركه الجوارح، ثم طال عليها الاغتراب والحبس المضيق في عش الغراب، وكانت قد أنست إلى مسعود بن غدايفال لطول اجتماعها به في مجلس الملك المنصور، وعلقت قلبه فلم يجد سبيلاً إليها إلا بأن حَسَّنَ لابن الملك المنصور حُبَّها وهون عليه قربها، واستغفل الملك المنصور حتى سافر إلى الموصل، واتى مع ابنه إليها، وباتا يَحُثان كؤوس الراح عليها، فلما عاد الملك المنصور أتته عينه الناظرة بما رأت، وحدثته ثقات خبره بالليلة التي جرت، فأحل بمسعود المنحوس الحِمَام، وأورده مورد الموت الحمام، وقد خافت بنت الجنك فأمسكت خُفيها على يديها وتدلت من الساتون[١] حتى ثبتت على الأرض قدميها ولقت هناك خدمها، وكانت قد اتعدت مع ثقات لها منهم إلى هناك بالخيل، وسارت تقطع وتسابق السحاب الركام، حتى وافت مدينة سنجار[٢]، وبها الأمير يحيى بن الجلال، فاستجارت به فأجارها، ووسع تحت نقاط يده وجارها [٣]، وأتى الخبر الملك المنصور، فقتل صبراً، ولام أهل مشورته للتدبير، وبعث رسله إلى ابن الجلال يعتب، فضم ظهور المطي، وخصم ألسنة الملي البدري وأعلمه بما يجد لفرقتها، ويكوى به من نار حرقتها، فبعث بها إليه فتلقاها وأقرها لديه على أتم الأحوال وأبقاها، وذهب دم ابن غدايفال هدراً، وكان حمه لها قدراً.

---

(١) الساتون أو الشاتون لعلّها كلمة تعني الشرفة.

(٢) سنجار: مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة أيام.

(ياقوت: سنجار)

(٣) الوجار: الجحر، جحر الضبع والذئب والأسد، واستعاره هنا لسعة الرعاية.

١٤٦- ومنهم-خَالِد

لو أدْرَكَهُ عبدالمؤمن لأخذ عنه النوب، أو السهروردي لعلم أنه سهوٌ ردِيٌّ، وما حصل من العلم معه إلا على اسم الطرب، لو حضر مجلس ابن المهدي لتيقن أنه ما اهتدى، أو ماثل ابن بانة لما مال غصنه متأوداً، أو لو طارح الأمير ابن طاهر لود أن يكون من عدته [ص ٣٤٠] أو الهذلي لأقرانه لأقصر عن مداه، إلا أن طائفة تغض منه غض الحاسد، وتريد أن يكون لها مثل سيفه الخالدي، وهيهات إنما يضرب في حديد بارد، وتظن أنها من أقرانه ولكن من هو من أقران خالد، لو كان في زمانه سَمِيُّهُ خالد بن عبدالله القسري[١] لبادر العيش وانتهب، أو عاصر سَمِيَّهُ الآخر خالد بن يزيد الأموي [٢] لعلم أن صنعة الطرب والغناء أجدى عليه من صنعة الكيمياء والذهب، فقد خَلَّدَ له ذكراً، وخلف له ما يحتاج سامعه معه شكراً، وأبقى له ما إذا ذكرته به لا أزيد عليه شكراً، ومن أصواته: [البسيط]

ردُّوا على مقلتي النومَ الذي ذهَبا ... وخبّروني بقلبي أيَّةَ ذهبا
علمت لَمَّا رضيتُ العيش منزلةً ... أنَّ المنام على عينيَّ قد غَضَبا
إني له عن دمي المَسْفُوكِ معتذرٌ ... أقولُ جملتُهُ من سَفْكِه تَعِبا
هل تشتفي منكَ عينٌ أنتَ ناظرُها ... قد نالَ منها سُهَادُ الليل ما طلبا
ماذا ترى في مُحِبٍ ما ذكرتُ لهُ ... إلا بكى أو شكا أو جُنَّ أو طربا
ترى خيالك في الماء الزلال إذا ... رامَ الشرابَ فروَّى منه ما شَرِبَا

---

(١) خالد بن عبدالله القسري: أحد ولاة الأمويين يماني الأصل كان خطيباً جواداً، من أهل دمشق ولي مكة للوليد بن عبدالملك ثم ولاه هشام العراقين (الكوفة والبصرة) ثم عزله هشام وأمر أن يحاسب فسجن ثم قتل سنة ١٢٦ هـ. (الأغاني ١٩/٥٣ ـ ٦٤ تهذيب ابن عساكر ٥/٦٧ ـ ٨٠).

(٢) خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، اشتغل بالكيمياء والطب والنجوم، كان فصيحاً جيد الرأي كثير الأدب، وهو أول من ترجم كتب النجوم والطب والكيمياء توفي سنة ٩٠ هـ. (ابن خلكان ١/١٦٨ البيان والتبين ١/١٧٨ تهذيب ابن عساكر ٥/١١٦).

والشعر للأرجّاني والغناء فيه رمل

وكذلك صوته في شعره أيضاً، والغناء فيه دوكاه وهو: [الكامل]

إن كنت عن نظر المحب تغيب ... فهواك من كل القلوب قريب
لك في سويدا القلب أشرف منزل ... ما حل فيه سواك قط حبيب
يا من تحجب عزة عن ناظري ... أنت المنى والسؤل والمطلوب
وحياة وجهك إن جيش تضرري ... ولى وجيش عزيمتي مغلوب

وله صوت في شعر ابن نباتة المصري، والغناء فيه من عراق، وهو: [البسيط]

نَادَى وقامَتُهُ تَهْتَزَّ بالتِّيهِ ... فَكَادَتْ الشَّمْسُ قِيْدَ الرُّمْحِ تَحَكِيْهِ

[ص ٣٤١]

وقمت أذكره بالظبي ملتفتاً ... فقال لي طرفه من غير تشبيه
ما للذي فتنت طرفي محاسنه ... أضحى يعذب روحي وهي تفديه
وما لعاذل قلبي في محبته ... تعبان يدخل فيما ليس يعنيه
القلب قد أسكن الله الحبيب به ... فما الملام على حال بمخليه
لا يختشي بيت قلبي غزو لائمه ... فإن للبيت رباً سوف يحميه (١)

وله صوت شعر مجهول، والغناء فيه راست مُعَشَّق الدقات وهو: [المديد]

زار والواشون قد غفلوا ... رشأ من ريقه ثمل
كل مخلوق له أجل ... وهواه ماله أجل
صرت في حبي له مثلاً ... وحلا لي ذلك المثل
قلت قد أتلفتني مللاً ... قال كم قد أتلف الملل

(١) اقتباس من كلمة مشهورة لعبد المطلب جدّ النبي ﷺ. [المراجع].

وله صوت في شعر ابن عربي والغناء فيه دوكاه :[البسيط]

نعم لقلبي ببانات الحمى أرب ... ولي دموع لذكراهن ينتسب
هبت له نسمة من نحو كاظمة ... فاعتاده لهبوب النسمة الطرب (١)
يا ساكني الجزع[لي]؟ في حيكم قمر ... طرفي على البعد يرعاه ويرتقب
بَدْرٌ بِهِ يهتدي الساري فواعجباً ... يجلو الدجى قمر بالشمس محتجب

وله صوت في شعره أيضاً، والغناء فيه رمل: [الرمل]

من لقلب بالعيون النجل مُضْنى ... حسنها أورثه سقماً وحزنا
وفؤاد ما أتاه خبر ... عن أهيل المنحنى إلا وحنا
ورشيق القد ألمى أسمر ... هز من قامته أسمر لدنا
خلته لما تبدى غصناً ... فتجلى قلت بدر قد ثنى

وكذلك له صوت في شعره، والغناء فيه كوشتا، وهو: [الخفيف]

كل يوم يزيد وجهك حسنا ... وفؤادي يزيد وجداً وحزنا

[ص ٣٤٢]

أنت والله أحسن الناس شكلاً ... ما اللفظ الجمال غيرك معنى
لي قلب يحن نحوك شوقاً ... وضلوع على الصبابة تحنى
من يكن رام عن هواه سلواً ... فأنا المدنف الكئيب المعنى

وله صوت أظنه في شعره أيضاً، والغناء فيه عراق وهو: [البسيط]

لو بلغ الشوق هذا البارق الساري ... أو بعض وجدي الذي أخفي وتذكاري

---

(١) كاظمة: جو على سيف البحر في طريق البحرين من البصرة، بينها وبين البصرة مرحلتان. (ياقوت: كاظمة).

مـابتّ أرعى الدجى شـوقـاً إلى قـمـر ... ولا مـعنى بطيف طارق طاري [1]
جـيـراننا كنتم بالرقـمـتين فـمـذ ... بعدتم صار دمعي بعدكم جاري [2]
فكم أواري عـزمـاً من جـوى وأسىً ... زناده تحت أثناء الحشـا وارِ

وله صوت في شعر مجهول، والغناء فيه ماه يوسليك وهو: [الكامل]

شـوقي إليك أجلّه أن يذكـرا ... وهوى يرق لطافـة أن تنشـرا
بيني وبينكم إذا حكم الهـوى ... فـرق كـمـا بين الثـريا والثـرى
ريم رمى قلبي فـأصـبح سـاكناً ... فـيـه ومـسكنه أصـاب ومـا درى
سـاومـتـه روحي وكـانت ملكه ... فـأبى وقـال الوقف مـا يشتـرى [3]

وله صوت في شعر محاسن الشواء، والغناء فيه مبرقع وهو: [البسيط]

أشكو إلى الله لا أشكو إلى أحـدٍ ... حـزنا يكابده من بعـدكم كـبـدي
أحـبـابنا كـيف أسلو عن محـبـتكم ... وعـقـد ودكم ديني ومـعـتـقـدي
وبين حـبـكم والروح مـعـرفـة ... تأكـدت قـبل خلق الروح والجسد
لا تأخـذوا بدمي أجـفـان طيـبكم ... فـالروح روحي وقـد أتلفـتـهـا بيـدي

وكذلك أيضاً: [الوافر]

بعـادك علم النوم البـعـادا ... وكـحّل مـقلتي فـيك السُّـهـادا

[ص ٣٤٣]

(١) طارى: أي طارئ

(٢) الرقمتان: قريتان بين البصرة والنباج بعد ماوية تلقاء البصرة وبعد حفر أبي موسى تلقاء النباج، وهما على شفير الوادي. والرقمتان: روضتان بناحية الصمان. (ياقوت: الرقمتان).

(٣) في الشطر الثاني خلل بنقص سبب خفيف، كأن يكون مثلا (فأبى وقال الوقف[لا] مايُشترى). [المراجع].

أو يأسه(؟) ا خيالاً منك يسري   فلو أرسلت طيفاً ما أرادا
وألهبتِ القلوب بنار شوقٍ   أبت يوم النوى إلا البعادا
ولم تترك لذي طرف مناماً   يلم ولا لذي جلد فؤادا

والشعر للمجاور والصوت فيه طرف .

وكذلك صوته في شعر شيخنا أبي الثناء الحلبي، والغناء فيه محير الحسيني : [الخفيف]

أيها المنزل الذي كان فيه   ليجلي شموسهم إشراق
والذي كان فيه بدر المسرا   ت تماماً لا يعتريه محاق
أوحشوني مُذ فارقوني فهل   أصبحت مثلي إليهم تشتاق
فابك لي مسعداً عليهم فلا   بأس إذا ما تساعد العشاق

وكذلك صوته في شعر ابن نباتة المصري :(١) [مجزوء الكامل]

يا قلب أنت ومقلتي   متحاربان كما ترى
هاتيك تمنعك الهدوء   وأنت تمنعها الكرى
وأنا الذي قاسيت بيـ   ـنكما العذاب الأكبرا

وكذلك صوته في شعره أيضاً، والغناء فيه زنكلا (٢) : [الوافر]

غني الحسن خالي الوجنتين   متى يقضي وعود الهجر ديني
متى بالثغر و الخدّين تجلو   بوارق رامةٍ والرقم شين
أبثك إن عاد لي المعنى   رآك بعين حبٍّ مثل عيني

---

(١) الشعر لابن نباتة المصري في ديوانه ص ١٤٩ .

(٢) ينظر في زنكلا وغيرها مما سيرد في مصطلحات الغناء في ملحق الكتاب ص٦٥٣ومابعدها المصطلحات الغنائية والأدوار وأسماء المقامات .

فَحَاكى قَلْبُهُ قلبي خفوقا وحكَّمك الهوى في الخافقين

وله صوت في شعر مجهول، والغناء فيه راست، وهو: [البسيط]

بي من جفاك صبابات وتسهيد فهل ليوم وصال منك موعود
سلي نجوم الدجى تنبيك عن سهري لتعلمي أن يومي فيك مفقود
أو فانظري سقمي إن كنت منكرة فالعين تشهد والأخبار تقليد
يا ضرة الشمس عودي غير هاجرة عسى بوصلك أن يخضر لي عود

وكذلك له صوت في شعر مجهول، والغناء فيه عراق: [الكامل]

[ص ٣٤٤]

حسب المحب فقد تمزق صبره وبدا لعاذله المعنف عذره
في حب أغيد لم تزل أجفانه مكسورة فيها تأكد نصره
ظبي وغصن مقلتاه وقده بدر وليل وجنتاه وشعره
أقْسَى من الصخر الأصم فؤاده وأرق من شكوى المتيم خصره

وله صوت في شعر مجهول، والغناء فيه حسيني وهو: [السريع]

من علم الغصن الرطيب الدلال حتى سطا جوراً علينا ومال
ومن أحل القتل في مذهب الـ ـحب وأفتى أن هذا حلال
يا فتنة العاشق من واضح يشرق في جنح الدجى كالهلال
أحور كالحور ولكنه ينفر من عاشقه كالغزال

وكذلك له صوت في شعر مجهول، والغناء فيه عراق: [مجزوء الكامل]

ومهفهف كالغصن مائل مُرِّ الجفا حلو الشمائل
من مقلتيه صوارم ومن الجفون له حمائل

تَـــرَفُ الــدَّلال يَــكَــادُ يُـــدْ ... مِـــيْــه منَ التَّـــرفِ الغــلائِـلْ
كم عـنفتْ فـــيـــهِ الوشَـــا ... ةُ وأطَنبتْ فـــيــه العـــواذِلْ

وكذلك له صوت في شعر مجهول، والغناء فيه نكاري: [البسيط]

ناولتـهـا شبـه خـديهـا مـشـعـشـة ... مثل الصـبـاح تحاكي ضوء مقبـاس
فـقـبَّلتـهـا وقـالـت وهي ضـاحـكة ... فكيف تسقي خـدود الناس للناس
قلت اشـربي إنهـا دمـعي وعـاصـرها ... دمي وطابخـهـا في الكأس أنفـاسي
قـالت إذا كنت من أجلي بكيت دمـاً ... فـسَـقِّنيـهـا على العـينين والرأس

وكذلك له صوت في شعر مجهول، والغناء فيه زوالي: [الطويل]

أمن أرض ليلى للنسـيم هبـوب ... فـمن نشـرها فـيـه تضـوع طيب
تهب قـبـولاً والقـبـول أمـامـه ... وتسري جنوباً والغـراب جنيب (١)
صـبـا للصِّـبـا قلبي وكل مـتـيم ... يحن إذا هبت صــبـــاً وجنوب

[ص ٣٤٥]

وأرتاح منهـا للرياح إذا سـرت ... مـراضـاً كـأني للنسـيم نسـيب

وله صوت في شعر الخطيب يوسف الصوفي، والغناء فيه زنكلا وهو: [الكامل]

أبـدى دلالـك لـلـغــــرام دلائـلا ... فـعـصـيت لُوَّ امـاً ولمت عـواذلا
وإذا رأيت القـلب يشكو في الهـوى ... فـقـراً إليك جـعلت دمـعي سـائلا
ينهـيـك أن الشـوق أمـسى نـازلاً ... في مـهـجـتي والصبـر أصبح راحـلا
وتركت عـزمي مـثل جـفنك فـاتراً ... وجعلت جسمي مثل خصـرك ناحـلا

---

(١) القبول: ريح الصبا

وله صوت في شعر شيخنا أبي الثناء، والغناء فيه رمل، وهو: [الطويل]

أشـــوق وهـم في ربع قلبك سكان ووجــــد ومــــاشطّ المزار ولا بانوا
نعم هي روح أحـرقـتـهـا صـبـابةً فـسـالت دمـوعـاً والجـوانح أجـفـان
تمر بهـــا الأنـفـــاس وهي رطيـبـــة وترجع عنهـا وهي بالوجـد نيــران
فلو كـان هـذا الدمع مـاء لأعـشـبت ربـا الحيّ منه وامـتـلت منه غــدران

وله صوت في شيخنا الصائغ بن سباع، والغناء فيه رمل، وهو: [الكامل]

حـبس الهــوى نومي وأطلق أدمـعي ضناً بطيـــفك أن يلم بمضــجـــعي
يا ســاكن الجـفن القـريح أمـاترى حــقـاً لجــارك في هواك مــضــيّع
وأنا الفـــداء لنازح سكن الغـضـا من مــهــجــتي والمنحنى من أضلعي
أبداً يلوح خـــيـــــاله في ناظري ويجـول طيب حـديثه في مـسـمـعي
ولقـد شكوت إلى الفـراق صـبـابتي يـوم النـوى وولـوع قـلـبـي الموجـع
فـــأبى وعــيـــشك أن يرق لحـــالتي أو أن يجـيب هناك ســائل أدمـعي

وله صوت في شعر أبي تمام حبيب ابن أوس، والغناء فيه زاولي وهو:(١) [الخفيف]

حـسنت عـبـرتي وطاب نحـيـبي فــيـك يا كنز كل حـــسنٍ وطيـب
لك قـــــدٌّ أرق من أن يحـــــاكى بقـضـيب في النعت أو بكثـيـب(٢)
حـــار حكمي في قلبــــه وهواه بعــد مــا جـار حكمـه في القلوب
كـــاد أن يكتب الهـــوى بين عـــينيـ ـه كـتـاباً هذا حـبـيب حـبـيب

[ص ٣٤٦]

(١) الشعر لأبي تمام في ديوانه ٢/٢٥٦ من قطعة في ستة أبيات.
(٢) في الديوان: (في الحسن أو بكثيب).

وكذلك صوت في شعره، والغناء فيه زاولي، وهو: [مجزوء الخفيف]

لا وَوَرْدٍ بِخَدِّهِ واعتدالٍ بِقَدِّهِ
لا تعَشّقْتُ غيرَهُ لو براني بِصَدِّهِ
إنْ يكنْ أقسَمَ الهوى بعد تصحيح وَرْدِهِ
فعَسَاهُ بعدَ التَمنُّنِعِ يرثي لعَبْدِهِ

وله صوت في شعر مجهول والغناء فيه حسيني، وهو: [مجزوء الخفيف]

رُبَّ لَيْلٍ سَهِرْتُهُ فيكَ لولاكَ نِمْتُهُ
بحنينٍ ولوعةٍ وبكاءٌ قَطَعْتُهُ
فلقَ العينَ مُفْكِراً في وصالٍ حُرِمْتُهُ
بأبي وجهَكَ الجَميلَ الذي لا عُدِمْتُهُ

وله صوت في شعر ابن مطروح، والغناء فيه راست، وهو:

[الكامل]

أوثقتَني من ناظريكَ جراحا وتركتني لا أستطيعُ بَرَاحَا
أحَسِبْتَ أنِّي سالياً لا والذي أبدى بليلِ الشَّعْرِ منكَ صباحا
ما بُحْتُ بالسِّر المصون وإن سلا غيري وخان عُهودُه وأباحا
لَكِنَّني حَرَّمْتُ عَنْكَ تَصَبُّري وَرَضِيتُ قتلي في هَواكَ مُبَاحا

وله صوت في شعر البهاء زهير، والغناء فيه أصفهان راست، وهو:(١)

[مجزوء الكامل]

يا مُعْرِضاً مُتَغَضِّناً حَاشَاكَ يا عَيْني وَرُوحي

---

(١) الشعر للبهاء زهير في ديوانه ص١٢٣.

لـم تـدر مـــا فــــعل البـكـا ء عليك بـالجـــفن القـــريح
لك من ضـــمـــيـري مـا علمت بـه مـن الـود الـصـــحـــيـح
فـــمـــتى أفــــوز بـنظرةٍ من وجـــهـك الحــسن المليح

وكذلك له صوت في شعره، والغناء فيه حسيني: [مجزوء الكامل]

يـا غـــــادريـن ألـم يـكـن بيـنـي وبـينـكـم عـــهـــود
ظهـــرت وبانت لي قـــضـــيـ ـتكم فـــمـــا هذا الجـــحـــود

[ص ٣٤٧]

وحـلـفـــتـم مـــا خـنـتـم وعلى خـــيــانتكم شـــهـــود
يـا من تـبـــدل فـي الهـــوى يهنيك صـــاحـــبك الجـــديد

وله صوت في شعر الأمجد، والغناء فيه جاركاه: [الطويل]

ترى تســـمح الأيام لي فـــأراكم وأشكـو إلـيـكـم مـنـذ يـوم نـواكـم
فـــيـــاليت أني لم أكن بنت عنكم ويـا لـيـت أنـي لا عــــرفت هـواكم
وأعظم مـــا ألقـــاه أني لواجـــد سلواً لقـلبـي عنـكـم بســــواكم
وإنـي لأرضـى أن أمـــوت صـــبـــابة إذا كـان مـوتـي في الهـوى من رضـاكم

وله صوت في شعر مجهول، والغناء فيه جاركاه: [الكامل]

لما بدا مـــرخى الذوائب مـــســـفـراً عـاينت فـوق الغـصن ليـلاً مـقـمـرا
وجننت لما هز غـــصن قـــوامـــه سكـر الدلال صــبـــابة وتـذكـــرا
لما دجت أصـــداغـــه وتضـــرمت وجناته لبس الجـــمـــال مـــشـــهـــرا
وكـــأنّ بَحْـــرَ الحـــسن لما مـــاج في خـــديه ألبس ســـاحـليــه العنبـــرا

وله صوت في شعر الوأواء، والغناء فيه سيكاه :[1] [البسيط]

مـا حُكّمَ البينُ إلا جـارَ مُـحْـتكمـا ... ولا انتـضى سـيـفـهُ إلا أراقَ دَمَـا

اللّـه يـعـلـم أنّـي يـومَ بَـيْـنـهِـمُ ... نَدِمْتُ إذْ لـم أمُتْ في إثْرِهمْ نَـدَمَـا

قـد سَـرَّني أنَّهُـمْ قـد سَّـرهُمْ سَـقَـمي ... فأزْدَدْتُ كَـيْما يُسَرُّوا بالضَّنى سَقَـما

ديارَهـم خـبِّـرينا بالذي فـعـلوا ... فـربمَّا جَـهِـلَ المُشْـتَـاقُ مـا عُلِمـا [2]

١٤٧-ومنهم- السَّهْرَوَرْدِي شَمْسُ الدِّين

كتب مثل ياقوت الدِّر، وزاد عليه ففضل الرفيق الحُرِّ، وباهى الروض وقال بيدي ما بيدي ولاحى النرجس، وقال كيف تُدرك الغاية وطرفك قد نعس، وسهر وردي وكيف يقاس بي وقد تطاولت ولم يبلغ الشجر أو يشبه بي عزيز غال، وإن قيل ياقوت، فهل هو إلا حجر وهبه، أجاد الخط أتى بأحسن مما أتيت، أو أنه سابق فهل خط معي إذ خط الرهان فأبيت، أو قيل إنه قد أجاد حتى من علم الطرب فيما ادعيت وسبق، وإن كنت أنت بعده قد طرف وما سعيت فهل شهد إلا بالخط الذي عليه [ص ٣٤٨]أقصر، وإلى الخط ما طمح على أنه اقتصر، ولا ملأ إلا البصر، وحده بحسن خطه وقد ملأت السمع والبصر[3]، مولده ببغداد في المحرم سنة أربع وخمسين وست مئة ببغداد، حفظ القرآن، وتفقه على مذهب الشافعي، وقرأ العربية ونظر في اللغة والمعقول، وحفظ المقامات الحريرية، وفاق الناس في الخط بعد ياقوت المستعصمي، وقيل: إنه كتب قلم النسخ أحسن من

---

(١) الشعر للوأواء الدمشقي محمد بن أحمد الغسَّاني في ديوانه ص ٢٠٠ تحقيق سامي الدهان ط صادر بيروت ١٩٩٣ مع خلاف في ترتيب الأبيات.

(٢) في الديوان: (يادارهم خبرينا ما الذي صنعوا).

(٣) في بعض الكلام غموض.[المراجع].

ياقوت، وكتب على الشيخ زكي الدين عبدالله، وفاق عليه في الكتابة.

قال العلامة تاج الدين بن البشاك: كنتُ أكتب على ياقوت وأجود قلم النسخ، فكان يغير عليَّ ويوقفني على الأصول، وكنت أستزيده فيوقفني إلى أن بلغت طبقة لم يغير عليَّ فيها شيئاً، فاستزدته فلم يزدني، وألححت عليه فقال: ما عليَّ مزيد، أتظن أنك تبلغ طبقة شمس الدين السهروردي، فإن نسخه خير من نسخي، قال أبو الخير الذهلي: وأجمع الناس على أنه لم يدرك أحد غايته في كتابات المينا على الآجر وغيره، وكتاباته مشهورة بالروم والعراق وخراسان وفارس وغير ذلك من البلاد، وسمع الحديث على جماعة منهم: رشيد الدين أبو عبدالله المقري، وعماد الدين أبو البركات ابن الطبال، وأجاز له جماعة، وكان حسن الأخلاق كثير الحياء، شديد المقال، ذا مروءة وفتوة، وشرف نفسي وتواضع، كثير البشاشة ظريفاً لطيفاً،معمور الأوقات بالاشتغال والأشغال، صاحب رأى وحزم وعزم وتؤدة وفصاحة، وبلغ في الموسيقا، وعلمه بالغاية القصوى، واعترف الفضلاء بإحرازه فيه قصب السبق، أخذ عِلْمَهُ وعَمَلَهُ عن صفي الدين عبدالمؤمن، وأجمع الناس على أنه لم يأت بعده مثله، ومنه استفاد المينا وبرز عليه فيه، ووصلت تصانيفه في الموسيقى شرقاً وغرباً، وكتب بخطه ثمانية وسبعين مصحفاً، منه خمس ربعات، كل ربعة وقر بعير، وكتب إحياء علوم الدين للغزالي، وكتاب المصابيح للبغوي ثلاث نسخ، وعوارف المعارف للجدابية ثلاث نسخ، ومشارق الأنوار للصنعاني ثلاث نسخ، وكتاب الشفاء لابن سينا في مجلد، والكتاب في نفسه في كثير من النسخ المتوسطة ستة عشر مجلداً [ص ٣٤٩] والمقامات ثلاث نسخ، ومُفَصَّل الزمخشري نسختين ونهج البلاغة أربع نسخ، وكتب من الأحاديث والأدعية والدواوين والدروج شيئاً كثيراً، وكان حظياً عند السلطان، وكاتبه سلطان الهند واليمن غير مرة وجماعة

من الكبراء على أن يمضي إليهم فلم يفعل، وكتب عليهم خَلْقٌ كبير، منهم السلطان أبو سعيد، والسلطان أبابك، وسلطان السَّلْم(١)، والوزير غياث الدين محمد بن الرشيد، ونظام الدين الطياري، وأولاد الأئمة والقضاة، والفضلاء والرؤساء والوزراء، وقصد من البلاد لأجل الخط والموسيقا: [الرمل]

قَدْ قَنِعْنَا بخمولٍ عَنْ غِنَى ... وبعِزِّ اليأس عَنْ ذلِّ التَّمَنِّي
فكريمُ القومِ لا أسألُهُ ... فلماذا يُعْرِضُ البَاخِلُ عَنِّي

وقوله: [السريع]

يا من بنور العلم....(٢) ... متعك الله بما خوَّلك
ولا برحت الدهر في نعْمة ... صافية المشرب والأمر لك
ما هينمت ريح الصبا سحرةً ... وغنت الورق ودار الفلك

ومن شعره أيضاً: [الوافر]

بدا نجم السعادة في الصعود ... وبشر بالميامن والسعود
وحقَّقَ فيك آمال البرايا ... بما أولاك من كرم وجود
فلاح لنا الفلاح وحل فينا ... محل الروح من جسد العميد
وأبقيت النفوس بظل أمن ... يعم الخلق في مدن وبيد
بعدل شامل في كل أرض ... لسلطان الزمان أبو سعيد

ومن أصواته: [الكامل]

---

(١) في الأصل الكلمة محرفة بين (السلم) و(السلر) والسلم: محلة بأصبهان. (ياقوت: سلم).

(٢) في الأصل كلمتان مبهمتان (بذملك) ولم أجد لها وجها مقنعاً. ولعلها: (قد ملكك).
ـ قلت: كأنها« قد كَمّلك» .[المراجع].

ذكر العذيب ومائلات قبابه وقف الفؤاد على أليم عذابه
ومهب أنفاس الصبا من جوه فيه شفاء الصب من أوجابه (١)
فدع النسيم يبث من أنبائه وعلى دموع العين رد جوابه

[ص ٣٥٠]

ويشوقني أن المحب يسوقه لقيا القريب العهد من أحبابه

ويروى الشعر لابن قيس، ويروى لغيره، ومن أصواته [الوافر]

أعاتبه فيطرب من حياء وفي الخدين من خجل دليل
كأن الجلنار بوجنتيه وماء الياسمين به تجول
ويزعم أنني ما رمت هذا ويطرق ثم ينكر ما أقول
وكم لام العذول عليه جهلاً وآخر ما جرى عشق العذول

والشعر مجهول، وله صوت في شعر ابن قرطابا: [الطويل]

لذي السالف المسكي والمقلة الكحلي رسيس هوى في الحب يبلى ولا يبلى
عزيز عرفت الذل من كلفي به وكم من عزيزٍ في الهوى عرف الذلا
كثير التجني ليس لي عنه سلوة وأعجب شيء جائر الحكم لا يسلا (٢)
ومعتدل كالغصن لا عدل عنده ولولا سقامي في الهوى عرف العدلا
فلا تعذلوني في هواه فإنني حلفت بذاك الوجه لا أقبل العذلا
دعوني وشكوى الحب بيني وبينه فما أعذب الشكوى إليه وما أحلا

(١) كذا الكلمة في الأصل: (أوجابه) ولعلها من وجب وجيباً: خفق واضطرب ورجف.
(٢) إذا كان المقصود سلا يسلو فالمعنى أبغض وكره، والمراد هنا سلاه سلواً: نسيه وطابت نفسه بعد فراقه، ولا يسلا: للمجهول لا ينسى.

وكذلك له صوت صنعه في شعر الملك الأمجد صاحب بعلبك: [الطويل]

أحبة قلبي بعد ما بان أنسكم ... وبنتم عن الجرعاء كيف أكون
قضى الوجد لي أن لا أزال مسهداً ... إذا رقدت تحت الظلام عيون
أأحبابنا لي بالإياب مواعد ... فحتّام تلوى والعداة ديون
وحتام أشكو الهجر منكم شكاية ... تعلم صلد الصخر كيف يكون

وله شعر في صوت آخر وهو: [البسيط]

ما ضر أهل الحمى لو أنهم رجعوا ... بانوا فأقفر مصطاف ومُرتَبَعُ
نأوا فبان على آثار بينهم ... عصر الشباب فمن أبكي ومن أدع
مناي إصلاح ما بيني وبينكم ... وكل شيء من الدنيا له تبع
أبعد ذاك التداني من دياركم ... أبيت والقلب عن لقياكم يزع

[ص ٣٥١]

وله صوت في شعر ابن الساعاتي: [الكامل]

هذا الذي قتل المحب وما درى ... فحذار منه ولم يفد أن تحذرا
ما كنت أحسب قبل لؤلؤ ثغره ... أن الثمين يكون منه الأصغرا
قاسمته قسم الجفون فليته ... يوماً يقاسم ناظري سنة الكرى
يهتز غصن نقاً ويعقب زهره ... ويصول قسورةً ويرنو جؤذرا (١)
غنى فناح الورق من حسد له ... وانقد قد الغصن حين تبخترا
في خَدِّه المبيض أسود عارض ... من خوف جمرته انثنى فتحيرا

وكان في آخر عمره يأنف من علم الموسيقا، ولم يكن في لحيته من البياض

---

(١) القسورة: الأسد
الجؤذر: ولد البقرة الوحشية.

إلا شعرات يسيرة إلى أن مات، ولم يُحْصَنْ [١] قط رحمه الله تعالى، وتوفي في آخر شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين وسبع مئة، وصلى عليه جماعة من الخلفاء، ودفن عند[٢] جده، ولم يخلف بعده في سائر البلاد[٣] بعده مثله في حسن الخط وعلم الموسيقا.

١٤٨-ومنهم- الشَّمْس الكَرْمي

محتسب صفد يُحكى عنه العجب، ويُحَدِّثُ بما يهز العذب، ويخبر بما لا هو في قوة العجم والعرب، وكان ابنه المعروف ببدر الدين محمد كاتباً من كتاب صفد في الجهات الديوانية، وربما كتب الدرج لبعض المشدين، وكان هذا الشمس ينادم الأمير علاي الدين أيدغدي الألذكزي النائب بها، وكان من كبار الأمراء الظاهرية القدماء، وحكى لي الشيخ الإمام أبو الصفاء الصفدي عن علاي الدين علي دوادار الألذكزي أنه كان يأخذ الدف بيده ويحلق به في الهواء ثم يتلقاه على خمس أنامل، وينقر بكل أنملة منها على نغم، وكان الألذكزي يقول له: إن نادمتني ليلتي كلها أعطيتك مئة درهم، وكان يكثر منادمته لذلك، وكان يلعب له بالجغانة[٤] وكان الدوادار الجاكي ينقل عنه كثيراً من أصواته، ويلعب بالجغانة، وربما تخرَّج عليه، لأنه كان كثير النقل عنه. قلت: وحدثني بأمر إلقائه الدف وتلقيه بأنامله ونقره بكل أنملة منها في نغم، القاضي أبو العباس أحمد بن قاضي نابلس: [ص ٣٥٢] [السريع]

(١) لم يحصن: أي لم يتزوج، أحصن الرجل: إذا تزوج فهو (محصن) بفتح الصاد وهو أحد ما جاء على أفعل فهو مُفْعَل، وأحصنت المرأة: عفت، وكل امرأة عفيفة فهي محصنة وكل امرأة متزوجة فهي محصنة (الصحاح: حصن).

(٢) في الأصل: (عن جده) ولعله تحريف.

(٣) كذا في الأصل: (بعده) مكررة في موضعين وواحدة تغني عن الأخرى، وقد تكرر هذا الأسلوب.

(٤) الجغانة: آلة موسيقية ذات أوتار، والكلمة فارسية.

إلى متى أطلب منك الوصال مضى زماني وانقضى بالمطال
يا قلب لا تطمعُ في وصلهم تحصيل مالم يتحصل محال[١]

١٤٩-ومنهم- يَحْيى الغَرِيب الوَاسِطيّ المشيب

ابن زادة الديسني جمال الدين أبو سعيد المشرقي رجل من الأبناء حسن الأنباء أُضرَّبسهم أصابهُ، وأطال بفقد عينيه مصابه، وأبوه كردي، وأمه من البيت المودودي مات أبوه بالالموت [٢]، وقد قدر له أن يحيى به ويموت، قال لي ابنه هذا أنه أجزم جزمة غَيَّرت عليه هولاكو، وكان هو الذي اصطنعه ويسر له من الأمل ممتنعه، فلما ارتكب عنق الجريمة ومنى نفسه العظيمة،أودعه المجلس وأقيم وودعه المجلس، ثم غامت له سماؤه، وغاضت في خلج السيوف دماؤه، ثم أمر به فَصُلِبَ، وبما ملكت يداه فَسُلب، وأُتْبِعَ حريمُهُ وبنوه أشتاتاً، وتعاصى عليه الزمان كما واتى. قال واشتراني الصاحب شرف الدين هارون بن الجويني، فصرت إليه وبصرت فتقربت إليه بما كان ينفق عليه، وكان ينفق عليه الغناء، ومجلسه مأهول برب كل فضيلة، وبكل من يأوي منه إلى فضيلة، وكان يغشاه من أهل الغناء الأوحدين كسباً، وزير البر واناه وعبدالمؤمن فاخر الأرموي، والزين ابن الدهان الموصلي، وحسن النائي، وسعد الدين السليكو، والبدر الأربلي، وأبو بكر التوريزي، وكانوا كلهم أئمة في هذا الشأن، وكان الصاحب ابن الجويني رحب الندى كريماً إليه، وبيتُهُ للطارق والمشاب[٣]، وكرمه ما بعده على الزمان غياب، وكان قد أخذ عن هؤلاء، وعرف جيد الغناء من رديئه بدليل وعن نظر[٤] فاجتهدتُ في الطلب، واجتهدت نفسي حتى فقت في الطرب، ثم

(١) في حاشية البيت: (ومنهم خضر بن جعفر). (٢) كذا وردت ولم أهتد لها.
(٣) المشاب: لعله يريد أخلاط الناس وعامتهم، من شاب الشيء :خلطه.
(٤) كأن في الكلام نقصاً ولعله« وعن نظر، قال: فاجتهدت في الطلب...» .[المراجع].

قدمت هذه البلاد، ووفدت على حضرة السلطان بمصر، واستخدمت على خبز في الخدمة، وفي جملة الخدام والقصاد بالخدمة، حتى أُصِبْتُ في عيني في بعض الوقائع، فَرُتِّبَ لي مُرَتَّبٌ أنا منه أقتات، وقنعت بعد الخبز [ص ٣٥٣] بالفتات.

وأخبرني أن مولده ليلة الجمعة المسفرة عن الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة إحدى وستين وست مئة، وأنه صنف كتاباً في هذا العلم سماه الكنز المطلوب في علم الدواير والضروب وأرانيه، وحدثني بكثير مما فيه.

قلت: وكان الأمير الكافل بنكر قد قربه واستخدمه ليعلم جواريه وكان يتردد إليه ويجتمع به، وكان قد قيل إنه هدى له انقطاع إلى ملوك ماردين ثم ملوك حماه، وله معهم أخبار لا حاجة إلى الإطالة فيها.

ومن أصواته هذه الأبيات الثلاثة، كل بيت منها في صوت: [الطويل]

أيا طفلة إحْدَى الكبائر عِشْقُهَا ... ويا جَنَّةً قد أُوقِفَتْ في جَهَنَّم

بِحَقِّكِ رُدِّي الطَّيْفَ عَنِّي فَإِنه ... يقولُ بِقَتْلِ المُسْتَهَام المُتَيَّمِ

ولا تُودِعي الأَسْرَارَ عَنِّي فَإِنَّمَا ... تَصُبِّيْنَ مَاءً في إِناءٍ مثلَّم

والغناء فيه في الأول في الزوالي(١) يهبط على النيروز، وفي الثاني في الزروكند، وفي الثالث في العراق، وفي هذا البيت وهو: [الطويل]

عَسى مَنْ كَسَا جِسْمِي السَّقَامَ يعودُ ... ويُنْجِزُ مِنْ بَعْدِ المطالِ وُعُودْ

والغناء فيه من أصبهان، وفي هذين البيتين: [الطويل]

يميناً لقَدْ أسرفَت يابْدرُ في الصَّدِّ ... على مُغْرَمٍ ما حالَ يوماً عَنِ العَهْدِ

وجَاوَزْتَ حَدَّ الهجرِ والبُعْدِ والقِلَى ... فَهَلْ أَمَّد للوصلِ يُقَضَى مِنَ البُعْدِ

---

(١) الزوالي والنيروز والزروكند والعراق، دوائر نغمية في اصطلاحات الموسيقيين، انظر الملحق (الدوائر النغمية).

والغناء فيه في الراست، وفي شعر الشمس الدهان: [الكامل]

فضح الغصون بقدره لما انثنى ... وسبا القلوب بلحظه لما رنا
وبدا وبدر التم في ظلماته ... بادي الجمال وكان منه أحسنا [١]

والغناء فيه في الراست، وفي هذين البيتين: [السريع]

أصل تلافيكم من تلافيكم ... يا حبذا إن كان يرضيكم
عذبتم قلبي وما خلته ... يشقى وقد أصبح يؤويكم

والغناء فيه في الدوكاه، وأحضر له من أماليه عدة أصوات [٣٥٤] منها صوت: [الطويل]

وكنت إذا جئت الحمى متنكراً ... أزور به ليلى سعيت على خدي

قال: وتعلمته من ابن كسبا الأستاذ، من بحر الطويل، ضربه من الثقيل الخراساني، دائرته ثمانية عشر دوراً، لكل دور (أحد عشر* دقة)، وربع وثمن دقة، منها ثقال وخفاف، الخفاف ونغمه الراست، صوت من شعر أبي تمام: [٢] [الطويل]

وأحسنُ مِنْ نَوْرٍ تُفَتِّحُهُ الصَّبَا ... بياضُ العَطَايا في سَوادِ المطَالِبِ [٣]

قال: وهذا قول صنعته أنا في الاثني عشر نغماً، وستَّ الأوزان وهو من بحر الطويل أيضاً، ضربه من الثقيل الخراساني، دائرته اثنان وأربعون، كل دور (اثنا عشر دقة**)، صوت[٤]: [الوافر]

---

(١) في الأصل: (احسن) ويجب هنا اطلاق النغمة لتكون ألفاً.

* الصواب :إحدى عشرة .

(٢) البيت لأبي تمام في ديوانه ١ / ١١٤.

(٣) في الأصل: (بياض المطايا) وهو وهم.

** الصواب :اثنتا عشرة دقة .

(٤) البيت لأبي الحسن التهامي من قصيدة في ديوانه ص ١٢٠ ط الكتب الاسلامي ـ دمشق ١٩٦٤.

فَــتىً جُــبِلَتْ يَدَاهُ على العَطَايا ... كَـمَا جُـبِلَ الّلسـانُ على الكَلَامِ (١)

قال: وهو قول صنعته أيضاً في الاثني عشر بردا من غير أواز وهو من الوافر ودائرته ستة وثلاثون دوراً، كل دور (اثنا عشر* دقة)، وهو من الضرب الثقيل الخراساني، والشعر للتهامي. صوت: [الطويل]

فُـؤَادٌ بِنَارِ الشَّـوْقِ والوَجْـدِ مُـحْـرَقٌ ... وجَــفْنٌ بأمــواجِ المدامعِ تغــرقُ

وقال: وهذا القول استفدته من الأستاذ صفي الدين عبدالمؤمن، عروضه في الطويل، وضربه من الثقيل الخراساني، دائرته أحد وعشرون دوراً، كل دور إحدى عشرة دقة(٢) وربع دقة، وثمن دقة.

صوت: [الكامل]

مَــرَّ النَّسِــيْمُ على رُبوع ديارهم ... فَكَأنَّمَا كَــانُوا على مِــيْــعَــاد

قال: وهذا قول صنفته أيضاً في نغمة الراست، مظافر في أربع برداوات (٣) أوازين، ومعنى كونه مظافراً أنه يظفر من الراست، وهو أول الأنغام إلى العشاق وهو آخرها، ثم يعود ويظفر من العشاق وهو آخرها إلى العراق، وهو ثانيها، ثم يظفر من العراق وهو الثاني إلى النوى، وهو الحادي عشر، ومن المعلوم أن بين الراست والعراق أوارهو النيروزي، وبين النوى والعشاق أواز [ص ٣٥٥] هو الكواشت، دائرته أربع وعشرون دوراً، كل دور إحدى عشرة دقة وربع وثمن

(١) في الأصل: (جلبت يداه.. كما جلب اللسان) والكلمتان تحريف (جبل).

* الصواب: اثنتا عشرة .

(٢) في الأصل: (أحد عشر دقة) وهو لحن. واللحن في هذا الجزء الأخير كثير صححناه دون الإشارة إليه لكثرته.

(٣) البردة: البعد النغمي (تون Tone) وجمعها بردات الأوازين.

بالشرح، وضربهُ الثقيل الخراساني، فليعلم.

صوت: [الطويل]

ولا تُوعِدي الأسْرَارَ عَيْنِي وإنما[1] تَصُبِّيْنَ مَاءً من إناءٍ مُثَلَّمِ

قال: هذا قول صنفته من نغمة العراق، عروضه من الطويل وضربه من خفيف الخراساني، دايرته ستة وثلاثون دوراً، كل دور اثنا عشر. صوت: [الطويل]

رَنَا فَانْتَضَى مِنْ جَفْنِهِ كُلَّ لَهْذَمٍ ومَاسَ فَأَزْرَى بالوشيجِ المقَوَّمِ

قال: هذا قول صنفته في برد الأصفهاني، وهو من الطويل، وضربه من الثقيل الخراساني، دائرتُهُ أربعة وعشرون دوراً، كل دور(اثنا عشر* دقة) بالشرح.

صوت: [الكامل]

اليومُ موعدُكُم فأينَ الموعِدُ هَيْهَاتَ لَيْسَ لِوَعْدِكُمُ غَدُ

قال: وهذا قول افاد نيه صفي الدين عبدالمؤمن، وهو من نغم الزيلفكند، وضربه من الثقيل الخرساني، دائرته اربعة وعشرون دوراً، كل دور اثنا عشر* دقة بالشرح.

صوت: [المديد]

عَبَثَ الشَّوقُ بالركائب والرَّكـ ـبِ فَلَمْ نَدْرِ أيُّنَا المُسْتَهَامُ

قال: هذا قول أخذته من الأستاذ صفي الدين بن الباصوان النحوي، وهو من بحر المديد، وضربه خفيف المخمس، دائرته سبع وعشرون، كل دور(اثنا عشر* دقة)، نغمته الزنكلا[2]. صوت: [الطويل]

---

* الصواب: اثنتا عشرة.

(١) سبق برواية «فإنما».. [المراجع].

(٢) الزنكلا: أو الزنكلاه، كلمة فارسية معناها: حبشي.

تملَّكْتُمُ قَلْبِي فَصَارَ لِحُبِّكُمْ حِمى فَرَعَى اللَّهُ الحِمَى وَرَعَاكُمُ

قال: [وهو] قول من بحر الطويل صنعته في نغم البزرك الكبير (١)، وضربه مختلف، وهو من (أربع* ضروب)، دائرته سبعة وعشرون دوراً، كل دور اثنتا عشرة دقة (٢) بالشرح.

صوت: [المنسرح]

تَبُلُّ خَدَّيَّ كُلّما ابتَسَمَتْ مِنْ مَطَرٍ بَرْقُهُ ثَنَايَاهَا

[ص ٣٥٦]

قال: وهذا قول عملته من نغم الرهاوي، يهبط فكند نيروز(٣) وهو من بحر الوافر(٤)، وضربه الثقيل الخراساني، دائرته إحدى وعشرون كل دور اثنتا عشرة دقة بالشرح.

صوت: [الطويل]

يَقُولُ وَقَدْ قَبَّلْتُهُ ورشَفْتُهُ أراكَ تُحِبُّ الخمر والخَمْرَ في فَمِي

قال: وهو قول من بحر الطويل، صنعه في نغم الحسيني من ضرب الثقيل الخراساني، دائرته ثمانية عشر، كل دور اثنتا عشرة دقة بالشرح.

---

(١) البزرك: كلمة فارسية معناها العظيم الكبير.

* الصواب: أربعة.

(٢) في الأصل: (سبع وعشرون دورا كل دور اثنا عشر دقة) وفي هذا القسم الأخير لحن كثير وسنصحح الملحون دون الإشارة منعاً لتكثير الهوامش.

(٣) فكند نيروز: انظر المصطلحات الموسيقية في مقدمة التحقيق.

(٤) البيت ليس من بحر الوافر، فصدره من الكامل وعجزه مضطرب (مستفعلن فاعلن مفاعيلن).

صوت: [الطويل]

عَليكَ اعتِمَادي في جَمِيْع أُمُورِي وأنْتَ مُنَى قَلْبِي وأنْتَ سُرُورِي

قال: [وهو] قول من بحر الطويل، صنعته في نغم الحسيني من ضرب الثقيل الخراساني، دائرته ثمانية عشر، كل دور اثنتا عشرة دقة بالشرح.

صوت: [الطويل]

عَليكَ اعتِمَادي في جَمِيْع أُمُورِي وأنْتَ مُنَى قَلْبِي وأنْتَ سُرُورِي

قال: [هو] قول من بحر الطويل، صنعته في نغم الماء آه، وضربه الثقيل الخراساني، دائرته خمسة عشر دوراً، كل دور اثنتا عشرة دقة، بالشرح.

صوت آخر: [الوافر]

لحاظُكَ أيُّها القمرُ لِقَلْبِ الصَّبِّ قَدْ أسِرُوا[1]
وَقَدُّكَ مِنْ مَعَاطِفِهِ غُصُونُ البَانِ تَسْتَتِرُ

قال: وهذا جارخانا، من بحر الوافر، صنعته في ماءآه، محلض وضربه تركي رخم، دائرته تسعة أدوار، كل دور اثنتا عشرة دقة بالشرح.

صوت: [الطويل]

صَحَا كُلُّ سكرانٍ مِنَ العَشْقِ قَلْبُهُ وَمَنْ هُوَ سكرانٌ بِحُبِّكَ لا يَصْحُو

قال: وهذا قول استفدته من الأستاذ عجيب الزمان، وهو من بحر الطويل، ونغمه الأبوسليك، وضربه الثقيل الخراساني، دائرته اثنا عشر دوراً، كل دور اثنتا عشرة دقة بالشرح.

صوت: [الطويل]

(١) في الأصل: «قد أسر». [المراجع].

إذا ما اشْتَهَى الخَلْخَالُ أخبارَ قُرْطِهَا فَيَا طِيْبَ ما تُمْلِي عليهِ الضفائرُ[١]

قال: وهذا قول من الطويل، صنعته في نغم النوى، وضربه الثقيل الخراساني، دائرته أربعة وعشرون دوراً، كل دور اثنتا [ص ٣٥٧] [عشرة] دقة بالشرح.

صوت: [الخفيف]

طَابَ ذُلِّي ولذَّ لي فِيْكَ عَذْلِي وحَلا لي بِسَيْفِ حُبِّكَ قَتْلِي

وهذا قول أخذته من الأستاذ المعروف بالنقشواني، وهو من بحر الكامل[٢]، ونغمه في النيروز، وضربه الثقيل الخراساني، دائرته أحد عشر دوراً، كل دور اثنتا عشرة دقة بالشرح.

صوت: [الوافر]

هَلْ لكَ في إغاثةِ مُسْتَهَامِ يُقَادُ إلى الغَرامِ بِلا زِمَامِ

قال: وهذا القول من الكامل[٣]، ونغمه الشنهاز، وضربه التركي رخم، دائرته واحد وعشرون دوراً، كل دور اثنتا عشرة دقة بالشرح.

صوت: [الطويل]

تُرى تسمحُ الأيَّامُ لي بِلِقَاكُم ويفرحُ قَلْبِي بعد طُولِ جَفَاكُم

قال: هذا قول من الطويل، صنعته في نغم الزركشي، وضربه الثقيل الخراساني، دائرته ثمانية عشر دوراً، كل دور اثنتا عشرة دقة، بالشرح.

صوت: [الطويل]

ولَمَّا تلاقَيْنَا جَرَتْ مِنْ عُيُونِنَا عُيُونَا كَفَفْنَاهَا بروس الأصابعِ

---

(١) في الأصل: «الظفائر». [المراجع].

(٢) قوله من بحر الكامل لا يصح فالبيت من بحر الخفيف.

(٣) قلت بل هو من الوافر، ولعله يريد الكامل بأنغام الموسيقا وليس البحر العروضي.

قال: هذا القول من الطويل، أخذته من الأستاذ سراج الدين الخراساني، ونغمه حجاز، وضربه الثقيل الخرساني، دائرته ثمانية عشر دوراً، كل دور اثنتا عشرة دقة بالشرح.

صوت: [المنسرح]

كُلُّ جَـريْحٍ تُرْجى سـلامَـتُـهُ   إلا فـؤاداً دَهَتْـهُ عَـيْنَـاهَا

وهذا القول من بحر الوافر(١)، صنعته في نغم الكواشت، ويضرب [ص ٣٥٨] في أربعة ضروب الأصول، دائرته أربع عشرة دائرة، وأدواره مختلفة بحسب الضروب المتقدمة.

صوت: [الطويل]

فـؤادٌ بنارِ الشَّـوقِ والوجْـدِ مُحَـرْقٌ   وجَـفْنٌ بأمـواجِ المدامعِ مُـغْـرَقُ

قال: وهذا قول أفادنيه أستاذ صفي الدين عبدالمؤمن، وهو من بحر الطويل، ونغمه اليكاه، دائرته إحدى وعشرون دائرة، كل دور إحدى عشرة دقة وربع وثمن [دقة] بالشرح، وضربه الثقيل الخراساني.

صوت: [الكامل]

إنَّ المُـلـوكَ إذا حَـلَـلْـنَ بِـبَـلْـدَةٍ   كـانوا كَـوَاكِـبَـهَـا وأنتَ هِلالُ

قال: وهذا القول أفادنيه الأستاذ ابن كسبا، وهو من بحر الرجز (٢)، ونغمه الدوكاه، ويخالط أنغاماً كثيرة، وضربه الثقيل الخراساني، دائرته سبعة وعشرون دوراً، كل دور اثنتا عشرة دقة، بالشرح.

(١) ليس من الوافر.

(٢) هو من الكامل.

صوت: [الطويل]

تَكَلَّفْـتُمُ مِنْ بُعْـدِكُمْ شَـوْقَ واحـدٍ وحَمَّلْتُمُـوني شَوْقَكُم كُلَّكُم وحـدي

وهذا القول صنعته في نغم السيكاه، وهو من بحر الطويل، وضربه الثقيل الخراساني، ودائرته خمسة عشر دوراً، كل دور إحدى عشرة دقة وربع وثمن دقة بالشرح.

صوت: [الكامل]

ليسَ الوَدُوْدُ فَـتـىً يَوَدُّكَ يَوْمَـهُ حَـتَّى إذا اسْـتَـغْنَى يملُّك في غَـدِ

قال: وهذا قول أفادنيه عبدالمؤمن صفي الدين، وهو من بحر الرجز [1]، وضربه الثقيل الخراساني، دائرته خمسة عشر دوراً، كل دور اثنتا عشرة [دقة] بالشرح.

صوت: [الخفيف]

كَيْفَ يُخفي سِرَّ الهوى المُسْتَـهَامُ هي جـروى ومـا الخِـيَـامُ خِـيَـامُ
ولئنْ كـانَتِ الخِـيـامُ فَـمَـا النَّا سُ بِهِ الناس ومـا الغـرامُ الغـرامُ

هذا قول مسدود من نغمة النوى على حركات الغناء المعلى الموافق للشبابة [ص ٣٥٩] المعروفة بالصبرغي، وهي معروفة عندهم، ضربه من الثقيل بالدقة المفردة، دائرته اثنا عشر دوراً، كل دور ستة مفرد.

صوت: [الطويل]

تجلّى أميـرُ الحُسْنِ والليلُ قَـدْ هَدَى فـأيقنتُ أنَّ الصُّبْحَ من وجـهـهِ بَدَا
ولاحَ مُـحَـيَّـاهُ الكريمُ وقَـدْ دَجَـا ضَـلالاً فَـجَـارَ الرَّكْبُ واتَّضَح الهُـدَى

---

(١) هو من الكامل وليس الرجز.

وهذا قول سرح الأرغل الذي يغني فيه الإفرنج وهو من نغم المآه وأبو سليك، ضربه من الثقيل، دائرته أربع وعشرون مفردة، آخر أماليه، وقد روى عن جماعة.

١٥٠-ومنهم- حَسَن التاي

وروى عنه: [المتقارب]

إن اسْتَحْسَنَتْ مُقْلَتِي غَيْرَكُمْ أمرتُ السُّهَادَ بِتَعْذِيْبِهَا

والغناء فيه من المحير، وفاخر به عبدالمؤمن، فأخذه هارون بن الجويني وقيده وحبسه لكونه فخر عليه، فقال: ما أنا أضجر من حبسك، ولكن ابعث إلى عبدالمؤمن لتحكمه، فحفظه خواجا زيتون، وركبه البريدي حتى أتى عبدالمؤمن، فلما دخل عليه غناه، فسأله: لمن هو؟ فحكى له، فقطع على نفسه، وبعث له معه خلعة وبغلة، فقال: حسن ولدي وأنا علمته.

١٥١- ومنهم-السِّلْكُو

وَرُوِي عنه: [البسيط]

جُودُوا عليَّ بِوصْلٍ مِنْكُمْ جُودُوا عَدِمْتُ صَبْرِي وعَنْدِي الوجدُ مَوْجُودُ

والغناء فيه من العزال من الشواذ.

وَرُوِي عنه: [الكامل]

كم من دمٍ يوم الفراق سفكتم لما حدت بكم الحداة وبنتم

والغناء فيه في الرهو.

١٥٢-ومنهم- البَدْر الأرْبلي

سيد الجنكيين[١]، وكان عند المظفر بماردين، وقتله مجير الدين بن ضبرت، أستاذ أرسلان الدوادار، ولم يكن مثله.

١٥٣-ومنهم- التَّاج بن الكِنْديّ

وَرُوِي عنه: [مجزوء الكامل]

بالخَيْفِ مُخَطَّفَةُ الحَشَا   تهوى الغصونُ له القُدُوْدَا[٢]

أخَذَ الغزالُ نِقَارَهَا   وأعَارَها طرفاً وجيدا

[ص ٣٦٠] والغناء فيه من العشاق[٣].

١٥٤- ومنهم- خَواجَا أبو بَكْر النَّوْرُوْزِي

وَرُوِي عنه: [السريع]

يامَلِكَ الأرضِ ووالي الزَّمَانِ   اشْرَبْ كُؤُوساً غُيِّبَتْ في الدِّنَانِ

والغناء فيه ضرب الفاختية في بوسليك.

١٥٥-ومنهم- عَلاءُ الدِّين دِهْن الحَصَا

وأخوه الكمال يوسف، وكلاهما فريد ومصنف مجيد، كان يوسف أمير المطربين، وكان أخوه علِّي نديم الحضرة، وكانا عند لؤلؤ صاحب الموصل إلى قوم آخرين، وهم تقي الدين بن بياع الدقيق، وكمال الدين بن الدويك، وخواجا صدر الدين الفتشواني.

---

(١) الجنكيون: نسبة إلى الجنك أو الصنج، وهو آلة وترية من جنس المعازف تغمز أوتارها بالأنامل.

(٢) الخيف: ما ارتفع من الوادي قليلاً من مسيل الماء، ومنه مسجد الخيف بمنى لأنه بُني في خيف الجبل، ولا يكون خيف إلا بين جبلين. (المصباح المنير: حنيف).

(٣) العشاق: مصطلح موسيقي انظر فيه الملحق.

فلعلاء الدين: [الطويل]

أكـتّمُ وجْـدِي خـيـفـةً مِنْ عَـوَاذِلي　　وأُظْهِـرُ للواشي النَّمُـومِ بَشَـاشَـتِي

والغناء فيه في الجاركاه.

ولأخيه يوسف: [الكامل]

إنْ كُنْتُمْ بِصَـبَـابَتي لا تَعْلَمُـوا　　اللُّهُ يعلـمُ مـا بِقَلْبي مِنْكُمُ[1]

والغناء فيه في الرهوي.

ولابن بياع الدقيق، وهو مصنف ضرب الفاخية: [الطويل]

صَبـا ما صَبا حَتَّى عَلا الشَّيْبُ رأسهُ　　فَلَمَّـا عَـلاهُ قَـالَ للبـاطلِ ابعـدِ

والغناء فيه زروكند.

ولابن الدويك: [الطويل]

عَلَيْكَ اعتِمَادِي في جَمِيْع أُمُورِي　　وأنتَ مُنى قَلْبي وأنْتَ سُـرُورِي

والغناء فيه للعراق

وللقشواني: [الطويل]

ظَفَـرْنَا بِكُمْ والليلُ مِـقْـدارُ هَجْـعَـةٍ　　وغَـابوا كَـأنّا في المَنَامِ رأيْنَاهُمْ

[ص ٣٦١] والغناء فيه في الحجاز، وهو من المخرج له.

---

(١) الوجه ان يقول: (لا تعلمون)، ويجوز في الغناء الخروج على النحو للضرورة وخاصة في هذا العصر المتأخر في القرن الثامن وما بعده.

١٥٦- ومنهم-نِظَامُ الدِّين يَحْيى بن الحَكِيْم

الجعفري الطيَّاري البغدادي الدار، المقيم الآن بدمشق حيث تشوق ربوتها، وتسوق الصبابة إلى النفوس صبوتها، قد تم بمن وراءه إلى هذه البلاد آمنين، وقام مشكوراً هذه السنين وعكف على الحديث النبوي يسمعه ويكتب أجزاءه وطباقه، ويجد إليه تبكره وسباقه، وله حديث لا يمّل، وأنس على القلوب لا يذل، وفضل أصبح له خلفاً، وكرم لو وُصف به غيره لكان خرفا، وله مشاركة في الأدب، ومحاسنه تأتي منه بآيات لا يتقاصر بناؤها، وفقرات ظاهر غناؤها، فأما صناعة الغناء، فهو محرز قصباتها ومستمع مضروباتها، لو عرض الموصلي عليه أصواته لجودها، أو زلزل لثبت قدمه ووطدها، أو ابن جامع[١] لأقر له في المجامع، أو معبد لاعترف له بأنه المفرط وهو الجامع، وهو من صدور بغداد، وممن يدخل مع خلة أهلها في الأعداد، وله جملة محاسن تغني معرفتها عن التعداد، كان الحكيم نور الدين [٢] من الحكماء الفضلاء، والأعيان المتميزين في صناعة الكحل، واتصل بالأردو وخدم البيت الهولاكي، والقان والخواتين والأمراء والخواجكية[٣]، واتصل بالوزراء واختلط في صحبتهم، وَعُدَّ في جملتهم، وحصل الأمور الجمَّة. والملك والعقار، واقتنى ببلاد بغداد والحلة[٤] من ذلك ما يتحصل منه الريع الكثير، والمبلغ الجزيل، واشتغل نظام الدين ولده، وكتب وتأدب وأخذ تعليم المنسوب والموسيقا عن السهروردي، وكتب خطاً حسناً

---

(١) في الأصل: (ابن جميع) وهو يريد ابن جامع وقد مرت ترجمته وأخباره.

(٢) نور الدين هو ابو نظام الدين صاحب هذه الترجمة.

(٣) القان: رئيس أو كبير المغول، الخواتين: السيدات العريقات الأصل.

الخواجكية: الكبراء من التجار والوزراء، والكلمات فارسية.

(٤) الحلة: مدينة جنوبي بغداد وهي قديمة وفيها آثار البابليين، وسميت المحافظة باسم محافظة بابل. وينتسب إلى الحلة الشاعر صفي الدين الحلي.

مليحاً، وتفرد بعمل المشجَّرات، حتى شجر في العلوم على اختلاف أنواعها، وأجاد في الموسيقا وبرز فيها، وسمعت من صناعته المطربة، ورأيت من تشجيره الفائق ملء العين والأذن، وسر البصر والسمع، ودنا من السلطان أبي سعيد بهادر قان رحمه الله دنواً زائداً، وكان ممن شملته لديه عناية الوزير ملك الوزراء محمد خواجا رشيد، وتقدم به، كان لايزال يحضر مجلسه ويكون [ص ٣٦٢] من المقربين إليه وأهل الحظوة لديه، واستكتبه عن القان أبو سعيد، وعنه [تصدر] الكتب العربية التي كانت تكتب إلى سلطاننا، وإلى السلطان محمد بن طغلقشاه بالهند، وكانت له جملة كبيرة على ذلك، مع ما له من المقدرات والأقدارات والرواتب، وكان لا يتلقى المراسم إلا عن الوزير، ولم يكن كاتباً مستقراً للإنشاء، إذ لا عادة للقوم بذلك، ولكنه كان في هذا المعنى، ولقد كانت تجيء بخطه الكتب المليحة البليغة بالخط المليح، والألفاظ الفصيحة السهلة التناول، القريبة المأخذ، على خاطري منها في كتاب كبير عن أبي سعيد إلى سلطاننا في معنى الحاج العراقي، وأنَّ تَوَجُّهَهَ من العراق إلى الحجاز، أقرب عليه من تَوَجُّهَهَ على الشام إلى الحجاز.

قال فيه: «والقلوب بالإحسان تملك، وأقرب الطرق إلى الله أولى بأن تسلك»، وهاتان كلمتان تقوم في المعنى المقصود مقام كتاب مطول، مع خفة موقعهما، وتمكينهما في موضعهما، ولقد كان يقع في كتبه في هذه النسبة كل حسن، وكان يجري على الطلق[(١)] ممتد الرسن، وقد جهز مرات أميراً على المركب العراقي، تارة مستقلاً، وتارة شريكاً، وكانت تجيء أخباره بتوجهه، ولما آل المُلكُ إلى موسى قان الملك القائم من ولد بيدو، ضاعف علي باشا بن حنجل ـ القائم بدولته ـ إكرامه، وَوَفَّرَ احترامه، وكان هو والأمير الوزير نجم الدين محمود

(١) الطلق: الشوط، وهو جري الفرس لا تحتبس إلى الغاية، فيقال: عدا الفرس طلقا أو طلقين كما يقال: شوطا أو شوطين. (المصباح المنير: طلق).

بن شرويز[١]، وقاضي القضاة حسام الدين الغوري من خاصة أهل الاصطفاء، فلما دارت على موسى قان وعلي باشا الدائرة، وَطُلَّتْ دماؤهما في ثورة تلك الثائرة، تَسَحَّبَ الوزير محمود، والقاضي الغوري، وابن الحكيم منهزمين إلى أبواب سلطاننا، فتلقاهم بنعمة، وتولاهم برحمةٍ، ورُتِّب لابن الحكيم بدمشق راتب، وعينت له الربوة وأقام بها، واستطاب وطنها، وطلب الحديث واجتهد فيه، ودأب عليه وكتب الأجزاء والطباق والأثبات[٢] بخطه، ثم سافر إلى العراق لاستغلال مُلْكِهِ، فلم يحصل له، لاستيلاء الخراب والأيدي العادية عليه إلا ما قل، فعاد كالخائب، ثم توجه إلى مصر [ص ٣٦٣] لحديث يستفيده ورزق يستزيده، وأقام بها مدة ثم عاد إلى العراق: [المتقارب]

ألا ليت شعري متى نلتقي ... ومن مدة الهجر كم قد بقي
لقد طال عهد النوى بيننا ... كأن التواصل لم يخلق

ومن شعره ومن أصواته: [الطويل]

لكم مِنّي الود الذي ليس يبرح ... ولي فيكم الشوق الشديد المبرح
وكم لي من كتب ورسل إليكم ... ولكنها عن لوعتي ليس تفصح
وفي القلب ما لا أستطيع أبثه ... ولست به للكتب والرسل أفصح
زعمتم بأني قد سلوت هواكم ... لقد كذب الواشي الذي يتنصح

١٥٧- ومنهم-كمال الدِّين مُحَمَّد بن البُرْهَان الصُّوفي

موصلي الأصل، بغدادي الدار، من أهل الأقدار، ذكره النظام بالإعظام، وأشار إليه في علم الموسيقا وقال: إن له يداً طولى في معرفته، وأبلغ منه مبلغاً

(١) في الأصل الكلمة فيها تحريف تحتمل (شرفين) و(شرويز).

(٢) الأثبات: جمع ثبت، الصحيفة تجمع فيها الأدلة، والثبت أيضا الفهرس.

يقصر عن وصفه، وذكر أنه يصحب أقضى القضاة ابن السباك، وله به اعتلاق أكيد، واعتلاء ما عليه لمثله مزيد.

١٥٨- ومنهم- حُسَيْن بن عَليّ المُطْرِيّ العَزَاوِيّ

متقن لفضيلة، ومتيقن لخير فضيلة، ومجيد في صناعة يد وخاطر، وسرور سمع وناظر، قرأ كتب الحكمة ودرسها، وصور المشجرات بيده كأنه غرسها، وعرف من الموسيقا ما أخذه بدليل، واطَّلَعَ منه على علم جليل، وضرب بآلاته كلها لتكميل الأودات[1]، لا للتكسب والمعيشة، وترجية زمان يؤمل أنْ يعيشه، وزيَّنَ هذا كله بنزاهة نفس تعتاف حتى الجليل، ويعف حتى عن الخليل، إلى صفاء باطن ما تكدَّر، وصدق وداد ما استحال مثل البكاء وتغير، صحبني بمصر وقدم على دمشق، وصوّر صور هذا الكتاب، وجاء فيه بعجائب التصور والاكتساب، وهو ـ أعانه الله ـ ممن قُدِّرَ عليه رزقه، إلا أن عفافه يقنعه، وحكمته عن المطالب تمنعه، ورياضته تشغله بحسن ما [ص ٣٦٤] يقرره، وإحسان يده فيما يصنعه، وله أصوات جليلة، منها في قولي: [البسيط]

سعى بكأسيه كي أصلى بناريه ... بالخد والكأس يا سكري بخمريه
ظبي أغنُّ أخذتُ المسك من فمه ... والعنبر الرطب من خَطَّيْ عذاريه
يا سيف مقلته الوسنى غررت بنا ... لما استبحت فؤادي في غراريه
لم يرض قلبي ولا عيني لمسكنه ... واشوقتى منه لم يلمم بداريه

والغناء فيه زنكلا، ومنها قولي: [الخفيف]

حدثاني عن الهوى العذريٍّ ... واطنبا في عذاره العنبريٍّ
واستعيرا لمقلتيَّ هجوعاً ... واسألا للشجي صبر الخلي

---

(١) الأودات: جمع أود أي لانغام.

وهبـــــا لي من السلو قليـــــلاً أو دعـــــاني مع كل صب غـــــوي
قـد أخـذتم صـبـري فـهـلا أخـذتم لي فـــؤادي من طرفـــه البــــابلي

والغناء فيه عراق.

ومنها في قولي أيضاً في عراق: [الرجز]

غـن لهـــــا برامـــــةٍ ولعـلـع واذكـرلهـا مـا بالحـمى والأجـرع
وانزل بسكان الكثـيب سـحـرةً واقـبس لهـيب نارهم من أضلعي
واحـمـل إلى أهل الحـمى تحـيـةً من عـاشق في حـبـهم لا يدعي
ولا تسل سـقـيا الحمى صوب الحيا يكفـيـه مـا أسـقـيـتـه من أدمـعي

ومنها في قول لي وهو في عراق أيضاً: [مجزوء الوافر]

هـواكـم مـــــاله ســـــبب ســـوى قلبي كـــمـــا طلبـــوا
ألا يـا عـــــاذلي فـــــيـــــهم دع العـــشـــاق ينتـــحـــبـــوا
أتعـــجب من ضنى جـــســـدي وحــــــالي كـلـه عـــــجــب
وقـــــالوا إنني مـــــضـنى وحق اللـه مـــــا كـــــذبوا

ومنها في قولٍ أيضاً [الطويل]

تجلت فـلاح البـدر تحت نقـابهـا ومـا ست فـفـاح الطيب طيّ ثيـابهـا

[ص ٣٦٥]

قـضـيب ومـا غـصن النقـا مثل قـدها ولا لينه في الروض مـثل شـبـابهـا
طلا الظبي لا يشـرق لحـاظ عـيـونهـا كفى عـينك الكحـلاء صبغ خضـابهـا
أأهلك فـيـهـا هـكذا بصـبـابتي وأخـشـى أسود الغـيل حـول قـبـابهـا
نأيت إذاً عن حب سـمـراء في الهـوى إذا لم أخض بيض السـيـوف ببـابهـا

يَلَذُّ إليَّ القَتْلُ صَبْراً بأرضِهَا ... إذا دَفَنوني بَعْدَ ذا في تُرَابِهَا

والغناء فيه محير.

ومنها في قولي: [مجزوء الخفيف]

يا حبيبي وعيني ... خل هجري وبيني
أنت أوفى البرايا ... لا تماطل بديني
ما أتى منك عندي ... فوق رأسي وعيني
فاسقني خمر ريق ... من جَنى الجنتين

ومنها في قولي: [مجزوء الخفيف]

في الحشا منك نار ... وأسى وادكار(١)
طار قلبي اشتياقاً ... ما لقلبي قرار
أنْتَ غصن رطيب ... أين منك الثمار
عيروني بحبي ... ليس في الحب عار

والغناء فيهما محير.

ومنها في قولي: [الكامل]

لاموا عليك وما قلوبهم معي ... كلا ولا عبراتهم في مدمعي
يا من تلفت كالغزال بلحظه ... حسبي التفاتك يا غزال ومطمعي(٢)
هب أن شخصك لا يزال بناظري ... من ذا الذي أغرى بذكرك مسمعي(٣)

---

(١) في الأصل: (في الجشك منك).
(٢) في الأصل: (يا من تفلت) وهو من سهو الناسخ.
(٣) في الأصل: (هب أن سخطك) ولا يستقيم المعنى.

يا هَاجِري كُنْ كَيفَ شِئْتَ فَإِنَّني وحَيَاةِ عَينِك لَسْتُ أمْلُكُ أدْمُعِي

والغناء فيه في الرمل

ومنها في قولي: ص ٣٦٦](١)

أحبَابَنا مَا هَكَذا كُنْتُم لَنَا مَا بَيْنَنَا لا تشمتوا حَاسِداً بِنَا
ومَا في وَفَاكُم مِنْ ضنى أو حضوركم لقد لَذَّ لي في حُبِّكم مَلْبَسُ الفنا
وأنْتُم بَقِيْتُم لا عَدِمْنَا وصالكم أو فى البَرَّيةِ على هَجْركم عِنْدنَا
وقُلْتُمْ بأنَّا في غنى عن وصَالِكُم عَلى كُلِ حَالٍ مَالَنَا عَنْكُم غِنَى

والغناء فيه سيكا.

ومنها في قولي: [الرجز]

متيم فيك على نار الجوى تشب نيران حشاه بالهوى
بالله خفف عنه بعض ما به لو أنه من جبل كان هوى
وخله إذا غوى في حاله فهل رأيت عاشقاً وما غوى
إيه وردد طيب ذكراك له وغن للعشاق إلا في النوى

والغناء فيه عشاق (٢).

وحدثني ما معناه: أنَّهُ كان قد صنع قانوناً اقتناه، وكان ربما غَنَّى عليه وأخوه

(١) كذا جاءت هذه القطعة في الأصل وهي مضطربة وغير موزونة وبعض أشطر أبياتها في الطويل، والبيت الأول رجز، فأثبتها كما جاءت دون تغيير.

(٢) عشاق: اسم آخر لهيئة اللحن المسمى في الموسيقى العربية مقام (بوسلك) الذي يستقر في المنطقة الوسطى على نغمة (دوكاه) وهي نغمة مطلق الوتر الثالث في العود.

الأديب أبو علي حاضر يسمعه، ويجني له من عوده ثمر السرور أجمعه، ثم فقد أخوه ذلك القانون، وطوى منه طرب المسامع والعيون، فأفكر فيه أيَّةً ذهب، وما الذي اختطف أوقاته به وانتهب، ثم وقع على الخبر في ذهابه وفجيعة أترابه بإطرابه، فإذا كان قد رأى صبياً فتنه بحسنه، واستماله بميل غصنه، جعل ذلك القانون صداقه وخلا معه، وعقد عليه عناقه، وبات معه مستبدلاً من نظر الخلوة بجهر الخلوة، فساء ذلك أخاه، وثوّره ونحاه، وقال ما أحوجك إلى بلد يصونك، وإخراج العزيز الغالي من مكنونك، وهبك رأيت ظبياً سانحاً أعجزك، وأنت أنت عن صيده وقد سنح، وإمساكه وقد جنح، وهل خلقنا لغير هذا، أو عرفت سهامنا إلى غيره نفاذا، ونحن نصل من الصيد إلى مالا يصل إليه الطير ولا النشاب، ولا غيرهما من مثل هذه الأسباب، ثم حصره في أرجائه، وقسره في هجائه، فقال: [الكامل]

لِيْ في دِمَشْقَ أخٌ قليلٌ عَقْلُهُ لا بَلْ سليبُ الذِّهْنِ كالمجنونِ

[ص ٣٦٧]

أفْعَالُهُ أبداً خِرَافٌ كُلُّهَا لكن ينيكُ العِلْقَ بالقانُونِ (١)

١٥٩- ومنهم- عَزِيْز جَارِيَة الحَكَم بن هِشَام(٢)

---

(١) قوله (العلق) بمعنى النفيس، ولعله أراد (العلج) وهو أحد كفار العجم.

(٢) الحكم بن هشام: بن عبدالرحمن الداخل أبو العاص من ملوك بني أمية بالأندلس، أول من جعل للملك فيها أبهة واتخذ الحرس، كان يباشر أمور الدولة بنفسه شديداً جباراً حارب الفرنج وأوقع بهم، كان كثير العناية بالأدب والعلم، له شعر يتفكه بنظمه، توفي بقرطبة سنة ٢٠٦ هـ. (البيان المغرب ٢ / ٧٠، المغرب في حلى المغرب ص ٣٨ ـ ٤٤ ابن خلدون ٤ / ١٢٥ الكامل لابن الأثير حوادث ٢٠٦ هـ).

(٣) هو شطر بيت لجميل بثينة في ديوانه ص ٤٩ وتمامه:

رَمَى اللَّهُ في عيني بثينة بالقذى وفي الغُرِّ من أنيابِها بالقَوَادِحِ

جارية لو أماطت نقابها للبدر لتلثم، ولو عاطت رضا بها البريء لتأثم، لو ألمت بحبها عزة الميلاء لما مالت، أو دعت لبنى للبث ّما قالت، أو أسفرت لابن الرقيات لما رابه من ليلى أذى، أو جليت على بقية العشاق لعذر جميل إذ قال: (رمى الله في عيني بثينة بالقذى)[1]، مع سرعة بوادرر، وطرف نوادر، وحسن غناء يجر الافئدة بأشطان[2]، وينفذ إلى القلوب بسلطان، وينفث السحر، فلا غرو إذا قيل إن الغناء مزمار الشيطان.

ومن أصواتها: [3] [الطويل]

وإني لأستحيي القنوع ومذهبي ... فسيح وآبى الشح إلا على عرضي
وما كان مثلي يعتريك رجاؤه ... ولكن أساءت سيمة من فتى محض
وإني وأشواقي إليك بهمتي ... لكالمستقي من زبدة الماء بالمخض

والشعر لمسلم بن الوليد، والغناء فيه من أول الثقيل، وكذلك صوتها:[3] [الخفيف]

يا شبابي وأين مني شبابي ... آذنتني أيامه بانقضاب
ومعزٍ عن الشباب مواس ... بمشيب اللدات والأصحاب
قلت لما انتحى يعدد أساه ... من مصاب شبابه فمصاب
ليس تأسو كلوم غيري كلومي ... ما به ما به وما بي ما بي

والشعر لابن الرومي، والغناء فيه في الهزج.

(١) الأشطان: الحبال، وقيل: الحبال الطويلة.

(٢) الشعر لمسلم بن الوليد في ديوانه ص ٢٨٦ تحقيق سامي الدهان ط دار العارف مصر ١٩٧٠، مع خلاف في الرواية.

(٣) الشعر لابن الرومي في ديوانه ١ / ٢٣٢ مع خلاف في الرواية.

وكذلك صوتها:[1] [المجتث]

تأمل العيب عيب ... وليس في الحق ريب
فكل خير وشر ... دون العواقب غيب
وإنما كل شيء ... شبيبة ثم شيب
لا تحقرن سبيباً ... كم جر نفعاً سبيب

والشعر لابن الرومي، والغناء فيه....

وحُكي أن الحكم [ص ٣٦٨] كان يهوى جارية من جواريه اسمها حَيْنُ، فخرج مرة إلى الصحراء متنزهاً، والربيع قد وشى الجلابيب، ووشح مجر أذيال الكثيب، فنزل والأصُلُ قد اعتلت كأنها تشكو فراق حبيب، والشمس قد جعلت نصب عينها المغيب، وكان قد خلف حَيْنَاً[2] وراءه فبات لا تطعم النوم جفونه، ولا تلمس الرقاد عيونه، فاستدعى ملهياته ليشغلنه ليلته بطربهن، وكانت عزيز شاعرة مغنية لبيبة أديبة فطينة، كثيرة الرواية، ففطنت لحال مولاها وما وجده لفراق حنين، ووجهه من القلق لوشيك البين، فصنعت لحناً في شعر بعض الأزد، وهو أبو عدي عامر بن سعيد أحد بني النمر بن عثمان:[3] [الطويل]

ألا من لنفسٍ [لا] تؤدى حقوقها ... إليها ولا ينفك غُلا وثيقها
عصت كل ناه مرشد عن غواته ... فإن لها في الغي نحباً يسوقها
إذا استدبرت من غيها عطف الهوى ... عليها أموراً عصبةً ما تطيقها
وقد دهديت بالحي دار مشتة ... وصرف النوى اشتاتها وصفوقها

(١) الشعر لابن الرومي في ديوانه /١٢٧ ـ ١٢٨ وفي الرواية خلاف.
(٢) حين: هي جاريته التي يهواها.
(٣) الشعر لعامر بن سعيد.

ألا طرقتنا أم سلم وأرقت ... فيا حبذا إلمامها وطروقها

فيا ليتني حمت لنفسي منيتي ... ولم تتعلقني لحين علوقها

وَرَدَّدَتْهُ حتى أجادته، فلما استدعى الحكم جواريه، دخلت عزيز من باب المضرب وهي تَغَنِّي هذا الصوت، فاهتز الحكم حتى خرج عن فرشه وقال: لله أنت يا عزيز، ما أبصرك بمواقع البلوى، وأعرفك بمواضع الشكوى، لمن الشعر؟ فقالت :إنه لرجل من بني النمر بن عثمان، فقال: والله أنت أحق منه، إذ أتيت به كأنه صيغ لما نحن فيه، ثم أمرها بإعادته، وبعث لوقته من أحضر حيناً، وأقام في منتزهه أياماً كأنما كانت أحلاماً، وأمر لعزيز بعشرة آلاف، وأمرت لها حَيْن بمثلها، ثم كانت تصفيها الودَّ مدة حياة الحكم.

وحُكِي أنه استدعى بها في غرة يوم طلعت شمساً في صباحها وكأساً لاصطباحه، وكان [ص ٣٦٩] الحكم لا ينال اللذات إلا سراً، ولا يلم بالشراب حتى يلقي عليها ستراً، ولا يجالس إلا من داخل ستارة، ولا ينافس في القمر إلا من دائرة دائرة، خوفاً من فضيحة الاشتهار، وفراراً من علن الإظهار، وظل يقترح يومه عليها وعلى سائر جواريه الأصوات، ويحث المدام بها في الخلوات، إلى أن صدع الليل زجاج النهار، وبان في جفن عين الشمس الانكسار، وشرعت تنكر الجواد، وتقبل شيعة الليل من الشرف بشعار السواد. قال الحكم: هل فيكن من ينظم في هذا الشعر؟ فبدرت عزيز فقالت: [الخفيف]

قد تقضي النهار إلا بقايا ... من شعاع مخلّف للأصيل(١)

وأتانا الظلام من جهة الشر ... ق فأهلاً منه بخير نزيل

---

(١) في الأصل:« محلّف ».[المراجع].

دام هذا وذا بطول بقاء الـ ... حكم السيد الفتى المأمول

فوقع شعرها منه موقع الاستحسان، ووصلها بما غمرها به من الإحسان، ثم أمرها فصاغت فيه لحناً، وغنت فيه ليلتها كلها وهو يوالي عليه الكؤوس ويحثها حتى أحرقت فحمة الليل جمرة الشموس، فلما أصبح يريد البكور إلى الرواق للجلوس على سريره ويكمله بتصريف الأوامر تمام شكوره، أمر لعزيز بعشرة آلاف درهم، وكارة(١) جليلة من القماش، وزاد في قدر جاريتها، ثم نقلها إلى خواص حظاياه وامهات اولاده، وبقيت على هذا حتى ماتت وهي ضجيعته وعلى وساده.

١٦٠-ومنهم- عَزِيْز جَارَية الحَكَم بنِ هِشَام (٢)

جارية تفتن البصر، وتعقل اللسان بالحَصَر، وتفوت رام رامه، وتُتْهِمُ بشبهها خادر تهامة، وتُصْمِي الأحشاء من حدقها بقِسِيٍّ ماله وتر(٣)، وتشب جمر القلوب من جفنها بما فتر، وتغني والحَمَامُ قد أخذت بأهزاجها، والبروق قد علنت بماء السحاب مزاجها، فتهز القدود أكثر من هز الأغصان، وتكلفُ اللَّحِزَ الشحيح بذل ما صان، ولهذا كان هواها حكماً على الحَكَم، ومستنطقاً لعبراته وقد أبكم، فكان لا يصبر على نأيها، ولا يصبر [ص ٣٧٠] عن ماءتها، يظن أنفاسها أنفاسه التي هي مدد الحياة وسبب وجوده في الدنيا وبقياه، ولها صناعة في أصوات منها:(٤) [المنسرح]

---

(١) الكارة: ما يحمل على الظهر من الثياب.

(٢) مرّ هذا العنوان بنصه في الترجمة السابقة ولكن الكلام بعده مختلف فهل للحكم بن هشام جاريتان باسم واحد؟

(٣) كأنها« بقوس ماله..» أو :«بقسي مالها..» .[المراجع].

(٤) الشعر للعباس بن الأحنف في ديوانه ص ٢٦٠ وفي الرواية خلاف

كَـانَ رَحِـيْلي من أرضِكُم عَـجَـبَـاً   وحَـادِثَاً مِنْ حَـوَادِث الـزَّمَنِ
مِنْ قَـبْلِ أنْ أعْـرِضَ الفِـرَاقُ على   قلبي وأن أسْـتَـعِـدَّ للحَـزَنِ

والشعر للعباس بن الأحنف، والغناء من الثقيل الأول.

وحُكي أنَّ الحكم كان يهوى جارية له لا يرى القمر إلا طالعاً في لبتها(١) ولا الرأي إلا محبتها، ثم تنكر لها فتجنت عليه وتثنت، إلا أنها ما ألوت إليه، فعز لديه هجرانها، وأعرض عنها وفي أحشائه نيرانها، ثم لم يجد إلا أن أغلظ في عتباها، وظنه سبباً لمتابها، فزادت عليه تأتياً كدّر عيشه ونكد عليه نكدا ضعضع جيشه، وكان لا يتسلى ولا يهنأ بعيش ولا يتملّى، ولم يجسر أحدٌ على خطابه، وكف جامح عتابه، حتى أمر جواريه أن تغنيه، فغنين حتى فرغن وما أغنين، فلما انتهت النوبة إلى عزيز اندفعت تغني هذا:(٢) [الطويل]

بزينب ألمم قـبـل أن يرحل الركب   وقل إن تملينا فـمـا مَلَّك القلب
وقل إن أنل بالحب منهـا مـودةً   فما فوق ما لاقيت من حبكم حب
وقل في تجنيـهـا لك الذنب إنما   عتابك أن عاتبت فيما له عتب
فمن شـاء رام الهجر أو قال ظالماً   لذي وده ذنب وليس له ذنب

والشعر لنصيب، والغناء فيه ثاني الرمل، فقام لوقته وصالحها، ووهب عزيزاً وأوصلها، وقال: هلا منكن واحدة فعلت فعلها، وهذا الصوت من قصيدة طايلة(٣) وهي:

خليلي من كـعب ألما هُديتـمـا   بزينب لا يفقـدكـمـا أبداً كـعب
ومل يوم زوراها فـإن مطينـا   غداة غد عنها وعن أرْضِهَا نكب

---

(١) اللبة: النحر.

(٢) الشعر لنصيب في الأغاني ٦ / ١٣١ وشعر نصيب بن رباح ص ٦٠ وفيه عشرة أبيات منها فقط.

(٣) كذا بالأصل: (طايلة) بمعنى طويلة.

فقولا لها لم يبق حباً ولم يدم ... على الحال إلا أن يكون له عتب

[ص ٣٧١]

وقولا لها ما في البعاد لذي الهوى ... رواح وما فيها لصدع الهوى شعب
وقولا لها يا أم بكر أحلّةٌ ... مساعِفةٌ في وصلنا أنت أم حرب
وقولا لها إن أجز بالنصب منكم ... سلاماً ففيما قد كلفت بكم نصب
فقد كنت أعصي فيك أهل قرابتي ... وأشغب بالأقصى الذي قوله شغب
وأغضي كثيراً عن نواحي مقالة ... أمضّ لها جلدي كما يؤلم الضرب
وقد أنكرتني الأرض بعد اغتباطها ... بمعرفتي والأرض طيبة خصب
وقد قال ناس حسبه من طلابها ... فقلت كذبتم ليس لي دونها حسب
ومن قبل ما قالوا صبا فرددتهم ... بقولي ألم يلقوا امرأ فيكم يصبو
وعلقتها غراً حديثاً ولم ترد ... شباباً على أيام كان له إتب (١)
إلى اليوم حتى عاد في رأسي الخلى ... سريعاً وأقراني مفارقهم شهب (٢)

١٦١-ومنهم- بَهْجَة جَارِيَة الحَكَم (٣)

جارية تخجل الشمس فتتبرقع بالشفق، وتفضح النسيم فلا غرو بسعيه إذا خفق، كانت إذا اندفعت للغناء فتقت ما على المسامع من الغشاء، وطفقت تزيد حياء، جارية تنقص، وصفقت الجداول والأغصان ترقص، وانقطعت سلامة القس في ديرها، وقلَّتْ فضل بالنسبة إليها فكيف حال غيرها، وكانت تذكر البقية المروانية سالف الأيام، وطائف خيال زمانهم، وفي طاعتهم الأنام فيذكر

(١) الإتب: الثوب القصير إلى نصف الساق، والقميص يشق فتلبسه المرأة من غير جيب ولا كُمَّيْنِ (م.و: إتب).
(٢) الخلى: الحشيش، والرطب من النبات، أراد به الشيب.
(٣) الحكم: هو الحكم بن هشام، مرت ترجمته.

باقيهم أباه الأملاك، ويقول كما قال جده عبدالملك نحن كذلك، فسعى مدامعه البشام، وأسف لطيب أيام، لو تكون له بالشام وهي الأيام لاتذر، ولا تصفح عمن أضر واعتذر، سلبتهم جلباب ذاك الأوان، وفعلت بهم فعلها بصاحب الإيوان، إلا أنهم عمرو الأندلس بالملاذ، وغنوا بها عن دمشق وبغداذ، وداموا بها، إلا أن كل نعيم إلى نفاد.

ولها أصوات فمن مشهورها قولها:(١) [مجزوء الرمل]

يا شَبِيْـهَـةَ البـدرِ في الحُسْـ ـنِ وفـي بُعْـدِ المنَـالِ

[ص ٣٧٢]

جُـدْ فَـقَـدْ تَنْفَـجِـر الصَّـخْـ ـرَةُ بـالمـاءِ الـزُّلالِ

والشعر لابن الرومي، والغناء فيه في الهزج.

وحُكي أن الحَكَمَ جلس في مجلس له يمتد فيه طلق النظر في فسيح الفضاء، وقد خلا بلذاته، وأقبل على أنسه، وجمع جواريه واقترح عليهن الأصوات، وجعل بينهن الخيار، فلم تبق واحدة منهن حتى بلغت جهدها فيما أتت به، فلما تصرم المجلس أو كاد، وبرز جنح العصر في مجسد من جساد ورق ليصدع زجاجته، وبرق نهر النهار لأنفته من محاجَّته، أقبل عليهن وقال لهن: أيَّتُكُنَّ تضع لحناً في شعر من أشعار عشاق العرب يُحْسُنُ لديَّ موقعُهُ، ويزلف له في قلبي موضعه، حَكَمْتُ لها على صاحباتها، وأجبْتُها إلى ما تمنَّتْ، فلم يبق منهُنَّ إلا من صَنَعَ لحناً، وأبدع فيه حُسْنَاً، وهو لا يقبل عليه ولا يلتفت إليه، حتى اندفعت بهجة تغني هذا:(٢) [الطويل]

(١) البيتان لابن الرومي في ديوانه ٣ / ٧٣.

(٢) الشعر لعروة بن حزام في ديوانه ص ٢٢ ـ ٢٣ ط دار الجيل بيروت ١٩٩٥.

وإني لتعروني لذكراك هزة لها بين جلدي والعظام دبيب
وما هو إلا أن أراها فجاءةً فأبهت حتى ما أكاد أجيب
وأصرف عن رأي الذي كنت أرتئي وأنسى الذي أعددت حين يغيب
ويظهر قلبي عذرها ويعينها علي فمالي في الفؤاد نصيب
وقد عدمت نفسي مكان شفائها قريباً وهل ما لا ينال قريب
لئن كان برد الماء أبيض صافياً إلي حبيباً إنها لحبيب

والشعر لعروة بن حزام العذري، والغناء فيه ثاني الرمل، فطرب الحكم ومال وقال: والله كأني لهذا كنت أحاول، وله أتطلب، ثم حكم لها على كل من تغنت، وأنجز لها ما تمنت.

من أصواتها هذا:(١) [الطويل]

وإني لمحزون عشية جئتها وكنت إذا ما جئتها لا أعرّج
فلما التقينا لجلجت في حديثها ومن آية الهجر الحديث الملجلج

[ص ٣٧٣] والشعر لأبي دهبل الجمجي، والغناء فيه في ثاني الرمل مزموم.

وحُكِيَ أن الحكم جلس في مجلس،و حُكِيَ أنها حضرت يوماً لديه

وكان قد وجد لفراق جارية له كانت استأذنته في الخروج للتنزه في بعض القصور، وشعرت لما في نفسه، فغنت:(٢) [الطويل]

أحبابنا قد أنجز البين وعده وشيكاً ولم ينجز لنا منكم وعد

(١) الشعر لأبي دهبل الجمحي في مجموع شعره ص ٧٨ .

(٢) الشعر للبحتري في ديوانه ١ / ١٦٥ ط دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧ .

أأطلال دار العامرية باللوى — سقت ربعك الأنواء ـ ما فعلت هند
بنفسي من عذبت نفسي محبة — وإن لم يكن [منه] وصال ولا وِدُّ
حبيب من الأحباب شطت به النوى — وأي حبيب ما أتى دونه البعد

والشعر للبحتري، والغناء فيه في الثقيل الأول، فقال لها: لكأنك كنت في صدري، ثم أمر لها بمئتي دينار وقطعاً من الجوهر.

وكذلك من أصواتها:(١) [البسيط]

بانوا فكانت حياتي في اجتماعهم — وفي تفرّقهم قلبي وإقصادي
وفي الخدور غمامات برزن لنا — حتى تصيّد منا كل مصطاد
وهن ينبذن من قول يصبن به — مواقع الماء من ذي الغلة الصادي
يقتلننا بحديث ليس يعلمه — من يتقين ولا مكنونه باد

والشعر للقطامي، والغناء فيه مزموم (٢).

ومن محاسن القصيد التي منها هذا الصوت:(٣) [البسيط]

حلّوا بأخضر قد مالت شرارته — من ذي غناء على الأعراض أنضاد
مالي أرى الناس مزوراً فحولهم — غنى إذا سمعوا صوتي وإنشادي
فطالما ذب عني سُيَّرٌ جُرُدٌ — يصبحن فوق لسان الرائح الغادي

---

(١) الشعر للقطامي في ديوانه ص ٨٠ ـ ٨١.
إقصادي: قتلي

(٢) مزموم: من مصطلحات الأغاني كان العرب المتوسطون يستعملونه لنغم الجنس الذي يستقر على نغمة سبابة الوتر في العود، مسبوقة بنغمة مجنب الوسطى.

(٣) الشعر للقطامي في ديوانه ص ٨٢ ـ ٨٣ وفي روايته خلاف.

فلا يطيقون حملي إن هجوتهم — وإن مدحتهم لم يبلغوا آدي (١)

من مبلغ زفر القيسي مدحته — من القطامي قولا غير أفنادي

إني وإن كان قومي ليس بينهم — وبين قومك إلا ضربة الهادي (٢)

[ص ٣٧٤]

مثنٍ عليك بما استبقيت معرفتي — وقد تعرض مني مشقل بادي

فلن أثيبك بالنعماء مشتمةً — ولن أبدل إحساناً بإفساد

وما نسيت مقام الورد تحبسه — بيني وبين خفيف الغابة الغادي

لولا كتائب من عمرو تصول بها — أرديت يا خير من يندو له النادي (٣)

إذا الفوارس من قيسٍ [بشِكَّتهم] — حولي شهود وما قومي بشهاد

إذ يعتريك رجال يسألون دمي — ولو أطعتهم أبكيت عوادي

والصيد آل نفيل خير قومهم — عند الشتاء إذا ماضن بالزاد

يا قوم قومي مكاني منصب لهم — ولا يظنون إلا أنني راد (٤)

ولا كردك مالي بعدما كربت — تبدي الشناءة أعدائي وحسادي

لا يبعد الله قوماً من عشيرتنا — لم يخذلونا على الجلى ولا العادي (٥)

محميةً وحفاظاً إنهم شيم — كانت لقومي عاداتٍ من العاد

لم تر قوماً هم شر لإخوتهم — منا عشية يجري بالدم الوادي

---

(١) الأد والأدة: العجب، والأمر الفظيع العظيم والداهية، وفي القرآن الكريم: (لقد جئتم شيئاً إدّا) (مريم ٨٩) (اللسان: أدد).

(٢) الهادي: العنق لأنها تتقدم على البدن.

(٣) يندو له النادي: أي يا خير من يجاور ويجتمع إليه، والنادي: متحدث القوم.

(٤) راد: هالك.

(٥) الجلّى: الأمر العظيم. العادي: الذي يعدو عليهم.

مــســتلبــثين ومــا كــانت أناتهم ... إلا كــمــا لبث الضــاحي عن الغــادي
حــــتى إذا ذكـت النيــــران بينهـم ... للحـــرب يوقـــدن لا يوقـــدن للزاد
نقــريهم لهــذمــيــات يُقَــدّ بهــا ... مــا كــان خــاط عليــهم كلُّ زراد (١)
أبلغ ربيــعــة أعــلاها وأســفلهــا ... إنا وقــيــســاً تواعــدنا لميــعــاد
فكان قـــومي ولم تغـــدر لهم ذمم ... كـصـاحـب الدين مـسـتـوف ومـزداد

١٦٢-ومنهم- مُهْجَة جارِيَة الحَكَم

جارية تجلو القمر إذا غاب، ويحل ظبيها الكانس في غاب، تدني الرغاب، وتلهي بأشجان طربها السِّغاب(٢)، هوى المتمني ورضى المختلي، لا يعدوها الاقتراح، ولا يعدلها حبيب وقت راح، إلى ذكاء وفطنة لا تقتدحها خواطر النساء، ولا يقترحها الفحول على الخنساء، لو مَرَّ بها ذو الرمَّة لما كان سواها عليه ينفق، ولا وصف غيرها هانئ ينفق.

ولها أصواتٌ منقولة مشهورة:(٣) [ص ٣٧٥] [الطويل]

سـأعـرض عــمـا أعـرض الدهر دونه ... وأشـــربهـــا صـــرفـــاً وإن لام لُوَّمُ
فــــإني رأيت الكأس يا سلم خلة ... وفت لي ورأسي بالمشـيب مـعـمم
وصلت فلم تبـــخل علي بوصلهـــا ... وقـــد بخلت بالوصل تكنى وتكتم
ومن صـارم اللذات إن خـان بعضهـا ... ليـــرغم دهراً ســـاءه فـــهـــو أرغم

والشعر لابن الرومي، والغناء فيه.

وكذلك صوتها وهو مما اقترح الحكم أن تغني فيه:(٤) [الوافر]

(١) اللهذميات: السيوف.
(٢) السغاب: الجائعون.
(٣) البيت الأول فقط لابن الرومي في ديوانه ٣/ ٢١١.
(٤) الشعر لجرير في ديوانه ص ١٧٥ ـ ١٧٦.

ألا زارت وأهل منى هجود ... وليت خيالها بمنى يعود
حَصان لا المريب لها خدين ... ولا تفشي الحديث ولا تَرود
ونُحْسَد أن نزوركم ونرضى ... بدون البذل لو رضي الحسودُ
فلا بخل فيوئس منك بخل ... ولا جود فينفع منك جود
شكونا ما علمت فما أويتم ... وباعدنا فما نفع الصدود
هوى بتهامة وهوى بنجدٍ ... فلبّتني التهائم والنجود

والشعر لجرير، والغناء فيه.

وحُكِيَ أن بعض جواريه سألته في الخروج إلى بعض متنزهات قرطبة [١] النائية، فأذن لها على كرهٍ منه لفراقها، ثم قال: والله لا تذهبين حتى أراك عندي الليلة كلها، ثم أحضر جواريه الغناء، وقضى معها ليلة متلألئة السناء، فلما صدح الصباح وفتح النهار باباً كان في الليل مرتجاً، أزمعت الجارية على الخروج، وقد قدمت المراكيب، وجاء الصبح بموعده القريب، أخذ الحكم كالأفكل[٢] وعلاه النحيب، ثم أنشد متمثلاً، قول ذي الرمة:

أفي الدَّار تَبْكي أن تحمَّل أهلُهَا ... وأنْتَ امرؤٌ قَدْ حَكَّمَتْكَ العشَائِرُ

وجعل يردد هذا البيت، وقال لجواريه: أيَّتكُنَّ سبقت إلى عمل لحن في هذا البيت وما يُضَمُّ إليه، فلها حكمها، فابتدرت مُهْجَةُ وغَنَّتْ، ثم سَوَّغَها الحَكَمُ ما تمنَّتْ، والصوت: [٣] [الطويل]

---

(١) قرطبة: مدينة عظيمة بالأندلس وسط بلادها وبها كانت ملوك بني أمية، وبينها وبين البحر خمسة أيام، وليس لها بالمغرب شبيه في سعة الرقعة وكثرة الأهل.

(ياقوت: قرطبة).

(٢) الأفكل: الرعدة، يقال: أخذه أفكل، ارتعد من برد أو خوف.

(٣) الشعر لذي الرمة في ديوانه ص ٣٢٨ ـ ٣٣٥ مع خلاف في الرواية.

أفي الدار تبكي أن تحمل أهلها ... وأنت امرؤ قد حكمتك العشائر
فلا ضير أن تستعبر العين إنني ... على ذاك إلا جولة الدمع صابر
وإن لامني يامي من دون صحبتي ... لك الدهر من أحدوثة النفس ذاكر
وأن لا ينال الركب تهويم وقعة ... من الليل إلا اعتادني منك زائر

والصوت من قصيدة من غُرَرِ ذي الرُّمة. ومنها:

لقد نام عن ليلي لقيط وشاقني ... من البرق علوي السناء مياسر
أرقت له والثلج بيني وبينه ... وحومان حزوى فالحمول البواكر (١)
أجدّت بأغباش فأضحت كأنها ... مواقر نخل أو طلوح نواضر (٢)
وتحت العوالي والقنا مستظلة ... ظباء أعارتها العيون الجآذر (٣)
هي الأدم حاشا كل قرن ومعصم ... وساقٍ وما ليثت عليه المآزر
وغبراء يحمي دونها ما وراءها ... ولايختطيها الدهر إلا مخاطر
قطعت بخلقاء الدفوف كأنها ... من الحقب ملساء العجيزة ضامر (٤)
إذا القوم راحوا راح فيها تقاذف ... إذا شربت ماء المطي الهواجر
وماء تجافى الغيث عنه فما به ... سواء الحمام الحضّن الخضر حاضر
وردت وأرْدَافُ النجوم كأنها ... وراء السماكين المها واليعافر (٥)
على نضوة تهدي بركب تطوّحوا ... على قُلُص أبصارهن غوائر

وحُكِيَ أن الحكم اقترح عليها أن تصنع صوتاً في شعر أبي تمام.

---

(١) الحومان: ما غلظ من الأرض، حزوى: موضع بنجد في ديار تميم، وقيل: حزوى من رمال الدهناء.

(٢) الأغباش: بقايا من سواد الليل. الطلوح: شجر، نواضر: خضرة حسنة.

(٣) العوالي: يعني أعالي الهودج، القنا: عيدان الهودج، المستظلة: نساء شبههنّ بالظباء.

(٤) خلقاء الدفوف: ملساء الجوانب، يعني الناقة، الحقب: حمر الوحش.

(٥) السماكان: نجمان نيران أحدهما في الشمال وهو السماك الرامح، والآخر في الجنوب وهو السماك الأعزل. المها: بقر الوحش. اليعافر: الظباء في ألوانها بياض إلى الحمرة.

وهذا هو:[1] [الطويل]

أنا ابن الذين استرضع المجد فيهم ... وسمي فيهم وهو كهلٌ ويافع
مضوا وكأن المكرمات لديهم ... لكثرة ما وصّوا بهن شرائع
فأي يدٍ في المجد مدت فلم تكن ... لها راحة في مجدهم وأصابع
هم استودعوا المعروف محفوظ مالنا ... فضاع وما ضاعت لدينا الصنائع

[ص ٣٧٧] فصنعت في ثقيل الرمل فلم تقع في نفسه بموقع فقالت: سأصوغ له لحناً غير هذا، فقال: هيهات قد تكدّر عليَّ صفوه، ولكن انظري شيئاً تصنعين فيه سواه، فصنعت في قول أبي تمام: [2] [الطويل]

جرى حاتم في حلبةٍ منه لوجرى ... بها القطر قال الناس أيهما القطر
فتى ذخر الدنيا أناس ولم يزل ... لها باذلاً فانظر لمن بقي الذخر
فمن شاء فليفخر بما كان من ندى ... فليس لحي غيرنا ذلك الفخر
جمعنا العلى بالجود بعد افتراقها ... إلينا كما الأيام يجمعها الشهر

فلما تَغَنَّت به اهتز الحكم حتى كاد يخرج عن السرير، وقال لها: أحسنت والله وأجملت وزدت على ما في أمنية نفسي، وأمر لها بمئة دينار لكل بيت، فقامت بأربع مئة دينار.

وجمع الحكم يوماً جواريه وأمرهن أن يغنين في شعر الفرزدق:[3] [الوافر]

وقالوا إن عرضت فأغن عنا ... دموعاً غير راقية السجام[4]
وكيف إذا رأيت ديار قومٍ ... وجيران لنا كانوا كرام

---

(١) الشعر لأبي تمام في ديوانه ٢/ ٤٥١ ـ ٤٥٢.

(٢) الشعر لأبي تمام في ديوانه ٢/ ٤٤٦ ـ ٤٤٧.

(٣) الشعر للفرزدق في ديوانه ٢/ ٣٥٩ ـ ٣٦٠.

(٤) في الأصل: (راقية السحاب) وهو من وهم الناسخ لأن القافية م.

أكفكف عبرة العينين مني ... وما بعد المدامع من لمام

فعملن فيه أصواتاً أخذن ألحانها، وأقمن أوزانها، وكانت مهجة أوقعهن على ما في نفسه، فقال لها: اقترحي حكمك، فقالت: أن لا يغنين إلا من أصواتي، فأمرهن بذلك، وأمرها بأن تلقي عليهن حتى حفظن ذلك عنها ثم غنينه ذلك اليوم بأصواتها، فأجزل صلتها ووصل سائرهن.

وهذا الصوت من قصيدة هجا الفرزدق فيها جريراً، ومدح هشام بن عبدالملك، فمنها في هجاء جرير:[1] [الوافر]

وبيضٍ كالدمى قد بت أسري ... بهن إلى الخلاء عن النيام

مشين إلي لم يطمثن قبلي ... وهن أصح من بيض النعام

وبتن لدي فيه مصرعات ... وبت أفض أغلاق الختام

[ص ٣٧٨]

كأن مغالق الرّمان فيه ... وجمر غضى قعدن عليه حام

ومنها في مدح هشام:[2]

يقول بنيّ هل لك من رحيل ... لقوم منك غير ذوي سوام[3]

فينهض نهضة لبنيك فيها ... غنى لهم من الملك الشآمي

أقول لناقتي لما ترامت ... بنا بيد مسربلة القتام

أغيثي من وراءك من ربيع ... أمامك مرسلٍ بيدي هشام

(١) لم ترد هذه الأبيات الأربعة الأولى في ديوان الفرزدق طبعة دار الكتاب العربي بيروت.

- قلت: زِدْ أن الأبيات ليست في الهجاء أصلاً.[المراجع].

(٢) ديوان الفرزدق ٢ / ٣٦٠ ـ ٣٦٥.

(٣) في الأصل العجز مضطرب: (غير ذوي الهواجز واعتمامي).

يدي خـيـر الذين بقـوا ومـاتوا ... إمـام وابن أمـلاك عظام
إلام تلفـتين وأنت تحـتي ... وخـيـر الناس كلهم أمـامي
متى تردي الرصافة تستريحي ... من التـهـجـيـر والدبر الدوامي
ويلقى الرحل عنك وتستغيثي ... بغـيث الله والملك الهـمـام
وحـبل الله حـبلك من يذله ... فـمـا لعـرى يديه من انفصام
يداك يد ربيع الناس فـيـهـا ... وفي الأخـرى الشهور من الحرام
وإن الناس لولا أنت كـانـوا ... حـصى خـرز تبـدّد من نظام
وليس الناس مـجـتـمـعين إلا ... لخندف في المشـورة والخصـام
وبشـرت السـمـاء الأرض لما ... تحـدثنا بإقـبـال الإمـام
إلى أهل العـراق وإنما هم ... بقـايا مـثل أشـلاء الرمـام
أتانا زائراً كـانـت علينا ... زيارته من النعم الجـسـام
فـجـاء بسنّة العـمـرين فيهـا ... شـفـاء للصـدور من السـقـام
رآك الله أولى النـاس طـراً ... بأعـواد الخـلافـة والسـلام
رأيت الظلم لما قـام جـذت ... عـراه بشـفـرتي ذكـر حـسـام
إذا مـا سـار في أرضٍ تراها ... مظللة عليـه من الغـمـام

وفي هذه القصيدة أبياتٌ طائلة(١) في وصف الناقة والسير، وهي: (٢)

تزف إذا العـرى قلقت عليـهـا ... زفـيف الهـادجـات من النعـام(٣)

[ص٣٧٩]

كـأن أراقـمـا علقت يداها ... مـعلقـةً إلى عـمـد الرخـام

---

(١) طائلة: أي لها مزية وغناء.

(٢) ديوان الفرزدق ٢ / ٣٦٢ ـ ٣٦٣.

(٣) في الأصل: (إذا العلى) وهو تحريف.

كـأن العنكبـوت تبـيت تبني ... على الأشـداق من زبد اللغـام
رجـوف الليل قـد بقـيت وكلت ... من الآداب فـائرة النعـام
فـمـا بلغت بنا إلا جـريضـاً ... بـنـقـي في العظام وفي السنام
كـأن النجم والجـوزاء يسـري ... عـلـى آثـار صـادية أوام
كـأن العـيس حين أنخن هجـراً ... مـفـقـأة نواظرها سـوامي

ومن أصواتها في شعر ابن الدمنية هذا:(١) [الطويل]

لقـد كـان في الهـجـران لي أجر لقـد ... مضى الأجر لي في الهجران منذ زمان(٢)
فـوالله لا أدري أكل ذوي الهـوى ... على مـا بنا أم نحن مـبـتليـان

١٦٣-ومنهم- فَاتِن جَارِيَةُ الحَكَم(٢)

جارية قرطبة بمحاسنها قرطبة (٣)، وأفرطت في التمايل بأصواتها المطربة، لو أسفرت لاتهمت في طلاها كل أم خشف، ولو سقت المحرور بسوى رضابها لم يشف، حجبت بستور الخلائف الأموية حيث دالت دولتها، وعادت صولتها، وسلت من وراء البحر الأخضر سيوفها فراع بريقه في بغداد أهل السواد، وخاف

(١) لم أجد البيتين في ديوان ابن الدمينة.

(٢) البيت مضطرب وكأنه:

لئن كان في الهجران أجر لقد مضى ... لي الأجر في الهجران منذ زمانِ

يقول إنه يعاني من هجر المحبوبة (دلالاً) منذ زمان بعيد.[المراجع].

(٢) هو الحكم بن عبد الرحمن الناصر بن محمد بن عبد الله، خليفة أموي أندلسي ولد بقرطبة وولي الخلافة بعد أبيه ولقب بالمنتصر، غزا الإسبان بنفسه وخضعوا له، كان عالماً بالأدب والتاريخ محبا للعلماء له شعر، وفد عليه أبو علي القالي توفي بقرطبة سنة ٣٦٦ هـ.

(ابن الأثير ٨/ ٢٢٤ ابن خلدون ٤/ ١٤٤ نفح الطيب ١/ ١٨٠ أزهار الرياض ٢/ ٢٨٦ ـ ٢٩٤).

(٣) قرطبة: الأولى مدينة بالاندلس وقرطبة الثانية: الغضب والشدة ومنه قرطب فلانا: صرعه على قفاه، وقرطب الجزور: قطع عظامها ولحمها.

ـ قلت: كأن العبارة:« جارية قرطبت بمحاسنها قرطبة».[المراجع].

كل راكب على عود رقاه الأعواد، وكانت تشف كما تشف الشمس وراء الغمام، وتبدو بدُّو البدر التمام.

ومن أصواتها المشهورة: (١) [الطويل]

إذا حان منا بعد ميّ تعرّض ... لنا حنّ قلب بالصبابة مولع
وما يرجع الدهر الزمان الذي مضى ... وما للفتى في دمنة الدار مجزع (٢)
عشية مالي حيلة غير أنني ... بلقط الحصى والخط في الدار مولع
أخط وأمحو الخط ثم أعيده ... بكفي والغربان في الدار وقّع

والشعر لذي الرمة والغناء فيه [ص ٣٨٠]

وخرق إذا الآل استحارت نهاؤه ... به لم يكد في جوزه السير ينجع (٣)
قطعت ورقراق السراب كأنه ... منابت في أرجائه تتربع
وقد ألبس الآل الأياديم وارتقى ... على كل نشز من حوافيه مقنع (٤)
بمخطفة الأحشاء أزرى بنيِّها ... جذاب السرى بالقوم والطير هجع (٥)
إذا انجابت الظلماء أضحت رؤوسهم ... عليهن من طول الكرى وهي ظلع (٦)
يقيمونها بالجهد حالاً وتنتحي ... بها نشوة الإدلاج جيناً فتركع
ترى كل مغلوب يمد كأنه ... بحبلين من مشطونةٍ يتنوع (٧)

(١) الشعر لذي الرمة في ديوانه ص ٣٤١ ـ ٤٤٠ مع خلاف في الرواية.

(٢) هذا البيت والذي بعده مكرران في الأصل من سهو الناسخ.

(٣) الخرق: البعيد من الارض. الآل: السراب. استحارت نهاؤه: لم تجد الغدران مغيضاً، والنهى: الغدير.

(٤) الأياديم: البراري الصلاب، الواحدة إيدامة. النشز: ما ارتفع من الارض

(٥) مخطفة الأحشاء: ضامرة البطون، النِّي: شحم السنام

(٦) انجابت الظلماء: انكشفت. ظلع: ترتفع وتنحط من النعاس كالظالع.

(٧) مشطونة: بئر فيها اعوجاج لا يخرج الدلو منها إلابحبلين ـ شطنين.
يتنوع: يَضطرب يجيء ويذهب.

على مُسْلهمّات بجانب سبقها غرائب حاجات ويهماء بلقع[1]
بدأنا بها من أهلها وهي بُدّن فقد جعلت في آخر الليل تضرع[2]
وما قلن إلا ساعة في مُغوّر وما بتن إلا تلك والصبح أدرع[3]
إذا أبطأت أيدي امرئ القيس بالقرى عن الركب جاءت حاسراً لا تقنّع[4]
كأن مناخ الراكب المبتغي القرى إذا لم يجد إلا امرأ القيس بلقع

١٦٤- فَاتِك جَارِيَة الحَكَم بن هِشَام[٥]

عقلية حجب، وعقيدة نجب، بيضاء حمراء، غراء قمراء، فاتر لفظها، فاتك لحاظها، اكتنفتها الستور الأموية، وكفتها أن يعدل معها أحد بالسوية، ورقت تلك السرور[٦]، وراقت لها نطف تلك الغُدُر، وكانت زهرة زهراتها، وثمرة سَرَّائها.

وحُكِي أنها بلغت من الأدب ما أنطق لسانها، وحقق إحسانها، وولعت بصناعة الغناء حتى كانت بأفق الأندلس بدل بدل، ونظير ما ضرب به مثل مثل، وأمل المقترح وزيادة على أمل، أكثر ماله للقدود من نوافح الصباء، وسوافح الأنواء.

---

(١) مسلهمات: ابل ضامرة متغيرة. يهماء: فلاة يتاه فيها، بلقع: خالية.

(٢) بُدَّنٌ: سمينات، تضرع: تخضع من التعب.

(٣) ما قلن: ما بتن(؟!). المغور: المكان الذي تغور فيه أي تنزل وقت الهاجرة للاستراحة والنوم. الصُّبْحُ أدْرَعُ: مختلط بسواد الليل فهو مثل الأدرع، والأدرع: الأسود وفي صدره بياض.

(٤) امرؤ القيس: حي من بني تميم.

(٥) الحكم بن هشام بن عبدالرحمن الداخل الأموي من ملوك الأندلس الأقوياء أول من جند الأجناد وجمع الأسلحة والعدد، كان يباشر الأمور بنفسه لقب بالربضي لإيقاعه بأهل الربض وهي محلة متصلة بقصره علم أنهم يكبدونَ له فأوقع بهم. مولده ومنشؤُه بقرطبة حارب الفرنجة وأخضع حصونهم استقر له الأمر إلى أن توفي، كان عالماً بالأدب خطيباً له شعر، توفي بقرطبة سنة ٢٠٦ هـ. (ابن الأثير حوادث ٢٠٦ هـ البيان المغرب ٢ / ٧٠ ابن خلدون ٤ / ١٢٥).

(٦) في الأصل: « السرور ». والمعنى، مع السجع يقتضي« السُّرُر؛ جمع سرير » .[المراجع].

ومن أصواتها :(١) [الطويل]

أمن رسم كلد مربع ومصيف بعينيك من ماء الشؤون وكيف (٢)
تذكرت فيها الحي حتى تبادرت دموعي وأصحابي علي وقوف

[ص ٣٨١]

يقولون هل يبكي من الشوق حازم وإن بان حِبٌ بالنوى وأليف
فلأياً أزاحَتْ علتي ذات منسم نكيب لها إثر الفراق وجيف (٣)

والشعر للحطيئة وفيه تحريف كلم، والغناء فيه من المزموم.

ومن تمام هذا الشعر:

إليك سعيد الخير جبت مهامهاً يقابلني آل بها وتنوف (٤)
فلولا الذي العاصي أبوه لما ثَوَتْ بحوران مذعان العشي عصوف (٥)
وذاك أصِيْلُ اللب غض شبابه كريم لأيام المنون عروف
إذا هم بالأعداء لم تثن همه حصان عليها لؤلؤ وشنوف (٦)
حصان لها في البيت زي وبهجة ومشي كما تمشي القطاة قطوف (٧)

---

(١) الشعر للحطيئة في ديوانه ص ١٣٠ ط دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٣، وفي الرواية خلاف.

(٢) في الديوان: (أمن رسم دار)، ماء الشؤون: مجاري الدمع، وكَفَ الدمع: نزل.

(٣) فلأياً: أي بعد بطء، منسم نكيب: خف جرحته الحجارة.

الوجيف: السير الشديد.

(٤) جبت: قطعت وخرقت، المهامه: الأراضي المستوية، التنوف: جمع تنوفة وهي الفلاة.

(٥) حوران: مدينة بالشام وهي كورة واسعة من أعمال دمشق ذات قرى كثيرة ومزارع.

عصوف: سريعة مثل ريح عاصف (ياقوت: حوران)

(٦) الشنوف: القرط الأعلى.

(٧) حصان: عفيفة. قطوف: مقاربة الخطى.

ولو شاء وارى الشمس من دون وجهه حجاب ومطوي السراة منيف (١)
ولكن إدلاجاً بشهباء فخمة لها لقح في الأعجمين كشوف (٢)
إذا قادها للموت يوماً تتابعت ألوف على آثارهن ألوف
فصفوا وماذي الحديد عليهم وبيض كأولاد النعام كثيف (٣)
خفيف المعى لا يملأ الهم صدره إذا سمته الزاد الخبيث عيوف (٤)

وحُكي أنَّ الحكم دخل عليها وهي نائمة، وقد كَحَّلَتْ أجفانها بِسُبَاتِها، وصقل صفائح وجناتها، وقد وسَّدَهَا سكرُ الدلال اليمين والشمائل، وجلا منها اطّراحُ اللثام ما تحت الخُمُرِ والغلائل، وقد كلل الجبين لؤلؤ العرق، واجتمع الحسن فيها كما اتفق، فاختلس منها قبلة، أكل بها ما وجد من الحلاوة في صحن خدها، ثم ضمها إليه ضمة دخل بها بين ترائبها وعقدها، وهي لا تتيقظ، كأنها مخمورة، ولا تنفك من يده كأنها مأسورة، ثم لم يزل يقبلها في مضجعها ويقلّبها ولا يرثي لتفجّعها، حتى ذبل ورد مراشفها، وانتهب عناقيد سوالفها، فانتبهت كأنها ظبية مذعورة، وقامت تهتز مثل غصن بان ممطورة، ثم قالت: [ص ٣٨٢] [الخفيف]

مَنْ أبَاح التَّقْبِيْل والَّلْثمَ خَدّي فَجَنَى رِيقَتِي وذَبَّل وردي
ليتَ مَنْ جَاءَ آخر الليلِ نَحْوي كَانَ حِبِّي مِنْ أوّل الليل عِنْدِي

فقال الحكم: لله أنتِ إذْ قُمْتِ ولله أنتِ إذ قُلْتِ، ثم أمرها فَغَنَّتْ فيها، ولم تزل تردد الصوت ويستعيده ويستطيبه ويستجيده حتى كان ذلك لها يوماً معدوداً، وعيداً لا عيب فيه، إلا أنّا لم نره مشهوداً.

---

(١) مطوي السراة: القصر، وسراة كل شيء أعلاه. منيف: عال ومشرف.
(٢) الشهباء: الكتيبة لما فيها من السلاح. كشوف: الناقة التي تضرب في كل سنة.
(٣) الماذي: صفوة الحديد، ودرع ماذية سهلة لينة، كأولاد النعام: أراد كبيض النعام.
(٤) خفيف المعى: أي قليل الأكل ليس نهماً. الزاد الخبيث: أي الحرام.

١٦٥- ومنهم-أفْلَح الرَّبَاني

ممن قدم على الحكم، رجلٌ لا يملُّ منه سمير، ولا يحلُّ مثله في ضمير، قدم على الملك الهمام، وتقدم الصفوف إلى الأمام، وسلطان الحكم يومئذ زاخر العباب، فاخر الجلباب، وطائره ميمون، وزائره ما عليه إن فاته المأمون، قد أزلفت له بقرطبة(١) الجنان، وزخرفت الأفنان، والحكم ينفض عن الحكم وسنه، ويسكت من الرق لسنه، وأياديه بيض، وعواديه تفيض، وأعاديه إذا ذكرت ذكره تحيض، فاشترى إليه مالم يجده عنده ابن أبي سفيان، سائب خاثر (٢) من الأيادي، ولا عند ابن يزيد عمر الوادي(٣).

ومن أصواته :(٤) [الطويل]

دع القلب واستبق الحياء فإنما ... تباعد أو تدني الرباب المقادر(٥)

أمتْ حبها واجعل رجاء وصالها ... وعشرتها كبعض من لا يعاشر

وهبها كشيء لم يكن أو كنازح ... به الدار أو من غيبته المقابر

فإن كنت علقت الرباب فلا تكن ... أحاديث من يبدو ومن هو حاضر(٦)

والشعرلعمر بن أبي ربيعة.

---

(١) قرطبة: مدينة عظيمة بالأندلس وسط بلادها كانت مستقراً لملوك بني أمية، كثيرة الأهل واسعة الرقعة، وهي حصينة بسور من الحجارة، نسب إليها كثير من أهل العلم. (ياقوت: قرطبة).

(٢) سائب خاثر: مُغَنٍّ مرت ترجمته.

(٣) عمر الوادي: مُغَنٍّ مرت ترجمته.

(٤) الشعر لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه ص / ١١٠ وفي الرواية خلاف.

(٥) في الديوان (زع القلب) وهي أحسن، زع القلب: أي كُفَّهُ.

(٦) في الأصل أوّل البيت مضطرب (فكائنٌ أنا علقت) وجاءت (انا) فوق كلمة (كائن) وأخذنا برواية الديوان.

١٦٦-ومنهم- رغد جارية المغيرة بن الحكم(١)

جارية(٢) لم تكن أيام وصلها هي العيش لما سميت رغدا، ولا جعلت لليوم غدا، متعت القلوب بصفاتها، وجمعت بين العيون وإغفائها(؟)، ووصلت إلى البقية الأموية، وقد سلبوا رداء الخلافة، وقربوا من [ص ٣٨٣] ردى الهلك، فأحيت الذماء، وأحرزتِ الدماء، فكانت تضيء في مجالس القوم إضاءة الشّمع المتقد، وتجلس من تعنت المنتقد، إلا أنها كانت حاكمة على المغيرة، لو كلفته بذل نفسه لما بخل، أو ألجأته إلى ما دخل فيه الوليد لدخل، حتى كادت تكون المبيرة، وتنهب غاراتها لبَّ المغيرة، ويحكى عنها كمال أدب كانت أتقنته، وإتقان طرب حسنته، وتمام جمال أوتيت منه أوفر الحظوظ، وأوفى ما يرى من الحسن الملحوظ، وفضل أدوات وإجادة في شعر وأصوات.

شعرها الذي لحنته [الخفيف]

أين أيامنا بجلق أينا ... كان ذاك الزمان للدهر عينا
شتتونا وأسهروا كل عين ... لا تهنّا العادي ولا قر عينا

ومن أصواتها المشهورة(٣) [الطويل]

إذا قُمْنَ أو حاولن مشياً تأطراً ... إلى حاجة مالت بهن الروادف
فلما هممنا بالتفرق أعجلت ... بقايا اللبانات الدموع الذوارف
فأتبعتهن الطرف متّبل(٤) الهوى ... كأني يعانيني من الجن طائف
وكل الذي قد قلت يوم لقيتكم ... على حذر الأعداء للقلب شاعفُ

(١) لم أجد له ترجمة.

(٢) كأن الكلام: «جارية لو لم تكن... لما سميت..». [المراجع].

(٣) الشعر لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه ص ٤٦٥.

(٤) في الأصل: «متثل». [المراجع].

والشعر لعمر بن أبي ربيعة، والغناء فيه في الثقيل الأول.

[ومن أصواتها]:[١] [الطويل]

لَقَدْ هاجَ هذا القلبُ عيناً مريضةً ... أجَالْتَ قَذى ظَلَّتْ بِه العينُ تَمْرحُ[٢]

صحا القلب عن سلمى وقد برحت به ... وما كان يلقى من تماضر أبرح

إذا سايرت أسماء قوماً ظعائناً ... فأسماء من تلك الظعائن أملح

تقول سليمى ليس للبين راحة ... بلى إن بعض البين أشفى وأروح

والشعر لجرير، والغناء فيه في الرمل المزموم، وهذه قصيدة هي من قلائده أولها:

أجدّ رواح الحي أم لا تروّح ... نعم كل من يعنى بجُمْلٍ مبرّح[٣]

[ص ٣٨٤]

إذا ابتسمت أبدت غروباً كأنها ... عوارض مزنٍ تستهل وتلمح[٤]

ومنها في وصف السير في وقت قيظ:

أعائفنا ماذا تعيف وقد مضت ... بوارح قدام المطي وسُنّح[٥]

نقيس بقيات النطاف على الحصى ... وهن على طي الحيازيم جُنّح[٦]

---

(١) الشعر لجرير في ديوانه ص ١١٨ ـ ١١٩ وفيه بعض الخلاف في الرواية.

(٢) تمرح: هنا تديم بكاءها.

(٣) المبرح: الحزين.

(٤) في الأصل: (عوارض زمن) وهي تحريف (مزن). الغروب: ريق الأسنان العوارض: السحب مفردها عارض، المزن: السحب الماطرة، تلمح: تبرق.

(٥) العائف: من يزجر الطير لمعرفة الغد. البارح: المتجه شمالاً وهو للشؤم، والسانح: المتجه من الطير يميناً وهو لليُمْن.

(٦) النطاف جمع نطفة وهو الماء، وقياس الماء على الحصاة: اقتسامه بالحصاة عند قلته وطول الطريق. الحيازيم: جمع حيزوم وهو الصدر، جنح: مائلات.

ويومٍ من الجوزاء مستوقد الحصى ... تكاد صياصي العين منه تصيّح[1]
شديد اللظى حامي الوديقة ريحه ... أشد لظى من شمسه حين تصمح[2]
نصبت له وجهي وعنساً كأنها ... من الجهد والإسآد قرم ملوح[3]

ومن أصواتها: [4] [البسيط]

إنا مُحَيُّوك فاسلم أيها الطلل ... وإن بليت وإن طالت بك الطول
إني اهتديت لتسليم على دمن ... بالغمر غيّرهن الأعصر الأول[5]
فهن كالحلل الموشي ظاهرها ... او كالكتاب الذي قد مسه بلل
كانت منازل منا قد نحل بها ... حتى تغير دهر خائن خبل
أمست عليّة يرتاح الفؤاد لها ... وللرواسم فيها بيننا عمل[6]
والعيش لا عيش إلا ما تقر به ... عين ولا حال إلا سوف تنتقل

والشعر للقطامي عمرو بن شييم بن عمرو التغلبي، والغناء فيه، وهو هذه الأبيات من كلمة له طويلة طائلة[7]، أغار مسلم بن الوليد على سَرْحِها[8]، وجهد نفسه حتى اطَّلَعَ على صرحها، ومنها:

---

(١) الصياصي: القرون الواحدة: صيصاة. العين: بقر الوحش الواحدة عيناء، تصيح: تتشقق.

(٢) الوديقة: الشمس المحرقة. تصمح: تحرق.

(٣) العنس: الناقة القوية. الإسآد: سير الليل والنهار. القرم: الفحل. الملوح: المجهد.

(٤) الشعر للقطامي في ديوانه ص ٢٣ ـ ٢٤

(٥) الغمر: الماء الكثير الغرق، والغمر بئر قديمة بمكة، وغمر أراكة: موضع آخر، وغمر بني جذيمة بالشام، وهناك مواضع كثيرة في الجزيرة باسم الغمر (ياقوت: الغمر).

(٦) علية: مصغر علوة، علم لامرأة. الرواسم: الإبل.

(٧) طائلة: فيها غنى وسعة ونفع.

(٨) في الأصل: «شرحها» ولاوجه له والسّرح: الأنعام في المرعى. ضربها مثلاً للمعاني الشعرية التي يُغار عليها فَتُسْرق. [المراجع].

والناس من يلق خيراً [قائلون] له ... ما يشتهي ولأم المخطئ الهبل[1]

قد يدرك المتأني بعض حاجته ... وقد يكون مع المستعجل الزلل

ومنها في وصف الأينق:

حتى ترى الحرة الوجناء لاغبة ... والأرحبي الذي في خطوه خبل[2]

خوصاً تُديرُ عيوناً مَاؤُها سَرِبٌ ... على الخدودِ إذا مَا اغْرَوْرَقَ المقلُ[3]

[ص ٣٨٥]

يرمي الفجاج بها الركبان معترضاً ... أعناق بُزَّلها مرخى لها الجدل[4]

لواغب الطرف مثقوباً جوانبها ... كأنها قلب عادية مكل[5]

يمشين رهواً فلا الأعجاز خاذلة ... ولا الصدور على الأعجاز تتكل[6]

يتبعن سامية العينين تحسبها ... مجنونة أم ترى ما لا ترى الإبلُ

ومن أصواتها المشهورة:[7] [الطويل]

تغن بريّا يابن سعد فإنما ... تلام على الصمت النساء الحرائر

---

(١) في الأصل: (خيرا ماله ما يشتهي). الهبل: الثكل.

(٢) الحرة الوجناء: الناقة العظيمة الوجنتين. لاغية: متعبة ... الأرحبي: الفحل المنسوب إلى أرحب، حَيٌّ من همدان.

(٣) الخوصاء: الضيقة العين، وقيل: الأخوص من إحدى عينيه أصغر من الأخرى.

(٤) الجدل: جمع جديل وهو الزمام.

(٥) لواغب الطرف: معينه كأنها قلب. مكل: قليلة الماء.

(٦) يمشين رهواً: سيراً سهلاً.

(٧) البيتان للصمة القشيري، وفي الأغاني ٦ /٨ بيتان يقاربانهما في المعنى وهما:

تَعَزَّ بصَبْرٍ لاوَجَدِّكَ لا تَرَى ... بَشَام الحِمى أخرى الليالي الغوابرِ

كأنَّ فؤادي مِنْ تَذَكُّره الحِمَى ... وأهلُ الحِمى يهفُو بهِ ريشُ طائرِ

غناء يظل الجـود منه كـأنما على رأسها من سورة السمع طائر

والشعر للصِمَّة بن عبدالله القشيري، والغناء فيه: [المنسرح]

لا النـوم أدري بـه ولا الأرق يدري بهـذين من به رمق
إن دموعي من طول ما استبقت كلت فما تستطيع تستبق
ولي مليك لم تبـد صـورته مـذ كـان إلا صلّتْ له الحدق
نويت تقبيل وجنتيه وخـفـ ـت أدنو منهما فأحترق[١]

والشعر للصنوبري،[٢] والغناء فيه ثاني الرمل.

١٦٧-ومنهم- سَلِيمْ مَوْلَى المُغِيرَة بن الحَكَم

رجل سعد بمواليه، وصعد حتى رأى النجم يليه، خلطوه بأنسابهم، وخلوه معدوداً في أحسابهم، أخذ الطرب من رسلٍ أتوه من قبل النصارى وأمر بتأخيرهم ووكل بهم إلى حين مسيرهم، وأتقن الفن وحقق الظن، ثم أتى إلى المغيرة بن الحكم بجارية عراقية، كانت قد أنتجت له من تلك الخادر، وأتت تقيم بحسنها عذر العاذر، وكانت تطارحه الغناء حتى برع وجمع الغناء العراقي مع ما جمع، وكانت تجري بينهما في مجلس المغيرة مؤاخذات أرق من نسمات الأسحار، وأعطر من نفحات الأشجار، آهاً عليها كيف لم تنقل وتحبس شواردها وتعقل.

ومن أصواته:[٣] [ص ٣٨٦] [البسيط]

أمن خليـدة وهنـاً شـبت النار ودونها من ظلام الليل أستار

---

(١) في الأصل: «منها» وبه يختل الوزن؛ والصواب: «منهما».[المراجع].

(٢) في الأصل: (الصنيوري).

(٣) الشعر للأحوص الأنصاري في ديوانه ص ١٥٠ تحقيق عادل سليمان ط. الخانجي.

باتت تشب وبتنا الليل نرقبها ... تعنى قلوب بها مرضى وأبصار
فما أبالي إذا أمسيت جارتنا ... مقيمة ما أقام الناس أم ساروا (١)
ياأيها اللائمي فيها لأصرمها ... كثرت لو كان يغني عنك إكثار
فاقصد فلست مطاعاً إن وشيت بها ... لا القلب سال ولا في حبها عار

والشعر للأحوص بن محمد الأنصاري، والغناء فيه ثاني الرمل، وهذه القطعة فيها أبيات مختارة، منها:(٢)

جود مبتلة نضح العبير بها ... كأنها روضة ميثاء محبار
لو دب حولي ذر تحت مدرعها ... أضحى بها من دبيب الذر آثار
كأن خمر مدام طعم ريقتها ... مما ينير خلايا النحل مشتار (٣)

ومنها في المديح:(٤)

لولا يزيد وتأميلي خلافته ... لقلت ذا من زمان الناس إدبار
إني أرى زمناً للمرجفين به ... عزّ وفيه لأهل الدين إصرار
أغر لو قام في ظلماء داجية ... وهناً لحان لداجي الليل إسفار
إن ينسبوا فهو إن عدوا لأربعة ... خلائف كلهم للدين أنصار

وحضر مرة مجلس الحكم وقد قعد مقعد الخلافة، وقد أُتِيَ بكتب جاءت بها التجار من بلاد المشرق، وقد حملت رياضتها إلى نوئه المغدق، فرمى بطرفه ديواناً منه قد ضُمِّنَ شعر المقلين الثلاثة الذي فُضِّلُوا في الجاهلية، ومنهم المسيب بن

(١) في الأصل: (اذا ما أمسيت) وما هنا زائدة وبها ينكسر الوزن.
(٢) لم ترد هذه الأبيات في ديوان الاحوص.
(٣) في الأصل:« ينر» ولعلها « مما يشورُ. .مشتار» أي يجني عسل النحل.[المراجع].
(٤) البيت الأول فقط في ديوان الأحوص ص ١٥٠ يقوله في يزيد بن عبدالملك بن مروان حين ولي الخلافة.

علس بن مالك خال الأعشى، فأخذه الحكم بيده، وفَضَّ مُرْتج أغلاقه، وتأمل ما فيه من نفائس أعلاقه، فرأى منها كلمته: (١) [الكامل]

[ص ٣٨٧]

بان الخليط ورُقّع الخَرقُ ... يوم الفراق فرهنهم غلق (٢)
قطعوا المزاهر واستتب بهم ... يوم الرحيل للعلع طرق
رجلا يتابع خلفها رجل ... نشط العقال قواه منطلق
للعبقرية فوقها صبح ... كدم الذبيح نجيعه دفق
وكأن ظعنهم مقفية ... نَخْلُ ابن يامن موقر سحق
وكأن ظعنهم غداة غدوا ... والآل تسترهم وتنخرق
جبار عيدانٍ أمرّ له ... دون الفرات مزعزع تئق
علت العذوق على كوافرها ... متلفع بالليف منتطق
حمر الكبائس قد ينوق (٣) بها ... وهو الخضاب كأنه علق

فأمره ان يغني فيها بقوله:

رمينا في كل مرتقب ... تحت الخدود وسيرهم نشق
غيد سوالفها وأوجهها ... بيض وفوق صدورها الحُقق
تَبَلَتْ فؤادك إذ عرضت لها ... حسن برأي العين ما تمق
بمهى يرف كأنه برد ... نزل السحابة ماؤه يدق

---

(١) في مجموع شعر المسيّب بن علس ص ١١٧ ــ ١٢١ جمع وتحقيق أنور أبو سويلم طبع جامعة مؤتة الاردن ١٩٩٤ قصيدة بقافية القاف، لم يرد من هذه الأبيات منها إلا البيت الأول والثامن والثاني عشر والخامس عشر مع خلاف في الرواية.

(٢) في مجموع شعره:

بان الخليطُ ورفع الخرقُ ... ففؤاده في الحي مُعْتَلقُ
منعوا طلاقَهم ونائلُهم ... يوم الفراق ورهنهم غَلَقُ

(٣) في الأصل: ينوء بها [المراجع].

والوجــــــه دينـار ومنســــــدل   يغـشى الضـجـيع لنشـره عـبق
بانت وصـــدع بالفـــؤاد لهــــا   صـــدع الزجـــاجـة ليس يتـــفق

فصنع صوتاً في مزموم الرمل، حرك به الحكم وسائر أهل المجلس، وامتَدَّ الرجاء والطمع بعد القنوط المؤيس، وألقى إليه بمطَرفِ خَزٍّ بنفسجي كان عليه، مبطناً بالفنك، وأمر له بمئتي دينار، ومرّ يوم لم ير مثله.

١٦٨- ومنهم- وَضِيْحُ بنُ عَبْدِالأَعْلَى

طلع به في ذلك الأفق كوكبة الغارب، ورجع سحابه الغارب، وبلغ أمره المؤيد هشاماً، وما كانت فترت جمرته، ولا فنيت إمرته، فأمر باستدنائه، واستدعى به لأجل غنائه، فلما حضر مجلسه المهيب وأحس بيانه المتوقد اللهب، انقلب رجاؤها قنوطاً، وانقطع مما كان به منوطاً، إلى أن سكن إنباضه، وأزال [ص ٣٨٨] بالبسطة انقباضه، فأظهر الصناعة التي كانت إليه معزوة، وولت الهموم التي أصبحت به معزوة، فأحيا من القلوب رميما، وطرح عن النفوس عظيما، ثم أخذ العود وضرب به ضرباً كان شفاء للفهم السقيم، ودرياقاً للقلب السليم، فتهلل وجه المؤيد حتى ظهر البشر على جبينه، وأمر له من الذهب بمثل يمينه.

ومن اصواته:(١) [الكامل]

لمن الديار كـــأنهـــا لم تحلل   بين الكناس وبين طلح الأعـــزل (٢)

---

(١) الشعر لجرير في ديوانه ص ٤٨٩ ــ ٤٩٢.

(٢) الكناس: موضع في بلاد غني، الطلح: شجرة طويلة ورقها قليل وشوكها كثير.
الأعزل: موضع لبني كلب.

ولقد أرى بك والجديد إلى بلى ... موت الهوى وشفاء عين المجتلي
ولقد أرى بك والمطي خواضع ... وكأنهن قطا فلاة مجفل
يا أم ناجية السلام عليكم ... قبل الرواح وقبل لوم العذل
لو كنت أعلم أن آخر عهدكم ... يوم الرحيل فعلت مالم أفعل
أو كنت أرهب وشك بين عاجل ... لقنعت أو لسألت مالم يسأل

والشعر لجرير، والغناء فيه، وهذه من طنانات جرير، ومنها في هذا:

أعددت للشعراء سما ناقعاً ... فسقيت آخرهم بكأس الأول
لما وضعت على الفرزدق ميسمي ... وعلى البعيث جدعت أنف الأخطل
أخزى الذي سمك السماء مجاشعاً ... وبنى بناءك بالحضيض الأسفل
فامدح سراة بني فقيم إنهم ... قتلوا أباك وثأرهم لم يقتل
ودع البراجم إن شربك فيهم ... مر عواقبه كطعم الحنظل
بات الفرزدق يستجير لنفسه ... وعجان جعثن كالطريق المعمل
أين الذين عددت أن لا يدركوا ... بمجر جعثن يابن ذات الرّمّل
أسلمت جعثن إذ تجر برجلها ... والمنقري يدوسها بالمنشل
تهوى استها وتقول يا لمجاشع ... ومشق نقبتها كعين الأقبل
لا تذكروا حلل الملوك وأنتم ... بعد الزبير كحائض لم تغسل

[ص ٣٨٩]

ما كان ينكر في يدي مجاشع ... أكل الخزيز ولا ارتضاع الفيشل

حُكِيَ أنه ممن كان محمد بن عبدالرحمن خليفة الأندلس يلحقه برعايته، ويلحظه بعنايته، وكان قد سافر عنه مدة أطال شَقَّتَها، وحمل وقر أعبائه شقتها، ثم آن له العود إلى ذلك النديّ، وقرب بحيث شم سوابق عرفه الندي، ولم تبق

إلا مرحلة يقطعها وسوط مطيةٍ تمتد به أذرعها، فهاجه قرب الدار إليه شوقاً، وطار به إليه سوقاً، فصنع لحناً من شعر الحسين بن مطير:[1] [الطويل]

ولما تنكبنا الكثيب وأطلعت   لنا السدة العلياء قلت لصاحبي
ألا فانشرح صدراً فلم تبق بيننا   وبين المنى إلا كناخة راكب

ورفع ببيتيه عقيرته تغنى في النداء، وصاغه بين غناء الركبان والحداء، وسمعها في النفر من منه حفظها، وأداها كما منه تلفظها، فما أتى وضيح باب محمد بن عبدالرحمن إلا وقد سبق بها الخبر إليه، كأنما ألقتها الريح في أذنه، فحين دخل عليه، قال له: لينشرح صدرك، فلم يك قد كان بقي بينك وبين المنى إلا إناخة راكب، فهات الآن ما صنعت، فاندفع يُغَنِّي فيه، ومحمد بن عبدالرحمن يميل حتى كاد يسقط عن السرير، ثم عجل له بتخت من القماش، وثلاث مئة من الدنانير.

١٦٩- ومنهم- ابنُ سَعِيد كَامِل

أثمرت بالسرور أنامله، وتم تمام البدر كامله، وشغل أوقاته بالطرب، فجاءت طيوره سانحة، وجادت له بالأيام مانحة، ولزم المؤيد هشاماً، وقد وطئ البلاد بهيبته، وسر البلاد بأوبته، وكان في عنفوان ملكه كجده هشام بالشام، وقد بسط ظله على الأنام، وأجار بعدله من الأيام، وكان يحضر مجلسه الخاص حيث يكون رواق الليل سجافه، ورقيب السمع سميه، وبطون الجواري سريره، وكان منه بالأيُحاشى، ولا يجد منه إيحاشا، وكان يدخل على جواريه [ص ٣٩٠]

(١) الشعر للحسين بن مطير في مجموع شعره ص ٧٦.

الحجاب، ويعلمهن ما ظهر من الإعجاب، ويلقي عليهن غناء يطرب سامعه، وتكثر به نقوط كل حاضر تجري مدامعه، ومن أصواته المشهورة:(١) [الوافر]

تكلم أيها الطلل القديم عفت منه أجيرة والحريم
تأبد ما بدا للريح منه وآلاء بتيمن لاتريم
إذا ما قلت أقصر عن صباه فكان كحين يحتضر القسيم
تأوبه خيال من سليمى كما يعتادُ ذا الدين الغريم

والشعر لسلمة بن الخرشب الأنماري، والغناء فيه خفيف الرمل، وكذلك صوته:(٢) [الطويل]

سقى طلل الحي الذي أنتم به بشرقيّ سلع صَيِّفٌ والربيع
مضى زمن والناس يستشفعون[بي] فهل لي إلى لبنى الغداة شفيع
فسوف أسلي النفس عنك كما سلا عن البلد النائي البعيد يروع
يقولون صبّ بالنساء مولّع وهل ذاك من فعل الرجال بديع

والشعر لقيس بن ذريح، والغناء فيه في الطريقة الرابعة من الهزج.

وكذلك صوته: (٣) [الكامل]

ومتيم جرح الفراق فؤاده فالدمع في أجفانه يترقرق
هزته ساعة فرقة فكأنما في كل عضو منه قلب يخفق

والشعر لابن المعتز.

(١) البيت الأخير فقط (تأوبه خيال من سلمى) في المفضليات ص ٣٩ من قصيدة، ولم ترد فيها هذه الأبيات.

(٢) الشعر لقيس بن ذريح في ديوانه ص١٢ : البيت الثاني في ديوان مجنون ليلى ص ١٣١ برواية: (فهل لي إلى ليلى الغداة شفيع).

(٣) الشعر لابن المعتز في ديوانه ١ / ٣٤٠ ـ ٣٤١.

١٧٠- ومنهم- حِصْنُ بنُ عَبْدِ بن زِيَاد

أصله من بَرّ العُدْوة، ودخل الأندلس متمسكاً بالعُرْوة، وكان مطرباً أورد الأنس الوافر، ورد السرور النافر، ورق به قلب الليل على أنه كافر، وشجع قوي القلب وكان أجبن من صافر، ولج بلاد النصارى وتوغل في ولوجها، وسكنها وسكن إلى علوجها، ثم عاد إلى حوز المسلمين، ورجع ما كسب إلا الغناء [ص ٣٩١] بعد طول سنين، فاتصل بالعالي واتصف باقتناء الغالي، فأعلى العالي كعبه، ولمَّ شعبه، وكان لايزال يحضره في خلوته، وتجنبه نزع هفواته.

ومن أصواته: (١) [الطويل]

دعـتنا بكهف دون حنفـاء دعـوةً ... على عـجلٍ دهمـاء والركب رائح (٢)
إذا الناس قـالوا كـيف أنت وقـد بدا ... ضـمـيـر الذي بي قلت للناس صالح
ليـرضى صـديق أو ليـسـخط كـاشح ... ومـا كل من سلفـتـه الود ناصح
وإني لتلحـاني على أن أحـبـهـا ... رجـال تعـزيهم قلوب صـحـائح

والشعر لتميم بن أبي [بن] مقبل، والغناء فيه مزموم الرمل.

وكذلك صوته: (٣) [الكامل]

نام الخلي ومـا أحس رقـادي ... والهم مـحـتـضـر لدي وسـادي
من غـيـر مـا سـقم ولكن شـفني ... هم أراه قـد أصـاب فـؤادي (٤)
ومـن الحـوادث لا أبا لـك أنَّـني ... ضُـربتْ علـي الأرض بالأسـداد

---

(١) الشعر لتميم بن أبي بن مقبل في ديوانه ص ٤٨ ـ ٥٠ من قصيدة مع خلاف في الرواية.

(٢) دهماء: امرأة ابن مقبل.

(٣) الشعر للأسود بن يعفر في المفضليات ص ٢١٦ من قصيدة.

(٤) في الأصل: (من غير ما قسم) وهي تحريف (سقم).

لا أهتـدي فـيـهـا لموضع تلعـةٍ   بـين العـراق وبـين أرض مـراد

والشعر للأسود بن يعفر النهشلي، والغناء فيه ثاني الثقيل.

١٧١-ومنهم- سَاعِدَة بنُ بُرَيم

مطرب تعلق بالسها، وعلق بالمسامع بما ألهى، وكان لنوافر القلوب مؤلفاً، ولم يقدم وراءه مخلفا، حُكِيَ أنه كان من أبناء النصارى، طلع في سواد المسوح قمراً زاهراً، وسكن الديارات فأعاد ذواءها يانعاً زاهراً، وخلا في جانب مكانه فحلّ عزائم البرهان، وشد زناره[١] على غصن بان، ففتن بحسنه القسوس، وجرى في حبه ماهوّن حرب البسوس، فترك النصرانية وأسلم إسلاماً الله يعلم ما وراءه، وماذا صرف إليه فيه آراءه، ثم غوي الغناء وطلبه، وتتبعه ليجلبه، وركب فيه ثبج البحر وقد لانت عريكته، وألقيت أريكته، ثم بلغ من هيجه مبلغاً أفضى فيه إلى التلف، وانتقم منه أضعاف ما سلف، إلا أنه سلم على لوح من ألواح [ص ٣٩٢] المركب، وقد ظن أن روحه فيما ينكب، فخرج إلى مصر ثم أتى إلى الشام والعراق، وورد ما راق، ورد ما طلبته ما تضيق به الأوراق.

ومن مشاهير أصواته: [٢] [الطويل]

إذا خطرت من ذكـر بثنة خطرة   عصتني شئون العين فانهل ماؤها[٣]

فإن لم أزرها عادني الشوق والهوى   وإن زرتها شف الفؤاد لقاؤها[٤]

وإن قلت أسلوها تعرض طيفها   وعاود قلبي من بثينة داؤها

وكيف بنفس أنت هيجت سقمها   ويمنع منها يا بثين شفاؤها

---

(١) الزنار: حزام يشده النصراني على وسطه. والجمع زنانير.

(٢) الشعر لجميل بن معمر في ديوانه ص ١٨ ـ ١٩.

(٣) في الأصل: (إذا حضرت من ذكر بثنة حضرة)

(٤) عجز البيت في الديوان: (وعاود قلبي من بثينة داؤها).

لقـــد كنت أرجـــوأن تجـــود بنائل　　فـأخلف نفـسي في الوعـود رجـاؤها
إذا قلت قـــد جـــادت لنا بنوالهـــا　　أبت ثـم قـــالت خطة لا أشـــاؤها!

والشعر لجميل والغناء فيه، وهذا الصوت من قصيدة من الغُرِّ منها هذا:

أعـاذلتي فـيـهـا لك الويل فـاقـصـري　　من اللوم عني اليـــوم أنت فـداؤها
إذا قـعـدت في البـيت يشـرق بيتـهـا　　وإن بـرزت يزداد حـــسنـاً فنـاؤهـا
قطوف ألوف للحـــجـــال يزينهـــا　　مع الدل منهـا جـســمـهـا وحـيـاؤها
فـــهـــذا ثنائي إن نأت وإذا دنـت　　فكيف علينا ليت شـعـــري ثناؤها

١٧٢-ومنهم- سَعْدُ المُجَدَّع

مولى أم سليمان بن الحكم، ذَكَرٌ غَلَبَ عليه التَّخْنيْثُ، ورجل شارك النساء في التأنيث، وكان جدٌّ خبيث، ومجد سُرَى حثيث، إلا أنه لا يسري إلا إلى حان، ولا يسير إلا بحذاء ألحان، قَبُحَ عند الامتحان، ونقص عند الرجحان، وكان لا يرى إلا عقير عقار، أو عقيب خمار، أو في نادي نسوة، أو جاعلاً نفسه لهن أسوة، يَغُلُّ(١) بالخضاب يده، ويغلف بالسواد حاجبيه، ويلبس فاخر الثياب على خزى يحسده، ويقلب عنقه بالعقود، ليته بالسيوف قلده، وكان مع هذا الدُّبُر الذي فنيت فيه الزُّبرُ، وقدّ به قميصه من دُبُر، زنَّام زمر (٢) [ص ٣٩٣] وإمام غناء مشتبه الأمر، ومنبع طرب يسكر مثل ابنة الأعناب، ومنبت عيدان يا قُبْحَ ما تجني جناة الحسن من عنّاب.

ومن أصواته:(٣) [الخفيف]

---

(١) يغل: أي يخضب ويعطر، اغتلّ فلان بالغالية: تطيب بها.
(٢) زنام: أي زنيم: الدعي الملحق بالقوم واللئيم. الزمر: القليل المروءة.
(٣) الشعر لعبيد الله بن قيس الرقيات في ديوانه ص ٨٧ ـ ٨٩.

أقفرت بعد عبد شمس كداء ... فكُدَيّ فالركن فالبطحاء[(١)]
فمنىً فالجمار من عبد شمس ... مقفرات فبلدح فحراء[(٢)]
قد أراهم وفي المواكب إذْ يغـ ... ـدون حلم ونائل وبهاء
وحسان مثل الدمى عَبْشَمِيّا ... ت عليهن بهجة وحياء
حبذا أنت حين قومي جميع ... لم تفرق أمورها الأهواء
قبل أن تطمع القبائل في ملـ ... ـك قريش ويشمت الأعداء.

والشعر لعبيد الله[(٣)] بن قيس الرقيات، والغناء فيه من خفيف الرمل، وهذه الأبيات من قصيدة غراء منها:

أيها المشتهي فناء قريش ... بيد الله عمرها والفناء
إن تودع من البلاد قريش ... لا يكن بعدهم لحي بقاء
أو تقفى وتترك الناس صاروا ... غنم الذئب غاب عنها الرعاء
هل ترى من مخلدٍ غير أن الله ... يبقى وتذهب الأشياء
يأمل الناس في غد رغب الدهـ ... ـر ألا في غد يكون القضاء
فرضينا فمت بدائك عنا ... لا تميتن غيرك الأدواء
لو بكت هذه السماء على حيـ ... ـي كريم بكت علينا السماء

قلت: وفي هذه القصيدة ذِكْرُ حَمْزَةَ وعليٍّ وجعفر والزبير وابن الزبير رضي الله عنهم، ومن العجب أن يغني شاعر بني أمية في شعر فيه ذكر هؤلاء، وإن لم يأت في الصوت.

---

(١) كداء: جبل بمكة، وهو عرفة، كديّ: جبل قريب منه، الركن: الركن اليماني في البيت الحرام. البطحاء: بطحاء مكة.

(٢) منى: من مواقف الحج بمكة. الجمار جمع جمرة وهي موضع رمي الجمار. بلدح: واد عند الجراحية في طريق التنعيم إلى مكة. حراء: جبل بمكة.

(٣) في الأصل (لعبدالله).

١٧٣ - رَدَاح جَارِيَة عَبْدِالرَّحْمَن [ص ٣٩٤]

المستظهر[١]، وكانت أي هيفاء رداح [٢]، وسمراء تنتضي من جفونها السود بيض الصفاح، ذات جمالٍ يغيرُ البدر إن سفرت، ودلال يغيرُ الغصنُ إن خطرت، وغنج يعيد سحر بابل إن نظرت، هذا إلى نَغَمٍ يُعَلِّمُ الحمائم في الأراك، ويوقع العشاق في الأشراك، ويفعل فعل البابلي، ويغسل حتى قلب الخلي، ويغلُّ النار في الجوانح، ويشعر طرفها الكاسر بأن الظباء تصيد الجوارح. قيل إنَّهُ كان يقال إنها بدعة القيان، وإنها بهذا كانت تُدْعَى، ويُحْكَى عنها لطائف وظرائف، ولها شعر ليس بطائل، ولها أعمال صنيعة، وأصوات بديعة، فمنها هذا:[٣]

[الطويل]

أتعرف رسماً كاطراد المذهب ... لعمرة وحشاً غير موقف راكب

ديار التي كادت ونحن على منى ... تحل بنا لولا نجاء الركائب

تبدت لنا كالشمس تحت غمامة ... بدا حاجب منها وضنت بحاجب

ولم أرها إلا ثلاثاً على منى ... وعهدي بها عذراء ذات ذوائب

والشعر لقيس بن الخطيم، والغناء فيه، ومن هذه القصيدة:

فلما رأيت الحرب حرباً تجددت ... لبست مع الحربين ثوب المحارب

---

(١) المستظهر: هو المستظهر الأموي عبدالرحمن بن هشام بن عبدالجبار بن عبدالرحمن الناصر، أحد من ولي إمارة قرطبة في أيام ضعف الدولة الأموية بالأندلس بويع بالخلافة سنة ٤١٤ هـ وثار عليه محمد بن عبدالرحمن بن عبيد الله مع طائفة من الغوغاء بعد ٤٧٨ يوماً من ولايته، كان عفيفاً رقيق النفس حسن الفهم والعلم أديبا شاعراً قتل سنة ٤١٤ هـ.

(جذوة المقتبس ص ٢٤ البيان المغرب ٣/ ١٣٥ و ١٣٩ المعجب ص ٣٥ الذخيرة ١/ ٣٤).

(٢) في الأصل: (دراح) وهو تحريف (رداح) والرداح: الضخمة الردفين السمينة الأوراك.

(٣) الشعر لقيس بن الخطيم في ديوانه ص ٧٦ ـ ٩٦.

رجال متى يدعوا إلى الموت يرقلوا إليه كإرقال الجمال المصاعب
إذا فزعوا مدوا إلى الليل صارخاً كموج الأتي المزبد المتراكب
صبحناهم الآطام حول مزاحم قوانس أولى بيضها كالكواكب
إذا ما فررنا كان أسوا فرارنا صدود الخدود وازورار المناكب
إذا قصرت أسيافنا كان وصلنا إلى نسب من جذع غسان ثاقب (١)
صبحناهم شهباء يبرق بيضها تبين خلاخيل النساء الهوارب
فأبنا إلى أبياتنا ونسائنا وما من تركنا في بعاث بآيب

وحُكِيَ أن عبدالرحمن [ص ٣٩٥] عزم على التفسُّحِ في بعض الظواهر مدة يقيم بها في مضارب نصبت له على نهر يروق انحداره، وربيع بقَلَ في وجنة الروض عذاره وكان الشتاء قد كلح وساء به مزاج الزمان ثم صلح، فلما عزم على الخروج أتت جواريه لوداعه، ورداح بينهن قد اغرورقت مقلتاها بالمدامع، وقطعت لديها أعناق المطامع، فوقفت وقفة المتعني، ثم اندفعت في صوت صنعته تغني:(٢) [البسيط]

شط المزار بحدوى وانتهى الأمل فلا خيال ولا عهد ولا طلل
إلارجاء فما تدري أندركه أم يستمر فيأتي دونه الأجل

والشعر لعمرو بن أحمر الباهلي (٣)، والغناء فيه من الهزج، ثم اتبعته بصوت آخر صنعته: [الطويل]

إذا ما كَتَمْنا الحب نمّت عيوننا علينا وأبدته العيون السواكب

---

(١) في الديوان: (كان وصلها خطانا إلى أعدائنا فنضارب).
(٢) الشعر لعمرو بن أحمر الباهلي في الدر الفريد ٤ / ١٠ .
(٣) في الأصل: (عمر بن أحمد الباهلي).

وإن نحن أخفينا ضمائر حبنا أشارت بتسليم علينا الحواجب

والشعر فيه مجهول، فبكى عبدالرحمن لبكائها، وطفق يضمها إليه، ثم أقبل على جواريه فقال: هلا كان فيكن واحدة فعلت مثل فعلها، ثم أمر بأن تخرج معه فأبت، فقالت: والله لاخرجت إلا أنا وصويحباتي، قال: فليخرجن، ثم خرجن معه، فلم يكن أحسن من ذلك المربع، ولا من أيام مضين فيه.

وحُكِيَ أن عبدالرحمن نظر إلى جارية عند بعض نساء الحرائر فأحبها، وفطنت الحرة لذلك، فحجبت الجارية عن نظره، وطالت مدة حجابها، وزيادة ما يجده من الجوى بها، ونُمِيَ الخبر في جواريه، واستفاض حال غرامه بها وعدم قراره لأجلها، فصنعت رداح صوتاً وجودته ثم دخلت عليه وهي تغني به، والصوت:(1) [الطويل]

تمسك بحب الأخيلية واطرح عدا الناس فيها والوشاة الأدانيا
فإن يمنعوا ليلى وحسن حديثها فلم يمنعوا مني البكا والقوا فيا
يلومك فيها اللائمون فصاحة فليت الهوى باللائمين مكانيا
لَوَ انّ الهوى في حب ليلى أطاعني أطعت ولكن الهوى قد عصانيا

[ص ٣٩٦]

والشعر لتوبة بن الحُميّر، والغناء فيه كان في مذهب شيخي، لم يتمالك معه عبدالرحمن أن فاضت عينه بالبكاء، وقال: ما الحيلة يا رداح؟ قالت: عزيمة مثلك، قال: هيهات أن تنفع العزيمة، ولكن قد يجيء في أحداث الدهر مالا يتوقعه المنتظر، فنقل المجلس إلى تلك الحرة، فقالت: هو ولي النعمة وأنا أمته

---

(١) الشعر لتوبة بن الحمير في ديوانه ص ٥١ ـ ٥٣ جمع وتحقيق خليل العطبة ط بغداد ١٩٦٨.

والجارية أحداث الدهر، قالت: فأحْمُدُ اللَّه يا أمير المؤمنين، فَخَرَّ ساجداً ثم نهض حتى دخل على الحرة فشكر لها، ثم ضم الجارية إليه وأسنى جاريته رداح، وتماثل حاله، وكان قد يئس من الإصلاح.

١٧٤- ومنهم- خُلَيْد مَوْلَى الأدَارِسَة

ومحيي تلك الأطلال الدارسة، كان يحيى به كُلُّ أرض يحلها، وتهتز أذن كل سامع تطلُّها، أكثر إحياء لها مدَّ الثرى من المطر، أهزَّ للقدود من كل رديني تأطر.

حُكي أنه حضر مجلس المأمون أحد مواليه، وشرع يُغَنِّيه في شعر رُثِيَ به بعض أعاديه، فَحَمِيَتْ حماليقُهُ بنار الغضب، وأخذ منه العود ثم ضرب به خلاف ما ضرب، فأصاب به عينه فأساء فيها الأثر، ونكب بها نكبة، على أن العود الضارب فيها عثر ثم أقبل عليه بالرضى واعتذر، وآنسه أنساً أزال عنه الحذر، ثم أولى إليه الجوائز، ونبَّه له الحسد حتى من أهل الجنائز، فكان لا يرى ذلك العمى في عينه إلا كالحور، ولا يزال نظراؤه تضعف أيديهم عن جسٍّ العود الخور، وحسدته الناظرة سحراً إليه كالحول، ويقول: من للحول بالعور، وكان على عوره بصيراً بالصنعة، مطلا للدمع الذي لا يقال له صرعة.

ومن أصواته:(١) [الوافر]

ألـمْ تـرهـا تـريـك غـــــداة بـانـت   بمـلء الـعين مـن كـــــرم وحـــــسن
فـأعطت كلمـا سـئلت شـبـاباً   فــأنبـتـهــا نبـاتـاً غـيــر حـجن
فــقلت وكــيف صـادتني سليـمى   ولما أرمـــهـــا حـــتى رمـــتني
ألا يـا لـيــــتني حـــــجـــر بـواد   أنــام ولـيـت أمــي لـم تــلـدنــي

(١) الشعر للنمر بن تولب في مجموع شعره (ضمن شعراء إسلاميون) ص ٣٩٠ ـ ٣٩١ ط عالم الكتب بيروت ١٩٨٤.

[ص ٣٩٧]

والشعر للنمر بن تولب، والغناء فيه في سادس الهزج، وكذلك صوته في شعر الكميت بن زيد، ودست عليه الشيعة الأموية من قتله لأجل تغنيه به، وهو هذا:(١) [الطويل]

ألم ترني من حب آل محمد ... أروح وأغدو خائفاً أترقبُ
على أي جرم أم بأية سيرة ... أعنف في تقريظهم وأكذب
أناس بهم عزت قريش فأصبحوا ... وفيهم بناء المكرمات المطيب
وهم رئموها غير ظأر وأشبلوا ... عليها بأطراف القنا وتجلببوا
فإن هي لم تصلح لحي سواهم ... فإن ذوي القربى أحق وأقرب
وإلا فقولوا غيرها تتعرفوا ... نواصيها تردى بنا وهي شزب

والغناء فيه في ثقيل الرمل، وكان يتغنى به أيام استظهار الأدارسة فأصبح قتيلاً ملقى على باب داره.

١٧٥-ومنهم- سُعْدى جَارِيَة المُعْتَمِد بن عَبَّاد(٢)

وكانت جارية يسعد بها ضجيعها، وينعم ولو ورد مدامعه نجيعها، فاتنة

(١) الشعر للكميت بن زيد في مجموع شعره ٣/١٨٨ ـ ١٨٩ جمع وتحقيق داود سلوم ط عالم الكتب بيروت ١٩٩٧.

(٢) المعتمد بن عباد: محمد بن عباد بن محمد بن إسماعيل اللخمي، المعتمد على الله صاحب أشبيلية وقرطبة وما حولهما، كان حازماً شجاعاً ولي أشبيلية بعد وفاة أبيه وامتلك قرطبة وكثيراً من الممالك الأندلسية، قصده العلماء والشعراء وملوك عصره، وكان فصيحاً شاعراً وكاتباً مرسلاً له ديوان شعر، قاتله ابن تاشفين وقتل ولديه وأسره ونفاه وأهله إلى أغمات بلدة صغيرة وراء مراكش وبذلك قد زال ملكه، رثاه الشعراء وبكوا زوال ملكه كانت وفاته سنة ٤٨٨ هـ.
(ابن خلكان ٢/٢٧ ـ ٣٥ نفح الطيب ٢/١١٩ البيان المغرب ٣/٢٤٤ و ٢٥٧).

الطرف كأنها مهاة، أو أمنية مشتهاة، لو تجلت لمحيي البدر سافرة لتبرقع، أو لمرأى الشمس لأمتع، لو طرقت جريراً لما قال ارجعي بسلام [1] أو لاقت جميلاً لما قنع بالكلام[2]، أو كانت في عصمة ابن ذريح لما أطَاعَ فيها أباه[3]، أولاحت لابن الملوح لنسي ليلى حتى إنها لم تمثل بكل سبيل إليه[4]، زادت ملك ابن عباد حسناً، وطلعت في سمائه القمراء وأسنى.

ولها أصوات بها تغني، فمنها :[5] [البسيط]

لولا عيون من الواشين ترمقني   وما أحاذره من قول حراسي
لزرتكم لا أكافيكم بجفوتكم   مشياً على الوجه أو سعياً على الراس

والشعر للمعتمد، والغناء فيه.

وحُكِيَ أن المعتمد عزم على إخراج حظاياه من بلد إلى آخر، فخرجن في أول الليل كأنهن النجوم الطوالع، وخرج [ص ٣٩٨] يشيعهن وقلبه لأمر[6] صبره

(١) يشير هنا إلى قول جرير في قوله : (ديوانه ص ٦٢٣).

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا   وقت الزيارة فارجعي بسلام

(٢) يشير هنا إلى قول جميل : (ديوانه ص ٢٥٨)

وإني لأرضى من بثينة بالذي   لو أبصره الواشي لقرت بلا بلة
بلا وألا أستطيع وبالمنى   وبالأمل المرجو قد خاب آمله.

(٣) في الأصل : (أطاع فيها أبوه).

- الإشارة هنا إلى إلحاح والد قيس بن ذريح ووالدته على تطليق لُبْنى (لأنها تأخرت في الذرية)؛ وإسعافهما بذلك . . .[المراجع].

(٤) ليس الشعر لابن الملوح وليس في ديوانه بل هو لجميل بثينة في ديوانه ص ١٧٨ والبيت المراد هو قوله :

أريد لأنسى ذكرها فكأنما   تمثل لي ليلى بكل سبيل

(٥) الشعر للمعتمد بن عباد في ديوانه ص ٥٨ ووفيات الأعيان ٥ / ٢٦ ط إحسان عباس.

(٦) في الأصل : الكلمة محرفة بهذا الشكل : (لا موامر صبر)

غير طائع، فسايرهن ليله كله، حتى قوض بناء الليل، وأقبل الصباح في كتيبته الشهباء مَبّتُوث[١] الحيل، فرجع وقد صدعت أحشاؤه مغارب تلك النجوم، وأغرت مقلته سحائب تلك الدموع السجوم فقال: [٢] [الكامل]

سايرته والليل غفل ثوبه ... حتى تبدى للنواظر معلما
فوقفت ثمّ مُودّعاً وتسلمت[٣] ... مني يد الأصباح تلك الأنجما

ثم بعث بها إلى سعدى وأمرها أن تغني منها صوتاً، فغنت فيه.

ومن أصوات سعدى المشهور لها:[٤] [السريع]

إن الذي هامت به النفس ... عاودها من سقمها نكس
كانت إذا ما جاءها المبتلى ... أبرأه من كفها اللمس
وا بأبي الوجه الجميل الذي ... قد حسدته الجن والإنس
إن تكن الحمى أضرت به ... فربما تنكسف الشمس

والشعر للعباس بن الأحنف، واقترحه المعتمد عليها.

وقد دخل على جارية له، رآها مدنفة مصفرة لتوالي الحمى، قد امتقع بالصفرة بياض صفحتها، وردّى الغيار محاسن لمحتها، فبرزت كالشمس في الكسوف، والقمر في الخسوف، ولوحه هجير الحمى، ثم فارقها ووجهها كأنه الدينار المشوف[٥]، وكان المعتمد لايزال على جواريه يقترح، ولأزندة خواطرهن يقتدح.

---

(١) في الأصل: «مبثوث» والمراد مبتوت من البَتّ: القطع. [المراجع].
(٢) الشعر للمعتمد بن عباد في ديوانه ص ٣٦.
(٣) في الأصل: «فتوقفت». [المراجع].
(٤) الشعر للعباس بن الأحنف في ديوانه ص ١٦٥.
(٥) المشوف: المزين والمحسن.

١٧٦- ومنهم- مَيْمُون الجَوْهَريّ[أو الجَهْورِيّ] (١)

وهو ممن جهر به النداء، وجأر بتفضيله الأعداء، لاذ ببني جهور حتى نسب إلى ولائهم، وحسب واحداً منهم لما غمر من آلائهم، وكان نديماً لا يمل له محاضرة، ولا تفي الروايات المعدة بأجوبته الحاضرة، وكان الغناء أغلب فنونه عليه، وعيونه التي لا تحصى ما ينظر منها لديه، وداخل بها رؤساء الأندلس وكبراءه، وداني علماءه ووزراءه، وأمر أمره [ص ٣٩٩] فعلا قدره وجالس أمراءه، وكان مما جرى الفأل بتسميته ميمون النقيبة ممنون الرغيبة، ما خالل أحداً إلا سمق، ولا خالط إلا من ظن أنه من السماء وإن رمق.

وله صنعة في أصوات، منها: (٢) [الطويل]

وجفن سلاح قد رزيت فلم أمت ... عليه ولم أبعث إليه البواكيا
وفي جَوْفِهِ مِنْ دارمٍ ذو حَفِيْظَةٍ ... لَوَ انَّ المَنَايَا أنسَأتهُ ليَالِيَا

والشعر للفرزدق، والغناء فيه في ثقيل الرمل.

وكذلك صوته: (٣) [المنسرح]

يا ليلة بت في دياجيها ... أسقى من الراح صفو صافيها
ما تشتهي العين أن ترى حسناً ... إلا رأته في وجه ساقيها

(١) كذا بالأصل (الجوهري) ولعله (الجهوري) نسبة إلى بني جهور. وبنو جهور: أهل بيت وزارة في الأندلس، دخلوا الاندلس قبل عبدالرحمن الداخل بمدة، يقال: أصلهم من الفرس، وقيل: بل هم كلبيون، جهور بن محمد من رجالهم الأماجد ولي الوزارة في أيام الدولة العامرية إلى أن انقرضت ثم استولى على قرطبة وسار فيها سيرة حسنة توفي سنة ٤٣٥ هـ.
(البيان المغرب ٣/ ١٨٥ جمهرة الأنساب ص ٩٣ مطمح الأنفس ص ١٦م).

(٢) الشعر للفرزدق وقد أخل به ديوانه ط مجيد طراد بيروت ١٩٩٤.

(٣) الشعر لأبي نواس في ديوانه ص ١٩١.

وصـــيـــفـــة للغـــلام تصلح للأ مـــرين كـــالغـــصن [في] تثنيـــهـــا
في قـــــرطق زانه تخـــــرسنهـــــا قد عـقـربت صـدغـهـا مـداريـهـا[١]

والشعر لأبي نواس، والغناء فيه في الهزج.

١٧٧- ومنهم- طَرِيْفُ بنُ عَبْدِاللّه السَّمِيْع القَابسيّ

وكان مغني أهل بادية، ومطرب حي أسْمَعَ صوته كل عادية، أول ما ألف ما عهده حيث تنصب الخيام، وينصب عليه الحيام[٢]، ثم دخل مدن إفريقية، وقد وافاها أقوام مصر، كان فيهم من تلبس بالغناء كان ترفع به عقيرته، وتجل به حقيرته، فانحاز إلى فئتهم، ودخل بينهم مثل هيئتهم، فأصغى إليهم بسمعه، ودخل غناءهم دبر أذنيه، فانثني إليهم ناسياً ما كان تعلم، سالباً سواه وإن يتم، وأسف على زمنه الذاهب، وجهل كل طريق إلا تلك المذاهب، فأعمل الرحلة إلى مصر، وماله رفيق إلا ظله، ولا له طريق إلا حيث قذف به جهله، وأتى مصر وبها ذَماءٌ[٣] من أهل هذا الشأن تخلفوا على حفر اللحود، وسلالة مَصَّ منهم الثرى بقية الماء من العود، إلا أنهم فاتوا أهل كل إجادة، فعاد عنهم موفوراً، ورجع وقد جمع عطاء موفوراً [ص ٤٠٠]

ومن أصواته:[٤] [الطويل]

---

(١) القرطق: ثوب فارسي، تخرسنها: تشبهها بالخراسانيات في ملابسها وكانت ملابسهن ضيقة تلتصق بالجسد وتبرز محاسنه، مداريها: مفردها المدرى وهي المشط.

(٢) الحيام: الطَّلب. [المراجع].

(٣) في الأصل: «دماء»، والذماء هو بقية الروح في المذبوح. والمراد هنا مطلق البقية. [المراجع].

(٤) الشعر لمليح بن الحكم الهذلي في ديوان الهذليين.

ونحن بطحنا يوم ألف فلم تعد ... سليم بن منصور بشهباء فيلق
غداة أسرنا في الجبال ملوكهم ... غناة بني الصباح وابن المحلق
صبحناهم والشمس خضراء غضة ... بذات اللظى حد السنان المخرق
غداة اتقونا بالسيوف أجنة ... من الحرب في منتوجة لم تطوق

والشعر لمليح بن الحكم الهذلي، والغناء فيه.

ورُوي له صوت آخر، وهو هذا: [1] [المنسرح]

ماضر جيراننا إذا انتجعوا ... لو أنهم قبل بينهم ربعوا
إن لُبينى قد أضر أقربها ... ولو أرادوا أن ينفعوا نفعوا
هم باعدوا بالذي كلفت به ... أليس بالله بئس ما صنعوا
بانوا فقد فجعوا لبينهم ... ولم يبالوا بحزن من فجعوا

والشعر للأحوص بن محمد، والغناء فيه.

وكذلك صوته: [الطويل]

تلومينني في طارق بعد هجعة ... تجيء به دامي الأظل طليح
تنكل ثوب الليل عنه كأنه ... من الضر من كلتا يديه جريح
فإن كنت قد أنكرت يوماً خلافتيا ... فإن اجتماعاً بعده لقبيح

والشعر لأعرابي مجهول، والغناء فيه في ثقيل الرمل.

---

(١) الشعر للأحوص في ديوانه ص ١٧٨.

١٧٨- ومنهم- زَيْد الغِنَاء بن المُعَلَّى

ابن عبدالعظيم، روح غناء، ودرج اجتناء، وبوح اجتلاء، عرف بالغناء حتى أضيف إليه، وأضيف[١] تعريفاً عليه، ودعي به بين ندمائه، ثم أطلق عليه فكان أشهر أسمائه، وكان إذا غنى أوقف الطير، وعقل المنطلق على السير، فرغ لها باله، وهيج بلباله، حتى أتقنه إتقاناً صار به علمه عنده مستقراً، وعمله عليه مستمراً، وعمل فيه أعمالاً نقلت، وأطلقت يده التي على العود علقت [ص ٤٠١].

وحُكِيَ أنه حج وأتى منى فوقف عند جمرة العقبة، وقد كظَّ المُحصَبَّ، وبان البنان العاطل المخضَّب، وقد شغل الأيدي حصى الجمار، وملأ العيون سنا الأقمار، ثم اندفع يغني فانصرف إليه كل نظر، وبقي دأب كل من حضر، فلما فرغ من صوته عاد إلى رمي الحصاب، وعرف العاطل من ذات الخضاب.

ومن أصواته: [٢] [الطويل]

خصيم الليالي والغواني مظلم ... وعهد [الليالي] والغواني مذمم

رأيت سواد الرأس واللهو تحته ... كليل وحلم بات رائيه ينعم

وصفراء بكر لاقذاها مغيّب ... ولا سر من حلت حشاه مكتم

هي الورس في بيض الكؤوس فإن بدت ... لعينيك في بيض الوجوه فعندم

سقتني بها بيضاء فوها وكأسها ... شبيهها مذاق عند من يتطعم

من الهيف لو شاءت لقامت بكأسها ... وخاتمها في خصرها يتختم

والشعر لابن الرومي، والغناء فيه.

---

(١) في الأصل (واقيض) وهو تحريف من وهم الناسخ.

(٢) الشعر لابن الرومي في ديوانه ٣/ ٢٠٧ ـ ٢١٢ ولم ترد بعض الأبيات في الديوان.

وجملة هذه القصيدة التي منها الصوت جميلة منها في المدح:

بنو مصعب فينا سماء رفيعة ... لها درر ليست يد الدهر تعدم[1]
سماء أظلت كل شيء وأعلمت ... سحائب شتى صوبها المال والدم
ليمدحكم من شاء جهد مديحه ... فللشعر فيه بعده مترد
أناس إذا دهر تبسم مرة ... فعنهم وعن آياته تتبسم
يرى أبداً فيهم جواد معدل ... وليس يرى فيهم بخيل ملوّم
ولم أر مالاً حازه مثل عزمهم ... يروح ويغدو وهو نهب مقسم
تحكم في أموالهم من أطاعهم ... وأسيافهم فيمن عصا تتحكم
نجوم الدجى منها شهاب على العدا ... ومنها سماك للعفاة ومرزم
أعمهم مدحاً وأختص منهم ... أخاهم عبيد الله والحق يلزم

[ص ٤٠٢]

يُعَدُّ إذا عُدَّ الملوك مُبدّأ ... كما عُدّ رأساً للشهور المحرم
فتى ليس من يوم يمر ولا يرى ... لنعماه فيها أو لبؤساه أنعم
تمر العطايا والمنايا لأهلها ... على هَيْنةٍ منه ولا يتندّم
فتى عزمه سيف جسام وسيفه ... قضاء إذا لاقى الضريبة مبرم
يباشر أطراف القنا وهو حاسر ... ويلقى لسان الذم وهو مُلأمُ
هو الغرة البيضاء من آل مصعب ... وهم بعده التحجيل والناس أدهم

---

(١) لم ترد هذه الأبيات الثمانية الأولى والبيت الأخير في الديوان وجاءت الأبيات الستة التي تبدأ بقوله (أعمهم مدحاً) ديوان ابن الرومي ٣/ ٢١١ ـ ٢١٢.

١٧٩- ومنهم- جَارِيَة تَمِيْم (١)

جدّ المُعزِّ بن باديس، جارية طار بلبها الهوى، وطاف بقلبها الجوى، ورمى بها الإغراب مراميه، وأطال بها النوى لياليه، حتى سارت بتشتيت الفراق، وصارت إلى المغرب من العراق، ثم كانت لاتزال تتذكر نادي ذلك الفريق، وتنادي بلسان عرابها(؟) نار ذلك الحريق، وتتلفت إلى العراق، وظل ريفه الظليل، ومبسم مرآه الجميل وظبائه الجآذر، ولها بينهم مقيل فنان حسرة بين عوادها، وتبكي وإنما بدلت قطعة من فؤادها، إلى أن عادت بلطيف الحيلة، إلى أكناف تلك الجميلة، فذهب بحق صبابتها باطلة،والتقى كل ذي دين و مَاطِله.

وحُكي أن أبا الحسين ابن الأشكري المصري قال: كنت رجلاً من جُلاسِ الأمير تميم بن أبي تميم وممن يخف عليه، فأرسل إلى بغداد فابتيعت له جارية فائقة رائقة الغناء، فلما وصلت إليه، دعا جلساءه، قال: وكنت فيهم ثم مُدَّتِ السِّتارةُ وأمرها بالغناء، فغنت: [الكامل]

وبدا له من بعدما اندمل الهوى ... برق تألف موهنا لمعانه
يبدو كحاشية الرداء ودونه ... صعب الذرى متمنع أركانه
فمضى لينظر كيف لاح فلم يطق ... نظراً إليه وصده أشجانه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه ... والماء ما سمحت به أجفانه

---

(١) هو تميم بن المعز بن باديس بن المنصور الصنهاجي، من ملوك الدولة الصنهاجية بأفريقية الشمالية، ولاه أبوه المهدية ثم ولي الملك بعد وفاة أبيه، حارب الإفرنج وانتصر عليهم ولكنهم أخذوا منه جزيرة صقلية، كان شجاعاً ذكياً له عناية بالأدب ينظم الشعر الحسن، وله ديوان شعر حكم ٤٦ سنة، توفي بالمهدية سنة ٥٠١ هـ.

(النجوم الزاهرة ٥/١٩٨ ابن الوردي ٢/١٩ ابن خلدون ٦/١٥٩ ابن الأثير ١٠/١٥٨، مرآة الزمان ٨/٢٨ البيان المغرب ص ٢٩٨).

[ص ٤٠٣] قال: فطرب الأمير تميم ومن حضر طرباً شديداً، ثم قال: غنِّي فغنت:[١] [البسيط]

أسْتَودِعُ اللَّهَ في بغدادَ لي قَمَراً   بالْكَرْخِ من فَلَكِ الأزرارِ مَطْلَعُهُ

وهذا لمحمد بن زريق الكاتب. فاشتد طرب تميم وأفرط جداً، ثم قال لها: تمنّي ما شئت، فقالت: أتمنى عافية الأمير وسلامته، فقال: والله لابد أن تتمني، [فقالت] على الوفاء أيها الأمير؟ فقال: نعم، فقالت: أتمنى أن أغني بهذه النوبة بغداد، فامتقع لونه وتغير وجهه وتكدّر المجلس، وقام وقمنا.

قال ابن الأشكري: فلقيني بعض الخدم، وقال لي: ارجع فالأمير يدعوك، فرجعت فوجدته جالساً ينتظرني، فَسَلَّمتُ عليه وقمت بين يديه، فقال: ويحك أرأيت ما امتحنّا به؟ فقلت: نعم أيها الأمير، فقال: لابد من الوفاء لها، ولا أثق في هذا بغيرك، فتأهبْ لتحملها إلى بغداد، فإذا غَنَّتْ هناك فاصرفها، فقلت: سمعاً وطاعة، قال: ثم قمت، وتأهبت، وأمرها بالتأهب وأصحبها جارية سوداء له تعادلها[٢] وتخدمها، وأمر بناقة ومحمل أدخلت فيه، وجعلها معي، وصرت إلى مكة مع القافلة، فقضينا حجنا، ثم دخلنا في قافلة العراق، فلما وردنا القادسية أتتني السوداء عنها فقالت: تقول له ستي، أين نحن؟ فقلت لها: نزول بالقادسية، فانصرفت إليها فأخبرتها، فلم أنشب أن سمعت صوتاً قد ارتفع بالغناء منها، وغنت: [مجزوء الكامل]

لما وردنا القادسيـ   ـة حيث مجتمع الرفاق
وشممت من أرض الحجا   ز نسيم أنفاس العراق

---

(١) البيت من قصيد لابن زريق البغدادي في الدر الفريد ٢ / ١٢٩.

(٢) تعادلها: أي تكون عدلا لها في الهودج حتى لا يميل.

أيقنت لي ولمن أحبْ يجمع شمل واتفاق
وضحكت من فرح اللقا ء كما بكيت من الفراق
لم يبق لي إلا تجشم هذه السبع الطباق
حتى يطول حديثنا بصفات ما كنا نلاقي

قال: فتصايح الناس من أقطار القافلة: أعيدي بالله أعيدي، قال: فما سمع لها كلمة. [ص ٤٠٤]

قال: ثم نزلنا الياسرية[١]، وبينها وبين بغداد نحو خمسة أميال في بساتين متصلة، ينزل بها الناس فيبيتون ليلتهم ثم يبكرون لدخول بغداد، فلما كان وقت الصباح، إذا بالسوداء قد أتتني مذعورة، فقلت: مالك؟ فقالت: إن سيدتي ليست بحاضرة، فقلت: ويلك! وأين هي؟ فقالت: والله ما أدري، قال: فلم أحس لها أثراً بعد تلك، ودخلت بغداد، وقضيت حوائجي بها وانصرفت إلى الأمير تميم، فأخبرته خبرها، فعظم ذلك عليه، واغتم له غماً شديداً، ثم لم يزل ذاكراً لها، آسفا عليها.

ومن أصواتها هذا:[٢] [مجزوء الكامل]

يا أيها الساقي الهوى ضجراً بأن صد الحبيب
اسمع فإني قائل قولاً سيعرفه اللبيب
الحب داء ما يلين بمثل حرقته القلوب
والحبُّ ليس لَه سوَى مَنْ قْد كَلِفْتُ به طبيبُ

والشعر لأبي نواس، والغناء فيه في الطريقة الرابعة من الهزج.

---

(١) الياسرية: قرية كبيرة على ضفة نهر عيسى بينها وبين بغداد ميلان وعليها قنطرة مليحة فيها بساتين، منسوبة إلى ياسر، اسم رجل. (ياقوت: الياسرية).

(٢) ليست الأبيات في ديوان أبي نواس.

ومن أصواتها:[1] [الطويل]

تذكــرت ريا وانبــرى لك حــبــهــا ... ومن دونهــا الأعــداء خــزر عــيــونهــا
وحنـت قلـوصـي آخـــر الـلـيل حنةً ... فــيــا روعــة مــا راع قلبي حنينهــا
حنت في عقـاليـهـا وشامت عـيونها ... سنا البــرق علوياً فــجن جنونهــا
فـــقلت لهـــا حني فكل قـــرينة ... مــفــارقــهــا لابد يومــاً قــرينهــا

والشعر للصمة بن عبدالله، والغناء في أول الثقيل، وهذا القول من قطعة جملتها ثمانية أبيات، وتمامها:

وقلت لهـــا حـــثي رويداً فـــإنني ... وإياك نخـــفي عـــولة سنبـــينهـــا
فـمـا برحت حـتى ارعـوينا لصـوتهـا ... وحـــتى انبـرى منا مـــعين يعـــينهــا
ظللت بهـــا أبكي بعين حـــزينة ... مراها الهوى حتى استهلت جنونها[2]

[ص ٤٠٥]

تعـــز بصــــبــــر أن تلام فـــإنما ... على النفس مـا جـرّت وللنفس دينهـا

١٨٠-ومنهم- الكِيْنو[3] احْمَد بنُ مُحَمَّد

ابن أحمد اللخمي من أهل تونس، قال شيخنا أبو حيان: حضرت معه في بستان كان استدعاني إليه الكاتب أبو الحسن ديسم، وكان يحسن الضرب بالعود والغناء، وأنشد لنفسه هذا: [الرمل]

كلّ مـــعنى من مـــعـــانيـــه بدا ... لـــســـت أســلـــو عـــن هـــواه أبـــدا
مطلق الحــسن خــلا عن مــشــبــه ... وأنـا في الحـب ممـن قـــــيـــــدا

(١) الأبيات غير الأول في الحماسة البصرية ٢/١٥٥.
(٢) في الأصل:«جنونها» وحريّ أن تكون «جُفونها».[المراجع].
(٣) كذا في الأصل.

إن غـــيِّي في هواه رشـــدي وضـــلالي فـيــه لا شك هدى
شـــهـــد الكون له أجـــمـــعـــه لا ترى في حـــبـــه من فنّدا

وأنشد أيضاً مما قاله في السماع: [مجزوء البسيط]

مـــاذا يريد العـــذول مني صـــمّتْ عن العـــاذلين أذني
بمهـــجـــتي شـــادن ربيب يســـبي البـــرايا بكل فنّ
رشـــا كنس قـــضـــيب آس رياض حـــســـن هلال دجن
قلبي مـــقـــيم على هواه إن ضجّ أو لجّ في التـــجني
فـــحـــدثوا بالدلال عنه وحـــدثوا بالخـــضـــوع عني

قال: ولما توفي الداعي المسمى بالفضل ملك إفريقية، كان هذ ابن الإمام يمدحه ويهجو من عاداه، ويصرح بذلك في تونس، فلما قتل الدعي وتولى أبو حفص، قتله لما كان بلغه من ذمه وهجيه[١].

١٨١- ومنهم- أبو عَبْدِاللّهِ اللاجَي

[الطويل]

تعـاللت كي أشـجى ومـابكِ علة تريدين قـتلي قـد ظفـرتِ بذلكِ
وقـولك للعـواد كـيف ترونه فـقـالوا قـتـيـلاً قلت أيسـر هالك
لئن سـاءني أن نلتني بمسـاءة لقـد سـرني أني خطرت ببـالك[٢]

وهذا آخر معروف بالغناء [ص ٤٠٦] بالجانب الغربي على ما أنفذنا فيه وسع الحيلة، وتسمحنا فيه لتكثير الفئة القليلة، وقد تكلفنا له فوق الجهد

(١) كذا في الأصل: «وهجي» ليست مصدراً من هجا يهجو. [المراجع].
(٢) الشعر لابن الدمينة (ديوانه: ١٥). [المراجع].

والطاقة، ودخلنا فيه من الباب والطاقة.

فأما مصر فإنها وإن حوت الجماهير، وجمعت المشاهير، فإن أفراد أهل الغناء بها أقل من وجود الصديق، وَ جُود الزمان الخالي من الترنيق، ومنهم أناس سنذكرهم وتعرفهم ولا تنكرهم.

١٨٢- ومنهم- ناطِقَة جَاريَة الزَّاعُوني[١]

جارية تفتك بالمهج، وتُقْبِلُ ولا إِثم عليها ولا حَرَج، هَزَّتْ من قدها رمحاً، وسَلَّتْ من أجفانها سيفاً لا يعرف صفحاً، فملكت القلوب عنوة، وأنست الهوى المغلوب علوة، وكانت في أفق الدور الأموية شمس صباحها وبدر صباحها وكأس شمولها، وقصارى مأمولها، إلى أن غلبت الأهواء، وأعلت وأغلت الدواء، وأضحت تجاور في قتل أهل الغرام بها عوداً إلى أن ينطلق له لسان، ولا يسفك بمثل إشارته دم إنسان، وكانت أيام الإخشيد تغشى مجلس ابن الفرات، وتحاور منه في جانب النيل الفرات، وكان يصلها بالمواهب، ويقدمها على كل مواظب، ثم قطعها أيام المعز، وكان لها لا يُبَزُّ.

ومن أصواتها المشهورة:[٢] [الطويل]

إذا كنت ذا نعس جواد ضميرها فليس يضير الجود إن كنت معدما
رآني بعين الجود فانتهز الذي أردت ولم أفغر إليه بها فما
ظلمتك إن لم أجزك الشكر بعدما جعلت إلى شكري نوالك سلما
وإنك لم تترك يداك ذخيرة لغيرك من شكري ولا متلوما

والشعر لمسلم بن الوليد، والغناء فيه في مزموم الرمل.

(١) الشعر لمسلم بن الوليد في ديوانه ص ٢٦٩.

(٢) في الأصل: الزاغوني.

١٨٣-ومنهم- بَدِيُع جَارِيَةُ المحَلميّ

وكانت جارية سمراء تحكي الأسمر البرني قَداً كأنه أنبوب، والأبيض الايزني(١) طرفاً [ص ٤٠٧] تقدُّ به القلوب، كأنما خلقت من ليل كله سحر، وسواد طرفٍ ملؤه حور، ألذ من الظل للمحرور، وأحسن من اختلاط مسك وكافور، وكان سيدها قد أخذها بالتأديب، واقتنصها من البر اقتناص الظبي الربيب، واشتراها صغيرة من مولدات الصعيد، وحظي بها إنه لسعيد، ولقيت أهل التعليم، وبقيت تفهم بالإيماء فهم التكليم، حتى كانت إذا نطقت أذابت صبر الجليد، وألانت قلب الجلمد والحديد.

ومن أصواتها المشهورة:(٢) [الرمل]

بدل الطرف من النوم السهر ... حين صد الظبي عني وهجر
رشأ أودع قلبي حسرة ... وحمى عينيْ من الدمع النظر
وله ثغر شتيت نبته ... وبعينيه من السقم حور
بأبي ذاك حبيباً هاجراً ... لم يدع في الحب عنه مصطبر

والشعر لابن الرومي، والغناء فيه في مزموم الرمل.

وكذلك من أصواتها: (٢) [الكامل]

بان الخليط وفاتني برحيله ... خود إذا ذكرت لقلبك يشغف
تجلو بمسواك الأراك منصباً ... عذباً إذا ضحكت تهلل ينظف
وكأن ريقتها على علل الكرى ... عسل يصفى في القلال وقرقف
وإذا تنوء إلى القيام تدافعت ... مثل النزيف ينوء ثُمّتَ يضعف

(١) كذا في الأصل: وصوابه: الأزني؛ لأن من أنواع الرماح: الأزني (ويقال فيه اليزني واليزأني) نسبة إلى يزن موضع باليمن. [المراجع].

(٢) الشعر لابن الرومي في ديوانه ٢ / ١٤٤.

(٣) الشعر لأعشى همْدان في كتاب الصبح المنير ص ٣٣٤.

والشعر لأعشى همدان، والغناء فيه في ثاني ثقيل.

١٨٤- ومنهم- صَافِيةُ جَاريةُ بَدْرٍ أميرِ الجيُوش[١]

وكانت شمساً لا تصلح إلا لبدر، وقلباً لا يضم إلى كل صدر، لا تطرف له عنها عين غافية، ولا تكدر[٢] له في النطف صافية، وكانت تزري بالقضيب، وتسبي بالبنان الخضيب، وتسفه رأي الملك الضليل، إذ قال: (أفاطِمُ مَهْلاً بعضَ هَذَا التدلُّل) [٣]، والصادق الحب جميل إذا شكا من حب بثينة التململ[٤]، لا يعلق له بغيرها أمل، ولا يرى إلا أنه بها قد تم تمامه وكمل، لا تلائم جنبه إذا فقدها المضاجع،ولا[ص٤٠] إذا وجدها قال جفنه للنوم متى أنت راجع، وكانت قمرية مجلسه، وأيكة دوحه النابت في مغرسه، ولها أصوات في أشعار مختارة، وكانت لا تميل إلا إلى هذا ومثله، ولا تعجب إلا به وبشبهه.

ومن أصواتها المشهورة:[٥] [الطويل]

وإن دمـــاً لا تعلمين جنيـــتـــه ... على الحي جـاني مـثله غـيـر سـالم
ولكن لعـمــر الله مـا طل مـسلمـاً ... كـــغـــر الثنايا واضــحــات الملاغم

---

(١) هو بدر بن عبدالله الجمالي أمير الجيوش المصرية والد الملك الأفضل شاهنشاه، أصله من أرمينية اشتراه جمال الدولة بن عمار غلاما، فتربى عنده ونسب إليه وتقدم في الخدمة حتى ولي إمارة دمشق للمستنصر صاحب مصر ثم استدعاه إلى مصر واستعان به على إطفاء فتنة نشبت فوطد له أركان الدولة فقلده (وزارة السيف والقلم) وأصبح الحاكم في دولة المستنصر، توفي بالقاهرة سنة ٤٨٧ هـ. (الكامل لابن الاثير ١٠ / ٨١ النجوم الزاهرة ٥ / ١٤١ شذرات الذهب ٣ / ٣٨٣).

(٢) في الأصل: «تكدّ» .[المراجع].

(٣) الملك الضليل هو الشاعر امرؤ القيس، والشطر المذكور من قصيدته المعلقة وتمامه: (شرح المعلقات العشر، شرح الشنقيطي ط دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٥).

أفاطم مهلاً بعض هذا التدلل ... وإن كنت قد أزمعت صرمي فأجملي

(٤) كذا في الأصل ولعل العبارة: «شكا من حبّ بثينة الملل..» .[المراجع].

(٥) الشعر لأبي حية النميري في مجموع شعره ص ٨٦ ـ ٨٩ مع خلاف في ترتيب الأبيات.

رمين فأقصدن القلوب ولم نجد دماً مائراً إلا جوى في الحيازم
وخَبَّركِ الواشُونَ أنْ لا أُحِبَّكُمْ بَلَى وسُتُورِ اللَّهِ ذاتِ المحارمِ

والشعر لأبي حية النميري[1]، والغناء فيه في ثاني الرمل، ولها أصوات في شعر الصمة بن عبدالله، كان يقترح عليها، فمنها هذا:[2] [الطويل]

لعمري لئن كنتم على النأي والقلى بكم مثل ما بي إنكم لصديق
إذا زفرات الحب صعدن في الحشى رددن ولم تنهج لهن طريق

ومنها أيضاً: [3] [الطويل]

إذا ما أتتنا الريح من نحو أرضها أتتنا برياها وطاب هبوبها
أتتنا بريح المسك خالط عنبراً وريح خزامى باكرتها جنوبها

ومنها أيضاً: [الطويل]

نظرت وطرف العين يتبع الهوى بشرقي بصرى نظرة المتطاول
لأبصر ناراً أوقدت بعد هجعةٍ لريا بذات الرمث من بطن حائل

ومنها أيضاً: [الطويل]

خليلي قوما فاشرقا القصر فانظرا بأعياننا هل يؤنسان به الرندا
فإني لأخشى أن علوناه علوة ويشرق أن يزداد ويحكما وجدا
نظرت وأصحابي ندورة نظرة فلو لم تفض عيناي أبصرتا نجدا

[ص ٤٠٩]

إذا مر ركب يصعدون ظننتني مع الرائحين المصعدين لهم عبدا

(١) في الأصل: النمري. [المراجع].
(٢) البيتان للصمة بن عبدالله القشيري في الأغاني ٦/ ٦.
(٣) البيتان للصمة القشيري في الأغاني ٦/ ٦ ـ ٧.

وكلها في أزمان.

١٨٥- ومنهم- عَيْنَاء جَارِيةُ بَدْرٍ أمِيْرِ الجُيُوش

وكانت جارية جائرة، فاتنة فاترة، تتلفت تلفت الريم، وتسفر إسفار الصباح في الليل البهيم، بمحيا لو غاب البدر ثم أسْفَرَتْ أطْلَعَتْهُ، وعيون لو نظرت إلى سرب المها صَرَعَتْهُ، مع إحسان في كل ضرب، وأجفان تقيم كل حرب، وظرف ما كان مثله لعريب جارية المأمون، ولا لبدعة وهي التي مثلها في الدنيا لا يكون، وكان بدر يرى أنها شمس نهاره، وأسمى أقماره.

ولها عدة أصوات مشهورة، فمنها هذا:(١) [الطويل]

وهل خلة معسولة الطعم تجتنى ... من البيض إلا حيث واش يكيدها
مع الواصل الواشي وهل تجتني يد ... جنى النحل إلا حيث نحل يذودها

والشعر لابن الرومي، والغناء فيه في الثقيل.

ولها صوت في شعر الصمّة بن عبدالله: [الطويل]

أمارد ردّي منَّةَ الوصل بيننا ... ولا تشمتي بي الكاشحين الأعاديا
أمارد لا والله ما بي عن البكا ... عزاء وما فيه شفاء لما بيا

والغناء فيه رمل مزموم، ولم تقع إلينا من أصواتها سواهما.

١٨٦ – ومنهم-مُغَنِّي الصَّالح بنِ رُزِّيْك(٢)

وكان لايزال يُغْشَى منزله، ويستدعي أُنْسَهُ، ويشغله عن كل خاطر، وكان

(١) الشعر لابن الرومي في ديوانه ١/ ٤٤١.

(٢) الصالح بن رزيك: هو طلائع بن رزيك الملقب بالملك الصالح أبي الغارات، وزير عصامي يعد من=

مجيداً في علم الغناء، إذا غنّى اطَّرَحَ الوقار، ورمى الأوائل بالاحتقار، وكان يغنيه غناء عاماً، ويدنيه إدناءً تاماً، وصنع عدة أصوات في مواضع من شعره، كان يقترحها عليه ويقترحها من إضاءتيه، وكان لايزال حباؤه متكاثراً لديه متواتراً تواتر المطر السكوب اليه.

وحُكِيَ أنه غَنَّى يوماً [ص ٤١٠] بين يديه: (١) [البسيط]

وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إن الرَّكْبَ مُرْتَحِلُ ... وهل تُطيقُ وداعاً أيُّها الرَّجُلُ

فوثب القاضي الفاضل وكان إذ ذاك يكتب للصالح، وأنشأ يقول: [البسيط]

دعوا هريرة إن حلت وإن رحلت ... فيكم تحل وعنكم ليس ترتحل
على فترة للجود عارضة ... فما رأى الناس إلا أنكم رسل
دمتم لنا وأدام الله دولتكم ... وسخرت لكم الأملاك والدول
هذا شجاع وهذي مصر في يده ... والعمر والحسن والإقبال مقتبل

فوقعت منه وممن حضر ألطف موقع، وأمرَ المُغنّي فصنع فيه صوتاً، وغنَّى به لوقته.

=الملوك، أصله من الشيعة الإمامية في العراق، قدم مصر فقيراً فترقى في الخدمة، ولي الوزارة= للخليفة الفائز الفاطمي واستقل بأمور الدولة، ونعت بالملك الصالح فارس المسلمين نصير الدين، ومات الفائز وولي العاضد فتزوج بنت طلائع، فكرهت عمة العاضد استيلاءه على أمور الدولة وأموالها، فدست له جماعة من السودان فقتلوه في دهليز القصر، كان شجاعاً حازماً جواداً عارفاً بالأدب شاعراً له ديوان شعر، وكان يغزو الفرنج في البر والبحر وللشعراء فيه مدائح ومراث، كان مقتله سنة ٥٥٦ هـ.

(وفيات الأعيان ١/٢٣٨ دول الإسلام ٢/٥١ المقريزي ٢/٢٩٣ مرآة الزمان ٨/٢٣٧ خريدة القصر قسم شعراء مصر ١/١٧٣).

(١) البيت مطلع قصيدة للأعشى في ديوانه ص ٤١.

١٨٧-ومنهم- سُرُوْر جارِيةُ العَزِيْز(١)

وكانت لا تُعْدَلُ بها امرأةٌ، ولا تُذْكَرُ بقبيح إلا كانت عنه مبرأة، وكانت جارية لامرأة بالقاهرة، علَّمتها الخط وحفَّظتها القرآن، وعلمتها النحو واللغة والأدب، وروَّتْهَا الأشعار، ووفَّرتها على تصفح الأخبار، وأخذتها بصناعة الغناء، حتى فاقت كل جارية كانت تسمى، ولا تماثل بها ظلوم وأمثالها إلا ظلماً، ورآها العزيز زمان أبيه فهوي بها ولم يقدر على ملك رقها خوفاً من أبيه، حتى ملك السلطنة ووليها، وكانت بينهما مدة حياة أبيه مراسلات وأشاير وعلامات وأماير.

حكي أنها أهدت إليه مرة أكرة من العنبر فيها زر من الذهب، فلم يفهم معناه، ولا كشف مُعَمّاه(٢)، فأخبر الفاضل وكان لا يكتمه من أمره حاضرة ولا غائبة، ولا آيبة ولا ذاهبة، فأنشده الفاضل: [السريع]

أهْدَتْ لكَ العْنبَرَ في وسْطِهِ ... زرٌّ من التِّبْرِ خَفِي اللحامِ
والتِّبْرُ في العْنبَرِ معَنَاهُمَا ... زُرْ هكذا مُخْتَفِيَاً في الظَّلامِ

وكتبت إليه مرة أخرى رقعة تعرض عليه فيها أن يشتريها، وكتبت في أولها قول [ص ٤١١] ابن الرومي:(٣) [المنسرح]

كَثِّرْ بِشَخْصِي مَن اصْطَنَعْتَ من الناس وإن لَمْ أزنْكَ لَمْ أشِنِ(٤)
ما حَقَّ من لان صدْرُهُ لكَ بالـوُدِ لقاءٌ بِجَانبٍ خَشِنِ

---

(١) هناك ثلاثة ملوك عرفو باسم (العزيز) في الدولة الأيوبية هم عثمان بن يوسف المتوفى سنة ٥٩٥ وعثمان بن محمد المتوفى سنة ٦٣٠ هـ ومحمد بن غاري المتوفى سنة ٦٣٤ هـ وليس لدينا دليل لترجمة احدهم لهذه الترجمة.

(٢) في الأصل: مغماه (بالغين المعجمة). والمراد مُعَمّاه من (التعمية). [المراجع].

(٢) الشعر لابن الرومي في ديوانه ٣ / ٣٨٨.

(٤) لم أشن: من الشين أي العيب.

فلم يكن له هم إلا مشتراها أول ما ملك.

ومن أصواتها المشهورة: [الكامل]

ومهفهف حلو اللمى خنث ... سبقت محاسنه إلى الوصف
كالليل قد جمعت كواكبه ... في موضع التقبيل والرشف

والشعر لابن الجلال المصري، والغناء فيه لها.

وحُكي أن العزيز هوي عليها جارية اسمها ألوف ،فتبدّل بها حال سرور،وتنكرت عليها بسببها من أحوال العزيز أمور ،فلما رأت ازورار جانبه وتقلّص أُنْسِهِ من جوانبه، أخلدت إلى القطيعة، وعصت فيها نفسها المطيعة، فأخذته العزة حتى صار انجماعه غضبا، وفتوره عنها لهباً، وهم بإخراجها من داره، فخافت بأس اقتداره، وأتت إليه قبل اقتداره، ولم تكلمه حتى ترامت على قدميه، واندفعت تغني بين يديه: (1) [البسيط]

وأنتم النخلة الطولى التي بسقت ... قدماً وبورك منها الأصل والطرف
فإن زوى عني الجمار طلعته ... فلا يصبني [بحدي] شوكه السعف

والشعر لابن الرومي، والغناء فيه خفيف الرمل، فلم يتمالك العزيز أمر نفسه حتى ضمها إلى صدره، وقبلها وبلغها من عَوْدِ عاطفته أملها؛ ثم رجع إليها الكرَّةَ وترك هوى ألوف، ولا أليف لها إلا طول الحسرة.

١٨٨- ومنهم- فُنُونُ العَادليَّة

جارية تعيب البدرَ إذا بزغ، وتعين الشيطان إذا نزغ، بصورة جلَّ خالِقُها، وجلب الكرى المشرد ليراعها عاشقها، أقتل من الصدود وأقل رضى من الشيء

(١) الشعر لابن الرومي من قصيدة في ديوانه ٢ / ٤٣٩.

المعدود، [ص ٤١٢] بتأت يُعذرُ به من أحبَّها، ومَلَكَ قلبُهُ حُبُّها، أهديت من ملوك الروم إلى الملك العادل، ودنت فأسكت نايها كل مجادل، وكانت حاذقة بالضرب بأنواع الملاهي، مغلبة للمباهي، إلى طيب مجالسة، وإمتاع مؤانسة، وابتداءت مبهتة، وأجوبة مسكتة، وكانت زينة القصر، وجليلة ذلك العصر.

ومن مشاهير أصواتها: [مجزوء الكامل]

أدر المدامة يا نديم ... واطرب فقد رق النسيم
واملأ كؤوسك واسقني ... صفراء صانعها حكيم
من كف أهيف كالقضيب ... كلامه العذب الرخيم
ومن العجائب طرفه ... لي مسقم وهو السقيم
رقت معاقد خصره ... وكأنه جسمي الأليم
دبت عقارب صدغه ... فلذاك عاشقه سليم

والشعر لابن محارب من قصيدة يمدح فيها الصاحب بن شُكْر، ومنها في المديح:

ومديح مولانا الوزير ... هو الصراط المستقيم
يروى براحته الصدى ... ويرى بطلعته النعيم
وله حديث مكارم ... تروى ومسندها قديم
في كفه القلم الذي ... وجه الزمان به وسيم
وخطابه الحق المبيـ ... ـن وخطبه النبأ العظيم
قبل يديه مبادراً ... فبيمنه يشفى الكليم

وكذلك من أصواتِها في شعر الباخرزي:[1] [المتقارب]

أروحُ وفي القلبِ مِنّي شجى ... [و]أغْدُو وفي القلبِ مِنّي شَجَنْ

---

(١) الشعر للباخرزي في ديوانه ص٣٤٠.

أبكي ولا طوق لي بالفراق إذا ذات طوق بكت في فنن
فللماء في مقلتي ما بدا وللنار من مهجتي ما كمن

[ص ٤١٣]

ومن لجفوني بشيء نسيت وأحسبه كان يدعى الوسن

وحُكِيَ أنها دخلت عليه بكرة يوم والصباح المقبل قد ركض جبينه في أحشاء الشجر، ونفض العنبر المغلف على أصداغ الطرر، والشمس قد همت بأن تحدُرَ النقاب، ثم تمنعت وتطلعت من الألقاب(١)، والفضاء قد أصبح فضياً، والروض قد أضحى سماوياً أرضياً، والطير قد هتف للإعجاب، وبشر بتقشع الظلام المنجاب، والماء قد أرْفَضَّ إذْ تَكَشَّفَتِ السماء، ولم يبق بينه وبينها حجاب، فَسُرَّ بزيارتها، وقدح زند فجره المشرق بأثارتها، واستدعى منها الغناء فغنت: [الخفيف]

مرحباً بالصباح لما وافى وانتضى في الدجى له أسيافا
رافعاً في الظلام جنح دجاه عاجلاً مثلما رفعت السجافا
مثل سيف الدين المليك المفدى عندما جاء شقق الأسدافا
كان كل الزمان بالظلم ليلا فمحاه واطلع الإنصافا

فأعجبه الشعر والغناء، وهما لها، ثم سألها حاجتها، فذكرت له أسيراً في يد الفرنج سئلت فيه الفداء فعجل به.

(١) في الأصل: «الألقاب» والانقاب جمع نقب: الطريق، أو الطريق الضيق في الجبل. [المراجع].

(٢) في الأصل: «رفض أن». [المراجع].

١٨٩- ومنهم-عَجِيبَة مُغَنِّيةُ الكَامِل(١)

وكانت في نساء زمانها عجيبة، وفي أوانس أخدانها غريبة، من المغاني المشهورات، الغواني المذكورات، شغف بها الملك الكامل على دثور عقله، ووفور فضله، وكان لا يصبر عنها ليلة من الليالي، ولا يدع استرازها ولو بين تشجّر العوالي، وكانت ظريفة تأخذ بمجامع القلوب، وتخلب صوادف النفوس، وكانت تطلع إلى الملك الكامل وجنكها(٢) محمول معها ووراءها الجواري والخدم، وكانت تحضر مجلسه سراً وعلانية، وتغنيه على الجنك وبالدف، وبها قدح فيه ابن عين الدولة القاضي لما قال له الملك الكامل في قضية من القضايا: أنا أشْهَدُ عندك بكذا، فقال: السّلطان يأمُرُ وما يشهد، فأعاد عليه السلطان القول [ص ٤١٤] وأعاد عليه القاضي الجواب، فلما زاد الأمر، قال له السلطان: أنا أشهد، تَقْبَلْنِي أنت أولا؟ فقال: لا ما أَقْبَلُكَ، وكيف أقبلك وعجيبة تطلع إليك بجنكها كل ليلة وتنزل، تأتي يوم بكرة وهي تتمايل على أيدي الجواري والخدم، وينزل ابن الشيخ من عندك أنحس مما نزلت، فقال له السلطان (يا كنفرخ) وهي لفظة شتم بالفارسية، فظن ابن عين الدولة أنه قال له: كل فراخ، فقال: ما في الشرع كل فراخ، اشهدوا علي أني قد عزلت نفسي، وقام فجاء ابن الشيخ إلى الملك الكامل وقال له: المصلحة إعادته لئلا يقال لأي شيء عزل

---

(١) الملك الكامل: محمد بن محمد العادل ابن أيوب من سلاطين الدولة الأيوبية، كان عارفاً بالأدب، له شعر، وسمع الحديث ورواه، ولد بمصر وأعطاه أبوه الديار المصرية فتولاها مستقلاً بعد وفاة أبيه، وامتلك الديار الشامية، كان حازماً عفيفاً مهيباً يباشر أمور الملك بنفسه، من آثاره المدرسة الكاملية بمصر، توفي بدمشق ودفن بقلعتها سنة ٦٣٥ هـ.

(الوافي بالوفيات ١ /١٩٣ ابن الاثير ١٢ /١٢٦، ١٣٥، ١٨٦ السلوك ـ المقريزي ١ /١٩٤ ـ ٢٦٠ الحوادث الجامعة ص ١٠٧ وابن خلكان ٢ /٥٠ مرآة الزمان ٨ /٧٠٥).

(٢) الجنك: الطنبور، عود ذو رقبة طويلة.

القاضي نفسه، فيقال[1]: لأنه شهد السلطان عنده فما قبله، فيقال: لأي شيء ما قبله؟ فيقال: لأجل عجيبة، فَتَتَمضمضُ بنا العوام، وتطير بها الأخبار إلى بغداد وإلى الملوك، فقال: صدقت، ونهض إلى القاضي فَتَرَضَّاه، وأعاده إلى القضاء، وتأخر الأمر الذي كان يريد أن يشهد به.

عدنا إلى ذكر عجيبة والذي نعرف من أصواتها: [البسيط]

رفقاً على ما أبقيت من رمقي ... لا تأتسي لي بأن أبقى ولا تبقي[2]
هيهاتَ أين البقا من مُوجَعٍ كَمِدٍ ... عليك صب بنار الشوق محترق
يا سائلي عن دمي لا تطلبوا أحداً ... بعدي به فدمي المسفوك في عنقي
إني حملت على نفسي لشقوتها ... مثل الجبال من البلوى فلم تطق
فمن رأى ليت شعري مثل موقفنا ... يوم النوى أبحراً تجري من الحرق
يا آمري في دموعي بعد ما فنيت ... بأن أصُونَ وأحْمِي ما عساه بقي

والشعر لابن حجاج.

وحُكِيَ أنه أمَرَ بها فأُحْضِرَتْ والغيم قد فرق في السماء قطعه، وطرز مُذهّب البروق خلعه، وتشرين قد أرسل نجائب السحائب محبرة، والخريف قد جاء وراياته المختلفة مبشرة، وثغر الروض قد راق، ووقت السرور قد لاق، ولمى النهر قد حلا في فم من ذاق، وحر الهجير قد خمد لهيبه، وسبج[3] الفحم قد آن في المواقد ذهيبُه، والبيوت قد هُيِّئتْ للكَنِّ، والمنازل [ص ٤١٥] قد قربت إلى الدنِّ، والرواق قد رفعت صلبه المعلقة، والكؤوس بنطف الماء مخلقة وغير مخلقة، وقد حصل العود والعود، وأزلف المجلس لتطلع فيه طوالع السعود،

---

(١) في الأصل: «قال». [المراجع].

(٢) البيت مضطرب بسهو الناسخ وتحريفه. [المراجع].

(٣) في الأصل: «وسبح». [المراجع].

واندفعت تُغنّي بصوت صنعته في بعض المشارقة، وصدعت به صباح تلك الشارقة، وهو هذا: [الطويل]

مشوق إذا ما ارتاح هيجه الحب ... وصب لِوَبْلِ الدمع في خده صب

وإن لاح وهْناً برقه منه ينثني ... وفي جفنه للدمع قد خده غرب

نضا عضب جفنيه عليَّ عذاره ... فمن مهجتي جفن ومن جفنه عضب

يعذب قلبي ظالماً عذب ظَلْمه ... ولكن تعذيبي لمرشفه عذب[1]

فلم يبق في المجلس إلا من مال، ودب للسكر بطربها في مفاصلهم نمال، واستدعى بها يوماً وهو بداره بالفسطاط[2] المطلة على النيل، وقد نضدت رواشنها[3]، وتلبثت قدامها أنواع المسك، وبرزت وعليها جواشنها[4]، والنيل قد صفى مشربه، وخفي بتكاثر الأمواج مسربه، والبرق قد كحل جفن السحاب بمروده، والليل قد ذرَّ في عين الشمس من إثمِده[5]، والهلال بقطع الغيم قد احتجب، والهلال المولي قد بَلَّلَ جناحه ليطير، وهذا من العجب في وقت غفل عنه الرقيب، ولم يحضره إلا مثل إسحاق أو حبيب، وأقبلت تحدثُه وتغنِّيه، وتفتح على يديه السؤل وتمنيه،وممّا غنته من أصواتها، والشعر قديم: [المنسرح]

دعه يداري فنعم ما صنعا ... لو لم[يكن] عاشقاً كما خضعا[6]

وكل من في فؤاده وجع ... يطلب شيئاً يسكن الوجعا

وارحمتا للغريب في البلد النا ... زح ماذا بنفسه صنعا

---

(١) الظلم: ماء الأسنان وبريقها

(٢) الفسطاط: مدينة في مصر بناها عمرو بن العاص عند فتح مصر سنة ٢٠ هـ (ياقوت: فسطاط).

(٣) الرواشن: جمع روشن، الرف والكوة والشرفة.

(٤) الجواشن: جمع جوشن، الصدر، والدرع.

(٥) الإثمد: كحل العين.

(٦) في البيت نقص من الأصل.

فارق أحبابه فما انتفعوا ... بالعيش من بعده ولا انتفعا

ودام معها ليلته كلها، والبدر لا يعرف السرار، والبحر لا يدرك له قرار، والشموع كأنها عشاق تجري دموعها وتلتهب قلوبها الحرار، حتى هم الفجر أن يبوح بسره المكتوم، ويفك عن سفط النجوم طوابع الختوم، وقطرت أعطاف السحب متصببة، وجرت [ص ٤١٦] دموع النرجس في خدود الشقيق متصوبة، وقارب طلوع الصباح والجو بين برديه، وسيف البرق بين غمديه، واضطرب النسيم مذبذبا مبلبلاً تلك الحدائق، واضطر الفجر إلى أن يقبل في ثغر الصبح المفتر تلك العقائق، فأشرف الملك الكامل، ومن مجر الرعد قد هول، والصباح الآتي قد فض ذيل الليل وقصر منه ما طول، فدعاها إلى الصبوح،وأقام بوجهها عذره عند الدهر الصفوح، فلما دارت به الحُمَيَّا، وذكرته هنداً ومَيًّا، أمرها أن تصنع لحناً في شعر بعض متيمي العرب، فصنعت في شعر ذي الرمه:(١) [الطويل]

أراني إذا هومت يامي زرتني ... فيا نعمتا لو أن رؤياك تصدق (٢)

يلوم على ميّ خليلي وربما ... يجور إذا لام الشفيق ويحرق

غداة منى النفس أن تسعف النوى ... بميّ وقد كادت من الوجد تزهق

لها جيد أم الخشف ريعت فأتلعت ... ووجه كقرن الشمس ريان يشرق (٣)

فوقع منه موقعاً كان يجتذبه، ويأخذ بسمعه إليه ولو أراد أن يجتنبه، ثم أفاض عليها سجاله، ووسع في الكرم عليها محاله ومما يتبقى من محاسن هذه القصيدة المختار منها الصوت: (٤)

---

(١) الشعر لذي الرمة في ديوانه ص ٤٧٨ ـ ٤٨١ من قصيدة.

(٢) هومت: من التهويم وهو أول النوم.

(٣) أم الخشف: الظبية، والخشف ولدها، ريعت: فزعت. أتلعت: مدت عنقها تنظر.

(٤) الديوان ص ٤٨٦.

وتيهاء تودي بين أرجائها الصبا   عليها من الظلماء جُلّ وخندق (١)
غللت المهارى بينها كل ليلة   وبين الدجى حتى أراها تمزق (٢)
فأصبحت أجتاب الفلاة كأنني   حسام جلت عنه المداوس مخفق (٣)
نظرت كما جلى على رأس رهوة   من الطير أقنى ينفض الطل أزرق (٤)
طراق الخوافي واقع فوق ريعة   ندى ليلة في ريشه يترقرق (٥)

١٩٠-ومنهم- الكَرْكِيَّة

مغنية الظاهر بيبرس(٦)، وكانت من أبرع الناس نطقاً، وأبدع أهل الغناء حذقاً، تجيد لمختلف الأصوات التآلف، وتجوز الغاية في الثقيل والخفيف، وتأتي بما بعد على بدعة في زمانها، ولم تنفرد به فريدة في أوانها، ولا تجيء دنانير حَبَّةً في [ص ٤١٧] ميزانها، هذا إلى قريحة قادرة، وحلاوة في نادرة، وسرعة جواب، وصنعة إتقان لا يخرج اللحن فيها عن صواب.

---

(١) تيهاء: فلاة يتاه فيها، تودي: تهلك. عليها جلّ يمنع العين وخندق يمنع السالك.

(٢) غللت المهارى: أدخلت الإبل المنسوبة إلى قبيلة مهرة.

(٣) المداوس: المصاقل التي تصقل به السيوف. مخفق: يخفق في الضريبة أي يغوص فيها.

(٤) الرهوة: المكان المرتفع مثل الأكمة وما ارتفع منها. أقنى: أعوج المنقار، يعني البازي. الطل: الندى.

(٥) ريعة: مكان مرتفع. يترقرق: يجول. طراق: بعضه على بعض.

(٦) الظاهر بيبرس: بيبرس العلائي البندقداري الصالحي، الملك الظاهر، مولده بأرض القيجاق وأسر وبيع في سيواس ثم نقل إلى حلب ومنها إلى القاهرة فاشتراه الأمير علاء الدين البندقدار، فلما انتصر الملك الصالح أخذهُ بيبرس فجعله في خاصة خدمه ثم أعتقه، ولم تزل همته تصعد حتى صار (أتابك) العساكر بمصر في أيام الملك المظفر قطز وقاتل معه التتار في فلسطين، ثم قتل قطز وتولى بيبرس سلطنة مصر والشام وتلقب بالملك القاهر أبي الفتوحات ثم تلقب بالملك الظاهر، كان شجاعاً يباشر الحروب بنفسه وله وقائع مع التتار والإفرنج وفتح بلاداً كثيرة، وفي أيامه انتقلت الخلافة إلى الديار المصرية توفي في دمشق سنة ٦٧٦ هـ.

(فوات الوفيات ١/٨٥ النجوم الزاهرة ٧/٩٤ ابن إياس ١/٩٨، ١١٢ السلوك للمقريزي ١/٤٣٦ ـ ٤٤١).

حكى لي شيخنا أبو الثناء الحلبي عنها قال: لو كنت أستحسن أخرج خبية لأضحكت به الحزين الثاكل، واقتديت به الجحود الناكل، وبهذا ومثله كانت تستلين من الظاهر وأهل دولته أولئك الصخور، وتستنزل أولئك الشم وما منهم [إلا]كُلَّ مختال فخور، وهيهات إن كان يندى لأحد منهم راحة، أو تبل لواحد منهم يد بسماحة.

ومن أصواتها: [الكامل]

سن الظُّبـــا من طرفــه الوسنان ... ورمى فــراش ســهـامــه ورمــاني (١)
وبدا فــذاب البــدر من حــســد له ... فلذاك مــا ينفك من نقــصــان
مــاء النعــيم يرف في وجناته ... يسقي رياض شقائق النعمان (٢)
قــالت عــقــود نهــوده لقــوامــه ... من أنبت الرمـــان في المرّان (٣)

والشعر للتاج بن نصر مظفر بن محاسن بن علي بن نصر الله الدمشقي المزوق الذهبي، وكذلك صنعت لحناً كانت تغني به في شعر ابن الحلاوي: [الطويل]

حكاه من الغـصن الرطيب وريقــه ... ومــا الخــمــر إلا وجنتــاه وريقــه
هلال ولكن أفق قلبي مــحله ... غزال ولكن سفح عيني عقيقه
وأسمر يحكي الأسمراللدن قدرة ... عـذاراً سقى قلب المحب رشيقه
على خده جمر من الحسن مضرم ... يشب ولكن في فــؤادي حــريقــه
أقــر له من كل حــسن جليله ... ووافــقــه من كل مــعنى دقــيــقــه

---

(١) الظبا: جمع الظبة وهي حد السيف والسنان والخنجر وما أشبهها.

(٢) شقائق النعمان: جنس من النبات يتبع الفصيلة الشقيقة، ويسمى زهرة الريح، له أزهار جميلة. وسميت شقائق النعمان لحمرتها، ونسبت إلى النعمان بن المنذر وهو أول من حماها.

(٣) المران: الرماح الصلبة اللدنة.

على سَالفيه للعذارِ جديدُهُ — وفي شَفَتَيْهِ للسُّلافِ عَتيقُهُ

وكذلك صوتها في شعر راجح الحلي: [الوافر]

فؤادٌ عن هواكم لا يحولُ — وجسمٌ مَادَ يَخْفيهِ النُّحولُ

[ص ٤١٨]

فكيف يميلني عنكم ملام — ويطمع في مخادعتي عذول

أبى لي أن أبيت صحيح قلب — نسيم من خيامكم عليل

سأبعث في القلوب لكم سلاماً — رجاء أن يقابله قبول

أحملها تحياتي إليكم — لو أنَّ الريح تفهم ما أقول

وهذه من أول قصيدة طنانة في كل سمع، منها:

ومما شاقني لمعان برق — طربت له وقد جنح الأصيل

تلبّس في عبوس الدجن حتى — تحدر دمع ديمتهِ الهطول

أراني بالفرات نخيل أرضي — وغاب ولا الفرات ولا النخيل

يقول منها:

وذي أمل يحث به المطايا — وأدنى السير وخد أو ذميل

أقول لهم هلم فأي عذر — لسعيك أن يجاريك الدليل

أمامك ظل عز الدين فانزل — بأبلج لا يضام له نزيل

وراءك أيها الراجي مداه — فدون بلوغه طرف يهول

تزحزح عن طريق العيب واطلب — نجاة لا تغيرك السيول

به سار من السلطان يعلي — دعائم ملكه وبه نصول

رعينا في جناب أبي سعيد — رياضاً لا تحول بها المحول

تراوح زهره ريح التصافي — ويضحك نوره الغيث الهطول

فـلا عـدمت تُوافي الشعـر مـولى إلى الآمـال أنعُـمُـه تميل

وكذلك صوته في شعره أيضاً : [الطويل]

ملكت كما شاء الهوى فتحكم وإلا ففيم الهجر لي وإلى كم
ولو جحدت عيناك قلبي وأنكرت أقَـرّ به خَطّ(١) العـذار المنمنم
متى تسمح الأيام منك بعطفة وهل في منى من راحة لمتيم

[ص ٤١٩]

وهبني أرضى بالخيال وزورة فمن لي [بمن] بجفو يجفن مهموم(٢)

وهذه من قصيدة مدح بها المعظم عيسى :

وفي شعب الأكوار أبناء مطلب شعارهم ترصيع شعر منمنم
هداهم غلام من خزيمة عالم بقطع الفيافي بالمطي المحرم
إلى ملك من دوحة شادوية يفيء على ورد من الجود مفعم
إلى الأبلج الطلق الذي قد غدا به مشوقاً [له] من دهرنا كل مظلم
إلى من كان [فيه] لا يدين بظله من الأمن ما بين الحطيم وزمزم(٣)
تريه وجوه الغيب مرآة فكره فيؤمنه من كل ظن مرجم
ويغشى غمار الموت في كل معرك يراع له قلب الخميس العرمرم
ويطربه خلع النفوس على العنا إذا رنحت أعطافها حمرة الدم
له نشوة في الجود ليست لحاتم وشنشنة في المجد ليست لأخزمِ

يقول منها في وصف القصيدة :

(١) في الأصل :« أقربه خطر » . والمراد بـ خطّ العذار الشعر على جانبي الوجه .[المراجع] .

(٢) في البيت نقص واضطراب من التصحيف .[المراجع] .

(٣) انظر الحاشية السابقة .[المراجع] .

فدونكها أحلى من الأمن موقعاً وأطيب من وصل إلى قلب مغرم
إذا حدثت أبياتها عن غلامكم عدت أم أوفى دمنة لم تكلم[١]

١٩١- ومنهم- الزَّرْكَشِي أبو عَبْدالله

ناصر الدين الفقيه الحنفي، فقيه بارع، ونبيه لكل عُلاً قارع، هذا على أنه أتقن علم الموسيقا وحققه، وأجال النظر في فنها ودققه، ووقف منها على طرف الأوائل التي عفا أثرها، وذهب أكثرها، وبقيت كمدارج النمل الخوافي، ومناهج الرمل تحت السوافي.

حدثني ابن كرّ عنه أنه كان في صناعة الزركش بدمشق، ثم كان فقيهاً بالمدرسة الشبلية بسفح قاسيون [٢] بين ظهراني الفقهاء، ويجتمع إليه أهل الطرب والإلهاء، ودام على هذه المدة ثم تَخَرَّصوا له المعايب، وأرادوا ترديته بالمثالب، فأتى مصر واتخذها داراً وقراراً حتى مات.

قيل: وكان واحد زمانه [ص ٤٢٠] لا يقصر عن الأوائل، قال: وهو ممن أخذت عنه، واستفدت منه، وكنا نجتمع ونتذاكر ،وتَنْفَدُ وننكر(؟) صبيحة كل يوم يسمع كل واحد منا صاحبه، ولم أر مثله، وحدثني عنه غيره.

وله اصوات منها:[٣] [الخفيف]

خبروها أني مضيت[٤] فقالت أضنىً طارفاً شكا أم تليدا

---

(١) يضمن في عجز البيت مطلع قصيدة زهير: (ديوان زهير ص ٤)

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالمتثلّم

(٢) قاسيون :جبل يطل على مدينة دمشق

(٣) الشعر للطغرائي في ديوانه ص ١٤١ ـ ١٤٢.

(٤) كذا في الأصل :« أني مضيت » ولعلها « أني مرضت » أو« أني ضنيت » من الضنى الذي ذكرتْهُ في الشطر الثاني .[المراجع] .

وأشـــاروا بأن تعـــود وســـادي فـأبت وهي تشـتـهي أن تعـودا
وأتتني في خـيـفـة وهي تشكو ألم الوجـد والمزار البـعـيـدا
ورأتنِي كَـذَا فَلَمْ تَتَمَـالَكْ أنْ أمَـالَتْ عليَّ عِطْفَـاً وجِـيْـدا

والشعر للطغرائي [1]، وكذلك صوته في شعر الحاجري، وهو هذا: [الطويل]

بحـقك ذكّـرْها العـقـيق لعلهـا تجـد راحـة في عـودها وسـراها
إذا مـا حـدا الحـادي بنجـد تمايلت كـأن سلافـاً في النشـيـد سقـاها
كـأنكم يوم الرحـيـل رحلتم بنومي فـعـيني لا تلذ كـراها
وكنت شحيحاً من دموعي بقطرة فـقـد صرت سمحاً بعدكم بدماها

وكذلك صوته في شعر ابن حجاج، وهو هذا: [2] [البسيط]

نامي هنيئاً لعينيك الرقاد فـما أمسيت أعرفُ إلا السهد والأرقا
وإن أردت حياتي فاحفظي رمقي إن كـان عندك شيء يمسك الرمقا
يا شامتاً إذ رأى قلبي رهين أسى وشر ما فيه أن الرهن قد غلقا
إن فرق الدهر شخصينا مراغمةً فـثمّ قلبان لا والله ما افترقا

١٩٢- ومنهم- ابنُ كَرّ أبو عَبْدالله

الشيخ شمس الدين محمد البغدادي الأصل، المصري الدار والمولد، هو في علم الموسيقى فرد لا يخلف، لحق بالأوائل وما تخلف، وأتى ببدائع الألحان وما تكلف، [ص ٤٢١] لا يختبي على مثله الوجود في بردتيه، ولا يجنى شبيه

---

(١) في الأصل: (للطغراوي).

(٢) لم أجد هذا الشعر لابن الحجاج في اليتيمة ولا في المصادر الأخرى.

النهار بُكَرهُ وآصالَهُ[١] بوردتيْه، يطرب قبل الإنشاد، ويحرك حتى الجماد، وتخرس لديه أصواته المثاني والمثالث وما تجنح، وتهتز المغاني والأغاني وما يتزحزح، نقل مذاهب القدماء، كابن المهدي وإسحاق[٢]، وجدد طوالع تلك الأهلة التي أكلها المحاق، لا يمر به صوت مما ذكره أبو الفرج الأصفهاني إلا ويجيء به ويجيده، ويعيده ويزيده، وصنف كتاباً يقال له أحسن ما صنف لجمع وشنف لسمع، وقد خطأ الفارابي [٣] في هذا العلم، وأنكر عليه أهل المعرفة ثم سلموا إليه أنه إنما قاله عن علم، وابن كرّ هذا من بيت امرأة تناقل سلَفُه في بغداد إرثها حتى ملكها التتار، فلزم أبوه مصر، فأجري عليه راتب عاد إلى ابنه هذا بعضه، وهو الآن في زاوية قرب المشهد الحسيني بالقاهرة المعزية [أقطعها][٤] من وقفه أووقف أبيه، وله عز نفس، وشمم عفاف، ما اتخذ هذه الصناعة الطربية إلا ريحاناً له لا استرزاقاً به، وله بي صحبة أعرف حقها له، كان يتردد إليَّ ويتودد ويتفقد ولا ينفقه، ولقد غنى فأضحك وغنى فأبكى، وغنى فأنام، فرأيت بعيني منه ما سمعته أذناي عن الفارابي، فصدق الخُبْرُ الخَبَرَ، وحقق العين الأثر، ورأيت منه واحداً، سبحان من وهبه ما لا هو في قدرة البشر.

---

(١) في الأصل: « بكرة وأصالة ». [المراجع].

(٢) هما إبراهيم بن المهدي وإسحاق الموصلي وقد مرت ترجمتهما.

(٣) الفارابي: محمد بن محمد بن طرخان أبو نصر الفارابي ويعرف بالمعلم الثاني، أكبر فلاسفة المسلمين، ولد في فاراب على نهر جيحون وانتقل إلى بغداد وألف فيها أكثر كتبه ورحل إلى مصر والشام وتوفي في دمشق، كان يحسن اليونانية وأكثر اللغات الشرقية، ويقال إن الآلة المعروفة بالقانون من وضعه، شرح مؤلفات أرسطو وكان زاهداً في أمور الدنيا يميل إلى الانفراد بنفسه، له نحو مئة كتاب منها آراء أهل المدينة الفاضلة، وإحصاء الإيقاعات في النغم، والموسيقا الكبير والمدخل إلى صناعة الموسيقا، وغيرها كثير، كانت وفاته سنة ٣٣٩ هـ.

(وفيات الأعيان ٢/٧٦ طبقات الأطباء ٢/١٣٤ ـ ١٤٠ تاريخ حكماء الإسلام ص ٣٠ البداية والنهاية ١١/٢٢٤).

(٤) في الأصل: (اطها)

ـ قلت لعل الكلمة « أصلها من وقفه... ». [المراجع].

وله أصوات في أشعار لي، فمنها قولي : [1] [الكامل]

أفدي حبيباً قد فتنت بحبه ... لو كان يرثي للمحب إذا شكا
والله ما هبت نسيم دياره ... إلا اعتلقت بذيلها متمسكا
يا عين أنت شكيتي في حبه ... لما نظرت له وأنت المشتكى
قالت عليك بأدمعي فأجبتها ... لو كان دمعي البحر أفناه البكا

ومنها قولي :[2] [الطويل]

قفاني على الوادي أودع مهجتي ... وأستودع الأحباب مني ما بقي
فيا ليت شعري هل نعود إلى الحمى ... ويجمعنا سفح الكثيب فنلتقي

[ص ٤٢٢]

ونعقل في ظل النخيل ركابنا ... ونشرب من ماء الغزير ونستقي [3]
ونشكو الذي نلقاه من ألم الهوى ... وهيهات ما عند الحبيب تشوقي

ومنها قولي : [مجزوء الرمل]

يا أخلائي بنجدٍ ... لي فؤاد مستهام
وجفون قد جفاها ... بعد أجفاني المنام
إن وصلتم فسرور ... واغتباط والتئام
أو هجرتم - وكُفِيْنا- ... فعلى الدنيا السلام

(١) الشعر لمؤلف الكتاب ابن فضل الله العمري.

(٢) الشعر لمؤلف الكتاب ابن فضل الله العمري.

(٣) في الأصل (النخيل راكبا بنا) وهي تحريف من سهو الناسخ.

قال محقق الكتاب :تم السفر العاشر من كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار .

ملحق بالمصطلحات الموسيقية

مصطلحات الموسيقا العربية القديمة

١- بُعد البقية: هو أصغر الألحان اللحنية، ومسافته كل وثلاثة عشر جزءا من مئتين وثلاثة وأربعين ٢٥٦/٢٤٣.

٢- بعد المجنب: ونسبته كل وتسع كل ١٠/٩ إذا كان كبيرا، وجزء من خمسة عشر جزءا من كل ١٦/١٥ إذا كان صغيرا.

٣- البعد الطنيني: هو حبس تسع الوتر واهتزاز ثمانية، اتساعه ونسبته كل وثمن كل ٩/٨.

٤- بعد ذي الربع: ونسبته كل وثلث كل وهو حبس الوتر واهتزاز ثلاثة أرباعه ٤/٣، وسمي بذي الأربع لاحتوائه على أربع نغمات محيطة بثلاثة أبعاد في أكثر الأحيان، ويسمى عند الافرنج (تتراكورد).

٥- بعد ذي الخمس: ونسبته كل ونصف كل ٣/٢ وهو حبس ثلث الوتر واهتزاز ثلثيه، وسمي بذي الخمس لاحتوائه في أكثر الأحيان على خمس نغمات محيطة بأربعة أبعاد، ويسمى عند الإفرنج (بنتراكورد).

٦- بعد ذي الكل: هو الديوان الموسيقي (الأوكتاف) ونسبته نسبة الضعف ٢/١ ويتكون من بعد ذي الأربع وبعد طنيني يسمى (الفاصلة)، أو من بعد ذي الأربع وذي الخمس، وهو حبس نصف الوتر واهتزاز نصفه الآخر.

٧- بعد ذي الكل والأربع: ونسبته نسبة الضعف والثلثين ٨/٣ وهو حبس ثلاثة أخماس الوتر واهتزاز خمسيه، ويتألف من بعد ذي الكل وذي الأربع.

٨- بعد ذي الكل والخمس: ونسبته ثلاثة الأمثال ٣ / ١ وهو حبس ثلثي الوتر واهتزاز ثلثه الآخر، ويتألف من بعد ذي الكل وبعد ذي الخمس.

٩- بعد ذي الكل مرتين وهو ديوانان موسيقيان، ونسبته نسبة أربعة الأمثال ٤ / ١، وهو حبس ثلاثة أرباع الوتر واهتزاز ربعه الآخر.

١٠- بعد ذي الكل ثلاث مرات: وهو ثلاثة دواوين موسيقية، ونسبته نسبة ثمانية الأمثال ٨ / ١ وهو حبس سبعة أثمان الوتر واهتزاز ثمنه الآخر.

١١- بزرك: كلمة فارسية معناها (الكبير)، وهي في الموسيقا العربية اسم نغمة في المنطقة الحادة، تسمع من العود بالإصبع البنصر على الوتر الخامس، وهي صياح النغمة المسماة في الطبقة الوسطى (سيكاه)، وتطلق (بزرك)أيضا على هيئة لحنية لجماعة أنغام مؤلفة تأليفا معينا، فيما يسميه أهل الصناعة مقام (بزرك) وهو اسم آخر لطريقة مقام (الماهور).

١٢- بوسلك: وتسمى هنا (أبو سلمك، والسلمك)، وهي تسمية اصطلاحية في الموسيقا لنغمة في الطبقة الوسطى تسمع من آلة العود فيما بين سبابة الوتر الثالث المسمى (دوكا)، وبين نغمة وسطاه، ويسمى أيضا باسم (بوسلك) هيئة لحنية تسمى (مقام بوسلك) في المنطقة الوسطى، مؤسسة على نغمة (دوكاه)، يستعمل فيها من الأجناس اللحنية الجنس ذو الأربعة المسمى (جنس بوسلك) وهو القوي الأرخى غير المتتالي، الذي يرتب فيه أصغر الأبعاد الثلاثة وسطا، وقد تسمى هذه الهيئة اللخنّية بمقام عشاق.

١٣- حجاز: اصطلاح في الموسيقا العربية، يطلق على النغمة الرابعة الزائدة قليلا بمقدار، بعد إرخاء مما يلي النغمة الرابعة الأساسية المسمى (جهاركاه)، وتؤخذ على العود بالإصبع البنصر على الوتر الثالث، ويسمى

باسم حجاز أو حجازي هيئة نغم في المنطقة الوسطى تؤسس على النغمة الأساسية (دوكاه) وهي نغمة مطلق الوتر الثالث في العود.

١٤- الحسيني: اصطلاح في الموسيقا العربية يطلق على النغمة التي تسمع من سبابة الوتر الرابع في العود، وهو (وتر النواة)، وسجاح هذه النغمة، أي نظيرتها بالقوة الأثقل هي نغمة (عشيران)، وتسمع من مطلق الوتر الثاني المسمى وتر (العشيران) وتسمى باسم (حسيني) أيضا، هيئة لحنية لجماعة نغم تعرف(بمقام الحسيني)، وتميز عند الإجراء باستعمال نغم الجنس القوي المرتكز على نغمة الحسيني، ثم تستقر على نغمة (دوكاه) التي هي مطلق الوتر الثالث في العود، ونغمة حسيني إذا لم تكن صياح مطلق وتر العشيران، فتحولت قليلا إلى جهة الثقل، فإنَّها تسمى باسم آخر فهي تارة باسم (شورى) وتارة باسم (حصار) وهذه تسمع من العود قريبا من الأنف على وتر النواة.

١٥- الدستان: جمعها دساتين ودستانات، كلمة فارسية معناها اليدان، واصطلاحا: موضع أصابع اليد على العود.

١٦- الراست: كلمة فارسية بمعنى مستقيم، تطلق اصطلاحا على هيئة لحنية لجماعة النغم الأساسية في الموسيقا العربية، التي تعرف بالجماعة المستقيمة، واصطلاحا راست، ويسمى بهذا الاسم أيضا نغمة أساس الجمع المسمّاة (يكاه)، وكذلك الجنس الأساسي ذو الأربع، وهو من أصناف الجنس القوي المتصل المسمى اصطلاحا (جنس الراست).

١٧- راهوي: يستعمل اصطلاحا في الموسيقا العربية على هيئة لحنية تؤخذ من جماعة نغم، تستقر على درجة (الراست) فيما يسمونه (مقام راهوي)، أو

(رهاوي)، واستعمال المحدثين لهذا النغم يشبه (مقام الراست) وأما المتوسطون فكانوا يطلقون اسم (راهوي) على ترتيب جماعة أخرى غير التي يستعملها المحدثون.

١٨- الشهرناز (وجاء باسم الشهناز) : وهو اسم فارسي، معناه (مدينة الدلع)، ويطلق اصطلاحا في الموسيقا العربية علي هيئة لحنية مركبة تبدأ من المنطقة الحادة بجنس الراست في الكردن، ثم بجنس الراست على النواه، على أن تجعل النغمة المسماة حسيني ظهيرا لجنس الراست النواه، ثم يختم بجنس البيات مؤسسا على الحسيني، وهو الجنس القوي غير المتتالي.

١٩- عراق : اصطلاح في الموسيقا العربية، تسمى به نغمة في المنطقة الثقيلة، تسمع في العود من مجنب سبابة الوتر الثاني المسمى وتر العشيران، ويختلف تحديد هذه النغمة باختلاف تسوية نغمة مطلق وتر العشيران، ونغمة صياحها بالقوة في المنطقة الوسطى، تسمى (أوج)، ويسمى أيضا باسم (عراق) هيئة اللحن الذي يستقر على هذه النغمة المسمى باسم (العراق) ،والجنس المميز للحن هذه الجماعة هو القوي المتصل الأشد غير المنتظم.

٢٠- عشاق : اسم آخر لهيئة اللحن المسمى في الموسيقا العربية مقام (بوسلك) الذي يستقر في المنطقة الوسطى على نغمة (دوكاه)، وهي نغمة مطلق الوتر الثالث في العود، وقد يسمى هذا باسم مقام (عشاق مصري)، تمييزا له عن المقام المشهور باسم (عشاق تركي) الذي يشبه مقام البيات.

٢١- الماخوري : ضرب من الإيقاعات الموسيقية العربية التي اشتهرت قديما، كان أهل الصناعة وقتذاك يعدونه هو بعينه (إيقاع خفيف الثقيل الثاني)، واسم

الماخوري مشتق عن تمخير الإيقاع، ليكون وسطا بين الحثيث من الإيقاعات والخفيف.

٢٢- محصور، أو محصور بالبنصر: اصطلاح موسيقي عند العرب المتوسطين، يطلق على هيئة ترتيب نغم الجنس الذي يستقر على نغمة بنصر الوتر ببعد بقية، وأما المشهور في تجنيس الأغاني في هذا الجنس، فهو مذهب إسحاق الموصلي.

٢٣- المحمول: اصطلاح في الموسيقا عند العرب المتوسطين، لتعريف نغم الجنس الذي يستقر على دستان الوسطى في العود، والأرجح أنهم يعنون الوسطى الفارسية أو مجنب الوسطى، فيشبه ما هو محمول بالوسطى بين السبابة والبنصر، وأما التعريف المشهور الذي يقابله عند القدماء على مذهب إسحاق الموصلي فهو مطلق في مجرى البنصر.

٢٤- المزموم: تجنيس من مصطلحات الأغاني، كان العرب المتوسطون يستعملونه لنغم الجنس الذي يستقر على نغمة سبابة الوتر في العود، مسبوقة بنغمة مجنب الوسطى، أو يستقر على نغمة مطلق الوتر مسبوقة بنغمة مجنبة.

٢٥- المطلق: اصطلاح في تجنيسات الأغاني عند العرب على مذهب إسحاق الموصلي، وهو أن للغناء مجريين في كل طبقة أحدهما منسوب إلى الوسطى والآخر منسوب إلى البنصر، فأيهما جعلت المجرى كانت الطبقة منسوبة إليه.

٢٦- المجنب: أنواع، مجنب السبابة، مجنب الوتر، مجنب الوسطى، وهو تعريف عربي قديم، وهو اسم دستان من دساتين العود تستخرج منه النغمة التي هي أقرب ثقلا إلى نغمة دستان السبابة.

٢٧– النوا (النوى) : اصطلاح يطلق على الوتر الرابع في العود، ويسمى أيضا (نواة)، وكذلك تسمى نغمة مطلقة، وهي الخامسة التامة في ترتيب النغمات الأساسية في المنطقة المتوسطة صعودا من الأولى المسماة (يكاه) أو (راست)، وتسمى باسم (نوا) أيضا هيئة لحنية لجماعة نغم تستقر على النغمة المسماة (دوكاه) فيما يعرف باسم (مقام نوا)، وهو من المقامات المركبة من حجاز النوا عند الاستهلال إلى المنطقة الحادة، وجنس الراست محولا على (الدوكاه) ثم التسليم بجنس البيات.

٢٨– الهزج : في الموسيقا العربية، الإيقاع الموصل ذو الزمان الواحد المتساوي بين كل نقرتين متواليتين.

أوتار العود وما يتعلق بها :

١– الاصطحاب : تسوية الأوتار (أي نصبها).

٢– الاصطحاب المعهود : مصاحبة مطلق كل وتر من مطلقات جميع أوتار العود،مع ما في جنبه على نسبة ذي الأربع ويسمى (شد أصل).

٣– الاصطحاب غير المعهود : وهو مصاحبة كل وتر من مطلقات الأوتار مع ما في جنبه على غير ذي الأربع ويسمى (شد غير أصل).

٤– مطلق الوتر : العزف على الوتر بدون جس.

٥– البم : اسم الوتر الأعلى من العود. وبم : كلمة فارسية معناها الغليظ.

٦– المَثْلَث : (على وزن مطلب) اسم الوتر الثاني من الأعلى.

٧– المَثْنَى : (على وزن معنى) اسم الوتر الثالث من الأعلى.

٨- الزير: اسم الوتر الأول من الأسفل. وزير: كلمة فارسية مناها أسفل.

٩- ثقل النغمة: قرار النغمة.

١٠- حدة النغمة: جواب النغمة.

١١- أرقام الكسور الاعتيادية المستعملة في نسب الأبعاد: الرقم المقامي يمثل طول الوتر، والرقم البسطي يمثل طول الوتر المهتز، والعدد الفارق بينهما يمثل طول الوتر المحبوس، فمثلا: ٤ / ٣ ويطلق عليه كل وثلث كل، لأن الأربعة هي كل الثلاثة وثلثها، فالأربعة تمثل طول الوتر بصورة عامة، الثلاثة تمثل طول الوتر المهتز، والفارق بينهما وهو العدد واحد من الأربعة طول الوتر المحبوس، وهو ربع الأربعة، أي ربع الوتر. وقد استعمل بعض القدماء ومنهم اللاذقي (صاحب الرسالة الفتحية في الموسيقا) الأنغام بواسطة الحروف الأبجدية، فالحروف العشرة الأبجدية الأولى وهي (أ ب ج د هـ و ز ح ط ي)، وإضافة الحرف العاشر الذي هو الياء إلى الحروف التسعة الباقية فتكون (يا يب يج يد يه يو يز يح يط). ثم بإضافة الحروف التسعة إلى حرف الكاف الذي رقمه عشرون، وهكذا بإضافة الحروف تسعة إلى الحروف ذات الأرقام العشرية، فاللام ثلاثون، والميم أربعون والنون خمسون.

أسماء النوتات العربية وما يقابلها في النوتات العالمية التي استعملها اللاذقي في كتاب الرسالة الفتحية

رموز نغمات اللاذقي	رموز النوتة العربية	ما يقابلها من رموز النوتة العالمية
١ – أ	عشيران	لا
٢– ب	عشيران عجم	سي بيمول
٣– ج	عراق (+)	سي كاربيمول (+)
٤– د	كواشت	سي
٥– هـ	رست	دو
٦– و	زير كولاه (–)	دوديز (–)
٧– ز	زيركولاه	دوديز
٨– ح	دو كاه	ره
٩– ط	كوردي	مي بيمول
١٠– ي	سيكاه (+)	مي (–)
١١– يا	بوسليك	مي
١٢– يب	نيم حجاز	فا كار ديز
١٣– يج	حجاز	فاديز
١٤– يد	حجاز (+)	فاديز (+)
١٥– يه	نوى	صول
١٦– يو	حصار	لابيمول
١٧– يز	تك حصار	لا كار بيمول (+)

١٨- يح	حسيني	لا
١٩- يط	عجم	سي بيمول
٢٠- ك	أوج (+)	سي كاربيمول (+)
٢١- كا	ماهور	سي
٢٢- كب	كردان	دو
٢٣- كج	شهناز (-)	دوديز (-)
٢٤- كد	شهناز	دوديز
٢٥- كه	محيَّر	ره
٢٦- كو	سنبلة	مي بيمول
٢٧- كز	بزرك (+)	مي (-)
٢٨- كح	جواب بوسيلك	مي
٢٩- كط	جواب نيم حجاز	فاكارديز
٣٠- ل	جواب حجاز	فاديز
٣١- لا	جواب تك حجاز (-)	فاديز (+)
٣٢- لب	سهم	صول
٣٣- لج	جواب حصار	لا بيمول
٣٤- لد	جواب تك حصار (+)	لا كار بيمول (+)
٣٥- له	جواب حسيني	لا

الدوائر النغمية المشهورة ولكل دائرة لها نغماتها المعروفة لدى الموسيقيين وهي اثنتا عشرة دائرة هي:

عشاق، نوى، بوسليك، راست، عراق، أصفهان، زايرافكند، بزرك، زنكولة، راهوي، حسيني، حجازي.

ومن المصطلحات التي ترد في الكتاب وأكثرها من أصول فارسية:

كان القدماء يسمون بعض الألحان المشهورة في زمانهم مقاما، وبعضها أوازه وبعضها شعبة:

المقام: كان المقام يسمى بأسماء الأصابع والدساتين والطرائق، ثم أطلق عليه شد أو دور، ثم أُطّلِقَ عليه اسم مقام، وأول من ذكر اسم (مقام) هو قطب الدين محمود بن مسعود بن مصلح الشيرازي (ت ٧١٠هـ) في كتابه (درة التاج لغرة الديباج).

الأواز: أصل كلمة (أوازه) فارسية معناها الصوت، أو جماعة نغم محددة، ويعني جلبة أو شهرة، واصطلاحا: هو ما يتفرع من مقامين، قال بدر الدين الأربلي (ت ٧٥٥ هـ):

وفَــرَّعُــوا مِنْ كُلِّ شَـدَّيْنِ نغمْ ... سَــمَّــوهُ أوازا فَـبَـعْضُ قَــدْ رسمْ

ويتفرع من الأواز ستة أنغام:

الأول: كوشت، وهو عشر نغمات مشتملة على تسعة أبعاد.

الثاني: نوروز، ونوروز اسم فارسي معناه (اليوم الجديد)، وهو اسم لمقام خاص يستقر على درجة العجم، والنوروز عندهم على نوعين، أحدهما ما يكون

أربع نغمات مشتملة على ثلاثة أبعاد، ويسمى هذا بنوروز أصل صغير ونغمته بالنوتة الحديثة (ره دو سي)، وثانيهما ما يكون سبع نغمات مشتملة على ستة أبعاد، ويسمى هذا بنوروز كبير.

الثالث: سلمك، وهو إحدى عشرة نغمة مشتملة على عشرة أبعاد، وسلمك اسم فارسي، وهو سلم لطريقة مقام الراست.

الرابع: كردانية، وهو ثماني نغمات مشتملة على سبعة أبعاد.

الخامس: مايه، وهو أربع نغمات مشتملة على ثلاثة أبعاد، وماية كلمة فارسية معناها (الخميرة).

السادس: شهناز، وهو سبع نغمات مشتملة على ستة أبعاد، وشهناز: كلمة فارسية مؤلفة من كلمتين، شاه: معناها الملك، وناز: معناها المدلل. ويكون المعنى: (الملك المدلل).

الشعبة: هيئة انتقالية على نغمات المقام على وجه مخصوص، وسميت شعبة لتشعبها من المقام، وهي أربع وعشرون:

الشعبة الأولى: دوكاه، وهي كل نغمتين مشتملتين على بعد طنيني، ودوكاه: كلمة فارسية مركبة من كلمتين: دو بمعنى اثنين وكاه بمعنى مقام أي المقام الثاني، وهكذا بقية المقامات السيكاه والجهاركاه والبنجكاه بمعنى المقام الثالث والرابع والخامس وهكذا.

الشعبة الثانية: سه كاه، وهي ثلاث نغمات مشتملة على بعد طنيني في الأثقل ومجنب في الأحد.

الشعبة الثالثة: جاركاه، وهو قسم رابع من الأقسام السبعة (أي أقسام الطبقة

الثانية) المستعملة من الأحد، فيكون أربع نغمات محيطة بثلاثة أبعاد، ويسمى هذا بجاركاه ذي الأربع أيضا.

الشعبة الرابعة وهي على نوعين:

أحَدُهما بنجكاه أصل، وهو قسم رابع لذي الخمس (أي القسم الرابع من الطبقة الثانية) فيكون خمس نغمات محيطة بأربعة أبعاد.

وثانيهما: بنجاكاه زايد، وهو قسم ثامن لذي الخمس، فيكون ست نغمات محيطة بأربعة أبعاد.

الشعبة الخامسة: عشيرا، وهو ست نغمات مشتملة على خمسة أبعاد، ويصدق عليه أنه حسيني محطه يكاه.

الشعبة السادسة: نوروز عرب، وهو ست نغمات مشتملة على خمسة أبعاد.

الشعبة السابعة: ماهور (وما هور كلمة فارسية معناها الهلال)، وهي على نوعين: أحَدُهما ما هور صغير، وهو قسم أخير من أقسام الطبقة الثانية (أي القسم الثالث عشر من أقسام الطبقة الثانية)، فيكون هو خمس نغمات مشتملة على أربعة أبعاد.

وثانيهما: ماهور كبير، وهو ثماني نغمات مشتملة على سبعة أبعاد.

الشعبة الثامنة: نوروز خارا، وهو ست نغمات مشتملة على خمسة أبعاد.

الشعبة التاسعة: نوروز بياني، وهو خمس نغمات.

الشعبة العاشرة: حصار، وهو ثماني نغمات محيطة بسبعة أبعاد.

الشعبة الحادية عشرة: نهفت (نهفت كلمة فارسية معناها الخفي المستور)، وهو

ثماني نغمات مشتملة على سبعة أبعاد.

الشعبة الثانية عشرة: عزال، وهو قسم سادس من أقسام ذي الخمس، فيكون هو خمس نغمات مشتملة على أربعة أبعاد، وهو حجازي عند القدماء مع بعد طنيني في الأحد، فيصدق عليه أنه دوكاه محطة حجازي.

الشعبة الثالثة عشرة: أوج (أوج معناه الأعلى، وبالفارسي (أويج) والأوج نغمة من نغمات السلم الموسيقي الشرقي وهو جواب نغمة العراق) وهو ثماني نغمات مشتملة على سبعة أبعاد.

الشعبة الرابعة عشرة: نيريز (نيريز مقام من المقامات الشرقية التي تستقر على درجة الرست) وهو على نوعين:

أحدهما نيريز صغير: وهو القسم الثاني عشر من أقسام ذي الخمس، فيكون خمس نغمات مشتملة على أربعة أبعاد، فيصدق عليه أنه حجازي عند القدماء محطه يكاه.

وثانيهما: نيريز كبير، وهو ثماني نغمات محيطة بسبعة أبعاد.

الشعبة الخامسة عشرة: مبرقع، وهو كل نغمتين مشتملتين على بعد مجنب.

الشعبة السادسة عشرة: ركب، وهو ثلاث نغمات مشتملة على بعدين مجنبين.

الشعبة السابعة عشرة: صبا (الصبا مقام من المقامات الشرقية التي تستقر على درجة الدوكاه، ونغماته: ماهوران بوسليك شهنازا محير كردان عجم حسيني صبا جهاركاه سيكاه دوكاه صعودا) وهو خمس نغمات مشتملة على أربعة أبعاد.

الشبة الثامنة عشرة: همايون، وهو سبع نغمات محيطة بستة أبعاد.

الشعبة التاسعة عشرة: زوالي وهو سيكاه بشرط أن يضاف إلى أحده بعد الإرخاء وهو بعد ربع الطنيني.

الشعبة العشرون: أصفهانك (والأصفهانك مقام من المقامات الشرقية التي تستقر على درجة الدوكاه)، وهو خمس نغمات مشتملة على أربعة أبعاد.

الشعبة الحادية والعشرون: بستة نكار (البستة نكار مقام من المقامات الشرقية التي تستقر على درجة العراق، ونغماته: (شهناز أو محير كردان عجم حسيني صبا جهاركاه سيكاه دوكاه رست عراق صعودا) وهو ثماني نغمات مشتملة على سبعة أبعاد.

الشعبة الثانية والعشرون: نهاوند (النهاوند مقام من المقامات الشرقية التي تستقر على درجة الرست، وسلمه: كردان نيم ماهرو حصار نوى جهاركاه كردي دوكاه رست صعودا) وهو ثماني نغمات مشتملة على سبعة أبعاد.

الثالثة والعشرون: خوزي، وهو ست نغمات مشتملة على خمسة أبعاد.

الشعبة الرابعة والعشرون: محيّر (المحير درجة من درجات السلم الموسيقي الشرقي وهو جواب الدوكاه، وسلمه: محير كردان أوج حسيني نوى جهاركاه سيكاه دوكاه صعودا)، وهو ثماني نغمات مشتملة على سبعة أبعاد.

المقامات وصلتها بالأبراج وتأثيراتها :

المقامات :

الأول : راست، وهو منسوب إلى برج الحمل فطبيعته ناري (راست كلمة فارسية معناها : المستقيم، واصطلاحا : هو السلم الموسيقي الطبيعي للموسيقا الشرقية).

الثاني : عراق وهو منسوب إلى الثور فطبيعته ترابي، وهو ثلاث نغمات مشتملة على المجنب في الأثقل، والطنيني من الأحد إلى الأثقل.

الثالث : أصفهان وهو منسوب إلى الجوزاء فطبيعته هوائي.

الرابع : زيرافكند (زيرافكند جملة فارسية معناها : لأن يسقط) ويقال له عند بعضهم كوجاك (كوجاك : كلمة فارسية تركية معناها : صغير) وأرباب الموشح (الموشح أحد الفنون الشعرية السبعة التي هي : الشعر والموشح والمواليا والزجل والدوبيت والقوما والكان كان) يقولونه محبة الأنغام، وهو منسوب إلى السرطان فطبيعته مائي.

الخامس : برزك

السادس : زنكولة (زنكولة : كلمة فارسية معناها : جرس صغير) وهو منسوب إلى السنبلة، فطبيعته ترابي.

السابع : راهوي، وهو منسوب إلى الميزان، فطبيعته هوائي.

الثامن : حسيني، وهو منسوب إلى العقرب، فطبيعته مائي (كما يطلق على الحسيني سابقا شِشكاه).

التاسع: حجازي، وهو منسوب إلى القوس، فطبيعته ناري.

العاشر: أبوسه ليك (أبوسه ليك: جملة تركية معناها: اللثم الخفيف)، وهو منسوب إلى الجدي، فطبيعته ترابي.

الحادي عشر: نوى، وهو منسوب إلى الدلو فطبيعته هوائي.

الثاني عشر: عشاق (عشاق مقام من المقامات الشرقية التي تستقر على درجة الدوكاه) وهو منسوب إلى الحوت، فطبيعته مائي.

الإيقاعات الموسيقية القديمة وعددها اثنا عشر وهي:

١- الثقيل الأول أو الورشان	= ١٦ نقرة.
٢- برافشان	= ١٧ نقرة.
٣- الثقيل الثاني	= ١٦ نقرة.
٤- خفيف الثقيل	= ١٦ نقرة.
٥- ثقيل الرمل	= ٢٤ نقرة.
٦- خفيف الرمل	= ١٠ نقرات.
٧- الهزج الكبير	= ١٠ نقرات.
٨- الهزج الصغير	= ٦ نقرات.
٩- الرمل	= ١٢ نقرة.
١٠- الفاختي الصغير	= ١٠ نقرات.

١١– الفاختي الكبير	= ٢٠ نقرة.
١٢– الفاختي الأكبر	= ٢٨ نقرة.

الإيقاعات عند المتأخرين وعددها عشرون إيقاعا وهي:

١– الثقيل	= ٤٨ نقرة.
٢– الخفيف	= ٣٢ نقرة.
٣– سه ضرب طويل	= ٣٢ نقرة.
٤– سه ضرب صغير	= ١٦ نقرة.
٥– أوسط كبير	= ٢٤ نقرة.
٦– أوسط صغير	= ١٢ نقرة.
٧– جهار ضرب	= ٩٦ نقرة.
٨– الفاختي الصغير	= ١٠ نقرات.
٩– ضرب إنكيز أوروان	= ١٠ نقرات.
١٠– عمل أو تركي ضرب	= ١٤ نقرة.
١١– رمل طويل	= ٢٤ نقرة.
١٢– رمل قصير	= ٢٤ نقرة.
١٣– سرندان	= ١٠ نقرات.
١٤– صماعي	= ١٠ نقرات.

١٥- جر ثقيل أو نيم ثقيل	= ٢٤ نقرة.
١٦- روان	= ٨ نقرات.
١٧- محجل	= ٥٦ نقرة.
١٨- ضرب الفتح	= ٨٨ نقرة.
١٩- برافشان	= ١٧ نقرة.
٢٠- أزج أو سريع الهزج	= هو كل جماعة نقرات بينها أزمنة (أ).

أسماء المقامات وما يتصل بها ومعانيها باللغة الفارسية:

الماهور: كلمة فارسية معناها: الهلال.

الراست: كلمة فارسية معناها: المستقيم.

السوزناك: كلمة فارسية معناها: المؤلم.

النيروز او النوروز: كلمة فارسية معناها: عيد الربيع.

الماية المغربية: كلمة فارسية معناها: الخميرة.

دلنشين: كلمة فارسية معناها: ساكن القلب.

النهاوند: اسم مدينة فارسية، ويسمى هذا المقام في الجزائر رهاوي أو ساحلي، وفي تونس: محير سيكاه، وفي تركيا: بوسلك أو سلطاني يكاه أو فرح فزا، وعند الفرس: أصبهان.

النكريز: كلمة فارسية معناها: لا تهرب.

الحجاز كار: كلمة فارسية معناها: عمل الحجاز.

الزنكولا: كلمة فارسية معناها: جرس الرأس.

الشاهناز: كلمة فارسية معناها: دلال السلطان.

الهمايون: كلمة فارسية معناها: المبارك.

البسته نكار: كلمة فارسية معناها: رابط المحبوب.

الزيرفكند: كلمة فارسية معناها: زير أسفل أو قديم.

زنكلاه: كلمة فارسية معناها: حبشي.

بزرك: كلمة فارسية تركية بمعنى: عظيم أو كبير.

يكاه: كلمة فارسية مركبة من لفظين أولهما (يك) ومعناه واحد، والثاني (كاه) ومعناه مقام أو درجة صوتية.

دوكاه: كلمة فارسية معناها: المقام الثاني.

سيكاه: كلمة فارسية معناها: المقام الثالث.

جهار كاه: كلمة فارسية معناها: المقام الرابع.

بنج كاه: كلمة فارسية معناها: المقام الخامس.

ششكاه: كلمة فارسية معناها: المقام السادس.

هفتكاه: كلمة فارسية معناها: المقام السابع.

المصادر والمراجع:

أفدنا من الكتب الآتية في هذه المصطلحات:

الأرموي: صفي الدين عبدالمؤمن الأرموي البغدادي (ت ٦٩٣ هـ) ـ الرسالة الشرفية في النسب التأليفية، نسخة مخطوطة بمكتبة برلين الغربية برقم (٥٥٠٦)، حققه الحاج هاشم محمد الرجب، وزارة الثقافة، بغداد.

الخوارزمي: محمد بن أحمد بن يوسف (ت ٣٨٧هـ) ـ مفاتيح العلوم.

صالح المهدي: مقامات الموسيقا العربية، نشر المعهد الرشيدي للموسيقى التونسية، تونس د. ت.

فارمر: هنري جورج ـ تاريخ الموسيقا العربية حتى القرن الثالث عشر الميلادي، ترجمة وتعليق جرجيس فتح الله المحامي، ط مكتبة دار الحياة، بيروت ١٩٥٥م.

اللاذقي: محمد بن عبدالحميد (ت بعد ٨٨٨ هـ) ـ الرسالة الفتحية في الموسيقا، تحقيق وشرح الحاج هاشم محمد الرجب، ط المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ١٩٨٦م.

مجهول المؤلف (من القرن ١١هـ): الشجرة ذات الأكمام الحاوية لأصول الأنغام، تحقيق وشرح غطاس عبدالملك خشبة وإيزيس فتح الله، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٣م.

محمد شفيق غربال وآخرون: الموسوعة العربية الميسرة، طبعة مصورة، دار التراث العربي، بيروت ١٩٨٧م.

مصادر التحقيق

- أزهار الرياض في أخبار عياض ـ المقَّري: أحمد بن محمد (ت ١٠٤١ هـ).

طبعت ثلاثة أجزاء من أربعة في مصر ٥٨ ـ ١٣٦١هـ.

- أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم ـ الصولي: أبو بكر محمد بن يحيى (ت ٣٣٥هـ).

وهو جزء من كتاب الأوراق، نشر هيورث دن، ط مصر ١٣٥٥ هـ/ ١٩٣٦م.

- الإصابة في تمييز الصحابة ـ ابن حجر العسقلاني: أحمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ).

ط السعادة مصر ١٣٢٩ هـ، وتحقيق علي محمد البجاوي، ط مصر ١٩٧١م.

- الأعلام ـ الزركلي: خير الدين بن محمود بن محمد (ت ١٣٩٦ هـ).

الطبعة الثالثة، بيروت ١٣٨٩ هـ/ ١٩٦٩م.

- أعلام النساء ـ كحالة: عمر رضا.

ط دمشق ١٣٥٩ هـ.

- الأغاني ـ الأصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسين الأموي (ت ٣٦٠ هـ).

ط دار الكتب المصرية، وط ساسي، وط دار الكتب العلمية، بيروت.

- الإماء الشواعر ـ الأصفهاني: أبو الفرج (السابق).

تحقيق جليل العطية، ط دار النضال، بيروت ١٩٨٤م.

- أمراء البيان ـ كرد علي: محمد بن عبد الرزاق (ت ١٣٧٢ هـ/ ١٩٥٣م).

ط مصر ١٣٥٥ هـ/ ١٩٣٧م.

- إنباه الرواة على أنباه النحاة ـ القفطي: جمال الدين علي بن يوسف (ت ٦٤٦ هـ).

ط دار الكتب المصرية ٥٠ ـ ١٩٥٥م.

- البداية والنهاية ـ ابن كثير: الحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ).

ط السعادة، مصر ١٩٣٢م، وط مكتبة المعارف بيروت ١٩٦٦م.

- بدائع الزهور في وقائع الدهور ـ ابن إياس: محمد بن أحمد بن إياس الحنبلي (ت ٩٣٠ هـ).

الأجزاء الثلاثة الأولى، ط في مصر ١٣١١ هـ والرابع والخامس، ط في إستانبول ٣١ ـ ١٩٣٢م.

- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ـ السيوطي: جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ).

ط مصر ١٣٢٩ هـ، وتحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، ط القاهرة ١٩٦٤م.

- البيان والتبيين ـ الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ).

تحقيق عبدالسلام هارون، ط مكتبة الخانجي، مصر ١٩٦٨م.

- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ـ ابن عذاري المراكشي: محمد بن محمد (ت ٦٩٥ هـ).

أربعة أجزاء طبع الأول والثاني في ليدن ٤٨ ـ ١٩٥١م، والثالث في باريس ١٩٣٠م، والرابع في تطوان ١٩٥٦م.

- تاريخ الإسلام وطبقات مشاهير الأعلام ـ الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨ هـ).

ط السعادة، مصر ٦٧ ـ ١٩٦٩م.

- تاريخ ابن الوردي ـ ابن الوردي: زين الدين عمر بن مظفر (ت ٧٤٩ هـ).

ط دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٦م.

- تاريخ بغداد ـ الخطيب البغدادي: أحمد بن علي (ت ٤٦٣ هـ).

ط مصر ١٣٤٩ هـ، وط دار الكتاب العربي، بيروت.

- تاريخ التراث العربي ـ فؤاد سزكين.

الترجمة العربية، ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ١٩٨٣م.

- تاريخ ابن خلدون (العبر وديوان المبتدأ والخبر) ـ ابن خلدون: عبدالرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ).

ط مصر ١٢٨٤ هـ، وط مصر ١٣٥٥ هـ.

- تاريخ الطبري ـ الطبري: محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ).

ط الحسينية، القاهرة ١٩٣٩م، وتحقيق محمد أبو الفضل، ط دار المعارف، مصر ٦٠ ـ ١٩٦٩م.

- تاريخ الموسيقا العربية ـ فارمر: هنري جورج.

ترجمة فتح الله جرجيس، ط دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٥٥ .

- تاريخ الموسيقا العربية وآلاتها ـ شعراني: منى سنجقدار.

ط بيروت ١٩٨٧م.

- تاريخ ابن الوردي (تتمة المختصر في أخبار البشر) ـ ابن الوردي : عمر بن المظفر (ت ٧٤٩ هـ) .

ط مصر ١٢٨٥ هـ.

- تهذيب تاريخ دمشق ـ (تاريخ دمشق لابن عساكر) : أبو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله (ت ٥٧١ هـ) .

عبدالقادر بدران، ط دمشق ١٣٢٩ ـ ١٣٥١ هـ.

- تهذيب التهذيب ـ ابن حجر العسقلاني : شهاب الدين أحمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ) .

ط حيد أباد، الهند ٢٥ ـ ١٣٢٧ هـ.

- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ـ الثعالبي : أبو منصور عبدالملك بن محمد النيسأبوري (ت ٤٢٩ هـ)

تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط نهضة مصر، القاهرة ١٣٨٤ هـ/ ١٩٦٥م.

- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ـ الحميدي : محمد بن فتوح بن عبدالله الأزدي (ت ٤٨٨ هـ) .

ط مصر ١٣٧٢ هـ/ ١٩٥٢م.

- جمهرة أشعار العرب ـ أبو زيد القرشي : محمد بن الخطاب (ت أواخر القرن الرابع هـ) .

تحقيق محمد علي الهاشمي، ط الرياض ١٩٨١م.

- حلية المحاضرة ـ الحاتمي : محمد بن الحسن (ت ٣٨٨ هـ) .

تحقيق جعفر كتاني، ط بغداد ١٩٧٩م.

- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة ـ ابن الفوطي : عبدالرزاق بن أحمد (ت ٧٢٣ هـ).

طبع قسم منه في بغداد ١٣٥١ هـ.

- خريدة القصر ـ العماد الأصبهاني : محمد بن محمد (ت ٥٩٧ هـ).

قسم شعراء مصر طبع في مصر ١٩٥١م، وقسم شعراء الشام طبع في دمشق ١٩٩٥م، وقسم شعراء العراق طبع في بغداد ١٩٥٥م.

- خزانة الأدب ـ البغدادي : عبدالقادر بن عمر (ت ١٠٩٣ هـ).

ط السلفية مصر ١٣٤٧ هـ، وتحقيق عبدالسلام هارون، ط القاهرة ١٩٦٨م.

- الخط والكتابة في الحضارة العربية ـ الجبوري : يحيى وهيب.

ط دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٤م.

- الدر الفريد وبيت القصيد ـ محمد بن أيدمر (ت النصف الثاني من القرن السابع هـ).

مخطوط، تصوير معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، فرانكفورت ٨٨ ـ ١٩٨٩م.

- الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ـ زينب فواز.

ط مصر ١٣١٢ هـ.

- دول الإسلام (تاريخ دول الإسلام) ـ رزق الله منقريوس.

ط مصر ١٩٠٧م.

– دول الإسلام ـ الذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ).
جزآن طبع حيدر أباد، الهند ١٣٣٧ هـ.
– الديارات ـ الشابشتي: علي بن محمد (ت ٣٨٨ هـ).
تحقيق كوركيس عواد، ط بغداد ١٩٥١م.
– ديوان أبي تمام ـ ط دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٩٤م.
– ديوان الأحوص الأنصاري ـ تحقيق عادل سليمان ط ٢ القاهرة ١٩٩٠، وط دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٩٤م.
– ديوان إسحاق الموصلي ـ جمع وتحقيق ماجد العزي، ط بغداد ١٩٧٠م.
– ديوان الأعشى ميمون بن قيس ـ نشر أدولف هلز هوسن، ط بيانة ١٩٢٧م تصوير بيروت ١٩٩٣م.
وتحيق محمد محمد حسين، ط مصورة بيروت ١٩٨٣م.
– ديوان امرئ القيس ـ تحقيق محمد أبو الفصل إبراهيم، ط دار المعارف، القاهرة ١٩٨٤م.
– ديوان أمية بن أبي الصلت ـ تحقيق بهجة عبدالغفور الحديثي، ط وزارة الثقافة، بغداد ١٩٩١م.
– ديوان الباخرزي ـ تحقيق محمد ألتونجي، ط صادر بيروت ١٩٩٤م.
– ديوان البحتري ـ ط دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧م.
– ديوان بشار بن برد ـ تحقيق محمد بدر الدين العلوي، ط دار الثقافة، بيروت ١٩٦٣م، وتحقيق محمد الطاهر بن عاشور، ط تونس ١٩٧٦م.

- ديوان البهاء زهير ـ تحقيق محمد طاهر الجيلاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم، ط ٢ دار المعارف، مصر.

- ديوان تميم بن أبي بن مقبل ـ تحقيق عزة حسن، ط وزارة الثقافة، دمشق ١٩٦٢م.

- ديوان أبي تمام ـ شرح التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام ط دار المعارف، مصر، وط دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٩٤م.

- ديوان توبة بن الحُميّر الخفاجي ـ جمع وتحقيق خليل العطية، ط بغداد ١٩٦٨م.

- ديوان التهامي ـ ط المكتب الإسلامي دمشق ١٩٦٤م.

- ديوان جرير بن عطية بن الخطفى ـ ط ٢ دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٩٤م.

- ديوان جميل بثينة (جميل بن معمر العذري) ـ ط عالم الكتب بيروت ١٩٩٦م.

- ديوان حاتم الطائي ـ ط دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٩٧م.

- ديوان حسان بن ثابت ـ تحقيق وليد عرفات، ط صادر بيروت ١٩٧٤م.

- ديوان الحماسة (حماسة أبي تمام الطائي) ـ تحقيق عبدالله عسيلان، ط الرياض ١٩٨١م.

- ديوان الخالديين ـ تحقيق سامي الدهان، ط مجمع اللغة العربية، دمشق ١٩٦٩م.

- ديوان الخوارج ـ جمع وتحقيق إحسان عباس، ط دار الشروق بيروت ١٩٨٢م.

- ديوان دعبل الخزاعي ـ تحقيق عبدالكريم الأشتر، ط دمشق ١٩٨٣م.

- ديوان ابن الدمينة ـ صنعة أبي العباس ثعلب، تحقيق أحمد راتب النفاخ، ط

مكتبة دار العروبة، القاهرة ١٩٥٩م.

- ديوان أبي دهبل الجمحي ـ تحقيق عبدالعظيم عبدالمحسن، ط النجف ١٩٧٢م.

- ديوان ذي الرمة ـ تحقيق عبدالقدوس أبي صالح، ط بيروت ١٩٩٣م، وط المكتب الإسلامي دمشق.

- ديوان ابن الرومي ـ ط دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٤م.

- ديوان زهير بن أبي سلمى ـ صنعة أبي العباس ثعلب، ط دار الكتب المصرية، ط القاهرة ١٩٤٤م.

صورتها الدار القومية، القاهرة ١٩٦٤م.

- ديوان السري الرفاء ـ ط مكتبة القدسي، القاهرة ١٣٥٥ هـ، وط دار الجيل بيروت ١٩٩١م.

- ديوان الشريف المرتضى ـ تحقيق رشيد الصفار، ط المؤسسة الإسلامية، بيروت ١٩٨٧م.

- ديوان الصنوبري ـ تحقيق إحسان عباس، ط دار الثقافة بيروت ١٩٧٠م.

- ديوان الطرماح ـ تحقيق عزة حسن، ط دار الشروق، بيروت ١٩٩٤م.

- ديوان الطغرائي ـ تحقيق يحيى الجبوري وعلي جواد الطاهر، ط دار الحرية، بغداد ١٩٧٦، ودار القلم الكويت ١٩٨٣م.

- ديوان العباس بن الأحنف ـ ط دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٩٧م.

- ديوان عبدالله بن المعتز ـ صنعة الصولي، تحقيق يونس السامرائي، ط عالم الكتب، بيروت ١٩٩٧م.

- ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات ـ تحقيق محمد يوسف نجم، ط صادر، بيروت د. ت.
- ديوان أبي العتاهية ـ ط ٢ دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٩٧م.
- ديوان العرجي ـ جمع الجبيلي، ط صادر، بيروت ١٩٩٨م.
- ديوان عروة بن حزام ـ ط دار الجيل، بيروت ١٩٩٥م.
- ديوان علي بن الجهم ـ تحقيق خليل مردم، ط بيروت ١٩٨٠م.
- ديوان عمر بن أبي ربيعة ـ شرح محمد محيي الدين عبدالحميد، ط دار السعادة، مصر ١٩٦٥م.
- ديوان عنترة ـ ط دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٥م.
- ديوان أبي فراس الحمداني ـ تحقيق محمد ألتونجي، دمشق ١٩٨٧م.
- ديوان القطامي ـ تحقيق السامرائي ومطلوب، ط دار الثقافة بيروت ١٩٦٠م.
- ديوان قيس بن الخطيم ـ تحقيق ناصر الدين الأسد، ط ٣ صادر، بيروت ١٩٩١م.
- ديوان قيس بن ذريح ـ تحقيق عفيف حاطوم، ط صادر، بيروت ١٩٩٨م.
- ديوان كثير عزة ـ تحقيق إحسان عباس، ط دار الثقافة، بيروت ١٩٩٨م. وط دار الجيل بيروت ١٩٩٥م.
- ديوان كشاجم ـ تحقيق خيرية محفوظ، ط وزارة الإعلام، بغداد ١٩٧٠م.
- ديوان الكميت بن زيد ـ تحقيق داود سلوم، ط عالم الكتب، بيروت ١٩٩٧م.
- ديوان المتنبي ـ شرح أبي البقاء العكبري، تحقيق السقا والأبياري وشلبي ط مصورة طبعة القاهرة، دار المعرفة بيروت، وشرح البرقوقي، القاهرة ١٩٣٠م.

– ديوان مجنون ليلى (قيس بن الملوح) ـ تحقيق عبدالستار فراج، ط مصر د. ت.، وط عالم الكتب، بيروت ١٩٩٦م.

– ديوان مروان بن أبي حفصة ـ ط دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٩٣م.

– ديوان مسلم بن الوليد ـ تحقيق سامي الدهان، ط دار المعارف، مصر ١٩٧٠م.

– ديوان المعتمد بن عباد ملك أشبيلية ـ جمع وتحقيق رضا السويسي، ط الدار التونسية للنشر ١٩٧٥م.

– ديوان النابغة الذبياني ـ تحقيق ابن عاشور، ط الشركة التونسية ١٩٧٦م.

– ديوان ابن هرمة ـ تحقيق محمد نفاع وحسين عطوان، ط مجمع اللغة العربية، دمشق ١٩٦٩م.

– ديوان الوأواء الدمشقي ـ تحقيق سامي الدهان، ط صادر، بيروت ١٩٩٧ .

– الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ ابن بسام: علي بن بسام الشنتريني الأندلسي (ت ٥٤٢ هـ).

أقسام منه في ثلاثة أجزاء طبعت بمصر سنة ٥٨ ـ ١٣٦٤هـ.

– ذيل تاريخ بغداد ـ ابن النجار: محيي الدين محمد بن محمود (ت ٦٤٣ هـ).

مخطوطة الظاهرية دمشق، التاريخ ٤٢، ومخطوطة المكتبة الوطنية، باريس ٢١٣١ .

– زبدة الحلب من تاريخ حلب ـ ابن العديم: عمر بن أحمد العقيلي (ت ٦٦٠ هـ).

تحقيق سامي الدهان، طبع المعهد الفرنسي للدراسات العربية ٥١ ـ ١٩٨٥م.

- الرسالة الفتحية في النسب التأليفية ـ الأرموي: صفي الدين عبدالمؤمن البغدادي (ت ٦٩٣ هـ).

تحقيق هاشم محمد الرجب، ط وزارة الثقافة، بغداد.

- الرسالة الفتحية في الموسيقا ـ محمد بن عبد الحميد اللاذقي (ت ٨٨٨ هـ).

تحقيق وشرح هاشم محمد الرجب، ط الكويت ١٩٨٦م.

- رسوم دار الخلافة ـ الصابي: أبو الحسن هلال بن المحسن (ت ٤٤٨ هـ).

تحقيق ميخائيل عواد، ط بغداد ١٩٦٤م.

- رغبة الآمل من كتاب الكامل ـ سيد بن علي المرصفي (ت ١٣٤٩هـ).

ط مصر ٤٦ ـ ٤٨، وط ٢ صوّرتها مكتبة البيان، بغداد ١٩٦٩م.

- زهر الآداب ـ الحصري: إبراهيم بن علي القيرواني (ت ٤٥٣ هـ).

تحقيق علي محمد البجاوي، ط القاهرة ١٣٦٢ هـ/ ١٩٥٣م.

- سمط الآلي ـ أبو عبيد عبدالله بن عبد العزيز البكري (ت ٤٧٨ هـ).

تحقيق عبدالعزيز اليمني، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٣٦م.

- السلوك لمعرفة دول الملوك ـ المقريزي: أحمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ).

طبع الجزء الأول في مصر ٣٤ ـ ١٩٣٩م، والقسم الأول من الجزء الثاني ط مصر ١٩٤١م.

- الشجرة ذات الأكمام الحاوية لأصول الأنغام ـ مجهول المؤلف.

تحقيق وشرح غطاس عبدالملك خشبة وإيزيس فتح الله، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٣م.

– شذرات الذهب ـ ابن العماد الحنبلي : عبدالحي بن أحمد (ت ١٠٨٩ هـ).

ط القاهرة ١٣٥٠ هـ. وط دمشق ـ بيروت ١٩٩٢م.

– شرح المعلقات العشر ـ الشنقيطي : أحمد بن الأمين (ت ١٣٣١ هـ).

ط دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٥م.

– شعر أعشى همدان ـ ضمن شعر الأعشى والأعشين.

نشر أدولف هلزهوسن، ط بيانة ١٩٢٨م، تصوير بيروت ١٩٩٣م.

– شعر الحارث المخزومي ـ جمع وتحقيق يحيى الجبوري، ط دار القلم الكويت ١٩٨٣م.

– شعر أبي حية النميري ـ جمع وتحقيق يحيى الجبوري، ط وزارة الثقافة، دمشق ١٩٧٥م.

– شعر (أشعار) الخليع الحسين بن الضحاك ـ جمع وتحقيق عبدالستار أحمد فراج، ط دار الثقافة، بيروت ١٩٦٠م.

– شعر سلم الخاسر ـ ضمن (شعراء عباسيون).

جمع وتحقيق جرونباوم، ط بيروت ١٩٥٩م.

– شعر السليك بن سلكة (أخباره وأشعاره) ـ جمع وتحقيق حميد ثويني وكامل عواد، ط بغداد ١٩٨٤م.

– شعر أبي الشيص الخزاعي ـ (أشعار أبي الشيص الخزاعي وأخباره).

جمع وتحقيق عبدالله الجبوري، ط النجف ١٩٦٧م.

– شعر عبدالصمد بن المعذل ـ جمع وتحقيق زهير غازي زاهد، ط النجف ١٩٧٠م.

- شعر عبدالله بن الزبعري ـ جمع وتحقيق يحيى الجبوري، ط دار الرسالة، بيروت ١٩٨١م.

- شعر علي بن جبلة العكوك ـ جمع وتحقيق حسين عطوان، ط مصر ١٩٧٢م.

- شعر عمرو بن شأس ـ جمع وتحقيق يحيى الجبوري، ط دار القلم، الكويت ١٩٨٣م.

- شعر المسيب بن علس ـ جمع وتحقيق أنور سويلم، ط جامعة مؤتة، الأردن ١٩٩٤م.

- شعر نصيب بن رباح ـ جمع وتحقيق داود سلوم، ط بغداد ١٩٦٨م.

- شعر النمر بن تولب ـ ضمن (شعراء إسلاميون) ط بيروت ١٩٨٤م.

- شعر هدبة بن الخشرم ـ جمع وتحقيق يحيى الجبوري، ط دار القلم، الكويت ١٩٨٦م.

- شعر الوليد بن يزيد ـ جمع وتحقيق حسين عطوان، ط عمان ١٩٧٨م.

طبقات ابن سعد (الطبقات الكبير) ـ محمد بن سعد (ت ٢٣٠ هـ).

تحقيق سخاو، ط ليدن ١٩٠٤م، صور في بيروت ١٩٥٧م.

- طبقات الشعراء ـ ابن المعتز: أبو العباس عبدالله بن المعتز العباسي (ت ٢٩٦ هـ).

تحقيق عبدالستار فراج، ط دار المعارف، مصر ١٩٥٦م.

- عيون الأخبار ـ ابن قتيبة: عبدالله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦ هـ).

ط دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٦٧م.

– الغناء والموسيقا عند العرب قبل الإسلام ـ السامرائي: عبدالجبار محمود.

– مجلة التراث الشعبي، العدد الخامس السنة الخامسة، ط دار الحرية، بغداد ١٩٧٤م.

– الغيث المسجم في شرح لامية العجم ـ الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤ هـ)، ط مصر ١٢٩٠ هـ.

– الفهرست ـ ابن النديم: محمد بن إسحاق (ت ٣٨٠ هـ).

ط فلوجل، ليبسك ١٨٧١م، وط رضا تجدد، طهران ١٩٧١م.

– فوات الوفيات ـ ابن شاكر الكتبي: محمد بن شاكر الحلبي (ت ٧٦٤ هـ).

تحقيق إحسان عباس، ط بيروت ٧٣ ـ ١٩٧٤م.

– الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير: عز الدين علي بن محمد الشيباني (ت ٦٣٠ هـ).

ط صادر، بيروت ١٩٦٥م.

– كتاب بغداد ـ طيفور: أحمد بن أبي طاهر (ت ٢٨٠ هـ).

ط مصر ١٣٦٨ هـ/ ١٩٤٩ م.

– اللباب في تهذيب الأنساب ـ ابن الأثير (السابق).

ط مصر ٥٦ ـ ١٣٦٩ هـ.

– لسان العرب ـ ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم بن علي الأنصاري (ت ٧١١ هـ).

ط صادر، بيروت.

- لسان الميزان ـ ابن حجر: أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ).

ط حيد أباد، الهند ١٣٣١ هـ.

- المحبر ـ ابن حبيب: محمد بن حبيب بن أمية الهاشمي (ت ٢٤٥ هـ).

ط دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الهند ١٣٦١ هـ/ ١٩٤٢م.

- مرآة الجنان ـ اليافعي: عبدالله بن أسعد (ت ٦٧٨ هـ).

ط بيروت ١٩٧٠م.

- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ـ سبط ابن الجوزي: يوسف بن قزا أوغلي (ت ٦٥٤ هـ).

طبع المجلد الثامن وهو الأخير في حيدر أباد، الهند ١٣٧٠ هـ/ ١٩٥١م.

- مروج الذهب ومعادن الجوهر ـ المسعودي: أبو الحسن علي بن أبي الحسن (ت ٣٤٦ هـ).

ط باريس ١٩٣٠م، وط محمد محيي الدين عبدالحميد، القاهرة ١٩٥٨م.

- المستطرف من كل فن مستظرف ـ الأبشيهي: محمد بن أحمد (ت ٨٥٢ هـ).

ط إحياء التراث العربي، بيروت.

- المستظرف في أخبار الجواري ـ السيوطي: جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ).

تحقيق صلاح الدين المنجد، ط بيروت ١٩٦٣م، وتحقيق أحمد عبدالفتاح تمام، ط مكتبة التراث الإسلامي القاهرة د. ت.

- المصباح المنير ـ الفيومي: أحمد بن محمد بن علي المقري (ت ٧٠٧ هـ).

- مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس ـ الفتح بن خاقان: الفتح ابن محمد بن عبيد الله القيسي (ت ٥٣٥ هـ)، ط الجوائب ١٣٠٢ هـ.

- المعجب في تلخيص أخبار المغرب ـ المراكشي: عبدالواحدبن علي التميمي (ت ٦٤٧هـ).

ط مصر ١٣٦٨ هـ/ ١٩٤٩م.

- معجم الأدباء ـ ياقوت الرومي الحموي (ت ٦٢٦ هـ).

ط دار المأمون، مصر ١٩٣٦م، وتحقيق إحسان عباس، ط دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٣م.

- معجم الشعراء ـ المرزباني: أبو عبيد محمد بن عمران (ت ٣٨٤ هـ).

تحقيق عبدالستار فرج، ط الحلبي القاهرة ١٩٦٠م.

- المعجم الوسيط ـ إعداد مجمع اللغة العربية، القاهرة.

- المعرب من الكلام الأعجمي ـ الجواليقي: أبو منصور موهوب بن أحمد (ت ٥٤٠ هـ).

تحقيق أحمد شاكر، ط القاهرة ١٣٦١ هـ.

- المفضليات ـ الضبي: المفضل بن محمد (ت ١٧٨ هـ).

تحقيق محمود شاكر وعبدالسلام هارون، ط دار المعارف، مصر ١٩٧٦م.

- مقامات الموسيقا العربية ـ صالح مهدي، نشر المعهد الرشيدي للموسيقى التونسية، تونس د. ت.

- المنتخل (كتاب المنتخل) ـ الميكالي: أبو الفضل عبيد الله بن أحمد بن علي

(ت ٤٣٦ هـ).

تحقيق يحيى الجبوري، ط دار الغرب الإسلامي، بيروت ٢٠٠٠م.

- المنتظم من تاريخ الملوك والأمم - ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧ هـ). ط دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الهند ١٣٥٧ هـ.

- الموسوعة العربية الميسرة - بإشراف محمد شفيق غربال، ط دار الشعب ١٩٦٥م.

- الموسيقا العراقية في عهد المغول والتركمان - عباس العزاوي. ط بغداد.

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة - ابن تغري بردي: أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي (ت ٨٤٧ هـ). ط دار الكتب المصرية ١٩٣٠م.

- نزهة الجليس ومنية الأديب الانيس - الموسوي: العباس بن علي بن نور الدين (١١٤٨ هـ) ط مصر ١٢٩٣ هـ.

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب - المقري: أحمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١ هـ).

ط دوزي وآخرين، ليدن ١٨٦١م، وط مصر ١٣٠٢ هـ.

- نكت الهميان في نكت العميان - الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤ هـ).

تحقيق أحمد زكي، ط مصر ١٣٢٩ هـ/ ١٩١١م.

- نهاية الأرب في فنون الأدب - النويري: شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب (ت ٧٣٢ هـ).

ط دار الكتب المصرية ٢٩ ـ ١٩٥٥م، وطبعة مصورة عنها، القاهرة ١٩٧٥م.

– الواضح المبين فيمن استشهد من المحبين ـ مغلطاي بن فليح بن عبدالله البكرجي المصري (ت ٧٦٢ هـ).

تحقيق أوتو سبيز، ط دلهي ١٩٣٦م.

– الوافي بالوفيات ـ الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤ هـ).

باعتناء هلموت ريتر، ط صادر، بيروت ١٩٧١م، وط شتوتكارت ١٩٩٣م.

– الوزراء والكتاب ـ الجهشياري: أبو عبدالله محمد بن عبدوس (ت ٣٣١هـ).

تحقيق السقا والأبياري وشلبي، ط مصر ١٣٥٧ هـ/ ١٩٣٨م.

– الوسائل إلى مسامرة الأوائل ـ السيوطي: جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ).

ط بغداد ١٣٦٩ هـ/ ١٩٥٠م.

– وفيات الأعيان ـ ابن خلكان: شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١ هـ).

تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، ط مصر ١٩٤٨م، وتحقيق إحسان عباس، ط دار الثقافة، بيروت ١٩٧٣م.

– يتيمة الدهر ـ الثعالبي: أبو منصور عبدالملك بن محمد النيسابوري (ت ٤٢٩ هـ).

ط محمد محمد محيي الدين عبدالحميد، القاهرة ١٩٥٦م، وط دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٣م.

فهرس الموضوعات